

طريق الحق في الله من لاد الهوسية والنيون والله

لشَيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ الْحَسَنِيِّ
(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

(٤٧٠ - ٥٥٦ هـ)

والله اعلم

تراث الإسلام

٣

الْغَنِيَّةُ
لطالبي طريق الحق
في الأخلاق والتصوّف والآداب الإسلامية

للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني

٤٧٠ - ٥٦١ هـ

الجزء الأول



ترجمة المؤلف

هو أبو صالح مبدی عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن الثاني بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين . ولد رضي الله تعالى عنه سنة سبعين وأربعمائة ، وتوفي سنة إحدى وستين وخمسائة ، ودفن ببغداد رضي الله تعالى عنه ، وقد أفرد الناس بالإنابة ، ونحن نذكر إن شاء الله تعالى نبذة من مناقبه مما به تأديب ونفع السامع فتقول وبالله التوفيق .

كان رضي الله عنه يقول : خير الحسين العلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده ، وإنما لكل من عثر مركوبه من أصحاب ومريدی ومحبي إلى يوم القيامة أخذ بيده ، يا ، لما فرسي ملجم ، ورعي منصوب ، وسني شاهر ، وقوسي موثر ، أسطك وأنت خائل . وحكي عن أمه رضي الله عنها وكان لما قدم في الطريق أنها قالت : لما وضعت ولدي عبد القادر كان لا يرضع ثدي في نهار رمضان ، ولقد ضم على الناس حلال رمضان ، فأثوني وسألوني عنه ، فقلت لهم : إنه لم يخلق اليوم له ثديا ، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان ، واشتهر بيلدا في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ، ولد لا يرضع في نهار رمضان ، وكان رضي الله عنه يلبس لباس العلماء ويتطيلس ، ويركب البغلة ، وترفع العائشة بين يديه ، ويتكلم على كرسي عال ، وربما خطى في الهواء خطوات على وموس الناس ، ثم يرجع إلى الكرسي . وكان رضي الله عنه يقول : بقيت أياما كثيرة لم أستطع فيها بطعام ، ففتني إنسان فأعطاني سرة فيها دراهم ، فأخذت منها خبزا مبيدا وخبيصا ، فجلست آكله ، فإذا برقعة مكتوب فيها : قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة : إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقي ليستميتوا بها على الطاعات ، أما الأقوياء فما لهم والشهوات فتركوا الأكل وانصرفوا . وكان رضي الله عنه يقول : إنه ليرد على الأفتال الكبيرة لو وضعت على الجبال لتفسخت ، فإذا كثرت على الأفتال وضعت جنبي على الأرض ونلت (فإن مع السر يسرا ، إن مع السر يسرا) ثم أرفع رأسي ، وقد انفرجت عني تلك الأفتال ، وكان رضي الله عنه يقول : قاسمت الأهوال في بدايتي ، فأتركت حولا إلا ركبته ، وكان لرامي جبة صوف ، وعلى رأسي خريفة ، وكنت أمشي حافيا في الثلج وغيره ، وكنت أفات بخرنوب فتشرك في قمامة البقل وورق الخس من شاطئ النهر ، ولم أزل أأخذ تقيي بالمجاهدات حتى طرقتني من الله تعالى الحال ، فإذا طرقتني صرخت وعت على وجهي ، سواء كنت في صحراء أو بين الناس وكنت أظاهر بالتخلس والجنون ، وحلفت إلى البهارستان وطرقتني سرة الحال حتى مت ، وجادوا بالكفن والغسل ، وجعلوني حل القتل لفسلوني ،

ثم سرى عني وقتت . وقال له رجل مرة : كيف الخلاص من العجب ؟ فقال رضى الله عنه :
من رأى الأشياء من الله وأنه هو الذي خلقه لعمل الخير ، وأخرج نفسه من بين فقد سلم من
العجب . وقيل له مرة : ما لنا لا نرى الباب يقع على ثيالك ؟ فقال : أي شيء يعمل الباب
عندي وأنا ما عندي شيء من ديس الدنيا ولا حصل الآخرة . وكان رضى الله عنه يقول : أيما
امرئ مسلم عبر على باب مدرسى خفف الله عنه العذاب يوم القيامة . وكان رجل يصرخ
في قبره ويصيح حتى آذى الناس ، فالتبروه به ، فقال : إنه رأى مرة ، ولا بد أن الله تعالى
يرحمه لأجل ذلك ، فن ذلك الوقت ما سمع له أحد صراخا ، وتوطأ رضى الله عنه يوما فيل
عليه عصفور ، فرفع رأسه إليه وهو طائر ، فوقع ميتا ، ففعل الثوب ثم باعه وتصدق بيمينه ،
وقال هذا بهذا . وكان رضى الله عنه يقول : يارب كيف أهدى إليك روحى وقد صبح
بالبرهان أن لكل لك . وكان رضى الله عنه يتكلم في ثلاثة عشر علما ، وكانوا يقرءون عليه
في مدرسته درسا من التفسير ، ودرسا من الحديث ، ودرسا من المذهب ، ودرسا من الخلاف ،
وكانوا يقرءون عليه طرق في الباري التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول والشعر .
وكان رضى الله عنه يقرأ القرآن بالقرءات بعد الظهر ، وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي
والإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما ، وكان فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتصحبهم أشد
الإعجاب فيقولون : سبحان من أنعم عليه .

ورفع إليه سؤال في رجل حلف بالطلاق الثلاث إنه لا بد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد
بها دون جميع الناس في وقت تلبسه ، فإذا يفعل من العبادات ؟ فأجاب على الفور : يأتي مكة
ويحكي له اللطاف ويطوف أسبوعا وحده فإنه تنحل يمينه ، فأعجب علماء العراق وكانوا
قد عجزوا عن الجواب عنها . ورفع له شخص ادعى أنه يرى الله عز وجل بعين ، أسد ،
فقال : أحق ما يقولون حكا ؟ فقال : نعم ، فأنشده ونهاه عن هذا القول ، وأخذ عليه أن
لا يعود إليه ، فقيل للشيخ أحق هذا أم مبطل ؟ فقال : هذا محق وليس عليه ، وذلك أنه شهد
ببصيرته نور الجمال ، ثم خرق من بصيرته إلى بصره لمة : فرأى بصره ببصيرته ، وبصيرته
يتصل شعاعها بنور شهوده ، فظن أن بصره رأى ما شهد ببصيرته ، وإنما رأى بصره ببصيرته
فقط ، وهو لا يرى ، قال الله تعالى (مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان) ، وكان
جمع من المشايخ وأكابر العلماء حاضرين هذه الواقعة فأطربهم سماع هذا الكلام ، ودهشوا من
حسن إفصاحه عن حال الرجل ، ومزق جماعة ثيابهم وخرجوا عرايا إلى الصحراء :

وكان رضى الله عنه يقول : تراهي في نور عظيم ما الأفتى ثم تدل فيه صورة تناديني :
يا عبد القادر أنا ربك ، وقد حلت لك المحرمات ، فقلت : لعنوا بالعين ، فإذا ذلك النور غلام
وتلك الصورة دخان ، ثم خاطبني يا عبد القادر نجوت مني بملكك بأمر ربك وفتحك في أحوال
منازلانك ، ولقد أضللت بطل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ، فقلت : قد الفضل ، فليل

له كيف علمت أنه شيطان ؟ قال : بقوله قد حلت لك المحرمات : وسئل رضى الله عنه عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية فقال : الموارد الإلهية لا يأتي باستدعاء ، ولا يذهب بسبب ، ولا يأتي على نخط واحد ولا في وقت مخصوص ، والطوارق الشيطانية بخلاف ذلك غالباً ، وسئل رضى الله عنه عن الحمة فقال : هي أن يتعزى العبد بنفسه عن حب الدنيا ، وبروحه عن التعلق بالمعنى ، ويقبله عن إرادته مع إرادة المولى ، ويتجرد بسره عن أن يلصح الكون أو يخطر على سره . وسئل رضى الله عنه عن البكاء فقال : ابك له ، وابك منه ، وابك عليه ولا حرج . وسئل رضى الله عنه عن الدنيا فقال : أخرجها من قلبك إلى يدك ، فإنها لا تضررك . وسئل رضى الله عنه عن الشكر فقال : حقيقة الشكر : الاعتراف بنعمة النعم على وجه الخضوع ، ومشاهدة الله وحفظ الحرمه على وجه معرفة العجز عن الشكر . وكان يقول : الفقير الصابر مع الله تعالى أفضل من الغنى الشاكر له ، والفقير الشاكر أفضل منهما ، والفقير الصابر الشاكر أفضل منهما . وما عطف البلاء إلا من عرف البلى . وسئل رضى الله عنه عن البقاء فقال : البقاء لا يكون إلا مع اللقاء ، واللقاء يكون كلمح البصر أو هو أقرب ، ومن علامة أهل اللقاء أن يصححهم في وصفهم به شيء فإن ، لأيهما ضدان . وكان يقول : متى ذكرته فانت محب ، ومتى سمعت ذكره لك فانت محبوب ، والخلق حجابك عن نفسك ، ونفسك حجابك عن ربك ، وما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك . ولما اشتهر أمره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من أذكىاء بغداد يختصونه في العلم ، فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه فلما استقر بهم المجلس أطرق الشيخ ، فظهرت من صدره بارقة من نور ، فمرت على صدور المائة فحمت ما في قلوبهم ، فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ، ومزقوا ثيابهم ، وكشفوا رؤوسهم ثم صعد الكرسي وأجاب الجميع عما كان عندهم ، فاعترفوا بفسقه . وكان من أخلاقه أن يقف مع جلالة قدره مع الصغير والبارية ، ويمائس الفقراء ويفلهم ثيابهم ، وكان لا يقوم لأحد قط من العظماء ولا أعيان الدولة ، ولا ألم قط بباب وزير ولا سلطان . وبالحكمة فناناه لا نحصى ، رضى أكثر من أن تستقصى ، رضى الله عنه وعن جميع الأولياء والصالحين ، ورحنا بهم وحشرنا في زميرتهم أجمعين .

فهرست

الجزء الأول من كتاب الفتنى لطالبى طريق الحق عز وجل

صفحة	صفحة
١٤ فصل فى استحباب تعليم الأتفال يوم الجمعة	٢ باب فيما يجب حل من يريده الدخول فى ديننا .
• فى كراهة حلق الرأس فى غير الحج والعمرة	٣ فصل فى أنه إذا كتلت هذه الشروط دخل فى الصلاة .
١٦ فصل فى كراهة الفرع وسنة الجمعة وفرق الشعر	٤ (كتاب الزكاة)
فصل فى كراهة التحذيف للرجال	٥ فصل فيما يخرج زكاة الفطر (كتاب الصيام)
• فى كراهة الخضاب بالسواد	٦ (كتاب الاعتكاف)
• فيما إذا ثبت كراهية السواد	(كتاب الحج)
• فى استحباب الاعتكاف وترا	٧ فصل فيما حل من بلغ الميقات الشرعى .
• فى الاد " هان عيب "	• فى أنه إذا أحرم الحرم لا يفتل وأنه
• فى استحباب سبعة أشياء سفلوا وحضرا	٨ • فى المستحب إن كان فى الوقت سنة .
• فيما يكره من الحصال	١٠ • فيما يلزم إن كان فى الوقت ضيق :
• فى الاستكثان	١١ • فى صفة العمرة :
١٩ • فيما يستحب فعله بيمينه وما يستحب فعله بشماله	• فيما يطل الحج .
فصل فى آداب الأكل والشرب	• فى أركان العمرة .
٢٢ • فى استحباب ما يقال إذا أفطر عند غيره	• فى قلدوم المدينة مع العالمة .
فصل فى آداب الحمام	١٢ (كتاب الآداب)
• فى النهى عن التمرى فى الجملة ، وفى حال الفضل	• فى أن الابتداء بالسلام سنة .
فصل فى ترخيص الإمام أحمد رحمه الله فى ذلك	١٣ • فى استحباب القيام للإمام العادل والوالدين .
فصل فى ليس الحاتم واتخاذ	١٤ فصل فى العشر الحصال التى فى الفطرة .
	• فى الأصل فى حلق العانة وتخت الإبط
	• فى كراهة تفت الشيب .

٢٤ فصل في كراهة اتخاذ الخاتم من الحديد والذهب

• في كراهة التخنم في الوسطى والسبابة

• في اختيار التخنم في اليسرى وفي التخصر

• في آداب الللاء والاستنجاء

٢٦ • في كيفية الاستنجاء بالماء

• في أنه إذا انتشرت النجاسة لم يجوز له

غير الماء

فصل في صفة ما يجوز به الاستنجاء

• فيها يجب في الاستنجاء بجميع ما يخرج

من السيلين سوى الريح

فصل في كيفية الطهارة الكبرى

٢٧ • في الأذكار المستحب ذكرها عند غسل

الأعضاء

فصل في آداب اللباس

٢٨ • في تقسيم اللؤلؤ اللباس إلى واجب

ومندوب

٢٩ فصل في آداب الترم

• في دخول المنزل ، والكسب من

الحلال ، والوحدة

٣٣ فصل في آداب السفر والصحة فيه

• في أنه لا يجوز خصاء شيء من الحيوان

والعبد

فصل في أنه لا يجوز فعل شيء من

الاستقذرات في المساجد

فصل في الكلام على الأصوات في المساجد

٣٦ • في الإذن في قتل الحيوان ما يباح منه

وما لا يباح

٣٧ فصل في بر الوالدين

٣٨ • فيها يستحل من الكنى والأسماء وما

يكره منها

٣٩ فصل فيما يفعله من غضب

• في جواز أن يقول الرجل لغيره صلى

الله عليك

٤٠ فصل في كراهة مصافحة أهل الذمة

• في آداب الدعاء

• في أن التعوذ بالقرآن جائز

فصل فيما روى عن الإمام أحمد بما يكتب

للمحرم ويطلق عليه

فصل فيما يكتب للمعترة عند الولادة

• في أمر العائن بفصل وجهه وبديه الخ

٤١ • في جواز العلاج من الأمراض

• في النهي عن خطو الرجل بأمرأة

ليست منه بمحرم

فصل في وجوب الرقن بالملوك

٤٢ • في كراهة المسافر بالمصحف إلى أرض

العدو

فصل في استحباب ما يقال إذا نظر في المرأة

• فيما يقوله من طلت أذنه

٤٢ • فيما يقوله من اشتكى بدنه أو أعضائه

• فيما يقوله من رأى شيئاً يتطير منه

• فيما يقوله من رأى بيعة أو كنيسة

• فيما يقوله من دخل السوق

• فيما يقوله من رأى مبتلى

• فيما يقال للحاج إذا قدم من سفره

• فيما يقوله من عاد مريضاً مسلماً

٤٣ • فيما يقوله من يضع اليه في قبره

• في آداب النكاح

٤٨ • في بيان أنه إذا دعا امرأة الجماع

وأبت تعد عاصية

فصل في استحباب ولية العرس

٤٩ فصل في بيان أنه إذا كملت شرائط الشكاح

فإنه يستأنذا المعاند

٥٠ باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فصل في سبب شرط القدرة على ذلك

٥١ ١ في حكم ثبوت وجوب الإنكار

٢ في حلية طه عدم زوال المنكر

٣ فيها بشرط في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر

٥٢ فصل في أن الأول للأمر إن استطاع أن

يأمر وينهي في خلوة

٥٣ فصل أنه بشرط في الأمر والنهي

العلم بما يأمر والنهز عما ينهي

فصل في أن الذي يؤمر به وينكر على

ضربين

فصل في أنه ينبغي لكل مؤمن أن يعمل

بألأداب التي وردت في الشرع

باب في معرفة الصانع عز وجل

٥٨ فصل في اعتقاد أن القرآن كلام الله

٥٩ ١ في اعتقاد أن القرآن حروف مفهومة

٦٠ ١ في بيان أن حروف المعجم غير

مخلوقة

٦١ فصل في وجوب اعتقاد أن الله عز وجل

سبعة وتسعين اسما

٦٢ فصل في اعتقاد أن الإيمان قول باللسان

ومعرفة بالقلبان

٦٥ فصل في اعتقاد أن من أدخله الله النار

يكبره مع الإيمان لا يحلده فيها

٦٥ فصل في أنه ينبغي أن يؤمن المؤمن بطير

القدر وشرة

٦٦ فصل في الإيمان بأن النبي صلى الله عليه

وسلم رأى ربه عز وجل بعين رآه ليلة

الإسراء والمعراج

٧٣ فصل في اعتقاد أهل السنة أن الجنة والنار

مخلوقاتان

٧٤ فصل في اعتقاد أهل الإسلام قاطبة أن

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم

رسول الله

٧٥ فصل في اعتقاد أهل السنة أن آية محمد

عليه الصلاة والسلام غير الأمام

٨٠ فصل في علامات أهل البدع : ولجه

فصلان :

٨١ الفصل الأول : فيها لا يجوز إطلاقه على

الباري عز وجل

٨٣ الفصل الثاني : في بيان الفرق الفصالة عن

طريق الهدى

٨٥ فصل في أن أصل الثلاث والسبعين فرقة

الذين ذكروا في الحديث هم عشرة

٨٦ فصل في الكلام على الشيعة وأصحابهم

٨٧ ١ في أن الرافضة ثلاثة أصناف

٨٩ فصل في الفرق التي تفرقت عن الرافضة

٩٠ فصل في فرق المرجئة

١ في بيان أن إلهية منسوبة إلى

جهنم بن صفوان

٩١ فصل في أن الكرامية منسوبة إلى أبي عبد الله

ابن كرام

فصل في ذكر مقالة المعتزلة والقدرية

٩٣ ١ في الكلام على مقالة المشبهة

- ٩٤ فصل في ذكر مقالة الجهمية
 • في ذكر مقالة السالكية
 ٩٥ باب في الاعتنا بمواظبة القرآن . وفيه مجالس
 الخليل الأول في قوله عز وجل : فإذا قرأت القرآن
 فصل في أن معنى أعوذ بالاستعاذة
 ٩٦ • في بيان أن الشيطان بعيد من الله
 • فيما يستفيده العبد بالاستعاذة
 ٩٨ فصل فيما يخالف الشيطان منه ويحلوه
 • في أولى ما يستعان به على محاربة الشيطان
 ٩٩ فصل في بيان أولاد إبليس اللوكاين
 بنى آدم
 ١٠١ فصل في بيان أن القلب لثين
 • في بيان أن في القلب غواطر ستة
 ١٠٢ • في بيان أن النفس والروح مكانان
 لإلقاء الملك والشيطان
 فصل في استعاذة عظيمة نافعة
 ١٠٣ • في بيان أن مجاهدة الشيطان بألفاظ
 ١٠٥ مجلس آخر في قوله عز وجل : إنه من ملبان
 فصل في بيان أن المؤلف استوفى هذه القصة في هذا المجلس لما فيها من العبرة
 بكل مؤمن
 ١١٠ فصل في فضل « بسم الله الرحمن الرحيم »
 • فصل آخر في فضل « بسم الله الرحمن الرحيم »
 ١١٢ فصل في تفسير قوله « بسم الله الرحمن الرحيم »
- ١١٢ فصل في اختلاف الناس في اسم الله ومعناه
 ١١٤ • في قول « بسم الله »
 • في قول بسم الله الذي تعالى عنه الأضداد
 ١١٥ فصل في أن بسم الله للذاكرين ذكر
 • في قول بسم الله أيضا
 • في قول بسم الله أيضا ، ومعنى الباء فيه
 • في راحة الله لخالف الشيطان ومجانب المعصيان
 ١١٦ مجلس : في قوله تعالى « وتوبوا إلى الله »
 جميعا أي المومنون لهم تفضلون :
 فصل والذي ورد عنه التوبة من الذنوب كباثر وصفاثر
 ١١٧ فصل في بيان أن الصغائر لا تحصر
 ١٢٢ • في شروط التوبة وكيفيتها
 ١٢٩ • في أنه ينبغي أن يعرف قدر جنايته
 ١٣٠ • في أنه إذا تخلص المؤمن من مقام العباد وتفرغ للعبادة فليست طريق الودع
 ١٣٤ فصل في بيان تمام الودع
 • في التوبة عن بعض الذنوب دون بعض
 ١٣٥ فصل في ذكر الأخبار والآثار الواردة في التوبة
 ١٣٧ فصل فيما ورد أن صاحب الجين أمير على صاحب الشمال
 ١٣٨ فصل آخر في ذلك
 ١٤٠ • في أن توبة التائب لا تعرف إلا في أربعة أشياء
 ١٤١ فصل في ذكر أقوال شيوخ الطريقة في التوبة

١٤٢ مجلس في قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

١٤٥ فصل في طريق التقوى وأنه التخلص من مظالم العباد

١٤٦ فصل في دعوة الله عز وجل خلقه إلى توحيده وطاعته

١٤٨ فصل في أن دخول النار بالكفر ونساعت العذاب وقسمة المراتك بالأعمال السيئة

١٥١ فصل في صفة النار وما أعد الله لأهلها فيها ، وصفة الجنة وما أعد الله لأهلها فيها

١٦٠ فصل فيها ورد في أن يحسرجهم سبع قناطر

١٦٩ فصل في قوله عز وجل « فوهم الله شر ذلك اليوم »

١٧٣ مجلس في فضائل شهر رجب

فصل في أن رجب اسم من الأسماء المشتقة

١٧٤ فصل في أن لرجب أسماء

١٧٨ « آخر فيها ورد في فضل شهر رجب

١٧٩ فصل في فضل صيام أول يوم من رجب وقام أول ليلة من

فصل في الكلام على الليالي التي يستحب إحيائها

١٨٠ فصل في الأدعية المأثورة في أول ليلة من رجب

١٨٠ فصل في الصلاة الواردة شهر رجب

١٨١ « في تأكيد الفضيلة في صوم أول خميس من رجب والصلاة في أول ليلة الجمعة

١٨٢ فصل في فضل صيام يوم السابع والعشرين من رجب

١٨٣ فصل في آداب الصيام وما نهى عنه من الآثام

١٨٤ فصل فيها بقوله الصائم وقت الإفطار « في أن شهر رجب تستجاب فيه الدعوة

١٨٦ مجلس في فضل شهر شعبان وما ينزل في ليلة النصف من المغفرة والرضوان

١٨٧ فصل في قول الله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار »

١٨٨ فصل في أن شعبان خمسة أحرف والكلام عليها

فصل في ليلة البراءة وما خصت به من الرحمة والكرامة والفضائل

فصل في سبب تسميتها ليلة البراءة

١٩٢ « في الصلاة الواردة في ليلة النصف من شعبان

فهرست

الجزء الثاني من كتاب الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل

مصحف	مصحف
١٦ فصل آخر بحثهم به ما يتعلق بلبلة القلندر	٣ مجلس في فضائل شهر رمضان
وجميع شهر رمضان	٥ فصل في اختلاف الناس في معنى قوله
١٧ فصل في ذكر القطر	تعالى «رمضان»
١٨ « في سبب تسمية العيد حينئذ »	فصل في قوله عز وجل « شهر رمضان
١٩ « في بيان أن أربعة أعياد لأربعة أقوام »	الذي أنزل فيه القرآن »
٢١ « في أنه يشترك المؤمن والكافر في العيد »	فصل فيما يختص بشهر رمضان من الفضائل
« في أنه ليس العيد ليس النائمات وأكل الطيبات ومعاقة المستحبات »	٧ « فيما ورد في فضل شهر رمضان وما امتاز به »
٢٢ مجلس في فضائل أيام العشر	٩ فصل في أن رمضان خمسة أحرف ، ومعنى كل حرف
٢٤ فصل فيما ورد في عشر ذي الحجة من كرامات الأنبياء ، وما نقل في ذلك من الأخبار والآثار ، وفضائل الأعمال »	١٠ فصل في قوله أن سيد البشر آدم عليه السلام « في فضائل ليلة القدر »
٢٥ فصل في الصلاة الواحدة في أيام العشر	« في أن ليلة القدر تلتس في العشر الأول من شهر رمضان »
٢٦ « في أن العشر خمسة أنبياء عليهم الصلاة والسلام »	فصل في الخلاف في أن ليلة الجمعة أفضل أم ليلة القدر ؟
٢٧ فصل في أن من أكرم هذه الأيام العشرة أكرمه الله تعالى بعشر كرامات »	١٣ فصل في أنه لم يطلع الله عباده على ليلة القدر يقيناً وقطعاً
٢٨ فصل في قسم الله بالتعجب وإلزام عشر والشع والوتر والليل إذا يسر إلى قوله : «إن ربك لبالمرصاد »	فصل في أن الله عز وجل أعطى المصطفى صلى الله عليه وسلم خمس ليلٍ وما هي ؟
فصل في ذكر يوم الروية	١٤ فصل في أن الأمانة في ليلة القدر أن تكون ليلة خلافة نعمة
٢٩ « في فضائل من أحرم بالحج والبي وقصد البيت وإليه ذنبا »	١٥ في بيان أن صلاة التراويح سنة النبي صلى الله عليه وسلم
٣١ فصل في الاختلاف في تسمية يوم الروية	فصل في استحباب الجماعة لها بالظهر والقراءة
٣٢ مجلس في فضائل يوم عرفة	

۳۳ فصل في قوله تعالى : اليوم اكملت لكم دينكم ،

فصل في اختلاف العلماء في المعنى الذى لأجله قيل للموقف عرفات ويوم الموقف بها حرفة

۳۵ فصل في شرف يوم حرفة واليكه

۳۷ و في تفصيل صيامه ، وما ورد فيه من الصلوات ، وما أمر به من صنوف الدعوات

۳۹ فصل فيما يختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء في عشية حرفة

فصل في دعاء جبريل وميكائيل والغفر عليهم السلام عشية حرفة

۴۰ فصل في أنه كان يأمر صلى الله عليه وسلم أن يكون أكثر دعاء المسلم في الموقف : ربنا آتانا في الدنيا حسنة الآية

۴۱ مجلس في فضائل يوم الأضحي ويوم النحر

۴۲ فصل : في قوله عز وجل : فصل لربك والنحر :

فصل في المراد بالذكر يوم الأضحي ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا .

۴۴ فصل في الدعاء والدليل عليه قوله عز وجل : وقال ربكم ادعوني

۴۶ فصل في النحر ودليله قوله عز وجل : والنحر

۴۷ فصل في أنه يستحب إذا خرج المؤمن إلى صلاة العيد في طريق أن يرجع من طريق آخرى

۴۷ فصل في فضيلة يوم النحر والأضحية

۴۸ و في صلاة ليلة الأضحي

فصل في أن الأضحية سنة لا يستحب تركها لمن قدر عليها

۴۹ فصل في أن الفضل الأضحية الإبل ثم البقر ثم الغنم

فصل في ذكر أيام التشريق

۵۰ و في أشباه في القرآن سماها الله عز وجل ذكرا

۵۱ فصل في الاختلاف في أنه لم يحيت عليه الأيام أيام التشريق

فصل في الاختلاف في قدر التكبير في هذه الأيام

۵۲ فصل في أن التكبير إن كان محرما فن صلاة الظهر يوم النحر إلى آخر أيام التشريق

فصل في أن هذا التكبير الذى ذكرناه في عيد الأضحي مثله في عيد الفطر

مجلس في فضائل يوم عاشوراء

۵۵ و في اختلاف العلماء ورحمهم الله في تسبته يوم عاشوراء

فصل في الاختلاف في أي يوم هو من ذم الحرام

۵۶ مجلس في أن من فضائل يوم عاشوراء أن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما قتل فيه

مجلس في أنه قد طعن قوم على من صام هذا اليوم العظيم ، وما ورد فيه من التعظيم

۵۷ مجلس في فضائل يوم الجمعة

۵۸ فصل في فضائل يوم الجمعة من طريق الآثار

۶۰ فصل في فضل الاعتساف في يوم الجمعة

٦٢ فصل في فضل صلاة الجمعة

٦٣ هـ في أن ساعة يوم الجمعة لا يوافقها عبد

يدعو الله تعالى إلا استجيب دعوته

٦٤ فصل في الصلاة على النبي صلى الله عليه

وسلم يوم الجمعة

٦٥ فصل فيما يستحب أن يقرأ في صلاة صبح

يوم الجمعة

فصل في تسبته يوم الجمعة

٦٦ هـ في أن جميع ما ذكر من صيام الأشهر

والأصحية والعبادات من الصلاة والأذكار

وغير ذلك لا يقبل إلا بعد التوبة وطهارة

القلب الخ

٦٨ فصل في تحجير العابد والعارف بالله من

الرياء

٧٢ باب في ذكر فضائل أيام الأسبوع والأيام

البيضاء وما ورد في صيام ذلك من التخصيص

وذكر أوقات الليل والنهار فيها

٧٤ فصل في صيام الأيام البيض وما فيها من

الفضل الكثير

٧٥ باب في صيام الدهر وما لمن صامه من

التراب والأجر

٧٦ فصل في فضل الصيام على الجمعة

٧٧ هـ في أوقات الليل والنهار على قيامه مما

اتفق في الصحيحين وما ذكر في غيرهما

من الكتب

٧٩ فصل في صلاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم المذكورة في المفق عليه

٨٠ فصل آخر في صلاة الليل

٨١ هـ في فضل الصلاة بين العشاءين

٨٢ فصل في الكلام على الركعتين قبل صلاة

المغرب

٨٣ فصل آخر في ذكر ما ورد فعله بين العشاءين

ورؤية قاعه التي صلى الله عليه وسلم ببركة

فعله ذلك في المنام وغير ذلك من التراب

٨٥ فصل في ذكر الصلاة بعد العشاء الآخرة

هـ في الوتر ويان أن الأفضل فيه آخر

الليل لما تقدم من فضل قيام آخر الليل

٨٦ فصل في أن من لو تر أول الليل ثم قام إلى

التباعد قول يفسخ وتره أم يصلى ما شاء ؟

فصل في دعاء الوتر

٨٧ هـ في أن الأولى لمن يصلى بالليل إذا

خله النعاس أن ينام

٨٨ فصل في أن قيام جميع الليل فعل الأقوياء

٨٩ هـ فيمن استكملت غفلك وأحاطت به

خطيئته

فصل في أنه يستحب لمن ألتئم عليه بقيام

الليل أن يداوم عليه

٩٠ فصل فيما يستحب لمن قام من الليل للتباعد

أن يقوله

فصل فيما يستحب لتقام لصلاة الليل أن

يفتتح صلاته به

٩١ فصل في استحباب أن لا ينام حتى يقرأ

ثلاثة آية

فصل في أشياء يستعان بها على قيام الليل

٩٢ هـ في أنه يستحب لمن قام الليل أن ينام

آخره

فصل في أن من غافه قيام الليل إلى آخره له

أن يقضيه فيما بين طلوع الشمس وصلاة

الظهر وله فضله

۹۳ فصل فی أن أورد الليل خمسة

فصول أورد النهار

فصل فی أن أورد النهار خمسة

۱ فی الورد الأول من النهار

۹۵ ۲ فی الورد الثاني

۳ فی عدد ركعات صلاة الفصحى

۹۶ ۴ فی وقتها

۵ فیاً يقرأ فيها

۹۷ ۶ فی إنكار بعض الصحابة ورضى الله عنهم

صلاة الفصحى

فصل فی الورد الثالث

۱ فی الورد الرابع

۹۸ ۲ فی حديث جامع ورد فی التوائل

۳ فی الورد الخامس بعد صلاة العصر

۹۹ باب فی الصلوات الخمس ، وبيان ألياقها

وسننها وفضائلها

فصل فی بيان أن الصلوات المكتوبة خمس

۱ فی الأصل فی وجوبها

۱۰۰ ۲ فی ذكر من صلى هذه الصلوات

أولاً قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فصل فی أن أول ما وجب من الصلوات

صلاة الفجر والمغرب

فصل فی بيان وقت صلاة الفجر

۱۰۱ ۱ فی أن الظهر أول وقتها إذا زالت

الشمس

۱۰۲ فصل فی أن قياس الظل بالأقدام ونصب

العمود يختلف فی الشتاء والصيف

فصل فی معرفة الأقدام

۱ فی ذكر بعضهم صلاة أخرى

۱۰۳ فصل فی أنه ذكر بعض شيوخنا لذلك

صيفة أخرى ألياً

فصل فی أن معرفة الزوال على هذه الصفات

والتحديد ليس هو بأمر حتم

فصل فی أن معرفة الزوال على التحقيق

أمر يقدّر ويصعب

فصل فیاً إذا عرفت الزوال ولزوت أنه

تعرف القبلة

فصل فی كيفية معرفة وقت العصر

۱ فی معرفة وقت صلاة المغرب

۲ فی أنه إذا غاب الشفق دخل وقت

المساء الآخرة

۱۰۵ فصل فی أن السن الراتبة مع هذه الصلوات

الخمس ثلاثة عشر ركعة

۱۰۶ فصل فی فضائل الصلوات الخمس

۱۰۷ ۱ فی الخروج إلى المسجد وفضل

الجماعة والخشوع فی الصلاة

۱۰۹ فصل فی المحافظة عليها وما ورد من

التقوية على من خشيها

۱۱۰ فصل فی أن الصلاة خطر ما عظم

۱۱۱ ۱ فی أن لها أربعين خصلة مكرمة

منهى عنها فی صلاة القرية

۱۱۳ فصل فی أنه ينبغي لكل مسلم أن يقدم التوبة

للصلوات بمثل الكعبة أمامه ونصب عينه

۱۱۵ فصل فیاً يخص بالإمام

۱۱۷ ۱ فی أنه ينبغي للإمام أن لا يدخل

فی الصلاة ولا يكبر حتى ينوي الإمامة

بقوله

۱۱۹ فصل فی أنه يجب على المأموم أن ينوي

الانقياد ويقف على يمين الإمام

- ١١٩ فصل في أنه يكره للمسلم أن يسبق الإمام
في التكبير والركوع والسجود والرفع
١٢١ فصل فيمن يجب على من رأى من يقصر
في صلاته
١٢٢ فيا يجب على المؤذن
في بيان أن الله يرحم من أتى على
صلاته عاشعاً
١٢٤ فصل في صلاة الخاصة لإيقاظ المتيقظين
الخاشعين المراقبين
١٢٦ باب في صلاة الجمعة والعيدين وصلاة
الاستسقاء والكسوف والخسوف
واقصر الجمع وصلاة الجنازة مختصراً
فصل في صلاة الجمعة والأصل في وجوبها
١٢٧ في صلاة العيدين وأنها فرض على
الكفاية
١٢٨ فصل في صلاة الاستسقاء وأنها سنة
١٢٩ فصل في صلاة الكسوف وبيان أنها سنة
مؤكدة ووقتها
١٣٠ فصل في صلاة الخوف وجواز فعلها
بشرائط
١٣١ فصل في قصر الصلاة وجواز فعلها إذا
جاءت بيوت قريته أو نيام قومه
١٣٢ فصل في الجمع بين الصلاتين وجواز
بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء
١٣٣ فصل في الصلاة على الجنازة وأنها فرض
على الكفاية
١٣٥ فصول : فيما يفعل بمن حضره الموت
وكيفية غسله وتكفينه وتحنيطه ودفعه
فصل في أنه يستحب لكل مؤمن مؤمنة

- بالموت عائل أن يكثر ذكر الموت
ويستدله
١٣٦ فصل في استحباب عبادة المؤمنين المريض
١٣٧ في استحباب المصارعة في غسله
وتجهيزه وتكفينه ودفعه
١٣٩ فصل في ذكر فضائل الصلوات في أيام
الأسبوع وأيامه
١٤٠ فصل في ذكر صلاة يوم الأحد
في ذكر صلاة يوم الاثنين
في ذكر صلاة يوم الثلاثاء
١٤١ في ذكر صلاة يوم الأربعاء
في ذكر صلاة يوم الخميس
في ذكر صلاة يوم الجمعة
١٤٢ في ذكر صلاة يوم السبت
باب في ذكر صلاة الليالي
فصل في ذكر فضل صلاة ليلة الأحد
في ذكر فضل صلاة ليلة الاثنين
١٤٣ في ذكر فضل صلاة ليلة الثلاثاء
في ذكر فضل صلاة ليلة الأربعاء
في ذكر فضل صلاة ليلة الخميس
في ذكر فضل صلاة ليلة الجمعة
١٤٤ في ذكر فضل صلاة ليلة السبت
في أنه يشتغل بالخواطر بعد أداء
القرائش وأنواع العبادات الواجبة
فصل في ذكر فضل صلاة التسبيح
١٤٥ في صلاة الاستخارة ودعائها
١٤٦ فصل في حرز المسافر من كل سارق
وسبع ومؤذ

صحيفة

١٧٠	فصل في الصحبة مع الأجانب
١	في الصحبة مع الأغنياء
١	في الصحبة مع الفقراء
١٧٢	في آداب الفقير في فقره
١٧٤	في سؤال الفقير
١	في آداب العيشة
١٧٥	في آداب الفقراء عند الأكل
١٧٦	في آدابهم فيما بينهم
١٧٧	في آدابهم مع الأهل والولد
١٧٨	في آدابهم في السفر
١٧٩	في آدابهم في السماع
١٨٢	في الكلام على المجاهدة
١٨٤	في الأصل في المجاهدة
١	فيما تم به المجاهدة
١٨٧	في خصال أهل المجاهدة والخاصة وأولى العزم
١٨٩	في الكلام على التوكل
١٩٢	في حسن الخلق
١	في حسن الخلق مع الله عز وجل
١٩٣	في الشكر
١٩٥	في الصبر
١٩٦	في الرضا
١٩٩	في الصلوة

صحيفة

١٤٦	فصل في ذكر صلاة الكفاية
١٤٧	في ذكر صلاة الخساسة
١	في صلاة العشاء في شوال
١	في فضل الصلاة لرفع حجاب القبر
١٤٨	في صلاة الحاجة
١	في الدعاء لدفع الظلم والاحتراس منه
١٤٩	في الدعاء للحجاب العموم وقضاء الديون
١٥٠	باب الأدعية التي يدعى بها عقيب الصلوات القرض ودعاء الخساسة وغير ذلك
١٥١	فصل في ذكر دعاء غنمة القرآن إلى آخره
١٥٥	في ذكر الوصية
١٥٨	(كتاب آداب المريدين)
١	فصل في الإرادة والمريد والوارد
١٦٠	في التصوف والصوفي
١٦٣	باب فيما يجب على المبتدئ في هذه الطريقة أولا
١٦٤	فصل في آداب مع الشيخ
١٦٨	في آخر في آداب مع شيخه
١	فيما يجب على الشيخ في تأديب المريد
١٦٩	باب في صحة الإخوان والصحبة مع الأجانب ، وكيفية الصحبة مع الأغنياء والفقراء

وَعَدَى مَوْحِلَةً الْمُتَّقِينَ
(قرآن مجید)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمائه ، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه ، وعلى آله وأحبابه :
قال غوثنا الأعظم ، سند العرب والمعجم ، نور الثقلين ، قطب الخائفين ، محيي السنة
أبو محمد عبد القادر الحسيني الجليلي ، قدس الله سره العالي ، وأفاض بركاته على من
اقتدى بسره السامي :

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يصفو كل خطاب ، وبحمده
يتنعم أهل النعم في دار الخراء والثواب ، وباسمه يشفى كل غم وبلاء ،
إليه ترفع الأيدي بالتضرع والدعاء ، في الشدة والرخاء ، والسرور والضراء ، وهو سامع الجميع
الأصوات ، يفتون الخطاب على اختلاف اللغات ، والمهيب المضطر الدعاء ، فله الحمد على
ما أولى وأسدى ، وله الشكر على ما أنعم وأعطى ، وأوضح الحجة وهدى ، وصلواته على
صفه ورسوله الذي به من الصلالة هدى ، (محمد) وآله وأصحابه وإخوانه المرسلين ، والملائكة
المقرئين وسلم تسليما .

أما بعد : فقد ألجأ على بعض أصحابي وشذذ في الخطاب ، في تصنيف هذا الكتاب ، لحسن
ظنه في الإجابة والتصواب ، والله هو المعصم في الأقوال والأفعال والمطلع على الضائير والنيات ،
والنعم المفضل يتسجل ما أراد ، وإليه عز وجل الالتجاء بتطهير القلوب من الرياء والظفاق ،
وإبدال السيئات بالحسنات ، إنه خالق الذنوب والخطيات ، وقابل التوبة من العباد . فلما رأيت
صدق رغبته في معرفة الآداب الشرعية من القرائن والسنن والميقات ، ومعرفة الصانع عز وجل
بالآيات والعلامات ، ثم الاحتياط بالقرآن والأقوال النبوية في مجالس تذكروها ، ومعرفة أخلاق
الصالحين سمر بها في أثناء الكتاب ، ليكون حونا له على سلوك طريق الله عز وجل وامتنال أوامره
واتقاء نواهي ، ووجدت له نية صادقة قد صدرت من فتوح القلوب في ، فأجيبته إلى ذلك
فصارعت مشرعا مبتغيا عتصيا قلوب ، واجبا للفتاة في يوم الحساب ، إلى جمع هذا الكتاب ،
بتوفيق رب الأواب ، اللهم تصواب ، وقد سميت :

الفنية

لطالب طريق الحق عز وجل

بَاب

تبدأ فنقول : الذي يجب على من يريد الدخول في ديننا : أولاً : أن يخلط بالشهادتين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام . ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى على ما سلبته إن شاء الله تعالى ، إذ كان الإسلام هو الدين عند الله تعالى ، قال الله عز وجل (إن الدين عند الله الإسلام) وقال تعالى (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) فإذا قلنا بذلك دخل في الإسلام وحرم قتله وسبى ذراريه واستغنام أمواله ، ويفسر له ما تقدم من التضييق في حق الله عز وجل قوله تعالى (قل الذين كفروا إن بينهم ما يقر لهم ما قد سلف) وقوله النبي صلى الله عليه وسلم : أسرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ، وقوله صلى الله عليه وسلم : الإسلام يجنب ما قبله ، ثم يجب عليه الفسل للإسلام ، لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر نخامة بن أنال وقيس بن عاصم لما أسلما بالفسل . وفي رواية : أتى حنك شمر الكفر والفسل . ثم يجب عليه الفصلاة : لأن الإيمان قول وعمل ، لأن القول دعوى والعمل هو البينة ، والقول صورة والعمل روحها . والفصلاة شرط على تنزهها ، وهي الطهارة بالماء الطهور ، والتيمم عند عدمه ، والستارة بشرب طاهر ، والوقوف على بقعة طاهرة ، واستقبال القبلة والثنية ودخول الوقت . أما الطهارة فلها فرائض وسنن . والفرائض في طاهر المذهب عشرة : النية أولاً ، وهو أن ينوي بطهارته رفع الحدث ، وإن كان نية ما سباحة الصلاة ، لأن التيمم لا يرفع الحدث ، وعلها القلب ، فإن ذكر ذلك بلسانه مع اعتقاده بقلبه كان قد أتى بالأفضل ، وإن انصرف عن الاعتقاد أجراً . ثم التسمية وهو أن يذكر الله تعالى عند إرادته أميل الماء . ثم المضمضة ، وهو دوران الماء في الفم وجهه وإخراجه منه . ثم الاستنشاق ، وهو إدخال الماء في خرى الأنف . ثم غسل الوجه ، وحده من ماتب شعر الرأس إلى ما انحدر من العينين والذقن طولاً ، ومن وند الأذن إلى وند الأذن عرضاً . ثم غسل اليدين إلى المرفقين . ثم مسح الرأس ، وصفته أن يمسح يديه في الماء ثم يرفعهما فترغين فيضمهما على مقدم رأسه ويمرهما إلى خلفه ويمرهما إلى الموضع الذي بدأ منه ، ويكون الإجماع في صياحي الأذنين فيمسح بهما الخلفين القاعين مع الصابين . ثم غسل الرجلين إلى الكعبين وهما التاتان في مفصل القدم ، وكل ذلك مرة مرة . وأما التاسع : فهو ترتيب الأعضاء كلها كما نطق به القرآن في قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) والعاشر : الموالاة ، وهو إجماع المصنفين للأثر قبل أن يشف ماء الأول . وأما سنها فعشر أيضاً : غسل الكعبين قبل إدخالها الإناء ، والسواك ، والمبالغة في المضمضة ، والاستنشاق إلا أن يكون صائماً ، وتخليل اللحية على اختلاف الروايتين ، وغسل داخل العينين والدمعة باليمين ، وأميل ماء جديد للأذنين ، ومسح العتي ، وتخليل ما بين الأصابع ، والفسل الثانية والثالثة . وأما التيمم ، فإن يضرب

يديه على تراب طاهره غبار، يعلق باليد غالوا لاستباحة صلاة مفروضة، مصميا ضربة واحدة يفرج بين أصابعه ، فيمسح وجهه ياطن أصابع يديه وظهر كفيه ياطن راحتيه . وأما الطهارة الكبرى فتذكرها في باب أدب الخلاء إن شاء الله تعالى . وأما السترة فإن يكون ثوبا طاهرا يستر عورته ومنكبه من سائر أنواع الثياب إلا الحرير ، فإن الصلاة فيه باطلة وإن كان طاهرا، وكذلك المصنوب . وأما البقعة ، فإن تكون طاهرة من جميع النجاسات ، فإن كانت النجاسة التي عليها قد نشفتها الرياح أو الشمس فبسط عليها ساطا طاهرا فضلى عليه صحت صلاته على إحدى الروابطين وكذلك إن كانت مغصوبة على زواية ضعيفة . وأما استقبال القبلة ، فإن يوجه إلى غير الكعبة إن كان بمكة ومقاربيها من البقاع ، وإلى جهتها إن كان على بعد منها بالاجتهاد وبذل الطاقة بالاستدلال بالشواهد ، والدلالات بالنجوم والشمس والرياح وغير ذلك . وأما التبة فحلها القلب، وهو أن يعتقد ما افترض الله تعالى عليه من فعل الصلاة وبينها وامثال أمره الواجب من غير رياء وسمعة ثم يحضر قلبه إلى أن يفرغ منها وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنها « ليس لك من متلائك إلا ما خضر فيه قلبك » . وأما دخول الوقت ، فيعلمه بينا أو غلبة الظن في يوم القيم وهيجان الرياح والروائح . ثم يؤذن فيقول : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، حتى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . ثم يقيم فيقول : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله .

(فصل) فإذا كملت هذه الشروط دخل في الصلاة بقوله : الله أكبر ، لا يجزئه غيره من ألقاظ التعظيم ، ولما أركان واجبات ومستويات وهيئات . أما الأركان فخمسة عشر : القيام ، وتكبيرة الإحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والطمأنينة فيه ، والأعتدال عنه والطمأنينة فيه ، والسجود والطمأنينة فيه ، والجلوس بين السجدين والطمأنينة فيه ، والتشهد الأخير والجلوس له ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والتسليم . وأما الواجبات فتسعة : التكبير غير تكبيرة الإحرام ، والتسبيح والتخميد عند الرفع من الركوع ، والتسبيح ، في الركوع والسجود مرة مرة ، وقوله رب اغفر لي في السجدة بين السجدين مرة مرة ، والتشهد الأول والجلوس له ، ونية الخروج من الصلاة في التسليم . وأما المستويات فأربعة عشر : الاستفتاح ، والصمّ ، وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وقوله آمين ، وقراءة سورة ، وقول مله السموات والأرض بعد التخميد ، وما زاد على التسيحة الواحدة في الركوع والسجود ، وقول رب اغفر لي ، والسجود على الأنف في إحدى الروابطين ، وجلسة الاستراحة بعد قضاء السجدين ، والتعوذ من أربعة أشياء بأن يقول : أعوذ بالله من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المسيح الكذاب ، ومن فتنة الغيا والممات ، والدعاء بما ذكر في الأخبار

بعد أن يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير ، والقنوت في الوتر ، والتسليم الثانية على رواية ضعيفة . وأما المراتب فخمسة وعشرون هيئة : رفع اليدين عند الافتتاح ، والركوع ، والرفع منه وهو أن يكون كفاه مع منكبيه وإلهامه عند شحني أذنيه وأطراف أصابعه مع قروح أذنيه ثم إرسالهما بعد الرفع ، ووضع اليدين على الثنالب فوق السرة ، والنظر إلى موضع السجود ، والجهير بالقراءة ، وآمين ، والإسرا بهما ، ووضع اليدين على الركبتين في الركوع ، ومد الظهر ، ومجاناة عضديه عن جنبه فيه ، والبداءة بوضع الركبة ثم اليد في السجود ، ومجاناة البطن عن الصخفين والصخفين عن الساقين فيه ، والتفريق بين الركبتين في السجود ، ووضع اليدين خلف المنكبين فيه ، والافتراش في الجلوس بين السجدين وفي التشهد الأول ، والتورك في الثاني ، ووضع اليد اليمنى على الصخذ اليسرى ميسوطة ، فإن أغل بشرط من عطف بالإبهام مع الوسطى ، ووضع اليسرى على الصخذ اليسرى ميسوطة ، وإن أغل بشرط من الشرائط التي ذكرناها أولا بفهر عشر لم تمتد الصلاة ، وإن ترك ركنا عامدا أو ساهيا بطلت ، وإن ترك واجبا ساهيا جبره بسجود السيو ، وإن تركه عامدا بطلت الصلاة ، وإن ترك سنة أو هيئة لم تبطل ولم يسجد .

كتاب الزكاة

ويجب عليه إن كان له مال زكوي ، وهو أن يملك عشرين مثالا من الذهب ، أو مائتي درهم من الفوقي ، أو قيمة أحدهما من عروض التجارة ، أو خسا من الإبل ، أو ثلاثين من البقر ، أو أربعين من النعم سائمة حولا كابلها ، إلا أن يكون عبدا أو مكاتباً ، فإنه لا تجب عليهما الزكاة ، فيخرج عن الذهب والفضة ربع العشر ، فيكون عن عشرين دينارا نصف دينار ، لأن عشرها ديناران وربعهما نصف دينار ، وعن مائتي درهم خمسة دراهم لأن عشرها عشرون وربعها خمسة ، وعن خمس من الإبل شاة ، وهي الجذع من الضأن قد نمت لها ستة أشهر ، والتي من الغن وهو ماله سنة ، وعن عشر شاتان ، وعن خمسة عشر ثلاث شياه ، وعن عشرين أربع شياه ، وعن خمس وعشرين بنت حاض ، وهي ماله سنة ودخلت في الثانية ، فإن لم يقد عليها فابن لبون ذكر ، وهو ماله سقن ودخل في الثالثة ، وعن ست وثلاثين بنت لبون ، وهي في سن ابن لبون ، وعن ست وأربعين حقة ، وهي ما كمل لها ثلاث سنين ، وعن إحدى وستين جذعة ، وهي ما كمل لها أربع سنين ، وعن ست وسبعين بنتا لبون ، وعن إحدى وتسعين سقن إلى أن تبلغ عشرين ومائة ، فإذا زادت واحدة كان في كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة . وأما البقر فيخرج عن ثلاثين تيعا أو تيعا ، وهي ما كمل لها سنة ، وعن أربعين سنة ، وهي ما كمل لها سقن ، وعن ستين تيعا ، فإذا بلغت سبعين كان فيها تيع وسنة ، ثم على هذا الاعتبار يخرج عن كل ثلاثين تيعا ، وعن كل أربعين سنة . وأما النعم ففي كل أربعين شاة ، إلى أن تبلغ مائة وعشرين ، فإذا زادت واحدة قلبها شاتان إلى مائتين ،

إذا زادت واحدة بقيت ثلاث شياء إلى ثلاثة ، فإذا زادت في كل مائة شاة قبض على المخرج عن جميع ذلك لثلاثة الأصناف المذكورة في القرآن للفقراء الذين لا يملكون كفايتهم ، والمساكين ، وهم الذين هم معظم الكفاية ولا يملكون تحملها ، والعاملين عليها وهم الجباة لها ، والمخاضون إياها إلى أن يؤدوها إلى الإمام ، وللاؤلفة قلوبهم ، وهم قوم من الكفار يرجى إسلامهم إذا أعطوا المال أو يكفروا شرهم عن المسلمين ، وفي الرقاب ، وهم للكتابون ، وإن اشترى بركاته رقة كاملة فأعتقها جاز أيضا على رواية ، والغارمون ، وهم اللذين الذين لا طاقة لهم على قضاء ديونهم ، وفي سبيل الله ، وهم القراء الذين لا جزء لهم في ديوان الإمام وغيره من السلاطين وإن كانوا أغنياء ، وابن السبيل ، وهو المسافر المتقطع به دون الذي ينشئ السفر من بلد ، فإذا أدى ما عليه من زكاة القرض يستحب له صدقة التلوع في مائر أوقاته ليلا ونهارا ، قليلا وكثيرا ، لاسيما في الأشهر المباركة كشهر رجب وشعبان وشهر رمضان وأيام العيد وعاشوراء وأيام الجنب والفقير ليحول بذلك العافية في الجسم والمال والأهل ، والخلف السريع في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة .

(فصل) ويخرج زكاة القمار إذا فضل عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته عن نفسه وزوجته وورثته وولده وأبيه وإخوته وأخواته وأعمامه وبني أعمامه على الترتيب الأقرب فالأقرب ، بشرط أن يكونوا في مؤنته ونفقت ، وقدرها صاع وزنه خمسة أرطال وثلاث بالمعاري من التمر أو الزبيب أو لغيره أو الشعير أو دقيقهما أو سويقهما ، وكذلك الأقط على الصحيح من المذهب ، فإن عدم هذه الأصناف جميعها فليخرج من قوت البلد من مائر أنواع الحب ، كالأرز واللوز والليرة والسخن وغيرها .

كتاب الصيام

وإذا دخل شهر رمضان وجب عليه أن يصوم لقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فإذا ثبت عنده دخول الشهر ، إما برؤية نفسه للحلال ، أو شهادة رجل واحد عدل ثبت بذلك ، أو إكمال شعبان ثلاثين يوما ، أو حدوث غيم أو فترة في ليلة الثلاثين منه ، نوى أي وقت من الليل من وقت غروب الشمس إلى قبل أن يطلع الفجر ثلاثا أنه صائم غذا من شهر رمضان ، وهكذا كل ليلة إلى أن ينتهي الشهر ، وإن نوى في أول ليلة من الشهر أنه صائم الشهر جميعه كفاه ذلك في رواية ضعيفة ، والصحيح الأول ، فإذا أصبح وجب عليه أن يمسك في جميع نهاره عن الأكل والشرب والجماع وجميع ما يصل إلى جوفه من أي موضع كان وعن الحجامه لنفسه ، أو غيره . واستدعاء القيء والمثلي ، فإن خالف في جميع ذلك بطل صومه ، ووجب عليه الإمساك إلى غروب الشمس والقضاء إلا الجماع فإنه يجب عليه مع ذلك كفارة وهي عتق رقة مؤمنة سليمة من العيوب المضرة بالعمل ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا لكل واحد منهم مد من طعام وهو رطل وثلاث بالمعاري ، فيكون مائة وثلاثة وسبعين درهما

والت فوم ، أو نصف صاع ، من تمر أو شعر ، فإن لم يجد ذلك فن قوت بلده كما قلنا في الفطرة ، فإن لم يجد شيئا سقطت عنه ، واستغفر الله عز وجل ، وثاب إليه ، وأحسن العمل في الباقي ، ويغتسل في نهار رمضان الخلوة بامرأة شابة واقيلة لما وإن كانت ممن يحل له أو ذات محرم يعني رحما ، ويغتسل السواك بعد الزوال ومضغ الطبخ ، وجمع ريقه ثم بلعه ، وذوق الطعام عند الطبخ وغيره ، والغية والتمية والكذب والسب وغير ذلك ، ويستحب له تعجيل الإفطار إلا في يوم النجم فتأخيرهُ أفضل ، وتأخير السحور إلا أن يكون ممن يعني عليه ذلك ، أي طلع الفجر ، والأولى له أن يفطر على التمر لو دخل الماء ، ويدعو وقت الإفطار لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا ضام أحدكم قدم عشاء فليقل : بسم الله اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، سبحانه وبحمده ، اللهم قبل منا فإِنَّكَ أنت السميع العليم » .

كتاب الاعتكاف:

ويستحب له الاعتكاف ، ولا يكون إلا في مسجد يصل فيه بالجماعة ، وأولى المساجد الجامع إذا كان أباما يخلطها جمعة ، ويصح بغير صوم ، والأولى أن يكون بالصوم ، لأنه أجمع له وأحرز على كسر نفسه وأثقل باشتقاق ما هو بصدده ، لأن الاعتكاف هو حبس النفس في مكان مخصوص ولزوم الشيء والمداومة عليه ، قال الله تعالى (ما هذه الخصال التي أنتم بها عاكفون) وهو من السنن المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأخير من شهر رمضان ، ثم لم يزل على ذلك حتى توفاه الله تعالى ، وتعب الصحابة إليه فقال : « من أراد أن يعتكف فليعتكف العشر الأخير » فإذا اعتكف ينبغي له أن يتشغل بفعل يقربه إلى الله تعالى من قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتذكر ، ويغتنب مالا يعينه من القول والفعل والعمل ، ويلزم الصمت من غير ذكر الله تعالى ، ويجوز له التدريس وإلقاء القرآن ، لأن ذلك يمدد نفعه إلى غيره ، فهو أكثر نوابها من اشتغاله بخدمة نفسه ، ويجوز له الخروج من معتكفه لما لا بد له منه ، كالإستئصال من الجذابة ، والأكل ، والشرب ، وتقصاء حاجة الإنسان من البول والغائط ، وعند الخوف على نفسه من الفتنة والمرضى الشديد وغير ذلك .

كتاب الحج

إذا كتلت في حكم شرائط الحج وجب عليه أداء الحج والعمرة على الفور ، وهو أن يكون بعد إسلامه حرا عاقلا بالغنا مستطيعا بالزاد والراحلة ، وتولية الطريق من حدود يمنة وإمكان السير إليه وهو السابح الوقت لأداء الحج ، وصحة البدن للاستتمساك على الراحلة والاستطاعة بالزاد ، والراحلة إنما يكون بعد تحصيل النفقة لعياله إلى أن يعود إليهم والممكن لهم وقضاء الدين إن

كانت عليه ، وأن يكون له كفاية بعد وجوهه من فضل مال وأجرة عتار أو بضاعة : فإن خالف وقصر بعينه وامتنع من قضاء دينه وخرج إلى الحج كان مأثوما مسخوطا عليه ، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوته » فإن سلم من مخالفة حين فرغ من الحج والعمرة سقط عنه القرض .

(فصل) فإذا بلغ الليقات الشرعي ، وهو ذات عرق إن كان من أهل المشرق ، والجحفة إن كان من أهل المغرب ، وذو الحليفة إن كان من أهل المدينة ، ويعلم إن كان من أهل اليمن ، وقرن إن كان من أهل نجد ، يغتسل ويتنظف أو يتيمم إن لم يجد الماء ، ويتزر بيزار ويرتدي برداء ، ويكونان أبيضين نظيفين ، ويتطيب ويصلي ركعتين ، ثم يحرم ويتوى الإحرام بقلبه ، ويلبي بالعمرة إن كان متعمنا وهو الأفضل ، أو بالحج الفرد ، أو بالحج والعمرة جميعا ، ويشترط أن يقول : اللهم إني أريد العمرة أو الحج أو إياهما جميعا ، فيسر ذلك لي وتقبل مني ، وحل حيث حبستني ، ويلبي وصفة ثلثية : ليك اللهم ليك لا شريك لك ليك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك ، يرفع بذلك صوته ، ويقول ذلك بعد الإحرام ، وحقيب الصلوات الخمس ، وفي إقبال الليل والنهار ، والقضاء الزاقي ، وإذا علا شرفا أو هبط واديا أو سمع مليا ، وفي مساجد الحرم وبقاعه ، ويصل حل النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدعو لنفسه بما أحب إذا فرغ من التلبية .

(فصل) فإذا أحرم لا يغطي رأسه ، ولا يلبس الخيط ولا الحفنين ، فإذا فعل ذلك لزمه ذبح شاة ، إلا أن لا يجد الإزار والتعلين ، ولا يتطيب في بدنه وثيابه من أنواع الطيب ، فإن فعل ذلك متعمدا فله ذبح شاة ، ولا يلقم أطفاله ولا يخلق رأسه ، فإن قلم ثلاثة أطفال أو خلق ثلاث شعرات من رأسه أو بدنه فعليه ذبح شاة ، فإن كان دون ذلك فلي كل ظفر أو شعرة حدث من طعام ، ولا يعقد النكاح لنفسه ولا لغيره ، ويجوز له الانحجام ، ولا يباشر الزوجة والأمة في الفرج ودون الفرج ، فإن فعل ذلك بطل حجبه إذا كان ذلك قبل رمي جرة العقبة ، ولا يستسني ، ولا يكرز النظر ، فإن فعل فأمس فعليه الكفارة وهي ذبح شاة ، ولا يقتل الصيد المأكول وما تولد من مأكول وغير مأكول ، ولا يأكل ما صيد لأجله أو أشار إليه أو دل عليه أو أحان على ذبحه ، مثل أن يسكه أو يبرء سكينًا ويحرق ذلك ، فإن فعل فعليه الجزاء مثله من النعم ، فإن كان الصيد نعامة فعليه بدنة ، وإن كان حمار وحش فعليه بقرة ، وإن كان بقرة الوحش وأنواعها فعليه بقرة ، وإن كان غزالا أو ثعلبا فعليه عزر ، وإن كان ضيحا فكبش ، وإن كان أرنا فعتاق ، وإن كان يربوعا فحفيرة ، وفي القصب تجدي ، وفي الكبش كبير وفي الصغير صغير ، حل مثل ما قتل في جميع الصفات ، وإن كان حمارا فلي كل واحد شاة ، فإن لم يكن له مثل قيمته يرجع في معرفة ذلك إلى قول عقيلين من المسلمين ، ويجوز له ذبح الحيوان الإنسي وأكله ، ويجوز له قتل كل ما فيه مضرة كالحية والعقرب والكلب

الغفور والسهيع والفر والذئب والقهد والقلادة والبزة وأنواعها والزئبور والبنق والبرغاث والقراد والأوزاع والقباب وجميع حشرات الأرض ، ويجوز قل أملة عند الأذية ، وكذلك القمل والصلبان في إحدى الروايتين ، والأخرى عليه أن يتصدق بما أسكن ولا يقتل صيد الحرم ، فإن قتلته كان حكه كما ذكرنا في صيد الإحرام ، ولا يقطع أشجار الحرم ولا يقطعها ، فإن فعل ذلك ضمن الشجرة الكبيرة بقرعة والصغيرة بشاة ، وكذلك صيد المدينة وشجرها بحرمان عليه ، إلا أن جزاءها سلب ما عليه من الثياب ويكون ذلك حلالاً لمن أخذته .

(فصل) فإن كان في الوقت صفة فأسكنه دخول مكة قبل يوم عرفة بأيام ، فالمستحب له أن ينقل غسلاً كاملاً ويدخلها من أعلاها ، فإذا بلغ المسجد الحرام دخل من باب بني شيبه ، ويرفع يديه عند رؤية البيت ويقول : اللهم إني أتت السلام ومثك السلام ، حيث ربتنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تعظيلاً وتكريماً ومهابة وبراً ، وزد من شرفه وعظمه بمن حجه أو اعتمره تعظيلاً وتكريماً ومهابة ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، الحمد لله الذي بلغني بيته ورآني لذلك أملاً ، والحمد لله على كل حال ، اللهم إني دعوت إلى حج بيتك وقد جئت لك ، اللهم تقل مني وأعف عني وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، يرفع بذلك صوته . ثم يطوف القدوم ويقطع برذاته ، ليكشف كفيه الأيمن ويستر اليسر ، ثم يقدم إلى الحجر الأسود فيستلمه بيده وقبله إن أسكنه ، وإلا استلمه وقبله بيده ، فإن زوحم أشار بيده إليه ويقول : بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً ، بكتابك ووفاء بعهدك وإتياعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ويطوف من بعينه ، وهو أن يرجع إلى باب البيت فيمضي إلى الحجر الذي عليه ميزاب البيت مسرعاً ، وهو السعى الشديد مع تقارب الخطأ ، حتى إذا بلغ الركن اليماني استلمه ولم قبله ، فإذا بلغ الحجر الأسود عد ذلك شوطاً واحداً ، ثم يطوف كذلك ثانياً وثالثاً فأتالا في جميع ذلك اللهم أجعله حجاً مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنباً مغفوراً ، ثم يحقّق مشيه ويقارب خطاه فيمشي على هيئة في الأربعة الباقية ويقول فيها : ربّ اغفر وارحم وأعف عما تعلم وأنت الأعزّ الأكرم ، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ويدعو بما أراد من خير الدنيا والآخرة ، وينبغي أن يكون ثوباً لذلك طاهراً من الأحداث والأنجاس وساتراً العورة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطواف بالبيت صلاة ، إلا أن الله تعالى أيا حكم فيه النطق ، فإذا فرغ من ذلك صلى ركعتين خفيفتين خلف مقام إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، فيقرأ في الأول بعد الفاتحة (قل يا أيها الكافرون) وفي الثانية (قل هو الله أحد) ثم يرجع إلى الحجر الأسود فيستلمه ، ثم يخرج إلى الصفا من بابه ، ويرفع عليه إلى حيث يمكنه رؤية الكعبة ثم يكبر ثلاثاً ويقول : الحمد لله على ما هدانا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب

وحده ، لا إله إلا الله ، ولا تعبد إلا إياه ، غلصين له الدين ولو كره الكافرون . ثم يزل ويبنى ويدعوا ثانياً وثالثاً ، ثم يزل مثلما حتى يكون بينه وبين الليل الأخضر المنتصب عند المسجد ما قدره سنة أفرع ، ثم يسرع في المشي حتى يبلغ إلى الليل الأخضرين ، ثم يتحجب مشياً إلى أن يبلغ الروء فيرق عليها ، فيفعل كما فعل على الصفا ، ثم يزل وعشياً في موضع مشيه ويسمى في موضع سجدته إلى أن يصير إلى الصفا ، ثم كذلك فيجد سجدته يبدأ بالصفا ويختم بالروء ، وينبغي أن يكون متعلهاً كما ذكرنا في الطواف بالبيت ، فإذا فرغ من ذلك حلق أو قصر إن كان متمتعاً ولم يكن قد ساق هدنياً وفعل ما يفعله الحلال ، فإذا كان يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة أحرم من مكة الحج ، فأبى منى فيصل بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيت بها ، ثم يصلي الصبح ، فإذا طلعت الشمس دفع مع الناس إلى الوقوف بعرة ، فإذا زالت الشمس وخطب الإمام خطبة يعلم الناس فيها ما ينبغي أن يفعلوه من الوقوف وموضعه ووقته ودفعه من عرفات والصلاة بمزدلفة والبيت بها ، وغير ذلك من رى الحمار والنحر والحلق والطواف بالبيت ، إذا من الإمام فبعض ما يقول ، ثم يصل مع الإمام الظهر والعصر يجمع بينهما بأقامة لكل صلاة ، ثم يتقدم إلى جبل الرحمة والصخرات بقرب الإمام ، ويستقبل القبلة فيقف هناك ويحشد في الدعاء والثناء على الله عز وجل ، وينبغي أن يكون أكثر ذكره : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً ، ويسر لي أمري ، فإن فاتته الوقوف مع الإمام نهاراً أشركه بعد خروج الإمام من الموقف قبل أن يطلع الصبح الثاني من ليلة النحر ، ومن أدركه كذلك فقد أدرك الوقفة والألا فقد فاتته الحج ، فإن دفع مع الإمام إلى طريق مزدلفة يكون على التؤدة والسكون والوقار ، فإذا وصل مزدلفة صلى مع الإمام بها المغرب والعشاء جماعة ، أو منفرداً إن فاتته مع الإمام ، ثم حط رحله فبيت هناك . ويأخذ منها حصص الحمار أو من حيث تيسر له ذلك ، وعدده سبعون حصاة ، وتقوده أن يكون أكبر من الحصص وأصغر من البندق ، ويستحب أن يضله ، ثم يصل الفجر إذا أصبح ، ويجهد أن يلبس بها ، ثم يأخذ للشعر الحرام فيقف عنده ، فيكثر الحمد والثناء عليه والتبليل والتكبير والدعاء ، والأول أن يقول في دعائه : اللهم كما أو قفنا فيه وأربنا إياه فوقفنا لذكرك كما عهدنا ، واغفر لنا وارحنا كما عهدتنا بقولك وقولك الحق (لماذا أنقص من عرفات) إلى قوله تعالى (غفور رحيم) وإذا أضاء النهار وأصفّر دفع إلى منى وأسرع في وادي عسر ، فإذا وصل إلى وادي منى رى بحرة الناقة بسبع حصيات مكبها في أثر كل حصاة ، رافعاً يديه حتى يرى بياض إبطيه ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رى كذلك وسكت عن التلبية عند أول حصاة برميها ، ويكون رمية حلاً بعد طلوع الشمس وقبل الزوال ، وفيها بعد من أيام التشريق بعد الزوال ، فإذا رى نحر هدنياً إن كان معه ، وحلق أو قصر جميع رأسه ، وإن كانت امرأة تقصر من شعرها بقدر الأتملة ، ثم يحضى إلى مكة ويقتل ويتوضأ ، فيطوف طواف

الزیارة وبینه بالنیة ، ویصل رکعتین خلف المقام فإذا فرغ صعى بین الصفا والمروة إن أراد ، لأن السعى قد سقط بفعله فی طواف القدوم ، ثم قد حلّ له کل شیء من عطلورات الإحرام وحار حلالا كما كان قبل الإحرام ، ثم یقدم إلى زمزم یشرب من مائها فیقول عند شربه : بسم الله اللهم اجعلها لنا علما نافعا ورزقا واسعا ورویا وشیعا وشفاء من کل داء واغسل به قلبی ولعلّی من خشیتک . ثم یرجع إلى منی فیبیت بها ثلاث لیل ، فیری الجمرات الثلاث فی آیام التشریق علی ما ذکرنا کل یوم یلحدی وعشرین حصاة ، کل جمرة سبع حصیات ، فلیبدأ بالجمرة الأولی وهی أبعد الجمرات من مکة ثم یلحج مسجدا الخیف ، فیجعلها عن یساره ویستقبل القبلة ، فإذا رماها تقدم عنها سیرا لثلاث حصیه حصی غیره ، فیقف هناك داعیا لله عزّ وجلّ بقدر قراءة سورة البقرة إن أسکته ثم یری الجمرة الوسطی فیجعلها عن یمنه ویستقبل القبلة یندعو کالأول ثم یری الجمرة الأخيرة وهی جمرة العقبة فیجعلها عن یمنه ، ویزال إلى الوادی ویكون مستقبلا إلى القبلة ولا یقف هناك ، ثم یفعل فی الیوم الثانی والثالث کلک ، وإن أحب أن یصعد ولا یری فی الیوم الثالث دفن ما بقی معه من الحصى هناك ویخرج قاصدا إلى مکة ، فیلق الأبطح فیصل هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ثم ینام سیرا ثم یدخل مکة ینفخ بها أو غیرها من المواضع کالزاهر والأبطح ، وإذا أراد أن یدخل البیت یكون حافیا ، ویصلی فيه نفلًا ، یشرب من ماء زمزم یرتوی منه ، ینوی ما أحبّ من العلم والمنفرة والرضوان لقوله علیه الصلاة والسلام « ماء زمزم لما شرب له » ویكثر الاحتیاط والنظر إلى النکبة لما روى فی بعض الأخبار أن النظر إليها عبادة ، ثم لا یخرج حتی یودع البیت فیطوف به سبعًا ، ثم یقف بین الرکن والباب ویدعو فیقول : اللهم هذا ینک وأنا عبدک وابن عبدک وابن أمّک ، حللتی علی ما سخرت لی من خلقتک ، وسیرتنی فی بلادک حتی بلغتنی بنعمتک ، وأعشتی علی قضاء نسکی ، فإن كنت غیبت عنی فأزدد عنی رضا ، وإلا فنّ علیّ الآن قبل یتجدی عن ینک ، هذا ألوان انصرافی إن أذنت لی ، غیر مستبدل بک ولا یتبدل ولا راضب عنک ولا عن ینک ، اللهم فاصحنی العافیة فی بدنی والصحة فی جیبی والصصة فی دینی وأحسن منقلبی ، وارزقنی طاعتک ما أبقيتني ، واجمع لی غیر الدنیا والآخرة إنک علی کل شیء قدير . وما زاد علی ذلك من الدعاء من غیر الدنیا والآخرة کان حسنا ، ثم یصلی علی النبی صلی الله علیه وسلم ولم یقم بعد ذلك بمكة ، فإن أقام أماد الطواف ، وإلا ذبح شاة .

(فصل) فإن کان فی الوقت ضیق وخاف فوت الوقتة بعمرات ، فإن أحرم من المبات

بدأ بعمرات فوقف هناك ، ثم دفع بها بعد غروب الشمس فیفضل ما قلنا من البیوة بزدقة ، ثم الرمی بمنی ، ثم إذا دخل مکة طاف طوافین ، ینوی بالأول القدوم ، وبالثنائی الزیارة ، ثم یسعی بین الصفا والمروة ، ثم یحلّ له کل شیء ، ثم یعود إلى منی للرمی فی آیام الثلاث ، ثم ینتمّ الأندال علی ما تقدم ذکره .

(فصل) وصفة العمرة : أن يحرم بها من المقات الشرعى الذى هدم ذكره بعد أن يغتسل ويغتلب ويصل ركعتين ، فيطوف بالبيت سبعا ، ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر أو يحلق ، ثم يحل منها إن لم يكن ساقى هدبا ، وإن كان بمكة خرج إلى التمتع فيحرم منه فيفعل كذلك .

(فصل) ولا يطهل الحج إلا بالماء في الفرج أو دون الفرج مع الإزالة . وأركان الحج أربعة : الإحرام ، والوقوف ، وطواف الزيارة ، والسعى . وعن الشيخ رحمه الله : له ركنان أحدهما الوقوف بعرفة ، والثاني الطواف بالبيت . والصحيح الأول . فإذا ترك واحدا من هذه الأركان كان حجه ناقصا وعليه الإتيان به ، إما في سنته وإما في العام المستقبل يأتي به محرما ، ولا يجبره دم بحال . وأما واجباته فخمسة : وهى البيت بمزدلفة إلى ما بعد نصف الليل ، والبيت بجنى ، والرعى ، والحلاقة ، وطواف الوداع . فإن ترك واحدا منها جبره بدم ، وهو شاة كما قلنا في ترك الواجبات في صلاة يجبره بسجود السهو . وأما مستورات فخمسة عشر : وهى الإغتسال للإحرام وللدخول مكة والوقوف بعرفة والبيت بمزدلفة ولرعى البحرار أيام منى ولطواف الزيارة ولطواف الوداع ، والثاني طواف القدوم ، والثالث الرمل ، والرابع الاضطباع في الطواف ، والسعى ، واستلام الركنين ، والتقبيل ، والارتقاء على الصفا والمروة ، والبيت بجنى ثلاثا ، والوقوف على المشعر الحرام ، والوقوف عند الجمرات الثلاث ، والخطب والأذكار ، وشدة السعى في مواضعه ، والمشي في مواضعه ، وركنات الطواف . فإن ترك هذه الأشياء أو واحدا منها كان تاركا للأفضل ولا شيء عليه .

(فصل) وأما العمرة فأركانها ثلاثة : الإحرام ، والطواف بالبيت ، والسعى بين الصفا والمروة . وواجباتها : الحلق لحسب . ومنها الغسل عند الإحرام ، والأدعية ، والأذكار المشروعة في الطواف ، والسعى . وقد بينا الحكم في تركها في الحج .

(فصل) فإذا من الله تعالى بالعافية وقدم المدينة فاستحب له أن يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقبل عند دخول المسجد : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، واتق به أبواب رحمتك وكف عن أبواب عذابك ، الحمد لله رب العالمين . ثم يأتي القبر وليكن بجملته بينه وبين القبلة ، ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه تلقاء وجهه والمنبر عن يساره ، وليقيم بما يلي المنبر وليقل : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وال مقام العمود الذى وعدته ، اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسده في الأجساد ، كما بلغ رسالتك وتلا آياتك وصدق بأمرك ، وجاهد في سبيلك وأمر بما عندك ونهى عن معصيتك ، وعادى عدوك ووالى وليك وعبدك حتى أتاه اليقين ، اللهم إنك قلت في كتابك نبيك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجئوا الله توباً رحيماً) ولأن أتيت نبيك تاليا من ذنوبى مستغفرا ، فأسألك أن توجب لي

المغفرة كما أوجبها لمن أتاه في حال حياته ، فأقرّ الله بذنوبه فلحقه له نبيه فغفرت له ، اللهم
إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة ، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربّي ليغفر لي
ذنوبي ، اللهم إني أسألك بحقّه أن تغفر لي وترحمني ، اللهم اجعل حصداً لأول الشافعين وأنجح
السائلين وأكرم الأولين والآخرين ، اللهم كما كتبنا به ولم نره ، وصدقناه ولم نلقه ، فأدخلنا مدخله
واحشرنا في زمرة ، وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً ورويا سالفاً حتى لا نطلباً بعده أبداً ،
غير خراباً ولا ناكثين ، ولا مارقين ولا جاحدين ، ولا مرتابين ولا منقوصي طليم ولا ضالين ،
واجعلنا من أهل شفاعة . ثم تقدم عن يمينه ثم ليقل السلام عليكما يا صاحبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك
يا عمر القاروق ، اللهم اجزها عن نبيها وعن الإسلام خيراً ، واغفر لنا وإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . ثم يصلي ركعتين
ويستحب أن يصلي بين القبر والتبر في الروضة ، وإن أحب أن يمسح بالتبر تبركة
به ، والصلاة بمسجد قباء ، وأن يأتي قبور الشهداء والزبارة لهم فعل ذلك ، وأكثر الدعاء
هناك ، ثم إذا أراد الخروج من المدينة أتى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم إلى القبر وسلم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفعل كما فعل أولاً ، وودعه وسلم على صاحبيه كذلك
ثم قال : اللهم لا تجعل آخر العهد مني بزيارة قبر نبيك ، وإذا توليتني فتولني على محبة وسنة
آمين يا أرحم الراحمين :

كتاب الآداب

(فصل في الإتيان بالسلام سنة وردة أكد من ابتدائه ، وهو خير في صيته ، إما أن
يدخل الألف واللام فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أو يجده فلهما فيقول : سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ولا يزيد على ذلك : وقد روى في ذلك حديث ، وهو ما روى عن
عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنهما أنه قال : جاء رجل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال : السلام عليكم ، فردّ عليه ثم جلس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عشاء ، ثم جاء
آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فردّ عليه فجلس ، فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : ثلاثون ، أي ثلاثون حسنة . والسنّة أن يسلم الماشي على الجالس ، والراكب على الماشي
والجالس ، وسلام الواحد من الجماعة على غيرهم يجرى ، وكذلك ردّ الواحد من الجماعة
يجزى ، ولا يجوز الجماعة بالسلام على المشرك بحال ، فإن بدأ مشرك ردّ عليه بأن يقول :
وعليك . وأما ردّة على المسلم بأن يقول : وعليكم السلام كما قال ، وإن زاد إلى قوله وبركاته
كان أولى ، وإن قال مسلم لمسلم : سلام ، لم يجبه ويعرفه أنه ليس بتحية الإسلام ، لأنه ليس بالسلام
ثم ويستحب للنساء السلام بعضهن على بعض ، وأما سلام الرجل على المرأة الشابة فمكروه ،

وإن كانت برزۃ فلا حرج : وأما السلام علی الصبیان فمستحب ، لأن فیہ تعظیم الأدب لهم ، وكذلك یستحب لمن قام من المجلس أن یسلم علی أهله ، وكذلك یسلم علیهم إذا عاد الیهم ، وكذلك إن حال بیته وبنیم حائل مثل الباب والحائط ، وكذلك إذا سلم علی رجل ثم لقیه ثانیاً سلم علیہ ، ولا یسلم علی الملبسین بالمعاصی کمن اجتاز علی قوم یلعون بالشطرنج والنرد ویشریون الخمر ویلعون بالحرز والقمل ، وإن سلموا علیہ رد علیهم ، إلا أن یقلب علی ظنه أن یرجعهم عن معاصیهم ینزکة الرد علیهم فإنه لا یرده ، ولا یهجر المسلم أخاه فوق الثلاث إلا أن یتکون من أهل البدع والضلال والمعاصی ، فمستحب استئمانه المجرم لهم ، وبالسلام یتخلص من إثم المجرم للمسلم . ومستحب لمسلم المصافحة لأخیه ، ولا ینزع یدہ حتی ینزع الآخر یدہ إذا کان هو المبتدئ ، وإن تعانقا وقبل أحدهما رأس الآخر یدہ علی وجه التبرک والتبیین جاز ، وأما تقبیل القدم فمکروه .

(فصل) ومستحب اقیام للإمام العادل والوالدین وأهل الدین والورع وأکرم الناس ، وأصل ذلك ما روی « أن رسول الله صلی الله علیہ وسلم أرسل إلى سعد رضی الله عنه فی شأن أهل قریظة ، فجاء علی حمار أقر ، فقال رسول الله صلی الله علیہ وسلم : قوموا إلى سیدکم وقد روت عائشة رضی الله عنها أنها قالت : کان رسول الله صلی الله علیہ وسلم إذا دخل علی قاطئة راحی الله تعالیٰ عنها قامت إلیه فأخذت یدہ وقبله وأجلست فی مجلسها ، وإذا دخلت علی النبی صلی الله علیہ وسلم قام إلیها وأخذ یدہا وقبلها وأجلسها فی موضعہ وقد روی عنه صلی الله علیہ وسلم أنه قال « إذا جاءکم کریم قوم فاکرموه » ولأن ذلك یفرس الحبة والود فی القلوب ، فاستحب لأهل الخیر والصلاح کالمهادة لهم ، ویکره لأهل المعاصی والفسق . ومن الآداب أن یضمر العاطس وجهه ویخفض صوته ویسجد الله عز وجل إلى قوله رب العالمین واقفا صوته ، لأنه روی فی بعض الأخبار عن النبی صلی الله علیہ وسلم أنه قال « إن العبد إذا قال الحمد لله قال الملك رب العالمین ، فإذا قال رب العالمین بعد الحمد لله ، قال الملك یرحک ربک ، ولا یلتفت یمينا ویسارا ، فإذا قال ذلك استحب لمن سمعه أن یسبته بأن یقول له یرحک الله ویرد علیہ لیقول یدیکم الله ویصلح بالکم . وإن قال یغفر الله لکم جاز عن الأول فإن زاد العاطس علی ثلاث مرات فقط التشمیت لأن ذلك ریح وزکام کما جاء فی الأثر وهو ما روی عن سلسة ابن الاکوع رضی الله تعالیٰ عنه أنه قال قال النبی صلی الله علیہ وسلم « شممت العاطس ثلاثا فإن زاد علی ذلك فهو مزکرم » وإذا تناب غطی فہ یدہ أویکة ، قال صلی الله علیہ وسلم « إذا تناب أحدکم فلیسک علی فہ فإن الشیطان یدخل مع الشاؤب » وعن أبی هریرة رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیہ وسلم « إن الله تعالیٰ یحب العطاس ویکره التناصب فإذا تناب أحدکم فابرد ما استطاع ولا یقول جاء جاء فإن ذلك من الشیطان یضحک منه ویجوز لرجل تشمیت المرأة البرزۃ العجوز ویکره الشابة الخفرة . فأما الصبی فتشمیه أن یقال له یرک فیک أوجزک الله تعالیٰ أو غیرک الله تعالیٰ .

(فصل) فی العشر الخصال التي فی القطرة : خمس منها فی الرأس ، وخمس فی الجسد . فالتی فی الرأس : المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وإعفاء اللحية . والتي فی الجسد : حلق العانة وتنف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء والختان . والأصل فی قص الشارب ملووی ابن عمر رضی الله تعالی عنهما عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قال : « أحق الشارب وأعفوا اللحي » وكلا اللغظین واحد ، ومعناها : قصة من أصول الشعر بالمقراض واستئصاله به . وأما حلقه بالموسی فمكروه ؛ لما روى عبد الله بن عمر رضی الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : « ليس منا من حلق الشارب » ولأن فی ذلك مثله وذهابها لماء الوجه وجماله ، وإن بقاء أصول الشعر زينة وجمال ، وقد روى عن الصحابة رضی الله عنهم أنهم كانوا يجزّون شواربهم . وأما إعفاء اللحية : فهو توفيرها وتكثيرها ، ومنه قوله تعالی (حتى عفوا) أي كثروا . وقد روى أن أبا هريرة رضی الله تعالی عنه كان يقبض علی لحية فا فضل عن قبضته جزء . وكان عمر رضی الله تعالی عنه يقول : غلّوا ما تحت القبضة .

(فصل) والأصل فی حلق العانة وتنف الإبط وتقليم الأظفار ما روى عن أنس بن مالك رضی الله تعالی عنه أنه قال : « وقت لنا رسول الله صلی الله علیه وسلم أربعين ليلة لا تتجاوزها فی قص الشارب وقص الأظفار وتنف الإبط وحلق العانة » . قال بعض أصحابنا : هذا فی حق المسافر ، وأما المقيم فلا يستحب له أن يزيد ذلك علی عشرين يوما . واختلفت الرواية عن الإمام أحمد فی تصحيح هذا الحديث ، فروى عنه إنكاره ، وروى عنه الاحتجاج به فی التوثيق بهذا القدر ، فإذا ثبت استحباب ذلك فهو غیر بین التنوير بالتורה وبين حلقه بالموسی ؛ وقد روى عن الإمام أحمد رحمه الله تعالی أنه كان يتنور . وكذلك روى منصور بن حبيش بن أبي ثابت رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه حلق له أبو بكر رضی الله عنه وتولى عانته بيده . وروى عن أنس رضی الله تعالی عنه بخلافه فقال : لم يتنور رسول الله صلی الله علیه وسلم قط ، وكان إذا كثّر علیهِ الشعر حلقه ، فإذا ثبت هذا فيجوز أن يتنول ذلك غيره إذا لم يحسن هو فيها سوى العانة من الفخذ والساق ، فإذا بلغ العانة تولّاها هو بنفسه . والأصل فی ذلك ملووی عن أم سلمة رضی الله عنها أن النبی صلی الله علیه وسلم كان إذا بلغ عانته نورّها بنفسه . وفي بعض الألفاظ : إذا بلغ مراقه . وأحد أحد بن حنبل رحمه الله بهذا . قال أبو العباس القسطل : نورنا أبا عبد الله قلما بلغ عانته نورّها بنفسه ؛ فإذا ثبت هذا وأنه يجوز لإزالة هذه الشعر من العانة والخصفين والساقين بالتורה ، فيجوز أيضا بالموسی ، لأنه أحد ما يزال به كالتורה . ويؤيد هذا القياس حديث أنس بن مالك رضی الله عنه : « لم يتنور رسول الله صلی الله علیه وسلم قط ، وكان إذا كثّر علیهِ الشعر حلقه » . ولا يقال إن الحلق والتنوير إنما وردا فی العانة خاصة لما تقدم من حديث أم سلمة رضی الله تعالی عنها قالت : « فإن النبی صلی الله علیه وسلم كان إذا بلغ عانته نورّها بنفسه » . فدل علی أنه كان یولی غیر العانة فی إزالة الشعر لغيره ، وليس ذلك إلا لفخذ

والساق ، وإن ذكر في ذلك حديث في النع ، فهو موهوم على من أراد بذلك التزيين لارغبة الرجال فيه من العلوق والمشيئين بالقساء من الخائفين وغيرهم ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(فصل) ويكره تنف الثيب لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنهم قال : « إن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن تنف الثيب ، وقال : إنه نور الإسلام » وفي لفظ آخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنفث الثيب ، ما من مسلم أليس شية في الإسلام إلا كانت له نورا يوم القيامة » وفي حديث يحيى « إلا كتب الله تعالى له بها حسنة وحط عنه خطيئة ، فقد روى في بعض التفاسير في قوله عز وجل (وجاءكم النذير) أنه هو الثيب ، فكيف يجوز إزالة النذير بالثوب والمذكور به ، والنهي عن الثيوبات والألوات والكاف عنها ، الحث على التأهب والتجهيز للأخرة وعمارة دار البقاء ، ومع ذلك يكون مشاوما للقول كراهها لعل الله تعالى به وغير راض بقضائه عز وجل ، مؤثرا للشباب والطراوة والبقاء على حداثة السن ، زاعدا في الوفاء والحزمة والتقص بنور الإسلام وخلقة إبراهيم خليل الرحمن ، لأنه روى في بعض الكتب : إن أوك من شاب في الإسلام إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله يستحي من ذى الشية » يعنى من عذابه .

(فصل) ويستحب تقليم الأظفار يوم الجمعة ، ويكون مخالفا بينها في الترتيب ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « من قص أظفاره مخالفا ، لم يثر في عينه رمد » وفي حديث أبيد بن عبد الرحمن عن أبيه : « من قص أظفاره يوم الجمعة دخل فيه شفاء وخرج منه داء » . وقد روى هذه القضية والاستحباب في ذلك يوم الخميس بعد العصر ، ومعنى المخالفة أن يبدأ بالخنصر من اليمنى ثم بالوسطى ثم بالإبهام ثم بالبنصر ثم بالسبابة ، ومن اليسرى أن يبدأ بالإبهام ثم الوسطى ثم بالخنصر ثم بالسبابة ثم البنصر ، هكذا أمره عبد الله بن بطة عن أصحابنا رحمه الله . وروى وكيع عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إذا أنت قلمت أظفارك فابدئي بالوسطى ثم بالخنصر ثم بالإبهام ثم بالبنصر ثم بالسبابة ، فإن ذلك يورث الخبي » ويخفى أن يكون التقليم بالمقص أو السكين ، ويكره ذلك بالأسنان ، وإذا قلم أظفاره يستحب له غسل الإبهام ودفن الأظفار في التراب ، وكذلك الشعور من الرأس والبدن والدم من الحليمة والقصد ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أمر بدهن الدم والشعر والتفتر .

(فصل) ولما خلق الرأس في غير الحج والعمرة والضرورة فكروه في إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما روى في حديث أبي موسى وعبيد بن عمير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليس منا من حلق » وروى البخاري في الأفراد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا توضع التواصى إلا في حج أو عمرة » ولأن النبي صلى الله عليه وسلم ذم المتكولرج وجعل سبأهم حلق الرموس ، ولأن عمر رضي الله عنه قال لصبيغ : لو وجدتك محلوقا لصرمت

الذى فيه عيناك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الذى يخلق فى المصر خلق بالشيطان ، ولأن فى ذلك تشبها بالأعاجيب . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تشبه بقوم فهو منهم . وإن ثبت كراهية ما ذكرنا جعل مكانه أخذ الشعر بالجلم وهو القص . كما كان يفعل أحد بن حنبل رضى الله عنه ، وإن شاء استقصى فى ذلك فيقصه من أصله ، وإن شاء أخذ أطراف الشعر . والرواية الأخرى لا يكره ذلك لما روى أبو حنود بإسناده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى آل جعفر يلا أن يأتيهم ثم أناهم فقال : لا تهنكوا على أنس بعد اليوم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ادعوا إلى بني أنس ، فجاء بني أنس ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا إلى الحلاق ، فأمره فحلق رؤسنا . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق رأسه فى آخر عمره بعد أن كان شعره يفسر منكبيه . وفى حديث على رضى الله عنه : « كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شحشي أذنيه . ولأن الناس عصرا بعد عصر يخلقون ولم يظهر عليهم تكبير ، ولأن فى ذلك مشقة وحرجا على عنه ، كما عني عن سؤر المرأة وحشرات الأرض .

(فصل) ويكره القزع ، وهو أن يخلق بعض الشعر ويترك بعضه ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن القزع . وأما حلق القفا فمكروه إلا فى الحجامة خاصة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن حلق القفا إلا فى الحجامة ، لأنه من فعل الجيوس . وكان أبو عبد الله أحد يخلق فى الحجامة ، ولأن ذلك حال الضرورة . وأما اتخاذ الجمدة وقرق الشعر فسنة مأثورة . روى أن النبي صلى الله عليه وسلم فرق وأمر أصحابه رضى الله عنهم بالفرق . وقد روى ذلك عن بضعة وعشرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو عبيدة وعمار وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم .

(فصل) ويكره التحليف بالرجال ، وهو إرسال الشعر الذى بين الطار والزعين الذى هو عادة القلوين ، ولا يكره ذلك النساء لما روى أبو بكر الجليل من أصحابنا بإسناده عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه كرهه . وعن الوليد بن مسلم أنه قال : أفرحت الناس وما هو من زهم . وأما أخذ الشعر من الوجه بالمقاش فمكروه للرجال والنساء ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن التمهصات ، وهو أخذ الشعر من الوجه بالمقاش ، ذكره أبو عبيدة . وأما المرأة فمكروه لها حنف جينها بالزجاج والومى والشعر الخارج عن وجهها لما تقدم من النهى عن ذلك . وقيل : يجوز لما ذكرنا ذلك لزوجه خاصة إذا طلب منها ذلك وخافت إن لم تفعله تعرض عنها وتزوج بنيرها فأدعى إلى القصاد والمضرة بها ، فيجوز لها ذلك لما فيه من المصلحة ، كما يجوز لها التزين بالوان الثياب والتطيب بأنواع الطيب والتشوق له والملاعبة والملازمة معه ، فعل هذا يحمل لمن النبي صلى الله عليه وسلم التمهصات على التوافق أرضه بذلك غير أزواجهن للوجود بين والميل اليهن وترويح أنفسهن لقرنا . والله أعلم .

(فصل) ويكره الخضاب بالسواد لما روى الحسن رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

قال في قوم يغيرون البياض بالسواد : يسود الله تعالى وجوههم يوم القيامة . وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيهم لا يريخون رائحة الجنة . وأما الأخبار التي رويت في الخضاب بالسواد من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اغتصبوا بالسواد فإنه آسن للزوجة ومكيدة للولد » ، فيحتمل لأجل الحرب ، وذكر الزوجة فيه تبعا لأقصدا .

(فصل) فإذا ثبت كراهية السواد فالمستحب أن يغطي الرأس بالخفاء والكتم ، وقد خضب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رأسه وله ثلاث وثلاثون سنة ، فقال له عنه : هجئت ، فقال له : هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال : خير ما غير به الشيب الخفاء والكتم . وأما خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلط الناس في ذلك ، فروى عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : « إن النبي صلى الله عليه وسلم ماشا بالثياب البنية ، ولكن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما خضبا بعده بالخفاء والكتم » . وروى أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها : أخرجت الناس شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم محضوبا بالخفاء والكتم ، فدل حديثها على إثبات خضابه صلى الله عليه وسلم بذلك . وأما الخضاب بالورس والزعفران فظاهر كلام الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه فيه الجواز ، لما روى عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه قال : « كان خضابنا الرسول الله صلى الله عليه وسلم بالورس والزعفران » فإذا ثبت هذا في شعر الرأس ، فقله في اللحية لعدم قوله صلى الله عليه وسلم : « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر رضي الله عنه : « خير ما غير به الشيب الخفاء والكتم » وهو عام في شعر الرأس واللحية ، وأيضا إن أبا بكر رضي الله عنه جاء بأبيه أبي قحافة رضي الله عنه يوم فتح مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أقررت الشيخ في بيته لأهيناه نكزرة لأبي بكر ، فأسلم ورأسه ولحيته كالنخامة البيضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروها وجنوه عن السواد ، وهذا نص في كون اللحية كالرأس وفي المنع عن السواد . وقال أبو عبيدة : النخامة نبت أبيض الزهر والثر يشبه بياض الشيب به . وقال ابن الأعرابي : هي شجرة تبيض كأنها الثلج .

(فصل) ويستحب أن يكتحل وترا لما روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يكتحل وترا ، واختلط الناس في حصة الزهر في ذلك ، فروى في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتحل ثلاثا في اليوم وميلين في اليسرى ، وروى في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كل عين ثلاثا .

(فصل) ويدهن غيا ، وهو أن يفعل ذلك يوما ويترك يوما ، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن أن يترجل الرجل إلا غيا » والغشيلة في ذلك أن يكون يدهن البنفسج على سائر الأدهان لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن فضل دهن البنفسج على سائر الأدهان كفضل على سائر الناس » .

(فصل) ويستحب أن لا يخل الإنسان نفسه سفرا وحضرا عن سبعة أشياء بعد تخرى الله

تعالى والثقة به ، وهى التتظيف ، والتزيين ، والمكحلة ، والمشط ، والسواك ، والمقص ، والماء : وهى خشبة مدورة الرأس أدنى من شبر يتخلها العرب والصوفية يدعون بها عن أنفسهم الذى كالفعل وغيرها ، ويجكون بها الجسد ، ويقتلون الديب حتى لا يباشرون كل شئ بأيديهم ، والصابع قارورة الدهن ، لأنه روى فى حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يفته ذلك حضرا ومفرا :

(فصل فيها يكره من الخصال) يكره الصغير والتصفيق وفرقة الأصابع فى الصلاة ، ويكره تخريق الثياب فى حق المتواجد عند الصبح ، ولا يعارض فى ذلك الواجد ، ويكره الأكل على الطريق ، ومد الرجل بين جلسائه ، والالتكاء الذى يخرج به عن مستوى الجلوس ، لأنه نجس وهو أن بالجلساء إلا من العذر ، ويكره إطالة الثياب ويكره مضغ العلك لأنه دناءة ويكره التشدق بالضحك والفقهية ورفع الصوت فى غير حاجة ، ويغنى أن يكون مثله معتدلا لا يسلح إلى حد يصدم الناس ويتعب نفسه ، ولا ينظر بحيث يورثه العجب ، ويكره فى البكاه الحبيب والتعداد إلا أن يكون من خوف لئال أو التدم على ما فات من أوقاته بطلالاته ، ثم انكسار قلبه عند عدم بلوغه إلى درجة لحظها فيكى حسرة عليها ، ويكره إزالة ذرته بحضرة الناس ، ويكره الكلام فى المواضع المستقلة كالحمام والحلاء وما أشبه ذلك ، وكذلك لا يسلم ولا يرد على مسلم ، ويكره كشف رأسه بين الناس . وما ليس بعورة مما جرت العادة بسره ويحرم كشف العورة ، ويكره أن يقسم بأبيه أو غيره الله فى الجملة ، فإن حلف حلف بالله وإلا فليصمت ، كذلك جاء فى الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(فصل : فى الاستئذان) ينهى له إذا قصد باب إنسان أن يسلم فيقول : السلام عليكم أدخل ؟ لما روى أن رجلا من بني عامر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت فقال : أأبى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان ، فقال له قل : السلام عليكم أدخل ؟ فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم أدخل ؟ فأذن له فدخل ، ولا يدير ظهره إلى الباب ولا يبعد ، لأنه يمتنع من مصاح الباب كذلك ثلاثا ، فإن أجيب فيها وإلا فتصرف ، إلا أن يطلب على كفة أنه لم يسمع نداه لما بينهما من بعد أو شغل ، فإن له أن يزيد على الثلاث . والأصل فى ذلك ما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع ، وسواء فى ذلك الأجانب والأطرب الفرمات كالآدم وما شاكلها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله رجل : هل على ؟ أن استأذن على أى ؟ قال نعم ، قال : إني معها فى البيت ، قال صلى الله عليه وسلم : استأذن عليها ، قال : إني خادمها ، قال : استأذن عليها ، أحب أن تراها عريانة ؟ فأما زوجته وأخته البخاتر له وطرحا فليس عليه الاستئذان فى حقهما ، لأن أكثر ما فى ذلك أن تصادف منكشفة منبهة وقد أبيع له النظر إلى ألباسهن ، ولكن يستحب له أن يحرك نعله أولا إذا دخل المنزل ليعلم دخوله ، نص على ذلك الإمام أحمد فى رواية متهمة :

وإذا دخل مسلم على أهله ليكثر خير بيته ، كما جاء في الأثر ، ونستوفى ذلك في باب دخول المنزل إن شاء الله تعالى ، ولا يطرُق أهله ليلا نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرُق الرجل أهله ليلا ، وقد فعل ذلك رجلان فوجدا عند أهلهما ما يكرهان فلذا أذن له في دار غيره فدخل جلس حيث يأذن له صاحب الدار ، وإن كان من أهل الذمة ؛ وإن فجأ فوما وهم على طعامهم فلا يأكل إلا أن يكون صاحب الطعام ممن جرت عادته بالسباحة وطيّب القلب بذلك .

(فصل : فيما يستحب فعله بيمينه وما يستحب فعله بشماله) يستحب له تناول الأشياء بيمينه والأكل والشرب والصلاة والبداءة بها في الوضوء والاتصال ولبس الثياب ، وكذلك يبدأ في الدخول إلى المرافق المباركة كالساجد والمشاهد والمنازل والبيوت برجله اليمنى ؛ وأما الشئ فلفعل الأشياء المستظرة وإزالة القدر كالاستنار والاستنجاء وتفريق الأنف وغسل النجاسات كلها ، إلا أن يشق عليه ذلك أو يمتدّر ، كالمشلول والمقطوع يساره ففعله ولا يمشي في نعل واحد إلا أن يكون ذلك سببا بمقدار ما يصلح الأخرى إذا انقطع شمسها ، وإذا أراد أن يتناول إنسانا توتيجا أو كتابا فليقصد بيمينه ، وإذا مشى مع من هو أهل منه في المنزل والفضل فليمشي من يمينه يجعله كإمامه في الصلاة ، وإن كان دونه في المزة يجعله عن يمينه ويمشي عن يساره . وقد قيل : المستحب المشي على اليمنى في الجملة لتخلل اليسار للبراق وغيره .

(فصل : في آداب الأكل والشرب) ويستحب للأكل أن يسمى الله تعالى عند أكله وبعمده عند فراغه ، وكذلك عند الشرب ، لأن ذلك أبرك طعامه وأبعد شيطانه ، لما روى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلعكم تضرعون ؟ قالوا : نعم ، قال صلى الله عليه وسلم : فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه ؛ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله عز وجل عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأولاده لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء . وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدا يده حتى يبدؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا حضرنا معه طعاما فجاهد أعرابي كأنما يدفع ، فذهب ليضع يده في الطعام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فجاءت جارية كأنما تدفع ، فذهب ليضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدها وقال : إن الشيطان يستحل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذا الإعرابي يستحل به فأخذت يده ، وجاء بهذه الجارية يستحل بها فأخذت يدها ، فولاذي نفسي بيده إن يده في يدي مع أيديهما ، وإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى عند أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره ، وهكذا روى في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم

ويستحب أن يبدأ بالثلج ويحتم به ، ويتناول القلعة يمينه ويصفرها ويحيد مضغها ويبلل يدها ،
ويأكل مما يليه إذا كان نوعاً واحداً ، وإن كان أنواعاً فلا بأس أن يحيل يده في القلعة ، وكذلك
إذا كان ثماراً أو فاكهة ، ولا يأكل من ثروة الطعام ووسطه بل يأكل من جوانبه ، وإذا كان
فريداً أكل بثلاثة أصابع ولمضها ، ولا ينفخ في الطعام ولا الشراب ولا يتنفس في إنائه ، وإذا
ضاق نفسه شحى القدح عن فيه ، فإذا تنفس أعاده إليه . ويكره الانكاء في الأكل والشرب ،
ويجوز الأكل والشرب قائماً ، وقيل يكره ، والجلوس أحب ، وإذا دفع الإتياء إلى أحد من
جلسائه بدأ بمن عن يمينه ، ولا يجوز الأكل والشرب في ألوان الذهب والفضة ولا المصقب إذا
كان ذلك كثيراً ، فإذا قدم بين يديه في شيء من ذلك طعام رفعه من الإتياء إلى الخبز أو إتياء غير
ذلك المجلس ثم أكله ، والإنكار على من أحضره واجب ، وكذلك الحكم في البخور في مدائن
الذهب والفضة ، كذلك الحكم في ماء الورد من المرائش المتخلطة من ذلك ، فيحرم عليه الحضور
في تلك البقعة ويتعين عليه الإنكار والقيام من ذلك المجلس ، ويكون إنكاره برفق بأن يقول :
تمام سروركم أن تتجملوا بما أباحت الشريعة وجعلته حلالاً ، لا بما حرّمته وحظرتها ، ولا خير
في ذلك تقول إلى معصية ، اذكروا وحكم الله قول النبي صلى الله عليه وسلم : من شرب
في إتياء ذهب أو فضة أو إتياء فيه شيء من ذلك فلما يمر جمر في بطنه نار جهنم ، وإذا حصلت القلعة
في فيه فلا يفرجها منه إلا أن يضطر إلى ذلك للشرقة أو حرارة يستفسرها ، وإذا غطس على طعام
غير وجهه واحتاط في ستره لأجل الطعام ، وإذا كان على رأسه إنسان قائم أذن له في الجلوس ،
فإن أتى عليه أوقام بمواضعه أو غلامه فغضاه حاجته وسقيه الماء أخذ من أطياب الطعام قلعة ،
ويستحب مسح الإتياء من فضلة الطعام ولقط الفتات من جوانب الإتياء والطبق ، ويستحب أن
يساط الإخوان بالحديث الطيب والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا متقبضين ، وبذلك أن
يأكل مع أبناء الدنيا بالأدب ومع الفقراء بالإيثار ، ومع الإخوان بالانسياط ، ومع العلماء
بالتعلم والاتباع ، وإذا أكل مع ضميم أهله بما بين يديه فربما قاته أطياب لاه . ويستحب
الإجابة إلى دعوة العرس ، فإن أحب أن يأكل أكل ، وإلا دعا وانصرف ، لما روى جابر
ابن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من دعى فليجب ،
فإن شاء طعم وإن شاء ترك . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : من دعى فلم يجب فقد عصى الله تعالى ورسوله ، ومن دخل على غير دعوة
فقد دخل سارقاً وخرج معبراً ، هذا الذي ذكرنا إذا كان ذلك خالياً عن المنكر ، فإن حضره
منكر كالطبل والمرار والعود والقائ والشربق والشبابة والرباب والغاني والطباير والنجرات
اتى يلعب بها الترك لا يجلس هناك ، لأن جميع ذلك حرم ، ولما لفت فيجوز استعماله في الشكاج ،
وسماع القول بالمصعب والرقص منكره ، كما فسره بعض المفسرين قوله عز وجل (ومن
الناس من يشتري لهو الحديث) فقال : هو الغناء والشعر . وجاء في بعض الأحاديث عن

رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اُتہ قال « الغناء یبیت التفاق فی القلب کما یبیت لیسيل البزل » .
 وسئل الشیخ رحمہ اللہ عن الغناء فقیل . أحقّ هو؟ قال : لا ، قلیل : فإذا؟ قال فإذا بعد الحقّ
 إلا الضلال ؟ ثم یکنی فی کراہتہ ما فی ذلک من ثوران الطبع وھیجان الشیوۃ والمیل الی التسلوان
 وأہمالیل القوس ووجوئناہا والطراب والمصطف والدنایۃ ، والاستغفال بذکر بذکر اللہ تعالی
 أطیب وأسلم لمن آمن باللہ والیوم الآخر . ودعویۃ الختان لیست مستحبۃ ، ولا عل من دعی
 إلیہا أن یمیب ، ویکرہ القضاۃ الثلار لآئمہ یشبہ الہیۃ وفیہ صنف ودنایۃ ، ویکرہ حضور طعام
 الولائم ما عدا العرس إذا کان علی الصفۃ الئی وصفہا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، یمنع
 منہ المحتاج ویمحضرہ المستغنی عنہ ؛ ویکرہ لأهل الفضل والعلم فی الجملۃ التسرّع الی إجابۃ
 الطعام والتسامح بذلک لما فیہ من اللذۃ والدنایۃ والشر لا سیا إذا کان حاکما . وقیل : ما وضع ،
 أحد یدہ فی قصعۃ أحد إلا ذلّ ، ویحرم التطفل علی طعام الناس ، وهو دخوله مع اللعیر من
 غیر أن یدعی ، وهو ضرب من الوقاحۃ والنصب فقیہ إثمآن : أحدهما الأکل لما لم یدع إلیہ ،
 والثانی دخوله الی منزل الغیر بغیر إذنتہ ، والنظر الی أسرارہ والتفصیق علی من حضرہ . ومن
 الأدب أن لا یکرر النظر الی وجوہ الأکلیل ، لأنہ مما یحشمہم ؛ ولا یتکلم علی الطعام بما
 یستقلوہ الناس من الکلام ، ولا بما یضحکہم خوفا علیہم من الشرق ، ولا بما یحزنہم لئلا ینقص
 علی الأکلیل أکلمہم . ویستحبّ غسل الید قبل أکل الطعام وبعده ، وقیل یکرہ قبل الطعام
 ویستحبّ بعده . ویکرہ أکل البقلۃ الخبیثۃ ، وھی الثمرۃ والبصلۃ والکراث لکراہۃ ریحہ ،
 وقد روی عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم اُتہ قال « من أکل من ہذہ البقلۃ الخبیثۃ فلا یقرین مصلاناہ
 وکثرة الأکل یحییٰ یناف منہ النخمۃ مکروہۃ . وقد روی عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم اُتہ
 قال « ما ملأ ابن آدم وجاء شرا من بطنہ » ویکرہ للبر صاحب الطعام من الضیف أن یأقم من
 حضر معہ علی الطبق إلا بإذن صاحب الطعام ، لأنہ یأکل علی ملک صاحبه علی وجہ الإباحۃ ،
 ولیس ذلک بشملیک ، ولہذا اختلف الناس فی الوقت الذی یحصل فیہ الطعام ملکا للآکل ،
 فقال قوم : إذا حصل فی فیہ واستملک ، وقال آخرون : لا یملک بل یأکل علی ملک . وإذا
 قدم الطعام فلا یحتاج بعد التقدیم الی إذن إذا کان قد جرت العادۃ فی تلك البلدۃ بالأکل ،
 کذلک فیکون العرف إذا ، ویکرہ إخراج شیء من فیہ وردۃ الی القصعۃ ، ویکرہ التخلل
 علی الطعام ، ولا یسمح یدہ بالتلیز ولا یستلک ، ولا یخلط طعاما بطعام یعنی ألوان الطباخی ، لأنہ
 قد یکرہ ذلک طباخ کلیر من الناس ، وإن کانت نفسہ تمیل إلیہ فیرک ذلک لأجلہم ولا یجوز ،
 لہ ذمّ الطعام ، ولا لصاحبه استئسانہ وملحہ ولا یقرعہ لأنہ دنایۃ ، وقد روی أن النبی صلی اللہ
 علیہ وسلم ما ملح طعاما ولا ذمہ ، ولا یرفع یدہ حتی یرفعوا أیدیہم ، إلا أن یعلم منہم الانبساط
 إلیہ فلا یتکلف ذلک . ویستحبّ أن یحمل ماء الأیدی فی طست واسد لما روی فی الخبر « لا
 تیدخوا یدہم یملکم » وروی أن النبی صلی اللہ علیہ وسلم سمی أن یرفع الطست حتی یطاف ،
 یعنی یحملہ ، ولا یسئل یدہ بما یطعم من دقیق الباقلاء والعدس والمطحمان وغیر ذلک ، ویجوز

بالتحالة ، ولا يقرن بين التزويج لبيته صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقيل : لا يكره ذلك إن كان وحده أو كان هو صاحب الطعام ، ولا يختير الأطعمة على صاحب الدار بل يفتح بما قدمه ، لأن ذلك يجعله على التكلف ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : أنا وأتقياء أمي براء من التكلف . وإن استدعي منه صاحب الدار التشهي عليه كان له أن يذكر شيوته . ويكره له رد الهدية وإن قلت إذا كانت من جهة حلال طيبة ، واجتهد في المكافأة أو الدعاء له . ومن سقط في طعمه أو شربه شيء فلا يخلو إما أن يكون له نفس سائلة ، فإن كان من ذوات السموم لم يأكله ماعداً لئلا يفسد فيكون الطعام نجساً ، ويحرم أكله إذا كان مانعاً ، وإن كان جليداً رفعه وما حوله . وإن كان مما لا نفس له سائلة ، فإن كان من ذوات السموم لم يأكله . ويحرم الطعام لأجل الضرر به لا لبعثه كالخبيث والمقرب ، وإن كان ذهاباً نجسه في الطعام حتى يتورس جناحاه ثم أخرجه ، وإن مات فإن الطعام طاهر يأكله ، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فيه ، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء وإنه ينقى بالذي فيه الداء ويستحب مص الشراب ولا يكره كرهه ، ويقطعه ثلاث دفعات النفس ، ولا يلتصق في الإناء ، ويسمى على أوله ويحمد الله في آخره . والاختصار في هذه الجملة أن تقول : هي التثنية عشرة خمسة أربع منها فريضة ، وأربع سنة ، وأربع آداب . أما الفريضة : فالعقود بما أكله من أين هو ، والقسمية ، والرضا ، والشكر . وأما السنة : فالجلوس على الرجل اليسرى ، والأكل بثلاثة أصابع ، ولعن الأصابع ، والأكل بما يليه ، وأما الآداب : فالضغ الشديد وتصغير القوم ، وقلة النظر إلى وجوه القوم ، وأن لا يفرش المائدة بالخبز ويضع فوقه الأدم ، وأن لا يأكل متكئاً ولا منبطحاً على بطنه .

(فصل : فإذا أفطر عند غيره قال : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وفزئت عليكم الرحمة ، وصلى عليكم الملائكة ، الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وجعلنا من المسلمين ، وهذا من الفضائل وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً ، اللهم أشيع جيع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكس عطياً ، وعاف مرضعاً ، ورد غائباً ، واجمع شمل أهل الدار ، وأمر أرزاقهم ، واجعل دخولنا بركة ، ونخرجنا مغفرة ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ببرحمتك يا أرحم الراحمين .

(فصل : في آداب الحمام) بناء الحمام ويحبه وشراؤه وكراءه مكروه في الجملة ، لما فيه من مشاهدة عورات الناس ، وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : ينس البيت الحمام ، يخرج من أهله الحياء ، ولا يقرأ فيه القرآن . وأما دخوله فلا أولى أن لا يدخله إلا إذا لم يجد من ذلك بداً ، لما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكره الحمام ، ويعمل بأنه من رقيق القبيض ، وعن الحسن وابن سيرين أنهما كانا لا يدخلان الحمام . وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله : ما رأيت أبى قط دخل الحمام ، وإن كان به حاجة إلى ذلك ودعت الضرورة جاز له دخوله مستتراً بمنزلة غلبا يصره عن عورات الناس ، وإن أمكنه أن

یحمل الحمام له فيدخله بالليل أو وقتا يقلّ زيوته بالنهار فلا بأس . وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن ذلك فقال : إن كنت تعلم أن كل من في الحمام عليه إزار فلا دخله وإلا فلا تدخله . وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « يسئ إليّ الحمام بيت لا يستر ، وماله لا يظهر » قالت عائشة رضي الله عنها : ما يستر عائشة أنها داخلته ولها مثل أحد ذعبا ، « وقال صلى الله عليه وسلم ، في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر » ، وأما النساء فلنما يجوز لمن دخوله بالشرائط التي ذكرناها في حق الرجال ، ووجود العذر والحاجة كالمرض والحيض والنفاس ، لما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « سينزع عليكم أرض العجم ، وستجدون بيوتا يقال لها الحمام ، فلا يدخلها الرجال إلا بإزار ، وامنعوا منها النساء إلا مريضة أو نساء » وإذا دخل الحمام فلا يسلّم ولا يقرأ القرآن ، لما تقدم من حديث علي رضي الله عنه .

(فصل : في النهي عن التصرّي في الجملة وفي حال الغسل) روى أبو داود بإسناده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال « قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأكل منها وما نلثم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ، قال : قلت : يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض مجتمعين ، قال صلى الله عليه وسلم : إن استطعت أن لا تريها أحدا فلا تريها ، قال : قلت يا رسول الله إذا كان أحدا خاليا ، قال صلى الله عليه وسلم : الله أحق أن يستحي منه من الناس » وروى أبو داود بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا ينظر المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب ، ولا يفضي المرأة إلى المرأة في ثوب » . وأما حالة الغسل في موضع خال لا يراه أحد ، فيكره أن يقتل بلا مئزر ، لما روى أبو داود بإسناده عن عطاء عن يعل بن أمية رضي الله عنه ، قال يعل : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يقتل بلا إزار ، فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : إن الله حيي ستر يحب السر والحياء ، فإذا اغتسل أحدكم فليستر » . وأما إن دخل الماء الغسل أو غيره فيكره أيضا بلا مئزر ، لأن النساء سككنا لما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نهى أن يدخل الماء بلا مئزر » وعن الحسن رحمه الله أنه قال : الماء سكان ، وإن أحق من استتر من مكانه نحن .

(فصل : وقد رخص الإمام أحمد رحمه الله في ذلك في رواية أخرى ، وإنه لا يكره ذلك ، لأنه سئل عن رجل كان عند نهر ليس يراه أحد ، قال : أرجو ، ومعنى ذلك أنه لا يكون به بأس . والأول والأصح ما تقدم من النهي .

(فصل : في لبس الحمام وانقائه) عن أبي داود رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى بعض الأعاجم قيل : له لا يقرمون

کیمیہ إلا بالخاتم ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه : محمد رسول الله . وعن أنس رضي الله عنه قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة كله فضة منه . وفي لفظ عن أنس رضي الله عنه قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورق فضة حبشي . وروى أبو داود بإسناده عن تابع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب وجعل فحسه مما يل بطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله ، فاتخذ الناس خواتيم الذهب ، فلما رأهم اتخذوها رى به وقال : لا ألبسه أبداً ، ثم اتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه : محمد رسول الله ، ثم لبس ذلك الخاتم بعد أبو بكر رضي الله عنه ، ثم لبسه بعد أبي بكر رضي الله عنه ، ثم لبسه عثمان رضي الله عنه حتى وقع في بئر لؤيس .

(فصل) ويكره اتخاذ الخاتم من الحديد والشيء ، لما روى أبو داود بإسناده عن عبد الله ابن بريده عن أبيه رضي الله عنه قال : إن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شيء ، فقال له : مالي أجد منك ريح الأصنام فطرحه ، ثم جاء وعليه خاتم من حديد ، فقال : مالي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه ، فقال : يا رسول الله من أي شيء اتخذ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : اتخذته من ورق ولاتمه متقالاً .

(فصل) ويكره التختيم في الوسطى والسبابة ، لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى علياً رضي الله عنه عن ذلك .

(فصل) والاختيار التختيم في اليسرى وفي الخنصر ، لما روى أبو داود رحمه الله بإسناده عن تابع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره ، وكان فحسه في باطن كفه . وروى ذلك عن أكثر السلف الصالح ، ولأن خلاف ذلك عادة وشعار المشركين ، ولأن المستحب أن يكون تناول الأشياء باليمين ليضعها في الشمال ، وفي ذلك صيانة للخاتم وصيانة للمكتوب عليه من الأسماء والحروف ، وقد روى عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ، فلي هذا اليمين واليسار سواء والاختيار الأول .

(فصل : في آداب الخلاء والاستنجاء) إذا أراد دخول الخلاء نهي عنه ما كان فيه ذكر الله عز وجل كالخاتم والتعود وغيرها ، ويقدم رجله اليسرى ويؤخر اليمين ويقول : بسم الله أعوذ بالله من الخيث والخبائث ، ومن الرجس النجس الشيطان الرجيم ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن هذه الحشوش محضرة ، فاستيقنوا بالله من الشيطان ، وليقل أحدكم : أعوذ بالله من الرجس النجس الخيث الشيطان الرجيم ، ويكون مغطى الرأس مستتراً ، ولا يرفع ثوبه حتى يلبس من الأرض ويكون اعتياده على رجله اليسرى ، لأنه أسهل لخروج الخارج ، ولا يتكلم ولا يرد على من يسلم عليه ، ولا يجيب متكلماً ، ويحمد الله في قلبه عند العطاس ، ولا يرفع رأسه إلى السماء ، ولا يضحك مما يخرج منه ولا من غيره ، ويبعد عن الناس ويهيئ موضعاً مستقلاً وسخاً للبوله لئلا يترشش عليه ولا يرى عورته أبداً ، فإن كان الموضع صلباً أو مهب الريح الصق رأس ذكره بالأرض ، وإن كان في الصحراء لم يستقبل

الثقله ولم يستورها ، بل يشرق أو يغرب كما جاء في الخبر ، ولا يستقبل الشمس والقمر ، ولا يبل في حجر ولا تحت شجرة مشرة ولا غير مشرة لأنه قد يستقلّ بظلها فتلوث نياهم ، وقد سقط من ثمرها فيتنجس ، ولا في طريق ولا في مشرة نهر ولا في فناء حائط ، لأنه بذلك يستحق اللعنة كما ورد في الخبر ، ولا يذكر الله في موضعه بالقرآن ولا بغيره تزيها لاسمه عز وجل ، ولا يزيد على بسم الله والتعوذ من الشيطان على ما ذكرنا ، فإذا فرغ قال : الحمد لله الذي أنقذني عن الأذى وعافاني غفراك . ثم يقوم من موضعه إلى موضع طاهر ، ولا يستحي هناك لثلاث تلوث يده بالتجاسة أو يرش الماء على يديه وثيابه ، ثم ينظر فإن كان الخارج لم ينتشر عن المخرج إلا بمقدار ما جرت العادة به كان تغييرا بين الاستجمار بجاء وبين الاستجماء بالماء ، فإن اختار الجاء فلاختار الحجر ، وعنده ثلاثة أحجار إن كان لم يستجمر بين أحد من قبل طاهرة ، فيأخذ حجرا منها يمينه ، فيبدأ بالقبيل بعد أن يمسح أصل ذكره إلى رأسه ويشره ثلاثا بيده اليسرى متحنحا ليتحقق استفرغ البول بذلك فهو الاستبراء ، ويأخذ ذكره بشماله وعنده على الحجر الذي في يمينه ويمسحه حتى يرى موضع المسح جافا ، يفعل كذلك ثلاثا بثلاثة أحجار ، وإن لم يقدر على الأحجار قبيلات حرق أو غرغ أو مذر : أو ثلاث حبات من تراب ، أو يمسحه على الأرض أو الحائط عند عدم هذه الأشياء حتى يرى الجفافة والشفافة عن التركل مسحة ، فإذا فعل ذلك فقد سقط عنه حكم القبول . وينبغي أن يحرز عن مدّ اللد في الاستبراء من موضع الحشفة ، لأن قد بين البول في قصة الإحليل ثم يخرج بعده فراخه من الوضوء فيبطل وضوؤه ، ولذا شرع في حقه أن يخطو خطوات قبل الاستبراء والتنجيح خوفا من بقاء شيء من البول في الإحليل . وأما التدبير فيأخذ الحجر بشماله ويمسحه على المسرى من مقدمها إلى أن يبلغ إلى مؤخرها ثم يرى به ، فقد حصل بذلك الإجزاء ، ثم يأخذ الحجر الثاني ويبدأ به من مؤخرها فيمسحها إلى أن يبلغ مقدمها ثم يرى به ، ثم يأخذ الحجر الثالث فيديره حول المسرى فيرى به ، وقد حصل بذلك الإجزاء ، فإن لم يبق بذلك بأن رأى حل الحجر الأخير تدلوة زاد إلى خمسة ، وإن لم يبق بذلك زاد إلى سبعة أو تسعة ، ولا يقطع إلا حل وتر ، وإن نسي بحجر واحد أو باتين زاد إلى ثلاثة ، لأن الشرع بذلك ورد . وقد ذكر للاستجمار صفة أخرى ، وهو أن يأخذ الحجر بشماله فيضعه على مقدم صفحته اليمنى ثم يمرّه إلى مؤخرها ، ثم يديره على اليسرى فيمرّه عليها إلى مؤخرها حتى يبلغ الموضع الذي بدأ منه ، ويأخذ حجرا آخر فيمرّه من مقدم صفحته اليسرى كذلك ، ثم يأخذ حجرا آخر فيمسح به الوسط ، والكل جائز فقد جاء في الأثران رجلا قال لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه : لا أحسبك أنك تحسن الخلق ، فقال : بلى وأبيك إني بها لخالق ، قال : فصفا لي ، قال : أبعد الأثر وأعد المسر ، واستقبل نيت الشح واستدير الريح ، وأقوى إلقاء الظبي وأجفل إجمالك التمام . أما الشح فهو نيت طيب الريح يكون بالبادية . والإلقاء هاهنا : الاستيقاظ على صدور قدميه . والإجمالك : ارتفاع حجره عن الأرض .

(فصل) والاستنجاء بالماء : أن يمسك قضيبة يده اليسرى وي طرح الماء بيمينه قبله
 مبعداً بعد الاستبراء والتحتنج ونفيل لإرتجاج على ما ذكرناه ، وقطبه فقهاء المدينة ورحمهم الله
 الذكر بالضرع ، ولا يزال يخرج منه الشيء بعد الشيء ما دام الرجل يمسك به ، فلما وقع الماء
 على الذكر انقطع البول . وأما التدبير فيبائر المحل بيمينه اليسرى ويصب الماء باليمين ، فيتابع
 صبه ، ويستريح قليلا ، ويجعل ذلك الموضع يمينه ، حتى يتبين نظافته ويثنى ، ولا يلزمه غسل
 باطن الفرجين لأن ذلك مما يقع عنه في الشرع ، ولا عليه الاستنجاء من الريح . والفضيلة في الجمع
 بين الاستنجاء بالماء والماء ، فإن اقتصر على الحجر أجزاءه ، لكن استعمال الماء أول في الجملة ،
 لأنه قيل : إذا لم يستنج بالماء أخراه الوضوء ، ولهذا قيل إن قوما من الشعراء لا يستنجون بالماء ،
 لأن كلام الخنا والتحتنج يمينه بذلك فهو ميتة ، نعوذ بالله من كلام بشره القدر والنس .
 (فصل) وأما إذا انتشرت النجاسة إلى معظم حشفته في القبل والصفحتين في اللبر
 لم يحزه غير الماء ، لأنها خرجت من محل الترخص فصارت كالنجاسة التي على بقية البدن من
 الفخذ والصدر وغيرها ولا تزول إلا بالماء .

(فصل) وصفة ما يجوز به الاستنجاء أن يكون جامدا طاهرا متقيا غير مطعوم لأخروته له ،
 وغير متصل بميوان ، ولا يجوز بالروث والرمة لأنهما من طعام الجن ، ولا بشيء من نرج
 بلطخ فلا يبق كاشفة والرجاجة والحصاة اللساء .

(فصل) ويجب ما ذكرنا من الاستنجاء بجميع ما يخرج من السيلين سوى الريح ،
 وذلك كالغائط والودودة والحصاة والدم والمعدة والبر . وأما الذكر فالمخرج منه خمسة أشياء ،
 أحدها البول والثاني الذي وهو أبيض رقيق يخرج عند اللذة وعند الملاعبة والذكاء ، وحكمه
 حكم البول وزيادة غسل الذكر والأنثيين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث على
 رضي الله عنه : ذلك ماء الفحل ولكل فحل ماء ، فليسل ذكره وأنثيه وليتوضأ وضوء للصلاة
 والثالث الودي ، وهو ماء أبيض خائر يخرج بآثر البول ، لحكمه حكم البول فقط . والرابع
 المني ، وهو الماء الأبيض اللذان عند اللذة الكبرى بالجماع أو الاحتلام ، وقد يكون أصفر
 عند قوة الرجل ، وقد يكون أحمر عند كثرة الجماع ، وقد يكون رقيقا عند ضعف البنية
 والقوة ، ويعلم بالرائحة كرائحة الطلع والخبث ، وهو طاهر في أشهر الروايتين ، وموجبه غسل
 جميع البدن وماء المرأة رقيق أصفر . والخامس الريح يخرج من القبل نادرا كما يخرج من الذكر .
 (فصل : في كيفية الطهارة الكبرى) وهو على ضربين : كاملة ، ومجزلة . أما الكاملة فهي

أن يأتى بالنية ، وهو اعتقاده وقع الحدث الأكبر أو الجنابة ، فإن تلفظ به مع اعتقاده بقلبه
 كان أفضل ، ويسمى عند أخذ الماء ، ويغسل يديه ثلاثا ، ويغسل ما به من الأذى ، ثم يتوضأ
 وضوءه كاملا ، ويؤخر غسل قدميه ، ويحني على رأسه ثلاث حثبات من الماء يروي بها
 أصول شربه ، ويغسل الماء على سائر جسده ثلاثا ، وبذلك يديه ، ويغسل الخافقين وغشون
 البدن ، ويتحقق حصول الماء عليها لقوله صلى الله عليه وسلم : غطوا الشعر واتقوا البشرة ، فإن

نحت كل شعرة جنباً ، وبدأ يشقه الأيمن ، ثم ينقل من موضع غسله فيغسل قدميه ، فإن سلم في خلال ذلك من نواقض الطهارة الصغرى جاز له أن يغسل بهذه الطهارة ، لأننا نحكم له برطع الحلتين جميعاً ، وإلا أحدث للصلاة وضوءاً ، والأصل في جميع ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الغسل من الجنابة يغسل يديه ثلاثاً ، ثم يأخذ بيمينه فيصب على شماله ، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاثاً ، ويغسل وجهه ثلاثاً وخرجه ثلاثاً ، ثم يصب على رأسه الماء ثلاثاً ثم يغسل ، فإذا خرج غسل قدميه . وأما الجزء فهو أن يغسل فرجه وبئر ويمنى ويسم يديه بالغسل مع المضمضة والاستنشاق ، لأنهما واجبان في الكبرى ، وفي الصغرى روايتان ، أحدهما وجوبها فيها أيضاً ، ولا يجوز له أن يغسل بهذا الغسل إلا أن ينوي به الغسل والوضوء ، ويتداخل بقية أفعال الوضوء في الغسل للطرأانية وإذا علمت النية لم يحصل له الوضوء ، فلا تصح الصلاة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا صلاة لمن لا وضوء له ، بخلاف الأول فإنه قد أتى فيه بالوضوء الكامل . وللسرف في استعمال الماء غير مستحب ، والاقتصاد هو المحمود المتدوب إليه وقلة الماء مع إحكام الغسل والوضوء أولى من الإسراف ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ترويضاً بمد وهو رطل وثلاث ، واغتسل بصاع وهو أربعة أمداد .

(فصل : في الأذكار المستحب ذكرها عند غسل الأعضاء) يقول إذا فرغ من الاستطابة : اللهم نبي قلبي من التشك والتناق ، وحسن فرجي من القواش ، ويقول عند التسمية : أعوذ بك من هزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ، ويقول عند غسل يديه : اللهم إني أسألك الجن والبركة ، وأعوذ بك من الشؤم والحلكة ، ويقول عند المضمضة : اللهم أعني على تلاوة القرآن كتابك وكثرة الذكر لك ، ويقول عند الاستنشاق : اللهم أوجدني رائحة الجنة وأنت عني راغب ، ويقول عند الاستنثار : اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ، ومن سوء النار ، ويقول عند غسل وجهه : اللهم يفض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك ، ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ، وعند غسل ذراعيه اليمنى : اللهم انني كتابك يميني وحاسبي حساباً يسيراً ، وعند غسل ذراعي اليسرى : اللهم إني أعوذ بك أن تؤنيني كتابك بشمال أو من وراء ظهري ، ويقول عند مسح الرأس : اللهم غشني برحمتك ، وأزل علي من بركتك ، وأظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، ويقول عند مسح الأذنين : اللهم اجعلني من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، اللهم اسمعني منادي الجنة مع الأبرار ، ثم يمسح عنقه فيقول : اللهم فك رقبتي من النار ، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ، ويقول عند غسل قدميه اليمنى : اللهم ثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند غسل قدميه اليسرى : اللهم إني أعوذ بك أن تزلق قدمي عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين ، فإذا فرغ من وضوئه رفع رأسه إلى السماء ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سبحانه وبحمده لا إله إلا أنت علمت سواء وعلمت نفسي ،

استغفرك وأسألك التوبة فالغفرلى وتب على إلك أنت التوكيب الرخيم ، اللهم اجعلنى من
ثوابين ، واجعلنى من المتطهرين ، واجعلنى صبوراً شكوراً ، واجعلنى أذكرك وأسبحك
بكرة وأصيلاً .

(فصل : في آداب اللباس) وهو على خمسة أضرب : محرم على كل مكلف ، ومحرّم
على شخص دون شخص ، ومكروه ، ومباح ، وممتزّج عنه ، فأما المحرم على كل مكلف .
مكلف فالمفصوب . وأما المحرم على شخص دون شخص فالحرير مباح للنساء ، حرام على باقي
الذكور ، وهل يباح أن يلبسوه البنين الصغار أم لا ؟ على روايتين : وكذلك في إباحتها لبسة
للبنين في قتال المشركين وجهادهم روايتان ، فهذا هو الضرب المباح . وأما المكروه فهو إظهار
الثوب إلى حد يخرج إلى التلواء والكبر ، وكذلك ما فيه الحرير والفتن لا يعلم ، هل فيه
نصفان أو أحدهما أكثر ؟ وأما الممتزّج عنه فهو من كل لبسة يكون بها مشهور بين الناس كالخروج
عن عادة أهل بلدته وعشيرته ، فينبغي أن يلبس ما يلبسون ولا يلبس فيها حتى لا يشار إليه
بالأصابع ويشتاب ، فيكون ذلك سبباً إلى حلهم على غيبته فيشاركهم في أثم الغيبة له .

(فصل) ولنا قسمان آخران : أحدهما واجب ، والآخر مندوب . فأما الواجب فعلى
ضريين : أحدهما يرجع إلى حق الله تعالى . والثاني إلى حق الإنسان خاصة فأما الذي لحق الله
تعالى فهو ستر العورة عن أمين الناس على ما بيناه في فصل التبرى . وأما الذي لحق الإنسان
فهو الذي يتوق به من الحر والبرد وأنواع الضرر فيجب عليه ذلك ، ولا يجوز تركه لأن فيه
عوقاً على إلتلاف نفسه وذلك حرام . وأما المندوب فكذلك ينقسم على قسمين : أحدهما في حق
الله تعالى ، وهو الرداء إذا كان في جماعة وجميع الناس فلا يبرى منكبه من شيء من الثياب
إجميلة كالأعياد والجمع وغير ذلك ، والقسم الثاني في حق المخلوقين ، وهو ما يتجملون به
بينهم من أنواع الثياب اللينة وغير ذلك ، ولا يزدى بصاحبه ، ولا ينقص مرومته بينهم ، ويكره
الاعتناء وهو التعمم بغير الحنك ، ويستحب الطلح وهو إذا كان بالحنك ، ويكره كل
ما خالف زى العرب وشابه زى الأعاجم ، وتطويل الذيل مكروه لأنه ورد في الأثر عن النبي
صل الله عليه وسلم أنه قال « لزره المسلم إلى نصف الساق ولا يصرح ولا جناح فيما بين الكمين ،
وما كان أسفل من الكمين فهو في النار من جرّ لزره » بطرا لم ينظر الله تعالى إليه ، ذكره
أبو داود بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صل الله عليه وسلم . والشيخ
الصياء مكروه في الصلاة ، وهو أن يلتحف بثوب ويحل طرفه على جانب ، فلا يكون ليد
موضع يخرج منه ، ولذلك سمى الصياء . وكذلك يكره السدل ، وهو أن يترك وسط رداءه على
رأسه ، وباقية مسدود على ظهره وهي لبسة اليهود : وكذلك يكره الاحتياج ، وهو أن يجلس
ويضم ركبته إلى نحو صدره ، ويدير قوبه من وراء ظهره إلى أن يبلغ ركبته ويشده ، حتى
يكون كالمتشد عليه ، والسند إليه إذا لم يكن على ثوب ، لأنه يؤدى إلى انكشاف عورته ،

ولا بأس بذلك إذا كان تحت ثوب . وكذلك يكره التلم وتغطية الأنف في الصلاة . ويكره التلبس بزي النساء للرجال ، وكذلك لبساء التثنية بزي الرجال ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لمن فاعله وتوعد عليه . ويكره الإقعاء في الصلاة ، وهو أن يمد ظهر قدميه ، ويجلس على حفيه ، أو يجلس على أليفيه وينصب قدميه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هو إقعاء كإقعاء الكلب منهى عنه » ويكره ليس ما تشفت منه الأبدان من الثياب ، وإن شفت منه العورة كان فاسقا كما لو كشفها إذا نعد لیس ، ولا تصح صلاته فيها ، وقد مدح الشرع السراويل بقوله صلى الله عليه وسلم « السراويل نصف الكسوة » وهي في حق الرجال آكد . ويكره توسعة يوانك وتضييقها لولي وأحب ، لأنه أستر للعورة . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اغفر للمسرولات » قال ذلك في حق امرأة مرت بها علت بأكفة فسقطت ، فأدار وجهه حياء ، فقيل له : إنها مسرولة . وفي بعض الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم « أنه كره السراويل الخرفجة » وهي التوسعة الطويلة التي تقع على ظهر القدمين ، وأصله السمة ؛ يقال : عيش مخرفج ؛ إذا كان واسعاً . وأفضل اللباس ما كان ساتراً . وأفضل أثواب الثياب ما كان أبيض لقوله صلى الله عليه وسلم « خير ثيابكم البياض » . وفي لفظ آخر « عليكم بالبياض يلبسوا أحيانكم وكفنوا بها موتاكم » . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم » ، وكفنوا فيها موتاكم ، وإن خير أكلكم الإثم ، يحلو البصر ، ويثبت الشعر .

(فصل : في آداب النوم) يستحب لمن أراد أن ينام ، أن يركب مقاه ، ويطلق سراحه ، ويطلق يابه ، ويفل فاه إن كان قد أكل ماله والحلة ، لئلا يقصده الشيطان ، ويسمى بسم الله عز وجل ، ثم يقول : ما روى أبو داود بإسناده عن سعيد بن عبيدة قال : حدثني إبراهيم بن حازب رضي الله عنهما ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم إني أسألك وجهي إليك وفوقتي أمري إليك ، وأبلغات ظهري إليك ورغبة وروية إليك ، لاملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتيكتك التي أنزلت ونيتك التي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة ، واجعلهن خيراً ما تقول » ، قال البراء : قلت أمتدكرهن ، قلت : برسوك الذي أرسلت ، قال : لا وبنيك الذي أرسلت ؛ ويكون نومه على ما ذكر في الخبر على جنبه الأيمن ، مستقبل القبلة كما يكون في الحسد ، وإن نام على ظهره متفكراً في ملكوت السموات والأرض فلا بأس . ويكره نومه على وجهه ، وإذا رأى في منامه ما يزعجه استعاذ بالله تعالى من شره ، ونقل عن بساره ثلاثاً وقال : اللهم ارزقني خير رزائي ، واكفني شرها ، وضرأ آية الكرسي ، وقال هو الله أحد ، والمعوذتين ، إلا أن يكون جنباً ، ولا يفسر منامه إلا على من يحسن ، من علم أو حكم ، ويكون عباً ، ولا يفسر ملوآه من الأحلام ، لأن الشيطان يضل له . وقد روى عن أبي قتادة

رضي الله عنه أنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه ، فليبت عنه يسره ثلاث مرات ، ثم ليبتعد عن شرها فإنها لا تنصرف » ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول : هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟ ويقول : إنه ليس يبق بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة . وفق حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » وإذا أراد الخروج من منزله ذكر الكلمات التي وردت في حديث الشعبي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : « ما أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتي قط إلا رفع يده إلى السماء ، فقال : اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أضل أو أضل ، أو أضل أو أضل ، أو أضل أو أضل ، أو أضل أو أضل » ، ويقرأ قل هو الله أحد مع المؤذنين إذا أصبح وإذا أمسى ، ويدهو مع ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بك نصبح ، وبك نمسي ، وبك نحيا ، وبك نموت » ، ويزيد في الصباح : « وإليك القشور ، وفي المساء وإليك المصير » ، ويقول مع ذلك : اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك نصيبا في كل خير تقسمه في هذا اليوم وفيما بعده من نور تهدي به ، أو رحمة تنشرها ، أو رزق تبسطه ، أو ضرر تكشفه ، أو داء تغفره ، أو شدة تدفعها ، أو فتنة تصرفها ، أو معاقبة تمن بها برحمتك ، إنك على كل شيء قدير . وإذا أراد دخول المسجد فليقدم رجله اليمنى ويؤخر رجله اليسرى ، ويقول : بسم الله ، السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لي ذنوبي ، وانفتح لي أبواب رحمتك ولبس على من كان في المسجد ، فإن لم يكن فيه أحد قال : السلام علينا من ربنا عز وجل ، وإذا دخله لا يجلس حتى يأتي بركنين ، ثم إن شاء تنفل وإلا جلس مشغلا بذكر الله عز وجل ، أو صامتا لا يذكر شيئا من أمور الدنيا ، ولا يكثر كلامه إلا ما لابد منه ، فإن كان قد دخل وقت الصلاة صلى السنة والقرآن مع الجماعة ، فإذا فرغ وأراد الخروج ، فليقدم رجله اليسرى ويؤخر اليمنى ، وليقل بسم الله ، السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لي ذنوبي ، وانفتح لي أبواب فضلك . ويستحب له في دبر كل صلاة أن يسبح الله ثلاثا وثلاثين ، ويحمد ثلاثا وثلاثين ، ويكبر ثلاثا وثلاثين ويستم المنة ثلاثا وثلاثين ، ولا يترك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ويستحب الدائمة على الطهور ، فإنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « دم على الطهور في عمرتك ، وصل بالليل والنهار ما استطعت ، تحبك الحفظة » وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين ، وصل على أهل بيتك إذا دخلت بيتك يكثر خير بيتك ، ووفر كبير المسلمين ، وارحم صغيرهم تراهم في الجنة ، قد جمع هذا الحديث أدبا جمة :

(فصل : في دخول المنزل ، والكسب من الحلال والوحدة) وإذا أراد دخول منزله فلا يدخل حتى يستنجح ويقول : السلام علينا من ربنا ، فقد جاء في بعض الأخبار : إن المؤمن إذا خرج من منزله وكل الله تعالى يابه ملكين يحفظان ماله وأهله ، ويروكل إبليس سبعين شيطانا مرده ، فإذا دنا المؤمن من بابه قال الملكان : اللهم وفقه ، إن كان انقلاب يكسب طيب ، وإذا تنحج دنا الملكان وتباحثت الشياطين ، وإذا قال : السلام علينا من ربنا توارت الشياطين ، وقام الملكان أحدهما باليمن والآخر عن الشمال ، وإذا فتح الباب فقال : بسم الله ذهبت الشياطين ، ودخل معه المكان وحسنا له كل شيء في منزله ، وأطابا له معيشه يومه وليله ، فإذا جلس المؤمن قام الملكان على رأسه ، فإن أكل أكل طيبا ، وإن شرب شرب طيبا مادام في منزله يومه وليله ، وكان طيب النفس فإن لم يفعل من ذلك شيئا ذهب عنه الملكان ودخل معه الشياطين وقبحوا كل ما في منزله في عيته وأسمعت من أهله ما يسوءه ، حتى يكون بينه وبين أهله ما يقسد عليه دينه ، وإن كان أعزب ألحقوا عليه التماس والكسل ، وإن نام تام جيفة ، وإن جلس جلس في تخي مالا ينفعه بحيث النفس ، ويفسدون عليه طعامه وشربه ونومه ، وأما الكسب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من طلب الدنيا حلالا استغفلا عن المسئلة ، وسعيا على أهله ، وتعطفا على جاره ، بهت الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالا مكائرا مفاخررا مرانيا لى الله عز وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان ، وعن ثابت البناني رحمه الله أنه قال : بلغني أن العافية في عشرة أشياء ، تسعة منها في طلب العيشة ، وواحدة في العبادة ، وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يفتح الرجل على نفسه بابا من المسئلة إلا فتح الله عليه بابا من الفقر ، ومن يستعفف يثقه الله ، ومن يستغن يفته الله ، ولأن يأخذ أحدهم حيلاً ثم يعتمد إلى هذا الوادى فيحتطب منه ثم يأتي سوقكم فيبعه بحدّ تمر ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ، وروى : ما من رجل يفتح على نفسه بابا من المسئلة إلا فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله يحب كل مؤمن ضرف أبا العيال ، ولا يحب الفارغ الصحيح ، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة ، وروى أن داود صلى الله عليه وسلم خليفة الله عز وجل سأل الله تعالى أن يجعل كسبه يده ، فألأن في يده الحديد ، فصار في يده كالشمع والعجين ، يتخذ منه الدروع فيبيعها فيعيش هو وعياله بضعها ، وقال ابنه سليمان عليها السلام : رب قد أعطيتني من الملك ما لم تعط أحدا قبلي ، وسألتك أن لا تعطيه أحدا بعدى فأعطيتني ، فإن قصرت في شكرك فلتني على عيـد هو أشكر مني ، فأوحى الله تعالى إليه : يا سليمان إن هذا يكسب يده ليدّ جوعه ويستر عورته ويعبدني هو أشكر لي منك ، فقال : اجعل كسبي يدي ، فأناه جبريل عليه السلام فلعنه على الخوص يتخذ منه القفاف فأول من عمل الخوص سليمان عليه السلام . وقيل عن بعض الحكماء إنه قال : لا يقوم

الدين والدنيا إلا بأربعة: العلماء، والأمراء، والفرزة، وأهل الكسب. فالأمراء هم الرعاة، يرحون الخلق. والعلماء هم ورثة الأنبياء، يدلون الخلق على الآخرة والناس يقتدون بهم. والفرزة هم جند الله تعالى في الأرض، يقطع بهم الكفار. وأما أهل الكسب فهم أمماء الله تعالى، بهم مصالح الخلق وعمارة الأرض، فالرعاة إذا صاروا ذئاباً فمن يحفظ الغنم؟ والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فبمن يقتدى الخلق؟ والفرزة إذا ركبوها الفخر والخيلاء وخرجوا لقطع فني يقتفرون على العدو؟ وأهل الكسب إذا كاثروا الناس فكيف يأمنهم الناس؟ وإذا لم يكن في الناجر ثلاث خصال الخسر في الدنيا والآخرة: أولها لسان نبي عن ثلاث: الكذب، والفنو، والحلف؛ والثانية قلب صاف من النش، والحسد بجماره وقربه. والثالثة نفس محافظة لثلاث خصال: الجماعة، والجماعات، وطلب العلم في بعض ساعات الليل والنهار، وإثبات مرضاة الله على غيره. وإياك والكسب الحرام فقد قيل: "إذا كسب العبد خيئاً وأراد أن يأكل منه وقال: بسم الله، قال الشيطان: كل إلى بيتك معك حين كسبته، فلا أفارقك إنما أنا شريكك، فهو شريك كل كاسب حرام. قال الله عز وجل: (وشاركتهم في الأموال والأولاد) فالأموال الحرام والأولاد الأولاد الزنا، كما ذكر في التفسير. وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يكتسب العبد مالا من الحرام ويتصدق به فيلجر عليه، ولا يفتن منه فيبارك له فيه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. وبالجملة إنه لا يمتنع من الحرام إلا من هو مشفق على لحبه ودمه، فدين الرء لحبه ودمه، فليجنب الحرام وأهله، ولا يجالسهم، ولا يأكل طعاماً من كسبه حرام، ولا يدل أحداً على حرام فيكون شريكه، فالورع هو ملاك الدين ونوام العباد واستكمال أمر الآخرة. ولما الوحدة والعزلة فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عليكم بالعزلة فإنها عبادة" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن من جلس بيته" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الناس رجل اعتزل يكف الناس شره" وفي بعض الألفاظ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الغريب هو الذي يفر بدبته" وعن بعض السلف أنه قال: "هذا زمان السكوت ولزوم البيوت، وهو بشر الحافي. وقيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما تفرّد في قصر بالعقيق: تركت أسواق الناس وجمالس الإخوان ونخيل، فقال: رأيت أسواقهم لأخيه وجمالسهم لأخيه، فوجدت الاعتزال فيها هناك عافية. قال وحيد بن الرزدي رحمه الله: خالطت الناس حين سنة، فما وجدت رجلاً غفراً ذلة ولا مسترلى عورة ولا أمتة إذا غضب، وما وجدت منهم إلا من يركب هواه. وعن الشعبي رحمه الله أنه قال: تعاشر الناس بالدين زماناً طويلاً حتى ذهب الدين، ثم تعاشرُوا بالرومة حتى ذهبت الرومة، ثم تعاشرُوا بالحياة حتى ذهب الحياة، ثم تعاشرُوا بالرفقة والرفقة، وأظن أنه سيجيء بعد هذا ما هو أشد منه. وقال الحكميم: العبادة عشرة أجزاء: تسعة في الصمت، وواحدة في العزلة، فلو دمت نفسي على الصمت فلم أفكر عليه، فصرت إلى العزلة لجمعت في التسعة. وكان يقول: لا شيء أعظم من القبر، ولا آس من الكتاب، ولا

ولا أسلم من الوحدة . وقال بشر بن الحارث رحمه الله : إنما يطلب العلم ليهرب من الدنيا لا لطلب به الدنيا . وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قيل يا رسول الله أتى جلسائنا غير ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من ذكركم الله تعالى وزيته وذكركم الآخرة علمه ، وزاد في علمكم منقلبه . وكان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : يا معشر الجوارين تحيوا إلى الله عز وجل ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إلى الله تعالى بالتباعد عنهم ، وانقصوا رضاه بسخطهم ، وإن كان لابد من مخالطة فلتنكح للعلماء ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مجالسة العلماء عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم : أكرم قلبك التفكير وجسدك التصبر وعينك البكاء ، ولا تهتم أرزق غد فإن ذلك خطبة تكذب عليك ، وأكرم المساجد فإن عمار بيت الله تعالى هم أهل الله عز وجل . وقال صلى الله عليه وسلم : من أكثر الاختلاف إلى المساجد أصاب أذى مستغفرا ، وروحته منتظرة وكلمته تدل على هدى وتغشى تصرف عن الردى ، وعلما مستظرفا ، وترك الذنوب حبا وخشية ، ولو اعتزل الإنسان مهما اعتزل لم يكن متسما في الشرع اعتزالا عن الجمعة والجماعات ، فلا يجوز له تركها في الجمعة ، فإنه يكفر بمداومته على ترك الجمعة لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من ترك الجمعة ثلاثا من غير طبع طبع الله تعالى على قلبه . وفي حديث جابر رضي الله عنه : وواعلموا أن الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا في شهرى هذا وفي عاصى هذا إلى يوم القيامة ، من تركها وله إمام عادل أو جائر استغفانا بها أو جحوقا لها ، فلا جمع الله له غنمه ، ولا أتم له أمره ، ألا لاصلاة له ، ألا لآزكاة له ، ألا لاصح له ، ألا لاصوم له إلا أن يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه . لأن في تركها استهانة بمبادئ الله عز وجل ، وهو قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) ومن استهان بالله تعالى ومبادئه يكفر ، فعليه التوبة وتجديد الإسلام ويتوب الله على من تاب ، فلا يجوز تركها إلا لعذر يبيحه الشرع ، كما قيل : غدا عن الناس جانيا غير طاعن عليهم ولا تارك لجماعتهم ، فليجهد المراءى في الاعتزال عن الناس ما استطاع ، إلا بمن يكون عونا له في أمر دينه ، لأن الكلب إنما يجرى بين اثنين ، والفجور بين اثنين ، وقتل النفس بين اثنين ، وقطع المال بين اثنين ، والسلامة من ذلك في الاعتزال .

(فصل : في آداب السفر والصحبة فيه) وإذا أراد سفرا أو حجا أو غزوا أو نحوها من دار إلى دار أو طلب حاجة ، فليصل ركعتين ثم يطلب حاجته ، أو يتحجر . وأما في السفر فليقل على رأس الركعتين : اللهم بلغ بلاغا مبلغ خير ومغفرة منك ورضوانا ، بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير . اللهم أنت صاحب في السفر والخلقة في الأهل والمال والولد ، اللهم مؤن علينا السفر واطمئنا اليك ، اللهم إني أعوذ بك من عتاه السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والولد والمال ، ويتحجر أن يكون ذلك بكرة خميس أو سبت أو اثنين ، وإذا استوى على راحلته قال (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وإذا رجع من السفر صلى ركعتين ، وقال : آميئون ثابثون عابدون لربنا حامدون ، لأنه روى

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل ، وإذا خرج فلا يكن قائماً للناس إذا وجد من يتردهم ، ولا يشير عليهم بمثلزل يترلوها إذا وجد من يكتفي ذلك ، وعليه بالصمت وحسن الصلابة ، وكثرة النعمة لإخوانه ، وإياه والقبيل والقال ، ولا ينزل على الطريق ، ولا على ماء ، فإنه مأوى الحيات والسباع بل يلتجئ عنه ، ولا يعرض على الطريق فإنه مكروه . وينبغي أن يكون سفره على لسان المرفة ، ويخرج من أوصافه للحمومة إلى صفاته الحميدة ، فيخرج من هراء إلى طلب رضا مولاه بتصحيح تقواه ، فأول ما يجب عليه إذا أراد أن يسافر من بلده ، أن يرضى خصومه ، وأن يرضى والديه ومن يكون في حكمهما من الأجداد والحالات ، ويخلف لبعائه من مجونهم في مدة سفره ، أو يصحبهم ويحلمهم معه ، وينبغي أن يكون سفره لطاعة من الطاعات كالحج أو زيارة النبي صلى الله عليه وسلم أو زيارة شيخ أو موضع من هذه المواضع الشريفة ، أو المباح كالتجارة ، أو العلم بعد أحكام علوم العبادات الخمس ، لأن علمها أربعة وما وراءها مباح ، وفيه فضل ، وقيل فرض على الكفاية ، وينبغي أن يعاشر أصحابه في سفره بحسن الخلق وحسن المداراة وترك المخالفة واللجاج في جميع الأشياء ، ويشغل بقلته أصحابه في السفر ، ولا يستخدم أحداً إلا عند الضرورة ، ويجهد أبداً أن يكون في سفره على الطهارة . ومن آداب الصلابة أن يقف مع صاحبه إذا عبي ، ويسقيه الماء إذا عطش ، ويرفق به إذا ضجر ، ويداريه إذا غضب ، ويحفظه ورحله إذا نام ، ويؤثره إذا قلّ الثراء ، ويواسيه بما يفتح له ، ولا يتقرب به دونه ، ولا يكتسه سرّاً ، ولا يقضي له سرّاً ، ولا يستظهره إلا بحسب ، ويردّ غيبته ، ويحسن ذكره عند الرفقة ولا يهينهم عندهم ، ولا يشكو منه إليهم ، ويتحمل منه أذاه ، وينصحه إذا شاوره ، ويسأل عن اسمه وبلده ونسبه ، وإن كان أرفع منه منزلة ، ويظهر الرفقة أنه تابع له ، وإن كان هو المشيوع ، والأوضح للابعد حبيب نفسه على طريق النصيح له لأجل طريق التوبيخ والتعنيف . وينبغي أن يعود من كل شيء بخافه ، وعند ما يحلّ بموضع أو ينزل بمثل أو يجلس في مكان أو ينال فيه بأن يقول : أعوذ بالله وبكلماته الثمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، ويأجاء الله الحسنى كلها ، ما علمت منها وما لم أعلم ، من شرّ ما خلقت وذراً وبراً ، ومن شرّ ما ينزل من السماء وما يمرج فيها ، ومن شرّ ما نثر في الأرض ومن شرّ ما يخرج منها ، ومن خسة الليل والنهار ، ومن طارق الليل والنهار إلا طارفاً يطرُق منك بخير يا أرحم الراحمين ، ومن كلّ دابة ربي أخذ بتاصيتها ، إن ربي على تعراط مستقيم ، ولا يتخذ في الركاب الأجراس ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنه مع كل جرس شيطان . وقال صلى الله عليه وسلم : إن اللاتكة لا تصحب رفقة فيها جرس . ويستحب أن يصحب في سفره عصا ، ويجهد أن لا يخلو منها ، لما روى ميمون بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إيساك العصا سنة الأنبياء وعلامة المؤمنين . وقال الحسن البصري رحمه الله : في العصا ست خصال : سنة الأنبياء ، وزي الصالحين ، وسلاح على الأعداء ، يعني الحية والكلب وغير ذلك ، وعود الضعفاء ، ورغم المنافقين ، وزيادة في الحسنات . ويقال إذا كان مع المؤمن

العصا حرب الشيطان منه ، ومخشع منه المناق و الفاجر ، وتكون قبلته إذا صلى وتورته إذا أحيى ، وفيها منافع كثيرة كما قال الله في قصة موسى عليه السلام (هي عصا أتوكأ عليها وأمنش بها حل غننى ولى فيها مآرب أغرى) .

(فصل) ولا يجوز غصاء شيء من الحيوان والعبد ، نص عليه الإمام أحمد في رواية حرب وأبي طالب ، وكذلك السمة في الوجه على ما نقل أبو طالب عنه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى أن يخصى كل ذي نسل من البهائم » في حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وفي حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم « نهى عن الوسم في الوجه ، وورخص فيه في الأذن » وإن كان لابد من الوسم لأجل العلامة ليعرفوا البهائم حين الاختلاط جاز في غير الوجه كالأقدام والأسمنة .

(فصل) ولا يجوز فعل شيء من المستفورات في المساجد ، ويكره العمل فيها كانخباطة والحرازة والبيع والشراء وما أشبه ذلك ، ويكره رفع الأصوات ، إلا يذبح الله تعالى . والنعامة في المسجد خطيئة ، وكفارتها دفن . ويكره زخرفة المساجد بالزويق والتلوين ، ولا بأس بتجصيصها وتطعيمها ، ويكره اتخاذها بيتاً ومقاماً إلا القريب أو المشكك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أنزل وفد بني عبد قيس وروى ثقيف في المسجد ، ولا بأس بإنشاد الشعر والنصائد فيها الخالية من السخف والمجد للمسلمين والأول صحتها إلا أن تكون من الزهديات المرفقات المشوقات الميكيات ، فيجوز الإكثار منها ، والأول من ذلك القرآن والتسبيح لأن المساجد وضعت لذكر الله تعالى والصلاة ، فينبغي أن لا يحل سوى ذلك ، ويكره نقل تراب المسجد . وأما ما حصل فيه من المزابل والكناسة فيستحب إخراج ذلك وفيه فضل كثير ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك مهر الخور العين ، ويكره تمكين الصبيان والمجانين من دخوله ، ولا بأس بعبور الجنب فيه وتمتع الخائض لأنه لا يؤمن من تلويث المسجد ، وإذا دعت الضرورة للجنب جاز له أن يتوضأ ويلبث في المسجد إلى حين يقتدر على الغسل ، والأول أن يتيمم للجنباء مع ذلك أيضاً ، وكذلك إذا لم يجد الماء إلا في بئر المسجد تيمم بجوازه إلى البئر ، ثم يغتسل إذا وصل إليها .

(فصل : في الأصوات) فما كان منها من إنشاد الأشعار الشعرية من الملاحى على ضربين : مباح ، ومحظور . فالمباح : ما لا يخف فيه . والمحظور : ما كان فيه خشف . فلما ما ينضم إلى الملاحى فيحظور ، سواء خلا عن السخف أو قارن السخف ، إلا أنه إذا قارنه خشف حصل الحظر للملئين . وتكره قراءة القرآن بالألحان المشبهة بصوت الأغاني المألوفة إعظاماً لها وتزجيها ، لأن الغالب من ذلك إخراج الكلام عن سنته وإسقاط الإطالة والميز في موضعه وإحالة المقصور وقصر الممدود وإدغام الحروف ، ولأن نغمة القرآن خشية الله عز وجل ، والتحذير عند سماع مواظله والاعتبار ببراعته وقصصه وأمثاله والتشوق إلى وعده ، وذلك يزول بطيب سماعه ، قال الله عز وجل (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته

زادتهم إيماناً وعملٌ بهم يتوكلون) وقال تعالى (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ القرآن) وقوله جلّ وعلا (اليدبروا آياته) وقوله تعالى (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ) والأحسان المطرية تحول بين ذلك، فكثره لأجل ذلك، ولا يسافر بالصصحف إلى أهل الحرب حتى لا ينالوا منه ويستخفوا بحرمته ولا يستمع إلى أصوات الأجنبية من شواب النساء، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التصحيح للرجال والتصفيق للنساء» هذا إذا غاب المصلّي نائب في صلواته فكيف بالشعر والنزل والأمور المهيجة لطباع الناس من ذكر صفات العشاق والمثوقين ودقائق صفات الحبة والميل والصفات المشتهيات التي تشوق النفس إلى جماعها، فنهج دواعي السامع وتثير طبعه إلى الحارم، فلا يجوز لأحد سماع ذلك، وإن قال قائل: إني أسمعها على معانٍ أسلم فيها عند الله تعالى كذبياته، لأن الشرع لم يفرق بين ذلك، ولو جاز لأحد جاز للأتنياء عليهم السلام، ولو كان ذلك علماً لأجزنا سماع القيان لمن يدعي أنه لا يطهره، وشرب المسكر لمن ادّعى أنه لا يسكره، فإن قال: عاذني أني متى شربت الخمر كففت عن الحرام لم يبع له، ولو قال: عاذني إذا شهدت المردان والأجنبيات وخلوت بهم اعتبرت في حسنهم لم يخرجه ذلك، بل نقول: ترك ذلك واجب، والاعتذار بغير المحرمات أكثر من ذلك، وإنما هذه طريقة من أراد الحرام بطريق الله عز وجل: فيركب هواء، فلا تسلم لأصحابها ولا تلتصق إليهم، قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْكَلٍ وَكُلِّ مَسْكَنٍ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُمْ خَبَثٌ يَأْكُلُهَا الشَّيْطَانُ وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنْ ذَلِكَ لَكُنَّ مِنَ الْكَافِرِينَ) (نور) فكان مكاتباً للقرآن، وبكره التلبس بالثيابة، فأما الكيكة على الميت فغير مكروه.

(فصل: في الإذن في قتل الحيوان، ما يباح منه وما لا يباح) فمن رأى شيئاً من الحيات في منزله فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له فليقتله. وأما في الصحارى فيجوز قتله من غير إذن، وكذلك الأهر وهو قصير اللب، وذو الطفتين التي في ظهره خط أسود، وقيل له شعران سودوان بين عيبيه فإنه يقتله بلا إذن. وصفة الإهذان أن يقول: امض بسلام لا تؤذنا، قد جاء في ذلك «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن حيات البيوت فقال: إذا رأيتم شيئاً من حيات في مساكنكم قتلوا: أنشدكم العهد الذي أخذته عليكم نوح، أنشدكم العهد الذي أخذته عليكم سليمان أن لا تؤذونا، فإن عدن فاقبلوه» وما روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أطلقوا الحيات كلهن، فمن خاف ثأرهن فليس مني» وفي حديث سالم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أطلقوا الحيات وذو الطفتين والأهر، فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الجبل» قال: وكان عبد الله رضي الله عنه يقتل كل حية وجدعا، فأبصره أبو لبابة رضي الله عنه وهو يطارد حية فقال: إنه قد نهى عن ذوات البيوت. والأصل في النهي عن ذوات البيوت ما روى عن أبي السائب قال: أتيت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، فينا أنا جالس عنده سمعت تحت سريره تحريك شيء، فنظرت فإذا حية، فسمت، فقال أبو سعيد: ما بالك؟ قلت: حية هابنة، قال:

ما ذا تريد ؟ قلت : أقتلها ، فأشار إلى بيت في داره تلقاء بيته ، فقال : إن ابن عم لي كان في هذا البيت ، فلما كان يوم الأحزاب استأذن إلى أهله ، وكان حديث عهد بعرس ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يذهب بسلام ، فأقى داره فوجد امرأته قائمة على باب البيت ، فأشار إليها بالرمح ، فقالت : لا تعجل حتى تنتظر ما أخرجني ، فدخل البيت ، فإذا حية منكورة ، فطعن بالرمح ثم خرج بها في الرمح تضطرب ، قال : فلا أدري أيهما كان أسرع موتا الرجل أو الحية ، فأقى قومه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ادع الله تعالى أن يرد صاحبنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : استغفروا لصاحبكم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « إن قرا من الجن أسلموا بالمدينة ، فإذا رأيتم أحدا منهم فاحذروه ثلاث مرث ، ثم إن بقا لكم بعد أن تحلبوه فاقبلوه بعد الثلاث » وروى في بعض الألفاظ « فليؤذنه ثلاثا ، فإن بدا له فليقتله فإنما هو شيطان » . ويحوز قتل الإوز الخ لما روى حمرين سعيد عن أبيه رضى الله عنه قال « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسلم بقتل الوزغ ، ومعه فويسقا » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في أول ضربة سبهين حسنة » يعني من قتلها بأول ضربة كان له ذلك . ويكره قتل الفلّة إلا من أذبة شديدة ، لما روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن ثمة فرصت نيا من الأنبياء فأمر بقرية التل فأحرقت ، فأوحى الله لنفل إليه : أن قرصتك ثمة أملكك أمة من الأمم تسبح » . ويكره قتل الضفدع ، لما روى عن عبد الرحمن بن عثمان « أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ضفدع يجعلها في دواء فبها النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلها » ويكره قتل جميع ما يباح قتله بالنار من القمل والبراغيث والنمل ، لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يمدب بالنار إلا رب النار » ويحوز قتل كل شيء يؤذى من الحيوانات ، وإن لم توجد منه الأذية بعد ما كان مخلوقا على صفة تؤذى ، لأن من طبعه الأذية ، وذلك كالحية التي ذكرنا صفتها والعقرب والكلب العقور والقدرة وغير ذلك ، وكذلك الكلب الأسود البهم لأنه شيطان ، وكل حيوان يبعد إنسان عطشانا أتيب على إسقاؤه الماء ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « في كل كبد حراء أجر » ، هذا إذا لم يكن مؤذيا . ولما المزدى فلا يسقيه ، فإن ذلك تنمية وتكثير للأذية ، وذلك لا يجوز . ولا يجوز اتخاذ الكلب وثريته في داره إلا للحرس أو الصيد أو الماشية وإن كان حقورا فيتركه ، فولا واحدا ، ووجب قتله ليلغ شره عن الناس . وقد ورد في بعض الأحاديث « من اغتنى كلبا ليرصد أوماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان » ولا يجوز تكليف الحيوان البهيمة فوق طاقته في الحمل والحريث والسير ، ومنعه ما يكتفه من العلف ، فإن فعل ذلك أثم . ويكره له إطعامه فوق طاقته ، وإكراهه على أكل ما اتخذه الناس عادة لأجل التسمين ويكره : الأكل من كسب الحجام ، لأن في ذلك دناءة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « كسب الحجام بحيث » وقد حرّم ذلك بعض أصحابنا ، لأن ذلك مروى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، (فصل) « وبزوالدين واجب » قال الله عز وجل (إنا يلقن) عندك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لما آت ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) وقال تعالى (وصاحبهما في الدنيا معروفا)

وقال جل وعلا (أن اشكركم ولوالديك إلى المصير) وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « من أصبح مسطحاً لوالديه أصبح وله بابان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى مسطحاً لوالديه أمسى وله بابان مفتوحان إلى النار ، وإن كان واحداً فواحداً ، وإن ظلماء وإن ظلماء » وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رضا الرب في رضا الوالدين ، وسخطه في سخط الوالدين » وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد الجهاد ، فقال : ألك أبوان ؟ قال : نعم ، قال : صلى الله عليه وسلم : ففيهما فجاجدة وصفة البر أن تكفيهما ما يحتاجان إليه وتكف عنهما الأذى وتدارييهما مداراة الصغير ، ولا تنفجر منهما ولا من حوائجهما وتجعل خدمتهما بدلاً من كثير نوافلك من الصلاة ، والصيام وتستغفرهما تحب صلواتك ، ولا تنزعهما إلى القرب وتضلل أئامهما ، ولا تهل صوتك على أصواتهما ، ولا تحالفتكما فيما لا يكون فيه غرق للشرع ، معناه : لا يكون في ذلك ترك الفرائض كحججة الإسلام ، والصلوات الخمس والزكاة والكفارة والنذر ، وأن لا يكون في ذلك ارتكاب المحرم من أنواع المناهي من الزنا وشرب الخمر والقتل والقتل وأخذ المال كالغصب والسرقة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى » وقد قال تعالى (وإن جاءكك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) فهذا الحديث والآية عام في ترك طاعة كل من أمر بمعصية الله أو ترك طاعته ، ومذكور ذلك عن الإمام أحمد في رواية أبي طالب في الرجل الذي نهى أبواه عن الصلاة في الجماعة ، فقال ليس لها طاعة في ترك الفرض . وأما التوافق فيجوز تركها لطاعتها ، بل الأفضل طاعتها ، ومن البر لها أن تصل من وصلها ، وتهجر من هجرها ، وتغضب لما كاد تغضب لنفسك في الموت والحياة ، وإذا نار طبعك في الغضب عليهما فاذكر تر بينهما وسهرهما وإشغالهما وتبهما ، وقول الله تعالى (وقل لها قولاً كريماً) فإن لم تردعك الرحمة لها ، فاعلم أنك محروم مسخوط عليك ، فنب إلى الله تعالى إذا سكن غضبك إن كنت خالفت أمره فيها ، ولا تسافر سفراً ليس بواجب عليك إلا بامرهما ، ولا تغز إلا لأن يتعين عليك إلا بإذنها ، ولا تنفجعهما بنفسك ، وقد نهى غيرك أن ينجعهما بك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله المخرق بين الوالدة وولدها » وإن غفرت بطعام أو شراب فعليك بإظهارهما بأطيبه ، فطالما كرك ، وجاعاً وأشبعك ، وسيراً وتوأمك ، ترشد بملك إن شاء الله تعالى .

(فصل : فيما ينتحب من الكنى والأسماء وما يكره منها) يمنع الإنسان أن يسمى ولده ويكنه باسم النبي صلى الله عليه وسلم دون كنيته ، ويجوز لإفراد أسديهما عن الآخر : وقد روى عن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرى كراهة في الجملة ، يعني الجمع والإفراد ، وروى عنه الجواز في الجملة . والدليل على جواز التسمية باسم النبي صلى الله عليه وسلم دون كنيته ، ما روى أنس بن مالك وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « سموا باسمي ولا تكفوا بكينى » : والدليل على جواز الجمع بينهما ، ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها

قالت : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله اني ولدت غلاما فسميه همدا وكنيته باني القاسم ، فذكر لي انك تكبره ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما الذي أحل اسمي وحرم كنييتي ، فوما الذي حرم كنييتي وأحل اسمي ؟ . ويكره من الكني أبو يحيى وأبو عيسى ويكره أن يسمى عبده بأفلق ونجاح ويسار ونافع ورباح وبركة وبيرة وحزن وعاصية لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لن عشت لأهين أن تسمى للعبد يسارا أو بركة أو ربحا أو نجاحا أو أفلق» . ويكره من الألقاب والأسماء ما يولّى أسماء الله تعالى ، كالكالم الملك وشاهنشاه وما شاكل ذلك ، لأن ذلك عادة الفرس ويكره التسمي بالأسماء التي لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى ، كقنوس وإله وخالق ومهيمن ، قال الله تعالى (وجعلوا لله شركاء قل سمعوا) قال بعض المفسرين : قل سمعوا بأسمائي ، فانظروا ذلك هل تليق بهم ؟ ويحرم على كل واحد أن يلقب أخاه أو عبده بلقب يكره ، لأن الله تعالى ينهى عن ذلك ، فقال عز وجل (ولا تنازروا بالألقاب) وسماه فسوقا ، ويستحب أن تدعو أخاك بأحب أسماء إليه .

(فصل) ويستحب لمن غضب إن كان قائما أن يجلس ، وإن كان جالسا أن يضطجع (وإن سئ الماء البارد سكن غضبه ، لما روي الحسن رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن الغضب جرة تتوقد في قلب ابن آدم ، فإذا وجد أحدكم ذلك فإن كان قائما فليقع ، وإن كان قاعدا فليتكئ» . ويكره أن يجلس الرجل بين قوم وهم في سرّ بغير إزارهم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك . ويكره الجلوس بين الظل والشمس . ويكره أن يتكئ على يده اليسرى ، والاضطجاع بين الجلوس ، وإذا قام من مجلسه يستحب له أن يقول كفارة المجلس : سبحانك اللهم وعمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . ويكره المشي بالنعل في القابر ، ويستحب لمن دخلها أن يقول : اللهم رب هذه الأجساد اليالية والمعظام الخشيرة ، التي خرجت من دار الدنيا وهي بك مؤمنة ، صل على محمد وعلى آل محمد ، وأنزل عليهم روحا منك وسلاما مني ، ويقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإذا إن شاء الله بهم لاحقون . لأنه مروى أيضا ، وإذا زار قبرا لا يفضع يده عليه ولا يقبله فإنه عادة اليهود ولا يقعد عليه ولا يتكئ عليه ولا يدومسه إلا أن يضطر إلى ذلك كله ، بل يقف عند موضع وقوفه أن لو كان حيا ، ويحترمه كما لو كان حيا ، ويقرا إحدى عشرة مرة : قل هو الله أحد . وغيرها من القرآن ، ويهدي ثواب ذلك لصاحب القبر ، وهو أن يقول : اللهم إن كنت قد أثبتني على قراءة هذه السورة فإنني قد أعدت ثوابها لصاحب هذا القبر ، ثم يسأل الله حاجته ، ولا يكسر عظما ولا يدومسه ، فإن كان الجني إلى ذلك واضطّر فليستغفر لصاحب القبر : ويكره الطيرة ، ولا بأس بالفتاوى ، ويستحب التواضع لكل واحد من المسلمين ، ويستحب توير الشيوخ ورحمة الأطفال والعفر عنهم ، ولا يترك تأديبهم .

(فصل) ويجوز أن يقول الرجل لغيره : صلى الله عليك وصلى الله على فلان بن فلان ،

فصل في ما يكره

زيادة في القبر

لأن علياً رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه : صلى الله عليك ، والنبى صلى الله عليه وسلم قال « اللهم صلى على آل أبى لؤى » .

(فصل) ونكره مصافحة أهل القعة ، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصافحوا أهل القعة » .

(فصل) والأدب في الدعاء أن يمدّ يديه ، ويحمد الله تعالى ، ويصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته ، ولا ينظر إلى السماء في حال دعائه ، وإذا فرغ مسح يديه على وجهه ، لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « سلوا الله بيطون أكفكم » .

(فصل) والتعوذ بالقرآن جائز لقوله عز وجل (فاستمد بالله من الشيطان الرجيم) وقوله تعالى (قل أعوذ بربّ الفلق) ، (قل أعوذ بربّ الناس) وما روى « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى شيئاً قرأ على نفسه الموءذتين وقت » وكان صلى الله عليه وسلم يقول

« أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته التامات من شرّ ما خلق وذواً وبرا ، ومن شرّ كل دابة ، ربي أخذ بتخصيتها » . وكذلك الرقية بالقرآن وبأسمائه الحسنى جائزة لقوله عز وجل (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) قال النبى صلى الله عليه وسلم « استرقوا لما فاته لو سبق القدر شيء لسبقه العين » ويريد به صلى الله عليه وسلم في حق الحسن والحسين رضي الله عنهما .

(فصل) ويكتب للمحسوم ويعلق عليه ما روى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : حمت فكعب لي من الحصى : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله وبالله ، حمد رسول الله ، يا تاركوني برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخصرين ، اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك يا أرحم الراحمين .

(فصل) وقد قال بعض أصحابنا : يكتب للممصرة إذا عسرت عليها الولادة في جام أو آنية نظيفة : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الكريم ، سبحان الله ربّ العرش العظيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاخ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ؟ ثم يخل وتسنّى منه وينفض ما بقى على صدرها . وكذلك تجوز الرقية من القلة وغيرها كالعقارب والحيات والبراغيث والبق لأن النبى صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من كل ذي حة ، وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يمسي ثلاث مرات : صلى الله على نوح وعلى نوح السلام ، لم تلدغه عقرب تلك الليلة » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يمسي ثلاث مرات : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شرّ ما خلق ، لم تضرّه حة تلك الليلة » ويجوز التفتيح في الرقيات ، ويكره التفل .

(فصل) وينسل العاتق وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله وداعل إزاره

في إناؤه ، ثم يصب الماء على الرض ، لما روى أبو أمامة بن سهل بن حنيف رضى الله عنه : أنه كان يقتل فرأه عامر بن ربيعة رضى الله عنه فعجب منه ، فقال : بأفقه ما رأيت كالإمام ولا جلد نحاة في خنصرها ، أو قال : جلد خاة ، فقلع به حتى ما كان يرفع رأسه ، قال : فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل تبهون أحدا ؟ قالوا : لا يا رسول الله إلا أن عامر بن ربيعة قال له كذا وكذا ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عامرا وقال : سبحان الله لم يقتل أحدكم أخاه إذا رأى شيئا يعبه فليدع له بالبركة ، قال : ثم أمره صلى الله عليه وسلم أن يقتل ، فغسل وجهه وظهر كتفيه ومرفقيه ، وغسل صدره وداخل إزاره وربطه وقدمه في الإناؤه فطاهرهما وباطنهما ، ثم أمره فصب على رأسه ، فكفى الإناؤه من خلفه حبيته قال : فأمره فحسا منه حصات ، فراح مع الركب . وإن اغتسل غسلا كاملا ثم صب الماء على العين كان أكمل .

(فصل) والتهاليج في الأمراض جائر بالمجامة والنفد والكنى وشرب الأدوية والأشربة وقطع المروق والبط ، وقطع العضو عند وقوع الأكلة فيه وخوف التمدد إلى بقية البدن ، وقطع الجواسير وكل ما فيه صلاح للجسد ، لما روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وشاور قطيب ، فقال للطينين : إنما رأيكم طب ، فقالوا : يا رسول الله هل في الطب غير ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إن الذي أنزل الله الداء أنزل الدواء » وسئل الإمام أحمد عن الكنى فقال : الأعراب قد فعله ، وقد كوى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد فعله الصحابة رضى الله عنهم . وقال في موضع آخر : قطع عمران بن حصين رضى الله عنهما عرق النساء . وعن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرى : كراهية ذلك . وأما التداوى بمحرم كالخمر والسم واليئة وثى . نجس فغير جائز ، وكذلك بلين الأنان الأهلية ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما جعل شفاء أمي فيها حرم عليها » والحفنة مكروهة إلا عند الضرورة ، ولا يجوز القبول من الطاعون ، وإن كان خارجا من البلد لا يقدم عليه ثلثا يكون حوتا على هلاك نفسه .

(فصل) ولا يخلو بامرأة ليست منه بمحرم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نبى عن ذلك وقال : إن الشيطان ثالثهما ، لأن الشيطان يزين لما المعصية . ولا ينظر إلى امرأة شابة إلا بعذر من شهادة أو علاج في المرض ، ويجوز النظر إلى المرأة البرزة المعجوز لعدم الافتتان بها ، ولا يجتمع رجلان ولا امرأتان عريائين في لحاف واحد أو إزار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نبى عن ذلك ، ولأن ذلك يؤدي إلى أن ينظر أحدهما عورة الآخر وذلك منهى عنه ، ولأنه لا يؤمن من ارتكاب معصية بزين الشيطان بذلك .

(فصل) فإن كان له مملوك من ذكر أو أنثى ، وجب عليه الرقاق به ، ولا يكلفه من العمل مالا يطيع ، ويكسوه ويطعمه ويرتجه إن شاء ، ولا يكرهه على ذلك ، فإن قصر في ذلك عصى

وأمر بيعة أو عتقه إن شاء أو يكتابه إن طلب العبد ذلك ، وقد جاء في الحديث أن آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

(فصل) وتكره المسافرة بالصحف إلى أرض العدو لتلا تقاتله أبدى المشركين ، إلا أن يكون للمسلمين قوة ظاهرة والثوكة والغلبة ، فيجوز استصحابه ليقراً فيه لتلا ينسى القرآن .

(فصل) ويستحب إذا نظر في المكة أن يقول : الحمد لله الذي سوى خلقى وأحسن صورى وزان منى ما شان من غيرى ، لأن ذلك مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(فصل) وإذا طنت أذنه يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول « ذكر الله من ذكرى بخير » لأنه مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(فصل) ويقول إذا اشتكى بدنه أو أعضائه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اشتكى منكم شيئا أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء ، قدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحمتك في السماء والأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا يا رب العالمين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع الذى به ، فانه يبرأ بإذن الله تعالى » .

(فصل) وإذا رأى شيئا يظير منه قال : « اللهم لا تأت بالחסنات إلا أنت ، ولا يذهب بالسبب إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » لأنه مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(فصل) ويستحب إذا رأى بيعة أو كنيسة أو سمع صوت شبور أو صوت ناقوس أو رأى جمعا من المشركين واليهود والنصارى أن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهنا واحدا لا نعبد إلا إياه ، فإن ذلك مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « غير الله له يمدد أهل الشرك » ويقول إذا سمع صوت الرعد والصواعق : « اللهم لا تتبنا بغضبك ، ولا تهلكتنا بعقابك ، وعاقبا قبل ذلك » ويقول إذا رأى الريح : « اللهم إني أسألك بخيرها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ومن شر ما أرسلت به » .

(فصل) وإذا دخل السوق قال ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إني أسألك خير هذا السوق وخير ما فيه ، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه ، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها ببئس فاجرة أو صفقة خاسرة ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » وإذا رأى الحلال قال : « اللهم أعله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله عز وجل » .

(فصل) وإذا رأى مبتلى قال : « الحمد لله الذى عاقبى بما ابتلاك به ، وفضلنى عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلا » فإن الله عز وجل يعاقبه من ذلك كل ما كان أبدا ما عاش .

(فصل) يقول الحاج إذا قدم من سفره : « ثبيل الله تسلك وأعظم الله أجرك وأصلف نفقتك » لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول ذلك .

(فصل) وإذا عاد مريضا مسلما ورآه منزا ولا به موت فقال ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الموت قرع ، فلما بلغ أحدكم وفاة صاحبه فليقل : إنا لله وإنا إليه راجعون

وإننا إلى ربنا لنقلبون ، اللهم اكف عنيك في الحسنين ، واجعل كتابه في عليين ، واخلف على عقبه في الآخرين ، ولا تحمونا بأجره ، ولا تقننا بعلمه » ويستحب أيضا أن يشير عليه بالتوبة من الذنوب ، والخروج من الظلم ، والوصية بثلاث حاله للأقرب والفقراء منهم : الذين لا يرثونه ، وإن لم يكونوا فقراء والمساكين والمساجد والمساكين ووجوه البر والخير .

(فصل :) ويقول حين يضع الميت في قبره ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا : بسم الله وعمل ملة رسول الله » ويقول إذا حثا التراب على الميت : « إيماننا بك وتصديقنا برسولك وإيماننا ببعثك » هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، لأن ذلك مروى عن علي رضي الله عنه ، وقال : « من فعل ذلك كان له بكل ذرة من تراب حسنة » .

(فصل : في آداب النكاح) من آداب النكاح أن يكون فيه نية المزوج امتثال أمر الله في قوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) وقوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء منثى وثلاث ورياع) وقوله صلى الله عليه وسلم « تانكحوا تانسلوا فإنى مكاتر بكم الأمم ولو بالسقط » فيعقد وجوب النكاح بهاتين الآيتين والخبر عند عدم خوف الزنا وعند وجوده ، ليخرج من الخلاف في الجملة : لأن النكاح عند أبي داود في رواية الإمام أحمد واجب على الإطلاقي ، فيكون له ثواب المثل لأمر الله عز وجل ، ويعتقد مع ذلك إحرار دينه وتكليفه لقول النبي صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أحرز نصف دينه » وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج البعد فقد استكمل نصف دينه » ويظهر الحسية الأجنبية البكر ، وأن تكون من نساء يعرفن بكثرة الولادة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلخير ابن عبد الله رضي الله عنهما لما أخبره أنه تزوج باليب ، فقال له : « أفلا يكرها تلاحها وتلاعيك ؟ » وإنما شرطنا كثرة الولادة لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « تانكحوا تانسلوا فإنى مكاتر بكم الأمم ولو بالسقط » وفي بعض الأحاديث قال صلى الله عليه وسلم « تزوجوا الولود الودود فإنى مكاتر بكم » وإنما شرطت الأجنبية ولا تكون من أقاربه لتلايق بينهم منافرة وعداوة ، فتؤدي إلى قطع الأرحام الأمور بإيصالها ، ولها منع الشرع الجامع بين الأخنين في عقد النكاح . ولا ينبغي أن يتزوج سليطة اللسان ولا غشقة ولا متواشمة ، فإذا تزوج فليحسن خلقه معها ولا يؤذيها ، ولا يكرها على مهرها فتختلع منه ، ولا يشتم لها أباً ولا أمّاً ، فإن فعل ذلك كان الله ورسوله يريثن منه قال النبي صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم » يعني أسراء . وقد جاء في بعض الآثار : « من تزوج امرأة بصدائق ولا يريد أن يؤديه إليها جاء يوم القيامة زانياً » فإن آذنت امرأة بلسانها وكان في ذلك فساد دينه فليشتر هو نفسه منها ، أو يلبسها إلى الله عز وجل وينهل إليه بالدعاء فإنه يكتفى ، وإن صبر على ذلك كان كافراً في سبيل الله ، وإن طابت هي له بشيء من مالها من غير إكراه فليأكله هنئاً مريئاً . وينبغي أن يجتهد فينظر إلى وجهها ويديها من غير أن يحلوها قبل العقد ، لتلايق يقينه شيء .

فيكرهها فيؤدي إلى طلاقها ومفارقتها من قريب ، وفي ذلك وقوع في المكروه عند الله عز وجل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مباح أبغض إلى الله تعالى من الطلاق » والأصل في ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا قذف الله تعالى في قلب أحدكم غيبة امرأة فلينظر إلى وجهها وكفها ، فإنه أحقر أن يؤدم بينهما » وما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا عطف أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » فخطبت جارية فنكحت أنحيا لما حذى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وتزويجها ذكره أبو داود في سننه . ويتبين أيضا أن تكون من ذوات الدين والعقل ، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » وإنما نص النبي صلى الله عليه وسلم على ذات الدين لأنها تعين الزوج على معيشته وتفتح بالصبر ، والباقيات بوصلته في الوزر والويل ، إلا أن يسلم الله تعالى من ذلك ، وقد فسر أكثر المفسرين قوله عز وجل (فالآن باشروهن وابتهوا ما كتب الله لكم) المباشرة بالجماع ، والابتغاء بالولد أي اطلبوا الولد بالمباشرة ، وكذلك ينبغي للمرأة أن تتوى بذلك تحصيل فرجها والولد والثواب الجزيل عند الله بالصبر عند الزوج وعلى الحليل والولادة وتربية الولد ، لما روى زياد بن ميمون عن أنس رضي الله عنه قال : إن امرأة كان يقال لها الحولاء عطارة من أهل المدينة ، دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين زوجي فلان أترين له كحل ليلة وأنظيب كائن عروس زفت إليه ، فإذا أتوى إلى فراشه دخلت عليه في لحافه وأتست بذلك رضا الله تعالى حول وجهه حتى أراه أبلفضي فقالت : اجلسي حتى يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فيبئنا أنا كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما علمه الربيع حتى أجدها أتكم الحولاء ، هل اجتمعت منها شيئا ؟ قالت عائشة رضي الله عنها : لا والله يا رسول الله ، فنصت الحولاء قصتها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادعيني واسمعي وأطيعي له ، قالت : أفعل يا رسول الله فإني من الأجير ، قال صلى الله عليه وسلم : علم من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئا فوضعت تريد به الإصلاح إلا كتب الله تعالى لها حسنة وعما عنها ستة ورفع لها درجة ، وما من امرأة حلت من زوجها حين تمحل إلا كان لها من الأجر مثل القائم إليه والصابر نهاره والغايز في سبيل الله تعالى ، وما من امرأة طأها طلق إلا كان لها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضة عتق رقبة ، فإذا فطمت ولدها ناداها من السماء : أيها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فاستأثني العمل فيما بقى ، قالت عائشة رضي الله عنها : قد أعطى النساء كثيرا لما بالكم يامعشر الرجال ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ما من رجل أخذ يد امرأته يبرأدها إلا كتب الله تعالى له حسنة ، فإن عاتقها فحشر حسنة ، فإذا أتاها كان خيرا من الدنيا وما فيها ، فإذا قام ليغتسل لم يمر الماء على شعرة من جسده إلا كتب له حسنة وتحجى عنه ستة وترفع له درجة

وما يعطى بنكه خير من الدنيا وما فيها ، وإن الله عز وجل يباهى به الملائكة يقول : انظروا إلى هدى قام في ليلة قرعة يقتل من البتة يتقى بآتي ربه ، اشهدوا بآتي قد غفرت له .
وعن المبارك بن فضالة عن الحسن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالنساء خيرا فلهن عوان عندكم » يعنى مآسورات « لا يمكن لأفئسهن شيئا وإنما أخذنهن بأمانة الله تبارك وتعالى ، واستحلن فروجهن بكلمة الله عز وجل » . وعن عباد بن كثير عن عبد الله بن جبرى عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غيار الرجال من أمي خيارهم لنسائهم ، وخير النساء من أمي خيرهن لأزواجهن ، يرفع لكل امرأة منهن كل يوم وليلة أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محسنين ، وتفضل إحداهن على الحور العين كفضل محمد صلى الله عليه وسلم على آدمي رجل منكم ، وخير النساء من أمي من نأى مسرة زوجها في كل شيء » . يرواه مخرجا معصية الله تعالى .
وعن الرجال من أمي من تطلقت بأهلها لطف الزائدة بولدها ، يكتب لكل رجل منهم كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محسنين ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله وكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد والرجل مائة شهيد ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « أو ما علمت أن المرأة أعظم أجرا من الرجل وأفضل ثوابا ، فإن الله عز وجل يرفع للرجل في الجنة درجات فوق درجاته برضا زوجته عنه ودعائها له ، أو ما علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله المرأة إذا عصت زوجها ، ألا تاتقوا الله في الضعيفين ، فإن الله سائلكم عنهما الإنم والمراة ، فمن أحسن إليهما فقد بلغ إلى الله عز وجل رضوانه ، ومن أساء إليهما فقد استرجب من الله خطه ، وحق الزوجة على الزوج كحق عليكم ، فمن ضيع حتى فقد ضيع حتى الله ، ومن ضيع حتى الله فقد باء بسخط من الله ، وما لوا جهنم ونفس المصير » . وعن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه ، إذ أتت امرأة حتى قامت على رأسه ثم قالت : السلام عليك يا رسول الله ، أنا واقدة النساء إليك ، ليست امرأة يبلغها مسيرى إليك إلا أحجبها ذلك يا رسول الله ، إن الله تعالى رب الرجال ورب النساء وأدم وأبو الرجال وأبو النساء ، وحواء أم الرجال وأم النساء ، فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله قتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون ، وإذا جرحوا فلهم من الأجر مثل ما علمت ، ونحن نجلس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الأجر شيء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أفرئني عن النساء السلام وقولي لمن : إن طاعة الزوج واعتراقا بفتح تملك ما هناك ، وقليل منكن يفعلنه » . وعن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال « حين بعثني النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلن : يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل وبالجهاد في سبيل الله ، فما لنا من عمل نذكرك به عمل المهاجرين في سبيل الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهنة إحداهن في بيئنا تذكرك عمل المهاجرين في سبيل الله » .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل حل لرجل القضاء جهاد ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم جهادهم الغيرة بما عهدن أنفسهم ، فإن صبرن فهن مجاهدات ، فإن رضين فهن مرابطات ، ولعن أجرة النان » فيلقين الزوجين أن يفتضا هذا الثوب المذكور في هذا الحديث وما قبله عند العقد والجماع جميعا ، وأداه الحق الواجب على كل واحد منهما الآخر بقوله عز وجل (ولعن مثل الذي عليهن) ليكونا مطيعين لله تعالى منتظين أمره ، ونعتقد المرأة أن ذلك خير لها من الجهاد والفرو ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس شيء خيرا لامرأة من زوجها أو غير » وقال صلى الله عليه وسلم : « مسكين مسكين مسكين رجل ليست له امرأة ، قيل : يا رسول الله وإن كان غنيا من المال ؟ قال : وإن كان غنيا من المال » وقال أيضا : « مسكين مسكين مسكين امرأة ليس لها زوج » قيل : يا رسول الله وإن كانت غنية من المال ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « وإن كانت غنية من المال » . ويستحب أن يكون العقد يوم الجمعة أو الخميس ، والنساء أولى من التكبير . ويسن أن تكون الخطبة قبل التراجع ، فإن أخرت جاز ، وهو خير بين أن يفقد النكاح بنفسه أو يترك فيه غيره ، فإذا انعقد العقد يستحب للحاضرين أن يقولوا : بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير وعافية . ثم إن طلبت المرأة وأعطها الإمهال يستحب له إجابتهن إلى ذلك قدر ما يعلم التيسر لكونها فيه وقضاء حوائجها ، من شراء الجواهر والقرين لها ، فإذا زلت إليه اتبع ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وذلك أنه جاء رجل فقال : زلت إلى تزوجت بجمارية بكر وقد غلبت أن تكرهني أو تفركني ، فقال له : إن الإلف من الله والفرك من الشيطان ، وإذا دخلت إليك فرها لتصل خلفك ركعتين وقل : اللهم بارك لي في أهل والفرق بيننا إذا فرقت إلى الخير ، فإذا أراد الجماع فليقل : بسم الله العلي العظيم ، اللهم اجعل فريضة طيبة إن قدرت أن تخرج من صلبى ، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقني وإذا انقضت حاجته فليقل : بسم الله الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ، يقول ذلك في نفسه ، ولا يحرك به شفتيه . والأصل في ذلك ما روى كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا ، ثم إن قدر أن يكون بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا » وإذا ظهرت امرأة حمل المرأة فليصفت غلامها من الحرام والشبهة ليتخلى الولد على أساس لا يكون للشيطان عليه سبيل ، والأولى أن يكون من حين الرفاف ويوم حل ذلك ليتخلص هو وأهله وولده من الشيطان في الدنيا ومن النار في الآخرة قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفسكم وأهلكم تلو) ومع ذلك يخرج الولد سالما ، بارأ برأيه طامعا لربه ، كل ذلك ببركة تصفية الغذاء ، فإذا فرغ من الجماع تنحى عنها وغسل ما به من الأذى ، وتوضأ إن أراد العود إليها ولا اغتسل ، ولا ينام جنباً فإنه مكروه . وكذلك

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إلا أن يشق ذلك عليه » ليرد أو بعد حمام وماء أو خوف ونحو ذلك ، فينام إلى حين زوال ذلك ، ولا يستقبل القبلة عند الجماع ، ويغسل رأسه ويستتر عن العيون وإن كان عن صبي طفل ، لكنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ، فإنه إذا لم يستتر استحييت الملائكة وخرجت ويحشره الشيطان ، وإذا كان بينهما ولد كان الشيطان فيه شريكا » وكذلك يروى عن السلف أنه لم إذا يسم عند الجماع أنف الشيطان على إحليله يظأ كما يظأ . ويستحب له الملاعبة لما قبل الجماع ، والانتظار لما بعد قضاء حاجته حتى تقضى حاجتها ، فإن ترك ذلك مضرة عليها ، وربما أفضى إلى البغضاء والمفارقة وإن أراد العزل عنها فلا يفعل إلا بإذنها إن كانت حرة ، وإذنها سيدها إن كانت أمة ، وإن كانت أمة جاز يهرئ إذهابها لأن الحق له دونها » وقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي جارية هي خادمتنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل ، قال صلى الله عليه وسلم : اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها » ويحجب وطأها في حال الحيض والنفس ، وكذلك بعد انقطاع الدم حتى تغسل من الحيض قولاً واحداً ، وفي النفاس قبل الأربعين استحباباً ، فإن لم تجد الماء فبعد التيمم ، فإن خالف فوطئ فيه تصدق بدinar أو نصف دينار على إحدى الروابطين ، والأخرى يستغفر الله تعالى ويتوب أن يرجع إلى مثله ، ولا يكفر . ويحجب وطأها في الموضع المكروه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ملعون من أتى امرأة في دبرها » فإن لم تنفسه إلى الجماع لا يجوز له تركه لأن لها حقاً في ذلك ، وعليها مضرة في تركه لأن شهوتها أعظم من شهوته . وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فصلت شهوة النساء على الرجال بقسعة وتسعين ، إلا أن الله تعالى أتى عليين الحياء » وقيل : الشهوة عشرة أجزاء ، وتسعة منها للنساء ، وواحدة للرجال . والقدر الذي لا يجوز أن يؤخر الوطأ عنه أربعة أشهر إلا أن يكون له عذر ، فإن جاوز الأربعة الأشهر كان لها فراقه ، وإن سافر عنها مدة أكثر من ستة أشهر فطلبت منه القدوم فأي أن يقدم مع القنطرة ، كان للحاكم أن يفرق بينهما إذا طلبت الزوجة ذلك ؛ وهذا هو التأنيث الذي وثقه عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس في ملازيمهم يسبرون شهراً ويقبضون أربعة أشهر ، ويسبرون راجعين إلى أهلهم شهراً ، وإذا رأى امرأة غيره فأعجبته جامع امرأته ليسكن ما به من التوقان ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله ، فإن الشيطان يقبل في صورة امرأة ويدبر في صورة امرأة » فمن لم تكن له امرأة يلتجئ إلى الله عز وجل ، ويسأله السلامة من المصائب ، ويستعيذ به من الشيطان الرجيم ، ولا يجوز له أن يحدث غيره بما جرى بينه وبين أهله من أمر الجماع ، ولا للمرأة أن تحدث بذلك النساء ، لأن ذلك حيف ودناءة وقبيح في الشرع والعقل ، لما روى أبو هريرة رضى الله عنه في حديث فيه طول عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قال « ثم أقبل على الرجال فقال : هل منكم رجل إذا أتى أهله فاعلق عليه بابه وأتى

عليه ستره واستتر بستر الله ؟ قالوا : نعم ، قال : ثم يجلس بعد ذلك فيقول : فقلت كذا فقلت كذا ، قال : فسكتوا ، قال : فأقبل على النساء ، فقال : هل منكن من تحدث ؟ فسكنن ، فبحث فتاة على إحدى رجليها وتطاولت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليرأها ويسمع كلامها ، فقالت : يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهم ليتحدثن ، فقال : هل تلبسون ما مثل ذلك ، إنما مثل ذلك مثل شيطانة قتيت شيطانا في السكة فقصي منها حاجته والناس ينظرون إليه ، ألا إن طيب الرجال ما ظهر ريعه ولم يظهر لونه ، ألا إن طيب النساء ما ظهر لونه ولم يظهر ريشه .

(فصل) وإذا دعا امرأته للجماع فأبى عليه كانت عاصية لله تعالى وعليها وزر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فأبى امرأة منعت زوجها حاجته عليها كان عليها قيراطان من الإصر ، وأبى لرجل منع زوجته حاجتها كان عليه من الإصر قيراط ، يعني الإثم وفي بعض الأحاديث قال صلى الله عليه وسلم : إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه ففاته وإن كانت على الثور ، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تثم فبات غضبان عليها لعنها الملائكة حتى تصبح . وعن قيس ابن سعد رضي الله عنه قال : أثبت الخيرة فرايتهم يسجلون لمرزبان لهم ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أنت أحق أن يسجد لك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرايت لو مررت بقبري أكنت تسجد له ؟ قال : قلت لا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فلا تفعلوا ذلك إذا ، وقال صلى الله عليه وسلم : لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله تعالى لهم عليهن من الحقوق ، والمرزبان هو ملكهم وعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسبت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح الوجه ولا تهجر إلا في البيت ، فإن أصرت المرأة على التشويز وهو الامتناع عن الإجابة لهذا الشأن ، أو نجيه متكررة متبرئة فليبدأ الزوج برحمتها وتخويلها بالله عز وجل ، فإن أقامت على ذلك هجرها في المصحح والكلام فيها دون ثلاثة أيام ، فإن ارتدعت وإلا كان له ضربها بما لا يكون مبرسا كالقوة أو غرقا ، لأن المصمود ارتداعها وطاعها له لا إهلاكها ، فإن لم يتصلح الحال بينهما بحث الحاكم حكيم حرمين مسلمين عدلين من أهلها ويؤكداهما الزوجان فينظران بينهما ما فيه من المصلحة من إصلاح أو غرقا بما وغيره ، فما يفعلان يلزمهما حكمه .

(فصل) ويستحب ليلة العرس والبسة أن لا يتنصص فيها عن شاة ، وبأى شيء أوم من الطعام جاز ، ونجيب إجابته إذا كان مسلما في اليوم الأول ، ويستحب في اليوم الثاني ، ويباح في اليوم الثالث ، بل هي دافعة . والأصل في ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبد الرحمن رضي الله عنه : أوم ولو بشاة ، وقال صلى الله عليه وسلم : الواجبة في أول يوم

اللہ العزیز الغفار ، بہت محمداً صلی اللہ علیہ وسلم بالحق نیا صبیحا، بریا من العادات کلبا ،
فلعل ما أرسل بہ ، سراجا زاهرا ونورا ساطعا وبرهانا لامعا ، صلی اللہ علیہ وسلم وحی آلہ
لجمعین . ثم إن هذه الأمور كلها ید اللہ یصرّفها فی طرائقها وعصیبا فی حقائقها ، لا یقدم لما
أضر ولا مؤخر لما قدم ، ولا یجتمع اثنان إلا بقضائه وقدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ،
ولکل أجل کتاب (بحوالہ ما یشاء ویثبت وعنده أم الكتاب) . وكان من قضاء اللہ وقدره أن
فلان بن فلان یطلب کمریتکم ثلاثہ بنت فلان ، وقد أناکم راغیا فیکم خاطبا کمریتکم ، وقد
بدل لما من الصداق ما وقع علیہ الاتفاق ، فزوجوا خاطبیکم وأنکحوا راغبیکم ، قال اللہ تعالیٰ
(وأنکحوا الأيامی منکم والصالحین من عبادکم وإمائکم ، إن یکونوا قراء فترہم اللہ من فضله)
واللہ واسع علیم) فإذا فرغ من الخطبة عقد النکاح علی ما قدما ذکرہ .

باب فی الأمر بالمعروف والنہی عن المنکر

وقد ذکر اللہ عز وجل الأمرین بالمعروف والنہی عن المنکر وعلیہم فی کتابہ قال اللہ عز
وجل (الأمر بالمعروف والنہی عن المنکر والحافظون لحدود اللہ) وقال اللہ تعالیٰ (کنتم
خیر أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ونہون عن المنکر وتؤتون باللہ) وقال تعالیٰ
(والمؤمنون ولؤلمات بعضهم أولیاء بعض بالمعروف ونہون عن المنکر) وروی عن
النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال « لتأمرن بالمعروف وتنہون عن المنکر ، أولیسلطن اللہ تعالیٰ
شرارکم علی خیارکم فیدعو خیارکم فلا یستجاب لکم » وروی سالم بن عبد اللہ بن عمر عن أبیہ
رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « مروا بالمعروف ونہوا عن المنکر قبل
أن تدعوا فلا یستجاب لکم ، وقبل أن تستغفروا فلا یغفر لکم ، ألا إن الأمر بالمعروف والنہی
عن المنکر لا یبلغ رزقا ولا یقرّب أجلا ، ألا إن الأحبار من البرود والرهبان من النصارى
لما ترکوا الأمر بالمعروف والنہی عن المنکر لعنہم اللہ علی لسان أنبیائہم ، ثم صمّوا بالیلاء »
والأمر بالمعروف والنہی عن المنکر واجبان علی کل مسلم حرّ مکلف عالم بذلك ، بشرط
القدرة علی وجہ لا یرتدّی إلى فساد عظیم وضرر فی نفسه ومالہ وأعلہ . ولا فرق بین أن یکون
إماما أو عادلا أو قاصدا أو واحدا من الرعية : وإنما شرطنا العلم بالمنکر والقطع بہ لما فی ذلك
من خوف الوقوع فی الذم ، لأنہ لا یلزم المنکر أن یکون الأمر بخلاف ما خلن . وقد قال اللہ
عز وجل (یا أیہ الذین آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) . ولا یجب علی کشف
ما ستر عنہ ، لأن اللہ تعالیٰ نہی عن ذلك فقال (ولا تجسسوا) إنما الواجب علی إنکار ما ظہر ،
وفی بحث ما ستر کشف الستر ، وذلك ممنوع منه فی الشرع .

(فصل) وإنما شرطنا القدرة علی ذلك ، لما روى أن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال « ما من
قوم یکون فیہم رجل یمعل المعاصی ویقلدون أن ینہروا علیہ فلا ینہروا علیہ إلا عہم اللہ
بعذاب قبل أن ینہروا » فقد شرط رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ذلك وجہ إذا كانت العلة

لأهل الصلاح وعدل السلطان وأعاناه أهل الخير . ولما إذا كان الإنكار تعريفاً بالفساد مع لحوق ضرره وبما فلا يجب عليه ذلك لقوله عز وجل (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وقوله تعالى (ولا تنظروا أنفسكم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي المؤمن أن يذل نفسه ، قيل يا رسول الله كيف يذل نفسه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا يتعريض لما لا يمكنه ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا رمت أمراً لاستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله تعالى هو الذي يغيره ، فإذا ثبت أنه لا يجب عليه الإنكار قول يجوز إنكاره إذا غلب على غلبه الخوف على نفسه ؛ فعندما يجوز ذلك وهو الأفضل إذا كان من أهل العزيمة والصبر فهو كالجهاد في سبيل الله مع الكفار ، وقد قال الله تعالى في قصة لقمان (وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأصبر على ما أصابك) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه : يا أبا هريرة مر بالمعروف ونهى عن المنكر وأصبر على ما أصابك ، ولأنه إذا كان ذلك عند سلطان جائر أو لإظهار كلمة الإيمان عند ظهور كلمة الكفر ، لأن التقهات انتفروا على ذلك وإنما الخلاف بيننا وبينهم في غير هذين الموضوعين :

(فصل) فإذا ثبت وجوب الإنكار ، فالمشكرون ثلاثة أقسام : قسم يكون إنكارهم باليد ، وهم الأئمة والسلاطين . والقسم الثاني إنكارهم باللسان دون اليد ، وهم العلماء . والقسم الثالث إنكارهم بالقلب ، وهم العامة : وقد جاء في هذا المعنى حديث ، وهو ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا رأى أحد منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان ، يعني أضعف فعل الإيمان . وقد روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال : إذا رأى أحد منكم منكراً فليستطع التكبير عليه فليقل ثلاث مرات : اللهم إن هذا منك ، فإذا قال ذلك كان له ثواب من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

(فصل) وإذا غلب على غلبه عدم زوال المنكر وبقائه على ذلك لم يلزم عليه الإنكار أم لا ؟ رواه ابن عثيمين عن الإمام أحمد رحمه الله : إجماعاً يجب بلواً أن يرتدع ويترجم ويرق قلبه ويلحقه التوفيق والقناعة ببركة صلته فيرجع عما هو عليه ، والظن لا يمنع من جواز إنكاره ، والرواية الأخرى لا يجب عليه إنكاره حتى يغلب على غلبه زواله ، لأن المقصد بالإنكار زوال المنكر ، فإذا قوى في الظن ببقائه كان تركه أولى .

(فصل) ويشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خمس شرائط : أولاً أن يكون علماً بما أمر ونهى ، والثاني أن يكون قصده وجه الله وإعزاز دين الله وإعلاء كلمة الله وأمره دون الرياء والسمعة والخشية لنفسه ، وإثماً ينصر ويوقى ويؤول به المنكر إذا كان صادقاً مخلصاً ، قال الله تعالى (إن تصرخوا لله تنصرحوا) وقال الله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم حسنون) فإذا اتى الشرك وترك نظر الخلق في إنكاره وأحسن العدل بإخلاصه في ذلك كان الظفر له ، وإن كان غير ذلك كان له الخللان والصلار والقلقة والمهالة . وبقاء المنكر

على حاله ، بل زيمته ونفاقه وشرارة أهل المعاصي وانفاق شياطين الإنس والجن على مخالفة الله تعالى ، وترك طاعته وارتكاب المحرمات . والثالث أن يكون أمره ونهيه بالبين والقوود لا بالقاطعة والغلظة ، بل بالرفق والتضع ، والشفقة على أخيه كيف والحق عدوة الشيطان العين الذي قد استولى على عقله وزيّن له معصية ربه ومخالفة أمره ، يريد بذلك إهلاكه وإدخاله النار ، كما قال الله تعالى (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال الله تعالى لبيد صلى الله عليه وسلم (فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون (قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أسامة ؓ لا ينبغي لأحد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه ثلاث عصائل : عالما بما يأمر ، عالما بما ينهى ، رفيقا بما يأمر ، رفيقا بما ينهى . الرابع أن يكون صبروا حلييا حوليا متواضعا زائلا للموى قوى القلب لين الجانب ، طيبا يداوى مريضا ، حكيما يداوى مجنوناً ، إماما حاديا ، قال الله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) على أحوال الأذى من قومهم على نصرة دين الله وإعزازه والقيام معه ، فيجعلهم أئمة هداة أطباء الدين قادة المؤمنين ، وقال الله تعالى في قصة لقمان (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الآمر) . والخامس أن يكون حاملا بما يأمر منكرها عما ينهى عنه وغير متطوع به ، فلا يكون لهم تسلط عليه . فيكون عند الله ممنوما ملوما ، قال الله تعالى (أنتم الذين الناس بالبر وتخشون أنفسهم وأنتم تملكون الكتاب أفلا تعلمون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ؓ رأيت ليلة أسرى في رجلا تفرس شفاهم بالمقاريض ، فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطايا أممك الذين يأمرون الناس وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب ، قال الشاعر :

لأنته عن غلتى وثائق مشكك عار عليك إذا أتيت عظيم

وقال قتادة رحمه الله : ذكر لنا أن في التوراة مكتوبا أن ابن آدم يذكرني وينساني ، ويدعو إلى وبغرتني ، باطل ما تدعون ، ولراد بذلك عز وجل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويترك نفسه ، وهو تعالى أعلم بذلك .

(فصل) والأولى له إن استطاع أن يأمره وينهى في خلوة ليكون ذلك أبلغ وأمكن في الموعظة والزرع والتصيحة له وأقرب إلى القبول والإقلاع . وقد قال أبو القدر رضى الله عنه : من وعظ أخاه بالمعصية فقد شانه ومن وعظه سرا فقد زانه . فإن فعل ذلك ولم يقضه أظهر حيثئذ ذلك ، واستعان عليه بأهل الخير ، وإن لم يفعل فبأصحاب السلطان . وينهى أن لا يترك إنكار المنكر أبدا ، لأن الله تعالى ذمّ قوما تركوا ذلك وتغافلوا عنه ، قال عز وجل (كانوا لا يتذكرون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وقال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) يعني حلائلهم علمائهم وقضاةهم وقرائهم عن القول بالفاحش وأكل الحرام وفعل المعاصي ؟ وقيل إن الله تعالى أوحى إلى يوسف بن تون عليه السلام : إلى هلاك

من قولك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم ، قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال تعالى : إنهم لم يفضيوا بنفسي ، وأكلوهم وشاربهم .

(فصل) وقد ذكرنا أن الشرط الخامس أن يكون عالماً بما يأمر بمنزها عما ينهى عنه ، إلا أن شيوخنا ذكروا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الفاسق كوجوبه على العادل ، فأشرنا إلى ذلك بما تقدم من عموم الآيات والأخبار من غير فرق . وقد حل بعض السلف قوله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع إنساناً يقرأ هذه الآية فقال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر » وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الشهداء يوم القيامة حزة بن عبد المطلب » ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله . وقد ذكر الله تعالى الذي ينهى عن المنكر وأخذ العزة فلا يمنع فقال تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) الآية . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقال لعبد اتق الله ، فيقول : عليك بنفسك . وجميع ذلك عام في حق صالح ومطالع . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به ، وأنهوا عن المنكر وإن لم تنهوا عنه » إنه لا يجوز أحد من معصية إمام ظاهرها وإمام باطن . فإن قلنا لا يتكر إلا المنزه عنه تعدر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيندرس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتسحل .

(فصل) والذي يؤمر به ويتكر على ضربين ، فكل ما وافق الكتاب والسنة والعقل فهو معروف ، وكل ما خالف فهو منكر . ثم ذلك ينقسم قسمين : أحدهما ظاهر يعرفه العوام والخواص ، وهو كوجوب الصلوات الخمس وحوم رمضان والزكاة والحج ، وغير ذلك : ومن المنكر كتحريم الزنا وشرب الخمر والسرقه وقطع الطريق والربا والغصب وغير ذلك ، فهذا القسم يجب إنكاره على العوام كما يجب على الخواص من العلماء . والقسم الثاني ما لا يعرفه إلا الخواص مثل احتضاده ما يجوز على الباري تعالى وما لا يجوز عليه ، فهذا يخص إنكاره بالعلماء ، فإن أخبر أحد من العلماء بذلك واحداً من العوام جاز له ذلك ، ووجب على الثاني الإنكار عند القدرة على ما بينا ، ولا يجوز قيل ذلك . وأما إذا كان الشيء مما يختلف الفقهاء فيه وصاغ فيه الاجتهاد كشراب حاتم التيلد مقلداً لأبي حنيفة رحمه الله ، وتزوج امرأة بلا ولي على ما عرف من مذهبه لم يكن لأحد ممن هو على مذهب الإمام أحمد والشافعي ورحمهما الله الإنكار عليه ، لأن الإمام أحمد قال في رواية الروزي : لا ينبغي للفقهاء أن يجعل الناس على مذهبه ، ولا يشهد عليهم ، وإذا ثبت هذا فالإنكار إنما يصح في خرق الإجماع دون المختلف فيه : وقد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله ما يدل على جواز الإنكار في المختلف فيه ، وهو

ما قال في رواية البيهقي في رجل يمر بالقرم وهم يلعبون بالشطرنج يتباهم ويعظمهم ، ومعلوم أن هذا جائز عند أصحاب الشافعي رحمهم الله .

(فصل) وينبغي لكل مؤمن أن يعمل بهذه الآداب في سائر أحواله ، ولا يترك العمل بها . وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : تأدّبوا ثم تعلموا . وقال أمير عبد الله البلخي رحمه الله : أدب العلم أكثر من العلم . وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله : إذا وصف لي رجل له علم الأوّكين والآخرين لا أتأسف على فوت لقاءه ، وإذا سمعت رجلا له أدب النفس اتّمتي لقاءه وأتأسف على فوت لقاءه ، ويقال : مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمسة من الحصون : الأول من ذهب ، والثاني من فضة ، والثالث من حديد ، والرابع من آجر ، والخامس من لبن ، فإدام أهل الحصن متعاهدين الذي هو من لبن لا يطيع العدو في الثاني ، فإذا أهلوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ، ثم في الثالث حتى تحرب الحصون كلها ، فكذلك الإيمان في خمسة من الحصون : أولها اليقين ، ثم الإخلاص ، ثم أداء الفرائض ، ثم إتمام السنن ، ثم حفظ الآداب . فإدام العبد يحفظ الآداب ويتعاهدها ، فالشيطان لا يطع فيه ، فإذا ترك الأدب طمع الشيطان في السنن ، ثم في الفرائض ، ثم في الإخلاص ، ثم في اليقين . فينبغي للإنسان أن يحفظ الآداب في جميع أمور من الوضوء والصلاة والبيع والشراء وغير ذلك ، هذا أكثر ما اخترنا وأردنا ولخصنا من آداب الشريعة ، فيامتثال الأمر في العبادات الخمس المبدية ذكرها بصير مسلما ، وبالأدب بهذه الآداب يكون تابعا لسنة ومقتضا لأثر ، ويحصل له بذلك معرفة ما ، ويبقى عليه حقيقة معرفة الصانع وهي من أعمال القلب ، فأخبرناها لتيسر عليه الدخول في ديننا ، فإذا تعمص بنور الإسلام ظاهرا قلنا له تعمص بنور الإيمان باطنا .

باب في معرفة الصانع عز وجل

نقول : أما معرفة الصانع عز وجل بالآيات والدلالات على وجه الاختصار ، فهي أن يعرف وييقن أنه واحد فرد صمد : لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد (ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير) لا شبيه له ولا نظير ، ولا عون ولا شريك ، ولا ظهير ولا وزير ، ولا تدبير ولا مشير له ، ليس بجسم فيمس ولا يجوز فيمس ، ولا عرض فيقضى ، ولا ذى تركيب لؤالة وتآلف ، وماعية وتحميد ، وهو الله للسماء والارض والارض واضع ، لا طبيعة من الطباع ولا طالع من الطالع ، ولا ظلمة تظهر ولا نور يزهو ، حاضر الأشياء علما شامدا لها من غير محاسة ، عزيز قاهر حاكم قادر ، راحم غافر ، سائر معز ناصر ، وعوف خالق فاطر ، أول آخر ، ظاهر باطن ، فرد معبود ، حي لا يموت ، أزلي لا يفوت ، أبدى لللكوت سرمدي الجبروت ، قيوم لا ينام ، عزيز لا ينهزم ، منيع لا يرام ، لله الأسماء العظام والروايع الكرام ، قضى بالقضاء على جميع الأنام فقال (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وهو بمجهة العلو مستر ، على العرش محتر ، على الملك محيط خلقه بالأشياء (إليه يصعد الكلم

الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يخرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) خلق الخلائق وأقنابهم وقدر أرواحهم وآجالهم ، لا مقدم لما أمر ، ولا مؤخر لما قدم ، أراد العلم وماعم فاعلموه ولو عصمهم لما خالفوه ، ولرشاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه ، يعلم السر وأخفى ، يعلم بقاء الصلوة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) هو المحرك هو المسكن ، لم تتصوره الأوهام ولا تقدره الأذهان . ولا يقاس بالناس ، جل أن يشبه بما صنعه ، أو يضاف إلى ما اخترعه وابتدعه ، عصى الأنفاس ، المقام على كل نفس بما كتب (لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آية يوم القيامة فرعا - لتجزى كل نفس بما تسعى - ليجزى الذين آمنوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) غنى عن خلقه ، ولزق لبريه ، يعلم ولا يعلم ، يرى ولا يرى ، يحير ولا يحير عليه ، الخليفة مقفورة إليه ، لم يخلفهم لاجتلاب نفع ولا دفع ضرر ، ولا لداع دعاء إليه ، ولا لحاطره وفكر حديث ، بل لإرادة مجردة كما قال وهو أسدق القائلين (ذو العرش الجيد فعال لما يريد) مقفورة بالقرعة على اختراع الأعيان ، وكشف السر والباطن وتقلب الأعيان وتغيير الأحوال (كل يوم هو في شأن) يسوق ما قدر إلى ما وثق ، وأنه تعالى حي بقاء ، وعالم بعم ، وقادر بقدره ، ومريد بإرادته ، ومهيئ بسبح ، وبصير بصر ، ومدرك بإدراك ، ومتمكلم بكلام ، وأمر بأمر ، وناه بنهى ، وغير غيره ، وأنه تعالى عادل في حكمه وقضائه ، وحسن متفضل في عطائه وإعانه ، جديع ومعيد محي وميت ، محدث وموجد ، متيب ومغاب عجود لا يميل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى بظان لا يسهو ، أرق لا يامل ، يقبض ويهبط ، يضحك ويفرح ، يحب ويكره ، وينقض ويرضى ، ويقضب ويسخط ، يرسم ويغير ، يعطي ويمنع ، له يدان وكلتا يديه يمين ، قال جل وعلا (والسموات مطويات بيمينه) . روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر (والسموات مطويات بيمينه) وقال : تكون في يمينه يرى بها كما يرى الغمام بالكرة ، ثم يقول : أنا العزيز ، قال : فلقد رأيت وصول الله صلى الله عليه وسلم بتحريك على المنبر حتى كاد يسقط » . قال ابن عباس رضى الله عنهما . يقبض الأرضين والسموات جميعا فلا يرى طرفهما من قبضته . وعن أنس بن مالك عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين » وخلق آدم عليه السلام بيده على صورته ، وخرس الجنة عدن بيده ، وخرس شجرة طوبى بيده ، وكتب التوراة بيده ، وناولها موسى من يده إلى يده ، وكلمه تكلمنا من غير واسطة ولا ترجمان ، وقلوب العباد بين أصابع الرحمن قبلها كيف يشاء ويرحبها ما أراد ، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه ، كما جاء في الحديث « يضع قلبه في جهنم فيزوى بعضها إلى بعض ونقول : فقطع ، ويخرج قوم من الناس بعده وينظر أهل الجنة في وجهه ويروونه لا يفهمون في رؤيته ولا يفهمون ، كما جاء في الحديث « يشجى لهم ويعطيهم ما يشنون » وقال عز من قائل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قيل :

(۱) يريد الثواب أنه لا يتناهى في يومه من الله سبحانه .

الحصى هي الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجهه الكريم ، وقال تعالى (وجوه يومئذ باضرة إلى رجا ناظرة) ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين ، يتولى حسابهم بنفسه ولا يتولى ذلك غيره ، وإن الله تعالى خلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ومن الأرض العليا إلى السماء الدنيا خمسمائة علم ، وبين كل سماء وسماء مسيرة لحياتة عام ، والماء فوق السماء السابعة ، وعرش الرحمن فوق الماء ، والله تعالى على العرش ، ودينه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ، وما هو أعلم به ، والعرش حلة يجلونه ، قال الله عز وجل (الذين يحملون العرش ومن حوله) الآية . والعرش حدة يعلمه الله (وترى الملائكة حافين من حول العرش) وهو من بالقوة جزاء ، وسفته كسعة السموات والأرضين ، والكرسي عند العرش كحلقه مقلقة في أرض فلاة ، وهو جل "وعلا يعلم ما في السموات السبع وما بينهما وما تحتهن ، وما في الأرضين وما تحتهن وما بينهما ، وما تحت الثرى ، وما في قعر البحار ، ومنبت كل شجرة وكل شجرة وكل زرع يبئ ، ومسقط كل ورقة ، وعند ذلك كله ، وعند الحصى والرمل والتراب وما قبل الجبال ومكائيل البحار وأعمال العباد وأسرارهم وأنفسهم وكلامهم ، ويعلم كل شيء ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، وهو منزّه عن مشابهة خلقه ، ولا يخلو من علمه مكان ، ولا يجوز وصله بأنه في كل مكان ، بل يقال : إنه في السماء على العرش ، كما قال جل ثناؤه (الرحمن على العرش استوى) وقوله (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والنبي صلى الله عليه وسلم حكم بإسلام الأمة لما قال لما «أين الله ؟ فأشارت إلى السماء» . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما خلق الله الخلق كتب كتابا على نفسه وهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي هو في لفظ آخر : لما قضى الله سبحانه الخلق كتب على نفسه في كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي . ويطلق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمقامة كما قالت المجسمة والكرامية ، ولا على معنى العلو والرفة كما قالت الأشعرية ، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة ، لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالحين من أصحاب الحديث ذلك ، بل المنقول عنهم حله على الإطلاق . وقد روى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) قالت : كيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به واجب ، والجحود به كفر . وقد أسنده مسلم بن الحجاج عيا عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحبه ، وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله قبل موته بقريب : أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل . وقال أيضا في رواية بعضهم لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذه إلا ما كان في كتاب الله عز وجل ، أو حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه رضي الله عنهم ، أو عن التابعين : فأما غير ذلك فلن الكلام فيه غير محمود ، فلا يقال في صفات الرب عز وجل كيف ، ولم

لا يقول ذلك الإشكالك . وقال أحد رحمه الله في رواية عنه في موضع آخر : نحن نؤمن بأن الله عز وجل على العرش كيف شاء وكما شاء ، بلا حد ولا صفة يلينها واصف أو محدّد حاد ، لما روى عن سعيد بن المسيّب عن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى في التوراة : أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق جميع خلقي ، وأنا على عرشي عليه أكبر عبادي ، ولا ينبغي على شيء من عبادي . وكونه عز وجل على العرش المذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف ، ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوف بالعلو والقدرة ، والاستيلاء والعلية على جميع خلقه من العرش وغيره ، فلا يحمل الاستواء على ذلك ، فالاستواء من صفات الذات بعد ما أخبرنا به ونص عليه وأكده في سبع آيات من كتابه ، والسنة المأثورة به وهو صفة لازمة له ولائقة به ، كالتدبير والوجه والعين والنسج والبصر والحياة والقدرة ، وكونه خالقاً ورازقاً وحياً وميتاً موصوف بها ، ولا تخرج من الكتاب والسنة نقراً الآية والخبر ونؤمن بما فيها ، ونكفل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل ، كما قال صفيان بن عيينة رحمه الله كما وصف الله تعالى نفسه في كتابه ، لتفسير قراءته لا لتفسير له غيرها ، ولم نتكلف غير ذلك ، لقائه غيب لا جهل للعقل في إدراكه ، ونسأل الله تعالى العفو والعافية ، ونعوذ به من أن نقول فيه وفي صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ، فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء ، تبارك وتعالى العليّ الأعلى ، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ، لا بمعنى نزول الرحمة وتوابعه على ما ادعته المعتزلة والأشعرية ، لما روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من سائل فيعطى سؤله ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من عان فيفك عانيته ؟ حتى يصل الصبح » ثم يعلو ربنا تبارك وتعالى « وفي رواية أخرى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : ألا عباد من عبادي يدعونني فأستجيب له ، ألا عالم لنفسه يدعونني فأفكر له ، ألا مقرر عليه رزقه يدعونني فأستجلب له رزقه ، ألا مظلوم يذكرني فأنصره ، ألا عان يدعونني فأفكّه ؟ قال : فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح ويعلو على كرسیه » وقد روى هذا الحديث بالفاظ مختلفة عن أبي هريرة وجابر وحسن رضي الله عنهم . وعن عبد الله بن مسعود وأبي الترداء وابن عباس وعائشة ورضوان الله عليهم كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كانوا يفضلون صلاة أكبر الليل على أوله . وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل الله عز وجل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا ، فيغفر لكل نفس ، إلا الإنسان في قلبه شجاعة أو شرك بالله عز وجل » . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل إذا ذهب ثلث الليل الأول ينزل إلى سماء الدنيا فيقول : هل

من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ حتى يشق " القهجر " .
وقيل لإسحاق بن راهويه : ما هذه الأحاديث التي تحدث بها أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ، والله يصعد ويترك ، قال السائل تقول إن الله تعالى يقدر على أن الله ينزل ويصعد ولا يتحرك ؟ قال نعم ، قال : فلم تذكره ؟ وقال يحيى بن معين : إذا قال لك الجهمي : كيف ينزل ؟ قل له : كيف صعد ؟ وقال القسطل بن حراض رحمه الله : إذا قال لك الجهمي : أنا كافر برب ينزل ، قل له : أنا مؤمن برب يفعل ما يشاء . وعن شريك بن عبد الله رحمه الله لما قيل له : عندنا قوم ينكرون هذه الأحاديث من جاءنا بأسماء ليست عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وإنما عرفنا الله عز وجل بهذه الأحاديث .

(فصل) ونعتقد أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه الذي نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عز وجل (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ؟) هو الذي بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه امتثالاً لأمر رب العالمين بقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) . وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي ، وقال عز وجل (وإن أحد من المشركين استنجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وكلام الله تعالى هو القرآن الشريف غير مخلوق كيفما قرئ أو نزل وكتب ، وكيفما تفرقت به قراءة قارئاً ونطق لافظ وحفظ حافظ ، هو كلام الله وصفة من صفات ذاته ، غير محدث ولا مبدل ولا متغير ولا مؤلف ولا منقوص ولا مصنوع ولا مزاد فيه ، منه بدأ نزيله وإليه يعود حكمه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه « إن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » ، وذلك أن القرآن الشريف منه تبارك وتعالى خرج وإليه يعود حكمه ، فعناء أن نزيله وظهوره منه عز وجل وإليه يعود حكمه ، الذي هو العبادات من أداء الأوامر وإنهاء النواهي ، لأجله تفعل وتترك ، فالأحكام عائدة إليه عز وجل . وقيل : منه بدئ حكمه وإليه يعود علما ، وهو كلام الله في صدور الخافضين ، وألسن الناطقين ، وفي أكف الكاتمين ، وملاحظة الناظرين ، ومصاحف أهل الإسلام ، وأرواح الصيادين حياً وروى وجود ، فمن زعم أنه مخلوق أو عبارته أو اللأوه غير المثلثة ، أو قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، ولا يعاطى ولا يؤاكل ولا يناكح ولا يحاور ، بل يهجر ويهان ، ولا يصل خلقه ، ولا تقبل شهادته ، ولا تنسخ ولا ينفق في تكليفه ولا به ، ولا يصلى عليه إذا مات ، فإن ظهر به استحيب ثلاثاً كالرند ، فإن تاب وإلا قتل . سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فقال : كافر . وقال رحمه الله : لمن قال القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، والثلاثة مخلوقة كافر . وروى عن أبي الترداء رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن القرآن ، فقال كلام الله غير مخلوق . وروى عن عبد الله بن عبد الغفار : وكان مولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، عتاقه عن النبي

صلی اللہ علیہ وسلم قال : « إذا ذکر اللہ فقولوا کلام اللہ غیر مخلوق ، فمن قال مخلوق فهو کافر »
 وقال اللہ عز وجل (ألا له الخلق والأمر) ففصل بین الخلق والأمر ، فلو کان أمره اللہی هو
 کثر اللہی به یمکن الخلق مخلوقا له کان ذلک تکرارا وعبا لاثابتہ فیہ ، کما قال : ألا له
 الخلق والخلق ، واللہ تعالیٰ منزہ عن ذلک . وعن ابن مسعود وابن عباس رضی اللہ عنہما أنهما
 خسرا قوله عز وجل (قرأنا حریبا غیر ذی حوج) أنه غیر مخلوق ، وقد هدانا اللہ تعالیٰ الولید
 ابن المغيرة الخزومی حین سمی القرآن قول البشر بسقر ، فقال (إن هذا إلا صحر یزیر ، إن هذا
 إلا قول البشر ، سألنیہ سقر) فکل من قال القرآن عبارة أو مخلوق ، أو لفظی بالقرآن مخلوق
 غلہ سقر ، کما قال الولید إلا أن یوب . وقال تعالیٰ (وإن أحد من المشرکین استجارک فاجره
 حتی یسمع کلام اللہ) ولم یقل حتی یسمع کلامک یا محمد ، وقال تعالیٰ (إنا أنزلناه فی لیلۃ
 القدر) یعنی القرآن الذی هو فی الصدور والمصاحف ، وقال عز وجل (وإذا قرئ القرآن
 فاستمعوا له وأنصتوا لعلکم ترحمون) وقال تعالیٰ (وقرأنا فرقناه لتقرأه علی الناس علی مکث)
 والناس إنما سمعوا قراءة النبی صلی اللہ علیہ وسلم ولفظه ، لفظه بالقرآن هو القرآن ، ومنح اللہ
 سبحانه وتعالیٰ ابلیس الذین سمعوا قراءة النبی صلی اللہ علیہ وسلم (قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا
 یمدی إلى الرشد) الآية ، وقال تعالیٰ (وإذا صرفنا إليك نقرا من أبلیس یستمعون القرآن) وسمی
 اللہ قراءة جبریل علیہ السلام القرآن قرآنا ، فقال جلّ وعلا (لا تحرق به لسانک لتعجل به إن
 علینا جمعه وقرآنہ ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنہ) وقال تعالیٰ (فاتقوا ما تنسرون من القرآن) ولیمع
 المسلمون علی أن من قرأ فاتحة الکتاب فی صلاة أنه قارئ کتاب اللہ ، وأن من حلف أنه
 لا یشکم فقرأ القرآن لم یبحث ، فدلّ علی أنه لیس بعبارة وقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم فی حديث
 معاوية بن الحکم رضی اللہ عنه « إن صلاتنا هذه لا یصلح فیها شیء من کلام الأدمنین ، إنما
 حی القراءة والتسبیح والتهلیل وتلاوة القرآن » فلیخبر أن تلاوة القرآن هی القرآن ، فعلم بذلك أن
 التلاوة هی القرآن ، واللہ تعالیٰ ورسوله صلی اللہ علیہ وسلم أمرا المؤمنین بالقراءة فی الصلاة ونهیا
 عن الکلام ، فلو كانت قراءة کلامنا لا کلام اللہ لکانا مرتکبین للنهی فی الصلاة .

(فصل) ولنعلم أن القرآن حروف مفهومة وأصوات مسموعة ، لأن بها یبصر المؤمنون
 والساکن متکلمنا ناطقا وكلام اللہ عز وجل لا یفک عن ذلک ، فمن جحد ذلک فقد کابر حبه
 وبعیت بصیته ، قال اللہ عز وجل (ألم ذلک - حم - طسم - تلك آیات الکتاب) فلقد ذکر
 حروفا وکنی عنها بالکتاب ، (ولو أن ما فی الأرض من شجرة أقلام والبحر عده من بعده
 سبعة أبحر ما نفدت کلمات اللہ) فأثبت لنفسه کلمات متصلة غیر متناهیة الأعداد ، وكذلك
 (قل لو کان البحر مدادا لکلمات ربی لنفد البحر قبل أن تنفد کلمات ربی) وقال النبی صلی اللہ
 علیہ وسلم « اقرءوا القرآن فانکم تزجرون علیہ ، یکل حرف عشر حصاة ، أما إنی لا أنزل
 الهم حرف ولكن الألف عشر والقلام عشر والمیم عشر فذلک ثلاثون » وقال النبی صلی اللہ علیہ
 وسلم « أنزل القرآن علی سبعة أحرف کلها شاف » وقال تعالیٰ فی حقّ موسیٰ علیہ السلام (وإذا

نادى ربك موسى - ونادىناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) وقال تعالى عيسى عليه السلام (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) كل هذا لا يكون إلا ضوئاً ، ولا يجوز أن يكون هذا البناء وهذا الاسم والصفة إلا لله عز وجل دون غيره من الملائكة وحاصل المخلوقات . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يأتي الله عز وجل في ظلل من الغمام ، فيتكلم بكلام طلق ذي فيقول : وهو أصديق القائلين : انصروا غفلاً أنصت لكم ، منذ خلقتكم أرى أعمالكم وأسمع أقوالكم ، فلانما هي مصافكم فقرأ عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » وروى البخاري في صحيحه بإسناده عن عبد الله بن أنس رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يعشر الله سبحانه العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان » وروى عبد الرحمن بن محمد الحارثي عن الأعمش عن مسلم بن مسروق عن عبد الله رضي الله عنه قال : « إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجداً حتى إذا فرغ من قلوبهم ، قال : سكن عن قلوبهم ، نادى أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق قال : كلنا وكلنا ، يعني ذكر الوحي » . وعن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن الله تبارك وتعالى إذا تكلم بالوحي سمع أهل السموات صوتاً كصوت الحديد إذا وقع على الصفا ، فيخرون له سجداً ، فإذا فرغ من قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو الحق الكبير : قال محمد بن كعب قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : سمعنا صوت ربك حين كلمك من هذا الملق ؟ قال : شئت صوت ربى بصوت الرعد حين لا يرجع . وهذه الآيات والأخبار تدل على أن كلام الله صوت لا كصوت الآدميين ، كما أن عليه وقدرته وبقية صفاته لانتبه صفات الآدميين ، كذلك صوته . وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على إثبات الصوت في رواية جماعة من الأصحاب وخشون الله عليهم أجمعين ، بخلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بنفسه ، والله حبيب كل مبتدع ضال مضل ، فانه سبحانه لم يزل متكلماً وقد أساط كلامه بجميع معاني الأمر والنهي والاستخبار ، وقال ابن خزيمة رحمه الله : كلام الله تعالى متواصل لا سكوت فيه ولا صوت . وقيل لأحد بن حنبل رحمه الله : هل يجوز أن تقول إن الله تعالى متكلم ويجوز عليه السكوت ؟ فقال رحمه الله : تقول في الجملة إن الله تعالى لم يزل متكلماً ، ولو ورد الخبر بأنه سكوت قلنا به ، ولكننا نقول إنه متكلم كيف شاء بلا كيف ولا تشبيه ،

(فصل) وكذلك حروف المعجم غير مخلوقة ومواد كالآن ذلك في كلام الله تعالى أوفى كلام الآدميين ، وقد ادعى قوم من أهل السنة أنها قديمة في القرآن الشريف محدثة في غيره وهذا خطأ منهم بل القول الشديد هو الأول من مذهب أهل السنة بلا فرق لقوله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وهي حروف ، فلو كانت كن مخلوقة لاحتاجت إلى كن أخرى تخلق بها إلى مالا نهاية له وقد تضمنت أدلة كثيرة من الآيات فلا نعيدها : وأما من السنة فـ

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعليان بن حفان فلما سئل عن باب ماتت إلى آخر الحروف فقال : الألف من اسم الله الذي هو الله ، والياء من اسم الله الذي هو البارئ ، والهاء من اسم الله الذي هو المتكبر ، والطاء من اسم الله الذي هو الباعث والوارث حتى أتى إلى آخرها ، فذكر أنها كلها من أسماء الله وصفاته وأسماءه عز وجل غير مخلوقة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث علي كرم الله وجهه لما سأله عن معنى أبجد حوز حطى إلى آخرها « يا علي » ألا تعرف تفسير أبي جاد ؟ الألف من اسم الله عز وجل الذي هو الله والياء من اسم الله الذي هو البارئ ، والهاء من اسم الله الذي هو الباعث والوارث ، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنها من أسماء الله وهي في كلام الآدميين . وقد نص أحمد بن حنبل رحمه الله على قدم حروف المعجاء فقال في رسالته إلى أهل نيسابور وجرجان : ومن قال إن حروف التهجي محدثة فهو كافر باقة ، ومتى حكم أن ذلك مخلوق فقد جعل القرآن مخلوقا ، ولما قيل له رحمه الله إن فلانا يقول : إن الله تعالى لما خلق الحروف انتضجت اللام وانتصبت الألف فقالت لأبجد حتى أومر ، فقال أحد هذا كفر من قاله . وقال الشافعي رحمه الله . لا تقولوا بحدوث الحروف فإن اليهود لو لم يملكوا ما ملكك بهذا . ومن قال بحدوث حرف من الحروف فقد قال بحدوث القرآن ، ولأنه لا يخلو إما أن يقال هي قديمة في القرآن فوجب أن تكون قديمة في غيره ، لأنه لا يجوز أن يكون الشيء الواحد قديما وهو بينه محدث ، فإن قال هي محدثة في القرآن فقد تقدمت الأدلة على تنسبها في القرآن ، فإذا ثبت ذلك في القرآن فكذلك في غيره ، فإن قالوا فهذا يفضي إلى جميع الكلام أن يكون قديما ، قبل يلزم القرآن لما لم يقل ذلك فيه ، كذلك في حروف المعجاء .

(فصل) ونعتقد أن الله عز وجل له تسعة وتسعون اسما ، من أحصاها دخل الجنة ،

وذلك مروى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مئة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة » وجميعها في سور متفرقة . منها خمسة أسماء في الفاتحة وهي : يا الله يا رب ، يا رحيم ، يا رحمن ، يا مالك . وفي سورة البقرة ستة وعشرون اسما : يا عظيم ، يا قدير ، يا عظيم ، يا عظيم ، يا كريم ، يا تواب ، يا بصير ، يا واسع ، يا بديع ، يا رؤوف ، يا شاكرا ، يا الله ، يا واحد ، يا غفور ، يا حكيم ، يا قابض ، يا باسط ، لا إله إلا هو ، يا حي ، يا قيوم ، يا علي ، يا عظيم ، يا ولي ، يا غني ، يا حميد . وفي آل عمران أربعة أسماء : يا قائم ، يا وهاب ، يا سريع ، يا خبير . وفي سورة النساء ستة أسماء : يا رقيب ، يا بصير ، يا شهيد ، يا غفور ، يا منبت ، يا وكيل . وفي الأنعام خمسة أسماء : يا قاطر ، يا قاهر ، يا قادر ، يا لطيف ، يا خبير . وفي الأحرف اسما : يا حي ، يا ميت . وفي الأنفال اسما : يا من المولى ، ويا نعم النصير . وفي هود سبعة أسماء : يا حيظ ، يا رقيب ، يا حميد ، يا قوي ، يا بصير ، يا رؤوف ، يا فعال . وفي الزمر اسما : يا كبير ، يا متعال . وفي إبراهيم اسم واحد : وهو يسمان . وفي الحجر اسم واحد وهو : يا خلاق . وفي النحل اسم : يا باعث . وفي مريم اسما : يا صادق ،

بناورث . وفي المؤمنين اسم : يا كريم : وفي النور ثلاثة أسماء : يا حق ، يا أمين ، يا نور . وفي الفرقان : يا حادي . وفي سبأ : يا فتاح . وفي المؤمن أربعة أسماء : يا غافر ، يا قابل ، يا شديد ، يا ذا الطول . وفي الماريات ثلاثة أسماء : يا رزاق ، يا ذا القوة ، يا متين . وفي الطور : يا منان . وفي اقتربت الساعة : يا مستقر . وفي الرحمن : يا باق ، يا ذا الجلال يا ذا الإكرام . وفي الحديد أربعة : يا لوكه ، يا آتخر ، يا ظاهر ، يا باطن . وفي الحشر عشرة أسماء : يا قدوس ، يا سلام ، يا مؤمن ، يا مهيمن ، يا عزيز ، يا جبار ، يا متكبر ، يا خالق ، يا باري ، يا مصور . وفي القبروج : يا مبدي ، يا معيد . وفي قل هو الله أحد : يا أحد ، يا صمد . هكذا ذكر صفيان بن عيينة . وذكر عبد الله بن أحمد أسماء زائدة على هذه وهي : يا قاهر ، يا قاصد ، يا قاتل ، يا قريب ، يا ماجد ، يا جواد ، يا أحكم الحاكمين . وذكر أبو بكر التفاس في كتاب تفسير الأسماء والصفات ، عن جعفر بن محمد بن يحيى الصادق رحمه الله أنه قال : إن لله ثلاث منة وستين اسما . وروى أيضا عن غيره منة وأربعة عشر اسما . وكل ذلك محمول على أنهم وجدوا في القرآن أسماء مكررة فعدوها اسما . والصحيح ما ذكر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(فصل) ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ، ومعرفة بالقلبان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل ، وبالتوفيق يقع ، كما قال الله عز وجل " فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون " وما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقصان وقال الله تعالى (وإذا ثبت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وقوله عز وجل " ليستبين الذين آمنوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا " . وما روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم أنهم قالوا : الإيمان يزيد وينقص ، وغير ذلك مما يطول شرحه . وقد أنكرت الأشعرية زيادة الإيمان ونقصانه . وهو في اللغة : تصديق القلب ، للتضمن للعلم بالمصدق به وهو في الشريعة : التصديق ، وهو العلم بالله وصفاته مع جميع الطاعات الواجبات منها والنوازل واجتناب الزلات والمعاصي . ويموز أن يقال : الإيمان هو الدين والشرعة والملة ، لأن الدين هو ما يدين به من الطاعات مع اجتناب المحظورات والمحرمات ، وذلك هو صفة الإيمان . وأما الإسلام فهو من جملة الإيمان ، وكل إيمان إسلام ، وليس كل إسلام إيمان ، لأن الإسلام هو بمعنى الاستسلام والالتحاق ، وكل مؤمن مسلم متقاد لله تعالى ، وليس كل مسلم مؤمنا بالله ، لأنه قد يسلم بخافة السيف ، فالإيمان اسم يتناول مسميات كثيرة ، أفعالا وأقوالا ، فبعض جميع الطاعات . والإسلام عبارة عن الشهادتين مع طمأنينة القلب والعبادات الخمس . وقد أطلق الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن الإيمان غير الإسلام ، فذهب إلى الحديث المروية عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : لا بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، ثم قال : يا محمد أخبرني عن

الإسلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتحم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتقوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت ، قال : فتعجبنا منه يسأله ويصدقّه ، ثم قال : أخبرني عن الإيمان ، قال صلى الله عليه وسلم : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر غير وشره ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فاته يراك ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ؟ قال : فأخبرني عن أسرارها ، قال : أن تلد الأمة وربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البليان ، قال عمر رضي الله عنه : فليت هنية ، ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تدري من السائل ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال صلى الله عليه وسلم : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، وفي لفظ آخر قال : « ذلك جبريل أتاكم ليطلعكم أمر دينكم ، وما أتاني قط في صورة إلا عرفته ، إلا في صورته هذه » ، فقد فرق جبريل عليه السلام بين الإسلام والإيمان بسؤالين ، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بمجوابين مختلفين : فذهب الإمام أحمد رضي الله عنه إلى حديث الأعرابي حيث قال « يا رسول الله أعطيت فلانا ومنعني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك مؤمن ، فقال الأعرابي : وأنا مؤمن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أو مسلم أنت ؟ » ، وذهب أيضاً إلى قول الله تعالى (قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) .

واعلم أن زيادة الإيمان إنما تكون بعد التحقق بأداء الأوامر ، وانتهاء النواهي بالتسليم لله القدر وترك الاعتراض على الله عز وجل في فعله في جميع خلقه ، وترك الشك في وعده في الأقسام والرزق ، وفي الثقة والتوكل عليه ، والخروج من الحول والقوة والصبر على اليلاء والشكر على النعماء ، والتنزيه للحق ، وترك التهمة له في سائر الأحوال ، وأما بمجرد الصلاة والصيام فلا . وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن الإيمان مخلوق هو ، أم غير مخلوق ؟ فقال : من قال إن الإيمان مخلوق فقد كفر ، لأن في ذلك إيهام أن إمارة الأذى عن الطريق ، وأفعال الأركان غير مخلوقة ، فقد أشكر على الظالمين وذكر في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الإيمان بضع وسبعون عسلة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمارة الأذى عن الطريق وإنما كفر القاتل بقتل القرآن ، ويذهب الآخر لأن مذهبه رحمه الله مبني على أن القرآن إذا لم ينطق بشيء ولم يرو في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء ، فافترض عصر الصحابة ، ولم ينقل أحد منهم قولاً ، فالكلام فيه بدعة وحديث ، ولا يجوز للمؤمن أن يقول : أنا مؤمن حقاً ، بل يجب أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، خلاف ما قالت المعتزلة إنه يجوز أن يقول أنا مؤمن حقاً . وإنما قلنا ذلك لما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : من زعم أنه مؤمن فهو تكافر . وعن الحسن رضي الله عنه أن رجلاً قال عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إني مؤمن ، فقبل لابن مسعود .

بن هذا يزعم انه مؤمن، قال : فاسألوہ ائی الجنتہ ہو أم ہو فی النار ؟ فسألوہ ، فقال : انہ اعلم ، فقال عبد اللہ : فہذا وکلت الآخری کما وکلت الأولى ، ولأن المؤمن حقا من هو عند اللہ تعالى مؤمن ، وهو الذی یکون من أهل الجنة ، ولا یکون کذلك إلا بعد موافقته بالإیمان ، ویحتمل له ہذک ، ولا یعلم أحد بما یحتمل له ، فیلغی أن یکون خاتما راجیا مصلحا حذرا متقیا حتی بآیۃ الموت وهو علی غیر عمل ، وإن الناس یؤمنون علی ما عاشوا علیہ ، ویحشرون علی ما ماتوا علیہ ، کما جاء فی الحدیث ، قال علیہ الصلاۃ والسلام « کما تمیثون تموتون ، وکما تموتون تبعثون . » ونعتقد أن أفعال العباد خلق اللہ ، وکسب لم غیرہا وشرہا ، حسنہا وقبیحہا ، ما کان منها طاعة ومعصیۃ ، لاعلیٰ معنی أنہ أمر بالمعصیۃ ، لکن قضیٰ بہا وقدرةا ، وجعلہا علی حسب قصده ، وأنه قسم الأرضاق وقدرةا ، فلا یصدہا صاد ولا یمنعہا مانع ، لا رائدہا یتقص ولا ناقصہا یرید ، ولا تأمیرہا یمنش ولا عشنا ینعم ، ورزق لحد لا یزکُل الیوم ، وقسم زید لا یقل إلی عمرو ، وأنه تعالى یرزق الحرام کما یرزق الحلال ، علی معنی أنہ یجعلہ غذاء للأبدان وقواما للأجساد ، لاعلیٰ معنی أنہ أباحہ الحرام ، وکذلك القاتل لم یقطع أجل للمقتول المقدر له ، بل یموت بأجلہ . وكذلك الفریق ومن هدم علیہ الخائط وألحق من شاعق ، ومن أکله سبع ، وكذلك ہدایۃ المسلمین والمؤمنین ، وضلالۃ الکافرین إلیہ عز وجل ، جمیع ذلك فعل له وصنعه ، لا شریک له فی ملکہ . وإنما أثبتنا للعباد کسبا لموضع توجہ الأمر والنہی والخطاب الیہم ، ثم استحقاق الثواب والعقاب لذبہم ، کما وعد وضمن ، قال اللہ تعالى (جزاء بما کانوا یعملون) وقال عز وجل (بما صبرتم) وقال جل وعلا (ما سلکم فی سفر ؟ قالوا لم نلک من المصلین ، ولم نلک نعیم المسکین) وقال تبارک وتعالى (هذه النار الیٰ کنتم بہا تکذبون) وقال تعالى (ذلك بما قدمت ہدیک) وغیر ذلك من الآیات ، فقلیٰ سبحانہ الجزاء علی أفعالہم ، فأنبت لم کسبا خلاف ما قالت الیہمیۃ من أنہ لا کسب للعباد ، وأنہم کالاباب یرد ویفتح ، والشجرۃ تحركہ وتہتز ، وهم الجاحدون للحق ، الزادون للکتاب والسنة . والدلیل علی أن ذلک خلق اللہ عز وجل وکسب للعباد خلافا للقدریۃ فی قولہم : إن جمیع ذلک خلق اللہ دون اللہ عز وجل ، تبالم وهو محروس هذه الأمة ، جعلوا اللہ شرکاء ، ونسبوا إلی العجز ، وأن یمری فی ملکہ ما لا یدخل فی قدرته ویرادته ، تعالى اللہ عن ذلک علوا کبیرا ، قوله عز وجل (والله خلقکم وما تعملون) وکما قال تعالى (جزا ما کنتم تعملون) فلما کان الجزاء واقعا علی أعمالہم کان الخلق واقعا علی أعمالہم ، ولا جائر أن یقال المراد بذلک ما یعملونہ من الحجارة من الأصنام ، لأن الحجارة أجسام ، والعباد لا یعملونہا ، وإنما الأعمال الیٰ تقع فیہا ما یعملہا العباد لوجوب أن یرجع الخلق إلی أعمالہم من الحركات والسکات . وقال تعالى (ولا یزالون غفلین إلا من رحم ربک ولذلك خلقہم) . والمعنی : للخلاف خلقہم ، وقال تعالى (أم جعلوا اللہ شرکاء خلقوا کخلقہ ، فتشابه الخلق علیہم ، قل اللہ خالق کل شیء) . وقال جل وعلا (هل من خالق غیر اللہ یرزقکم من السماء والأرض ؟) وقال تعالى إخبارا عن المشرکین (إن تصبہم

حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصيهم ميتة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حليقة رضى الله عنه : إن الله تعالى خلق كل صانع وصنعة ، حتى خلق الجزار وجزوره ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله قال : أنا خلقت الظير والشر ، فطوبى لمن قلدت على يديه الخير ، وويل لمن قلدت على يديه الشر ، ومثل الإمام أحمد رضى الله عنه عن أعمال العباد التي يستوجبون بها من الله السخط والرضا ، أم شيء من الله أم شيء من العباد ، فقال : هي لله خلقاً ومن العباد عملاً ، وتعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة من الكبائر والصغائر لا يكفر بها ، وإن خرج من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص ، بل يرد أمره إلى الله عز وجل ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه وأدخله النار ، فلا تدخل بين الله تعالى وبين خلقه ، ما لم يخبرنا الله بمصيره .

(فصل) وتعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان ، فإنه لا يخلد فيها ، بل يخرج منها ، لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا ، يستوفى منه بقدر كبيرته وجرمته ، ثم يخرج برحمة الله تعالى ولا يخلد فيها ، ولا تطلع وجهه النار ، ولا تحرق أعضاء السجود منه ، لأن ذلك حرّم على النار ، ولا تقطع طمعه من الله عز وجل في كل حال ما دام في النار حتى يخرج منها فيدخل الجنة ، ويعطى من الدرجات على قدر طاعته التي كانت له في الدنيا ، بخلاف ما قاله القدرية أن الكبيرة تحبط الطاعات ، فلا يثاب عليها ، وكذلك قول الخوارج تباً لهم .

(فصل) وينبغي أن يؤمن بخير القدر وشره ، وحلو القضاء وممره ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه بالخير ، وما أخطاه من الأسباب لم يكن ليصيبه بالطلب . وأن جميع ما كان في سالف الدهور والأزمان ، وما يكون إلى يوم البعث والنشور بقضاه الله وقدره المقدور ، وأنه لا يهبط مخلوق من القدر المقدور ، الذي خلق في الروح المفسطور ، وأن المخلوق لو جهدوا أن يفتنوا المرء بما لم يقضه الله تعالى لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا أن يضرّوه بما لم يقضه الله لم يستطيعوا ، كما ورد في خبر ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال تعالى (وإن بمسلك الله بصرٌ فلا تكشف له إلا هو) وإن يردك بخير فلا وادّ لتفضله ، يصيب به من يشاء من عباده) وروى عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطقه ، وفي لفظ : أربعين ليلة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضطجعة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات خلقه ووزقه وحمله ووشّقه أم سعيد ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا باع ، فيسبى عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فينقلها ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا باع ، فيسبى عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فينقلها ، وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ، وإنه مكتوب في الكتاب إنه

من أهل النار ، فإذا كان عند موته تحرك فيعمل عمل أهل النار ، فبات قد عمل النار ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل النار ، وإنه لم يكتب في الكتاب أنه من أهل الجنة ، فإذا كان قبل موته عمل بعمل أهل الجنة ، فبات قد عمل الجنة ، وعن عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يثبث في الأرض ، إذ رفع رأسه فقال : ما من أحد إلا وقد علم مقعده في النار ، أو مقعده في الجنة ، فقالوا : ألا تنكث ؟ قال صلى الله عليه وسلم : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « يا رسول الله ، أرايت ما عمل فيه ، أنى ، قد فرغ منه ، أو شيء مبدع أو مبتدأ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرغ منه ، قال : ألا تنكث ؟ قال عليه الصلاة والسلام : اعمل يا ابن الخطاب ، فكل ميسر لما خلق له ، فمن كان من أهل السعادة فيعمل السعادة ، ومن كان من أهل العقاوة ، فيعمل العقاوة . »

(الفصل) ونؤمن بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل ليلة الإسراء بحسب رأسه لا يزداد ولا في المنام ، لما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) رأيت ربي جلّ اسمه مشافهة لأشك فيه . وفي قوله تعالى (عند سلوة المني) قال : رأيت عند سلوة المني حتى تبين لي نور وجهه . قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريتك إلا فتنة للناس) هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء به . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كانت الخلة لإبراهيم عليه السلام ، والكلام لموسى عليه السلام ، والرؤية لحمد صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بين يمين مرتين . ولا يعارض هذا ما روى عن عائشة رضي الله عنها من إنكار ذلك ، لأنه تنبؤ ، وهذا البيان إثبات ، قدم عند الاحتجاج ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت لنفسه الرؤية . وقال أبو بكر ابن سليمان : رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه إحدى عشرة مرة ، منها بالسنة تسع مرات في ليلة المراج حين كان يتردد بين موافى عليه السلام وربه عز وجل ، يسأله أن يخفف عن ثيبه الصلاة ، فقص حسا وأربعين صلاة في تسع مقامات ، ومثمن بالكتاب ، ونؤمن بأن منكرا ، نكرا إلى كل أحد يزلان سوى النبيين ، فمسألته وبحثانه عما يعتقد من الأديان ، وهما بآيات القبر ، فبرسل في ذلك البيت الروح ، ثم يقعد ، فإذا مثل بطلت روحه بلام ، ونؤمن بأن الميت يعرف من يزوره إذا أتاه وآكده يوم الجمعة بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس ، والإيمان بقلب القبر وضبطه واجب لأهل المعاصي والكفر ، وكذلك التمس فيه لأهل الطاعة والإيمان بخلاف ما قالت المعتزلة من إنكارهم ذلك ، وإنكارهم مسألة منكر ونكير . ودليل أهل السنة على إثبات ذلك قوله تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قبل في التفسير : في الحياة الدنيا عند خروج الروح ، وفي الآخرة عند

يعبر بالحي

سؤال قبر

مسألة تكبر ومتكر وما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قبر أحدكم أو الإنسان ، أنه ملكان أسودان لزرقان ، يقال لأحدهما التكبر ، وللآخر المتكر ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ يحيى عبدا رسول الله ، فهو قاتل ما كان يقول ، فإن كان مؤمنا قال لمنا : عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، فيقولان : إنا كنا نعلم أنك تقول مثل ذلك ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا ، ويتوزع في قبره ، ثم يقال : ثم ، فيقول : دعوني أرجع إلى أهلك فلنجبرهم ، فيقال : ثم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهلها حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال : لأخرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله ، فيقولان : إنا كنا نعلم أنك تقول ذلك ، ثم يقال للأرض التي عليه ، فتنم حتى تختلف فيها أصلاصه ، فلا يزال فيها معدبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وتعلقوا أيضا بما روى عطاء بن يسار رحمه الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا عمر كيف أتيت إذا أخذ لك من الأرض ثلاثة أذرع وشبر في عرض ذراع وشبر ، ثم مال إليك أمك بغسلوك وكفنوك وحملوك ، ثم حملوك حتى ينبوك فيه ، ثم يبيلوا عليك القراب ، ثم اتصرفوا حثك ، وأناك سائل القبر منكر وتكبر ، أصواتهما مثل الفرعد القاصف ، وأبصارهما مثل البرق الخاطف ، قد سدا شعورهما ، وتلاك وتوهلاك ، وقالوا : من ربك ؟ وما دينك ؟ قال : يائي الله يكون معي قلبى الذى هو معى اليوم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : إذن أكفنيهما ؟ وهذا دليل ونص على أن ذلك بعد إعادة الروح ، لأن عمر رضي الله عنه قال : ومعى قلبى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم . وعن التهام بن عمرو عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قالا : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، وانتهيا إلى القبر ولما بلغه ، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وجلسا حوله ، فكانت على رؤوسنا الطير من حيث وفى يده حرد يكتس به الأرض ، فرفع رأسه وقال : استبيل بالله من غلاب القبر ، مرتلين أو ثلاثا ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، نزلت عليه ملائكة يفيض الله جزءه كأن وجوههم الشمس ، ومعهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، فيجلسون منه عند البصر ، ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيها النفس الطمئة الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانه ، قال : فتخرج تسبل كما تسبل القطرة من الإماء ، فيأخذونها ولا يدعونها في يده طرفة عين حتى يأخذوها . فيجعلونها في ذلك الكفن والحنوط ، فيخرج منها نفخة أظيب من ريح المسك وجدت كل وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الريح الطيبة ؟ فيقولون هلم فلان ابن فلان بأحسن أمهاته ، ثم يذهبون بها إلى مقام الدنيا فيستفتحون لها فيفتح لهم ، فيستقبلونها ويشبهوها من كل نساء إلى السماء التي لنا حتى يذهبوا إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا

كتابه في عليين . واعيدوه إلى الأرض (منّا خلقهم وفيها نعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى)
 فيعاد الروح إلى جسده ، ويأتيه ملكان فيقولان له : من ربك وما دينك ؟ فيقول : ربّ الله
 ودينى الإسلام ، فيقولان له : ما تقول في هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءنا بالحقّ ، فيقولان له : ما علمك بذلك ؟ فيقول : قرأت القرآن
 كتاب الله تعالى ، وآمنت به وصدّقته ، فينادى مناد من السماء : صدّق عبدي ، فافرشوا له
 من الجنة والبسوه من الجنة واغشوا له باها إلى الجنة ، فيأتيه ريحها وطيبها وينسخ له في قبره مدّة
 بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول له : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى
 كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ يقول : أنا عمك الصالح ، فيقول : ربّ أقم الساعة ، قال
 صلى الله عليه وسلم : وإنّ العبد الكافر إذا كان في إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة ،
 أنزل الله عليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، فيجلسون منه مدّة البصر ، ثم يبيء ملك
 الموت يجلس عند رأسه فيقول : أيها النفس الخبيثة اخرجي إلى حظ الله وخطبه ، فتتفرقي
 في أحضانها كلها ، فيزعمها كما ينزع السود من الصوف المبلول ، فتقطع من العروق والعصب
 فيأخذونها فيجعلونها في تلك المسوح ، وتخرج منها ريح أنثى من جيفة ، فيصعدون بها فلا يبرؤون
 بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الريح الخبيثة ؟ فيقولون : هذا فلان ابن فلان بائع
 أمانه حتى يشترى بها إلى السماء الدنيا ، فيسقطون فلا يفتح لهم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هذه الآية (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيقول الله سبحانه : اكتبوا كتابه في صميم
 ثم تطرح روحه طرحا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من
 السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) حتى تردّ فتعاد إليه روحه في جسده ،
 فيأتيه ملكان فيقولان : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فيقولان له : ما دينك ؟
 فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فيقولون له : ما تقول في هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول ؟
 هاه هاه لا أدرى ، فينادى المنادى : كتب عبدي ، فافرشوا له فرشاً من النار والبسوه من النار
 واغشوا له بايا من النار ، فيدخل عليه من حرّها وسومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف
 فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح القياب قبيح الوجه ثخن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك
 هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عمك السوء ، فيقول : ربّ لا تقم
 الساعة . ومن عيّد الله بين عمر ورضي الله عنهما قال : إن المؤمن إذا وضع في قبره يوسع عليه
 في قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله ، وتشر عليه الرياحين ، ويستتر بالمطر من
 الجنة ، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره ، فإن لم يكن معه شيء من القرآن جعل له نور
 مثل نور الشمس في قبره ، ويكون مثله كتل العروس تمام ولا يوقظها إلا أحبّ أهلها ، فتقوم
 من الترم كأنها لم تشبع منه . وإن الكافر إذا وضع في قبره يضيق عليه حتى يدخل أضلاعه
 في جوفه ، وترسل عليه حيات كأمثال البخت ، فيأكلن لحمه حتى لا يلدن على عظمه لحماً ،
 ويرسل عليه شهابين صمّ يحكم عى ، ويقال : وهو الشيطان الرجيم ، ومعهم قطاميس من

حديد ، فيضربونه بها حتى لا يسمعون صوته ، ولا ينظرون فلا يرحمونه ، وتعرض عليه النار بكرة وعشيا .

فهذه الأخبار دالة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ، فإن اعترضوا عليه فقالوا : كيف القول في الصلب والحرق والغرق ومن أكله السباع ففتركت بلحمه والطير معها فحصل أجزاء متعددة ؟ فيقال لهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عذاب القبر والسألة على ما هو معروف وعادة هؤلاء أنهم يلقون في القبور ، وإن وجد ميت على هذه الصفة البعيدة النادرة لا يمنع أن يقال : إن الله يصير روحه إلى الأرض ، ثم يضغط ويثقل ويعذب أوليهم ، كما أن أرواح الكفار تطلب كل يوم مرتين ، غدوة وعشيا ، حتى تقوم الساعة ، ثم تدخل النار مع الأجساد جهنم ، كما قال الله تعالى (النار يمرضون عليها غدوا وعشيا - ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ، وأن أرواح الشهداء والمؤمنين في حواصل طيور خضر ، تسرح في الجنة ، وتلوى إلى قناديل من نور تحت العرش ، ثم تأتي الأجساد عند النفخة الثانية إلى الأرض ، للعرض والحساب يوم القيامة ، كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة ، وتلوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلبيا وجدوا طيب ما كلهم وشراهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا أنا أسياء في الجنة نرزق ، فلا يزدوا في الجهاد ، ولا يتكلموا عن الحرب ؟ فقال الله عز وجل : وهو أصدق القائلين : أنا أهلهم ، فأول الله (ولا تحزن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله) فيجوز أن تقع السألة والعذاب والنعيم ببعض جسد المؤمن والكافر دون بقية أجزائه ، ويكون ما فعل بالعض فعل بالكل ، وقد قيل : إن الله يجمع تلك الأجزاء لفرفة الضفلة والسألة كما يجمع ذلك للحشر والحاسبة . ثم الإيمان بالبعث من القبور والنشر عنها واجب ، كما قال الله عز وجل (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) وكما قال الله عز وجل (كما بدأكم تعودون) وقال جل وعلا (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) يحشرهم ويجمعهم جميعا جل وعلا لتجزى كل نفس بما تسعى ، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسن ، وقال جل جلاله (الذي خلقكم ثم يبشركم ثم يحيمكم) .. الذي قدر على إنشاء الخلق قادر على إعادتهم ، فقد أنكرت المسألة ذلك باهم ، والإيمان بأن الله يقبل شفاعته نبييا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر والأوزار واجب قبل دخول النار عاما للحساب لجميع أمم المؤمنين ، وبعد دخولها لأمتهم خاصة ، فيخرجون منها بشفاعته صلى الله عليه وسلم وغيره من المؤمنين حتى لا يبق في النار من كان في قلبه مقال ذرة من الإيمان ومن قال : لا إله إلا الله مرة واحدة في عمره خلاصا لله عز وجل خلاص ما زعمت القدرية من إنكار ذلك ، وفي كتاب الله تكذيبهم قال الله عز وجل (فإنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله عز وجل (قول لنا من شفعا فيشفعوا لنا) وقال الله جل جلاله (فاستغفروا لشفاعة

الشافعين) فقد أثبت الله تعالى في الآخرة شفاعة وتغلبك في الجنة ، وهو ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أول ما تخلق الأرواح يوم القيامة أنا ولا أخضر أنا سيد ولد آدم ولا أخضر ، وأنا صاحب لواء الحمد ولا أخضر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا أخضر ، وأنا أحد حلقه باب الجنة ، فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار فأخبره ما سأله ، فيقول تعالى : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وصل تعط ، فأرفع رأسي فأقول : يارب آمين آمين ، فلا أزال أراجع إلى ربّي فيقول : اذهب فانظر ، فن وجعلت في قلبه مثقال حبة من الإيمان فأخرجني من النار ، قال صلى الله عليه وسلم : فأخرج من آمين لئلا الجبال ، ثم يقول لي النبيون : ارجع إلى ربك فاسأله ، فأقول : قد رجعت إلى ربّي حتى استحييت منه ، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : شفاعة لأهل الكبائر من آمين . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كلّ نبيّ دعوته ، وأنا أختيأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من آمين لمن مات لا يشاركه بالله شيئا ، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أنس الأصباري رضي الله عنه : إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومطر . وله صلى الله عليه وسلم شفاعة في القيامة عند الميزان وعند الصراط ، وكذلك ما من نبي إلا وله شفاعة . وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة : يارباه فيقول الله عز وجل : باليكاه ، فيقول : يارب أسحرت نبي آدم ، فيقول جلّ وعلا : أسحروا من النار من كان في قلبه مثقال برة أو شعيرة من الإيمان ، وكذلك للصديقين والصالحين من كل أمة شفاعة ، قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : لكل نبي عطية ، وإني أختيأت عطيتي شفاعة لأمتي ، وإن الرجل من أمتي يشفع لقيته فبدخلهم الله تعالى الجنة بشفاعته وإن الرجل يشفع لفنائه من الناس فبدخلهم الله الجنة بشفاعته ، وإن الرجل يشفع لثلاثة نفر ، وإن الرجل يشفع لاثنتين ، وإن الرجل يشفع للرجل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه : ليدخل الجنة قوم من المسلمين قد عدّوا بالنار بالبرحة الله تعالى وشفاعة الشافعين ، وأيضا في حديث أنس القرني رحمه الله ورضي عنه المرووف : والله تفضل وتكرم ورحمة ومنة على من يشاء من أهل النار في خروجهم منها بعد ما استحققوا وصاروا فيها ، وعن الحسن عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما زالت أشفع إلى ربّي فيشفعني حتى أقول : يارب شفعي فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول جلّ وعلا : هذه ليست لك يا محمد ولا لأحد هذه لي وعزّي ، وجلاي ورحمتي لا أضع في النار أحدا قال : لا إله إلا الله ، :

والإيمان بالصراط على جهنم واجب وهو جسر مخلود على متن جهنم يأخذ من يشاء الله إلى النار ويجوز من يشاء ويسقط في جهنم من يشاء ، ولهم في تلك الأحوال نور بحسب أعمالهم ، فهم بين ما شئ وساع وراكب وزحاف وصعب ، وقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه

خو كلاليب في خبره طوله إلى أن قال صلى الله عليه وسلم « فو كلاليب مثل شوك السعدان ، حل تمرقون شوك السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يظلم قدر عظمها إلا الله تعالى ، فتختلف الناس ، فيهم موقن بعمله ومنهم المردد والمتردد : المرى المصروع ، ومنهم من يتردد ثم ينجر . وقيل ذلك لقطع أيضا » وقال صلى الله عليه وسلم ، « استجيدوا ضحاياكم فأنها مطالبكم على الصراط » وجاء في وصف الصراط عنه صلى الله عليه وسلم أنه أدق من الشعرة وأحر من الجفرة وأحد من السيف ، طوله ثلاثمائة سنة من سنى الآخرة ، يموه الأبرار وتزل عنه الفجار . وقيل ثلاثة آلاف سنة من سنى الآخرة . وأهل السنة يعتقدون أن لنبياً صلى الله عليه وسلم حوضاً في القيامة يسقى منه المؤمنين دون الكافرين ، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة ، من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً ، عرضة مسيرة شهر ، مأواه أشد يابضا من اللبن وأحل من العسل ، حوله أباريق على عدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان من الكوثر ، أصله في الجنة وفرعه في الموقف وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ثوبان رضي الله عنه « أنا عند حوضي يوم القيامة » حثل النبي صلى الله عليه وسلم عن سعة الحوض ، فقال صلى الله عليه وسلم « ما بين مقاصي هذا إلى عمان ، شربه أشد يابضا من اللبن وأحل من العسل ، فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والأخر من ذهب ، من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً » وقال صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « موعدهم حوضي عرضة مثل طوله ، وهو أبعد ما بين إيلياء إلى مكة ، وذلك مسيرة شهر ، فيه أباريق أمثال الكواكب ، مأواه أشد يابضاً من اللبن ، من ورد فيه فشرب منه لم يظلم بعدها أبداً ، وكذلك لكل نبي من الأنبياء حوض إلا صالحاً النبي ، فإن حوضه ضرع ثلثه يسقى من ذلك مؤمنو كل أمة منهم دون الكافرين ، وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « حوضي ما بين عدن وحمان ، حافته خيام البرء المجهوف وآيته عدد نجوم السماء طينه المسك الأنف وماؤه أبيض من اللبن وأبرد من الثلج وأحل من العسل ، من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً ، فينادي عنى يوم القيامة رجال كما تنادي القرية من الإبل فأقول : ألا حلم الأظلم ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : ما أحدثوا ؟ فيقال : إليهم غيروا ويطلوا ، فأقول ألا سمعوا وبعدا » وقد أنكرت ذلك المبتدلة فلا يسقون منه ويدخلون النار وردنا عطشا إن لم يتوبوا عن مقاتلهم ويحودهم الحق ورد الآيات والأخبار والآثار . وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كذب بالشفاعة لم يكن له فيها نصيب ومن كذب بالحوض لم يكن له فيه نصيب » وأهل السنة يعتقدون أن الله يجلس رسوله ولديه المختار على سائر أنبيائه ورسله معه على العرش يوم القيامة ، لما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل « صبي أن يبعثك ربك مقاما محمودا » قال : يجلسه معه على السرير وعن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن المقام المسمود ، فقال صلى الله عليه وسلم : وعظني ربي القعود على العرش ، وكذلك عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال : «إذا كان يوم القيامة جئنا
بنيكم ، فأقعد بين يدي الله على كرميه ، فقيل له : يا أبا مسعود إذا كان على كرمي الحق
أليس هو معه قال : ويلكم هذا القرآن حديث في الدنيا لعيسى ، فقال الحجاج في حديثه : إذا كان
يوم القيامة نزل الجبار على عرشه وقدماء على الكرمي ويؤتى بنيكم صلى الله عليه وسلم فيقعد
بين يديه على الكرمي ، فقالوا الحميدي : إذا كان على الكرمي فهو معه ، قال : نعم ،
ويلكم هو معه . ويعتقد أهل السنة أن الله تعالى يحاسب عبده المؤمن يوم القيامة ويدنيه منه ،
فيضع كنفه عليه حتى يستره من الناس ، لما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى المؤمن يوم القيامة فيدنيه الله تعالى منه فيضع
كنفه عليه حتى يستره من الناس ، فيقول : جدي أتعرف ذنبك كذا ، أتعرف ذنب كذا ؟
مركبين ، فيقول : نعم رب حتى إذا قرره بذنوبه كلها فرأى نفسه أنه قد هلك ، فيقول له الحق
عز وجل : جدي ذنوبك هذه فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ومبني
المحاسبة : تعريف الله عبده بمقادير ثواب الأعمال وعذابه بقراءة سيئاته أوحسناته وماله وما عليه ،
وقد أذكرت المحاسبة ، وقد كلفهم الله تعالى بقوله (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم)
ويعتقد أهل السنة أن الله تعالى ميزانا يزن فيه الحسنات والسيئات يوم القيامة له كفتان ولسان ،
وقد أذكرت الميزنة مع المرجحة والمولود ذلك فقالت : إن معنى الميزان : العدل دون موازنة
الأعمال ، وفي كتاب الله ومنه رسوله تكليلهم ، قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أثنا بها وكلنا نابعين) وقال
تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأما خاوية) الآية
والعدل لا يوصف بالخفة والثقل ، وإنما هو بيد الرحمن جل جلاله ، لأنه هو الذي يتولى حسابهم ،
لما روى التوأس بن سميان الكلبي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : «الميزان بيد الرحمن عز وجل» ، يرفع أقراناً ويضع آخرين يوم القيامة . وقيل إنه بيد
جبرائيل عليه السلام ، لما روى عن حليقة بن ابياتي رضي الله عنها قال : إن جبرائيل عليه السلام
صاحب الميزان ، فيقول له ربه : وزن يا جبريل بينهم ، فيرجع بعضهم على بعض . وروى عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوضع الميزان يوم القيامة ، فيؤتى
بالرجل فيوضع في كفة الميزان ويوضع ما أحصى من عمله في كفة ، فيميل به الميزان ، فيبعث الله به
إلى النار فإذا أدير : إذا صاح صبح من عند الرحمن : لا تعجلوا لاتعجلوا ، فإنه قد بين له ، فيؤتى
بشيء فيه لا إله إلا الله فيوضع موضع الرجل في كفة حسنة حتى يميل به الميزان ، فيؤمر به إلى
الجنة » وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنه يؤتى بالرجل يوم القيامة
إلى الميزان ثم يؤتى بشيء وتبعين حبل كل سجل مد البصر فيها كلها سيئاته وخيراته تخرج
مبائنه حل حسنة فيؤمر به إلى النار ، فإذا أدير به إذا صاح صبح من عند الرحمن : لاتعجلوا

لا تمجّلوا فقد بقی له ، فزوّی بمثل رأس الإیّام ، وأمسک علی النصف منها ، فیه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فیوضع فی کفة حسناته فتخلّ حسناته علی سیئاته ، فیؤمر به إلى الجنة . وفي لفظ آخر فیخرج له بقرطاس مثل هذا ، وأمسک علی إیّامه فیه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إلى آخر الحديث . وقیل : إن الصنّج یومثل مثاقیل القدر والحرر ، تكون الحسنات فی صورة حصة تطرح فی کفة الثور فیمثل المیزان برحمة الله وتكون السيئات فی صورة سیئة تطرح فی کفة الظلمة فیخفّ بها المیزان یعدل الله تعالی ، وعلامة تنقیل المیزان ارتقاعها ، وعلامة انحطاطها خفّتها ؛ بخلاف موازين الدنيا وسبب تنقیلها الإیمان وقول الشهادتین ، وسبب خفّتها الشّرك بالله عزّ وجلّ ، وإذا ارتفعت أدخل صاحبها الجنة لأنها حالية ، وإذا خفت أدخل صاحبها النار لماویة لأنها فی الخوف أسفل السافین ، كما قال الله عزّ وجلّ (فأما من ثقلت موازينه فهو فی عیشة راضیه) أي فی جنة حالية (وأما من خفت موازينه فأما هالیه) أي أهله ومأواه ومرجعه نار حلیة وهی هالیه .

والناس فی موازنة الأعمال علی ثلاثة أضرب : منهم من ترجیح حسناته علی سیئاته ، فیؤمر به إلى الجنة . ومنهم من ترجیح سیئاته علی حسناته ، فیؤمر به إلى النار . ومنهم من لا ترجیح إحداهما علی الآخرى ، فهم أصحاب الأعراف ، ثم یتالم الله برحمته إذا شاء فیدخلهم الجنة . فهو قوله عزّ وجلّ (وعمل الأعراف رجال) الآیة . والذى یوزن مصالفت أعمالهم علی ما ذکرنا من تسعة وتسین سجلاً وطریق ذلك النقل والسمع .

ولما المقرّبون فیدخلون الجنة بغير حساب ، كما جاء فی الحديث « إنه یدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومع کل واحد منهم سبعون ألفاً » علی نص الحديث المشهور .

وأما الكفارون فیدخلون النار بغير حساب ، ومن المؤمنین من یحاسب حساباً یسیراً ثم یؤمر به إلى الجنة علی ما تقدّم . ومنهم من ینافس ثم أمره إلى الله ، إن شاء أمر به إلى الجنة أو إلى النار ، قال عزّ وجلّ (فأما من أوتی كتابه یمینه فسوف یحاسب حساباً یسیراً) الآیة وقال جلّ وعلا (وكلّ إنسان ألزمناه طائره فی عنقه ونخرج له یوم القیامة کتاباً یلقاه منشوراً ، اقرأ کتابك کفی بنفسك الیوم علیک حسیبا) وقال النبی صلی الله علیه وسلم فی حدیث علّ رضی الله عنه ، إن الله یحاسب کلّ الخلق إلا من أشرك بالله ، فإنه لا یحاسب ویؤمر به إلى النار .

(فصل) ویعتقد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان ، وهما داران أعدّهما الله تعالی ؛ إحداها للنعم والثواب لأهل الطاعة والإیمان ، والآخرى للعقاب والنكال لأهل المعاصی والطغیان ، هما منذ خلقهما الله تعالی باقیتان لا تغیران أبداً ، وهی الجنة التي كان فیها آدم وحواء علیهما السلام وإبلیس العین ثم أخرجهما منها ، القصة المشهورة . وقد أتمکرت المعزلة ذلك ، فأما الجنة فلا یدخلونها ، وأما النار فلمصرى هم فیها محاللون یحکمون لأنکارهم ولحکمهم بذلك للمؤمن الواحد الطیّع لله عزّ وجلّ سبعین سنة بکبيرة واحدة ، وق کتاب الله وسنة رسول الله صلی الله علیه وسلم تکذیبهم ؛ قال الله عزّ وجلّ (وجنة عرضها السموات والأرض أعدت

قد تفرقین) وقال عز وجل (اتقوا النار التي أعدت للكافرين) ، وما كان معنا كان موجودا يعلمه كل عاقل قبل أنهما مخلوقتان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه « أدخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري ، حاشاء غمام الزقاق ، فقربت بيدي إلى ماء يجرى فإذا مسك أذفر ، قلت يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى » وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين قيل له « يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ليلة من ذهاب وليلة من فضاء وبلاطها ، مسك أذفر ، وحشاشها الباقوت والقرظ ، وثوبها الورس والعفرا ، من دخلها بخلد ولا يموت وينعم ولا يبأس ، ولا تحرق ثيابهم ولا يبل شباهم » فهذا دليل على كونهما مخلوقين ، وأن نعيم الجنة دائم لا ينفى كما قال الله تعالى (أكلها دائم وشربها) وقال عز وجل (لا مقطوعة ولا ممنوعة) ومن نعيمها الخور العين خلقهن الله تعالى في الجنة ليقاء ، لا ينفين ولا يمتن كما قال الله عز وجل (فهن قاصرات الطرف لم يطمثنّ أنس قبلهم ولا جان) وقوله تبارك وتعالى (حور مقصورات في الخيام) . وروى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت « قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله عز وجل (كأنثال الزقاق المكنون) قال : صفاؤه كصفاء الدر في الأصداق إلى أن قال : يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ، ونحن الزاهيات فلا نسلط أبدا ، ونحن في دار حق فلا يقلن إلا حقا ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقا » فأخبر أنهن خالدات لا يمتن . وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الخور العين : لا تؤذيها قالتك الله ، فإنما هو عندك داخل يوشك أن يفرقك إلينا » فإذا ثبت أنهما لا يمتن وما فيهما أبدا فلا يفرج الله تعالى من الجنة أحدا ، ولا يسلط على أهلها الموت فيها ، ولا يزول عنهم نعيمها ، فهم في كل يوم في مزيد نعيم أبد الآباد . وتنام نعيمهم أن الله يأمر بالموت لينبع على سور بين الجنة والنار ، وينادي المنادي : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت ، على ما ورد به الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(فصل) ويعتقد أهل الإسلام قاطبة أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم رسول الله وسيد المرسلين وخاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة وإلى الجن عامة ، كما قال الله عز وجل (وما أرسلناك إلا كافة للناس ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي أمامة رضي الله عنه « إن الله فضّلني على الأنبياء بأربع : أرسلني إلى الناس كافة ، وذكر الحديث ، وأنه ضلي الله عليه وسلم أعطى من المعجزات ما أعطى غيره من الأنبياء وزيادة ، وقد عدّها بعض أهل العلم ألف معجزة ، منها القرآن المنظوم على وجه مخصوص مفارق لجميع ألوزان كلام العرب ونظمه وترتبه وبلاغته وفصاحته على وجه جاوز فصاحة كل فصيح وبلاغته كل بليغ ، وعجزت العرب أن تلقى بمثله ولا بسورة منه ،

کَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰی (فَأَنۡتَوۡا بِمِثۡرِ صَوۡرِ مِثۡلِ مَفۡتِرَاتِ) ، ظَنَّمُوا أَنَّهُ قَالَ تَعَالٰی (فَأَنۡتَوۡا بِصَوۡرِ مِثۡلِ) ، فَمَجِزُوا عَنْ ذَٰلِكَ مَعَ زِيَادَةِ بِلَاغَتِهِمْ وَفَصَاحَتِهِمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ وَانْقِطَعُوا فَظَهَرَ لُغَتُهُ عَلَيْهِمْ ، فَلِذَٰلِكَ صَارَ التَّرَاكُّنُ مُعْجِزَةً لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَالْعَصَا فِي حَقِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ مُوسَى بَعَثَ فِي زَمَنِ السَّحَرَةِ وَالْخَفَاقِ فِي صِنْفَتِهِمْ ، فَخَفَّتْ عَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا صَحَرُوا بِهِ أَهۡلَ النَّاسِ وَغَيَلُوهُ إِلَيْهِمْ ، (فَعَلَبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ، وَآلَتِ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) ، وَكُلِّهِيَاءَ جِئَسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَوْتُ ، وَإِيرَاهُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ فِي زَمَنِ النَّاسِ فِيهِ أَهْلَاءُ حَفَاقٍ ، يُوَقِّفُونَ الْأَعْمَالُ وَالْأَسْقَامَ الَّتِي لَا تُبْرَأُ بِبِرَاعَتِهِمْ فِي حَلِيقِ الصَّخَةِ ، فَاتَّقَدُوا إِلَيْهِ وَآمَنُوا بِهِ لِمَجَاوِزَتِهِ فِي الصَّنَعَةِ عَلَيْهِمْ وَبِرَاعَتِهِ فِي الْمَعِزَةِ لِمَا تَوَاطَوُهُ مِنْهُ . فَصَاحَةُ الْقُرْآنِ وَاجِعَالُهُ مُعْجِزَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَالْعَصَا وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى فِي حَقِّ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَإِعْطَامُ الزَّادِ الْقَلِيلِ لِلخَلْقِ الْكَثِيرِ ، وَكَلَامُ الْقِرَاعِ الْمُسَوِّمِ . وَقَوْلُهُ : لَا تَأْكُلْ مِنْهُ قَلْبِي مُسَوِّمٌ ، وَاتِّشَاقُ الْقَسْرِ ، وَحَتِّينَ الْجُلُوحِ ، وَكَلَامُ الْبَعِيرِ ، وَعِجَى الشَّجَرِ إِلَيْهِ ، وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مَا يَبْلُغُ أَلْفَ مُعْجِزَةٍ عَلَى مَا ذَكَرُوا . وَإِنَّمَا بَيَّنَّا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ عَصَا مُوسَى وَبِيَدِهِ الْبَيْضَاءُ ، وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَإِيرَاءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَمِثْلُ نَاقَةِ صَالِحٍ ، وَالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي كَانَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ لِأَسْرِينِ : أَحَدُهَا ثَلَاثُ يَكْلَبٍ بِهَا أُمَةُ فَيَهْلِكُونَ كَمَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ ؛ كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰی (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) . وَالثَّانِي لَوْ جَاءَ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُونَ لَقَالُوا لَهُ : مَا جِئْتَ بِطَرِيبٍ وَقَدْ نَقَلْتَ مِنْ مُوسَى وَعِيسَى ، فَأَنَّتْ مِنْ أَنْبَاءِهِمْ لَا تُؤْمَنُ لَكَ حَتَّى نَأْتِيَنَا بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُونَ ؛ وَلِهَٰذَا لَمْ يَزِدْ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَآئِهِ مُعْجِزَةً لِغَيْرِهِ ، بَلْ خَصَّ كُلَّ نَبِيٍّ بِمُعْجِزَةٍ غَيْرِ مُعْجِزَةٍ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ .

(فصل) وَيَحْتَقِدُ أَهْلُ السَّنَةِ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْأُمَمِ أَجْمَعِينَ ، وَأَفْضَلُهُمْ أَهْلُ الْقَرْنِ الَّذِينَ شَاحَدُوهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَبَآيَعُوهُ وَتَابَعُوهُ وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدَّوهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَسْوَاعِهِمْ وَعِزُّوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَأَفْضَلُ أَهْلِ الْقُرُونِ أَهْلُ الْحَنَفِيَّةِ الَّذِينَ بَآيَعُوهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، لَهُمْ أَلْفُ وَأَرْبَعُمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَفْضَلُهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ وَهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا عَدَدُ أَصْحَابِ طَالُوتَ ، وَأَفْضَلُهُمُ الْأَرَبُونَ أَهْلُ دَارِ الْخَزِرْيَانِ الَّذِينَ كَلَّمُوا بِعَمْرٍو بْنِ الْحَطَّابِ ، وَأَفْضَلُهُمُ الْعَشَرَةُ الَّذِينَ شَهِدُوا لِنَبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَنَّةِ ، وَهُمْ أَبُو يَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْنُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَاحِ ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الْعَشَرَةِ الْأَكْبَرُ الْمُتَّقِيُّ الرَّبَّانِيُّ الْأَرَبِيُّ الْأَعْيَارُ ، وَأَفْضَلُ الْأَرَبَةِ أَبُو يَكْرٍ ثُمَّ عَمْرٌ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالٰی عَنْهُمْ ، وَهَؤُلَاءِ الْأَرَبَةُ الْمُلَاقَةُ بِعَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَلِيْ سِتُّهُمُ أَبُو يَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ سِتِّينَ وَشَيْئًا ، وَعَمْرٌ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عَشْرًا ، وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ سِتًّا . ثُمَّ وَلِيَا مَعَاوِيَةَ ثَمَعُ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ قَبْلَ ذَٰلِكَ وَلَاءُ عَمْرِو الْإِمَارَةِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ عَشْرِينَ سَنَةً . وَخِلَاقَةُ الْأَلَمَةِ الْأَرَبَةِ كَانَتْ بِاخْتِيَارِ الصَّحَابَةِ ،

وانفاقهم ورضاهم ، ولفضل كل واحد منهم في عصره وزمانه على من سواه من الصحابة ، ولم تكن بالسيف والقهر والغلبة والأخذ بمن هو أفضل منه . وأما خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فبإتفاق المهاجرين والأنصار كانت ، وذلك لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت خطباء الأنصار فقالوا : ما أمير ومتكم أمير ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا معشر الأنصار أستم تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يؤم بالناس ؟ قالوا بلى ، قال : فأبكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ قالوا ساء الله أن نتقدم أبا بكر . وفي القبط : قال عمر رضي الله تعالى عنه : فأبكم تطيب نفسه أن يزيه عن مقام أقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا كلهم : كلنا لا تطيب أنفسنا ، نستغفر الله ، فالتحقوا مع المهاجرين فيبايعوه بأجمعهم وفيهم علي والزبير . ولهذا قيل في الثقل الصحيح : لما بوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه قام ثلاثا يقبل على الناس يقول : يا أيها الناس أقتلكم بيحيى هل من كاره ؟ فيقوم على رضي الله عنه في أوائل الناس فيقول : لا ثقلك ولا تسفيلك أبدا ، فمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤخره ؟ وبلغنا عن الثقات أن عليا رضي الله عنه كان أشد الصحابة لولا في إمامة أبي بكر رضي الله عنه . وروى أن عبد الله بن الكواء دخل على علي بعد فقال اجلس وسأله : هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر شيئا ؟ فقال : نظرنا في أمرنا فإذا الصلاة عصب الإسلام فرضينا لديننا بما رضي الله ورسوله لدينا ، فوليها الأمر أبا بكر ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر الصديق رضي الله عنه في إقامة الصلاة المفروضة أيام مرضه ، فكان يأتيه بلال وقت كل صلاة فيؤذنه بالصلاة ، فيقول عليه الصلاة والسلام : مروا أبا بكر ، فليصل بالناس . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر رضي الله عنه في حال حياته بما يتبين قصصه أنه أحق الناس بالخلافة بعده ، وكذلك في حق عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أن كل واحد منهم أحق بالأمر في عصره وزمانه . من ذلك ما روى ابن بطيعة بإسناده عن علي رضي الله عنه أنه قال : قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إن تؤمروا أبا بكر تجددوا أمينا زا هذا في الدنيا وأخا في الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجددوا قويا أمينا لا يخلف في الله لومة لائم ، وإن تؤمروا عليا تجددوا هاديا مهديا ، فذلك أجمعوا على خلافة أبي بكر . وقد روى عن إسماعيل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله رواية أخرى : أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه قبلت بالنسب الجلي والإشارة ، وهو ملعب الحسن البصري وجماعة من أصحاب الحديث رحمهم الله ، وجه هذه الرواية ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما خرج بي إلى البلاء سألت وبي عز وجل أن يجعل الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب ، فقالت الملائكة : يا محمد إن الله يفعل ما يشاء ، الخليفة من بعدك أبو بكر ، وقال عليه الصلاة والسلام في حديثنا بن عمر رضي الله عنهما : الذي بعدى أبو بكر لا يلبث بعدى إلا قليلا ، وعن مجاهد رحمه الله قال : قال في علي بن أبي طالب

رضي الله عنه ما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من دار الدنيا حتى عهد إلى "أنابا بكركي من بعدي ، ثم عمر ، ثم عثمان من بعده ثم علي" من بعده .

فأما خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما كانت باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه ، فاتفقت الصحابة إلى بيعته وسموه أمير المؤمنين ، فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قالوا لأبي بكر رضي الله عنه ما تقول لربك غدا إذا لقيتهم وقد استخلفت عليا عمر وقد عرفت قطاكتك ؟ قال : أقول استخلفت عليهم خير أهلك .

وأما خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكانت أيضا عن اتفاق الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك أن عمر رضي الله عنه أخرج أولاده عن الخلافة ، وجعلها شورى بين ستة نفر ، وهم طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان أتأخذ أحدا كما قال الله ورسوله والمؤمنين ، فأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال : يا علي عليك عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله إذا أتنا بايعتك لننصحن الله ورسوله والمؤمنين ، ولتسير بسيرة رسوله وأبي بكر وعمر ، فخاف علي أن لا يقوى على ما قالوا عليه فلم يجبه ، ثم أخذ بيد عثمان فقال له مثل ما قال لعلي ، فاجابه عثمان على ذلك ، فمسح يد عثمان قبايعه ، وبايع علي رضي الله عنه ، ثم بايع الناس أجمع ، فصار عثمان بن عفان خليفة بين الناس باتفاق الكل ، فكان إماما حقا إلى أن مات ، ولم يوجد فيه أمر يوجب العطن فيه ولا فسقه ولا قتله ، خلافا لما قالت الروافض تباهم :

وأما خلافة علي رضي الله عنه ، فكانت عن اتفاق الجماعة وإجماع الصحابة ، لما روى أبو عبد الله بن بطة عن محمد بن الحنفية قال : كنت مع علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان محصورا ، فأتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين مقتول الساعة . قال فقام علي رضي الله عنه ، فأخذت برأسه فحرقها عليه ، فقال : علي لا أم لك ، قال : فأتى علي الدار وقد قتل عثمان رضي الله عنه ، فأتى داره ودخلها فأغلق بابها ، فأتاه الناس فصرخوا عليه الباب ، فدخلوا عليه فقالوا : إن عثمان قد قتل ولا بد للناس من خليفة ، ولا نعلم أحدا أحق بها منك ، فقال لهم علي : لا تزعجوني فإني لكم وزير خير من أمير ، قالوا : والله لا نعلم أحدا أحق بها منك ، قال رضي الله عنه : فإن أبيتم علي فإن يميني لا تكون سرا ، ولكن أخرج إلى المسجد ، فمن شاء أن يبايعني يبايعني ، قال : فخرج رضي الله عنه إلى المسجد ، فبايعه الناس ، فكان إماما حقا إلى أن قتل ، خلافا لما قالت الكوفية أنه لم يكن إماما قط ، تباهم .

وأما قتله رضي الله عنه لمصلحة والزبير وعائشة ومعاوية فقد نص الإمام أحمد رحمه الله على ذلك ، وجميع ما شجر بينهم من منازعة ومتافرة وخصومة ، لأن الله تعالى يزيل ذلك من بينهم يوم القيامة ، كما قال عز وجل (ونزعنا ما في صدورهم من غل) إخوانا على سرر متقابلين ، ولأن عليا رضي الله عنه كان على الحق في قتله ، لأنه كان يعتقد صحة إمامته على ما بينا من اتفاق أهل الحل والعقد من الصحابة على إمامته وخلافته ، فمن خرج عن ذلك بعد

وناصبه حربا كان بالغيا خارجا على الإمام فبجائر قتاله ، ومن قتاله من معاوية وطلحة والزبير طلبوا نأز عيان خليفة الجنّ المقتول ظلما ، والذين قتلوه كانوا في صكر على رضى الله عنه ؛ فكلّ ذهب إلى تأويل صحيح ، فأحسن أحوالنا الإسلام في ذلك ، وردّهم إلى الله عزّ وجل وهو أحكم الحاكمين وغير القاصلين ، والاشتغال بعبود أنفسنا وتطهير قلوبنا من أهيات الذنوب وظواهرنا من موبقات الأمور .

وأما خلافة معاوية بن أبي سفيان ، فثابتة صحيحة بعد موت عليّ رضى الله عنه وبعد خلق الحسن بن عليّ رضى الله عنهما نفسه عن الخلافة وتسليمها إلى معاوية لرأى رآه الحسن ومصلحة عامة تحققت له ، وهى حقن دماء المدايين وتحقيق قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن رضى الله عنه : « انى هذا سيد يصلح لله تعالى به بين كتبت عظيمين » فوجب إمامته بمقتضى الحسن له ، لسمى عام الجماعة ، لارتفاع الخلاف بين الجميع واتباع الكلّ لمعاوية رضى الله عنه ، لأنهم يكنّ هناك منازع ثالث في الخلافة ، وغلاته مذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تدور رضى الإسلام خسا وثلاثين سنة أو ستا وثلاثين أو سيعا وثلاثين ، والمراد بالرسى في هذا الحديث القوة في الدين والخمس السنين القاصلة من الثلاثين ، فهى من جملة خلافة معاوية إلى تمام تسع عشرة سنة وشهور ، لأن الثلاثين كتلت بعليّ رضى الله عنه كما بينا ، ونحسن الظنّ بلساء النبي صلى الله عليه وسلم أجمعين ، ونعتقد أنّ أهيات المؤمنين ، وأن عائشة رضى الله عنها أفضل نساء العالمين ، وبزأها الله تعالى من قول المحققين فيها بما نقرؤه ويأتى إلى يوم الدين ، وكذلك فاطمة بنت تينا محمد صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنها وعن بعلها وأولادها أفضل نساء العالمين ، ويحب مولانا وعحبنا كما يجب ذلك في حقّ أبيها صلى الله عليه وسلم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « فاطمة بضعة منى ، يربى ما يربى » فهؤلاء أهل القرآن ، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأثنى عليهم ، فهم المهاجرون الأولون والأنصار الذين صلوا إلى القباين ، قال الله تعالى فيهم (لا يستوى منكم من أتقى من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أتفقوا بمن بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) وقال جلّ وعلا (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ويمكّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا) وقال تعالى (والذين سمعوا أذكاره على الكفار رجاء . بينهم تراهم ركعا سجدا) إلى قوله (يحب الزناج ليغيظ بهم الكفار) . روى جعفر بن محمد عن أبيه في قوله عزّ وجلّ (محمد رسول الله والذين آمنوا معه) في السر والسر والغار والعرش أبو بكر (أشداء على الكفار) عمر بن الخطاب (رجاء بينهم) عيان بن عفان (تراهم ركعا سجدا) عليّ بن أبي طالب (يفتنون فضلا من الله ورضوانا) طلحة والزبير حوليا رسول الله صلى الله عليه وسلم (سيامم في وجوههم من أثر السجود) سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح هؤلاء العشرة (ذلك مثلهم في النوراة ومثلهم في الإنجيل كزوح أخرج

الله مني مما ولم

فلا يخفى أن النبي
أشده العزيم

شطاء) یعنی محمد صلی اللہ علیہ وسلم (قاررہ) بآئی بکر (قابضفظ) بعشر (فاستوی علی سوتہ) بعین (بعجب الزجاج) ہلّ بن ابی طالب (لیفظ ہم) بالیّ صلی اللہ علیہ وسلم وأصحابہ الکفار (وائفق أهل السنة علی وجوب الکفّ عما شجر بیہم ، والإنساک عن مساویہم ، وإظهار فضائلہم وعماہم ، وتسلیح أمرہم إلی اللہ عزّ وجلّ علی ما کان وجری من اختلاف علیّ وطلحہ والریر وعائشہ ومعلویہ رضی اللہ عنہم علی ما قدمنا بیانہ ، وإعطائہ کلّ ذی فضل فضله ، کما قال اللہ عزّ وجلّ (والذی جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذین سبقونا بالإیمان ، ولا تجعل فی قلوبنا غلا للذین آمنوا ، ربنا إنک رؤوف رحیم) وقال تعالیٰ (تلك أمة قد خلت أ ما کسبت ولكم ما کسبت ، ولا تستولون عما كانوا یعملون) وقال صلی اللہ علیہ وسلم « إذا ذکر أصحابی فاسکروا » وقی لفظ « ولما کم وما شجر بین أصحابی ، فلو أنفق أحدکم مثل أحد ذہبا ما بلغ مدّ أحدہم ولا نصفہ » . وقال صلی اللہ علیہ وسلم « طوبی لمن رآنی ، ومن رأى من رآنی » . وقال صلی اللہ علیہ وسلم : « لاتبوا أصحابی . ومن سبہم فعلہ لعنة اللہ » وقال صلی اللہ علیہ وسلم فی روایۃ انس رضی اللہ عنہ « إن اللہ عزّ وجلّ المختار فی اختیار لی أصحابی ، فجعلہم أنصاری وجعلہم أصحابی ، وأنه سبّی فی أشرف الزمان قوم بقصصہم ، ألا فلا تذاکروہم ، ألا فلا تشاربوہم ، ألا فلا تاکجوہم ، ألا فلا تصلوا معهم ، ألا فلا تصلوا علیہم ، علیہم حلت لعنة » . وروی جابر رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « لا یدخل النار أحد من تابع تحت الشجرة » .. وروی أبو ہریرۃ رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « اطلع اللہ علی أهل بدر فقال : یا أهل بدر ! حملوا ما شتم فقد غفرت لکم » . وروی ابن عمر رضی اللہ عنہما قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « إنما أصحابی مثل النجوم ، فأبہم أخذتم بقولہ اعتدیتہم » . وعن ابن ہریرۃ عن أبیہ رضی اللہ عنہ قال : إن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال « من مات من أصحابی بأرض جعلی شفیعا لأهل تلك الأرض » . وقال صفیان بن عیینہ رحمہ اللہ : من لفظ فی أصحاب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم بکلمۃ فهو صاحب ہوی . وأهل السنة أجمعوا علی السمع والطاعة لأئمة المسلمین واتباعہم ، والصلاة خلف کلّ یرّ منهم وفاجر ، والعدل منہم والطار ، ومن ولوہ ونصبوہ واستأثروہ ، وأن لا یفعلوا لأحد من أهل القبلة بیعة ولا نذر ، مطہبا کان لو عاصیا ، وشیدا کان أو غایبا أو عایا ، إلا أن یطلع منہ علی بدعة وضلالة ، وأجمعوا علی تسلیم المعجزات للأنبیاء ، والکرامات للأولیاء ، وأن الغلاء والرخص من قبل اللہ ، لا من أحد من خلقہ من السلاطین والملوک ، ولأن الکواکب کما زحمت القمریۃ والمشمسین ، لما روی انس بن مالک رضی اللہ عنہ أن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال « إن الغلاء والرخص جندان من جنود اللہ ، اسم أحدهما الرخبة ، والأخر الرخبة ، فإذا أراد اللہ أن ینزلہ فلف الرخبة فی قلوب التجار فنجسوا ، وإذا أراد أن یرخص فلف الرخبة فی قلوب التجار فأخرجوا من أیدیہم » . والأول لما قلّ المؤمن الکیس أن بہم ولا یتدبّر ، ولا یفعل ویعقّ ویکلف ،

صحبہ

لئلا يضلّ ويزلّ فيهلك ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : اتبعوا ولا تتجدعوا فقد كثبت .
وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : إياك ومعضات الأمور ، وأن تقول للشيء ما هذا ، فقال جاهد
رحمة الله حين يأنه هذا من معاذ : قد كنا نقول للشيء ما هذا ؟ قلنا الآن فلا ، فعل الزمان اتباع
السنة والجماعة ، فالتسعة مائة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجماعة ما اتفق عليه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم
أجمعين ، وأن لا يكثر أهل البدع ولا يتأبهم . ولا يسلم عليهم ، لأن إمامنا أحمد بن حنبل رحمة الله
قال : من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : المشوا السلام
بينكم تحابوا ، ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا بينهم في الأعياد وأوقات السرور ، ولا يصل
إذا ماتوا ، ولا يترحم عليهم إذا ذكروا ، بل يابئهم ويعدبهم في الله عز وجل ، معتقدا
بطلان مذهب أهل بدعة ، محسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير . وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نظر إلى صاحب بدعة بغضا له في الله ملائكة قلبا دنيا
وإيمانا ، ومن اتبهر صاحب بدعة بغضا له في الله أمته الله يوم القيامة ، ومن استحضر بصاحب
بدعة رضي الله تعالى في الجنة مئة درجة ، ومن لقيه باليهر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل
الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم » وعن أبي الغيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن الله عز وجل أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يلدح
بدعته » وقال فضيل بن عياض : من أحب صاحب بدعة أحب الله عمله وأخرج نور الإيمان
من قلبه ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت الله تعالى أن يغفر
ذنبه وإن قلّ عمله ، وإذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ طريقا آخر . وقال فضيل بن عياض
رحمة الله : سمعت سفيان بن عيينة رحمه الله يقول : من تبع جائزة مبتدع لم يزل في خطئ الله تعالى
حتى يرجع . وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المبتدع ، فقال صلى الله عليه وسلم : من
أحدث حدثا أو آرى حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه الصرف
والعسل ، يعني بالصرف : القرينة ، وبالعسل : القافلة . وعن أبي أيوب السجستاني رحمه الله
أنه قال : إذا حدث الرجل بالسنة فقال : دعنا من هذا وحدنا بما في القرآن ، فاعلم أنه ضال .
(فصل) واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها ، فعلمة أهل البدعة الوقعة في أهل
الأثر ، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالخشوة ، ويريدون إبطال الآثار . وعلامة
القدرية تسميتهم أهل الأثر بحجرة . وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة . وعلامة الرافضة
تسميتهم أهل الأثر ناصدة ، وكل ذلك حصية وغياط لأهل السنة ، ولا اسم لهم إلا اسم واحد
وهو أصحاب الحديث ، ولا ينسحق بهم ما لقبهم به أهل البدع ، كالم ينسحق بالنبي صلى الله
عليه وسلم تسمية كفار مكة ساحرا وشاهرا ومجنونا ومفتونا وكاهنا ، ولم يكن اسمه عند الله وحده
ملائكة وعند إنسه وجهه وسائر خلقه إلا رسولا نبيا بريئا من العاهات كلها ، انظر كيف ضربوا
لك الأمثال فاضلوا فلا يستطيعون ميلا : هذا آخر ما ألفنا في باب معرفة الصانع والاعتقاد

على مذهب أهل السنة والجماعة على الاختصار والقدرة ، ثم نردف هذه الجملة بقصليين آخرين ، لا يسع العاقل المؤمن جهلها إذا أراد سلوك الحجة ، أحد الفضليين فيها لا يجوز إطلاقه على الباري من الصفات وأخلاق العباد والتفاني ، وما يجوز من ذلك ؛ والفصل الثاني في بيان مقالة الفریق الثالثة على طريق المدى الناحضة الحجة في يوم الدين والخلاصة .

(أما الفصل الأول) فيها لا يجوز إطلاقه على الباري عز وجل من الصفات ويستحيل إضافته إليه من الأخلاق وما يجوز من ذلك ، لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بالجهل والشك والظن وغلبة الظن والسهو والنسيان والسنة والنوم والنية والنظرة والعجز والموت والخرس والصمم والعشى والنبوة والفقور والميل والحرارة والقيظ والحزن والتأسف والكند والحسرة والتلهف والأكم واللذة والضعف والمنفرة والفتن والزم والكذب . ولا يجوز أن يسمى إيماناً خلاف ما قالت السالية ، وتعلمفه بقوله عز وجل (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) يحصل على أنه من يكفر بوجوب الإيمان ، كان كافر بالرسول ، وما جاء به صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل من الأوامر والنواهي . ولا يجوز أن يوصف عز وجل بأنه مطيع ولا يعجل لتساء العالم . ولا يجوز عليه المنود ولا النهاية ، ولا القيل ولا البعد ، ولا تحت ولا قدام ، ولا خلف ولا كيف ، لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلا ما ذكرناه من أنه على العرش استوى ، على ما ورد به القرآن والأخبار ، بل هو عز وجل خالق لجميع الوجودات ، ولا يجوز عليه الكفة . واختلف في جواز تسميته بالشخص ؛ فمن جوز ذلك فقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الغيرة بن شعبة رضي الله عنه « لا شخص أغير من الله » ، ولا شخص أحب إليه العاذر من الله ، ومن منع ذلك فلأن لفظ الجبر ليس بصريح في الشخص لاحتماله أن يكون معناه : لا أحد أغير من الله . وقد ورد في بعض النسخ « لا أحد أغير من الله » ولا يجوز أن يسمى قاضياً وعقيداً وقتياً ولا قهراً ولا غلبة ولا محققاً وعاقلاً وموقراً ولا طلياً ، وقبل يجوز ، ولا عادياً ، لأن ذلك منسوب إلى زمن عاد وهو محدث ولا مطلقاً ، لأنه خالق كل طائفة وهي متناهية ، ولا محظوظاً لأنه هو الحافظ ، ولا يجوز وصفه بالبائسة ، ولا يجوز وصفه بأنه مكتسب ، لأن ذلك محدث بقدرته محدث ، والله تعالى منزّه عن ذلك ، ولا يجوز عليه القدم وهو قديم لا بقدم ، ولا أول لوجوده ، خلاف ما قال ابن كلاب من أنه قديم بقدم ، وهو باق لا يفتاء ، وهو عز وجل عالم بمعلومات غير متناهية ، قادر بمقدورات غير متناهية ، بخلاف ما أذاعت المعتزلة من أن كل ذلك متناه . وأما الصفات التي يجوز وصفه عز وجل بها : فالقهر والاضطك والغضب والسخن والرضاء ، وقد قدمنا ذلك في أول الباب . ويجوز وصفه بأنه موجود لقوله (ووجد الله حده) ويجوز وصفه بأنه شيء لقوله تعالى (قل أين شيء أكبر شهادة قل الله) ويجوز أن يوصف بأنه نفس وذات وعين من غير تشبيه بمخارجة الإنسان على ما تقدم بيانه ، ويجوز وصفه بأنه كائن من غير حد لقوله تعالى (وكان الله بكل شيء عليم) وكان الله على كل شيء شاعراً (وثباتاً) ويجوز وصفه بأنه قديم وباق ، وبأنه مستطیع ، لأن معنى الاستطاعة القدرة ، وهو

موصوف بالقدرۃ : ويجوز وصفه بأنه عارف ومتین وواثق ودلر ، لأن جميع ذلك راجع إلى معنى العلم ، ولم يرذ الشرع جمع ذلك ولا اللفظ ، بل قال الشاعر :

الهم لا أدری وأنت اللاری

ويجوز وصفه بأنه واه ويرجع إلى معنى العلم ، ويجوز وصفه بأنه مطلع على خلقه وعباده بمعنى عالم بهم ، وكذلك واحد بمعنى عالم ، ويجوز وصفه بأنه جميل ومجمل ، بمعنى في الصنع إلى خلقه ، ويجوز وصفه بأنه ديان ، على معنى أنه يجازي لعباده على أفعالهم. الذين الحساب ، كما تدین ندان ، (مالك يوم الدين) : أي يوم الحساب ، أو على معنى الشارح [لعباده عبادة وشریعة دعاهم إليها ، وفرض ذلك عليهم ، ثم هو يجازيهم على ما فعلوه فيها ، ويجوز وصفه بأنه مقدّر على معنى التقدير : (إنا كل شيء خلقناه بقدر — الذي قدر فهدى) وعلى معنى الخبر. قال :

(لا أمرأته قدرنا إنها لمن الغابرين) : أي أخبرنا لوطا عليه السلام أن أمرأته من الغابرين في العذاب من دون أهله ، ولا يجوز أن يكون معناه الظن والشك ، تعالى الله عن ذلك ، ويجوز وصفه بأنه ناظر على معنى أنه واه منزه للأشياء ، لا على معنى أنه منزه بمفكر ، تعالى عن ذلك ، ويجوز وصفه بأنه شفيق على معنى الرحمة بخلق الله والرأفة ، لا على معنى الخوف والحزن ، وكذلك يجوز وصفه بأنه وثيق على معنى الرحمة والتعطف لخلق الله ، لا على معنى التثبيت في الأمور والإجالة في إصلاحها والسلامة من عواقبها ، ويجوز وصفه بأنه ضعیف كما يجوز وصفه بأنه كرم وجواد لأن معنى الكرم الفضل والإحسان إلى خلقه ولا يقصد بذلك الرخاوة واللين على ما هو في اللغة مستعمل أرض ضعیفة وقرطاس ضعیف إذا كانا لينين ، ويجوز وصفه بأنه آمرؤناه ومبيح وحافظ ، ومحل وعزم وفلأرض وملزم ، وموجب ونادب ، ومرشد وقاض ، وحاكم على ما ذكرناه ، وكذلك يجوز وصفه بأنه واحد ومتوحد ، وهنوف ومجمل ، وذام ومادح ، ومخاطب ومتكلم ، وقائل لكل ذلك ، راجع إلى معنى أنه موصوف بالكلام ، ويجوز وصفه بأنه معتمد على معنى أنه لم يوجد ولم يفعل ، وعلى معنى أنه معتمد لما أوجده بعد إجماده بقطع البقاء عنه ، فيعتمد بذلك ، ويجوز وصفه بأنه فاعل بمعنى أنه خسرع لذات ما فعله ، وخالق له ، وجاعل بقدرته ، فاستحق لذلك هذا الوصف ، لا على معنى المباشرة للأشياء لأن حقيقة ذلك تلاقى الأجسام ومحاسنها ، والله سبحانه متعال عن ذلك ، وكذلك يجوز وصفه بأنه جاعل على معنى أنه فاعل وفعله مفعول ، كقوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) ، ويجوز أن يكون الجعل بمعنى الحكم ، قال عز وجل (جعلناه قرآنا عربيا) ، ويجوز وصفه بأنه تارك في الحقيقة كما وصفه بأنه فاعل ، على معنى أنه فاعل ضد فعله الآخر بدلا من الأول بقدرته العامة الشاملة ، لا على معنى كلف النفس ومنها عما يدور إلى فعله ، ويجوز وصفه بأنه يوجد على معنى أنه يخلق وكذلك يجوز وصفه بأنه مكنون على معنى أنه موجود ، ويجوز وصفه بأنه مثبت على معنى أنه يوجد في الشيء البقاء والنيات ، كما قال عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (وقوله تعالى (يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ، ويجوز وصفه بأنه حامل وصانع بمعنى خالق ،

ويجوز وصفه بأنه مصيب ، حل معنى أن أفعاله واقعة على ما قصده وأرادته من غير تفاوت وتزايد وتناقص ، لأنه تعالى علم بها وبمخالفاتها وكيفياتها ، لأجل معنى أن ذلك موافق لأمر أمره بفعلها ، تعالى عن ذلك ويجوز إطلاق هذه الصفة على حيد من عباده ، فيقال إنه مصيب ، بمعنى أنه مطيع لأمره ، متبع لأمره ، منته لشيء ، وكذلك إذا كان مطيعاً لمن هو فوقه ورئيسه ، ويجوز وصف أفعاله عز وجل بأنها صواب على معنى أنها حق وثابت ، ويجوز وصفه بأنه مطيب ومنعم ، على معنى أنه يجعل الثواب شعناً معظماً ، وكذلك يجوز وصفه بأنه معاقب وعاجز ، حل معنى أنه يبين العاصي ويؤذنه على معصيته ، ويجوز وصفه بأنه قديم الإحسان على معنى أنه موصوف بالخلق والرزق في القدم ، قال عز وجل (إن اللين سبقت لهم منا الحسنى) ويجوز وصفه بأنه دليل ، وقد نص الإمام أحمد عليه في حق رجل قال له : زودني دعوة فإني لأريد الخروج إلى طرطوس ، فقال له : قل يا دليل الخائرين ، دلتني على طريق الصادقين ، واجعلني من عبادك الصالحين ، ويجوز وصفه بأنه طيب لما روى عن أبي رمة التميمي أنه قال : كنت مع أبي عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت على كتف النبي صلى الله عليه وسلم مثل التفاحة ، فقال أبي : يا رسول الله إني طيب فأطيبها لك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : طيبها ألقى خلقها ، . وروى عن أبي السفر أنه قال : مرض أبو بكر رضي الله عنه فعاده جماعة ، فقالوا له : ألا تدعوا لك الطبيب ؟ فقال : قد رأيته ، قالوا : فأتى شيء ؟ قال له : فقال : قال لي : إني فعال لما أريد . وكذلك يروى أن أبا الترداء رضي الله عنه مرض ، فعادوه ، فقالوا له : أتى شيء تشكي ؟ قال : ذنوبي ، فقالوا : فأتى شيء تشتهي ؟ فقال : الجنة ، فقالوا : ألا تدعوا لك الطبيب ؟ فقال : هو أمرضني ، فإذا ثبت علما على ما ذكرنا في أوّل الفصل ، وأنه إنما يجوز أن يدعى بما يسمى به من الأسماء التي يجوز وصفه بها ، وقد ذكرنا تسعة وتسعين اسماً فيما تقدم ، فهي أكمل في الدعاء ، وإذا أراد أن يصفه ويدعوه بما ذكرنا في هذا الفصل جاز ذلك ، إلا أنه يختب في دعائه من أن يدعو عز وجل بقوله : يا سامع يا مستجيب ، يا مكرم يا باعاد ، ومبغض وخضبان ، ومتقم ومعاد ومعلم ، ومهلك ، فلا يدعو بها وإن كان ما يجوز وصفه بها على وجه الجزاء والمقابلة لأجل الإجماع على وجه الاستخفاف .

(الفصل الثاني : في بيان الفرق الثلاثة عن طريق الحدى) والأصل في ذلك ما روى عن

كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لتسكن سنن من قبلكم حلق العمل بالمثل ، ولتأخذوا مثل أخذهم إن شربوا فشرباً وإن فزأوا ففزعاً وإن باعوا فباعاً ، حتى لو دخلوا جحر صيباً لدخلتم فيه ، ألا إن بني إسرائيل افرقت على موسى بإحدى وسبعين فرقة كلها ضالة ، إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم ، ثم إنها افرقت على عيسى بن مريم بالثين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة الإسلام وجماعتهم ، ثم إنكم تكونون على ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم ، وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك

الأشجعي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تفرق أمتي على ثلاثة وسبعين ، فرقة أعظمها فتنة على أمتي الذين يقيسون الأمور برأيهن يهرمون الحلال ويحلبون الحرام » وعن عبد الله بن زيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بني إسرائيل افرقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » واستغرق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : وما تلك الواحدة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي » . وهذا الافتراق الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في زمانه ولا في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وحلى رضى الله عنهم ، وإنما كان ذلك بعد تقدم السنين والأعوام ، وفوت الصحابة والتابعين والفقهاء السبعة فقهاء المدينة ، وعلماء الأمصار وفتياتها قرناً بعد قرن ، وقبض العلم بموسم إلا شرفة قليلة ، وهم الفرقة الناجية فحفظ الله الدين بهم كما روى عن عروة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى لا يزع العلم من صدور الرجال بعد أن يعطيهم ، ولكن يذهب بالعلماء ، فكلما ذهب بعلم بئامه من العلم حتى يبقى من لا يعلم ، فيضلون ويضلون » . وفي لفظ آخر عن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاً ، فسئلوا فأثرتوا بالعلم ، فضلوا وأضلوا » وعن كثير بن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الذين يلزموا إلى الحجاز كما تارز الحية إلى جحرها ، وليعقلن الذين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل ، إن الذين بدأ غريباً وسعود غريباً ، فطوي لغريباء ، قيل : ومن الغريباء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدى » . وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لا يأتي على الناس زمان إلا أمانوا فيه سنة وأحبروا بدعة » وعن الخارث عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن قلنا : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتاب الله هو الذي كثر لديكم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تلبس به الألسن ، هو الذي لم تنته أبداً إذا سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآناً عجيباً) من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عبد الرحمن بن عمر عن الغرياض بن سارية رضى الله عنه قال « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، فوجدنا موعظة بليغة ، شرقت منها العيون ووجلت منها القلوب ورغقت منها الأبصار ، قلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، قلنا صلى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً شيئياً ، فإنه من يمشي من بعدى يرى اختلافاً كثيراً ، فليحكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، فتمسكوا بها وحضوا عليها بالتواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، إنما داع دعا إلى الهدى فاتبع قلة مثل قبحر من اتبعه ، لا يتقص من أجزائهم شيء ،
وإنما داع دعا إلى الضلالة فاتبع عليه مثل أوزار من اتبعه ، لا يتقص من أوزارهم شيء .

(فصل) فاصل ثلاث وسبعين فرقة عشرة : أهل السنة والخوارج والشيعة والمعتزلة
والمرجئة والشيعة والجهمية والضرارية والنطارية والكلابية . فأهل السنة طائفة واحدة ، والخوارج
خمس عشرة فرقة ، والمعتزلة ست فرق ، والمرجئة اثنتا عشرة فرقة ، والشيعة اثنان وثلاثون
فرقة ، والجهمية والتجارية والضرارية والكلابية كل واحدة فرقة واحدة والشيعة ثلاث فرق ،
فجميع ذلك ثلاث وسبعون فرقة على ما أنشئ به النبي صلى الله عليه وسلم . وأما الفرقة الثمانية فهي
أهل السنة والجماعة ، وقد بينا مذاهبهم واعتقادهم على ما قدمنا ذكره . ونسب هذه الفرقة الناجية .
القدرية والمعتزلة بحجة لقولها إن جميع المخلوقات بمشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته وخلقه ، ونسبها
المرجئة شكاكية لاستنسابها في الإيمان ، بقول أحدهم : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى على ما قدمنا بيانه .
ونسبها الرافضة ناصبية ، لقولها باختيار الإمام ونصبه بالمقد . ونسبها الجهمية والتجارية مشبهة ،
لإتيانها صفات الباري عز وجل من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات . ونسبها الباطنية
جشوية ، لقولها بالأخبار وتعلقها بالآثار ، وما أهمهم إلا أصحاب الحديث وأهل السنة على ما بينا .
وأما الخوارج فهم أسام وألقاب ، سمو الخوارج لخروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله
عنه ، وسموا حكيمة لإنكارهم الحكيم أبا موسى الأشعري وعمر بن العاص رضي الله عنهما ،
ولقولهم : لا حكم إلا لله لأحكام الحكيم ، وسموا أيضا حرورية ، لأنهم تزلوا بحروراه ، وهو
موضع ، وسموا أشرة ، لقولهم : شربنا أنفسنا في الله : أي بعبادته بأجواب الله ورضاه ، وسموا
مارقة ، لمروقهم من الدين ، وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم ، بأنهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيهم ، فهم الذين مرقوا من الدين والإسلام ، ولأرقوا
الملة وشرذوا ضيأ وعن الجماعة ، وضلوا عن سواء الهدى والسبيل ، وخرجوا عن السلطان ،
وسلوا السيف على الأئمة ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وكفروا من خالقهم ، ويشتمون أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره ، ويتركون منهم ويؤمنونهم بالكفر والمظالم ، ويرون
خلافهم ، ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الخوض ولا الشفاعة ، ولا يخرجون أسدا من الدار ،
ويقولون : من كذب كذبة أو ألق صغيرة أو كبيرة من الذنوب فأت من غير توبة فهو كافر ،
وفي النار خالد ، ولا يرون الجماعة إلا خلف إمامهم ، ويرون تغيير الصلاة عن وقتها والصوم
تجمل رؤية الملال ، والقطر مثل ذلك ، والنكاح يغير ولي ، ويرون السنة والدرهم بالنزهرين
يدا بيد حلالا ، ولا يرون الصلاة في الخفاف ولا المسح عليها ولا طاعة السلطان ولا خلافة قرش
وأكثر ما يكون الخوارج بالجزيرة وعمان والموصل وحضرموت . وتواحي العرب ، والذي
وضع لهم الكتاب عبد بن زيد ومحمد بن حرب ويحيى بن كامل وسعيد بن هارون ، فهم خمس
عشرة فرقة : منهم التجذبات ، نسبوا إلى نجدة بن عامر الجني من الجماعة ، وهم أصحاب عبد الله
ابن ناصر ، ذهبوا إلى أن من كذب كذبة أو ألق صغيرة وأصر عليها فهو مشرك ، وإن زنى
ومرّق وشرب الخمر من غير أن يصرّ عليها فهو مسلم ، وأنه لا يحتاج إلى إمام ، إنما الواجب

العلم بكتاب الله فحسب . ومنهم الأزارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق ذهبوا إلى أن كل كبيرة كفر ، وأن الدار دار كفر ، وأن أبا موسى وعمر بن العاص ورضي الله عنهما كفرا بالله حين حكهما على رضي الله عنه بينه وبين معاوية ورضي الله عنه في النظر في الأصلح الربعية ، ويرون أيضا قتل الأمثال ، يعني أولاد المشركين ، ويمرّمون الرجم ، ولا يحدّون قاذف الحصن ، ويحدّون قاذف الحصنات . ومنهم القديكة منسوبة إلى ابن قديك . ومنهم العطوية منسوبون إلى عطية بن الأسود . ومنهم المعجاردة منسوبة إلى عبد الرحمن بن عجرد وهم فرق كثيرة ، وهم الميمونية جميعا ، يميزون بين البنات والبنات الإخوة وبنات الأخوات ، ويقولون إن سورة يوسف ليست من القرآن . ومنهم البخازمية تفرّدت بأن الولاية والعداوة صفتان في ذاته تعالى ، ونشعت البخازمية من المعلومية ، فذهبوا إلى أن من لم يعلم الله بأسمائه فهو جاهل ، ونقوا أن تكون الأفعال خلقا لله تعالى ، وأن تكون الاستطاعة مع الفعل ، ومن أصل الخمس عشرة : المجهولية ، وهي تقول : إن من علم الله ببعض أسمائه فهو عالم به غير جاهل . ومنهم الصلتية ، وهي منسوبة إلى عثمان بن الصلت ، وادّعت أن من استجاب لنا وأسلم وله طفل فليس له إسلام حتى يترك ، وتدعوه إلى الإسلام فيقبله . ومنهم الأحنسية ، منسوبة إلى رجل يقال له الأحنس ، ذهبوا إلى أن السيد يأخذ من زكاة عبده ويعطيه من زكاته إذا احتاج ، وانقصر . ومنهم الطقورية والحنفصية طائفة منشعة منها يزعمون أن من عرف الله وكفر بما سواه من رسول وجه وثار ، وقمل سائر الخنايا من قتل النفس ، واستحلل الزنا فهو بريء من الشرك ، وإنما يشرك من جهل الله وأنكره فحسب ، يزعمون أن الحيوان الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو على وحزبه وأصحابه ، يدعونه إلى الهدى الثنا ، وهم أهل البهوان . ومنهم الأباهية زعموا أن جميع ما افترضه الله تعالى على خلقه إيمان ، وأن كل كبيرة فهو كفر نعمة لا كفر شرك . ومنهم الهلسية منسوبة إلى أبي بهس ، تفرّدوا زعموا أن الرجل لا يكون مسلما حتى يعلم جميع ما أحلّ الله عليه ، وحرّم عليه بينه ونفسه . ومن الهلسية من يقول : كل من واقع ذنبا حراما عليه ليس بكافر ، حتى يرفع إلى السلطان فيجده عليه ، فيعند يحكم بالكفر . ومنهم الشمرانية منسوبة إلى عبد الله بن الشمران ، زعم أن قتل الأيوبيين حلال ، وكان حين ادّعى ذلك في دار التقيّة ، فبرأت منه الخوارج بذلك . ومنهم البدعية قولها كقول الأزارقة ، وتفرّدت بأن الصلاة ركعتان بالمسأة وركعتان بالمشي لقول الله عز وجل (أقم الصلاة طرف النهار وزلفا من الليل) ، إن الحسنات يلدن السيئات . واتخذت مع الأزارقة على جواز سبي النساء وقتل الأطفال من التكبار متعلا قوله تعالى (لا تدن على الأرض من الكافرين ديارا) واتخذت جميع الخوارج على كفر على رضي الله عنه لأجل التحكيم ، وعلى كفر مرتكب الكبيرة ، إلا السيئات فإنها لم توافقهم على ذلك .

(فصل) وأما الشيعة فلهم أسام منها الشيعة والرافضة والغالية والطبارة ، وإنما قيل لها الشيعة ، لأنها شيعت عليا رضي الله عنه وفضلوه على سائر الصحابة ، وقيل لها الرافضة لرفضهم أكثر الصحابة

وإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقيل سموا الروافض لرفضهم زيد بن علي لما تولى
أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال بإمامتهما ، وقال زيد : رفضوني ، فسموا رافضة ،
وقيل : إن الشيعة من لا يفضل عثمان علي رضي الله عنهما ، والروافض : من فضل علي
علي عثمان رضي الله عنهما . ومنهم القلبية لقطعهم على موت موسى بن جعفر . ومنهم الغالية
لعلوهم في علي رضي الله عنه ، وقولهم فيه بما لا يليق من صفات الربوبية والنبوة ، والذين
حفظوا كتبهم هشام بن الحكم وعلي بن منصور وأبو الأحوص والحسين بن سعيد والفضل
ابن شاذان وأبو عيسى الوراق وابن الراوندي والمتجني ، وأكثر ما يكونون في بلاد قم
وقاشان وبلاد إدريس والكوفة ؛

(فصل) وأما الرافضة ، فهم ثلاثة أصناف : الغالية ، والزيدية ، والرافضة : أما الغالية
فيعرف من منها اثنا عشرة فرقة ، منها البائية والعليارية والمنصورية والمغيرة والحطائية والمعمرية
واليزيدية والفضلية والمناسخة والشرعية والسبئية والقوسية . وأما الزيدية فتشعبت ست شعب
منها الجارودية ، والسلطانية ، والبترية ، والتميمية ، واليحيوية ، والسادسة لا تذكر الرجعة ويبرهون
من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وأما الرافضة فنزلت أربع عشرة فرقة : القطعية والكيسانية
والكربنية والمعمرية والمحمدية والحسينية والثاوسية والإسماعيلية والرافضية والياركية والشميطية
والعمارية والمطمورية والرومية والإمامية . والذي انضقت عليه طوائف الرافضة ووفقها إثبات
الإمامة ، عقلا ، وأن الإمامة نص ، وأن الأئمة معصومون من الآفات من الغلط والسهو والخطأ .
ومن ذلك نكارهم إمامة القصبول والاختيار الذي قدمناه في ذكر الأئمة . ومن ذلك تفضيلهم عليا
على جميع الصحابة ، وتنصيبهم على إمامته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمنون من أبي بكر
وعمر وغيرهما من الصحابة ، إلا نفرًا منهم سوى ما حكى عن الزيدية ، فإمام خالفهم في ذلك ،
ومن ذلك أيضا ادّعاءهم أن الأمة ارتدت بتركهم إمامة علي رضي الله عنه إلا ستة نفر ، وهم
علي وعمار والقناد بن الأسود وسليمان القارمي ورجلان آخرون . ومن ذلك قولهم : إن للإمام
أن يقول لست بإمام في حال الشبهة ، وإن الله لا يعلم ما يكون قبل أن يكون ، وإن الأموات
يرجعون إلى الدنيا قبل يوم الحساب ، إلا الغالية منهم ، فإنها زعمت بأن لا حساب ولا حشر ،
ومن ذلك أن الإمام يعلم كل شيء ما كان وما يكون من أمر الدنيا والدين حتى عدا الحصى
وقطر الأمطار وورق الأشجار ، وأن الأئمة تظهر على أيديهم المعجزات كالأنبياء عليهم
السلام . وقال الأكثرون منهم : إن من حارب عليا رضي الله عنه فهو كافر بالله عز وجل ،
وأشياء ذكرناها غير ذلك . وأما الذي اختلفت به كل فرقة : فهم الغالية وقد ادّعت أن عليا
رضي الله عنه الفضل الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وادّعت أنه ليس بمذلول في التراب كيفية
الصحابة رضي الله عنهم ، بل هو في السحاب ينازل أعداءه تعالى من فوق السحاب ، وأنه كرم

(۱) قوله : والرافضة . كنا في الأصل وحرر القسم .

اللہ وجہہ پر جمع فی آخر الزمان پختل میخضہ واعدادہ ، وأن علیا وسانر الأئمة لم يموتوا ، بل هم باقون إلى أن تقوم الساعة ، ولا يتطرق عليهم الموت ؛ وادعت أيضا أن علیا رضى الله عنه نبی ، وأن جبریل علیہ السلام خلط فی تزویج الوحي علیہ ، وادعت أيضا أن علیا كان إلها علیهم أمة الله وملائکته وسانر خلقه إلى يوم الدين ، وتلق آثارهم وأبدا خضرهم ، ولا جعل منهم فی الأرض دیارا لأنهم بالغوا فی غلوهم وسردوا علی الکفر ، وتركوا الإسلام وطارقوا الإيمان ، وجحدوا الإله والرسول والتزبیل ، فعمد بالله ممن ذهب إلى هذه المقالة . ويضرب عن الغالية البنائیهوم یسبون إلى بنان بن سیمان ، ومن جملة فريتهم وأباطيلهم أن الله تعالى علی صورة ، الإنسان ، كلبوا علی الله . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال عز وجل (ليس كمثلہ شيء وهو الصبح البصير) . وأما الطيارية من الغالية ، وهي منسوبة إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار يقولون بالنسب ، وأن روح آدم علیہ السلام روح الله فلسخت فيه ، وللتعشقون من الغالية القائلون بالنسب ، يزعمون أن الروح المنقولة إلى هذه الدیار بعد أن خرجت من الدنيا بملوت أولی ما تنسخ فی جبل ، ثم تنقل إلى ما دون خيكله أبدا حالا بعد حال ، إلى أن تنقل دود العلوة وما شاكل ذلك ، وهو آخر ما تنسخ فيه ، حتى قال بعضهم : إن أرواح العصاة تنسخ فی الحديد والطين والتخار ، وتكون معلبة بالنار والطبخ والضرب والسبك والابتذال والاسهان عقابا علی إجرامهم ؛ وأما المغيرة ، فنسوبة إلى مغيرة بن سعد ادعى النبوة ، وزعم أن الله نور علی صورة رجل وأدعى ، إحياء الموتى وغير ذلك . وأما المنصورة ، فنسوبة إلى أبي منصور ، كان يزعم أنه صعد إلى السماء وسمع الرب رآه وزعم أن عيسى علیہ السلام أولی خلق الله ، ثم حل رضى الله عنه ، ورسل الله لا تنقطع ، وأن لاجنة ولانار ، وزعم هذه الثلاثة أن من قتل أربعين نفسا من خالفهم دخل الجنة ، ويستحلون أموال الناس ، وأن جبریل علیہ السلام أعطى بالرسالة ، وهو الكفر الذى لا يشوبه شيء . وأما الخطابية ، فنسوبة إلى أبي الخطاب يزعمون أن الأئمة أنبياء أماء ، وأن كل وقت رسول ناطق وصامت ، فحمد صلى الله عليه وسلم ناطق ، وعلى رضى الله عنه صامت . وأما العمرية فكذلك تقول ، وانفردت من الخطابية بالزيادة فی ترك الصلاة . ولما البر بعية للنسوبة إلى بزيج ، فرحموا أن جعفر هو الله فلا يرى ولكنه يشبه هذه الصورة ، تبا لهم ، وأسم يأتهم الوحي ويرفعون إلى الملكوت ، تبا لهم ما أعظم فريتهم وكذبهم وأباطيلهم ، بل يحطون إلى أسفل السافلين إلى الملوية والدرك الأسفل من النار بمقاتلتهم سوء ودعواهم الزور . وأما الفضلية ، فنسوبة إلى الفضل الصيرفي ، يفتحلون الرسالة والنبوة ، وقولهم فی الأئمة يقولون التصاري فی المسيح . وأما الشريعة ، فنسوبة إلى شريع زعموا أن الله تعالى فی حسة أشخاص النبي وآله ، يعنى فی النبي وآله ، وهم العباس وعلى وجعفر وعقيل . وأما السجية ، فنسوبة إلى عبد الله بن سبأ ، من دعواهم أن علیا لم يموت ، وأنه يرجع قبل يوم القيامة ، والسيد الحميري منهم . وأما الفوضیة ، فهم القائلون إن الله فوض تدير الخلق إلى الأئمة وإن الله تعالى قد أقدر النبي صلى الله عليه وسلم علی الخلق للعالم وتدبيره ، وإن كان ما خلق الله من ذلك

شيئا ، وكذلك قالوا في حق علي رضي الله عنه ، ومنهم من إذا رأى أصحاب سلم عليه ، يزعم أن عليا رضي الله عنه فيه عل ما بينا من قبل . وأما الزيدية ، فإنما سموا بذلك ليلهم إلى قول زيد بن علي في تولية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وأما الطارودية ، فنسوبة إلى أبي الطارود ، زعموا أن عليا رضي الله عنه وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الإمام ، وقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم نص عليا رضي الله عنه بصفته لا باسمه ، ويسوقون الإمامة إلى الحسين ، ثم هي شورى بينهم فيمن خرج منهم . وأما السليانية فنسوبة إلى سليمان بن كثير ، قال زرقان : زعموا أن عليا كرم الله وجهه كان الإمام ، وأن يعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خطأ ، لا يستحقان اسم السبق ، وأن الأمة تركت الأصحح . وأما البترية ، فنسوبة إلى الأكبر وهو النواء ، وكان يلقب به ، وزعموا أن يعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليست بخطأ ، لأن عليا رضي الله عنه ترك الإمارة وهم واقفون في شأن ويقولون علي إمام حين بوجع . وأما النعيمية ، فنسوبة إلى نعيم بن إيمان ، وهي تقول بقول الأثرية ، إلا أنها تفرقت من عثمان بن عفان رضي الله عنه وكفرت به . وأما البقوية ، فيقولون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، إلا أنهم يقولون بتفضيل علي عليهما ، وينكرون الرجعة ، فهي تنسب إلى رجل يقال له يعقوب ، ومنهم من تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويقولون بالرجعة

(فصل) وأما الزائفة ، فالأربع عشرة فرقة التي تفرعت عنها : أولها القطعية ، سموا بذلك لقطعهم على موت موسى بن جعفر ساقوا الإمامة إلى محمد بن الحنفية ، وهو القائم المنتظر . والثانية الكيسانية وهي منسوبة إلى كيسان يقولون بإمامة محمد بن الحنفية ، لأنه دفع إليه الراية بالبصرة . والثالثة الكريمية ، وهم أصحاب ابن كريب الضريير . والرابعة العمورية . وهم أصحاب حمير ، وهو إمامهم إلى خروج المهدي . والخامسة الحميدية ، وقد زعمت أن القائم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وأنه أوصى إلى أبي منصور دون بني هاشم ، كما أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون دون ولده وولد هارون . وأما السادسة ، فالخبيثة ، زعمت أن أبا منصور أوصى إلى ولده الحسين بن أبي منصور وهو الإمام بعده . وأما النواسية فلقبوا به لأنهم نسبوا إلى تالوس البصري الذي هو رئيسهم ، ويقولون بإمامة جعفر وأنه حي لم يمض بعد ، وأنه قائم وهو المهدي . وأما الإسماعيلية ، فقد قالوا إن جعفرا الميت والإمام بعده إسماعيل ، وقالوا إنه يمكث وهو المنتظر . وأما القرامضية ، فهم يسوقون الإمامة إلى جعفر ، وأن جعفرا نص عليا وراثته محمد بن إسماعيل ، ومحمد لم يمض وهو حي ، وهو المهدي . وأما الباركية ، فنسوبة إلى رئيس المبارك ، زعموا أن محمد بن إسماعيل مات ، وأن الإمامة في ولده . وأما الشمعية ، فنسوبة إلى رئيس يقال له يحيى بن شبيب ، زعموا أن الإمام جعفر ثم محمد بن جعفر ثم في ولده وأما العمورية ويقال لهم الأنططية ، لأن عبد الله بن جعفر كان أقطع الرجلين يقولون إن الإمام بعد جعفر ابنه عبد الله وهم عدد كثير . وأما القلمورية ، فسما بذلك لأنهم ناظروا يونس بن عبد الرحمن ، وهو من القطعية الذين يقطعون على موت

موسى بن جعفر ، فقال لهم موسى : أتم أعون عن الكلاب المظمورة ، فإزهم هذا القب ، ويسمون الواقعة لوقوفهم على موسى بن جعفر وقولهم هو حتى لم يمت ، ولا يموت ، وهو المهدي عندهم . وأما الموسوية ، فسموها لذلك لوقوفهم في موسى وقولهم لا تنزى أمت هو أم حتى ؟ وألقوا إن صحت إمامة غيره أنقلوها . وأما الإمامية ، فيسوقون الإمامة إلى محمد ابن الحسين ، وأنه القائم المنتظر الذي يظهر قبل الأخرى عدلاً كما ملئت جوراً . وأما الزوارية ، فهم أصحاب زوارة ، ادعى ما ادعت العمرية ، وقيل إنهم ترك مقاتلتها وأنه سأل عبد الله بن جعفر عن مسائل ولم يعلمها ، فصار إلى موسى بن جعفر ، فقد شبهت مذاهب الروافض باليهودية ، قال الشعبي : محبة الروافض محبة اليهود ، قالت اليهود : لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود ، وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد علي بن أبي طالب ، وقالت اليهود : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال ، وينزل بسبب من السماء ، وقالت الروافض : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء ، وتؤخر اليهود صلاة المغرب حتى تشكك النجوم ، وكذلك الروافض يؤخرونها ، واليهود تقولون عن القبلة شيئاً ، وكذلك الرافضة ، واليهود تنوز في الصلاة ، وكذلك الرافضة ، واليهود تسلك أبوابها في الصلاة ، وكذلك الروافض ، واليهود تستحل دم مسلم ، وكذلك الروافض ، واليهود لا ترى على النساء عدة ، وكذلك الرافضة ، واليهود لا ترى في الطلاق الثلاث شيئاً ، وكذلك الروافض ، واليهود حرقت التوراة ، وكذلك الرافضة حرقت القرآن ، لأنهم قالوا القرآن غير وهدل ، وغولف بين نظمه وترتيبه ، وأحل عما أنزل عليه ، وقرئ على وجوه غير ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه قد نقص منه وزيد فيه ، واليهود يخضون جبريل عليه السلام ويقولون هو عدونا من الملائكة ، وكذلك صنف من الروافض يقولون غلط جبريل عليه السلام بالوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما يمت إلى علي رضي الله عنه ، كذبوا يا غم إلى آخر الدهر .

(فصل) وأما المرجئة ففرقها اثنا عشرة فرقة : الجهمية والصابعية والشعرية والبرسية ، اليونانية والنجارية والقيلائية والشيعة والخضية والمعاوية والمريسية والكرامية . وإنما سموا المرجئة لأنها زعمت أن الواحد من المكلفين إذا قال لا إله إلا الله حمد رسول الله وفعل ذلك سائر المعاصى لم يدخل النار أصلاً ، وأن الإيمان قول بلا عمل ، والأعمال الشرائع ، والإيمان قول بجرة ، والناس لا يتفاضلون في الإيمان ، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأكياء واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يستثنى فيه ، فمن أقر بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن .

(فصل) وأما الجهمية ، فمقسومة إلى جهنم بن صفوان وكان يقول : الإيمان هو المعرفة بالله ورسوله وجميع ما جاء من عنده فقط ، ويؤمنون أن القرآن مخلوق ، وأن الله تعالى لم يكلم موسى ، وأنه تعالى لم يتكلم ولا يرى ولا يعرف له مكان وليس له عرش ولا كرسي ، ولا هو على العرش ، وأنكروا المولدين وعذاب القبر ، وتكون الجنة والنار مخلوقين ، وادعوا أنهما إذا خلقتا تضنيان ، والله عز وجل لا يكلم خلقه ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا ينظر أعمال

الجنة إلى الله تعالى ولا يرويه فيها ، وأن الإيمان معرفة القلب دون إقرار اللسان وأنكروا جميع صفات الحق عز وجل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وأما الصالحة ، فإنما سميت بذلك لوقوعها بمنهج أبي الحسين الصالحى ، وكان يقول : الإيمان هو المعرفة ، والكفر هو الجهل ، وأن قول من قال ذلك ثلاثة ليس بكفر وإن كان لا يظهر إلا من كان كافراً ، وأن لأعبادة إلا الإيمان . وأما اليونانية ، فقصوية إلى يونس البرى ، زعم أن الإيمان هو المعرفة والخضوع والحببة لله عز وجل ، وأن من ترك خصلة منها فهو كافر . وأما الشمرية ، فنسوبة إلى أبي شمر ، زعم أن الإيمان هو المعرفة والخضوع والحببة والإقرار بأنه واحد ليس كمثلته شئ ، وذلك باجتماعه إيمان . وقال أبو شمر : لا أسى من ركب الكبيرة فاسقا على الإطلاق دون أن أقول فسق في كل ما وكلا . وأما اليونانية ، فنسوبة إلى يونان ، زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسله ، وما لا يجوز في العقل لا يفعل . وأما التجارية ، فنسوبة إلى حسن بن محمد ابن حنبل الله التجار يقولون : إن الإيمان والمعرفة بالله ورسله ، وقرائنه المقتضع عليها ، والخضوع له والإقرار باللسان ، ففى جهل منه شيئا وقامت عليه الحجة ولم يقره فكان كافراً . وأما الغيلية ، فنسوبة إلى غيلان ، وألقوا الشمرية وزعموا أن العلم بمحدث الأشياء ضرورى ، والعلم بالوحيد هو العلم باللسان . وفى حكاية زرقان أن غيلان كان يقول بأن الإيمان هو الإقرار باللسان وهو التصديق . وأما الشيبية فهم أصحاب محمد بن شيب ، زعموا أن الإيمان هو الإقرار بالله والمعرفة بواحديته ، ونفى التشبيه عنه .

وزعم محمد أن الإيمان كان في إبليس ، وإنما كفر لاستكباره . وأما الحنفية ، فهم بعض أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسوله ، وإنما جاء من عنده جملة على ما ذكره البرهوق في كتاب الشجرة . وأما الماذنية ، فنسوبة إلى معاذ المرحسى كان يقول : من ترك طاعة الله يقال له إنه فسق ، ولا يقال فاسق ، والقاسم ليس بعدو الله ولا ولي الله . وأما المريسية ، فنسوبة إلى بشر المريسي ، يزعمون أن الإيمان هو التصديق ، وأن التصديق يكون بالقلب واللسان وإلى هذا كان يذهب ابن الراوندى ، وزعم أيضا أن السجود للشمس ليس بكفر ولكنه أمارة الكفر .

(فصل) وأما الكرلمية ، فنسوبة إلى أبي حنبل الله بن كرام ، زعموا أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب ، وأن المناقذين كانوا مؤمنين في الحقيقة ، ومن قولهم إن الاستطاعة تقدم العمل مع وجود كونها مقارئة له ، بخلاف ما قال أهل السنة من أنها مع الفعل ، ولا يجوز أن تنقله من غير شرط ، ومؤلفو كتبهم أبو الحسين الصالحى وابن الراوندى ومحمد بن شيب والحسين بن محمد التجار ، وأكثر ما يكون مذهبهم بالشرق وتواشى غرامان .

(فصل) في ذكر مقالة المعتزلة والقدرية ، وإنما سموا المعتزلة لاعتزالهم الحق ، وقيل لاعتزالهم أقاويل المسلمين ، لأن الناس كانوا مختلفين في مركب الكبيرة ، فقال بعضهم : هم مؤمنون بما معهم من الإيمان . وقال بعضهم : هم كافرون ، فأحدث واسل بن عطاء قولاً ثالثاً ،

وفارق المسلمين واضلوا المؤمنين فقال: ما هم بمؤمنين ولا كافرين فسموا بذلك المعزلة . وقيل إنما سموا بذلك ، لاعتزالهم مجلس الحسن البصري رحمه الله ، فتر الحسن بهم وقال : هؤلاء معزلة ، فلقبوا بذلك ، وهم يقتلون بعمر بن عبيد . ولما غضب الحسن البصري على عمرو بن عبيد عتب في ذلك ، فقال : أتعابوني في رجل رأيته يسجد للشمس من دون الله في المنام ؟ وسموا طرية لردتهم قضاء الله عز وجل وقدره في معاصي العباد ، وإتيانهم لما يأثمهم ، وملعب المعزلة والجهمية والقهرية في نفي الصفات واحد . وقد ذكرنا بعض ملابهم في الاعتقاد ، ومؤلفو كتبهم أبو الفليل وجعفر بن حرب الخياط والكعبي وأبو هاشم وأبو عبد الله البصري وعبد الجبار بن أحمد المصنف ، وأكثر ما يكون ملابهم بالسحر والأهواز وجرهم ، وهم ست فرق : المذلية والنظامية والمصرية والجلابية والكعبية والبشمية . والذى اجتمعت عليه فرق المعزلة نفي الصفات بأجمعها ، فنفى أن يكون له عز وجل علم وقدره وحياة وسمع وبصر ، وكذلك نفي الصفات المثبتة بالسمع ، من الاستواء والزلزل وغير ذلك ، واجتمعت أيضا على أن كلام الله حديث ، وإرادته محدثة ، وأنه تكلم بكلام خلقه في غيره ، ويريد زيادة محدثة لآل محم ، وأنه تعالى يريد خلاف معلومه ، ويريد من عباده ما لا يكون ، ويكون ما لا يريد ، وأنه تعالى لا يقدر على مقدورات غيره ، بل يستحيل ذلك وأنه لم يخلق أفعال عبده ، بل هم المخلوقون لما دون ربهم ، وإن كثيرا مما يتفاداه الإنسان لم يرزقه الله إذا كان حراما ، وإنما الذي يرزق الله الحلال دون الحرام ، وأن الإنسان قد يقتل دون أجله ، والقتال يقطع أجله قبل حبه ، وأن من ارتكب كبيرة من الموحدين وإن لم يكن كفرا فإنه يخرج بها من إيمانها ، ويحقد في النار أبدا للأبدية ، وتبطل جميع حسناته ، وأبطلوا شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر ، وأكثرهم نفوا عذاب القبر واليزان ورأوا الخروج على السلطان وترك طاعته ، وأنكروا انتفاع الميت بدعاء الحي له والصدقة عنه وصول ثوابها إليه . وزعمت أيضا أن الله سبحانه لم يكلم آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى وهذا صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا حلة العرش ولا ينظر إليهم ، مثل ما لا يكلم إبليس واليهود والنصارى . وأما الذي انفردت به كل فرقة منها : أما المذلية ، فقد انفرد شيخهم أبو الهليل بأن الله علما وقدره ومهما وبصرا ، وأن كلام الله بعضه مخلوق وبعضه غير مخلوق ، وهو قوله تعالى (كن) وقال : إن الله تعالى ليس بخلاف خلقه ، وأن مقدور الله متناه ، فبين أهل الجدية لاحركة لهم ، والله تعالى لا يقدر على تحريكهم ولا هم يقدر على ذلك ويجوز أن يكون الميت والمعلوم والعاجز يفعل الأفعال ، وأن أن يكون الله تعالى لم يزل سميا . وأما النظامية ، فكان شيخهم النظام يقول : إن الجمادات تفعل بإيجاب الخلقة ، وكان ينفي الأعراض إلا الحركة الاعتيادية ويقول : إن الإنسان هو الروح ، وإن ألسنا لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما رأى طوره بين جسمه وخرق الإجماع فقال : من ترك الصلاة عمدا إذا ذكر فلا إعادة عليه ، وكان ينفي إجماع الأمة ، ويجوز إيجابها على باطل ، ويقول : إن الإيمان مثل الكفر ، والطاعة كالعصية ،

وفعل النبي صلى الله عليه وسلم كفعل إبليس اللعين ، وأن صيرة حمز وعلى رضى الله عنهما
كصيرة الحجاج ، وإنما ألزم ذلك وركبه لأنه كان يقول : الحيوان كله جنس واحد ، وزعم
أن القرآن ليس بمعجز في نظمه ، وأن الله تعالى ليس بقادر على تحريق الطفل ، ولو كان على شفير
جهنم ولا على طرحة فيها ، وهو أول من قال بالكفر من أهل القبلة ، وكان يقول : إن الجسم
ينجز إلى ما لا غاية له ، وكان يقول : إن الحيات والمقارب والخنائس في الجنة ، وكذلك الكلاب
والخنازير في الجنة . وأما المعاصرة فكان شيخهم للعمر يقول بقول أهل الطوائف ، وينجأ
ويزعم أن الله تعالى لم يخلق لونا ولا طعما ولا رائحة ولا موتا ولا حياة ، وأن ذلك كله فعل الجسم
بطبعه ، وكان يقول : إن القرآن فعل الأجسام ، وليس هو بفعل الله ، وأنكر أن يكون الله تعالى
قدما ، نيا له وأبعد الله تعالى من هذه الأمة . وأما الجبائية فكان شيخهم الجبائي خرق الإجماع
وخلف عنه في أشياء : منها أنه كان يقول : إن العباد خالقون لأنفسهم ولم يسبقه إلى هذه أحد .
وكان يقول : إن الله تعالى أحبل نساء العالمين بخلقهن الخليل قين ، وكان يقول : إن الله تعالى
مطيع لعباده إذا فعل ما أراد وقال من حلف أن يعطى غريمه حقه ضدا واستثنى في ذلك بقول
إن شاء الله لم ينفعه الاستثناء ، فإذا لم يعط حنث ، وكان يقول : إن من سرق خمسة دراهم
كان فاسقا ، وإن نقصت منه حبة لم يفسد . وأما البهشية ، فنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبالي ،
وكان أبو هاشم يجوز أن يكون المكلف قادرا ، وهو لا يكون فاعلا ولا تاركا ، فيعاقبه الله تعالى
على فعله ، وكان يقول : من تاب من سائر الذنوب إلا ذنبا واحدا لم تصح توبته فيها تاب
منه . وأما الكمية ، فنسوبة إلى أبي القاسم الكمي وكان بغداديا ، فأنكر أن يكون الله صعبا
بصيرا ، وأن يكون مريضا بالحقيقة ، وأن إرادة الله تعالى من فعل عباده هو الأمر به ، وإرادته
من فعل نفسه هو علمه وعدم الإكراه ، وزعم أن العالم كله ملاء ، وأن المتحرك إنما هو الصفحة
الأولى من الأجسام ، وأن الإنسان لو نذهن بذهن ومشي لم يكن هو المتحرك ، وإنما الدهن
هو المتحرك ، وكان يقول : إن القرآن حديث ولا يقول مخلوق .

(فصل) وأما ذكر مقالة المشبه فهم ثلاث فرق : المشامية ، والمقاتلية ، والواسمية . والذي
انفقت عليه الفرق الثلاث ، أن الله تعالى جسم ، وأنه لا يجوز أن يفعل الموجود إلا جسما : والذي
غلب عليهم التشبيه فرق الروافض والكرامية الذين ألف كتبهم هشام بن الحكم ، وله كتاب
في إثبات الجسم . أما المشامية ، فنسوبة إلى هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم طويل عريض
عميق نور ساطع له قدر من الأقدار كالسيكة الصافية يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد . وحكى
عنه أنه قال : أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار ، وقيل له : ربك أعظم أم أحد ؟ فقال :
رب أعظم . وأما المقاتلية ، فنسوبة إلى مقاتل بن سليمان . حكى عنه أنه قال : إن الله تعالى جسم
وأنه جنة على صورة الإنسان لحم ودم وله جوارح وأعضاء من رأس ولسان وحنق وأنه في جميع
ذلك لا يشبه الأشياء ولا تشبهه .

(۱) قوله « والرومية » كذا بالأصل الذي بأيدينا ولم يصرح إسناده كالمشامية والمقاتلية . اهـ .

(فصل) في ذكر مقالة الجهمية: نفرد بهم بن صفوان بأن الإنسان إنما ينسب إليه ما يظهر منه على الخراز لأهل الحقيقة، كما يقال: طالت النخلة وأدركت الثمرة، وكان بلى أن يقول: إن الله كان عالماً بالأشياء قبل كونها، ويقول: إن الجنة والنار عنيان، وبني الصفات، كان ملحق بهم بزمه وهو بلد، وقيل بمره، وله تأليف في بني الصفات، فله مسلم ابن الحواري. وأما الضرارية، فنسوبة إلى ضرار بن عمرو، وكان يقول ضرر: إن الأجسام أعراض مجتمعة، وجوز أن تغلب الأعراض أجزائها، وأن الاستطاعة بعض المستطيع وهي قبل الفعل. وأشكر قراءة ابن مسعود وأن بن كعب رضى الله عنه. وأما التجارية، فهي منسوبة إلى الحسين بن محمد التجير، كان يثبت فعل القاطنين بالحقيقة لله تعالى ولا عبد، وكان يقول بني الصفات، وقال يقول المعتزلة في بني الصفات، إلا في بني الإرادة، فإنه أثبت أن القديم مراد لنفسه. وكان يقول: يخلق القرآن، ويقول: إن الله مراد على معنى أنه ليس بمفهوم ولا مغلوب، وأن الله متكلم بمعنى أنه ليس يتلوه عن الكلام، وأنه لم يزل جواداً بمعنى أني البخل عنه، وملحقه موافق للمذهب ابن حون وأن يوسف الرائي، وأكثر ما يكون ملحقه بفاشان. وأما الكلامية، فنسوبة إلى أبي عبد الله بن كلاب، وكان يقول: صفات الله ليست بشدئية ولا محدثة، وكان يقول: لا أقول صفاته هي هو، ولا هي غيره، وأن معنى الاستواء نبي الأوجاج في قوله (الرحمن على العرش استوى) وأن الله لم يزل على ما كان عليه من قبل وأن لا مكان، ونبي أن يكون القرآن حروفاً:

(فصل): في ذكر مقالة السالية، وهي منسوبة إلى ابن سالم من قولهم إن الله سبحانه يرى يوم القيامة في صورة آدمي محمدى، وأنه عز وجل يتجلى لسائر المخلوق يوم القيامة من الجن والإنس والملائكة والحيوان أجمع لكل واحد في معناه، وفي كتاب الله تعالى تكليهم، وهو في قوله عز وجل (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) ومن قولهم إن الله تعالى سرّاً لو أظهره لبطل التدبير، وللأيتام سرّاً لو أظهره لبطلت النبوة، وللعملاء سرّاً لو أظهره لبطل العلم، وهذا فاسد، لأن الله تعالى حكيم والتدبير محكم لا يتطرق نحوه البطلان والفساد، وما ذكره يؤدي إلى لبطال حكمته تعالى، وهذا كفر. ومن قولهم إن الكفار يرون الله تعالى في الآخرة وبخاصتهم، ومن قولهم إن إبليس سيد آدم في الثانية، وفي القرآن تكليهم، وهو قول الله عز وجل (إلا إبليس أتى واستكبر وكان من الكافرين) وقوله تعالى (إلا إبليس لم يكن من الساجدين) ومن قولهم: إن إبليس ما دخل الجنة، وفي القرآن تكليهم، وهو قوله تعالى (أخرج منها لما نرى كبره) ومن قولهم: إن جبريل كان يهوى إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يرحم من مكانه، ومن قولهم: إن الله تعالى لما تكلم موسى عليه السلام أعجب موسى بنفسه، فأوحى الله إليه يا موسى أنتعجبك نفسك، مد عينيك، فد موسى عينيه، فينظر إذا قدماه مائة طور، على كل طور موسى. وهذا منكر عند أهل النقل وأصحاب الحديث، فهو حديث باطل، وقد أوجده النبي صلى الله عليه وسلم من كلب عليه فقال: فمن كلب على متعلماً فليتبوأ مقعده من النار

ومن قولهم إن الله تعالى يريد من العباد الطاعات ولا يريد منهم المعاصي ، وأنه عز وجل أرادها بهم لأمهم وهذا باطل ، لأن الله تعالى قال (ومن يرد الله فتنه فلا تمنك له من الله شيئا) يعنى كفره ، وقال الله تعالى (ولو شاء ربك ما قلوه) وقال تعالى (ولو شاء الله ما اقتتوا) . ومن قولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفظ القرآن قبل النبوة ، وقيل أن بآية جبريل عليه السلام ، وفي القرآن تكذيبهم ، وهو قوله تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) وقوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك) . ومن قولهم : إن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارئ ، وأنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ وإنما يسمعون من الله وهذا القول يفضى إلى الخطل ، نموذج بالله من ذلك ، ويؤدى إلى أن الله تعالى يلحن ويألف وهذا كفر . ومن قولهم : إن الله تعالى فى كل مكان ، ولا فرق بين العرش وغيره من الأمكنة ، وفى القرآن تكذيبهم ، قال الله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) ولا يقال على الأرض استوى ، ولا على بطون الجبال وغير ذلك من الأمكنة ، وهذا آخر ما يتعلق بالاعتقاد والأصول على وجه الإشارة والاختصار . وإنما لم نشر إلى إبطال كل مذهب من مذاهب هذه الفرق الفاضلة خوفا من إطالة الكتاب ، وإنما أوردنا ذكر مقالاتهم مجردة للتجدير منها ، أعادنا الله وإياكم من شر هذه المذاهب وأهلها ، وأماننا على الإسلام والسنة فى القرعة الناجية برحمته :

باب

وأما الاعتناء بمواعظ القرآن والأقوال النبوية فى مجالس تذكروها

الأول من ذلك مجلس فى قوله عز وجل

(فإذا قرأت القرآن فاستمع له من الشيطان الرجيم)

اعلم أن هذه الآية فى سورة التحل وهى مكية ، إلا ثلاث آيات من آخرها أنزلت بالمدينة . وعدد آياتها مائة وعشرون آية وثمان آيات ، وعدد كلماتها ألف وثمانمائة وإحدى وأربعون كلمة وحروفها مائة ألف وسبعمائة وتسعة أحرف . قال أهل التفسير : كان سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم ، وقرأ (والليل إذا يغشى) فى صلاة القنجر . بحكمة فأعلن قراءتها ، فلما بلغ إلى قوله (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) لعن النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الشيطان فى قراءته : تلك الفرائق الملا عنها الشفاعة ترغى ، يعنى الأصنام ، قال : ففرح المشركون بذلك ، لأنهم أيضا لها الشفاعة ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، كما قال الله عز وجل (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكانوا يقولون إنها أجسام طاهرة ليس لها ذنوب ، فبطل أول العبادة لها من غيرها من التلوة والملازمة ، لأن لهم ذنوبا وهم ذوو أرواح ، فذهبوا الأصنام بالفرائق ، وهى الذكور من الفيلسوف ، واحدها غرنوق وغرنيق ، لكونها تعلو وترتفع فى السماء . وقيل : هو طائر أبيض من طير الماء

وقیل : هو الکرتی ، ویسی ایضا الشاب الناعم غریوفا . ومنه حلیث علی رضی اللہ عنہ :
فکأنی أنظر إلى غریوق من قریش یقشطح فی جمہ : أي شاب . وقال مقاتل . یعنی الملائکۃ
رجوا أن تكون الملائکۃ شفاعۃ ، لأن طائفة من الکفار کانت تہد الملائکۃ ؛ فلما بلغ
الرسول صل اللہ علیہ وسلم غائۃ النجم مجد ومجد کل من حضر من مسلم ومشرک ، غیر أن
الولید بن المغیرۃ کان رجلا شیخا کبیرا ، فرفع ملہ کفہ من الرباب إلى جہتہ لیسجد علیہ ،
فقال : نحی : کما نحی أم یمن وصواحبنا ، وکان یمن خادم النبی صل اللہ علیہ وسلم فقتل
یوم حنین ، فوقت ہاتان الکلمتان فی قلب کل مشرک ، واما من صبع الشیطان وفنتہ
ألقاھا فی قراءۃ النبی صل اللہ علیہ وسلم عند آخر ذکر الطواغیت والأصنام ، فمجب القریبان
کلاھا من عبود ہم أبغیون ، وأتباعہم للنبی صل اللہ علیہ وسلم فی ذلک . فاما المسلمون لعجبوا
من عبود المشرکین علی غیر ایمان ینقون ، وأما المشرکون فطابت أنفسهم إلى النبی صل اللہ
علیہ وسلم وأصحابہ ، لما سمعوا منہ ما ألقى الشیطان فی أمانتہ واستبشروا وقالوا : إن محمدا قد
رجع إلى دینہ الأول ودين قومہ ، فسجدوا تعظیفا لآمتہم ، ففتحت الکلمتان فی الناس بإظهار
الشیطان حتی بلغت الحبشۃ ، فکبر ذلک علی النبی صل اللہ علیہ وسلم ؛ فلما أسی أثناء جبریل
علیہ السلام وقال : معاذ اللہ من ہاتین الکلمتین ما أنزلھا ربی عز وجل ولا أمرنی بہما ؛ فلما
رأی ذلک رسول اللہ صل اللہ علیہ وسلم شق علیہ وقال : أظمت الشیطان وتکلمت بکلامہ ،
وأشركتہ فی أمر اللہ عز وجل ، ففسخ اللہ ما ألقى الشیطان وأنزل علیہ (وما أرسلنا من قبک
من رسول ولا نبی إلا إذا نحن ألقى الشیطان فی أمانتہ) یعنی فی تلاوتہ وقراءتہ (فینسخ اللہ ما ألقى
الشیطان ثم یحکم اللہ آیاتہ واللہ علیم حکیم) فلما برأ اللہ عز وجل نبیہ صل اللہ علیہ وسلم من صعب
الشیطان وفنتہ انقلب المشرکون بفضلہم وعدوتہم ، ثم أمر النبی صل اللہ علیہ وسلم
بالاستعاذۃ ، فأنزل اللہ عز وجل (فإذا قرأت القرآن فاستعذ باللہ من الشیطان الرجیم) قال عبد اللہ
ابن عباس رضی اللہ عنہما : معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فقل أعوذ باللہ من الشیطان الرجیم ،
یعنی احذر باللہ من الشیطان الرجیم ؛ أي إبلیس الثعین ، یعنی المرجوم باللعنۃ ، فقال : لیس
شیء لقط أغلظ علی إبلیس الثعین من الصودۃ باللہ منہ (إنه لیس لہ سلطان) یعنی ملک (علی
الذین آمنوا) فی علم اللہ فی الشریک فیضلہم عن المبدی (وعلی ربہم یتوکلون) یعنی باللہ یتقون
(إنما سلطانہ) یعنی ملکہ (علی الذین یقولونہ) یعنی إبلیس الثعین أن یتبعونہ علی أمرہ (فیضلہم
من دینہم) الإسلام (والذین ہم بہ) یعنی باللہ (مشرکون) أي من أجلہ مشرکون .

(فصل) ومعنی أعوذ : الاستعاذۃ والاستجارۃ والالتجاء ، والمعاذ : الملجأ ، يقال : عاذ بہ
یموذا عبازا وحرذا ، ومعنی معاذ اللہ : أي ألقا إلیہ وأعوذ بہ ، يقال : علما عوذ لی بما أضاف ،
أي یجبرنی والمدافع عنی ، فکان التبد یعوذ باللہ لبقیہ من شر الشیطان ، والصودۃ بالقرآن هو الثعنی
بہ . وقیل : معنی الاستعاذۃ الاحتراز باللہ عز وجل ، قال اللہ تعالی حاکما عن أم مریم (ولما
أحیٰلھا بک وذریئہا) یعنی مریم وحیسی (من الشیطان الرجیم) یعنی احترز باللہ فی حقہما من

الشیطان الرجیم ، واشتاق الشیطان مأخوذ من الشطن وهو الحبل الطویل المضطرب ، والشطن لجد ، فكانه نباح من الخیر وطال في الشر واضطرب فيه ، ثم قيل للإنسان شیطان : أى كالشیطان في فعله ، وكل شيء مستفح فهو مشبه بالشیطان ، فيقال : كأن وجهه وجه الشیطان ، وكان رأسه رأس الشیطان ، ومنه قوله عز وجل (مظهره كأنه رموس الشیاطین) فهو رأس الشیطان المعروف ، وقد قيل : هو حیات لما رموس منكراً وأعراضه وقيل : رموس الشیاطین ثبت معروف ، وأما الرجیم : فهو المرجوم باللعن : أى رماه باللعن وأبعده من الحضرة بعصيانہ في ترك السجود لآدم عليه السلام ، ورجته الملائكة بالرجام ، وطردته بها حينئذ من السماء إلى الأرض ، ثم جعلت له الكواكب رجوماً ، فيرجم هو وذريته إلى أن تقوم الساعة بالكواكب وباللعن ، كما قال الله عز وجل (وجعلناها رجوماً للشیاطین) .

(فصل) الشیطان بعيد من الله ، وبعيد من كل خير ، وبعيد من الجنة ، وقريب إلى النار . فامر النبي صلى الله عليه وسلم وأمه الکرام بالعمود من الشیطان الرجیم البعيد من الرحمن ليعبدوا من التبر ، وينصرفوا إلى الجنان ، وينظروا إلى وجه الملك الديان ، فكان الله عز وجل يقول : يا عبادي الشیطان مني بعيد ، وأنت مني قريب ، فأحسن الأدب في حفظ الحال حتى لا يكون للشیطان عليك سبيل يسبب من الأسباب ، وحسن الأدب في أداء الأوامر وإنهاء النهي والرضا بمریان المقدور في النفس والمال والأهل والولد والخلائق أجمعين ، فإذا دام العبد على ذلك ولازمه وواظب عليه وعاقته ، كانت له النجاة من فن الشیطان ووساوسه ، وهو اجس النفس وغواطلها ، وعذاب القبر وضغطته ، وحول القيامة وشدها ، وألم النار وزفرتها ، وكان في جوار الله في جنة المأوى ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، متعلبا في نعم الله في كل حال ، دائما أبدا ، قال الله عز وجل (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فإذا كان على العبد ممة العبودية لتلك الأهل ، لم يكن للشیطان الضعيف الخسيس الأدنى عليه تسلق وإتلاء لافي الجلوة ولا إذا خلا لاعلى القلب بالعصية إذا توى ولا حل الجوارح ، إذا كادت بها أن تهوى وتردى ، فحينئذ يسمع النداء هكذا فعلا بمن ترك القوى ، وأتبع الحق وبه احتلى ، وفيه يتنصم الملاء الأهل ، وبالعظيم يدهي في الملوكوت الأهل ، وبه يباهي الملك الأهل على العرش إذ هو عليه استوى ، بكلامه القديم ، المصون من مبيع الشیطان والباطل عند قراءة القرآن إذا قرأ (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الخالصين) إذ هو في السر والعلانية أنى ، فالفرار من الشیطان الرجیم ودعائه أخرى وأولى ، إذ الخلق واقع من فعل الأهل حيث قال « إن الشیطان لكم عنو فالتخونوه عدوا » ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . ولقد أضل متكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون (فاتباع الشیطان أصل كل شقاوة وعداء ، وفي مخالفة سعادة ونعماء وراحة وهدي ، والخلو في دار البقاء .

(فصل) يستفيد العبد بالاستعاذة لحسة أشياء : أحدها : الثبات على الدين . والى . والثاني : السلامة من شر التعين والعناء . والثالث : الدعوى في الحصن الحصين والزلزلة .

والرابع : الوصول إلى القام الأميين مع اليقين والمصدقين والشهداء والصالحين . والخامس : نيل معرفة رب الأرض والسماء ، كما ذكر في بعض الكتب المتقدمة لما قال إبليس للعين في مخاطبته لله عز وجل (لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أعقابهم) قال الله تعالى وعزى وجلال لأمرهم بالاستعاذة فإذا استعاذوا في حققتهم عن اليمين بالمداية . وعن الشياطين بالغاية ، وعن الخلف بالعصاة ، وعن التقدم بالنصرة ، حتى لا تضلهم وسوساتك يا سامعون . ورد في بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من استعاذ بالله مرة حفظه الله تعالى في يومه ذلك » . وقال أيضا عليه الصلاة والسلام « أغلقوا أبواب المعاصي بالاستعاذة ، واغتنموا أبواب الطاعة بالتسمية » قيل : إن إبليس يبعث كل يوم ثلثة وستين صكرا لإضلال المؤمن ، فإذا استعاذ بالله نظر الله إلى قلبه ثلثة وستين نظرة ، فكل نظرة من نظراته تلك عسكر من عساكر الشيطان لعنه الله .

(فصل) والذي يخاف الشيطان منه ويغفر له الاستعاذة ، وشعاع نور معرفة قلوب العارفين ، فإن لم تكن من العارفين فليكن بالاستعاذة المتقين إلى أن ترقى إلى درجة العارفين ، فيحيط شعاع نور قلبك بكسر شوكته ، ويهزم جنده ويبدد خضره ، ويقطع شأته في خاصتك ، وربما جعلت صوته لإخوانك وأتباعك ، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق عمر بن الخطاب رضي الله عنه « إن الشيطان يفر من ظلك يا عمر » وقوله صلى الله عليه وسلم « ما سلك عمر وأبدا إلا والشيطان سلك غير ذلك الوادي » وقيل : إن الشيطان كان يصرخ إذا رأى عمر رضي الله عنه . فإذا علم الشيطان من العبد الصديق في عداوته ومخالفته لدعوته أيس منه وتركه واشتغل بغيره ، وإنما يأتيه لمحايا على وجه الاختفاء والتمصص ، فليكن العبد ملازما للصديق مستيقظا مرتقبا لهيب الشيطان وكيد ، فإن مثقه دقيق ، وعداؤه قديمة أصلية ، وإنه يجري في الجلود واللحم كجري الدم في العروق ، وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول بعد كبره : اللهم إني أعوذ بك من أن أؤذي أو أقتل ، فليل له أخفاف من ذلك ؟ فقال : كيف لأخفاف وإبليس حي .

(فصل) وأول ما يستعان به على محاربة الشيطان ودفعه كلمة الإخلاص ، وذكر المزمع به عز وجل ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل أنه قال « لا إله إلا الله حصني ، فمن قلما دخل حصني ، ومن دخل حصني فقد آمن من عدائي » وقوله عليه الصلاة والسلام « من قال لا إله إلا الله خلصا دخل الجنة » فالشيطان سبب العذاب ، فإذا قال العبد الكلمة وتقصص بوجوبها من أداء الأوامر وترك النواهي ، فرأه الشيطان ملتبسا بذلك ، تباعد منه ولم يقدم عليه ، فنج العبد من فتنه ، كما ينجو بحمى القتال من سلاح عدوه ، وكذلك التسمية بكثرة ذكرها ، فإنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقول تعس الشيطان ، فقال له عليه الصلاة والسلام : لا تقل هكذا فإنه يصالحك الشيطان اللعين ويقول بعزى قلبك ، ولكن قل « بسم الله » فإنه يصاهر الشيطان حتى يصير مثل القرة « وكذلك يستعان عليه بترك

الطمع فیا سوى فضل الله عز وجل من أبناء الدنيا والمواقف وحلهم وثباتهم وجمعهم والتكثف بهم وهدايتهم ، فإن الدنيا وأبناءها مال الشيطان وجنوده وحزبه ، والمرء مع ماله والمك مع جنده ، قل السيد القیاس من ذلك كله ، والاستثناء بالله عز وجل والثقة به ، والتوكل عليه ، والرجوع إليه فی جميع أموره وأحواله واستعمال الفرج من الحرام والثنية ، وترك سنة الخلق والتقلیل من مباح الدنيا وحلالها ، والأكل بشهوة وشربه كمحاطب الليل من غیر تقشیر وتقیر ، ومن لم یبال من أين مطعمه ومشربه لم یبال الله تعالى من أين أبواب النار یدخله . فیلزم البعد ذلك حتى یبأس الشيطان منه ، فیسلم برحمة الله وعونه ، فإن لم یفعل ذلك ، فالشیطان قرینه ، فی قلبه وصدره ، قال الله عز وجل (ومن یمش عن ذكر الرحمن نقیض له شیطانا ینوی له قرین) فتارة یوسوسه فی الصلاة ، وأخرى یمنه الأمانی الباطلة من شهوات النفس المهرمة منها والمباحة ، وتارة یبطئه عن المسارعة فی الخیرات ، والإیمان بالسنن والواجبات ، والعبادات والقربات ، فیخسر الدنيا والآخرة ، فیحشر معه ، وربما صلب الإیمان فی آخر عمره لیخلد معه فی النار یوم القيامة ، مع فرعون وهامان وقارون ، نعوذ بالله من صلب الإیمان ، ومتابعة الشيطان فی السر والإعلان .

(فصل) وروی مقاتل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : راح أصحاب رسول الله صل الله علیه وسلم ذات عشية یریلون رسول الله صل الله علیه وسلم ، فخرج فیهم أبو بکر وعمر وعثمان وعليّ وسلمان وعمر بن یاسر رضی الله تعالى عنهم أجمعین ، فخرج رسول الله صل الله علیه وسلم وقد أخذته الرحضاء ، یعنی عرق الحمى ، یسجد منه مثل الجنان ، یعنی التلویز ، ثم مسح الجبهة وقال : لمن الله الملعون ثلاثا ، ثم أشرق ، فقال له علیّ رضی الله عنه : بأی أنت وأی من لعنت آفنا ؟ فقال صل الله علیه وسلم : إلیس الخبیث ، عدو الله أدخل ذنبه فی دبره ، فیاخی سبع بیضات ، فهم أولاده المولکون بنی آدم : أحدهم اسمه اللدخس وكل بالمداء ، یردھم إلى الأهواء المتطفة . والثانی : اسمه حدیث ، وهو صاحب الصلاة ، فیضیهم الذکر ، ویعینهم باللسن ، ویطرح علیهم التنازب والنماس حتى ینام أحدهم لیقال له : قد نمت ، فہقول : لم أتم ، فیدخل فی الصلاة بغير وضوء ، والثالث نفس محمد یدہ لیطرحن أحدهم من صلاته ما له شطرها ولا ربعها ولا عشرها ، ووزرها أكثر من أنجرها . والثالث : اسمه الزبنون ، وهو صاحب الأسواق ، یأمرهم بالتطقیف والتکذب فی الشراء والبیع والتحلية لسلعہ ، واللدخ لها إذا باعها حتى یتفقها عن نفسه . والرابع : اسمه ہتر ، وهو صاحب قد الخیوب وخش الوجوه ، والدعاء بالویل والثبور عند نزول المصیبة ، حتى یحبط أجر صاحبہ . والخامس : اسمه منشوط ، وهو صاحب أخبار الکذب والخیبة والمفزع والمفزع حتى یؤثم العباد . والسادس : اسمه واسم ، وهو صاحب الدبر الذی یضغ فی الإحلیل وجیز المرأة حتى یزق کل واحد منهما بصاحبه . والسابع : اسمه الأعور ، وهو صاحب السرقة ، یتول السارق : لشد بها فافتك ، وتقضی بها دینك ، وتسیر بها عورتك ثم تروب . فینفی لكل

مؤمن أن لا يضل عن الشيطان في سائر أحواله ، ولا يأتيه في جميع أوقاره . وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن للوهم شيطاناً يقال له الوهمان ، فاستعذوا بالله منه » وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تراصوا في الصفوف فلا يضللكم الشياطين كأنها بنات جلف » قالوا : وما بنات جلف ؟ قال أبو حنيفة : قال أبو عبيدة : هي هذه الغم الصغائر الحجازية ، واحسبها جلفة ، ويقال نقد أيضا ، ويقال ليس لها أذناب ولا آذان يها بها من جرش ، بلدة باليمن . وقد روى عن عثمان بن العاصي رضي الله عنه أنه قال : « قلت : يا رسول الله كيف حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي ، فقال صلى الله عليه وسلم : ذاك شيطان يقال له خنزب ، إذا أحسسته فعتوذ بالله منه ، واتحل عن يسارك ثلاثا » قال : ففعلت ذلك ، فأذهب الله عني » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور : « ما منكم من أحد إلا وله شيطان » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « ولا أنا إلا أن الله تبارك وتعالى قد أعانني عليه فأسلم » . وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن » ، قيل : « ولا أنت يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « ولا أنا ، إلا أن الله قد أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير » . وقيل : إن الله لما لعن إبليس ، خلق منه زوجة الشيطانة من ضلعه الأيسر ، كما خلقت حواء من آدم عليه السلام ، ففشيها فحملت منه إحدى وثلاثين بيضة ، فصارت أصلا للريث ، فنفرت المردة عنها ، فطيطت البر والحر حتى قيل : قصص كل بيضة عشرة آلاف ذكر وأنثى ، يعني تنفرت منها ، فسكنوا الجبال والجزائر والخرابيات والقلوات والبحار والرمال والأدغال والأحجام والعيون ومجامع الطرق والحمامات والكثب والزابل والوداء ومعارك الحروب والنواقيس والقبور والدور والقصور وغمام الأعراب وجميع البقاع . وقال الله تعالى (أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ، يئس للظالمين بدلا) فويل لمن استبدل بعبادة الله عز وجل طاعة الشيطان وذريته ، لا جرم أنه معهم في النار خالدا فيها إن لم يتوب ولم يتذكر ، فليتب نفسه ويسعى في فكها عنها وخلعها ، فيفارق قرناء السوء والأعمال الخبيثة ، ودعاة الضلال وجنود الشيطان ، فيرجع إلى الله ، ويأمر طاعته ، ويجالس العلماء من عباده ، والعارفين به العالمين له الداعين إليه الراغبين فيه ، والراغبين لقضاه الحاجات لسلطوته ، الراغبين من أخذه ، الراغبين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، القاطنين في الليل ، والصائمين في النهار ، الباكين على ما فات من أيام البطالات ، العازمين على الخير فيما يأتي من الساعات ، القاطنين من جميع الذنوب والخطيئات ، المتوكلين على خالق الأرض والسموات ، الواقفين برب الخليفة والبريات في المحطات والساعات ، القاطنين في آناء الليل والنهار ، أولئك آمنون من السلاسل والأغلال وآفات الدنيا وأحوال النيران ، لأنهم خالقوا طاعة الشيطان ، وأطاعوا الرحمن في السر والإعلان ، فقابلهم الدنيا ، وجازاهم الثمان بما أخبر في قوله البيان (فراقهم الله شر ذلك اليوم) وأقام نصرته وسروره ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) ، وقوله تعالى (إن المحقين في جنات

وتنهز في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقال تعالى (ولن يخلف مقام ربه جنتان) وقد ذكر الله عز وجل في كتابه هذا العبد المقتدر بعد نقوله تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبهورون) فأخير عز وجل أن جلاء القلوب يذكر الله به يزول عنها الغطاء والظلمة والرين والفتنة ، وبه تنكشف الكروب ، والذكر مفتاح التقوى والورع ، والتقوى باب الآخرة ، كما أن الملوى باب الدنيا ، قال الله تعالى (واذكروا ما فيه لعنكم تشقون) فأخير تبارك وتعالى أن الإنسان بالذكر يتق .

(فصل) وفي القلب ثمان : لمة من الملك ، وهي إبعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، ولمة من العدو ، وهي إبعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، ونهى عن الخير ، وهو مروى عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه . وقال الحسن البصري رحمه الله : وإنما هما هتان ببولان في القلب : هم من الله ، وهم من العدو ، فرحم الله عبدا ، وقف عنده ، فما كان من الله أنصاه ، وما كان من عدوه جاعده . وقال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى (من شر الرسواس الخناس) قال هو يسيطر على قلب الإنسان ، فإذا ذكر الله خنس وانقبض ، وإذا غفل اتبسط على قلبه . وقال مقاتل رحمه الله : هو الشيطان في صورة الخنزير ملق في القلب في جسد ابن آدم ، يجري منه مجرى الدم ، سلطه الله عز وجل على ذلك من الإنسان ، فذلك قوله (الذي يوسوس في صدور الناس) فإذا ساء ابن آدم وسوس في قلبه حتى يبتلع قلبه الخناس ، الذي إذا ذكر الله عز وجل ابن آدم خنس عن قلبه ، فذهب عنه وخرج من جسده . وقال عكرمة رحمه الله : الوسواس حله من الرجل في فؤاده وحبيته ، وحله في المرأة في حبتها إذا أقبلت ، وفي حبيبها إذا أدبرت .

(فصل) وفي القلب خواطر ستة : أحدها : خاطر النفس . والثاني : خاطر الشيطان . والثالث : خاطر الروح . والرابع : خاطر الملك . والخامس : خاطر العقل . والسادس : خاطر اليقين . فخواطر النفس يأمر بتناول الشهوات ومتابعة الملوى المباح منه والمخرج : وخواطر الشيطان يأمر في الأصل بالكفر والشرك والشكوى والهمة لله عز وجل في وعده ، وفي الفرع بالمعاصي والسيوف بالثوب ، وما فيه هلاك النفس في الدنيا والآخرة ، فالخواطر مذمومان محكوم عليهما بالسوء ، وهما لعموم المؤمنين . وخواطر الروح ، وخواطر الملك : يردان بالحق والطاعة لله عز وجل ، وما يكون عاقبته سلامة الدنيا والآخرة ، وما يوافق العلم ، فهما محمودان لا يعلهما خواص الناس . وأما خاطر العقل ، فتارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان ، وتارة بما يأمر به الروح والملك ، وذلك حكمة من الله وإتقان لصنعه ، ليدخل العبد في الخير والشر بوجود عقول ، وصحة شهود وعيز ، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له وعليه . لأن الله تعالى جعل الجسم مكانا لخرابان الحكامه ، ومحلا لفضا مشبهة في مبادئ حكته ، كفضا جعل العقل مظية الخير والشر ، يجري معهما في عزلة الجسم إذا كانتا مكانا للتكليف وموضعا للتصريف ، وسببا للتعريف العائد إلى الله التعيم أو عذاب اليم . وأما خاطر اليقين ، وهو روح الإيمان ومورد العلم ، فيرد من الله تعالى ، ويصدر عنه ، وهو مخصوص بنواص من الأولياء

المؤمنين الصديقين ، والشهداء والأبدال ، لا يرد إلا بحق ، وإن غنى وروده ودق مجيئه ، ولا يتدحج إلا بعلم لدنى وأخبار الغيوب وأسرار الأمور ، فهو المحبوبين والمرادين واختارين الغائبين بالله فيه عنهم ، الغائبين عن ظواهرهم ، الذين انقلب عبادتهم الظاهرة إلى الباطنة ، ما خلا الفرائض والسنن للوكالات ، فهؤلاء أبداً في مراقبة بواطنهم ، والله تعالى يتولى تربية ظواهرهم ، كما قال عز وجل " في كتابه العزيز (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) تولاهم وكفاهم ، وشغل قلوبهم بمطالعة أسرار الغيوب ، وتويزها بالتجلى في كل قريب ، فاصطفاهم لمعادته ، واختصهم بالأكس به ، والسكون إليه ، والطمأنينة لديه ، فهم في كل يوم في مزيد علم وعمق معرفة ، وتوفير نور ، وقرب من محبوبهم ومعبودهم ، وهم في نعيم لا نفاذ له ، والآلاء لا انقطاع لها ، وسرور لا غاية له ولا منتهى ، فإذا بلغ الكتاب أجله ، وانتهى ما قدر لهم من البقاء في دار الفناء ، نقلهم منها بأحسن الانتقال ، كما ينقل العروس من حجرة إلى دار ، من الأدنى إلى الأعلى ، فالدنيا في حقهم جنة ، وفي الآخرة لأعينهم قرعة ، وهو النظر إلى وجهه الكريم من غير حجاب ولا باب ولا حجاب ولا يركب ، ولا مانع ولا حداد ، ولا من ولا امتنان ، ولا ضيق ولا ضرار ، ولا انقطاع ولا نفاذ ، كما قال عز من قائل (إن المتقين في جنات ونهر ، في ممد صدق عند ملك مقدر) وكما قال (لذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أحسنوا في الدنيا له بالطاعة ، فجازاهم في المقبي بالجنة والكرامة ، وأعطاهم النعمة والسلامة ، وزادوا له بتطهير القلوب وترك العمل لما سواه ، فجازاهم سبحانه وتعالى بالزيادة في دار البقاء المنة ، وهو دوام النظر إلى وجهه الكريم ، كما أخير في كتابه للذين لعباده أولى الألباب والعقول .

(فصل) والنفس والروح مكانان لإقناء الملك والشیطان ، فملك يلقى النفس إلى القلب ، والشیطان يلقى الفجور إلى النفس ، فتطالب النفس القلب باستعمال البحارح بالفتجور ، وفي البنية مكانان : العقل والقلوب ، يتصرفان بمشيئة حاكم ، وهو التوفيق والإغواء . وفي القلب نوران ساطعان : وهما العلم ، والإيمان . فجميع ذلك أدوات القلب وحواصه وآلاته ، والقلب في وسط هذه الآلات كالمركز وهذه جنوده يردون إليه ، أو كالمراة الفجلوة ، وهذه الآلات حولها تظهر فبرها ويقدح فيها فيجهدا .

(فصل) أعوذ برب العرش والكرسي من الشيطان القوى ، وغواطر السوء وهواجس النفس ، ومن فتنة كل جنى وإنسى ، ومن رياء ونفاق وحجب وكبر وشرك وغلل السوء الناشئة في القلب ، ومن كل شهوة ولذة مؤذية إلى المهلك للنفس ، ومن البدع والفضائل والأهوية المسلطة للثران على الجسم ، ومن كل قول وفعل وهمة تحجب عن الغيوب العرشية ، ومن اتباع الأهوية المضلة والطباع النفسية والأخلاق الرديئة وأعوذ بالملك الحميد الحميد من الشيطان الخبيث المريد ، أعوذ بالرب الودود ونعمته إذا غفلت عن طاعته إذ هو أقرب إل من حبل الوريد . أعوذ بالله من سطوته إذا غضب على أهل المعصية ، أعوذ به من هيبة عند شدة بطشه

فی يوم القيامة للظالمین من یریتہ ، وأخذہ بہ من کشف الخطا والسر والنیان فی معصیتہ فی البر والبحر ، ونیان الأصل والقرع ، واللیل إلى الزیغ والرحوة والخیلاء والکبر ، وترك الطاعة والقریة والبر والتأقی علیہ ، والأیمان الکاذبہ ، والحلت دون البر ، وخاتمہ السوء والإفلاس من کل خیر ، والمواقاة عند حضور الشیة بالشر .

(فصل) ومجاهدة الشیطان باملتہ وحی بالقلب والحنان والإیمان ، فإذا جاهدته کان مددک الرحمن ، ومعتمدک الملک الدیان ، ورجاؤک رؤیة وجه الجلیل اللتان ، وجهاد الکفار جهاد الظاهر بالسیف والرماح ، ومبدک فیہ الملک والأعوان ، ورجاؤک فیہ دخول الجنان . فإن قتلت فی مجاهدة الکفار کان جزاؤک الخلود فی دار البقاء ، وإن قتلت فی مجاهدة الشیطان ومخالفتک إیاء بفناء أبجک واحترام منیجک کان جزاؤک رؤیة وجه رب العالمین عند اللقاء ، فإن قتلت الکافر کنت شہیدا ، وإن قتلت الشیطان بمخالفتک إیاء ، والانقیاد لأمره کنت من قرب الملک الجبار طریدا ، فجهاد الکفار لہ نهایة وفناء ، وجهاد الشیطان والنفس لاغیایة لہ ولا منشی ، قال اللہ جلّ وعلا (واجحد ربک حتی یأتیک البقین) یعنی الموت . والبقاء ، فالمجاهدة بمخالفة الشیطان والموی ، قال اللہ عز وجل (فکیکبوا فیہا هم والمعاونون وجنود إبلیس أجمعون) وقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم حین رجع من غزوة تبوک (رجعتا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) عنی بہ صلی اللہ علیہ وسلم مجاهدة الشیطان والنفس والموی لمادومئها وطول ممارستها وخطرها والخوف من سوء خاتمئها .

جلس آخر فی قوله عز وجل (إنه من سلیمان وإله یسم اللہ الرحمن الرحیم)

اعلم أن هذه الآیة الشریفیة فی سورة النمل ، وهی مکیة ، وعدد آیاتہا ثلاث وتسعون آیة ، وکلماتہا ألف ومائة وتسع وأربعون کلمة ، وحروفہا أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا . وذلك أن سلیمان بن داود النبی علیہ السلام وحلی نبیا المصطفی وحلی سائر الأنبیاء والمؤمنین وسائر عباد اللہ الصالحین وملائکتہ المقربین ، لما أخرج من وادی النمل فی مسیرہ من بیت المقدس إلى اجین ، أخذ بالناس فی مفازة ، ففتش الناس ، فسألوا الماء ، ففتش المدعد عند ذلك فسأل عنه ، ودعا أمیر الطیور وهو الکرمی ، فسأله عنه ، ولم یکن معه إلا المدعد واحد ، فقال الکرمی لأخری أين ذهب ولا استأمرنی ، وكان علیہ السلام یرید المدعد لیضع مقاره فی الأرض فیخیره کم یبعث الماء وقریہ ، وکم یتہ وبین الماء من قامة أفرسخ ، وكان المدعد مخصوما بذلك من دون بقیة الطیور ، وكان إذا أريد منه ذلك ارتفع فی طیرانه إلى الجو فینظر ، ثم یتنصّل إلى تلك البقعة التي فیہا الماء ، فیضع مقاره فیہا فیعرف ذلك ، فینادر الشیاطین فتخفر تلك البقعة فیخرج الماء ، ویدخلون الأحراش والبرک والركابا ، وتعلأ الروایا والقرب والظروف ، وتشرب الدواب والناس والجنان ، ثم یرتحلون ، فلما قند المدعد فی تلك الساعة ، غضب سلیمان عند ذلك غضبا شديدا وجعل یقول (لأعطيہ عذابا شديدا) یعنی لأضیق رؤیة فلا یطیر مع الطیور حولاً کاملا (أو لأذبحنه) ثم استثنی (أو لیأتیئی بسلطان مبین) یقول : أو لیأتیئی بعلو ، وحجة

بینة، وكان أشد عذابه الذي يعلّظ به الطير لما يريد عذابه أن يتغف ويذهب حتى يتركه أقرع ليس عليه ريش، قال (فكثت غير بعيد) أبى لبث غير طويل، ثم أقبل المدهد قليل له : إن سليمان قد أوعده فقال هل استغنى؟ قيل نعم، قال : فأقبل حتى قام بين يديه ثم سجد، فقال : دام ملكك طويل الدهر وعشت إلى الأبد، وجعل ينكت بمنقاره ويومئ برأسه إلى سليمان (فقال) له (أعطيت بما لم تحط به) يقول : بلغت وعلمت بما لم تبلغ ولم تعلم، يعنى جنتك بأمر لم يخبرك به الجن، ولم تصحوك فيه، ولم تعلم به الإنس (وجنتك من سبأ) يعنى من أرض سبأ (بنياً يقيناً) يعنى بخبر عجيب لاشك فيه، فقال له سليمان : ما هو؟ فقال (إلى وجدت امرأة تملكهم) يقال لما يلقى بنت أن السرح الحميرية (وأوتيت من كل شيء) يعنى أعطيت من كل شيء. في بلادها اليمن وما والاها من العلم وال سلطان، والمال والجود وأنواع الخيل (ولها عرش عظيم) يعنى سرير حسن، وكان طول عرشها في السبأ ثلاثين ذراعاً وقيل ثمانين ذراعاً، وفي العرش ثمانون ذراعاً مكدلاً بأنواع الجواهر والدرر والؤلؤ (وجنتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك دين الجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) يعنى حسنها لهم (قصدهم عن السبيل) يعنى أن الشيطان صدّهم وجنودها عن طريق الإسلام والمهدي (فهم لا يبتدون) يعنى لا يبرهون الإسلام (ألا يسجدوا لله) يعنى هلا يسجدوا لله (اللى يخرج الشيا) يعنى الغيب والسر في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون) بالسببهم (الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم) يعنى بالعظيم العرش (فقال) سليمان للمدهد دلنا على الماء (سقطر) فيها تقول (أصديت) في مقاتلك (أم كنت من الكافرين) فلما دلم على الماء وشربوا واستكفروا، دعا سليمان المدهد وكتب معه كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إليه، ثم قال (اذهب بكياى هذا فلقه إليهم) يعنى أعل سبأ (ثم تولّ عنهم) يعنى أرجع (فانظر ماذا يرجعون) يعنى ماذا يردون عليك من الجواب، واللى كتب في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم إنه من سليمان) بن داود (أن لا تعلموا على) يعنى أن لا تعلموا على طاعتي (واثنوني مسلمين) يعنى مصالحين، فإن كنتم من الجن فقد عبدتم لي، وإن كنتم من الإنس فعليكم السمع والطاعة، قال : فاطلق المدهد بالكتاب حتى انتهى إليها ظهيرة وهي قائلة في قصرها قد خلقت عليا الأبواب، فلا يصل إليها شيء. والحرس حول قصرها، وكان لها من قومها اثنا عشر ألف مقاتل، كل واحد منهم أمير على مائة ألف مقاتل، سوى نسائهم وخواصهم، وكانت تخرج إلى قومها تقضي بينهم في أمورهم وحوادثهم في كل جمعة يوماً، قد جعلت عرشها على أربع أعمدة من ذهب، ثم تجلس من فيه وهي تزامم ولا يرونها فإذا أراد الرجل منها الحاجة والأمر سألها، فقام بين يديها فينكس رأسه ولا ينظر نحوها، ثم يسجد فلا يرفع رأسه، حتى تأذن له إعظاماً لها، فإذا قضت حوائجهم وأمرت بأمرها دخلت قصرها ولم يروها إلى مثل ذلك اليوم، ملكها ملك عظيم، فلما أتى المدهد بالكتاب وجد الأبواب قد خلقت دونها، والحرس حول القصر دائر حوله، فطلب السبيل إليها حتى وصل إليها من كوة في القصر، فدخل منها من بيت إلى بيت حتى انتهى إلى أقصى

سبعة أبيات علا عرشها في السماء ثلاثين ذراعاً، فأراها مستقيمة على عرشها نائمة، ليس عليها إلا عرقه على عورتها ، وكذلك كانت تصنع إذا نامت . قال : فوضع الكتاب إلى جنبها على السرير ، ثم طار فوقه في كوة ينظرها حتى تستيقظ من غفلها ويقرأ الكتاب ، فكنت طويلاً وهي لا تستيقظ ، فلما أبطا عليه ذلك انحط فقرأها فاستيقظت ، فنظرت فلذا هي بالكتاب إلى جنبها على السرير ، فأخبرته وفركت جنبها فجعلت تنظر ما حال الكتاب وكيف وصل الكتاب إليها والأبواب مغلقة ، فخرجت فإذا الحرم حول القصر ، فقالت : هل رأيتم أحداً دخل على وفتح باباً ؟ قالوا لا ، مازالت الأبواب مغلقة كما هي ونحن حول القصر نحرس ، ففتحت الكتاب وقرأته وكانت كاتبة وقارئة ، فلذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » فلما قرأته أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها و (قالت لهم) يا أيها الملأ إلى التي إلى كتاب كريم (يعني مخطوطة حسنة : إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تملأوا على واتوني مسلمين) يعني مصالحين (فقالت يا أيها الملأ اتوني في أمري) يعني أخبروني بما أريد أن أصنع في أمري (ما كنت قاطعة أمراً) يعني حاملة (حتى تشهدون) يعني تسمعون وتحضرون المشورة (فقالوا نحن أولو قوة) يعني منعة (وأولو بأس شديد) لم يغلبنا عتو قط بالقتال والمنعة والاكثرة ، ولم نعط أحداً الخفافة ، وأنت أعلم بأمرك ، فأمرنا بأمر تنبه ، فأبوا إلا تمطيا لحضها ، فهو قوله عز وجل (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) به تتبع أمرك ، فنطقت بعلم وحكم (وقالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) يعني غزبوها (وجعلوا أزوة أهلها أذلة) يعني منعة أهلها أذلة صغيرة (وكذلك يفعلون) الملوك المماريون ، يأخذون أموالهم ويقتلون مقاتلتهم ويسبون ذواربهم ، ثم قالت (وإلى مرسل إليهم بديهة) يعني إلى سليمان (فناظرة بم يرجع المرسلون) يعني فأنظر ماذا يردون على رسل وماذا يخبروني عنه : قال : فأعدت إليه اثني عشر غلاماً فيم تأنيث ، غضبة أيديهم ، قد مشطهم وألبسهم لباس الجوارى ، وثمنعت إليهم وأوصهم إذا سئلوا عند سليمان وكلمهم فليردوا جواباً بكلام فيم تأنيث ، وأعدت إليه اثني عشرة جارية فيم غلط ، فأستأصلت رهوسين وأزوسين وألبسهن الثعال ، وقالت فين : إذا كلمنكم سليمان فأرددن له جواباً صحيحاً ، وأرسلت إليه بعدد بلنجوم والمالك والعنبر والحبر في الأطباق على أيدي الوصائف ، وأرسلت بثني عشرة بختية تحلب كذا وكذا من اللبن ، وأرسلت إليه بخرزبين إحداهما مثقوبة وثقبها ملثوية ، والثانية غير مثقوبة ، وأرسلت إليه بقدر فارغ ، وأرسلت مع هذه المدينة امرأة ، وأوصتها بأن تحفظ جميع ما يكون من أمر سليمان وكلامه حتى تخبرها به ، وقالت لهم : قوموا بين يديه قياماً ولا تجلسوا حتى بأمركم ، فإنه إن كان جبلاً لم بأمركم بالجلوس فأرضيه بالمال فبسكت عنا ، وإن كان حلياً حلياً علينا أمركم بالجلوس ، وأمرت المرأة أن تقول له بأن يدخل في الخمرزة المثقوبة حيطاً بغير علاج إنس ولا جان ، وأمرتها أن تقول له أن يلقب الأخرى بغير حديد ولا علاج إنس ولا جان ، وأن يميز بين الغلمان والجوارى ، وأمرتها أن تقول له أن يملأ القدح ماءً مزيذاً وروياً ، ليس من الأرض ولا من السماء ، وكسبت

إليه تسأله عن ألف باب من العلم فانطلق رسلها يهديها حتى أتوا بها إلى سليمان ، فوضعوا المدينة بين يديه وقاموا على أرجلهم ولم يجلسوا ، فظفر إليهم سليمان ، ولم يحرّك لحظة يدا ولا رجلا ولا تمشيش لما ولم يفرح ، ولم يعرف الرسل ذلك فيه ولا من مقابله ، ثم رفع رأسه ونظر إلى رسلها وقال : إن الأرض لله والسياد لله ، رفعها ووضع الأرض ، فمن شاء وقف ومن شاء جلس ، فأذن لهم بالجلوس . قال : فقدمت الرسالة إلى سليمان وقلعت إليه الخريزتين وقالت له : إن بلقيس تقول لك بأن تدخل في هذه الخريزة المثقوبة خيطا ينقل إلى الجانب الآخر من غير علاج إنس ولا جان ، وأن تنقب الخريزة الثانية ثوبا ينقل إلى الجانب الآخر بغير حديد ولا علاج إنس ولا جان ، ثم قربت إليه القدح وقالت له إنها تقول لك بأن تملأ هذا القدح ماء مزينا رويًا ليس من الأرض ولا من السماء ، ثم علمت الوصف والوصائف وقالت : إن بلقيس تقول لك أنك تمز بين العلمان والبحراوى ، فعند ذلك جمع سليمان أهل مملكته ، فاجتمعوا عليه ، ثم أخرج الخريزتين فقال : من لى بهذه الخريزة يدخل فيها خيطا يخرج من الجانب الآخر ، فنكلمت دودة تكون في الفصصة يعنى في الرطبة وهى دودة حراء وقالت : أيها الملك أنا لك بها على أن تجعل رزقي في الرطبة ، فقال : نعم ، فعلق في رأس الدودة خيطا فدخلت في الخريزة تحمكها حتى خرجت من الجانب الآخر ، فجعل رزقها في الرطبة ثم قرب الخريزة الثانية وقال : من لى بنقب هذه الخريزة بغير حديد فنكلمت دودة أخرى بين يديه وهى الأرض ، فقالت : أيها الملك أنا لك بهذه ، على أن تجعل رزقي في الخشب ، فقال : ذلك لك ، ، فوقفت على الخريزة فقبضها إلى الجانب الآخر ، فجعل رزقها في الخشب ، ثم قدم القدح وأمر بإحضار الخيل العرب فحضرها ، فأجريت حتى إذا جهدت وأتعبت وصالت حرقها فحينئذ ملأ القدح من العرق ، وهو الماء الزبد الرزوي ليس هو من الأرض ولا من السماء ، ثم أمر بماء فوضع بين يديه فقال للوصفاء : توشعوا ليتعبد العلمان من البحراوى ، قال : فجعلت البحراوى يصيين الماء على أكفهن ، فجعلت إحداهن تأخذ الماء بكفها اليسرى وتفرغه على فروعها الأيسر ، ثم تذهبها بكفها اليمنى فتضلعها ، فتعرف عند ذلك أنها جارية ، فيمزها حتى عزل اثنتى عشرة جارية وصيفة . وأما العلمان فجعل الوصف يأخذ الماء بكفها اليمنى فيشعل به فروعها اليمنى ، ثم يبيع به اليسار فيعرف أنه غلام ، حتى عزل اثنتى عشرة غلاما ، ثم نظر إلى السائل فلجاب عنها بألف جواب مع رسولها ، ثم ردّها عليها هديتها (قال) لمسلها (أمتلونى بكما لما ألقى الله) من الشهوة والملك (غير بما آتاكم) من المال (بل أنتم يهديكم نفرحون) يعنى تعجبون : ثم كتب إليها كتابا ودفعه إلى المهدد وقال (ارجع إليهم فلتأنيبهم بمجد لا قبل لهم بها) يعنى بمجروح لا قبل لهم بها (ولتخرجهم منها أذلة) يعنى من قرية سبأ أذلة صغيرة (وهم صاغرون) أذلاء . فلما ألقى المهدد بالكتاب مرة أخرى نقرأه ورجعت رسلها ، فقصت عليها قصة سليمان وما فعل في جميع ما أرسلت به إليه وما ردّها إليها من الجواب ، فقالت لقومها : هذا أمر نزل علينا من السماء لا ينبغي منا بدته ولا تضيقه ، ثم عمدت إلى عرشها فجعلته في آخر سبعة آيات ، ثم أقامت عليه الحرس ، ثم أتت إلى سليمان ،

قال : فرجع المصعد إلى سليمان فلغيره أنها قد أتيت إليه ، فيجمع أهل مملكته إليه ثم (قال يا أيها الملك أياكم يأتي بمرشها) يعني سريرها (قبل أن يأتوني مسلمين) يعني مصالحين ، فلا يحل لنا بعد الصلح أخذها (قال) له (حضرت من الجن) يقال له حمرد وهو الغريت الشديد اللبظ من الجن (أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) يعني من مجلسك للقضاء وهو إلى نصف النهار (وإنى عليه لقوى) أى على حله (أمين) على ما فيه من التلوث والخواهر والبرجد والذهب والفضة ، وكانت قوة الغريت أنه يضع قدمه حيث ينال طرفه يعنى يشهى بصره ، فقال سليمان : أنا أصعب قدى حيث يبلغ بصري فأنتك به ، فقال سليمان : أريد أعجل من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) يعنى اسم الله الأعظم وهو : يا حي يا قيوم (أنا) أدعو ربي فأرجع حصى وأنظر في كتاب ربي و (أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك) وهو أصعب بن برخيا بن شعيا واسم أمه باطورا ، وهو من بني إسرائيل ، وكان يعلم اسم الله الأعظم : أنا أتيتك به أن يرتد إليك طرفك ، يعنى قبل أن يحى إليك الشئ الذى يبلنه طرفك : أى نظرك ، فقال له سليمان : خلعت إن فعلت ، وإن لم تفعل فضحتى بين الجن وأنا سيد الإنس والجن . وقام أصعب فتوضأ ثم سجد لله عز وجل يدعو الله باسمه الأعظم وهو يقول : يا حي يا قيوم : وروى عن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : هو الاسم الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، وهو : يا ذا الجلال والإكرام . قال : فغاب عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كمرسى سليمان . وقيل : إنه نبع تحت كمرسى كان يضع سليمان قدميه عليه إذا جلس على كمرسيه الكبير . فلما رأى العرش قد نبع قالت الجن سليمان : يقدر أصعب أن يحى بالسرى ولا يحى ببلقيس ، فقال أصعب لسليمان : أنا أتيتك بها ، قال فأمر سليمان فبنى له صرح أملس من قوارير ، ثم أجرى تحته الماء وألقى فيه السمك ، يرى من فوق الصرح من صفاته ، ثم أمر سليمان بكرسيه فوضع في وسط الصرح ، وأمر بكراسى لأصحابه ، فوضعت فجلس عليه وجلس أصحابه ، وكان الذين يلوته عليه السلام من أهل الكراسى الإنس ثم الجن ثم الشياطين ، وكان هذا دأبه عليه عليه السلام حتى إذا أراد أن يسير في البلاد يجلس هو على كمرسيه وتولت على كراسيم ، ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض ، وإذا أراد أن يسير على الأرض أمر الريح فتسكن فيسر على وجه الأرض . وكان سليمان عليه السلام مجلس كما هو الملوك اليوم ، فلما استقر بهم المجلس أمر أصعب فنادى وسجد ودعا الله عز وجل باسمه الأعظم وهو : يا حي يا قيوم ، فإذا هو ببلقيس مستقرة عنده . وقيل : إن الذى عنده علم من الكتاب هو صية بن أد . وكان هو على خيل سليمان . وقيل : إن الذى عنده علم من الكتاب هو الخضر عليه السلام (فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليلى) يعنى ليخبرني (أشكر) على ما أعطيت من الملك (أم أكفر) بالنعمة إذا رأيت من هو دوني أفضل مني علما ، فبزم لله عز وجل على الشكر (ومن شكر فزادنا شكر نفسه ومن كفر) بنعمته (فإن ربي غني كرم) لا يعجل بالعقوبة . فلما سمعت الجن بذلك وقعوا في بلقيس عند سليمان ليكرهوها إليه ، خافوا أن يزوجها فتظهره على أمورهم ، وكانت

تعلم بذلك ، لأن أمها كانت جنية ، وكان اسمها عميرة بخت عمرو ، وقيل : إن اسمها رباحة بنت السكن ملك البحر ، فقالوا : أصلى الله الملك إن في عقلها شيئا ورجلاها كحافر الحمار ، وكانت يلقب عليها شعراء ، فلما قيل له ذلك أراد أن يروى عقلها ويرى قديمها ، فلذلك أجرى الماء وجعل فيه الصفادع والسمك ، وأمر بعرشها أن يغير فيؤاد فيه ، ويغص منه لبروز عقلها فلذلك قوله تعالى (قال تكروا لها عرشا) يعني غيروا لها سريرها (تنظر آهنتى) يعني أشعره (أم تكون من الذين لا يهتمون) يعني الذين لا يعرفون ، فأقبلت حتى انتهت إلى الصرح (فقبل لها ادخل الصرح) يعني القصر ، وقيل : الصرح : هو البيت ببلدة حمير (فلما رآته حسبه لجة) يعني ماء حمرا ، فقالت في نفسها إنما أراد أن يفرقي كان غير هذا أحسن من ذا ؟ (فكشفت عن ساقها) فإذا ساقان شعراوان ، وإنما هي من أحسن الناس وأبعد عما قيل له فيها ، فليل لها (إنه صرح حمراء) يعني قصرا أبيض لاشعث فيه كالأمرد الذي لاشعر في وجهه ، كأنه مزق في بعضه بعض اتخذ بلاطه من التواريخ ، قال : قضت نحو سليمان وقد أبصر قدمها وأبصر الشعر الذي على ساقها مهندبا ، قال : فأعجبه ذلك عجا شديدا (فلما جاءت) إلى سليمان (فقبل) لها (أهلكنا عرشك) فتظرت إليه فجعلت تعرف وتذكر فقالت في نفسها من أين يصل إلى ذلك السرير الذي هو داخل سبعة أيلت والحرس حوله ، فلم تعرف ولم تذكر فوقالت كأنه هو) فقال سليمان (وأوتينا العلم من قبلها) يعني من قبل بلقيس ، وكانت مجوسية (وكنا مسلمين) من قبلها (فقالت رب إني ظلمت نفسي) يعني في الظن الذي ظننت سليمان أنه أراد أن يفرقي ، وقيل : ظلمت نفسي يعني ضررت نفسي بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان) يعني وأطعت الله مع سليمان ، ويقال : (أخلصت مع سليمان) في العبادة فأسلمت (وصداها) يعني أن سليمان صدعاها (ما كانت تعبد من دون الله ، إنها كانت من قوم كافرين) فتزوج بها سليمان ، فأمر بالنورة فأنخذت فتزوج سليمان وبلقيس ، وهو أول من اتخذ النورة : قال : فسأله سليمان عن أشياء وهي سأله ، ودخل بها سليمان ، فولدت له غلاما فسماه داود ، وماتت في حياته ، ثم مات سليمان وماتت بلقيس بعده بشهر ، وقيل : إن سليمان أعطاها قرية بالشام ، فكانت تأخذ خراجها حتى ماتت ، وقيل : إن سليمان لما دخل بها سرحها في جنوده وردّها إلى ملكها ، وكان يأتيها في كل شهر مرة ، فيركب من بيت المقدس إلى اليمن على ما تقدم ذكره . (فصل) وإنما استوفيت هذه القصة في هذا المجلس لما فيها ، من العبرة لكل مؤمن عاقل .

ناظر في العوائب مخبر في سبيل السلف الصالح والطالح ، وقدره الله عز وجل النافذة في الأمم الماضية الحالية ، وكرومه لأهل الطاعة وتسخيره أهل معصيته لهم وإعطائه مقاديرهم وإذلالهم ، وتأييد الخلق لأهل ولايته ومحبة ، لما أطاع سليمان ربه عز وجل كيف ملكه بلقيس وملكها ، وقد كان في أهل ملكها اثنا عشر ألف مقاتل ، كل واحد منهم أسير على مائة ألف منهم ، وجند سليمان يحوى على ثلعمائة ألف ، مائتا ألف من إيس ومائتا ألف من اليمن ، والنفقات ما بين الجندين ظاهر ، فهذا ملك لطاعته ، وهذه ملكت لكفرها ومعصيتها .

فاعلم أيها الإنسان أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) وكذلك أنت ياموفق إذا آمنت آمنت من أعدائك في الدنيا ، ومن ناز الله الموقدة التي في العنقي ، تحمئك النار وتطرق بين يديك ، وترشلك الطريق مكرمة لك ومعظمة وعلامة لأمر مولاه وبمطة له ، فنقول لك : تجز يامؤمن فقد أعلقاً تورك لمحي .

(عبارة لطيفة) أي أنك مكرم منور ، خلعة الملك عليك ، علامته الوفاة عليك ، فعل الحوائث والعبيد تعظيمك وتوقيرك وخضعتك . وأما الكافر والعاثي ، فحفظ النار عليه وانظمته انتقام الجبار من علوه عند ظفروه به ، كما قال الله عز وجل (إذا رأيتهم من مكان بعيد لهموا لها تقيظاً وزفيراً) فإن أردت العزة في الدنيا والآخرة ، فعليك بطاعة الله والصبر عن معصية الله ، تحمدها برحمة الله تعالى ، قال الله عز وجل (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً) وقال تعالى (والله العزة لرسله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) فغافلك يامدعي الإيمان ، وشركك يامدعي الإخلاص خبيك عن رؤية عزة الجبار وبنيه المختار والمؤمنين الأخيار ، فلو كنت عاملاً بموجب الإيمان موقناً بشرائط الإخلاص ، لأمنت في الدنيا من كل مؤذ وكل شيطان من الإنس والجان ، وفي الآخرة من عذاب النيران ، وكانت النصرة لك ولأعدائك الموان ، قال الله عز وجل (إن تصروا الله تصركم وشيت أقدامكم) وقال تعالى (فلا تنهوا وتندخوا إلى السلم وأنتم الأعداؤون والله معكم) ولكن الغفلة قد تكاثفت على قلبك وتراكم الرين عليه ، وتراصف السواد والظلمة لديه ، فإلما من حسرة ونفاسة ، (يوم تبلى السرائر) في يوم القيامة يوم الحاقة يوم الطامة الكبرى يوم الفارعة يوم الصاخة (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) (يومئذ يصغر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم) فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (قيل : إن اللذة هي قشر القيامة الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رموس الإبر ، وقيل : أربع ذرات مثقال خردلة ، وقيل هي الفلة الحمراء الصغيرة التي لا تمكاد : ترى إذا دبت) وقيل : إن اللذة جزء من ألف جزء من شعيرة . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : إذا وضعت كفك على الزاب ثم رفعتها ، فكل شيء يعلق بها من الزاب فهو ذرة فإن آمنت من يوم توزن فيه الأعمال بهذه الزنة تنقل وتنفذ بهذه الحقة ، ويوم يقول الله تعالى فيه (يوم نحشر المؤمنين إلى الرحمن وفداً ، ونسوق الكافرين إلى جهنم ورداً) أي عطاشاً وجيئناً ، ينكشف الغطاء ويظهر الحياء ، ويمتاز المؤمن من الكافر ، والصادق من المنافق ، والموحد من المشرك ، والولي من العدو ، والحق من اللص . فاحذر يامسكين من هول ذلك اليوم ، وانظر من أي الخزيين تكون ؟ فإن حملت الله العظيم واتقيت في حملك الخبير وصفيته عما يسوء للناقد الصبر ، فأنت في حزب المؤمنين الراغبين على الرحمن في يوم التشور ، فلك الزكامة ياكريم ، ولك السلامة والبشرى باحكيك ، وإن كان غير ذلك فاعلم أنك بالحزب الآخر لاحق وهالك ، مع من هو هالك في النار مع فرعون وهامان وقارون متلاحق ، قال الله عز وجل (لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) فلا ينجيك في ذلك اليوم غير العمل الصالح :

(فصل : فی فضل بسم اللہ الرحمن الرحیم) عن عطاء عن جابر بن عبد اللہ رضی اللہ عنہما قال : « لما نزل بسم اللہ الرحمن الرحیم ، هرب الريح إلى الشرق ، وسكنت الريح ، وحاج البحر ، وأصفت البهائم بأذانها ، ورجحت الشياطين من السماء ، وحلف اللہ عز وجل بعزته لا يسمى اسمه على سقم إلا شفاؤه ، ولا يسمى اسمه على شيء إلا برك فيه ، ومن قرأ بسم اللہ الرحمن الرحیم دخل الجنة » . وعن أبي وائل عن عبد اللہ بن مسعود رضی اللہ عنہ قال : « من أراد أن ينجيہ اللہ من الزبانية التسع عشرة فليقل : بسم اللہ الرحمن الرحیم ، فإنها تسعة عشر حرفا ليجعل اللہ تعالى لكل حرف منها جنة من واحد منهم » . وعن طاووس عن ابن عباس رضی اللہ عنہما أن عثمان ابن عفان رضی اللہ عنہ « سأل النبي صلى اللہ عليه وسلم عن بسم اللہ الرحمن الرحیم قال ، فقال : هو اسم من أسماء اللہ عز وجل ، وما بينه وبين اسم اللہ الأعظم إلا كتابين سواد العين وبياضها من القرب » . وعن أنس بن مالك رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللہ صلى اللہ عليه وسلم : « من رفع قرطاسا من الأرض فيه بسم اللہ الرحمن الرحیم إجلالا للہ أن يداس ، كتب عنه من الصديقين ، وخفف عن والديه وإن كانا مشركين » يعني العذاب . وقيل : لم يرد لأبيس النخعي مثل ثلاث رئات قط : رنة حين لعن وأُخرج من ملكوت السماء ، ورنة حين ولد النبي صلى اللہ عليه وسلم ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب لتكون بسم اللہ الرحمن الرحیم فيها . وعن سالم ابن الجعد أن عليا رضی اللہ عنہ قال : « لما أنزلت بسم اللہ الرحمن الرحیم قال رسول اللہ صلى اللہ عليه وسلم : أول ما أنزلت هذه الآية على آدم ، فقال أمين ذريتي من العذاب ماداموا على قراءتها ، ثم رفعت فأنزلت على إبراهيم الخليل فبلاها وهو في كفة المتنجين ، فجعل اللہ عليه النار بردا وسلاما ، ثم رفعت بعده ، فما أنزلت إلا على سليمان ، وعندنا قالت الملائكة : الآن تم واللہ ملكك ، ثم رفعت فأنزلها اللہ عز وجل على ثم قال آمين يوم القيامة وهم يقولون : بسم اللہ الرحمن الرحیم ، فإذا وضعت أفعالهم في میزان رجحت حسناتهم ، قال رسول اللہ صلى اللہ عليه وسلم : اكتبوها في كتبكم فإذا كتبتموها فتكملوها بها » :

(فصل آخر : فی فضل بسم اللہ الرحمن الرحیم) عن حكيم بن حزام أنه قال : أول ما خلق اللہ الفرج والقلم ، أمر اللہ القلم فحبري على اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأول ما كتب على اللوح : بسم اللہ الرحمن الرحیم ، فجعل اللہ هذه الآية أمنا خلقه ماداموا على قراءتها ، وهي قراءة أهل سبع سموات ، وأهل السفح الأعلى وأهل سرادقات المجد والكرويين ، والصالحين ، والسبحين ، فأول ما أنزلت على آدم عليه السلام ، فقال : قد آمن ذريتي من العذاب ماداموا على قراءتها ، ثم رفعت فأنزلت على إبراهيم الخليل عليه السلام في سورة الحمد فبلاها وهو في كفة المتنجين ، فجعل اللہ النار عليه بردا وسلاما ، ثم رفعت بعده فأنزلت على موسى عليه السلام في الصحف ، فيها قهر فرعون وصهره وهامان وجنوده وفلرون وأتباعه ، ثم رفعت بعده فأنزلت على سليمان بن داود عليهما السلام ، فعندها قالت الملائكة : اليوم واللہ تم ملكك يا ابن داود ، فلم يقرأها سليمان على شيء إلا انخفض له ، وأمره اللہ يوم أنزلها عليه أن

بنادی فی اسباط بنی اسرائیل : ألا من أحببكم أن يسمع آية أمان الله فليحضر إلى سليمان في محراب داود ، فإنه يريد أن يقوم عطيا ، فلم يبق محبوب في العباد ولا صالح إلا هروا إليه ، حتى اجتمعت الأحبار والعباد والزهاد والأسباط كلها عنده ، فقام فقرأ من كتاب الخليل إبراهيم وتلا عليهم آية الأمان : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلم يسمعها أحد إلا امتدأ فرحا ، وقالوا نشهد أنك لرسول الله حق ، فبها قهر سليمان ملوك الأرض ، وبها انتزع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكة ، ثم رفعت يد سليمان فأثرت على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ففرح بها واستبشر بها الخواريون ، فأوحى الله تعالى إليه : يا ابن الطغاة أتدري أي آية أنزلت عليك ؟ إنها آية الأمان ، قوله بسم الله الرحمن الرحيم ، فأكثر تلاوتها في قيامك وقعودك ومضيحك ومجيبك وفعلك وصعودك وهبوطك ، فإنه من وافى يوم القيامة وفي صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمنا وبربري يني أعنته من النار ، وأدخله الجنة ، فلنكن افتتاح قراءتك وصلاتك ، فإن من جعلها في افتتاح قراءته وصلاته إذا مات على ذلك لم يرعه منكر ونكير ، وهون عليه منكرات الموت وضخمة القبر ، وكانت رحمى عليه ، وأفسح له في قبره ، وأثوره في قبره ، وأثوره له فيه مد بصره ، وأخرجه من قبره ليبيض الجسم وأثور الوجه ، بلا ذل نور ، وأحاسب حسابا يسيرا ، وأثقل مولزته ، وأعطاه النور الثماني على الصراط حتى يدخل الجنة ، وأمر المنادي أن ينادي به في عرسات القيامة بالسعادة والنفرة : قال عيسى عليه السلام : اللهم يارب هذا في خاصة ؟ فقال : لك خاصة ولني تبعك وأخذ أخذك وقال بقرتك ، وهو لأحد وأنت من بعدك ، وأخير عيسى عليه السلام بذلك أتباعه فقال (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) من صفته ونعته وفضله كيت وكيت ، وأخذ ميتا لهم بالإيمان به ، وجدّد شأته عند ما رفته الله تعالى إلى السباه لأصحابه ، فلما انقضى الخواريون ومن أتبعه وجاء الآخرون ، فضلوا وأصلوا ، وبدّلوا واستبدّلوا بالدين ذنبا ، فرفعت عندها آية الأمان من صدور التصاري ، وبقيت في صدور مسلمي أهل الإنجيل مثل بحيرا الزاهد وأمثاله ، حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فأثرت عليه في سورة الحمد بمكة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسبت تلك على رموس السور وصدور الرسائل والدفاتر ، فكان نزول هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحا عظيما ، وحلف رب الغزة بعترته أن لا يسي مؤمن موقن على شيء إلا ياركت له فيه ، ولا يفرّرها مؤمن إلا قالت الجنة له : لييك وسعديك اللهم أدخل عبيدك هذا في بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا دعت الجنة لعبد فقد استوجب له دخولها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : وإن أمّني يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم ، فتقتل حسنتهم في الميزان ، فتقول الأمم : ما أرجع موازين أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول الأكثياء لهم : كان أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ميتا كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى الكرام ، لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق حينا في الكفة الأخرى لرجعت حسنتهم : قال : وجعل الله تعالى هذه الآية شفاء من

کل داء ، وعونا لكل دواء ، وخفی من کل قدر ، وصنوا من انذار ، وأمانا من الخسف والمسخ والقتل ما داموا على قرأتها .

(فصل : فی تفسیر قوله : بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (بسم الله) روى عن عطیة العرق عن أنس سید الخدی رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : إن عیسی علیه السلام أرسله أمه رضی الله عنها إلى الکتاب فیتعلم ، فقال له المعلم : قل بسم الله الرحمن الرحیم ، فقال عیسی علیه السلام : وما بسم الله ؟ قال لا أخرى ، قال : الباء : بھاء الله ، والسين : ساء الله ، والميم : ملکتھ ، وقال أبو بکر الوراق : بسم الله : روضة من رياض الجنة ، لكل حرف منها تفسیر علی حدة ، فالباء : علی ستة أوجه باری خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (هو الله الخالق الباری) م ، من العرش إلى الثرى ، یصیر بخلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (والله بصیر بما تعملون) باسط رزق خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (الله یسط الرزق لمن یشاء ویقدر) باق بعد ثناء خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (کل من علیها فان ، ویبقى وجه ربك ذو الجلال والإکرام ، باحث الخلق بعد الموت من العرش إلى الثرى للثواب والعقاب ، بیانه (وأن الله یبحث من فی القبور) ، بار بالمؤمنین من العرش إلى الثرى ، بیانه (هو البر الرحیم) . والسين علی خمسة أوجه : صمیع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى بیانه (أم یحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) مید قد انھی سودده من العرش إلى الثرى ، بیانه (الله الصمد) ، سریع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى بیانه (والله سریع الحساب) سلام سلم خلقه من الظلمة من العرش إلى الثرى ، بیانه (السلام المؤمن) سائر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى بیانه (غافر الذنب وقابل التوب) . والميم : علی اثنی عشر وجھا : ملك الخلق من العرش إلى الثرى ، بیانه (الملك القدوس) ملك خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (قل اللهم ملك الملك) منان علی خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (بل الله بمن علیکم) حید علی خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (ذو العرش المجید) مؤمن آمن خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (وآمنهم من خوف) مہیمن اطلع علی خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (المؤمن المہیمن) مقتدر علی خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه فی (مقدر صلیق عند ملک مقدر) مقیت علی خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (وكان الله علی کل شیء مقیتا) مكرم أولیاءه من العرش إلى الثرى ، بیانه (ولقد كرمنا بنی آدم) منعم علی خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (وأصبح علیکم نعمه ظاهرة وباطنة) مفضل علی خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (إن الله للذو فضل علی الناس) مصور خلقه من العرش إلى الثرى ، بیانه (الخالق الباری المصور) . وقال أهل الحقائق : وإنما المعنى فی بسم الله الرحمن الرحیم : التیمن والتبرک وحسن الناس علی الابتداء فی أقرانهم وأعمالهم بسم الله كما افتتح الله سبحانه وتعلی کتابه العزيز .

(فصل) اعلم أن الناس اختلفوا فی هذا الاسم ، فقال خلیل بن أحمد وجماعة من أهل العربية : إنه اسم موضوع لله عز وجل لا یشارکھ فیہ أحد ، قال الله تعالی (هل تعلم له سمیا)

یعنی کہ کل اسم اللہ تعالیٰ مشترک بیتہ و بین شیئہ ، لہ علی الحقیقۃ والفرقہ علی الخیار إلا ہذا الاسم فانہ مخصص بہ ، فیہ معنی الربوبیۃ والمعالی کلہا تحتہ . ألا ترى انک إذا أسقطت منہ الألف بقی اللہ ، وإذا أسقطت من اللام الأول بقی اللہ ، وإذا أسقطت من اللام بقی اللہ ، واختلوا فی اشتقاقہ ، فقال النضر بن عجلان : هو من التاء وهو التفسک والتعبد ، يقال آتہ : أي عبد عبادۃ . وقال آخرون : هو من الإله ، وهو الاعتقاد ، يقال : آتت إلی فلان آتھا : أي فرعت إلیہ واعتصمت علیہ ، معناه : أن التلحق بفزعون ويضرعون إلیہ فی الحوادث والخروج ، فهو بالمعجم : أي یجیرہم ، نفسی إلیا ، كما یقال : إمام للذی یوتّم بہ فالعباد مؤمنون ، إلیہ : أي مضطرون إلیہ فی النافع والمضار ، كالوالہ المضطرّ المغلوب . وقال أبو عمرو بن العلاء : هو من آتت الشیء : إذا تحجرت فیہ فلم یہتد إلیہ . ومعناه : أن العنوں تحجیر فی کتبہ صفہ وعظمۃ والإحاطۃ بکفیتہ ، فهو إله . كما یقال للمکتوب کتاب ، والمحبوب حبیب ، وقال المبرد : هو من قول العرب . آتت إلی فلان : أي سکت إلیہ ، فكان الخلق یسکتون ویطمئنون بذکرہ . قال اللہ عز وجل (ألا بذکر اللہ تطمئنّ القلوب) وقیل : أصلہ من الولہ ، وهو ذهاب العقل للفقدان من یزول علیہ ، فكانہ سمی بذلك لأن القلوب تولہ بحبہ وتضطرب وتشتاق عند ذکرہ . وقیل : معناه المحتجب لأن العرب إذا عرفت شیئاً ثم حجب عن أبصارہا ، سمیہ لاہا ، یقال : لاحت العروس تولہا لوہا : إذا استجبت ، فالتی تعالیٰ هو الظاہر بالربوبیۃ بالذلال والاعلام ، والمحتجب من جہۃ الکفیفۃ عن الأوهام . وقیل : معناه المتعال ، یقال لاہ : أي لولع ، ومنہ قبل الشمس الإلہ : وقیل : معناه القاذر علی الاختراع . وقیل : معناه السید . (الرحمن الرحیم) قد قال قوم : ہما بمعنی واحد ، وهو ذو الرحۃ ، وهما من صفات اللات . وقیل : ہما بمعنی ترک عقوبۃ من یستحقّ العفوۃ ، وإسلافہ الخیر إلی من لا یستحقّہ ، وهما من صفات الفعل . وفرق الآخرون بینہما فقالوا : الرحمن : المبالغۃ ، فعبادہ : اللذی وسعت رحمۃ کل شیء ، والرحیم دون ذلك فی الرزق . وقال بعضهم : الرحمن : العاطف علی جمیع خلقہ مؤمنہم وکافرہم وبرہم وقاجرہم بأن خلقہم ورزقہم ، قال اللہ تعالیٰ (ورحمنی وسعت کل شیء) والرحیم بالمؤمنین خاصۃ بالمہذبۃ والتوفیق فی الدنیا والآخرۃ ، قال اللہ تعالیٰ (وكان بالمؤمنین رحيماً) فالرحمن خاص اللفظ عام المعنی ، والرحیم عام اللفظ خاص المعنی (وكان بالرحمن خاص من حیث إنہ لا یمیز لأن یسمی بہ أحد غیر اللہ ، عام من حیث إنہ یشمل جمیع الموجودات من طریق الخلق والرزق والنفع والدفع) والرحیم عام من حیث اشتراك الخالقین فی التسمی بہ خاص من طریق المعنی ، لأنہ یرجع إلی اللطف والتوفیق . وقال ابن عباس رضی اللہ عنہما : اسمان دقیقان ، أحدهما أدقّ من الآخر . وقال مجاهد رحمه اللہ : الرحمن بأهل الدنیا ، الرحیم بأهل الآخرۃ . وفي الدعاء : یا رحمن الدنیا یا رحیم الآخرۃ . وقال الضحاك رحمه اللہ : الرحمن بأهل السماء حیث أسکنہم السموات ، وطلوئہم الطاعات ، وجنتہم الآفات ، وطلع عنہم الطامع واللذات . والرحیم بأهل الأرض حیث أرسل لایم الرسل ، وأزل علیہم

الكتب . وقال عكرمة رحمه الله : الرحمن برحة واحدة ، والإرحم بمائة رحمة . وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله عز وجل مائة رحمة ، وأنه أنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض فتقسمها بين خلقه ، فيها يتماثلون وبها يتمايزون ، وأمر تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة ، وفي لفظ آخر : وإن الله تعالى غام هذه إلى تلك فيكلا مائة ، ويرحم بها عباده يوم القيامة ، الرحمن الذي إذا سئل أعطى ، والرحيم الذي إذا لم يسئل غضب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : من لا يسأل الله يغضب عليه ، وقال الشاعر :

الله يغضب إن تركت سؤله . وابن آدم حين يسئل يغضب
الرحمن بالنعماء وهي ما أعطى وحيا ، الرحيم بالآلام وهي ما صرف وزوى ، الرحمن بالانقاذ من النيران كما قال جل من قائل (وكنتم على شفاخرة من النار فأنقذكم منها) والرحيم بإدخال الجنان كما قال (ادخلوها بسلام آمين) الرحمن برحة النفوس ، والرحيم برحة القلوب ، الرحمن بكشف الكروب ، والرحيم بفران القنوب ، الرحمن بيشين الطريق ، والرحيم بالعصاة والتوفيق ، الرحمن بفران السيئات وإن كن عظيما ، والرحيم بقبول الطاعات وإن كن غير صالها ، الرحمن بمصالح معاشهم ، الرحيم بمصالح معادهم ، الرحمن الذي يرحم ويقدر على كشف الضر ودفع الشر ، الرحيم يرزق ويطلع ولا يطعم (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الرحمن بمن جحدته ، الرحيم بمن وحده ، الرحمن بمن كفره ، والرحيم بمن شكره ، الرحمن بمن قال له لا ، والرحيم بمن قال فرد .

(فصل) قل بسم الله نجد عفو الله ، هذا سماحك من القارى ، فكيف سماحك من البارى فهذا سماحك والغم باقى فكيف سماحك والرب ساقى ، فهذا سماحك بواسطة فكيف سماحك بلا واسطة ، فهذا سماحك فى دار القرور ، فكيف سماحك فى دار السرور ، فهذا سماحك فى دار الشيطان ، فكيف سماحك فى جوار الرحمن ، فهذا سماحك من عيد ذليل ، فكيف سماحك من الملك الجليل ، هذه لذة التعبير فكيف لذة النظر ، هذه لذة المجاهدة ، فكيف لذة المشاهدة ، هذه لذة البيان ، فكيف لذة البيان ، هذه لذة المغاية ، فكيف لذة المعابة .

(فصل) قل بسم الله الذى تعالى عن الأضداد ، بسم الله الذى نزهه عن الأنداد ، بسم الله الذى قدّم من عن انقاذ الأولاد ، بسم الله الذى نور الأنوار ، بسم الله الذى أكرم الأكرام ، بسم الله الذى قدر الأقدار ونور القلوب والأبصار ، بسم الله الذى يقبل القلوب الأبرار فى أوقات الأضطر ، بسم الله الذى علم الأحياء الأسرار ففصرها بالأنوار واستودعها الأسرار ، وأزاح عنها الأعطار وحفظها من رقى الأغيار ، وحط عنها الأفتال والأغلال والأصوار والأوزار ، إذ كان موصوفا فى الأزل بالإحسان والأفضال وغفران القنوب لأهل الاستغفار . قل بسم الله ، اسم الذى أجزى الأنهار وأنبث الأشجار ، اسم من عمر البلاد بأهل الطاعة من العباد ، لما أوتاد كالجلال قصارت الأرض بهم لمن عليها كاللهاد ، فهم الأبرعون الأخيار من الأبدال ، المزبورون

الرب من الشركاء والأنداد ، وملوك في الدنيا وشهداء الأيام يوم البتاء ، إذ عظمهم ربی
مصلحة للعالم ورحمة للعباد .

(فصل) بسم الله للناكرين خسر وللأقوياء عز وللضعفاء حرز وللنحسين نور وللشقيين
سرور ؛ بسم الله راحة الأرواح ، بسم الله نجاة الأشباح ، بسم الله نور الصلور ، بسم الله نظام
الأمور ، بسم الله نأج الوائتين ، بسم الله سراج الواصلين ، بسم الله مبقى العاشقين ، بسم الله
اسم من أعز عباداً وأذل عباداً ، بسم الله اسم من جعل النار لأعدائه مرصداً وجعل الرؤية
لأحبابه مهجداً ، بسم الله اسم الواحد بلا عدد ، بسم الله اسم الباقي بلا أمد ، بسم الله اسم القائم
بلا عمد ، بسم الله افتتاح كل سورة ، اسم من طابت به الخلوات ، اسم من به تحت المصلوات ،
اسم من به حسنت الظنون ، اسم من سهرت له العيون ، اسم من قال الشيء كمن فيكون ، اسم
من نزل عن المسام ، اسم من استغنى عن الأناس ، اسم من جلى عن القياس . قل بسم الله
حرفاً حرفاً ، تأخذ الأجر ألفاً ألفاً ، وتخط عنك الأوزار جبراً جبراً ، من قالها بلسانه شهد
الدنيا ، ومن قالها بقلبه شهد المعقب ، ومن قالها بسره شهد الولي . بسم الله كلمة طاب بها القم ،
بسم الله كلمة لا يرق معها الغم ، كلمة تحت بها النعمة ، كلمة كشفت بها القصة ، كلمة
خصت بها هذه الأمة ، كلمة جمعت بين جلال وجلال . فقله بسم الله جلال في جلال ، وقوله
الرحمن الرحيم جلال في جلال ، فن شهد جلاله طاش ، ومن شهد جماله عاش ، كلمة جمعت بين
قلوة ورحمة ، فالفكرة جمعت طاعات المطيعين ، والرحمة غفقت ذنوب المذنبين .

(فصل) قل بسم الله ، فكأنه يقول لي وصل من وصل إلى الطاعات ، ثم ينور الطاعات
وصل إلى العيان ، ثم استغنى بالعيان عن البيان ، فصار قلبه وعاء للأسرار وعلوم الأديان ،
ومن وصل إلى الحبيب نجا من الشيب ، ومن وصل إلى النظر استغنى عن السبر ، ومن وصل
إلى الصمد نجا من الكمد ، ومن وصل إلى الرقاق نجا من القراق ، ومن وصل إلى الشهد سلم من
الوجد ، ومن وصل إلى اللقاء أمن من الشقاء .

(فصل) قل بسم الله ، فالباء : بارئ البرايا ، والسين : سائر الخطايا ، والميم : المان
بالمطايا ، وقيل : إن الباء : برئى من الأولاد ، والسين : سميع الأصوات ، والميم : مجيب
الدعوات . وقيل : أطعموا غلّي مطعمكم ، واسقوا غلّي ساقطكم ، وانظروا إلى غلّي طلّي بانيكم .
وقيل : الباء : بكاء التائبين ، والسين : سيود العابدين . والميم : معلومة المذنبين . وقيل : الله
كاشف البلاء ، الرحمن معطي المطايا ، الرحيم خافز الخطايا ، الله العارفين ، الرحمن للعابدين ،
الرحيم للمذنبين ، الله الذي خلقكم وهو أحسن الخالقين ، الرحمن الذي رزقكم وهو خير الرازقين ،
الرحيم الذي يغفر لكم وهو خير المغفرين . وقيل : الله يسايغ الغم ، الرحمن الرحيم بالجوهر
والكرم ، الله بإخراجنا من البطون ، الرحمن بإخراجنا من القبور ، الرحيم بإخراجنا من الظلمات إلى النور .

(فصل) رحيم الله من خالف الشيطان وجانب العصيان وأتى النيران وأكثر الإحسان وأدام
ذكر الرحمن ، فقبال بسم الله رحيم الله من اعتصم بالله وأتاب إلى الله وتوكل على الله واشغل

بذكر الله ، فقال بسم الله وحسن الله من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وصبر على الأذى وشكر على النعماء واشتغل بالذكر المولى ، فقال بسم الله طوبى لعبد اجتنب الطاعات وفتح من الدنيا بالقوت واشتغل بالذكر الحى الذى لا يموت فيقول بسم الله .

يجلس في قوله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

وهذا خطاب للعموم بالتوبة . وحقيقة التوبة في اللغة : الرجوع ، يقال تائب فلان من كذا : أى رجع عنه ، فالقوة هي الرجوع عما كان مفعوماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع والعلم بأن الذنوب والمصائب مهلكات منعدلات من الله عز وجل ومن جهة ، وتركها مقرب إلى الله عز وجل وجهته ، فكانه عز وجل يقول : ارجعوا إلى من هوى قلوبكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تفلحوا يبينكم عندى في الماد ، وتيقوا في نبيى في دار البقاء والقرار ، وتفلحوا وتقوموا وتنجوا وتدخلوا برضى الجنة العليا المدة للأبصار . وعاطيهم أيضاً بخطاب الخصوص والاختصاص فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) ومعنى النصوح الخالص لله تعالى الخالي عن الشوائب . مأخوذ من التصاح وهو الخيط ، وهو توبة مجردة لا تتعلق بشيء ، ولا يتعلق بها شيء ، يكون العبد معها مستقيماً على الطاعة غير مائل إلى المعصية ، لا يروغ كما يروغ المتعبد ، ولا يحدث نفسه يعود إلى معصية ولا غلب من الذنوب ، وأن يترك القلب لله خالصاً كما لا يتركه للهوى خالصاً حتى يتم له بحسن الخاتمة ، فإن التوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى التائبين في غير موضع ، قال عز وجل (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فذكر أنه يمحهم لتوبتهم وتطهرهم من الذنوب المبدعة عنه عز وجل وقال في موضع آخر (التائبون العابدون الحامدون الساعون الماتكون الساجدون الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر وال حافظون لحقود الله وبشر المؤمنين) فذكر اسماء معرفة يعني التائبون ، ثم وصفه بهذه الأوصاف الحميدة فلم أن التائب من هذه صفته ، فإذا انصف بها استحق الإشارة والإيمان بقوله (وبشر المؤمنين) .

(فصل) والذي ورد عنه التوبة من الذنوب كياتر وصغائر . أما الكياتر فقد اختلف فيها العلماء فمنهم من قال : هي ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل سبع ، وقيل تسع ، وقيل إحدى عشرة . وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا بلغه قول ابن عمر رضي الله عنهما : الكياتر سبع يقول : هي إلى سبعين أقرب منها إلى سبعة . وكان يقول : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة : وقيل : إنها مبهمة لا يعرف عددها ككيلة القدح وساعة يوم الجمعة ، يعظم جد الناس في طلبها ، فكل ذلك الكياتر ليستند على الناس في ترك الذنوب كلها . وقيل : كل ما أوعده الله عليه بالتار فهو كبيرة . وقيل : كل ما أوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة : وقد جمعها بعض العلماء بالله عز وجل فقال : هي سبع عشرة ، أربعة في القلب : وهي الشرك بالله ، والإصرار على معصية الله ،

والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله . وأربع في القيان وهي : شهادة الزور ، وقذف المحصن ، وإيجين القموس وهي التي يحق بها باطل ويطل بها حق أو يقطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكما من أركاء ، والسحر . وثلاث في البطن : وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب ، وأكل مال اليتيم ظلما ، وأكل الربا وهو يعلم به . واثنان في الفرج وهما : الزنا والقواطع . واثنان في البدن وهما : القتل ، والسرقة . وواحدة في الرجلين وهي : القنول من الزحف ، الواحد من اثنين ، والعشرة من عشرين ، والمائة من المائتين . وواحدة في جميع الجسد ، وهي عقوق الوالدين ، وهو أن لا تيرق قسمهما إذا أكلتا عليك ، وأن تقر بهما إذا سبأك ، وأن لا تلعنهما إذا سألاك ، وأن لا تلعنهما إذا جاعا واستطعماك .

(فصل) وأما الصفات فأكثر من أن تحصى ، ولا سبيل إلى تحقيق معرفتها وبيان حصرها ، لكننا تعلم ذلك بشواهد الشرع وأثر البصائر ، فإن مقصود الشرع سباق القلب وقربه وجواره إلى الله عز وجل بترك الذنوب ، كما قال تعالى (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) . ومنها النظر إلى مستحسن والقلة له والمضاجعة معه من غير جماع ، والسب لأخيه المسلم والقسم له دون القذف والضرب له ، والغيبة والفيمة والكذب ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، فإذا غاب المؤمن عن الكفاية اتلجت الصفات في ضمنها لقوله تعالى (إن تخطئوا كبراء ما تبهون عنه تكفروا عنكم سيئاتكم) الآية ، ولكن لا يطلع نفسه في ذلك ، بل يبتعد في التوبة عن جميع الذنوب كبرها وصغيرها ، كما قال الشاعر :

دخل الذنوب كبيرها وصغيرها فهو النقي لمن استقام وخيرا
واضح كآس فوق أرض الشوك به لك ما خلا حتى يمانر ما يرى
لا تحقرن صغيرة في نفسها إن الجبال من الحصى لم تحرقا

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بواء هو وأصحابه ليس فيه حطب ولا شيء يرونه ، فأمرهم أن يحتطبوا ، فقالوا يا رسول الله ماترى حطبنا ، قال : لا تحقروا شيئا تأخذونه ، فجعل الرجل يسمع الشيء يعضه إلى بعض حتى جمعوا سوادا عظيما ، فقال لأصحابه : ألا ترون ، هكذا تكون المحقرات من غير شر ، حتى الذنب الصغير إلى الصغير ، والكبير إلى الكبير ، والخير إلى الخير ، والشر إلى الشر . وقيل : إن الذنب إذا صغر عند العبد عظم عند الله تعالى ، فإذا استعظم العبد صغر عند الله تعالى ، وإنما يستعظم الذنب الصغير العبد المؤمن بعظم إيمانه وسمو معرفته ، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمؤمن يرى ذنبه كدباب طائر على أنفه فأطاراه . وقال بعضهم : الذنب الذي لا يضر قول الرجل : ليت كل شيء علمته مثل حملا ، وحلا من نقصان إيمانه ، وضعف معرفته ، وقلة علمه بجلال الله عز وجل ، ولو كان عنده علم بملك لرأى الصغير كبيرا ، والمحقر عظيما ، كما أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : لا تنتظر إلى قلة العبدية وانتظر إلى عظم مهديها ، ولا تنتظر إلى صغر الخطيئة وانتظر

إلى كبرياء من واجبه بها ، ولخفا قال : من جلت رتبته وعظمت منزلته عند الله عز وجل فلا صغيرة ، بل كل مخالفة لله تعالى فهي كبيرة . وقال بعض الصحابة لأصحابه من التابعين : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المواقفات وإنما قال ذلك لقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الله جل جلاله ، فيعظم من العالم ما يعظم من الجاهل ، ويتجاوز عن العاصي ما لا يتجاوز عن العارف على قدر ما بينهما من التفاوت في العلم والمعرفة والمزلة : فالتوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر ، لأنه لا يخلو عن معصية الجوارح ، فإن خلا منها فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب ، وإن خلا عن ذلك فلا يخلو من وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المنفرة المذلة عن ذكر الله تعالى ، فإن خلا عنها فلا يخلو عن غفلة وتقصير في العلم بالله عز وجل بصفاته وأفعاله ، كل ذلك على قدر منزل المؤمنين في أحوالهم ومقاماتهم ، فلكل حال طاعات وذنوب وحدود وشروط ، فحفظها طاعة ، وتركها لغفلة عنها ذنب ، فيحتاج إلى توبة ، وهو الرجوع عن التصحيح الذي وجد إلى سائر الطرق المستقيم الذي شرع له ، ومقام الهم فيه ، ومنزلة مهدت له . فالكل مقتدر إلى التوبة وإنما يتفاوتون في المقادير ، فتوبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، وتوبة خاص الخاص من ركوب القلب إلى ما سوى الله عز وجل ، كما قال ذو النون المصري رحمه الله : توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة . وكما قال أبو الحسن النوري : التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل ، فشتان بين طالب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات ، وتائب يتوب من طمأنينة القلب إلى غير خالق البريات . فالأخياء عليهم السلام لم يستغنوا عن التوبة . ألا ترى إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنه ليمان على قلبي ، وإنني لأستغفر الله عز وجل في اليوم والليلة سبعين مرة ، وأدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المنسوبة لها تطايرت الحلال عن جسده وبنت عورته وبق التاج والإكليل على رأسه ، فاستحيا أن يرتدعا عنه ، فجاهد جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه والإكليل عن جبينه ، ونودي هو وحواه : أن اهبط من جوارى ، فإني لا يخلو من عصاني ، فالتفت إلى حواه بالحياء وقال لما : أول شؤم المعصية أخرجتنا من جوار الحبيب ، فأخرجنا إلى التوبة والتضرع والافتقار والامتنانة والشفقة من بعد عيش غار ، وذلك الملك العظيم والفضل الكبير والعز والبال وإرتفاع المزية في أشرف الأمكنة وأظهرها وأقربها إلى الله تعالى . فلو استغنى أحد عن التوبة وأمن من العدو وشؤم النفس ووسواس الشيطان ومكائده ، واغتر بشرف المكان وطهارته والقرب إلى الله ودنو منزلته ، لكان ذلك حقيقا بآدم عليه السلام ، فلم يستغن عن التوبة حتى تاب الله عليه ، لقوله عز وجل (فقل آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) . وروى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال : لما تاب الله على آدم عليه السلام هنته الملائكة ، فهبط جبريل عليه السلام وميكائيل وإسراييل عليهما السلام فقالوا : يا آدم قرأت بينك بتوبة

الله عليك ، فقال آدم عليه السلام : يا جبرئيل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه : يا آدم وركبت قرينك التعب والتعب ، وورثتهم التوبة ، فمن دعاني منهم لبيته كما ليذك ، ومن سألني منهم المغفرة لم أجعل عليه ، فإني قريب مجيب يا آدم ، وأحضر الثانيين من الذنوب في الجنة ، وأخرجهم من قبورهم فرحين ضاحكين مستبشرين ، ودعاهم مستجاب . وكذلك نوح النبي عليه السلام الذي أغرق الله أهل المشرق والغرب بدعوته والغيرة على عرشه ، ولتكناليهم إياه وشدة بغضه عليهم لذلك ، وهو آدم الثاني ، لكن الخلق من ذريته على ما قيل إنه لم يتوالد من الذين كانوا معه في السفينة من الناس غير أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافت ، فخلقوا تسعيت منهم ومع هذه القسوة قال (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) . وإبراهيم الخليل عليه السلام مع جلالة قدره واصطفاه الله له بكنهه وجعله أبا الأنبياء والمرسلين ، كما روي أنه أخرج من ولده وولد ولده أربعة آلاف نبي عليه وعليهم السلام ، قال الله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) حتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ولده ، وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام وغيرهم لم يستغن عن التوبة والإستكانة والأفقار إلى الله عز وجل ، فقال (والذي خلقتني فهو يهديني ، والذي هو يطعني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يمتلئني ثم يميتني ، والذي أطعمني أن يضرني خطيئتي يوم الدين) الآية ، وقوله عز وجل (وأولنا مناسكتنا ونوب علينا إنك أنت التواب الرحيم) وموسى عليه السلام مع جلالة قدره واصطفاه الله له بالرسالة والكلام واصطناعه نفسه ، وإلقائه المحبة عليه ، وتأيدته له بالمعجزات الباهرات من اليد والمصا والآيات التسع والأشهاد التي كانت له في النبي ، من عمود النور بالليل والنهار والسلمى وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لأحد من الأنبياء قبله (قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) . وداود النبي عليه السلام مع جلالة قدره وإعطاء الله له ذلك الملك العظيم ، كان حراسه ثلاثة وثلاثين ألف حارس ، وكان إذا قرأ الزبور اصطفت الطير على رأسه ووقف الملائكة جواربه وحده ، واصطفت الإنس والجن حوله ، والسياح والمواع ، كذلك لا يؤذي بعضها بعضا ، وتسبح الجبال بتسبيحه ، وأمين له الحديد الرزق لإجلال قدره وصيانة لأمره ، فيكن أربعة عشر يوما وهو ساجد ، حتى تبت العشب من دموعه ، فرحبه الله تعالى وتاب عليه ، حتى قال عز وجل (فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا ثلثي وحسن مكاب) . وسليمان بن داود عليهما السلام مع ملكه العظيم وريحه المسخرة له ، غدوها شهر ورواحها شهر ، والملك الذي لا ينفذ لأحد من بعده ، لما عوقب على خطيئته من أجل ابتئال الذي حيد في داره أربعة عشر يوما ، هرب تائها على وجهه ، وكان يسأل بكنهه فلا يطعم ، فإذا قال أطعموني فلاني سليمان بن داود شجع رأسه وضرب وأهين وكذب ، ولقد استظعم يوما من بيت فطرد ووزقت امرأة على وجهه . وروي أنه ذات يوم أخرجت عجوز جرة فيها بول وصيته على رأسه ، فلقى في الذل على ذلك إلى أن أخرج الله له الخاتم من بطن حوت ، فلبسه حتى انتهت الأربعمون يوما

من أيام العقوبة ، فجاءت الطير حيثما فعكفت عليه ، وجاءت الہن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله ، فلما عرفه الذين أعتاقوه وضربوه اعتلوا له مما جرى منهم إليه من الإساءة ، فقال : لا ألومكم فيما صنعتم من قبل ، ولا أجدكم الآن فيما تصنعون ، فإن هذا أمر من عند ربی ، فلا بد لي منه ، فتاب الله عليه ورد إليه ملكه ، وأكبر موته ومرجعه عليه السلام .

فإذا كان هؤلاء السادات الكبراء قادة ولاية الخلق والشرع ، وعطاء الله في خلقه حلقم كذلك ، فاحاطك واختاروك بأمسكين ، وأنت في دار القصور في إقطاع الشياطين ، عيط بك جنود الأعداء من الخلق والفری والنفس والشهوات والإرادات والوسوس وتربین الشیطان ومحسبته ، واختارت بالعبادات الناضرة من الصوم والصلاة والزكاة والحج ، وكف الجوارح عن المعاصي الفائرة وباطلك عار عن العبادات الباطلة ، صبر عنها من الورع والثبات والقوى والرهه والصبر والرضا والقناعة والتوكل والتفويض واليقين وسلامة الصدر وسخاوة النفس ورؤية المنة والنية والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاش وحسن المعرفة وحسن الطاعة والصدق والإخلاص ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، بل أنت مشحون بمثلها بأخلاق قبيحة وأمهات الذنوب التي منها يتفرع كل عنة وداهية ، وكل بلية مهلكة موبقة في الدنيا والآخرة من خوف الفقر والسخط لقدر الله عز وجل ، والاعتراض عليه في قضاءه في خلقه ، والهمة له في ذلك ، والشك في وعده ، والغفل والنفق والحسد والغش ، وطلبه العلو والمنزلة ، وحب الثناء والمحمدة ، وحب الجاه في الدنيا والرضا بها والطمانينة إليها ، والتكبر على عباد الله والتعظم عليهم ، والشيخ بالأئمة كما قال تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) والغضب والحمية والأئمة ، وحب الرياسة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والسخ والشح والرغبة والرغبة والفرح والأشر والبطر ، والتعظيم للأغنياء والاستهانة بالفقراء ، والقمطر والخيلاء ، والفتانس في الدنيا واللباهة بها ، والرياء والسمة ، والإعراض عن الحق استكبارا ، والخوض فيما لا يحنى ، وكثرة الكلام من غير نفع ، والنية والصلف ، واعتبار أحوال الغير ، وترك حالك التي أنت عليها ، وجعلت عبادتك في حظها ، والخلق والاعتدار ، والهاون في أمر الله ، والتوقير للمخلوقين ، والمداينة لهم والعجب بالأفعال ، وحب المدح بما لم تفعله ، والاشتغال بغير الخلق والتماس عن عيوبك ، ونسيان نعمة الله وإضافتها إلى نفسك أو إلى الخلق الذين هم مسخرون وآلة لتلك النعمة ، والوقوف مع الظاهر ، والتقاعد عن النظر في الأصول ، وحفظ الحدود ووضع الشيء في محله ، وإيثار القرح ، وبغض الحزن الذي يكون بدمه خراب القلب ، وخروج انكسبة منه ، وبعده إلقاء نور الحكمة ، ويزايدة إيجاب قرب الرب والأنس به والاستياع إليه والفهم منه ، والاستغناء به عن جميع البرية ، والسعادة الأبدية ، والنجاة السرمديّة ، والنعمة الكلية ، ومشحون بالانتصار للنفس إذا نالها ذلك الذي دواؤها فيه وسعادتها به ، ودخولها في زمرة أصحاب الله تعالى وأصفياءه وخلصائه وشهادته وعلمائه ، والعارفين بمجاري أقداره وأبدال أنيائه عليهم السلام ، وبضعف الانتصار

الحق جلّت عظمته ، وأنصار دينه وأوليائه القائمين بحجته ، الناصحين للخلق إلى طاعته ، المحذرين
لنقمته وناره بتذكيرها لأيامه ، المرخين في رحته وجنته ، وباتخاذ الإخوان في العلانية مع عداوتك
إياهم في السرّ ، والإعراض عن موافقة الأنبياء الأبرار المنكسرين القلوب والأفئدة ، الذين
هم جلساء الرحمن جلّت عظمته ، الملمطون إليه ، الملازمون للشدة ، المدومون على الخشعة
المتصمون بالمنة ، المتلبسون بالخلمة ، اللوسمون بملصاء الرحمن ربّ العزّة ، الآمنون في الدنيا
من دوران القبول والفتنة ، وفي القيوم من شرّ هول المظلم والفضضة ، وفي القيامة من طول الحساب
والرحشة ، الخالدون في دار البقاء في النعمة والسرور والبهجة والفرحة ، المحصرون فيها بكل
ظريف ولطيف في كل ساعة ولحظة وطرفة ، والمختورت أيضا بما تحوكت من الدنيا ، وما
أطلقت فيها من القضاء ، وأرحت من العناء ، فأمنت من سلب العطاء والفضل والنعم التي كانت
لغيرك ، ثم انتقلت منه إليك من تقدم ومضى ، من فرعون وهامان وقارون وشداد وعاد
ونعصر وكسرى ، من الملوك الخالية والأمنم الثانية الفاضية ، الذين تلاعبت بهم الدنيا وخرتهم
الأماني ، حتى جاء أمر الله وخرّم بالله الغرور ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، وجعوا وفرقوا
وقطع بينهم وبين ما خولوا وأزبلوا من فرشهم التي مهدوها لأنفسهم ، وأهبطوا عن المنازل التي
شيدوها ، وأزبلوا عن العزّ التي كانوا به ظفروا ، وعن الملك الذي ادعوه وخيلوا ، فطوبوا
بالودائع التي استودعوا ، وبالعواري التي استؤمنوها ، فجاءهم من الله ما لم يظنوا احتسبوا ،
وأوقفوا على مساويء ما عملوا ، ونوقشوا على دقائق ما اقترعوا ، وحبسوا في أضيق الحبوس
التي في الدنيا لغيرهم حبسوا ، وشدّد عليهم بأشدّ الذي شدّدوا ، وعوقبوا بأبلغ ما عاقبوا ،
وبالنار أحرقوا ، وبأيديهم وأرجلهم فيها بالأغلال خلوا ، ومن زقوم وضرب أطمعوا ، ومن
حجم سقوا ، ومن طينة خيال تيموا ، أما كانت لك بهؤلاء الماضين عبرة ، وبالمأسورين عن
أهاليهم حظة عن ادعاء ما خلّعوا ، وسكنى ما بنوا وعه آجلوا ، إذ كانوا في بنائهم فلك جاروا
وظلموا ، فكمن من عرض وظهر وغد ورأس قالوا وضربوا ، وكمن من عين مسكين بائس
فقير ذليل أبكوا وأدمعوا ، وكمن من غنى ذى حسب أذلوا وأقروا ، وكمن من بدعة وسنة
سبقة ورسم شرعوا ورمعوا ، وكمن من قلب حكيم ليب عليهم كسروا وأغضبوا ، وكمن من دعاء
ونجيب وصوت حزين في جنح الليل من أرباب القلوب بظلمهم إلى الرحمن رفعا ، شكاية
منهم إليه في كشف ما بهم ، إذ هم على الخير سقطوا ، فانتلت لذلك الملائكة الكرام ، وإليه
بادروا ، وإلى الملك العظيم المنصف غير الجائر وصلوا وانتهوا ، فظفر العزيز الحكيم عليهم
بما في صدورهم ، والخير بما يخفون وما يملئون فيها شكوا ومن ضججوا فأجابهم العزيز الخليل
« لأنصرنكم ولو بعد حين » ، فجعلهم حصيدا (فهل ترى لهم من باقية) فقوم بالغرق ، وقوم
بالخسف ، وقوم بالحصب ، وقوم بالقتل ، وقوم بالمنس في الصور ، وقوم بالمنس بالمعاني بأن
جعل قلوبهم قاسية كأحجار الصماء ، فطع عليها بطائع الكفر ، وغصتها بخاتم الشرك والريز

(١) لعل الخرافة بنسبة منى والكهلاء . . مصححه .

(٢) سناء والله أعلم أنهم تيسروا بنسب الخمر في الدنيا فأكروا إلى طية الكهلاء . مصححه .

والغطاء والظلمة ، فلم يلبح فيها الإسلام ولا الإيمان ، ثم أطلعت أخذت رابية ، ونظرت بهم بطشة الجبار ، فأدخلتهم دار البوار (كلما نضجت جلودهم بلبانهم جلودا غيرها) فهم أبدا في نکال وجحيم وطعام ذی غصة وغلاب أليم (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) لا يعودون فيها ومنها لا يخرجون ، لا غاية لويلهم ولا منتهى لبيوعهم ، ولم فيها معيشة فستك ، لا ينطلق إليهم روح ولا يخرج منهم نفس ولا روح ، انقطعت آلامهم وأصواتهم ، ونشئت قلوبهم في حلوقهم ، وعزمت ألسنتهم ، وقيل لهم (اختصروا فيها ولا تكلمون) فاحسروا بامسكين أن تفعل بأفعالهم ، أو تصنع بسنتهم ، فتفتقروا أكثرهم ، فتموت من غير توبة ، وتوقط على غفلة وغفلة ، من غير أن تهتد لنفك عنرا ، وتعد لك جوابا وغلفا ، وتقدم بها زادا وجازا ، فيحل بك من العذاب والنكال ما حل بهم .

(فصل : في شروط التوبة وكيفيةها) لما شروطها ثلاثة : أولا : الندم على ما عمل من المخالفات ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ، وعلاوة صحة الندم : رقة القلب ، وغزارة الدمع ، ولهذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « جالسوا التوابين ، لأنهم أرق أفئدة » ، والثاني : ترك الزلات في جميع الحالات والمباحات . والثالث : العزم على أن لا يعود إلى مثل ما الترف من المعاصي والمخلفات ، وهو معنى قول ابن بكر الواسطي حين مثل عن التوبة بالنصوح فقال : « أن لا يبق على صاحبها أثر من المعصية سرا ولا جهرا ، ومن كانت توبته نصوحا فلا يبال كيف أمسى وأصبح ، فالتدم يورث عزما وقصدا ، فالعزم أن لا يعود إلى مثل ما الترف من المعاصي لعلمه المستفاد بالندم أن المعاصي حائلة بينه وبين ربه وبين عاقبة الدنيا والآخرة السليمة من التبعات » كما ورد في الخبر « إن العبد يحرم الرزق الكثير بذنوبه بصلبه » . وأيضا الرضا يورث الفقر . وعن بعض العارفين : إذا رأيت التغير والتحسين في المعيشة والتعسر في الرزق وتشعب الحال ، فاعلم أنك تارك لأمر مولاك تابع لحوائك ، وإذا رأيت الأيدي تسلطت عليك والألسن وتناولت الفضل في النفس والأهل والمال والولد ، فاعلم أنك مرتكب للمعاصي ومانع للحقوق ومتجاوز للحدود ، وخرق للرسوم وإذا رأيت المغموم والغنوم والكروب في القلب قد تراكمت ، فاعلم أنك معترض على الرب فيما قد رغب إليك وقضى لك منهم له في وعده ، ومشرك به خلقه في أمره ، غير واثق به ولا أنت راضى بتغييره فيك وفي خلقه ، فإذا علم الكاتب هذا بالنظر في حاله والتفكير فيما ندم على ذلك . ومعنى الندم : توجع القلب عند حمله بفوات محبوه ، فطول حسراته وأحزانه ويكافؤه ونحيبه وانسكاب صبراته ، فيعزم على أن لا يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من العلم بشؤم ذلك ، وأنه أضرم من السم القاتل والسبع الضار والثار المفرقة والسيوف القاطع ، وأن المؤمن لا يسلم من جحيم مرتين ، فبهرب ضرورة من المعاصي كما بهرب من هذه المضار والهلاك ، في المعاصي هلاك كل والسلامة الأبدية سعادة دنيوية وأخرية ، فبالتب المعاصي لم تخلق ولم تكن ، غرب شهوة ساعة أورت حزنا طويلا وأقربت داء دؤبا وأهتعت عمرا طويلا وأوقعت في النار جيلا كثيرا . وأما القصد الذي يقع عنه وهو إرادة التدارك ، فله تعلق بالحال ، وهو موجب ترك كل محظور وهو ملائس له ومداوم

عليه ، وأداء كل الرضى هو متوجه عليه في الحال ، وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرطه بالمستقبل ، وهو المتداومة على الطاعة وترك المعصية إلى الموت . فلما شرط صحته فيها يتعلق بالماضي وهو أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه السن والاحتلام ، ليفتش عما مضى من عمره ستة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما وساعة ساعة ونفسا نفسا ، فينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيها ، وإلى المعاصي ما الذي غارف منها . أما الطاعات فإن كان ترك صلاة قام بصلتها البتة أو صلاها بغير شرائطها وخبر لو كانها ، مثل أن صلاها من غير وضوء ، أو مع وضوء غفل بترك شرط كالتنية ، أو بعض واجباته كالتمسكة والاستسقاء وغسل الوجه وغير ذلك من الأعضاء ، أو صلى في ثوب نجس أو حرير أو غضب أو غل أرض مفضوعة ، فإنه يقضيها جميعا من حين بلوغه إلى حين توبته ، فيشتغل بقضاء القرائن أولا ، ولا يزال يصلها إلى أن يضيئ وقت صلاة الحاضرة ثم يصل الحاضرة أداء ، ثم يشتغل بقضاء الفرائض هكذا إلى أن يأتي على آخرها فإذا حضرت الجماعة صلاها مع الجماعة ، وبنيتها قضاء ، ثم يصل على عادته حتى إذا مضى وقت التي صلاها مع الإمام صلاها وحده أداء ، كل ذلك إنما يقعله احتياطا لتحصيل الترتيب في القضاء ، إذ هو واجب عندنا ، فإن غوى مع الإمام أداء جماعة سوح وخصص له في ذلك ، ولا يبعد ما مرة أخرى ، والمصحح هو الأول ، فإن كان في عمره الماضي غفلا في دينه من الذين قال الله تعالى في حقهم (وأخرون أضلوا بذنوبهم غفلوا عما صالحو وآخر مبنا عسى الله أن يتوب عليهم) نارة يغلب عليه الإيمان فيحسن العمل من صلاته وصيامه والتحرز من النجاسات والحرم في الشرع ويحافظ لدينه ، أو أخرى تغلبه الشقاوة فيزله الشيطان فيجنس في صلاته ويتساهل في شرائطها وأركانها وواجباتها ، غيائ يبعثها ويترك بعضها ، أو يصل يوما ويترك ألبدا ، أو يصل من صلاة يوم وليلة صلاة أو صلاتين ويترك باقيها ، فيجهد وليتحرز في ذلك ، فما يقين أنه أتى به على التمام والكمال على وجه يسوغ في الشرع لم يقضيها وقضى الباقي وإن نظر لنفسه ولارتكب العزيمة والأشد ففقدى الجميع لكان ذلك احتياطا وخيرا قدمه لنفسه ، وكفارة وترقيما لكل ما فرط من سائر الأوامر يوم القيامة ، ودرجات في الجنة إذا مات على التوبة والإسلام والسنّة ، وإذا فرغ من قضاء القرائن ومد الله في أجله ، وأمهل في مدته ، ووقفه لخدمته ، ورضيه لطاعته ، وأقامه لها ، وجعله من أهل عبه ، وأقبله من الضلال ، وأخرجه من مراقبة الشيطان ومباحته ومن وكوب الهوى ، وملاذ نفسه ، فأديره من دنياه ، وأقبله على آخره ، فليشتغل حينئذ بقضاء السنن المؤكدات وما يتعلق بكل صلاة على ما ذكرنا في القرائن ، ثم بعد ذلك يستبد في التهجس صلاة الليل والأوراد التي تشير إليها في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى . وأما الصوم فإن كان تركه في سفر أو مرض ، أو أضر عمدا في الحضر أو ترك التنية لئلا عمدا أو سهوا ، فليقض ذلك جميعه ، وإن شك في ذلك ، فليجهد وليجهد في ذلك ، وليقض ما غلب على ظنه تركه ، ويترك باقيه فلا يقضيه ، وإن أخذ بالأحوط فليقض الجميع كان عمرا له ، فيحجب من حين بلوغه إلى حين توبته ، فإن كان بين ذلك عشر سنين صام عشرة أشهر ، وإن كان اثني عشرة سنة صام ستة عن كل سنة شهرا ،

وہو شہر رمضان . واما الزکاة فیحسب خیر مالہ وجہد السنین من اول تمام ملکہ لامن زمانہ بلوغہ وعقلہ ، إذ الزکاة واجبة علی الصبی . والمجنون عندنا ، فیخرجہا یدفعہا إلی مستحقینا من الفقراء والمساکین وغیرہم ، فإن کان قد أدی فی بعض السنین ، وتوفی فی بعض حسب ذلک ، وأدی المروک ویترک المؤدین علی ما تقدم فی الصوم والصلاة . وأما الحج فإن کان قد تم شروطہ فی حقہ فوجب علیہ المعنی فیہ والقصد إلیہ ، فتوفی ، وفطر حتى انقصر واعتلت الشرائط فی حقہ برحۃ من الزمان ثم قنر ، فعلیہ الخروج والقصد إلیہ ، وإن لم يجد المال وكان له قدرة علی الخروج ببذنه مع الإفلاس فعلیہ الخروج ، فإن لم یقدر علی المال فلیس إلیہ من یکتسب من الحلال قدر الزاد والراحلة . فإن لم یقدر علی الکسب فلیسأل الناس لیدفعوا إلیہ من زکاتہم وصداقاتہم لیجیح ، لأن الحج من السبیل عندنا ، وهو واحد من الأصناف الثانیة ، وهو بقوله عز وجل (وی سبیل اللہ) فإن مات قبل ذلک ماتہ خاصیا آثما ، لأنه فطر فی أداء الحج ، وهو عندنا علی الفور ، قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم : من وجد زادا وراحلة فلیہ الیت فلم یجح فلا علیہ أن یموت یهودیا أو نصرانیا ، کل ذلک تأکید بلحاب الأمر واحتیاطا لحفظہ وخوفا من تضييعہ وإن کان علیہ کفارات تولدور فعلیہ الخروج منها والاحتیاط فیہا علی ما ذکرنا . وأما المعاصی فیتقی أن یفتش من أول بلوغہ عن سمعہ وبصرہ ولسانہ وبدنہ ورجلہ وفرجہ وجمع جوارحہ ، ثم ینظر فی جمیع آیامہ وصالحاتہ ، ویفصل عند نفسه دیوان معاصیہ ، حتی یطلع علی جمیعہا صاخرها وکبارها ، ویتذکرہا جمیعہا برؤية قرآنہ الذین کانوا معہ فیہا وشارکوه فی اقترافہا ، والباقی الی قارف علیہا ، والمنازل الی تنسہ فیہا عن الآمین فی زحمہ ، وغفل عن الآمین الی لاتمام ولا تلمس طرفہ عن عنہ (کراما کاتبین یعلمون ما یفعلون) ، ما یلفظ من قولہ (لا لدیہ رقیب عتید) غفل عن هؤلاء الکرام الحفظة (لہ معقبات من بین یدیه ومن خلفہ یحفظونه من أمر اللہ) ومحضون علیہ أفعالہ وأنفاسہ ، وغفل عن علم السر وأخفی العظیم بذات الصدور ، والخیر بما یخفون وما یفعلون ، ثم ینظر فی ذلک ، فإن كانت المعاصی تتعلق بحسن اللہ تعالیٰ وحی یتہ وبتہ لاسمعی بمظالم العباد کالزنا وشرب الخمر وسماع الملاہی ، وکالتظلم إلی غیر محرّم ، والقعود فی المسجد وهو جنب ، وسمی المصحف بغير وضوء ، واعتقاد بدعة ، فتوبہ عنہا بالندم والتجسس والاعتذار إلی اللہ عز وجل ، وبحسب مقدارها من حیث الکثرة ومن حیث المدة ، ویطلب لكل معصیة عنہا حسنة تناسیہا ، فیأتی من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذًا من قوله تعالى (إن الحسنات یدفعین السيئات) ومن قول النبی صلی اللہ علیہ وسلم : اتق اللہ حیثما کنتم ، وأتیح البیت الحسنة تمحوا ، فتکفیر کل مینة بحسنة من جنسہا بما تقارب أن تكون کفارة لہ دون غیرہ فی التشبیہ ، فتکفیر شرب الخمر بالتصدق بکل شراب حلال هو أحب إلیہ وأحب عندہ ، وسماع الملاہی بسماع القرآن وأحادیث رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وحکایات الصالحین ، وتکفیر القعود فی المسجد جنبا بالاعتکاف فیہ مع الاشتغال بالعبادة وتکفیر من المصحف عددا بأكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه ، وكثرة

تلقیہ علی الطہارۃ ، والاعتبار بما فیہ ، والاتعاظ بہ واحترامہ ، والعمل بہ ، ویأن یکتب مصحفاً
ورجعه ولقا علی المسلمین ليقربوا فیہ :

وأما مظالم العباد ، فقیما أيضاً معصية وجناية علی حقّ الله تعالى ، فإن الله تعالى نهي عن
المظالم لعباده ، كما نهي عن الزنا وشرب الخمر ، فما يتعلق من ذلك بحقّ الله تعالى تدلّوکه بالندم
والتحسر ، وترك مثله فی ثانی الحال ، والإتيان بالحسنات لتكفر عنه ، فتكفير إبدائه للناس
بالإحسان إليهم والدعاء لهم ، فإن كان المزدی ميتاً فبالترحم عليه والإحسان لولده وورثته ، وإذا
كانت الأذية بالناس أو الضرب ، وتكفير غصب أموالهم فی حقّ الله تعالى بالتصدق بما يملكه من
الحلال ؛ وإن كانت الأذية فی الأعراض مثل أن اغتايهم ومشي بينهم بالخيبة وقدرح فيهم ،
فتكفير ذلك بالتأثم عليهم وإن كانوا من أهل الدين والسنّة وإظهار ما يعرف فيهم من خصائص
الخير فی أقرانه وأمثاله فی الحلال والحلّامع ، وتكفير قتل النفوس فی حقّ الله تعالى باعتناق الرقاب
لأن ذلك إحياء العبد ، لأن العبد كالنفس المملوكة فبالترحم عليه ، كما قال الله عز وجل
﴿ ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر علی شيء ﴾ فكلّبه لمولاه ونصرته وحركاته وسكناته ،
فهو مجرد لسيده ، إذ جميع ذلك له ، ففی إعتاقه إعتاده وإحيائه ، فكأنّ القاتل أعدم عبداً عابداً
لله تعالى وعطل طاعته له ، فجنى علی حقه ، فآثمه بإقامة عبد مثله عابداً لله تعالى ، ولا يتحقق
ذلك إلا بعطف من ربيّ العبودية ، فيتصرف فی نفسه لنفسه من غير مانع ولا حاجز ، فيقابل
الإعدام بالإيجاد ، وهذا فی حقّ الله تعالى . وأما فی حقّ العباد فلا يخلو إما أن يكون فی النفوس
أو فی الأموال أو الأعراض أو القلوب ، وهذا هو الإبداء الخفي . وأما إذا كانت المظلمة
فی النفوس بأن جرى علی يده قتل خطأ ، فتوبته بتسليم الدية إلى من يستحقها من ذی نسب ،
أو مولی أو الإمام ، فهي فی مهدة ذلك حتى تصل الدية إليهم ، إما من العاقلة ، أو الإمام ، فإن
لم تكن له عاقلة ، ولا وجد فی بيت المال شيء سقطت ، فإن كان هو قاتلاً علی أدائها ولا
عاقلة له ، فليس له غير حتى رقة مؤمنة ، فإن تطوّر بالدية كان أولى ، إذ الدية إنما تجب عندنا
علی العاقلة ، فلا يطالب بها القاتل وهو الصحيح . وقيل : إنه يجب علیه أداء الدية فی هذه
الحالة إذا لم تكن له عاقلة وله يسار ، وهو ملجأ الشافعي رحمه الله ، لأن الدية تجب ابتداء
علی القاتل ، ثم تتحملها عنه العاقلة علی وجه التخفيف عنه والصرّة له ، والملازمة له فی القرامة
لما بينهما من التوارث ، وقد علمت العاقلة هاهنا ، فوجبت عليه ، لاسيما وهو فی حالة التوبة
والخروج من المظالم والنور والخلّاص عن حقوق الآدميين . وأما إن كان القاتل عبداً فلا
يتخلص إلا بالمصايب ، وكذلك إن كان دون النفس فی عمل يمكن الاختصاص منه ، فإن كان
فی النفس ، فالكلام مع التوارث ، وإن كان فیا دون النفس فعلى الجني عليه ، فإن طابت النفوس
بإسقاط ذلك والعفو عنه سقط ، وإن طلبوا العفو علی مال بقله وتبرأ من مهدة ، فإن قتل
تخيلاً ولم يعرف أنه هو القاتل كان عليه أن يعترف عند وليّ الدم ، ويحكمه في روجه ، فإن شاء عفا
عنه ، وإن شاء قتله أو أخذ المال عليه ، ولا يجوز له إختلافه لأنه لا يسقط بمجرد التوبة ،

فإن قتل جماعة في أوقات مختلفة ومحال متعددة ، وقد تقدم الزمان ، ولا يعرف أوليائهم ولا عدد من قتلهم ، أحسن توبته وعمله ، وأقام على نفسه حداً الله بأنواع المجاهدات والتعذيب لها ، واللعن عن ظلمه وآذاه ، وأعتق الرقاب ، وتصديق بال ، وأكثر النوازل ، ليُفرق ثواب ذلك عليهم على قدر حقوقهم يوم القيامة ، فينجو هو ، ويدخل الجنة برحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين . ولا قائمة إذ ذلك في التحدث بما جرى عليه من أنواع القتل والجراحات وقطع الطريق ، إذ لا يعثر بأربابها ومستحقها ليوفهم أو يستحل منهم ، بل يشتغل بما ذكرناه ، وكذلك إن زنا أو شرب أو سرق ، ولا يعرف مالكمها ، أو قطع الطريق ولا يعرف المقتول عليه ، أو باشر امرأة دون الفرج مما يجب فيه حد الله أو التعزير ، فإنه لا يلزمه في صحة التوبة أن يفضح ويهتك سره ، ويلتص من الإمام أو لحاكم إقامة الحدود عليه ، بل يستتر بستر الله تعالى ، ويتوب إلى الله عز وجل فيما بينه وبين الله ، ويستغل بأنواع المجاهدات من صيام النهار ، والتخلل من البياض واللذات ، وقيام الليل ، وقراءة القرآن ، وكثرة التسبيح والتورع ، وغير ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أتى بشيء من هذه القنذورات فليستر بستر الله تعالى ، ولا يبدى لنا صفحته » ، فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه حدود الله ، فإن عاين ما قلناه ، ورفع أمره إلى الزوال فإلام عليه الحد وقع موقعه وصحت توبته ، وتكون مقبولة عند الله ، ويرى من عبادة ذنبه ، وتظهر من إنمته ولطخته .

وأما الأموال ، فإن كان تناول مال إنسان بنصب أو سرقة أو قطع طريق أو خيانة في عين من ودعة أو عارية أو معاملة من نوع تليس ، كترويج زائف أو سر عيب في البيع ، أو نقص أجرة الجير ، أو منع أجره جملة ، فكل ذلك عليه أن يقتل عنه لامن مدة بلوغه ، بل من مدة وجود ذلك بعد بلوغه وعقله وتمييزه ، أو قبل بلوغه وهو في حجر وليه ووصيه ، واختلط ماله بماله ، وتهاون الولي في ذلك ، ولم يبال به بأن كان ظالماً مجازفاً في دينه ، فاختلط ذلك الحرام بمال الصبي تارة من فعل الصبي ، وأخرى من ظلم الوصي وجب على الصبي التائب بعد بلوغه تفتيش ذلك ، ورد كل حق إلى أهله ، وتصفية ماله من تلك الشبهات والحرام ، فليحاسب نفسه على الحيات والفكرات من أول يوم جنايته إلى يوم توبته ، قبل أن يأتيه الموت على خلعة من غير حساب ، وتقوم عليه القيامة على غرة من غير تحصيل ثواب وتهديب كتاب . فيسأل فلا يسع جواباً ، ويتندم فلا ينفع الندم ، ويستعيب فلا يعتب ، ويعتذر فلا يعذر ، ويستعمل فلا يجهل ، ويستشفع فلا يشفع له إذا كان مفرطاً في حال حياته ، ومجازفاً في حال يقضه وفطنته ، منتظراً في أمور معاشه ، حريصاً في تحصيل شهراته ولذاته ، متابعاً لحواه وشيطانه ، معرضاً عن طاعة ربه وجنابه ، مشغولاً عن إجابته ، مشارعاً في معصيته وخلقه ، فلذلك طال في القيامة حسابه ، وعظم وبه ونحيبه ، وانقطع ظهره ، وتكسر رأسه ، واشتدت خبثته وحيازه ، وانقطعت حجته وبرهانه ، وأغلقت حسابه ، وتضاعفت سيئاته ، ونحسرت صفته وظهر إيلاسه ، واشتد عليه غضب ربه ، وأغلغله ، وأخذته الزبانية إلى مامهد لنفسه .

من عذاب ربه ، وألويتها وأوردتها ، فسأوى من في النار من قارون وفرعون وهامان ، إذ مقام العباد للاستماع فيها ، وإن ترك : « وفي الأثر : » إن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال ، لو سلمت له لكان من أهل الجنان ، فيقوم أصحاب المظالم فيكون له سب عريض هذا ، وأخذ مال هذا ، وضرب هذا ، فقص حسنه فلا يبقى له شيء ، فقول الملائكة : يا رب فبنت حسنه وبقي ظالمون كثيرون ، فيقول : ألقوا من سيئاتهم إلى سيئاته ، وصكوا له صكا إلى النار ، فيلك هو بسنة غيره بطريق القصاص . فلكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم ، وينقل إليه عرضا مما ظلمه . وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدواوين ثلاثة : ديوان يفره الله تعالى ، وديوان لا يفره الله ، وديوان لا يترك منه شيء . فأما الديوان الذي لا يفره الله تعالى ، فالشرك بالله جل جلاله ؟ قال الله عز وجل : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) . وأما الديوان الذي يفره ، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه . وأما الديوان الذي لا يترك منه شيء ، فظلم العباد بعضهم بعضا . » وعن ابن مبررة رضي الله عنه أنه قال : « أتدرون من الخلس من أتى يوم القيامة ؟ قالوا : يا رسول الله ، الخلس فينا من لا ندرهم له ولا نحتاج ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : الخلس من أتى من أتى يوم القيامة بصلاته وصيامه ، وقد شتم هذا ، وغدق هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فقص هذا من حسنه ، وإن لم يثبت حسنه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ، ثم طرح في النار » فيلحق المذنب أن يبادر إلى التوبة ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هلك المسوقون الذين يقولون سوف نتوب » . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : (بل يريد الإنسان ليفجر أماله) يعني يقدم ذنوبه ويؤخر توبته ، ويقول : سأتوب حتى يأتي الموت ، وهو على شر ما كان عليه فيموت عليه . وقال لقمان الحكيم لابنه : يا بني لا تؤخر التوبة إلى غد ، فإنه الموت يأتيك بغتة ، فالواجب على كل أحد أن يتوب حين يصبح وحين يمسي . قال مجاهد رحمه الله : من لم يتب إذا أصبح وأمسى فهو من الظالمين .

فالتوبة على وجهين : أحدهما في حق العباد ، وقد ذكرناها . والثاني بينك وبين الله تعالى ، فتكون بالاستغفار باللسان والتدم بالقلب ، والإتيان أن لا يعود على ما أشرنا إليه من قبل ، فليجتهد هذا الثائب من الظالم ، ويذل جهده في تكثير الحسنات حتى يقتصر منه يوم القيامة ، فتؤخذ حسنه وتوضع في موازين أولي المظالم ، ولكن كثرة حسنه بقدر كثرة عقابه لعياده وإلا هلك بسنات غيره ، وهذا يوجب استغراق جميع العمر في الحسنات لو طال عمره بحسب مدة الظلم ، فكيف والموت على الرصد ، وربما يكون الأجل قريبا فتخبره المنة قبل بفرغ الأمانة ، وقيل إخلاص العمل ، وتصحيح التوبة وتصفية القصة ، فليبادر إلى ذلك ، وليذل الاجتهاد فيكتب جميع ذلك ، وأساس أصحاب المظالم واحدا واحدا ، وبطون نواصر العلم وأطراف البلاد وأقطارها ، ويطلبهم يستحلهم ، أو يودى حقوقهم ، فإن لم يجدهم فإلى

جورتهم ، وهو مع ذلك مخالف من عذاب الله ، راجح لرحته ، نائب مقلع عن جميع ما يكره ولاه ، مشمر في طاعته ومراضاه ، فان أنكرته منيته وهو على ذلك فقد وقع أجره على الله ، قال الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) . وقد جاء في الصحيح المتفق عليه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل من أهل الأرض ، قتل على راعب ، فأنا قتل له : إنه قد قتل تسعة وتسعين نفسا ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقله ، فكل به مة ، ثم سأل من أهل الأرض ؟ فدل على رجل عامل ، فأنا قتل : إنه قد قتل مئة نفس فهل له من توبة ؟ قال : نعم ، ومن يحول بينك وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فان بها ناسا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك ، فانها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء نائبا مقبلا إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرا قط ، فأنا ملك في صورة آدمي ، فاجعلوه بينهم حكما ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين إلى أيهما كان له أدنى فهو له ، ففاسوا ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراخ ، فقبضته ملائكة الرحمة : وفي رواية : فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر ، فجعل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله عز وجل إلى هذه : أن تبايعني ، وإلى هذه أن تخاري ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر ، ففقر له .
فهذا دليل واضح على أن قصده إلى التوبة وسعيه إليها ، ونيتة لها نافع ، ودليل على أنه لا خلاص إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمقتال ذرة ، فلا بد للثواب من تكثير الحسنات والنوافل ليرضى بها المصوم يوم القيامة ، وترفع بها الفرائض ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من النوافل ترفع بها الفرائض » ، أو كما قال ، ويعقد مع الله تعالى عقدا صحيحا مؤكدا ، وعهدا وثيقا لا يحد إلى تلك الذنوب ، ولا إلى أمثاله أبدا ، ويستعين على ذلك بالعزلة والصمت وقلة الأكل وقلة النوم ، وإحراز قوت حلال ، والتورع عن الحرام والشبهة ، إما بكسب أو بضاعة في يده من لئث ، أو سبب حلال ، فان كان فيها ورثة شبيهة أو حرام أخرجه ولم يأكل منه ولم يتطيس بشيء منه ، فان رأس المعاصي الحرام ، وملاك اثنين الحلال والتورع ، وتبصيرة القصة ، فكل ما ينشأ من إنسان من خير وشر فمن القصة ، فالحلال يورث الخير ، والحرام يورث الشر ، كالقند إذا طبخ ما فيها واستكمل نضجه تين الرائحة الفاتحة عما فيها ، كل إثم يتضح بما فيه ، ويكثر مجالسة الفقهاء والعلماء بالله ، يستفيد منهم أمر دينه ، ويعرفونه سلوك الطريق إلى الله تعالى ، وحسن الأدب في طاعته ، والقيام في أمره ، ويتبينونه على ما يحق عليه من أمر السلوك في طريقه ، فلا بد لكل من سلك طريقا لم يعرفه من دليل يده ، ومرشد يرشده وهاد يهديه ، والله يقره ، ويستعمل الصلوة في جميع ذلك ، والإخلاص والجد في العبادة ، قال الله تعالى (والذين جاهلوا فينا لمهدينهم سبنا) فقد ضمن للمجد الصادق في طريقه القداية ،

خافا صدق فی ذلك لا یعدم العقابۃ ، لأن الله لا یخلف المیعاد ، ولیس بظلام للعبد ، وهو أرحم الراحمین رموف رحیم ، لطیف یخلفه ، بار بعبده ، معین وموفق المقلین الیه ، وداع المدبرین المولین عنه بالعلف ، یفرج یلویئهم کالوالدة الشفیقة إذا قدم ولدها من سفره البعد ، وقال النبی صلی الله علیه وسلم : « قد أفرح بتوبة أحدکم من زجل مرّ بأرض نوبة مهلكة ومعه راحلة علیها طعامه وشرابه وما یصلحه ، فأضلها ، فخرج فی طلبها حتی کادت نفسه تخرج ، فقال : أرجع إلی المكان الذی أضللتها فیه ، فأبوت هناك ، فرجع إلی مکانه ، فطلبه عبته ، فغضبها لحظة ، فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه ، علیها طعامه وشرابه » . قال علی "کرم الله وجهه : سمعت أبی بکر رضی الله عنه ، وهو الصادق قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « ما من عبد أذنب ذنباً ، فقام وتوضأ وصل واستغفر الله من ذنبه ، إلا کان حقاً علی الله أن یغفر له » لأن یقول جلّ وعلا (ومن یعمل سوءاً ، أو یظلم نفسه ثم یستغفر الله یجد الله غفوراً رحیماً) .

وأما الأموال الحاضرة المنصوبة ، فیردّ إلی المالك ما یعرف له مالکاً معیناً أو إلی ورثته علی ما تقدّم ، وما لا یعرف له مالکاً معیناً فعليه أن یتصدق به عن صاحبه ، فإن اختلط الحرام بالحلال ، مثل أن اختلط المنصوب بالإرث الحلال ، حسب فاجتهد فی معرفة مقدار الحرام ، وتصدق بذلك المقدار ، وترك الباقی له ولعیاله .

وأما الأعراس فهو سبّ الناس وشتيمهم مشافهة ، وهو الجناية علی القلوب ، وكفایتهم غیبیة ، وذكروهم بالقبح ، وما یسوءهم من الغیبة ، وهو كل كلام لا یحسن أن یقال له فی وجهه فإذا قاله فی غیبة منه ، کان قد اغتابه ، فكفاراته أن یدکر له ذلك ویستحله ، فإن کانوا جماعة فواحدًا واحدًا ، ومن مات منهم قبل ذلك ، فصدرك ذلك بتکثیر الحسنات علی ما ذکرنا ، كل ذلك إذا بلغت الغیبة ، وأما إذا لم یبلغهم فلا یجب علیه استحلالم ، بل لا یجوز ، لأن فیه إرصال الأثم إلی قلوبهم ، بل یأتی الذین اغتابهم عندهم فیکذب نفسه عندهم ، ویثنی علی المتأثرین . (فصل) ولا بد أن یمرقه قدر جنايته ، ولا یمرّض له فی سائر الظلم ، ولا یکن فی ذلك الاستحلال المبهم ، بل یؤازر أن الظلوم إذا عرف قدر ظلمه علی الحقیقة لم تعذب نفسه بالإحلال

بل یؤخر ذلك لیوم القیامة ، لیأخذ بدله من حسناته ، أو یحمله من سیئاته ، وإن کان من جملة جنايته علی الغير ما لو عرفه وذكره تأذی بمعرفته ، کزناه یجاریه وأهله ، أو نبتیه باللسان إلی عیب حقّ من عیوبه ، یظلم أذاه به ، فهاهنا لا طریق له إلا أن یتحله میما ، ویبقی علیه له مظلمة ما ، فیجبرها بالحسنات كما یجبر مظلمة المیت والغائب ، وكل جناية علی الغير لم یعلم بها لو ذکر الجانی له ذلك لم تعذب نفسه بالإحلال بسرعة ، أولاً بأمن الخبی علیه مقابلته بها لحقّ الجانی فی ذلك وطریقه أن یتلطف له ، ویسئ فی مهماته وأغراضه ، ویظهر من حبه والشفقة علیه ما یتستیل به قلبه ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، وكل من تقدّر بسیئة مال ورجع بحسنة ، فإن تدلّر علیه ، فالكفارة بتکثیر الحسنات ، لیجری بها فی يوم القیامة جنايته ، فإن

اللہ تعالیٰ بحکم بہ علیہ ، ویلزمہ قبول حسناتہ مقابلۃً لجنایاتہ علیہ إذا امتنع من القبول ، کمن أنلف فی الدنیا مالا ، فجاء بمنزلہ ، فلمتنع من لہ الحق من قبولہ ذلک ، ولیراثہ عن ذلک ، قال الخاتم بحکم علیہ بالتنبؤ ، شاء أم لم یشاء ، وكذلك اللہ عز وجل یحکم بذلك فی عرصات القیامۃ ، وهو أحکم الحاکمین ، وأعدل العادلین .

(فصل) فإذا تخلص من مظالم العباد ، وتفرغ لعبادۃ اللہ تعالیٰ فی خاصتہ ، سلك طریقہ الوریع ، لأن بہ یتخلص العبد فی الدنیا والآخرة من العباد ، ومن عذاب اللہ عز وجل ، وبہ یخفف عنه الحساب یوم القیامۃ ، فإن الحساب یوم القیامۃ لحقوق العباد والعاملات التي جرت فی الدنیا بین الأتنام عل غیر وجه الشرع . وأما من حاسب نفسه فی الدنیا ، وأخذ من الخلق ما يستحقہ ، وأعرض عما لیس لہ ، وخاف من طول الحساب فی القیامۃ ، فعلی أي شیء بحاسب وی التحیر : إن اللہ تعالیٰ یتحی أن یحاسب الوریعین فی القیامۃ . ولهذا قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم : حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا . وقال صلی اللہ علیہ وسلم : من حسن إسلام المرء تركه ما لا یحبہ ، وهذا إشارة إلی التوقف فی كل شیء ، وترك الإقدام علیہ إلا بإذن الشرع ، فإن وجد فی الشرع مساعداً لتأولہ والشرع علیہ فعل ، ولا وقف عنه ومال إلی غیرہ ، وإلہ أشار رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : دع ما یریک إلی ما لا یریک . وقال صلی اللہ علیہ وسلم : المؤمن وقوف ، والمناقض نقاف ، وقال صلی اللہ علیہ وسلم : لو صلیتم حتی تکتونوا کالحنايا ، وحسنتم حتی تکتونوا کالأوتار ، لما یضعکم إلی الوریع الثاني . وی موضع آخر : المؤمن غشاہ ، وقال صلی اللہ علیہ وسلم : من لم یبال من أين مطعمہ ومشربه ، لم یبال اللہ تعالیٰ من أي باب من الثار یدخلہ . عن جابر بن عبد اللہ رضی اللہ عنہما عن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال : أیہا الناس إن أحدکم لن یموت حتی یتکفل رزقہ فلا تسلیقوا الرزق ، واتقوا اللہ وأجلوا فی الطلب ، وغلوا ما حل لکم ، وزرؤا ما حرم علیکم . وعن ابن مسعود رضی اللہ عنہ ، عن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال : لا یکتسب العبد مالاً من الحرام یتصدق بہ فیؤجر علیہ ، ولا یفق منه شیئاً فیبارک لہ فیہ ، ولا یشکره خلف ظهرہ إلا کان زاده إلی النار . وقال صلی اللہ علیہ وسلم : إن اللہ لا یحمو الشر بالشر ، ولكن یحمو الشر بالظہر . عن عمران بن الحصین رضی اللہ عنہ ، عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال : إن اللہ تعالیٰ یقول : عیدی آدم ما اقترضت علیک تکل من أعبد الناس ، واثم عما ینبتک عنہ تکل من أوریع الناس ، واقنع بما رزقک تکل من أغنی الناس . وقال صلی اللہ علیہ وسلم لأبی ہریرۃ رضی اللہ عنہ : کن ورعاً تکل من أعبد الناس . قال الحسن البصری رحمہ اللہ : متغال خرقۃ من الوریع غیر من ألف متغال من الصوم والتضالۃ . وأوحی اللہ تعالیٰ إلی موسی علیہ السلام : لا یقرب إلی المقرءون بمثل الوریع . وقیل : رد دانی من فضة أفضل عند اللہ من ست مئة حجة مبرورة . وقیل : سبعین حجة متقبلة . وقال أبو ہریرۃ رضی اللہ عنہ : یجسأ اللہ تعالیٰ غداً أعل الوریع والرحمد . وقال ابن المبارک رحمہ اللہ : ترک فلس من الحرام أفضل من

مئة فلس بصدق به . روى عن ابن المبارك أنه كان بالشام يكتب الحديث ، فأنكسر قلبه ، فاستمر قلباً ، فلما فرغ من الكتابة نسي ، فجعل القلم في مقلته ، فلما رجع إلى مرو ، رأى القلم وحرره ، فتجهز للتقدم إلى الشام لرد القلم إلى صاحبه . وعن الثعالبي بن بشر رضى الله عنه أنه كان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وحرمة ، ومن لم يتق الشبهات وقع في الحرام » ، كالراعى يرى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وإن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » . وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : لكل شيء حد ، وحدود الإسلام : الورع والتواضع والصبر والشكر ، فالورع ملاك الأمور ، والصبر النجاة من النار ، والشكر الفوز بالجنة . ودخل الحسن البصرى رحمه الله مكة ، فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبى طالب رضى الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس ، فوقف عليه الحسن وقال له : ما ملاك الدين ؟ فقال ما آفة الدين ؟ قال الطمع ، لتعجب الحسن منه . وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله : الورع ورعان : ورع فرض ، وورع حذر ، وفروع الفرض : فكف عن معاصي الله ، وورع الحذر : الكف عن الشبهات في محارم الله تعالى ، وفروع العام : من الحرام والشبهة ، وهو كل ما كان الخلق عليه تبعة ، ولمشرع فيه مطالبة . وورع الخاص : من كل ما كان فيه القوى والنفس فيه شهوة ولذة ، وورع خاص الخاص من كل ما كان لهم فيه لزادة وروية . فالعام يتورع في ترك الدنيا ، والخاص يتورع في ترك الجنة ، وخاص الخاص يتورع في ترك ما سوى الذى خلق وبرأ . قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله : الورع على وجهين : ورع في الظاهر ، وهو ألا تتحرك إلا لله . وورع في الباطن ، وهو أن لا يدخل في قلبك سواء تبارك وتعالى . وقال يحيى رحمه الله أيضاً : من لم ينظر في دقيق من الورع لم يحصل له شيء . ولم يصل إلى الجليل من العطاء . وقيل : من دق في الورع نظره جل في القيامة خطره . وقيل : الورع في المنطق أشد منه في التدبّع والفضة ، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة ، لأنك تبلغها في طلب الرياسة . وقال أبو سليمان النراقى رحمه الله : الورع أولك الزهد ، كما أن التلذذ طرف الرضا . وقال أبو عبيد الله رحمه الله : ثواب الورع خفة الحساب . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله : الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل . وقال ابن الجلاء رحمه الله : من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام المنص . وقال يونس بن عبيد الله رحمه الله : الورع الخروج من كل شبهة ، وحماية النفس مع كل طريقة . قال سليمان الثوري رحمه الله : ما رأيت أسهل من الورع ، كل ما حاك في نفسك تركته ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الإثم ما حاك في صدرك وكهرت أن يطلع عليه الناس » ، وهو إذا لم ينشرح الصدر به وكان في قلبك منه شيء ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « الإثم حواك القلوب » ، يعنى ما جز في صدرك وحالك ولم يطمئن عليه التلب عاجزته . ومنه

الحديث : **« إياكم والحلكلات فلانها المأثم »** وقوله صلى الله عليه وسلم : **« دح ما يريك إلى مالا يريك »** . وقال معروف الكرخي رحمه الله : **« احفظ لساتك من اللبس كما تحفظه من الدم »** . وقال بشر بن الحارث رحمه الله : **« أشد الأعمال ثلاثة : الجود في القلة ، والورع في الخلة ، وكلمة حتى عند من يخاف ويرجى »** . وقيل : جاءت آتت بشر بن الحارث الحاقا إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقالت : **« بإمام إنا ننزل على سطوحنا قنمنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا ، فيجوز لنا النزول في شعاعها ؟ فقال : من أنت عفاك الله ؟ قالت : أنا آتت بشر ابن الحارث ، فبكى الإمام أخذ رحمه الله وقال : من يتكلم بفرج الورع ، لا تنزلي في شعاعها »** . وقال علي بن العطار رحمه الله : **« مررت بالبصرة في بعض الشوارع وإذا غشايب قعود وصبيان يلعبون ، فقلت : ألا تستحيون من هؤلاء الغشايب ؟ فقال صبي من بينهم : هؤلاء الغشايب قل درعهم فقلت هيئهم »** . وقيل : إن مالك بن دينار رحمه الله مكث بالبصرة أربعين سنة ، فلم يصح له أن يأكل من تمر البصرة ولا رطبها حتى مات ولم يذقه ، وكان إذا انقضى وقت الرطب قال : **« يا أهل البصرة هذا يفتني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم شيئا »** . وقيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله : **« ألا تشرب من ماء زمزم ؟ فقال : لو كان في دلو لشربت »** . وقيل : كان الحارث الغصني رحمه الله إذا مد يده إلى طعام فيه شبة ضرب على رأس أصبعه عرق ، فيعلم أنه غير حلال . وقيل : إن بشرا الحاق رحمه الله كان إذا قدم بين يديه طعام فيه شبة لا تمتد إليه يده . وقيل : إن أم أبى يزيد البسطامي رحمه الله كانت إذا مدت يدها إلى طعام فيه شبة تباعد حال كونها حاملة بأبي يزيد فلم تمتد يدها إليه . وكان بعضهم إذا قدم إليه طعام فيه شبة فاحت منه راحة متكررة ، فعلم من ذلك فامتنع من أكله . وقيل عن بعضهم : إنه كان إذا وضع في فيه لقمة من طعام فيه شبة لم يمتصغ لتصغير كالزمل في فمه ، وإنما فعل الله تعالى لهم ذلك تخفيفا ورحمة وشفقة وحياة لهم ، لما صفوا القوم واجتهدوا في طلب الحلال وترك الحرام والشبهة ، حاشم الله تعالى عما يكرهه من المطاعم ، قلب منهم في معرفة ذلك ، وكفاهم مؤنة التفتيش والتفتير عن بائع الطعام وكسبه ومعيشته ، وعن ابن أبي عمير رحمه الله : **« وأما ما نصيحه من زجه الحلال ، فينبئ ذلك علامة اعتمادهم في شيء وقت رأوها كفرا ألبسهم عن تناول الطعام ، وإذا لم يروها تناولوه »** . خلا في حق هؤلاء السادة الكرام الذين سبقتم لهم العناية وعصمتهم الرعاية . وأما الحلال في حق اللوام من المؤمنين ، فكل مالا يكون للمسلمين فيه تبة ولا للشرع عليه مطالبة كما قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله حين سئل عن الحلال قال : **« الحلال هو الذي لا يهوى الله فيه »** . وقال مرة أخرى : **« الحلال الصافي الذي لا يفسد الله فيه »** . فالحلال حلال حكم لا حلال عين ، إذ لو كان حلال عين لم يخل لأحد أكل الميتة ، ولا إذا اشترى الشرطي بماله الحرام طعاما حلالا ، ثم رجع فاستقال البيع فرجع الطعام إلى يده فأناله الأكل أن لا يصور أكله للمعروف المؤمن ، لأنه قد تحلل بينهما حالة يجرم أكله فيها ، وهو حصوله في يده الشرطي ، فلما اتفق المسلمون على جواز أكل هذا الطعام الذي حصل في ملك الشرطي المشتري بماله الحرام

الذى يحرم أكله عند جميع المسلمين علم أن الحلال والحرام ما كان الشرع حكم به لأنفس
العين ، لأن ذلك طعام الأنبياء ، كما جاء في الحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا
يقول : اللهم أرزقني الحلال المطلق ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك رزق الأنبياء ،
أسأل الله رزقا لا يعذبك عليه » وكذلك في الشرع من أنجز من أهل البقعة واليهود والنصارى
والجوس في المحرمات من اللحم والخنزير ولبيها وأخذنا منهم العشر من أثمانها ، وروى ذلك
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ولهم بيعها ، وغلوا العشر من أثمانها فإذا أخذ
العشر منهم لما يصنع به ، أليس ينتفع به المسلمون ؟ فلو كان الحلال حلال العين لما جاز أخذ
ذلك ، لأن الخمر والخنزير وثمنها حرام ، وأحل ذلك لدخول اليد والمقد ، كما قيل : بين
الحلال والحرام يد ، فمن أخذ الشرع في يده مصباحا فأخذ به وأعطى به ولم يتأكل فيه ولم يخرج
عنه ، فأخذ ما أذن له الشرع وأعطى ما أذن له الشرع فيه ، وصار جميع تصرفاته بالشرع أكمل
الحلال بالشرع ، وليس عليه طلب الحلال للمطلق العين ، إذ ذاك لا يكاد يدرك إلا أن يشاء الله
أن يكرم به بعض أوليائه وأصفياه (وما ذاك على الله بعزيز) ، فالتاس في الطعام على ثلاثة أصرب
حق ، وولى ، وبذل حارب . فالحلال المتي ما ليس للمخلق عليه نعمة ، ولا للشرع عليه مطالبة .
وطعام الولي الحق الذى هو الزاهد زائل القوى ما ليس فيه الهوى ، بل هو مجرد بأمره . وطعام
البدل الذى هو العارف المفعول فيه زائل الإرادة ككرة القدر ، وهو ما لم تكن فيه همة ولا إرادة
بل فضل كله من الله عز وجل ، يرزقه وبذله ويريه بقدرته الشاملة ومنته العامة ومشيئته
التأفدة ، كالطفل الرضيع في حجر أمه الشفيقة ، قالم يتحقق له المقام الأول لا يصل إلى المقام
الثاني ، وما لم يتحقق له المقام الثاني لا يصل إلى المقام الثالث . فطعام الحق شبيه في حق زائل الهوى
وطعام زائل الهوى شبيه في حق زائل الإرادة والهمة ، كما قيل : سبحات المقرين حسنات الأبرار .
لطعام الشيخ مباح للمريد ، وطعام المريد حرام في حق الشيخ لصفاء حاله ونزاهة رتيبه وعلو منزلته
وقربه من ربه عز وجل . ومن دقائق الورع ما نقل عن كهمس رحمه الله أنه قال : أذنبت ذنبا
وأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة ، وذلك أنه زارني أخ لي فاشترت بدائق سمكة مشوية ، فلما
فرغ من أكلها أخذت قطعة طين من جدار جلالي حتى غسل يده ولم أستحل له . وقيل : إن
رجلا كان في بيت بكراه ، فكذب رقعة وأراد أن يترها من جدار البيت ، فخطرت ياله أن البيت
بالكراه ، ثم إنه خطر ياله أن لاخطر لهذا ، فتراب الكتاب فسمع هاتفا يقول منعلم المنخسف بالتراب
ما يلقى خدا من طول الحساب . وروى عتية الغلام يتصيب حرقة في الشتاء فقبل له في ذلك ؟
فقال : إنه مكان عصيت فيه ربي ، فسل عنه فقال : كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل
ضيف لي يده بها ولم أستحل صاحبه . وقيل : إن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهن سطلا له
عند بقال بمكة ، فلما أراد فكاهه أخرج البقال إليه سطلين وقال : خذ أيهما لك ، فقال الإمام
أحمد : أشكل حل سطل فهو لك والدرهم لك ، فقال البقال : سطلك هذا وإنما أردت أن
أجربك ، فقال : لا تأخذه ومضى وترك السطل عنده . وقيل : إن رابعة العدوية رحمها الله

خاطت شقا في قميصها في ضوء مشعله سلطانية ، ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت ذلك ، فشتت قميصها فوجدت قلبها . ورؤى سفبان الثوري رحمه الله في المنام وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة ، فقيل له لم نلت هذا ؟ قال : بالورع . وكان حسان بن أبي سنان رحمه الله لا ينام مضطجعا ولا يأكل ممينا ولا يشرب باردا ستين سنة ، فرؤى في المنام بعد مائة فقول له : ما فعل الله بك ؟ قال خيرا ، إلا أني محبوس عن الجنة بكرة استمرتها فلم أردّها : وكان لعبد الواحد بن زيد غلاما اسمه سنين وتعيد أربعين سنة ، وكان في ابتداء أمره كئيلا ، فلما مات رؤى في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال خيرا غير أني محبوس عن الجنة . وقد أخرج عليّ من غير القفيز أربعين قفيرا ، ومرو عيسى عليه السلام بمشقة ، فنادى رجلا منهم فأجاب الله تعالى فقال : من أنت ؟ فقال : كنت حالا أنقل للناس ، ففقدت يوما لإنسان حطبا فكسرت منه خللا فخلت به فأنا مطالب منذئذ .

(فصل) ولا يتم الورع إلا أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه : أولها حفظ اللسان من الغيبة لقوله تعالى (ولا يتب بعضكم بعضا) . والثاني : الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) . ولقوله صلى الله عليه وسلم : إياكم والظن فإنه أكذب الحديث . . والثالث : الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى (لا يسخر قوم من قوم) . والرابع : غطي البصر عن المحارم لقوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) . والخامس : صدق اللسان لقوله تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا) يعني فاعدلوا . والسادس : أن يعرف منه الله تعالى عليه لكيلا يصيب نفسه لقوله تعالى (بل الله بمنّ عليكم أن هداكم للإيمان) . والسابع : أن يفتق ماله في الحق ولا يفتقه في الباطل لقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) يعني لم يفتقوا في المعصية ولم يمتنعوا من الطاعة . والثامن : أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر لقوله تعالى (تلك النار الآخرة تجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا) . والتاسع : المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها بركوعها وسجودها لقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين) . والعاشر : الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

(فصل) ويجوز أن يتوب عن بعض الذنوب دون بعض إن دام يمكنه التوبة عن جميعها في حالة واحدة ، مثل أن يتوب عن الكبائر دون الصغائر ، لعلمه أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخطه وملكته ، والصغائر دونها ، في الرتبة ، إذ هي أقرب إلى تطرّف القصر إليها ، فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ، ثم إذا قوى الإيمان واليقين في قلبه ، وظهرت أنوار الهداية واشتد صبره للإتيان إلى الله تعالى ، حيثك تاب عن جميع الصغائر ودقائق الزلات . والشرك الظن وذنوب القلوب أجمع ، ومعاصي الحلالات والمقامات بعد ذلك كلما رفع إلى حالة ومقام كان هنالك ما يأتى وما ينزى ، أمر ونهى يعرفه كل ذائق لهذا الأمر ، وسالك لهذه الطريقة ، ومخالط لأهلها ، فلا يأخذ الناس في أوكه وهلة بما هو منهى الأمر ، إنما يهتم بمسيرين ولم يهتموا بمسيرين

مردہ زندہ

—

توبہ

ولا منفردین ، إن هذا اللین متین فلو غل فيه برفق ، فإن المنبت - أى المتقطع - لا طریقاً
 منك ولا ظهراً أبی ، ومثل من يتوب عن بعض الكبائر دون بعض لعلمه أن بعضها أشد
 من البعض عند الله وأغلظ عقوبة وأبلغ ، كالأذى يتوب عن القتل والتهب والقلم لعباده ،
 لعلمه أن دیون العباد لا تترك ، وما بينه وما بین الله تعالى يتسارع الغفر إليه ، ومثل أن يتوب عن
 شرب الخمر دون الزنا ، لعلمه أن الخمر مفتاح الشر ، فإنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي
 وهو لا يشعر بها من الفذف والنسب والكفر بالله وإفراة القتل والنصب ، لأن الخمر جمع المعاصي
 وأنها أصلها ، وكن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصرّ على كبيرة ، مثل أن يتوب عن
 الغيبة أو عن النظر إلى المحرم ، وهو مصرّ على شرب الخمر لشدة ضررته بالخمر ولهجة
 بها وتعوده لها وتوسيل نفسه بأنه مدعو مرضه بها ، وقد أمرنا باستعمال الدواء وتبرین
 الشيطان له فذلك وحسنه وقوة شبوته فيها كما في شربها من السرور والفرح وذهاب الغموم ومحة
 الجسم على زعمهم ، وذهول عن بوائقها وعاقبتها ، والفضلة عن عقوبة الله له لأجلها ، وفساد
 اللین والدنيا بها ، لأنها سبب زوال العقل الذى به انتظام أمر اللین والدنيا . وإنما قلنا إنه تصح
 التوبة عن بعض هذه الذنوب دون بعض لأنه لا يخلو كل مسلم من جمع بين طاعة الله ومعصيته
 في الأحوال كلها ، وإنما يتفاوتون في الحالات وعظم الذنوب وصغرها على قرب أحوالهم من
 الله وبعدها ، فإذا قال الفاسق إن قهرى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي ، فلا
 ينبغي لي أن أرتضى العنان وأخلع المنار بالكلية ، فأنخرج في المعاصي ، بل أجتهد فيما ينفذ على
 من ترك بعض المعاصي فأنكرها فيكون قهرى لبعض ذلك كخفارة لبعض الباقى ، ولعل الله
 يراى أخافه في بعض معاصيه . وأنكرها لأجله ، وأجاهد نفسى وشيطانى في تركها ، فيعطينى
 ويرفقنى ، ويحول بينى وبين غلبة المعاصي برحمته ، ولو لم يكن الأمر على ما قلنا لما صحت صلاة
 كل فاسق ولا صومه ولا زكاته ولا حجه ولا شيء من الطاعات ، بأن يقال له : أنت فاسق خارج
 من طاعة الله بنفسك ، خالف لأمره ، فعبادتك هذه لغیر الله تعالى ، فإن زعمت أنها لله عز
 وجل فأنكر الفسق ، فإن أمر الله فيه واحد لا يتصور أن تقصد بصلاتك التقرب إلى الله عالم
 كشراب بترك الفسق ، وهذا محال لا يقال ، فما هذا إلا غشاة من عليه ديناران لرجلين وهو قادر
 على الأداء إليهما ، فأدنى أحد الدينارين إلى أحدهما ويحسد الآخر ، وحلف عليه مع علمه ذلك
 وتحققه له ، فلا شك أن ذمته برينة بما قد أدنى ومشتغلة بما جهموا في ، فكذلك من أطاع الله
 تعالى في بعض أوامره مطيع له بطاعته ، وإذا عصاه في بعض نواحيه حاسى له بمعصية فهو
 مؤمن ملى ناقص الإيمان طائع بطاعته حاسى بخالفته ، وهذا هو ذاب كل غلط
 في أمر دينه إلى أن يبلغ إلى حالة يزول هواه ، فتقطع عنه جميع المعاصي إلا من شاء الله أن
 يقضى عليه بها ، إذ لا عصمة لنا ، ويتوب الله على من تاب ، ويتفضل بالرحمة على من أناب .
 (فصل : في ذكر الأخيار والآثار الواردة في التوبة) قال جابر بن عبد الله رضى الله
 عنهما : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال : أيها الناس توبوا إلى الله قبل

شرب الخمر

أن تحوتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا ،
 واكثروا الصدقة ترزقوا ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر تنصروا ، وكان النبي
 صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول : اللهم اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم . وقال
 صلى الله عليه وسلم : إن إبليس حين أعيط إلى الأرض قال وعزتك وجلالك لا أزال أغوي
 ابن آدم ما دام الروح في جسده ، فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أمتعه التوبة ما لم يتفرغ
 بنفسه : وعن محمد بن عبد الله السلمي رحمه الله أنه قال : : جلست إلى نفر من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال رجل منهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من تاب
 قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه . وقال آخر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 : من تاب قبل المغفرة تاب الله عليه : وعن محمد بن مطرف رحمه الله أنه قال : يقول الله :
 ويح ابن آدم يذنب الذنب فيستغفرني فأغفر له ، ويح ثم يعود فيستغفرني فأغفر له ، ويح لاهو
 يترك ذنبه ولا هو يئأس من رحمتي ، أشهدكم أنني قد غفرت له . وقال أنس رضي الله عنه :
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بعد ما أزلت (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه)
 يستغفرون كل يوم مائة مرة ويقولون : نستغفر الله وننوب إليه قال : وجاء رجل إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إلى أذنبت ذنبا قال صلى الله عليه وسلم : استغفر الله ، قال
 إلى أئوب ثم أعود ، قال صلى الله عليه وسلم كما : أذنبت ذنب حتى يكون الشيطان هو الحسير ،
 قال : يا نبي الله إذا تكثر ذنوبي ، فقال صلى الله عليه وسلم : عفو الله أكبر من ذنوبك :
 وقال الحسن رحمه الله : لا تتسنى المغفرة من غير توبة ، ولا التوب بغير العمل ، لأن الغرة بالله
 أن تبادي في خطئه ، وترك العمل بما يرضيه ، وتسنى عليه المغفرة ، فنفرك الأمانى ، حتى
 يجل بك أمره ، أما سمعته يقول (وغردكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرركم بالله الغرور) .
 وقال الله تعالى (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اعتدى) ، وقال عز وجل :
 (ورحمتي وسعت كل شيء) ، فأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون)
 فالطبع إلى الرحمة والجنة من غير توبة وغير تقوى حتى وجهل وغرور لأنهما مقيدتان بهاتين
 الآيتين . وقال صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه بأصل جبل يخاف أن يقع
 عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، فقال به هكذا قطار . قال صلى الله عليه
 وسلم : إن العبد يذنب الذنب فيدخله الجنة ، فقالوا : يا نبي الله وكيف يدخله الجنة؟ قال : يكون
 الذنب نسيب عينه يستغفر منه ويندم عليه حتى يدخله الجنة : وقال صلى الله عليه وسلم : لم
 أر شيئا أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حبيبة للذنب قديم (إن الحسنات يلدن السيئات
 ذلك ذكرى للذاكرين) . وقال صلى الله عليه وسلم : إذا أذنب العبد ذنبا كانت نكته سوداء
 في قلبه ، فإذا تاب وفرغ واستغفر صفا قلبه منها ، وإذا لم يقب ولم يتضرع ولم يستغفر كان
 الذنب على القلب والسواد على السواد حتى يصبى القلب فيموت ، فذلك قوله عز وجل (كلا
 بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . وقال صلى الله عليه وسلم : ترك الخطيئة أهون مني

طلب التوبة فاعتنم غفلة النية : قال : وكان آدم من زياد رحمه الله يقول : ليزن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت : فاستقال ربه فأقاله ، فليعمل بطاعة الله . قيل : أوصى الله تعالى إلى داود عليه السلام : اتق أن أختك على غرة فتقتلني بلا حجة . ودخل بعض الصالحين على عبد الملك ابن مروان ، فقال له عتلي : فقال : هل أنت على استعداد لحلول الموت إن أتاك ؟ قال لا ، قال : فهل أنت تجمع على التحول عن هذه الحالة إلى حالة ترضاها ؟ قال لا ، قال : فهل بعد الموت دار فيها مستحب ؟ قال لا ، قال فهل تأمن الموت أن يأتيك على غرة ؟ قال لا ، قال : ما رأيت مثل هذه الخصال يرعى بها عاقل . قال النبي صلى الله عليه وسلم : الندم توبة : وقال صلى الله عليه وسلم : من أذنب ذنبا ثم ندم عليه فهو كفارته : وقال الحسن رحمه الله : خروج التوبة على أربع : دعاء ، ثم استغفار باللسان ، وندم بالقلب ، وترك بالحوارح ، وإظهار أن لا يعود . وقال : التوبة التصريح : أن يتوب ثم لا يرجع فيها تاب منه . وقال صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » والمستغفر من الذنب وهو مقب عليه ، كالمسئور بره ، وإن الرجل إذا قال : أستغفر وأتوب إليك ، ثم عاد ثم قلنا ثم عاد ثلاث مرات كتبه في الزينة من لكياتر ، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : كن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياك ، كيف تلومهم أن يضيئوا وصيتك وقد ضيعها في حياتك ؟ وأشد بعضهم يقول :

تخس إن ذى الدنيا متاع وإن دوامها لا يستطاع
وقدم كملكك وأنت حتى أبيع فيه متاع مطاع
ولا يفروك من توصى إليه فقصر وصية المرء الضياع
وقال آخر :

إذا ما كنت متخذاً وصياً فكُنْ قياً ملكك وصي نفسك
متحصدا ما زرعْتَ غداً وتجنّ إذا وضع الحساب ثمار غرمك

(فصل آخر) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صاحب إيمان أمير على صاحب الشئال ، فإذا عمل العبد حسنة كتب له صاحب الإيمان عشر ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشئال أن يكتبها قال صاحب الإيمان أسك عنه فيمك عنه ست ساعات من النهار أو سبعا ، فإن استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئا ، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة ، وفي لفظ آخر : « إن العبد إذا أذنب لم يكتب عليه حتى يذنب ذنبا آخر فإذا اجتمعت عليه خمسة من الذنوب فإذا عمل حسنة وحيدة كتب له خمس حسنات وجعل الحسن يبرأه خمس سيئات ، فيصبح عند ذلك إبليس لعنه الله ويقول : كيف لي أن أستطيع على ابن آدم ، فإنني وإن اجتهدت عليه يظل بخسنة واحدة جميع جهدي » وروى يونس عن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : وليس من عبد إلا عليه ملكان ، وصاحب الإيمان أمير على صاحب الشئال ، فإذا عمل العبد السيئة قال له صاحب الشئال أكتبها ؟ فيقول له صاحب الإيمان : دعه حتى يعمل خمس سيئات ، فإذا عمل خمس السيئات قال صاحب الشئال أكتبها ، فيقول صاحب الإيمان

دعه حتى يعمل حسنة ، فإذا عمل حسنة قال له صاحب الجنتين : قد أخبرنا بأن الحسنة بعشر ، فتعال حتى نحمر خسبا بخمس ونثبت له خسا من الحسنات ، قال : فيصبح الشيطان عند ذلك يقول : متى أدرك ابن آدم ؟ ، وهذه الأحاديث موافقة لقوله عز وجل (وإن لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اعتدى) قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « مكتوب حول العرش قبل آدم بأربعة آلاف عام (وإن لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اعتدى) » ، وموافقة لقوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « إذا تاب العبد وتاب الله عليه أنسى الله تعالى حفظه ما كان قد عمل من مساوي عمله ، وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا ، وأنسى مقامه من الأرض ، وأنسى مقامه من السماء فيجئ به يوم القيامة وليس عليه شيء شهيد عليه » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » . وفي لفظ « ولو جاد في اليوم سبعين مرة » وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات ، غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « ينظر الإنسان في كتابه يوم القيامة فيرى في أوله المعاصي وفي آخره الحسنات ، فإذا رجع إلى أول الكتاب رأى كل ذلك حسنات ، وذلك قوله تعالى (فأرسلنا يونس في بطن سمكة) » ، وهذا هو في حق التائب الذي ختم الله له بالتوبة والإنابة . وقال بعض السلف : إن العبد إذا تاب من الذنوب صارت الذنوب الماضية كلها حسنات . وقلنا قال ابن مسعود رضي الله عنه : وليستين أناس يوم القيامة أن تكثر سيئاتهم ، وإنما قال ذلك لما ذكر الله تعالى تبدل السيئات بالحسنات لمن يشاء من عباده . وروى عن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أخطأ أحدكم حتى يملأ بين السماء والأرض ثم تاب تاب الله عليه » . ولهذا جاء في الخبر « يا ابن آدم لو تقيتني بقراب الأرض ذنوبا لقيتك بقرابها مغفرة » .

(فصل آخر في ذلك) وروى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مر ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة ، وإذا الساق قد اجتمعوا في دار رجل منهم وهم يشربون الخمر ، ومعهم مغن يقال له زاذان كان يضرب بالعود ويغني بصوت حسن ، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن وجعل رداءه على رأسه ومضى ، فسمع ذلك الصوت زاذان ، فقال من هذا ؟ قالوا كان عبد الله ابن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأى شيء قال ؟ قالوا : قال ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة القرآن كان أحسن ، فدخلت إليه قلبه ، فقام لضرب بالعود على الأرض فذكره ، ثم أسرع حتى أدركه وجعل للتبديل في حق نفسه وجعل يبكي بين يدي عبد الله فاعتقه عبد الله وجعل يبكي كل واحد منهما ، ثم قال عبد الله رضي الله عنه : كيف لا أحب من أحبه الله ؟ فتاب من ضربه بالعود وجعل يلزم عبد الله حتى تعلم القرآن وأخذ الحفظ

حكايت

الواقر من العلم حتى صار إماماً في العلم . وقد جاء في كثير من الأخبار . روى زاذان عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ، وروى زاذان عن سلمان الفارسي رضى الله عنه .
وفي الإسرائيليات مروى أنه كانت امرأة بقية مغنية مفتنة للناس بميهاها ، وكان باب دارها أبداً مفتوحاً وهي قاعدة على السرير بمقاء الباب فكل من مر بها ونظر إليها اختن بها واحتاج إلى إحضار عشرة دنائير أو أكثر من ذلك حتى تأذن له بالدخول عليها ، فرآه على بابها ذات يوم عابد من عبادة بني إسرائيل فوقع بصره عليها في الدار وهي قاعدة على السرير فاختن بها وجعل يبادل نفسه حتى إنه يدعو الله تعالى أن يزول ذلك عن قلبه ، فلم يزول ذلك عن نفسه ، ولم يملك نفسه حتى باع قملاً كان له ، فجمع من الدنانير ما يحتاج إليه ، فجاء إلى بابها فأمرته أن يسلم الذهب إلى وكيل لها ووعدته لبيت ، فجاء إليها لتلك الوعد وقد تربت وجلست في بيتها على سريرها ، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير ، فلما مد يده إليها وانبطح معها ، نادى الله برحمة بركة عبادته المقدمة ، فوقع في قلبه إن الله تعالى يرزق في هذه الحالة من فوق عرشه ، وأما في الحرام وقد حبط عمل كله ، فوعدت الغيبة في قلبه ، فارتعد في نفسه وتغير لونه ، فنظرت إليه المرأة برأته متغير اللون ، فقالت له : إيش أصابك يا رجل ؟ فقال : إني أخاف الله ربي ، فأذني لي بالخروج ، فقالت له : ويحك إن كثيراً من الناس يمشون الذي وجدته لا إيش هذا الذي أنت فيه ؟ فقال : إني أخاف الله جل ثناؤه وإن المال الذي دفعته إلى وكيلك هو لك حلال ، فأذني لي بالخروج ، فقالت له : كأنك لم تعمل هذا العمل قط ؟ قال لا ، فقالت له : من أين أنت وما اسمك ؟ فأخبرها أنه من قرية كذا واسمها كذا ، فأذنت له بالخروج من عندها ، فخرج وهو يدعو بالويل والتبور ويكي على نفسه ، فوعدت الغيبة في قلب المرأة بركة ذلك العابد ، فقالت في نفسها : إن هذا الرجل أولك ذنب أذنبت فدخل عليه من الخوف مداخل ، وإلى قد أذنبت منه كذا وكذا سنة ، وإن ربه الذي خاف منه هوربي ، طيبني أن يكون خوف أشد من خوفه ، فأتت إلى الله تعالى وغلفت الباب على الناس ولبست ثياباً خلقانا وأقبلت على العبادة ، فكانت في عبادتها ما شاء الله تعالى ، فقالت في نفسها : إني لو انتهيت إلى ذلك الرجل لعله يزوجني ، فأكون عنده وأكمل منه أمر ديني ويكون عونا لي على عبادة ربي ، فتجهزت وحملت معها من الأموال والخدم ما شاء الله ، وانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه ، فأخبروا العابد أنه قلعتم امرأة تسأل عنك ، فخرج العابد إليها ، فلما رآه المرأة كلفت عن وجهها كي يراها ، فلما رآها العابد وعرف وجهها وتذكر الأمر الذي كان بينه وبينها صاح صبيحة فخرجت ووجهه ، فلبقت المرأة حزينة وقالت في نفسها : إني خرجت لأجله وقد مات فهل له أحد من أقرابه يحتاج إلى امرأة ، فذاقوا لها : له أع صالح لكنه معسر لا مال له ، فقالت لا بأس به ، فلما لم يلا يكفيها ، فجاء أخوه فتزوج بها ، فولدت له سبعة من البنين (كلهم صاروا أنبياء في بني إسرائيل) . فانظر إلى بركة الصديق والطاعة وحسن النية كيف هدى الله زاذان بعيد الله بن مسعود لما كان صادقاً حسن السيرة ، فلا يصلح بك

الفاسد حتى تكون أنت مسلما في ذات نفسك ، خالفا لربك إذا خطرت ، مخلصا له إذا خالطته غير مراء للخلق في حر كائنك ومساكناتك موحدا قد عز وجل في ذلك كله ، فحينئذ يزداد في توفيقك وتسلطك وتحفظ عن القوى والإخوان من شياطين الجن والإنس والمنكرات كلها والقساوي والبدع والضلالات أجمع ، فزال بك المنكر من غير تكلف ، ومن غير أن يصير المعروف منكرا ، كله هو في زماننا ، ينكر أحدهم منكرا واحدا فيضرح منه منكرات جمة وفساد عظيم من السب والقذف والضرب والكسر وتخريق الثياب وإفساد الأموال ، وكل ذلك لقة صفتهم وتلصان إيمانهم وقيمتهم وغلبة أهويتهم عليهم . فالمنكر فيهم بعد وفرض إزالته متوجه عليهم وبأنفسهم شغل طويل وهم ينكرون على الغير فيتركون القرض المعين ويتمثلون بالقرض على الكفاية ، ويتركون ما بينهم ويشغلون بما بينهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه من لزاد أن يزول به المنكر بسرعة ، فقلبه بالإنكار على نفسه والوعظ لها ، ومنعها ونطمها عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن ، فإذا ظهر من ذلك كله فحينئذ اشتغل بغيره ، فزال به المنكر بأحسن ما يكون من الوجوه ، كما زال في حق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر إلى بركة العبادة والصلوة أيضا في حق العابد كيف نجاه الله من الهبة وارتكاب الكبيرة (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المقربين) فانه تعالى حال بينه وبين تلك القاحشة لما تقدم له من الصلوة في الطلوات وحسن الطاعات فيما مضى من الأيام والساعات ، ثم انظر كيف يحيى الله تعالى تلك البنية ببركة العابد ، ثم كيف نالت ببركته النجاة ، فزال الله قهره وجهده ، وزوجه بأحسن النساء ، فأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب ، وجعله أبا الأيتام السبعة ، وجعلها أهمهم عليهم السلام ، فالتجبر كله في الطاعة والشركة في المعصية ، فلا كانت المعصية ولا كنا إذا كنا من أهلها . (لمصل) وإنما تعرف توبة التائب في أربعة أشياء : أحدها : أن يملك لسانه من الفضول والنية والهمة والكذب . والثاني : أن لا يرى لأحد في قلبه حسدا ولا عداوة . والثالث : أن يفارق إخوان السوء ، فإنهم هم الذين يميلونه على رد هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم ، ولا يمت له ذلك إلا بالمراوغة على المشاهدة التي تريد بها رغبته في التوبة ، وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوى خوفه ورجاهه ، فبعد ذلك تتحل من قلبه عقد الإصرار على ما مضى عليه من قبيح الأفعال ، فيقف عن تعاطي المخطورات ، ويكبح بجم نفسه عن متابعة الشهوات . فيفارق الزلة في الحال ، ويرى العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها في الاستقبال . والرابع : أن يكون مستعدا للموت نادما مستغفرا لما سلف من ذنوبه مجتهدا في طاعة ربه . وقيل : علامة أنه مقبول التوبة أربعة أشياء : أولا أن ينقطع عن أصحاب الفسق ولا يراهم هية من نفسه ، وبخالط الصالحين . والثاني : أن يكون منقطعا عن كل ذنب مقبلا على جميع الطاعات . والثالث : أن يذهب فرح الدنيا من قلبه ، ويرى حزن الآخرة دائما في قلبه . والرابع : أن يرى نفسه فارغا عما ضمن الله له ، ينى من الرزق ، مشغلا بما أمر الله به من الطاعة . فإذا وجدت فيه هذه العلامات كان من الذين قال الله تعالى في حقهم (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ،

ووجب له على الناس أربعة أشياء : أولاً : أن يخبره لأن الله تعالى قد أحبه . والثاني : أن يحفظوه بالدعاء على أن يثبت الله تعالى على التوبة . والثالث : أن لا يعيروهم بما سلف من ذنوبه لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عير مؤمناً بفاحشة فهو كفارة لها » وكان حقاً على الله تعالى أن يولعه فيها ؛ ومن عير مؤمناً بجريرة لم يخرج من الدنيا حتى يرتكبها وينفصح بها ، ولأن المؤمن لا يقصد الوقوع في الذنب ولا يصعد ولا يعتقد ديناً يتدين به ، وإنما يكون ذلك بترين الشيطان وفرط ضلالة الشهوة وشدة الشيق وتراكم الغفلة والغفلة ، قال الله تعالى (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) فقد أخبر أنه يفتن إلى المؤمنين العصية ، فلا يجوز أن يتعير بها إذا تاب وأتاب ، بل يدعى له بالثبات على التوبة والتوفيق والحفظ . والرابع : أن يجالسوه ويذكروه ويعبئوه . ويكرهه الله تعالى أيضاً بأربع كرامات : إحداهما : أن يخرجهم من الذنوب كأنهم لم يذنب قط . والثانية : يحب الله تعالى . والثالثة : أن لا يسلط عليه الشيطان ويحفظه منه . والرابعة : أن يؤمنه من الخوف قبل أن يخرجهم من الدنيا لأنه عز وجل قال (ننزلك عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) .

(فصل : في ذكر أقوال شيوخ الطريقة في التوبة) قال أبو علي النفاق رحمه الله : التوبة على ثلاثة أقسام : أولاً : التوبة ، وأوسطها الإنابة ، وآخرها الأوبة : فالتوبة بداية ، والإنابة واسطة ، والأوبة نهاية . فكان من تاب لخوف العقوبة كان صاحب توبة ، ومن تاب طمعا في الثواب أوبة من العقاب كان صاحب إنابة ، ومن تاب مراعاة للأثر لا لرغبة في الثواب أوبة من العقاب كان صاحب أوبة . وقيل : التوبة : صفة المؤمنين ، قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) : والإنابة : صفة الأولياء المحقرين ، قال الله تعالى (وجاء بقلب منيب) . والأوبة : صفة الأنبياء والمرسلين ، قال الله عز وجل (نعم العبد إنه أواب) . وقال الجنيد رحمه الله تعالى : التوبة على ثلاثة معان : الأول بندم ، والثاني يرمز على ترك العودة لما نهى الله عنه ، والثالث يسمى في أداء المظالم . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله التوبة : ترك التسويف . وقال الجنيد : سمعت الحارث يقول : ما قلت قط اللهم إني أسألك التوبة ، ولكني أقول : أسألك شبهة التوبة . وقال الجنيد : دخلت على السري رحمه الله يوماً فرأيت متفهماً ، فقلت له : مالك ؟ فقال : دخلت على شاب فسألني عن التوبة ، فقلت له : إن لا تنسى ذنبك ، فمأرضني وقال : بل التوبة أن تنسى ذنبك ، فقلت : إن الأكر حندي على ما قاله الشاب ، فقال : لم ؟ قلت : لأنني إذا كنت في حال الخفاء غفلتني إلى حال الوفاء ، فذكر الخفاء في حال الصفاء جفاء ، فسكت . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : التوبة : أن لا تنسى ذنبك . وقال الجنيد رحمه الله حين سئل عن التوبة : هي أن تنسى ذنبك . وتكلم أبو نصر السراج رحمه الله في الثلاثين فقال : أشار سهل إلى أحوال المريدين والمعتزين تارة لهم وتارة عليهم . فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين ، فلا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره . وقال : وهو مثل ما سئل روم عن التوبة فقال :

التوبة من التوبة . وقال ذو النون المصري رحمه الله : توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة . وقال أبو الحسن النوري رحمه الله : التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل . قال عبد الله بن محمد بن علي رحمه الله : شأن بين تائب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رذيلة الحسنة . قال أبو بكر الواسطي رحمه الله التوبة النصوح أن لا يبقى على صاحبها أثر من العصية سرّاً ولا جهراً ، ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أسس وأصبح . قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله في مناجاته : إلهي لا أقول تبت ولا أعود لما أعرف من خلقي ، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفي ، ثم إني أقول لا أعود لعلي أسوت قبل أن أعود . قال ذو النون رحمه الله : الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين . وقال أيضاً رحمه الله : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ، ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز (وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم) وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا) . وقال ابن عطاء رحمه الله : التوبة توبتان : توبة الإنابة ، وتوبة الاستجابة . فتوبة الإنابة : أن يتوب المبد خوفاً من عقوبته ، وتوبة الاستجابة : أن يتوب حياله من كرمه . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله : ركة واحدة بعد التوبة أفتح من سبعين قبلها . وقال أبو عمرو الأنطاسي رحمه الله : ركب عليّ بن عيسى الوزير في موكب عظيم ، فجعل الغرباء يقولون من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق : إني متى تقولون من هذا ؟ هذا جد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون ، فسمع عليّ بن عيسى ذلك ، فرجع إلى منزله واستغفر من الوزارة ، وذهب إلى مكة وجاور بها .

جلس في قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

اختلف العلماء في معنى التقوى وحقيقة المتقي ، فالمشغول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : جميع التقوى في قوله عز وجل (إن الله يلمز بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما المتقي الذي يتق الله والشر والكيار والقواش . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من أحد . وقال الحسن رحمه الله : المتقي الذي يقول لكل من رآه هذا خير مني . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار : حدثني عن التقوى ، قال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال نعم ، قال : فما عملت فيه ؟ فقال : حلوت وخرمت ، قال كعب : كذلك التقوى ، فنظمه الشاعر :

حلّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو المتقي
واصبح كاشراً فوق أثر ضل الشوك يحذر ما يرى
لا تحضرن صغيرة إن الجبال من الحمى

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ليس المتقي صيام النهار وقيام الليل والتخليط فيها

بین ذلك ، ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله ، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير . وقيل لطلق بن حبيب : أبعث لنا التقوى ، فقال : التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله حبه من الله . وقيل : التقوى : ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله . قال بكر بن عبيد الله رحمه الله : لا يكون الرجل تقيا حتى يكون ثي "المطعم وثي الغضب . وقال عمر بن عبد العزيز أيضا رحمه الله : المتقى ملجئكم كالبحر في الحرم . وقال شهر بن حوشب رحمه الله : المتقى الذي يترك مالا يأسي به حذر الوقوع فيها فيه بأس : وقال سفيان الثوري وفضيل رحمهما الله : هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه . وقال الجعيد بن محمد : ليس المتقى الذي يحب للناس ما يحب لنفسه ، إنما المتقى الذي يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه ، أتتبرون ما وقع لأستاذي سرى السقطي رحمه الله ؟ وهو أن سلم عليه ذات يوم صديق له ، فرد عليه وهو عابس لم ينبش له ، فقلت له : ذلك ، فقال : بلني أن المرء السلم إذا سلم على أخيه ورد عليه أخوه قسمت بينهما مائة راحة تسعون منها لأبشهما وعشرة للآخر ، فلتجبت أن يكون له تسعون . وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله : هو الذي لا يخضع له . وقال سرى السقطي رحمه الله : هو الذي يهضم نفسه . وقال الثعلبي رحمه الله : هو الذي لا يشي ما دبر الله ، قال الطائي الصادق : " ألا كل شيء ما خلا الله باطل " . وقال محمد بن عفيف رحمه الله : التقوى جارية كل شيء يعملك عن الله . وقال القاسم بن القاسم رحمه الله : هو المحافظة على آداب الشريعة . وقال الثوري رحمه الله : هو الذي يتقى الدنيا والآخرة . وقال أبو يزيد رحمه الله : هو التورع عن جميع الشهوات . وقال أيضا : المتقى من إذا قال قال الله ، وإذا حكمت سكبت لله ، وإذا ذكر ذكر الله . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : لا يكون العبد من المتقين حتى يأمن عدوه كما يأمن صديقه . وقال سهل رحمه الله : المتقى من تبرأ من حوله وقوته . وقيل : التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك . وقيل : هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : أن تتقى بقلبك من الضلالت ، وبفلسك من الشهوات ، وبمهلك من اللذات ، وبمحوارك من التبعات ، فحينئذ يرحي لك الوصول إلى رب الأرض والسموات . وقال أبو القاسم رحمه الله : هي حسن التلويح . وقال بعضهم : يستدل على تقوى الرجل بثلاث حسن التوكل فيما لم يزل ، وحسن الرضا فيما قد زال ، وحسن الصبر على ما فات . وقيل : المتقى الذي يتقى متابعة هواه . وقال مالك رحمه الله : حدثني وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها : الصبر عند البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر عند النعماء ، والتذلل لأحكام القرآن . وقال ميمون ابن مهران رحمه الله : لا يكون الرجل تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان البخار . وقال أبو تراب رحمه الله : بين يدي التقوى خمس عقبات من لا يجاوزها لا يخلص وهي : اختيار الشدة على الرخصة ، واختيار القوة على الضعف ، واختيار الذل على العز ، واختيار البذل على الرخصة ، واختيار الموت على الحياة . وقال بعضهم : لا يبلغ الرجل

صنام التقویٰ إلا إذا كان بحيث لو جعل مافی قلبه علی طبق لیطاف به فی السوق لم یتبع من شیء مما علیہ . وقیل : التقویٰ أن ترین سرک الحق کما ترین علائطک للخلق . وقال أبو الدرداء رضی اللہ عنہ :

یرید العبد أن یعطى مناه ویأنی الله إلا ما أراہ

یقول المرء فالتلقی وعالی وتقوی اللہ أحسن ما استفاد

عن جہاد عن أبي سعید الخدری رضی اللہ عنہ قال : جاء رجل إلى رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فقال : یا نبی اللہ أوصنی ، فقال صلی اللہ علیہ وسلم : علیک بتقوی اللہ فإنه جامع کل غیر ، وعلیک بالجهاد فإنه رهبانیة الإسلام ، وعلیک بذكر الله فإنه نور لك . وعن أبي هریرة تابع بن هریرة رحمه الله قال : سمعت أنسا رضی اللہ عنہ یقول : « قیل یا عہد من آل عہد ؟ قال : کل نبي » . فالتقوی جامع الخیرات . وحقیقة الاتقاء التحرر بطاعة اللہ عز وجل عن جفوتہ . یقال : اتقی فلان یرتہ ، وأصل التقوی : اتقاء الشرک ، ثم بدله اتقاء المعاصی والسیئات ، ثم بدله اتقاء الشیئات . ثم بدع بدله التفضلات . وجاء فی تفسیر قوله تعالی (اتقوا الله حق تقاته) هو أن یتطاع فلا یعصی ، وبذكر فلا یمنی ، وبشکر فلا ینکر . وقال سهل ابن عبد الله رحمه الله : لا تمین إلا الله ، ولا دلیل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التقوی ، ولا عمل إلا الصبر علیہ . وقال الکسانی رحمه الله : قسمت الدنیا علی البوی ، و قسمت الجنة علی التقوی ، ومن لم یحکم بینہ وبين الله التقوی والمراقبة لم یصل إلى الکشف والمشاہدة : وقال الصراباذی رحمه الله : التقوی أن یتقی العبد ما سواه تعالی . وقال سهل رحمه الله : من أراد أن تصح له التقوی فلیترك الذنوب کلها . وقال الصراباذی أيضا : من لزم التقوی اشتاق إلى مفارقة الدنیا ، لأن الله تعالی یقول (ولندار الآخرة خیر للذین یتقون) : وقال بعضهم : من تحقق فی التقوی هوّن الله علی قلبه الإعراض عن الدنیا . وقال أبو عبد الله الروذباری : التقوی : مجاہدة ما یمنک عن الله تعالی . وقال ذو التون المصری رحمه الله تعالی : اتقی من لا یدنس ظاہره بالمعارضات ، ولا باطنه بالغفلات ، ویكون واقفا مع الله تعالی موقف الانقیاد . وقال ابن عطیة رحمه الله تعالی : للمتی ظاہر ویاطن ، فظاہره محاطة بالحدود ، وباطنه تلبہ والإخلاص : وقال ذو التون المصری رحمه الله تعالی : لا تعيش إلا مع رجال تمنّی قلوبهم للتقوی وترتاح بالذکر . وقال أبو حفص رحمه الله تعالی : التقوی فی الحلال الخض لا غیر . وقال أبو الحسن الریجانی رحمه الله تعالی : من کان رأس ماله التقوی . کلت الأكسن عن وصف ربه . وقال الواسطی رحمه الله تعالی : التقوی أن یتقی من تقواه ، یعنی من رؤية تقواه . وروی أن ابن سیرین رحمه الله تعالی لشتری أربعمین حیاً ممناً ، فأخرج غلامه ذلوة من حب ، فسأله من أتى حبة من الحباب أشرجها ؟ فقال لا أقری ، فصعبا کلها . وروی عن بعض الأئمة أنه کان لا یجلس فی ظل شجرة خریجه ویقول : جاء فی الخبر « کل قرص جرد نفا لہو رب » . وقیل : إنه أبا یزید رحمه الله تعالی غسل ثوبا فی الصحراء مع صاحب له ، فقال صاحبه : تعلق الثياب علی

آل محمد

جدران الكروم ، فقال : لا تفرز الورد في جدار الناس ، فقال : تعلقه على الشجر ، قال :
لا إله بكمز الأفعاص ، قال : تيسطه على الإذخر ، فقال : لا إله حلف النوايب لا نستوه
حبا : قيل : اقول ظهروا إلى الشمس وحمل القصيص على ظهوره ووقف حتى جفت جوانبه ، ثم
عليه حتى جفت الجاناب الآخر . وعن إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى أنه قال : بت ليلة تحت
حصرة بيت المقدس ، فلما كان بعض الليل نزل ملكان ، فقال أحدهما لصاحبه : من هاهنا ؟
فقال الآخر : إبراهيم بن آدم ، فقال : ذاك الذي حط الله درجة من درجاته ، قال :
لم ؟ قال : لأنه اشترى بالبصرة اتمر ، فوفقت تمره من تمر البقال على تمره ، فقال إبراهيم :
فضيت إلى البصرة واشتريت اتمر من ذاك الرجل وأوفقت تمره على تمره ورجعت إلى بيت
المقدس ونمت تحت الصخرة ، فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء ، فقال أحدهما
لصاحبه : من هاهنا ؟ قال الآخر : إبراهيم بن آدم ، فقال : ذاك الذي رد الشيء إلى مكانه
ووفقت درجته .

وقيل : التقوى على وجهه : تقوى العامة : ترك الشرك بالمخالق ، وتقوى الخاصة : ترك
الموى بترك المعاصي ومخالفة النفس في سائر الأحوال ، وتقوى خاصي الخالص من الأولياء :
ترك الإراقة في الأشياء والتجرد في التواضع من العبادات والتعلق بالأسباب ، والركون إلى
ما سوى المولى ، ولزوم الحلال والقائم ، واستئصال الأمر في جميع ذلك مع أحكام القرائن ،
وتقوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تتجاوزهم غيب في غيب ، فهو من الله وإلى الله ،
يأمرهم وينهاهم ، ويوقظهم ويؤمّنهم ، ويطلبهم ويطلبهم ، ويكلمهم ويخبرهم ، ويرشدهم ويهديهم ،
ويطلبهم ويهتد بهم ، ويطلبهم ويصبرهم ، لا مجال للعقل في ذلك ، فهم في منزل عن البشر بل
عن الملائكة أجمع ، إلا فيما يتعلق بالحكم الظاهر والأمر المبين للوضوح للأمة وحوام المؤمنين ،
فإنهم يشاؤون الخلق في ذلك ، ويفردون عنهم قيا سوى ذلك ، وقد يعطى بعض ذلك الكرام
من الأبدال والخاص من الأولياء ، فخصر عبادتهم عن ذكر ذلك ، فلا تظهر إلى الوجود
ولا تدرك بالسمع والحواس إلا ما يطلب على اللسان ، فتبدل من ذلك كلمة أو كلمات ، ثم
يتداوله الله بالسكينة والتثيت وإسبال السر عليه ، فيسقط لأمره ويحفظ لسانه ويستغفر الله
تعالى عما جرى ، وبغير العبادة ويحسن القلق على وجه يعقل ويطلب ، حل ما هو المأمور من الناس .

(فصل) وطريق التقوى أولا : التخلص من مظالم العباد وحقوقهم ، ثم من المعاصي الكائنة
مها والصغائر ، ثم الاشتغال بترك ذنوب القلب التي هي أمهات الذنوب وأصولها فها ينفرع
ذنوب الجوارح من الرياء والافتقار والمحب والكبر والحرص والطمع والخوف من الخلق والرجاء
لهم وطلب الجاه والرياسة والتقدم على أبناء جنسه ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، وإنما يتقوى
على جميع ذلك بمخالفة القوى ، ثم الاشتغال بترك الإراقة ، فلا يتخلى مع الله شيئا ، ولا يبدل
مع الله تديره ولا يتخير عليه ولا ينص على جهة وسبب في رزقه ، ولا يعترض عليه عز وجل
في خلقه ، بل يسلم الكل إليه ، ويسلم بين يديه ، ويطرح نفسه لديه ، فيصير في يد قدرته

کالطفل الرضيع في يد غلظه ودايته ، وكأليت في يد غلسله ، مطلوب اختياره ، منزوع إرادته ، فالنجاه كل النجاه في ذلك . فإن قال قائل : كيف الطريق إلى ذلك ؟ قيل له : الطريق إلى ذلك بصدق اللجا إلى الله عز وجل ، والانقطاع إليه ، ولزوم طاعته بامتثال أوامره وانتهاء نواهي ، والتسليم في قلبه ، وحفظ حدوده وصيانة الحلال دائما أبدا .

واختلفت أقاويل الشيوخ في النجاه ، فقال الجنيده رحمه الله تعالى : مانجا من نجا إلا بصدق اللجا إلى الله عز وجل ، قال الله عز وجل (وعلى الذين خطفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) وقال روم رحمه الله تعالى : ما نجا من نجا إلا بالصدق القوي ، قال الله عز وجل (وينجي الله الذين اتقوا بما فرغهم) . وقال الجريدي رحمه الله : ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء ، قال الله تعالى (الذين يوفون بعهده الله ولا يفتنون الميثاق) . وقال عطاء رحمه الله تعالى : مانجا من نجا إلا بتحقيق الحياء ، قال الله تعالى (ألم يعلم بأن الله يرى) . وقال بعضهم : مانجا من نجا إلا بالحكم والقضاء السابق في علم الله عز وجل ، قال الله تعالى (إن الذين سبقتم لم منا الحسن) . وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : مانجا من نجا إلا بالإعراض عن الدنيا وأهلها ، قال الله تعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم : أن حب الدنيا وأس كل خطيئة ، وما تقرب المقربون إلى الله بشيء أفضل من أداء ما افترض الله . وقال « منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها » . وقال الحسن رحمه الله تعالى : معناه ما نظر إليها بعين رحمة من مقها فهي الحجاب العظيم ، وبها بين الخالص من الغيب ولا يصح لمن بين عليه منها شيء ، الوصول إلى سلاوة مناجاته سبحانه لأنها ضد عن الله وضد ما يحبه الله .

(فصل) وقد دعا الله عز وجل خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعيد والترهيب ، فحذر وأمر وعرف وزجر إظهارا إليهم وتأكيذا للحجة عليهم ، فقال عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) . وقال عز من قائل (ولو أنا أهلكتهم بعلاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولا فتبع آياتك من قبل أنت نزل ونخزي) ، وقال تعالى في آية أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ، وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) ، وقال جل جلاله في التوبة (ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) ، وقال تبارك وتعالى (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) ، وقال جل جلالته (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) ، وقال جل جلالته (واتقوا يا أولى الألباب) ، وقال سبحانه وتعالى (واتقوا الله واعلموا أنكم ملائكة) ، وقال تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يفلحون) ، وقال تعالى (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) ، وقال جل جلالته (يا أيها الناس اتقوا ربكم واعشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، إن وعد الله حق فلا تغفركم الحياة الدنيا ولا

یفرکتکم باللہ الغرور) ، وقال تعالیٰ (یا ایہا الناس اتقوا ربکم إن زلزلۃ ساعۃ شیء عظیم) ،
 وقال عز وجل (یا ایہا الناس اتقوا ربکم الذی خلقکم من نفس واحدۃ وخلق منها زوجہا ،
 ویت منها رجلاً کثیراً ونساء ، واتقوا اللہ الذی تسامعون بہ والأرحام ، إن اللہ کان علیکم رقیباً)
 وقال تعالیٰ (یا ایہا الذین آمنوا اتقوا اللہ وقولوا قولا سدیداً) ، وقال عز وجل (یا ایہا الذین
 آمنوا اتقوا اللہ ولتنظر نفس ما قدمت لعد ، واتقوا اللہ إن اللہ خبیر بہا تعملون) ، وقال تعالیٰ
 (واتقوا اللہ إن اللہ شدید العقاب) ، وقال تعالیٰ (قوا أنفسکم وأهلیکم نارا وقودها الناس
 والحجر) ، وقال عز وجل (الفحشیم إنما خلقناکم عبداً وأنکم إلینا لاترجعون) ، وقال جل
 وعلا (یحبب الإنسان أن یرک سدی) ، وقال تعالیٰ (أقلمن أهل القری أن یأتیہم بأساً بیانا
 وهم نائمون ، أو آمن أهل القری أن یأتیہم بأساً ضحی وهم یلعون) فاجوابک باسمکین عن
 هذه الآیات وما عمک بہا ؟ فهل اتیت عن اتباع شہراتک اللغیۃ الموزنیۃ لک فی الدنیا والآخرة ،
 الخلة لک فی دار الشقاء والمہانة الی یحرقک نارہا ونہشک حیاتہا وتلسک وتلسک عقاربہا
 وھوامہا ، وفاکک دبدبہا ، وتضربک زبابتہا وغزاتہا ، ویجدد علیک فی کل یوم أنواع عذابہا
 وأنت فیہا مع فرعون وھلوان وقارون والشیاطین سواء . وقال فی الترضیب : (ومن یتق اللہ
 یجعل لہ مخرجاً یرزقہ من حیث لا یحسب) وقال تعالیٰ (ومن یتق اللہ یکفر عنہ سیئاتہ ویعظم
 لہ أجراً) وقال تعالیٰ (یا ایہا الإنسان ما حرمک یریک الکرم ، الذی خلقک فمواک فعدک) ،
 وقال عز وجل (ألم یأن للذین آمنوا أن ینحس قلوبہم لذكر اللہ) فقد رغبک فیما عندہ فی طلب
 فضلہ وسعۃ رحمۃ وطیب رزقہ والامتناع الیہ والطمانینۃ لہیہ ، بسلوک طریق التقری وملازمۃ
 والمواظفۃ علیہ ، فین لک ہذیک الطريق وأوضح لک الحجۃ ، وضمن لک بعد ذلک فقران الذنوب
 وتکفیر السيئات وعظم الأجور والجزاء ؛ بقولہ عز وجل (ومن یتق اللہ یکفر عنہ سیئاتہ ویعظم
 لہ أجراً) ثم نبہک عن غمک بہ ووقدک عنہ ، وتعامیک عن طریقہ وتصلک عن سماع آیاتہ ،
 وعن مواظفۃ وزواجرہ ، فقال تعالیٰ (ما حرمک یریک الکرم ، الذی خلقک فمواک فعدک)
 فوصف نفسه بالکرم ثلاثاً ترہد فی معاملتہ وتفر عن مقاربتہ وتشغل عن غلبتہ ، ثم ذکرک
 بأنہ خلقک وأوجدک من عندک ، وأحیاک بعد أن لم تکن شیئاً ، وأغناک بعد فترک ، وقواک
 بعد ضعفک ، وبصرک فی مصالحک بعد عماک ، وعلمک بعد جهلک ، وھدایک بعد ضلالک ؛
 فما تعودک بالغلل عن طلب فضلہ الراسع ، وما یطک عن ملازمۃ مطاعہ الی تشرک فی الدنیا
 وتعدک فی العقی ، وترفعک فی الدرجات العل ، أرضیت بالحیاء الدنیا ، واستبدلت الذی ہو
 أدلی بالذی ہو غیر ، آثرت الدنیا وأبتہا ، وما ظہر لک من الریۃ الی لا یقاء لها علی الفردوس
 الأعل ، والمرفقۃ مع الأکیداء والقصدیقین والشہداء ، أما سمعت قولہ عز وجل (أرضیم بالحیاء
 الدنیا من الآخرة ، فما متاع الحیاء الدنیا فی الآخرة إلا قلیل) ، وقولہ تعالیٰ (بل تؤثرون الحیاء
 الدنیا والآخرة خیر وأبى) ، وقولہ تعالیٰ (فأما من ظن أن الحیاء الدنیا کان الجسم فی
 التلوی) .

(فصل) واعلم أن دخول النار بالكفر وتضاعف العذاب وخسة الدرجات بالأعمال السيئة والأخلاق السيئة ، ودخول الجنة بالإيمان وتضاعف النعم وقسمة الدرجات بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة ، وأن الله عز وجل خلق الجنة فحشاها بالنعم ثواباً لأهلها ، وخلق النار فحشاها بالعذاب عقاباً لأهلها ، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والنعم محنة لظرائرها ، ثم خلق الخلق والجنة والنار في غيب منهم لم يعاينوها ، فالتعم والآفات التي في الدنيا هي أمودج الآخرة وملاقاة ما فيها ، وخلق في الأرض من عبيده ملوكاً ، أعطاهم سلطاناً أرعب به القلوب وملك به القوس ، فهو أمودج ومثال لتدبيره وملكه وفادأ أمره ومعاملته ، فجعل خبر ذلك كله تزييلاً ، ووصف الدارين ووصف ملكه وقدرته وتدبيره ومنته وصنائه وحسب الأمثال على ذلك ، ثم قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) ، فالعلماء بالله يفهمون عن الله أمثاله ، لأن المثل إنما هو صفة شيء قد شاهده يربك صفة ما قاب عنك ، ويصورك بما لا تبصره بعينك لينفذ بصر قلبك إلى مالا تبصره عينك ، فيعقل قلبك ما شوقيط به من غير المكشوف وغير الدارين وغير معاملة ملك الملوك ، فليس في الدنيا نعمة ولا مشقة إلا وهي أمودج الجنة وفوقها ، ثم من وراء ذلك فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلو سمي للعباد منها شيء لم يتصفوا بتلك الأسماء ، لأنهم لم يعقلوها هاهنا ولا أرواها وليس له أمودج في الدنيا . والجنة مائة درجة ، وإنما وصف منها ثلاث درجات الذهب والفضة والنور ، ثم من وراء ذلك شيء غير معقول ولا تحسبه العقول ، وكذلك ما في الدنيا من الشدة والعذاب فهو أمودج دار العذاب ، ثم من وراء ذلك شيء لا تحسبه العقول من ألوان العذاب ، كل ذلك يخرج لهم من غضبه ولأهل الجنة من رحمة ، فكل من تناول من عبيده من دنياه ما أبيع له وشكره عليها أبدل له من الجنة ما يلقى هذا في جنه ، ومن تناول ما لم يبيع له فقد حرم نفسه حظها من الدرجات ، ومن كذب بها حرم الجنة بما فيها أجمع ، فلأهل الجنة عرائس وولائم وخصائفات ، فالعرائس للدعوة وذلك أن رب العزة سبحانه دعاهم إلى دار السلام ليجدد لهم أبداناً طرية وأعماراً أبدية ، ولولا ثم للأزواج والخصائفات للزينة ولأهل الجنة ثلاث ، وزيارات فيها بينهم ، ومحدثات في مواطن الألفة ، ومجتمع في عكس طوبى يلقون الرسل هناك ويوردونهم وبجائس الملائكة فيها بينهم سلام الله عليهم أجمعين ، وأسواق يأكلونها يشيرون فيها القصور ، وهدايا من الرحمن في أوقات الصلوات ، يقضى ويراج عليهم من ألوان الأطعمة والأشربة والقواكه بكرة وعشياً ، أرزاقهم دائرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، ومزيد من الله يوماً بيوم ، فإذا أتاهم المزيد نسوا ما قبله ، ثم لم ينتزح يخرجون إليه في رياض على شاطئ نهر الكثر ، عليه غياض المر مضرورية ، وكل خيمة ستون ميلاً في عرض مثله ، من الزلوة واحدة ليس لها باب ، فيها جوار عيقات ، لم ينظر إليها ملك ولا أحد من أهل الجنة من الخدم والخدم ، وهو قوله عز وجل (حين يخرجن حسنان) وإذا قال الله لمن حسنان فن يقول أن يصف حسنين ، ثم قال تعالى (حور مقصورات في الخيام) فذلك عبرة الرحمن اختار صوره من الحسنان بين الصور أصدق

من صاحب الرحمة ، فإذا أسطرت أسطرت جوارى حصانا على شعبة الكرم ، نور وجوههم من نور العرش ، ضربت عليهم غيام اللؤلؤ فلم يرهن أحد منذ خلقهن ، فهن مقصورات في الخيام قد قصرن : أي حبسن على أزواجهن من جميع المخلوق ، فأهل الجنة يتمتعون في القصور مع الأزواج ، ويلبثون في النعمة ما شاء الله ، حتى إذا كان اليوم الذي يريد الله عز وجل أن يجدد لهم نعمة ونزعة ، نودوا في درجات الجنان يا أهل الجنان ، هذا يوم نزعة وسرور وتبشيع وحيور ، فخرجوا إلى منزههم ، فيخرجون على خيول اللؤلؤ والياقوت من أبواب مدائنهم إلى تلك الميادين ، ثم يسرون على تلك الميادين إلى تلك الرياض على شاطئ نهر الكوثر ، فيديهم الله إلى منازلهم ، فيزل كل رجل منهم عند خيمته ولأبوابها ، فتصدع الخيمة عن باب ، وذلك بين ولي الله تعالى ، ليعلم أن التي فيها لم يطلع عليها أحد ، وقام لما قدم الله من الوعد في دار الدنيا حيث قال (فهن خيرات حسان) ثم قال تعالى (خور مقصورات في الخيام) ثم قال عز وجل (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان) فيستوى معها على سرير النزهة في تلك الحجال ، يقال عليهم من وليسها ، فإذا طعموا الزلازم سقام الله شرابا طهورا ، وتذكروا بطرف القواكه التي جلد الله لهم من تلك الهدايا في ذلك اليوم والمخل والمخلل ، فطلع عليهم كسوة الرحمن ، واشتغلوا بالسيورات الحسان ، يقضون منهم الأوطار والبهائم ، ثم يتحولون إلى مجالس العبقريات الموشاة بالوان النقوش على شواطئ الأنهار في تلك الرياض ، يركبون الرافرف المظفر ويبتكون عليها ، وهو قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) فإذا قال الله لشيء حسان ، فإذا بنى ، فالرفرف : هو شيء إذا استوى عليه ورفرف به وأهوى . كالأرجوحة بينا ومجالا ورففا وخفضا ، يطلد مع أبيه ، فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرائيل عليه السلام في الصياح . وروى في الخبر « أنه ليس من خلق الله تعالى أحسن صوتا من إسرائيل عليه السلام » ، فإذا أخذ في الصياح قطع عن أهل سبع سموات صلاتهم وتسيحهم ، فإذا ركبوا الرفارف وأخذ إسرائيل في الصياح بالزنان الأفنان تسيحا وتقديسا الملك القدوس ، لم يبق في الجنة شجرة إلا ورددت ، ولم يبق ستر ولا باب إلا لرتج وانفتح ، ولم يبق حلقه باب إلا طنت بأفوان طينتها ، ولم يبق أجرة من أجام الذهب والفضة إلا وقع هبوب الصوت في مقاصبها ، قرمرت تلك المقاصب بفتون الزمر ، فلم يبق جارية من جوارى الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها ، فيرعى الله عز وجل إلى الملايكة أن جلوبهم ، وأصعوا عبادي الذين ترزأوا سمعهم عن مزمار الشيطان فيجاريون بالحن وأصوات روحانية ، فتختلط هذه الأصوات فتصير رجة واحدة ، ثم يقول الله تعالى : لم يداود عند ساق عرش فيجلى ، فيندفع داود في تمجيده بصوت يصر الأصوات ويحليا . وتتضاعف اللذة وأهل الخيام على تلك الرفارف تهوى بهم ، وقد حفت بهم أفانين اللذات والألحان ، فلذلك قوله عز وجل (فهم في روضة يحبرون) قال يحيى بن كثير رحمه الله : الروضة : اللذة والصباح ، فينصاعهم على لذتهم وسرورهم إذا انفتح لهم باب الملك القدوس من رجة عدن ، فارتجت أصوات صفوف الروحانيين من باب جنة عدن بإبجيد الماشد الكرم

إلى حرجات الجنان ، وثارت ربيع عذبة بالآوان الطيب والروح والتسم وهو نسم القرية ،
وسطح على أثر ذلك نور فأشرقت منه رياضهم وغيابهم وشواطئ أنهارهم ، واعتلا كل شيء
منهم نورا ، ثم ناداهم الخليل جل جلاله من فوق رحوسهم : السلام عليكم أحبائي وأوليائي
وأصفائي ، يا أهل الجنة كيف وجدتم منزلكم هنا يومكم بدي نيروز أعدائي ، طلبوا يوما
من الدنيا ليجددوا على أنفسهم النعمة التي قبلت كلوها على أنفسهم تخيبهم وشقايتهم ، فلم يثابروا
ما طلبوا من اللذة ، وخسروا في جنب ما طلبوا في العاجل ، ولم يصبروا حتى يتأوا هذا الذي
أعدت في الآجل لأهل طاعتي ، فأعرضتم عما إليه أقبلوا ، وامتنعتم بما فيه تنافس أهل الدنيا ،
فاليرم يذوقون وبال ما تنافسوا فيه وشيكا ما انقطع به ما طلبوا من اللذة والبهجة في دار الفناء ،
وصاروا إلى اللذات والموان ، وحزيتهم بما صبرتم جنة وحريرا ، ومنزعا وسلاما ، وهذا يوم
يروزكم ومنزلكم ، وهذا يوم زيارتكم في داري في جنة عدن ، وطالما رأيتم في أيام الدنيا
في مثل ذلك اليوم مشغلين بهائم وطاعتي ، والمثرون في لومهم ولعيبهم مكارى حيارى
عصاة متمردين ، يتعمدون بحطام الدنيا ، ويفرحون بتداولها بينهم ، وأنتم تراقبون جلال
وتعطفون حسودى وترعون عهدى وتشفقون على حشرى ، وينزع لم باب من أبواب النيران
فيغور فيها ودعائها وصراخ أهلها وحويلهم ، لينظر أهل الجنان من هذه المجالس إلى ما من الله
به عليهم ، فيزدادون شيطنة وسرورا ، وينظر أهل النار من تلك المسجون والمخاض في تلك
الأغلال والقيود فيتحسرون على مصائبهم ، فيستغيثون بوجوه أهل الجنان إلى الله ، ويتأدبونهم
بأصنافهم ، فيقول الله تبارك اسمه (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم
في ظلال على الأكرام متكئون ، لهم فيها فاكهة ولم ما يدعون ، سلام قولاً من رب رحيم ،
وامتازوا اليوم أيها المجرمون ، ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ،
وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) فتجيش لهم النار فتفرق جمعهم وينقطع نداءهم ، فترى بهم
إلى جزائر في النار ، فإذا أخرجوا إليها دبت إليهم عقارب لها أنياب كالشال النخل ، ثم يقبل
عليهم سيل من نار حشوه غضب الجبار ، فيجملهم فيغرقهم في بحار النيران ، ويتأدى نناد من
قبل الله تعالى : هذا يومكم الذي كنتم تبارزونني فيه بالعظام ، وتتمردون على بيمتى ، وتفرحون
في دار الأحزان والعبودية بما تظاهرون به ما أعدت لأهل طاعتي ، فقد انقضت حكم تلك
البلدات ، فلوثوا وبال ما آثرتوه ، فإن أهل الجنة قد شغلوا بحكم بالنعم بالولائم والآوان
الفواكه وطرف اللذايا واختصاص الملوكى وكتب الرفوف ، واللذات بالأغاني والآوان السماع
وسلام عليهم وإقبال بالبر والطف إليهم ، ولزيد ما يستفرغ نعمهم لينبشوا بنعيمهم ويزدادوا
لذة حل لذتهم ، فيا أهل الجنة هذا لكم بدي يوم أعدائي الذين تابشروا وأعدوا إلى ملوككم
وقبلوا هداياهم وأنتم التامرون . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رجل لرسول الله
صل الله عليه وسلم : إني ورجل قد حجب إلى الصوت الحسن فهل في الجنة صوت حسن ؟
قال صلى الله عليه وسلم : إني والذي نفسي بيده : إن الله عز وجل ليوحى إلى شجرة في الجنة

أن أسمى عباده الذين اشتغلوا بعبادتي وذكرى عن عزف الرباط والمزاوير ، فرفع بصوت لم تسمع الخلائق بمثل من تسبيح الرب وتخليده . وعن أبي قلابة رحمه الله قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « هل في الجنة من ليل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : وما هي لك على هذا ؟ قال سمعت الله عز وجل يذكر في الكتاب (ولم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قلت : الليل بين البكرة والعشي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور ، يرد الغسق حل الرواح والرواح على الغسق ، وبأنهم طرف المساء من الله لما أقيت الصلوات التي كانوا يصلونها في الدنيا ، وتسلم عليهم الملائكة ، فمن أراد أن يكون له حظ في هذا العيش الليلي القائم ، فعليه بحفظ حدود شروط التقوى ، وهي المذكورة في قوله عز وجل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذرى القريب واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وعليه بالإيمان بحدود الإسلام وأجزائه . وروى عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) . الإسلام ثمانية أسهم : الصلاة سهم والزكاة سهم ، والصيام سهم ، والحج سهم ، والعمره سهم ، والجهاد سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، وقد خاب من لا سهم له . وعن عاصم ، بنى الأحول ، عن أسس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الإسلام كمثل الشجرة النابتة ، الإيمان بالله أصلها ، والصلوات الخمس فروعها ، وصيام رمضان خلائها والحج والعمره جناها والوضوء والغسل من الجنابة شربها ، وبر الوالدين وصلة الرحم غصونها ، والكف عن حرام الله ورقها ، والأعمال الصالحة ثمرها ، وذكر الله عرونها ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : كالأحسن الشجرة ولا تصلح إلا بالورق الأخضر ، كذلك لا يصلح الإسلام إلا بالكف عن الحرام والأعمال الصالحة . »

(فصل : في صفة النار وما أعد الله لأهلها فيها ، وصفة الجنة وما أعد الله لأهلها فيها)
عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة واجتمع الخلائق ليوم لا ريب فيه في صعيد واحد ، غشيتهم ظلة موحاء لا ينظر بعضهم بعضا من شدة الظلمة ، والخلائق قيام على صدور أقلامهم ، ويقيم بين ربهم عز وجل مسيرة سبعين عاما ، قال : فيبأهم كذلك إذ تجل الخالق تبارك وتعالى للملائكة ، فأشرقت الأرض بنور ربها ، وانجلت الظلمة ، ففتش الخلائق كلهم نور ربهم ، والملائكة حافرون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وبقدسونه له ، قال : فيبأ الخلائق قيام كلهم صفوا ، كل أمة قائمة في ناحية ، إذ ألق بالصحن والميزان ، ووضعت الصحف وعلق الميزان بيد ملك من الملائكة ،

یرفعه مرة ۛ یتخذه مرة أخرى ۛ قال ۛ فیما هم كذلك إذ كشف الغطاء عن الجنة فأزلفت ۛ فهبّت منها ریح ۛ فوجد المسلمون عرفها كالمسك وینهم وینها مسيرة خمسمائة عام ۛ ثم كشف الغطاء عن جهنم فهبّت منها ریح مع دخان شدید ۛ فوجد المجرمون عرفها وینهم وینها مسيرة خمسمائة عام ۛ ثم جرى بها نفاذ موققة بسلسلة عظيمة عليها تسعة عشر خزاناً من الملائكة ۛ مع كل خزان منهم سبعون ألف ملك أعوان له ۛ فيفوقها كل خزان منهم مع أعوانه ۛ وسائر الخزائن مع أعوانهم یمشون عن یمینها وشمالها وورائها ۛ بيد كل ملك منهم مقعدة من حديد یصیحون بها ۛ فتعشى ولها زفير وشهيق ووحش وظلمة ودخان وتقعقع ولهب عال من شدة غفسيها على أهلها ۛ فیتصبونها بین الجنة والموقف ۛ فترفع طرفها ۛ فتنظر إلى الخلاق ثم تهجم عليهم لتأكلهم ۛ فیحبسها خزنها یسلامها ۛ فلما تركت لأنت على كل مؤمن وكافر ۛ فلما رأته أنها قد حبست عن الخلاق فارت فوراً شديداً تکاد تمیز من الغیظ ۛ ثم شملت الثانية فلمس الخلاق صوت صریف أسنانها ۛ فلما عدت حیث الألفدة ۛ بانحطت القلوب وطارت الأفئدة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ۛ قال قائل ۛ یا نبی الله صفها لنا ۛ قال صلى الله علیه وسلم ۛ نعم مثل هذه الأرض عظما سبعون جزءاً من بعد ۛ سوداء مظلمة لها سبعة رموس ۛ لكل رأس منها ثلاثون باباً ۛ طول كل باب منها مسيرة ثلاث لیل ۛ وشقیها علیاً تضرب منخرها ۛ والشقة السفلی تسحبها ۛ وفي كل منخر من مناخرها وثاق وسلسلة عظيمة ۛ یسکها سبعون ألف ملك غلاط شداد کاملة أنیانهم أعیانهم کالجعر وأقوانهم کلهم نثار ۛ یلور من مناخرها لب ودمخان عال ۛ مستعدين لأمر الجبار ببارک وتعالی ۛ قال ۛ فحینئذ یستأذن جهنم ربها عز وجل فی السجود ۛ فیأذن لها فی السجود ۛ فتسجد ما شاء الله ۛ قال ۛ ثم یقوله لها الجبار عز وجل ۛ ارفعی رأسک ۛ قال ۛ فترفع رأسها فتقول ۛ الحمد لله الذی جعلنی ینقم فی من حصاء ۛ ولم یجعل شیئاً معی خلق ینقم به منی ۛ قال ۛ ثم تقول بلسان ملق ذلی ملق ۛ الحمد لله ما شاء الله من ذلک الحمد بصوت لها جهور ۛ ثم ترقر زفرة فلا یبق ملک مقرب ولا نبی مرسل ولا أحد فمن شهد الموقف إلا جنا علی ركبته ۛ ثم ترقر الثانية فلا تبق قطرة فی عين أحد إلا یلدت ۛ ثم ترقر الثالثة فلو کان لكل آدمی أو حیوان عمل الثین وسبعین نبیا لوافواها ۛ ثم ترقر الرابعة فلا یبق شیء إلا انقطع کلامه ۛ غیر أن جبریل ومیکائیل وخیل الرحمن عز وجل متعلقون بالعرش ۛ یقول كل واحد منهم ۛ نفسی نفسی لا أسألك غیرها ۛ قال ۛ ثم تری بشر کعدد النجوم ۛ کل شرارة کالسحابة العظيمة ۛ الطالعة من المغرب ۛ فیقع ذلک الشرر علی رموس الخلاق ۛ قال ۛ ثم ینصب الصراط علیها ۛ فیأی له سبعائة قطرة ۛ ما بین کل قطرتین منها سبعون عاما ۛ قبل ۛ سبع قلاطر ۛ وعرض الصراط من الطبقة الأولى إلى الطبقة الثانية مسيرة خمسمائة عام ومن الثالثة مسيرة خمسمائة عام ۛ ومن الرابعة مئلیا ۛ ومن الرابعة إلى الخامسة مئلیا ۛ ومن الخامسة إلى السادسة مئلیا ۛ ومن السادسة إلى السابعة کتفک ۛ

وهي أعرضهن ولشدتهن حراً وأبعدهن تعراً وأكثرهن ألواناً وأكثرهن حمراً سبعين مرة .
وأما الطبقة العليا فقد جاز عليها الصراط عينا وشمالا في السماء مسيرة ثلاثة أميال ، وكل طبقة أشد
حرّاً وأكثر حمراً وأكثر في ألوان الملأب من التي فوقها سبعين مرة ، في كل طبقة بحر وأنهار
وجبال وشجر ، طول كل جبل منها في السماء مسيرة سبعين ألف عام ، وفي كل طبقة منها سبعون
جبالاً ، وفي كل جبل منها سبعون ألف شعبة في كل شعبة منها سبعون ألف شجرة ضريح ، لكل
شجرة منها سبعون شعبة ، على كل شعبة منها سبعون حبة وسبعون عقرباً ، طول كل حبة منها
مسيرة ثلاثة أميال ، فأما العقارب فكانت الخالق المتظام ، على كل شجرة منها سبعون ألف ثمرة
في كل ثمرة رأس شيطان في جوف كل ثمرة منها سبعون دودة ، طول كل دودة منها غلوة ،
ومنها ثمر ليس فيه دود ولكن فيه شوك ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لجهم مبعقة
أبواب ، لكل باب منها سبعون وادياً ، قمر كل واد منها مسيرة سبعين عاماً ، ولكل واد منها
سبعون ألف شعبة ، في كل شعبة منها سبعون ألف مفارقة ، وفي كل مفارقة سبعون ألف
شق ، كل شق منها مسيرة سبعين عاماً في جوف كل شق منها سبعون ألف شعبان ،
في شق كل شعبان منها سبعون ألف عقرب ، لكل عقرب منها سبعون ألف مفارقة ، في كل
مفارقة ثمة سم لا ينهي الكافر ولا المنافق حتى يوافي ذلك كله ، قال : فينا الملائكة جاثون
على ركبهم وجهم تحظر كما يحظر الجبل للمنظم ، قال فينادى مناد بصوت عال ، فيقوم النبيون
والصديقون والشهداء والصالحون ، ثم عرضوا عرضة ردت فيها المظالم ، ثم عرضوا
الثانية ، فتجادلت الأرواح والأجساد وظهرت الأجساد على الأرواح ، ثم عرضوا على
الله الثالثة ، فطارت الصحف فوقت في أيدي الملائكة ، فهم من ألقى كتابه يمينه ، ومنهم
من ألقى كتابه بشماله ، ومنهم من ألقى كتابه وراء ظهره ، فأما الذين أوتوا كتابهم بأيديهم
فأعطوا ثوراً من نور ربهم ، ومنهم الملائكة بكرامتهم ، فجازوا الصراط برحمة ربهم ، ودخلوا
جنانهم فلقينهم خزائنهم عند أبواب جناتهم يكتسبونها ومراكبهم وباطنية التي تنهى لهم ، فأتوا
إلى منازلهم واقتبلوا مسرورين إلى قصورهم ، فدخلوا على أزواجهم فنظروا إلى ملائكة
الستهم ، ولم تبصر أبصارهم ، ولم يحضر على قلوبهم ، فأكلوا وشربوا ولبسوا حللهم ثم اعتنقوا
أزواجهم ما قدر لهم ، ثم حملوا خالقهم الذي أخذ عنهم حزنهم ، وأتتهم من فرعهم ، وبسرهم
حسبهم ، ثم شكروا ما أعطاهم ربهم ، فقالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي .
لولا أن هدانا الله ففترت أميهم بما أوتوا من دنياهم كانوا موقنين مؤمنين مصداقين خافين
راجين راغبين ، فمد ذلك نجا الخاجون وملك الكافرون . وأما الذين أوتوا كتابهم بشمالهم ومن
وراء ظهورهم فأسودت وجوههم وانقلبت زرقاً عيونهم ، وصحوا على مخاطبتهم وعظمت
أبصارهم ، وغلظت جلودهم وهتفوا بويلهم حين نظروا إلى كتابهم ، وعذبوا ذنوبهم ،
لم يخافوا صغيرة ولا كبيرة إلا وجدوها ماثية في كتبهم ، فهم كاسف بالهم من عظمهم ،

شديد وصعب كثير منهم ، منكسة وحوسم خاشعة أبصارهم خاشعة رقابهم ، يساقون النظر إلى
 نلهم ، لا يرتد إليهم طرفهم ، لأنهم عابوا أمرا عظيما كثيرا مفتضا جليلا طاما منكرا مغزا
 مرعبا حزنا غصنا مهيا لقلوب والعيون ميكيما ، فأثروا بالمعصية لربهم واعترفوا بذنوبهم وكان
 اعتراضهم عليهم نارا وعارا ونحرنا وشقاء وإثاما وضطا ، قال : فيينا القوم بين يدي ربهم
 عز وجل جاثون على ركبهم بذنوبهم معترفون ، زرقا أصهبهم لا يبصرون ، هاوية قلوبهم فلا يفتقرون
 مرجفة أو سالمهم فلا يتكلمون ، منقطعة أرحامهم فلا يتواصلون ، فلا أنساب بينهم يومئذ
 ولا أنساب لهم ، أصيبوا في أنفسهم فلا ينجيرون ، ويسألون الرجعة فلا يجابون ، قد أيقنوا بما
 كانوا يكذبون ، فهم عطاش لا يروون وجياح لا يشبعون ، وعرة لا يكتسبون ، مغلوبون
 لا ينصرون ، عزوتون مسلوبون ، محسورون أنفسهم وأهلهم وأموالهم ومكاسبهم ، قال : فيينا
 القوم كذلك إذ أمر الله تعالى خزنة جهنم أن يخرجوا منها ومعهم أهولهم ، وأن يحملوا أدايتهم من
 السلاسل والأغلال والمقاع ، قال : فخرجوا منها على ناحية ينظرون باننا يؤمرون ، قال : فلما
 نظر إليهم الأشقياء وعابوا وثاقهم وثيابهم حضوا أيديهم ، فأكلوا أناملهم وحضوا بويلهم وقامت
 دموعهم وزلزلت أقدامهم ويسوا من كل خير ، فيقول : خللهم فخللهم ثم الجحيم صلهم ثم
 في سلسلة فأول قومهم ، قال : فمن شاء الله أن يلقه في تلك الأطباق دعا خزنها ، فقال لم : خللهم
 فابتقر إلى كل إنسان منهم سبعون ملكا ، فشدوا وثاقهم وجعلوا الأغلال الثقال في أعناقهم
 والسلاسل في مناخرهم ، فخطوا وجمعوا بين نواصيهم وأقدامهم من وراء ظهورهم ، ففكسرت
 أصابعهم ، قال : فلما فعل ذلك بهم شلخت أبصارهم وانفضت أوداجهم ، واحترقت لحوم
 رقابهم وسأخت عروقهم ، واشتعل حر الأغلال في رءوسهم ، ففلت منها أعضائهم ، ففاضت
 على جلودهم حتى وقعت على أقدامهم فتساقطت منها جلودهم وانحسرت منها لحومهم ،
 فقال منها صديدهم ؟ فلما جعلت الأغلال في أعناقهم ملأت ما بين منابكهم إلى آذانهم ،
 فاحترقت لحومهم وتقطعت شفاههم وبدت أنيابهم وألسنتهم بصوت وصراخ ، ووهج
 طاقب عال يجري حرها يجري الدم في عروقهم بجوقة ، ويجري خلالها لب اثرا فيبلغ حر تلك
 الأغلال قلوبهم ، فسلخت حتى بلغت حناجرهم ، فاشتد حنقهم وانقطعت أصواتهم وفتت
 جلودهم ، فبينما كذلك أمر الله تعالى خزنة جهنم أن يكسومهم ، قال : فيلبسهم لباسا وسراويل
 شديدا سوادها ومثاقيرها وغشاشها تغطي من شدة حرها ، لو وضعت على جبال الأرض
 آذانها ، قال : ثم يقول الله عز وجل لخزنة جهنم : ساقوهم إلى منازلهم ، قال : فيأتون
 بسلاسل أخر أطول وأغلظ من اللان أولتوا فيها ، قال : فيأخذ كل ملاء سلسلة من تلك
 السلاسل فيفرون فيها أمة من الأمم ، ثم يضع طرفها على خاتمه فيولبهم ظهره ، ثم ينطلق بهم
 محسورين ، على وجوههم ، في دير كل أمة منهم سبعون ألف ملك ، يضربونهم بمقاع حتى
 بانرا بهم جهنم فيقولوا لهم عليها ، قال : ثم تقول لهم لللائكة : هذه النار التي كنتم بها تكذبون ،
 أفسح هذا أم أنتم لا تنصرون ، اصلوها قاصيروا أو لا تنصروا سواء عليكم ، إنما تجزون ما كنتم

تصلون ، قال : فلما أوقفوا عليها فتحت لهم أبوابها وكشف عنها غطاؤها ، ففسدت وألجبت نارها ، فخرج منها دخان شديد مع شرر كمعدد نجوم السماء قطارت إلى السماء مقدار سبعين عاما ، ثم رجع ذلك فوقع على رؤوسهم ، فأحرقت أشعارهم وانقلبت جباههم ، قال : ثم صرخت جهنم بأعلى صوتها : إلى يا أهل النار إلى ، أما حررة وفي لا تفتن منكم ، ثم قالت : الحمد لله الذي جعلني أغضب لغضبه ويقدم في من أعدائه ، رب زدني حرا إلى حري وقوة إلى قوة ، قال : فخرج منها ملائكة أخر ، فيستقبل كل أحد منهم أمة من الأمم ، فيرفعهم براحتهم فيكبرهم في جهنم على وجوههم ، فيهبون على رؤوسهم مقدار سبعين عاما من قبل أن يلقوا رؤوس جبالها ، قال : وإذا بلغوا رؤوس جبالها لم يتقاروا عليها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلدا ، قال فلولا أكلة يأكلون على رؤوس تلك الجبال أكلة من الرقوم ، ظاهرة حرارتها شديدة مرارتها كثير شوكها ، قال فيها هم يتصفرون أكنتهم تلك ، إذ أنتم للملائكة يضربونهم بمقامعهم فتكسرت عظامهم ثم أخذوا بأرجلهم ، فأنقروهم في جهنم فهبوا على رؤوسهم مقدار سبعين عاما من قبل أن يتقاروا في شعابها ، قال : فأتقاروا في شعابها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلدا ، قال : وأكلتهم تلك في أنفوسهم لا يستطيعون أن يسبقوها ، قال : فتجتمع الأكلة والقلب عند الحلق فيفص بها ، فيستفث كل إنسان منهم بالشراب ، فلذا في تلك الشعب أودية تنصب إلى جهنم ، قال : فينطلقون يمشون حتى يردوها ، فيكبوا عليها يشربون منها ، قال : فتقطع جلود وجوههم فتقع فيها ، قال : فلا يستطيعون أن يشربوا منها ، قال : فيعرضون عنها لإغراضة فندركهم للملائكة وهم منكبون على تلك الميرون ، فيضربونهم فتكسر عظامهم ، ثم يأخذون بأرجلهم فيلقونهم في جهنم ، فيهبون على رؤوسهم مقدار أربعين ومائة عام في لب ودخان شديد من قبل أن يتقاروا في أوديتها ، قال : فلا يتقارون في أوديتها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلدا ، قال : ومنهي تلك الميرون في تلك الأودية ، قال : فيشربون منها فلذا هي ماء عجم ، فلا يتقار في بطونهم حتى يبدل الله لكل إنسان منهم سبعة جلود ، قال : فلذا تقار في بطونهم قطع أعماهم ، فخرجت من مقامعهم وجرى باقيه في عروقهم ، فذايت لحومهم وتصدعت عظامهم وأندركهم الملائكة فضربت وجوههم وأبدلهم رؤوسهم بمقامعهم ، لكل قطع منها ثلاثمائة وستون حرقا ، فلذا ضربت بها رؤوسهم انقلبت جباههم وتكسرت أميلاهم ، وصحبوا في النار على وجوههم حتى تروسطوا جبينها ، فاشتعلت النار في جلودهم وتشتت في أكابهم ، فخرج لها من مناخرهم أميلاهم ، وتفسر الصلبد من أجسادهم ، وخرجت أميهم فصاقت على خدودهم ، ثم قرأوا مع شياطينهم الذين كانوا يطيعونهم ، وأكلتهم التي كانت مستأنسهم ، فأنقروا في أماكن ضيقة مفرتين ، فهزوا بويلهم حتى جىء بالمرالم فأميت في نارهم ، فتكويت بها رجياهم وجنوبهم ووضعت على ظهورهم فخرجت من بطونهم ، فهم أولياهم وقراء الشياطين والحجارة ، وعلقوا بخطاياهم كالجبال ليشد عليهم العذاب فطول أحدهم مسيرة شهر وعرضه

مسيرة خمسة أيام وغلظه مسيرة ثلاث ليال ورأسه مثل الأكرح وهو جبل يأقصى الشام ،
 في فيه النان ولثلاثون ناباً ، قد خرج بعضها من رأسه وبعضها من أسفل لحية وأنفه مثل الزاوية
 العظيمة ، طول شعر رأسه وغلظه مثل شجرة الأرز وكثرته كآجام الدنيا ، وشفته العليا قاصدة ،
 والسفلى تسعون ذراعاً ، وطول يده مسيرة عشرة أيام وغلظها مسيرة يوم ، وغلظه مثل
 ورقان وغلظ جلده أربعون ذراعاً بطواحه ، وطول ساقه مسيرة خمس ليال وغلظها مسيرة
 يوم ، كل حشفة له مثل حراء ، وهو جبل بمكة ، إذا صبّ فوق رأسه القطران اشتعلت فيه
 النار ، فلم يزد إلا آتياً ، قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : والذي نفسي بيده لو أن
 رجلاً خرج من النار يمر سلسلة محاولة بداه إلى عنقه ، في عنقه الأغلال وفي رجله الكيول ،
 ثم رآه المخلّاق لا يرموا عنه ولم يروا منه كل مفراً ، قال : فمن شدة حرّها ونحما وآلوان عذابها
 وخبيث منازلها ، انخرست لحومهم وتصدعت عظامهم وغلّت آدمهم فصارت على جلودهم ،
 واحترقت فقطعت أوصالهم ، فقال منها صديدهم ، فتحدثت أجسادهم وصنعت دبابهم
 وصارت مثل حار الوحش ، لها أطافير مثل أطافير النور والعقارب ، تشد ما بين جلدهم ولحمهم
 وتنهشم ، وتزفر زفرة ، وتردد كما يتردد الوحش المذعور ، يأكلن لحومهم ويشربن دماءهم ،
 ليس لها مأكول ولا مشرب غيرها ، تأخذهم اللاتكة فتسحبهم على وجعهم على البحر والحجارة
 كأنها أسنة ، مستعدين متطّلين بهم إلى بحر جهنم ، مسيرة سبعين عاماً ، فلا يلبثونه حتى تنقطع
 أوصالهم وتبدل جلودهم في كل يوم سبعين ألف مرة ، فإذا انتهوا بهم إلى خزنة أخذوا بأرجلهم
 فدفنهم فيه ، فلا يعلم أحد قبر ذلك البحر إلا الذي خلقه . وقد قيل : إنه مكتوب في بعض
 أسفار التوراة : أن بحر الدنيا عند بحر جهنم كبمين صغيرة في ساحل بحر الدنيا ، فإذا قلّوا فيه
 ووجدوا مسّ المذاب قال بعضهم لبعض : كأنما الذي عدّنا به قيل هذا حلم ، قال :
 فيفسون مرة ويرفعون وينزل ، ويقتلهم سبعين باعاً ، بعد كل باع كبعده المشرق من المغرب
 ثم تسوقهم اللاتكة بمقامهم ، فيضربونهم بها ويردونهم إلى قبرها مسيرة سبعين عاماً ، منه
 طعامهم وشرابهم فيرفعون من قبره مقدار أربعين ومائة عام فيريد أحدهم أن يتنفس ، فتستقبله
 اللاتكة بمقامهم متبادرين إليه لضربه ، غير أنه يذكر أنه إذا رفع رأسه وقع على رأسه سبعون
 ألف منفع لا يخطئه شيء منها ، فترده سبعين باعاً في قبرها ، كل باع كبعده المشرق من المغرب ،
 قال فهم فيها ما شاء الله من ذلك ، حتى تأكل لحومهم وعظامهم ، فتبى أرواحهم ، فيضربهم
 موجه سبعين عاماً ، ثم تقلبهم إلى ساحل من سواحه فله سبعون ألف مئارة ، في جوف كل
 مئارة سبعون ألف شق ، كل شق منها مسيرة سبعين عاماً ، في جوف كل شق منها سبعون
 ألف ثعبان ، طول كل ثعبان منها سبعون ذراعاً ، لكل ثعبان منها سبعون ناباً ، في كل ناب
 منها قلة سم ، في شق كل ثعبان منها ألف عقرب ، لكل عقرب منها سبعون نقارة ، في كل
 نقارة منها قلة من السم ، قال : فتخرج أرواحهم من ذلك البحر إلى تلك المئارة ، فتجدد لهم
 أجساد وجلود ، ويظنون في الحفيد ، فتخرج عليهم تلك الحيات والعقارب فتعلق في كل إنسان

منہم سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، فيصبرون ، ثم ترتفع إلى دكهم فيصبرون ، ثم ترتفع إلى صدورهم فيصبرون ، ثم ترتفع إلى رقابهم فيصبرون ، ثم ترتفع فتلقي بمن آخرهم وشفاهم وألسنتهم وأذانهم فيجزعون ، وليس لهم مستغاث إلا أن يربوا إلى جهنم ، فبقوا فيها ، فأما الحيات فتضع لحومهم وتشف دماهم ، وأما العقارب فتلدغهم فتساقط لحومهم ونقطع أوصالهم ، فإذا وقعوا في النار مكنت النار سبعين عاما لا تحرقهم من سم الحيات والعقارب قال : ثم تحرقهم النار سبعين عاما ، ثم يحدد لهم جلود غير جلودهم ، ثم يستغيثون بالطعام ، فتأتيهم الملائكة بطعام يقال له الوالجة ، وهو أشد بياضا من الحديد ، فيعضونه فلا يستطيعون أن يأكلوا منه شيئا ، فيلقونه من أفواههم ويبدون بأيديهم من شدة الجوع ، فيأكلون أناسهم وأكفهم ، فإذا أكلوها بدوا يسوا عدهم فأكلوها أيضا إلى مراقهم ، ثم بدوا يراقهم فأكلوها إلى متأكهم ، فلبق دهمس المتأك ، ولو نالوا بعدها شيئا من أجسادهم بأفواههم لأكلوه ، فإذا فعلوا ذلك بأجسادهم أعلوا قنوطا يراقهم ككاليب من حديد على شجرة الزقوم ، قال : فنوط منهم سبعون ألفا في شعبة واحدة لما تنحن مصوتين على رؤوسهم ، فيؤذعهم الجحيم ، فيستفيل حر النار وجوههم ومقدار سبعين عاما حتى تغرب أجسادهم وتبقى أرواحهم ، ثم يحدد لهم جلود وأجساد ، ثم ينادون بألسنهم ولب النار من تحتم ، تدخل من مقاعدكم وتأكل من أكتلتهم حتى تخرج من مناخرهم وأفواههم ومسامهم مقدار سبعين عاما ، حتى تذهب عظامهم ولحومهم وتبقى أرواحهم ، ثم يتركون ويحدد لهم جلود وأجساد ، ثم ينادون بأبصارهم مثلها ، فلا يزالون يملكون كذلك حتى لا يبقى مفصل في الأجساد إلا نوطوا به مقدار سبعين عاما ، ولا يبقى شجرة في رؤوسهم إلا نوطوا بها ، فيأتيهم الموت من كل مفصل منهم ، وما هم بميتين ومن رؤسهم غلاب غليظ ، فإذا فعل ذلك بهم كله أزلوهم فانطلقوا بكل إنسان منهم إلى منزله مغلولا بسلسلة مسحوبا على وجهه . قال : ولم منازل فيها كقدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى منزلة مسيرة شهر طولها وعرضها مثل ذلك نار تتوقد لا يبرئها غيره ، ومنهم من يعطى منزلة مسيرة سبع وعشرين ليلة طولها وعرضها ، ثم كذلك تنقص منازلهم وتضيئ ، حتى أن أحدهم لم يعطى منزلة مسيرة يوم طولها وعرضها ، ومن نحو سعة منزله يملكون ، فمنهم من يعذب على القفا ، ومنهم من يعذب جالسا ، ومنهم من يعذب جاثيا على ركبتيه ، ومنهم من يعذب قائما على رجله ، ومنهم من يعذب منطحا على بطنه ، فهذه المنازل كلها أضيق على أهلها من زج الرمح ، ومنهم من تكون ناره إلى كعبه ، ومنهم من تكون ناره إلى ركبته ، ومنهم من تكون ناره إلى حقويه ، ومنهم من تكون ناره إلى سرته ، ومنهم من تكون ناره إلى رقبته ، فإذا وقعوا في منازلهم كل منهم مع قرنائهم ، فبكوا حتى تنزف دموعهم ، ثم سيكون الدم بعد الدموع ، حتى لو أن السفن أرسلت إذا بكوا في دموعهم بلحرت . قال : ولم يوم يجتمعون

فيه في أصل الجحيم ، ثم لا تكون جماعة أبدا . قال : فإذا أذن الله في ذلك اليوم نادى مناد في أصل الجحيم يسع صوته أهلهم وأسفلهم وأذنهم وأنصامهم يقال له حشر ، يقول : يا أهل النار اجتمعوا ، فيجتمعون أجمعون في أصل الجحيم ، ومعهم الزبانية . قال : فيأتونهم بينهم فيقول (الذين استضعفوا الذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا) في الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء . قال الذين استكبروا : إنا كلنا قيا إنا لله قد حكم بين العباد) وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا (لا مرحبا بكم) بنا تستغيثون ، قال الذين استضعفوا للذين استكبروا : (بل أنتم لا مرحبا بكم ، أنتم قدمتموه لنا فليس القرار) قال الذين استضعفوا للذين استكبروا : (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) فقال الذين استكبروا : (لو هدانا الله لهديناكم . قال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجمل له أبلدا) فتبرأ منكم وما كنتم تدعوننا إليه في الدنيا ، قال : ثم أقبلوا أجمعون على قرنائهم من الشياطين ، فقالوا : أغربناكم كما غربنا ، قال الشيطان عند آخر مقالهم بصوت له عال : يا أهل النار (إن الله وعدكم وعد الحق) ودعاكم الله فلم تجيبوه ولم تصدقوا ، (و إنى وعدتكم) وعدا (فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرعكم وما أنتم بمصرعي) فأتا كثر اليوم بما عبدتموني من دون الله . قال : (فأذن مؤذن بينهم : أن لعنة الله على الظالمين) قال : فلن عند ذلك الذين استضعفوا الذين استكبروا ، ولن الذين استكبروا الذين استضعفوا ، ولنوا قرنائهم من الشياطين ، ولعنهم قرنائهم ، ثم قالوا لقرنائهم : يا ليت بيننا وبينكم بعد المشرقين ، فليس القراء أنتم لنا اليوم وبس الوزراء كنتم لنا في الدنيا ، فلما نظروا إلى جماعتهم قال بعضهم لبعض هلموا فنطلب الخزنة ، فلعلمهم يشفون لنا عند ربهم ، (فخفف عنا يوما من العذاب) قال : وهم على ذلك يعلبون . قال : وبين مراجعة الخزنة إياهم مقدار سبعين عاما ثم يرجعونهم ، فيقولون : (ألم تأتكم رسلكم بالبينات قالوا) بأجمعهم (بلى) قال الخزنة : (فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) قال : فلما رأوا أن الخزنة لا ترد عليهم خيرا استغاثوا بمالك ، فقالوا : يا مالك ادع لنا ربك فليقبض علينا بالموت ، فيمكث مالك مقدارا الدنيا لا يجيبهم ولا يرد عليهم غولا ، ثم يرجعهم فيقول (إنكم ما كنون) أحقبا من قبل أن يقضى عليكم الموت ، فلما رأوا ما لا يرد عليهم خيرا استغاثوا بربهم ، فقالوا : (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا لئن ظلمون) يعني إن عدنا في مصيبتك ، قال : فكث الجبار سبحانه وتعالى مقدار سبعين عاما لا يرجعونهم بقولهم ولا يرد عليهم خيرا ، ثم أجابهم بقوله وأترظ منلة الكلاب (انحصروا فيها ولا تكلنون) قال فلما رأوا رجهم لا يرجعهم ولا يرد عليهم خيرا ، قال بعضهم لبعض : (سواء علينا أجزعنا) من العذاب (ألم صبرنا ما لنا من محيص . فإنا لنا من شاقين ولا صديق حميم ، قلوا أن لنا كرامة نكون من المزمين .) قال : ثم تصرف بهم الملائكة إلى مساكنهم ، فزلت عند ذلك أقدامهم ودحضت

حجبتهم ونظروا ما عند وجہ عز وجل ، ولبسوا من رحمة وتلقاهم الكرب الشديد وتزل بهم
الغزى والفرح الطويل ، فنهضوا بحسرتهم على ما فرطوا في دنياهم ، وحلوا أوزارهم على رقابهم
والوزل أتباعهم ، من غير أن ينقص من أوزارهم وعذابهم أكثر من تراب أرضهم وقطر بحورهم
مع زبانية سريع أمرهم غلظت كلامهم عظيمة أجسادهم كالبرق ، وجوههم كالبحر أعينهم
كالذهب ، ألوانهم كالخزائن أنيابهم كصياعين البقر أظفارهم ، بين القرون والمقارع الطوال
الضال الخرقه بأيديهم لو ضربوا بها الحياض انصدعت ، وكانت رميا يضر برون بها عصاة ربيهم
فيحتلم أن تسيل أعينهم الدم بعد الدموع ، لأنهم إن دعوا لم يجيؤهم ، وإن بكوا لم يرحمهم وإن
استغاثوا بماء بارد لم ينشروهم إلا بماء كالمهل يشوي الوجوه . وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول : « إنه لتأتى أهل النار صحابة عظيمة كل يوم فينسط عليهم لها صواعق تنطفئ أبصارهم ،
ورعد يقصف ظهورهم ، وظلمة لا يبصرون معها زبانتهم ، فتنادى الصحابة بصوت له جهر :
يا أهل النار أما تريدون أن نعطركم ؟ فيقولون بأجمعهم : أسطرنا الماء البارد ، فنسطهم ساعة
حجارة تقع على رؤوسهم فتقطع رجاؤهم ، ثم تنسط ساعة أخرى أتبارا من حيم وجرا كثيرا
وشراطا وخضايف من الحديد ، ثم تنسط ساعة أخرى خيرات وعقارب ودودا وغسلين .
قال : فإذا أسطرت في جهنم صبر يحرقها فلبت بلحبقا وغضبت ، فلم تترك في جهنم سهلا ولا جبلا
إلا ارتضت عليه ، ففرق أهل النار لجمعين من غير أن يموتوا . قال : فترداد جهنم على من فيها من
العداة غلظا وسرا وزفيرا وشيقا ولها ودخانا وظلمة ووعثا وسموما وحما وجحما وسعيرا وشدة
على من فيها لقمة ربا . « فعوذ بالله منها ومن أعمالها ومقارعة أهلها ، اللهم ربنا وربها لا تؤذنا
حياتها ، ولا تجعل في أعناقنا أغلالا ، ولا تكسنا من ثيابها ، ولا تنزعنا من زفرها ولا تسقنا
من حميمها ، ولا تنسط علينا خزنها ، ولا تجعلنا مأكلة لئارها ، ولكن جوزنا برحمتك صراطها
واصرف عنا شرورها ولحيا حتى نتجنبنا برحمتك منها ومن دخانها ومن كربها وعذابها ، آمين
يا رب العالمين . وكان صلى الله عليه وسلم يقول مولانا أدنى باب من أبواب جهنم فتح بالمغرب
للذات منه جبال المشرق كما يلوب القطر ، ولو أن شرارة من شر جهنم طارت فوقعت بالمغرب
ورجل بالمشرق لعل دماغه حتى يغور على جسده ، وإن أدنى أهل النار عذابا رجال تحذى لم
تعال من نار فتخرج من مسامعهم ومناخرهم وتقل منها أدمعهم ، والذين يلونهم يلقون على
حصرة من سحر جهنم فينفضون فيها كما ينفض الحب من القل الحار ، وكلما سقطوا من حصرة
وقعوا على أخرى ، فأهل النار كلهم يعدون على قدر أعمالهم ، فعوذ بالله من أعمالهم ومصيرهم .
قال صلى الله عليه وسلم : « أما عذاب الذين لا يحفظون فروجهم ، فينطاون بفروجهم بقدر
ما كانت في الدنيا حتى تنوب أجسادهم وليق أرواحهم ، ثم يتركون فتجد لهم أجساد وجلود ،
ثم يعذبون ، فيجلد كل إنسان منهم سبعون ألف قدر ما كانت الدنيا حتى تنوب أجسادهم
وترواحهم ، فذلك عذابهم وأما عذاب السارق فيقطع عضوا عضوا ثم يحدد ، فذلك

عذابہ غیر اُنہ بنیادر اِلی کل انسان مَنہم سبعون اَلْف ملک مَعہم الشُّفار . وَاَمَّا عَذَابُ النَّفِینِ یَشْهَدُونَ الزُّور ، فَنُتَابِلُونَ بِالْمُتَنَبِّئِمْ ، ثُمَّ یُجْلَدُ کل انسان مَنہم سبعون اَلْف ملک حَتّٰی تَلُوبُ اَصْدَاہُمْ وَتَقْبُ اَوْرَاحُہُمْ : وَاَمَّا عَذَابُ الْمُشْرِکِیْن ، فِیْجَبِلُونَ فِی مَنَارِ جَہَنَّمَ ثُمَّ یَقْلَقُ عَلَیْہِمْ وَفِیْہَا حَیَاتٌ وَعُقُوبٌ وَجَرٌّ کَثِیْرٌ وَهَبٌّ وَدُخَانٌ شَدِیْدٌ ، یُجَدَّدُ لِکُلِّ انسان مَنہم کل سَاعَۃٍ سِیْعُونَ اَلْفَ جَلْدٍ فَذَٰلِکَ عَذَابُہُمْ . وَاَمَّا عَذَابُ الْجَبَّارِیْنِ الْمُتَکَبِّرِیْن ، فِیْجَبِلُونَ فِی تَوَابِیْتٍ مِّنْ تَارٍ ثُمَّ یَقْلَقُ عَلَیْہِمْ فَنُتَوَضِعُ فِی الدُّرُکِ الْاَسْفَلِ مِّنْ التَّارِ ، قَالَ : فِیْ عَذَابٍ کُلِّ انسان مَنہم کل سَاعَۃٍ تِسْعَ وَتِسْعِیْنِ لَوْحًا مِّنَ الْعَذَابِ ، یُجَدَّدُ لَہُمْ فِی کُلِّ یَوْمٍ اَلْفَ جَلْدٍ ، فَذَٰلِکَ عَذَابُہُمْ . قَالَ : وَاَمَّا النَّفِیْنِ یَقْلَقُونَ فِیْأَتَوْنَ یَقْلَقُہُمْ ثُمَّ یَقْلَقُ بِہِمْ فِی بَحْرِ جَہَنَّمَ ثُمَّ یَقَالُ لَہُمْ غَوْصُوا حَتّٰی تَخْرُجُوا غُلُوقَکُمْ لَیْسَ بِہَا اِلٰی قَمَرٍ ، وَلَا یَطْلُمُ قَمَرُہُ اِلَّا الَّذِیْ خَلَقَہُ : قَالَ : فِیْ غَوْصُونَ مَا شَاءَ اللّٰہُ ، ثُمَّ یَخْرُجُونَ رِیْوَسَہُمْ یَنْتَشُونَ نِیْتِیْدُونَ اِلٰی کُلِّ مَنہم سِیْعُونَ اَلْفَ مَلِکٍ ، مَعَ کُلِّ مَلِکٍ مَقْبَعٌ مِّنَ الْحَدِیْدِ فِیْہِوَ یَہَا اِلٰی رَاسِہِ ، فَذَٰلِکَ عَذَابُہُمْ اَبَدًا . قَالَ : وَكَانَ الَّذِیْ صَلَّی اللّٰہُ عَلَیْہِ وَسَلَّمَ یَقُولُ : « اِنَّ اللّٰہَ قَضٰی عَلٰی اَهْلِ النَّارِ اَنَّهُمْ لَا یَبْقَوْنَ فِیْہَا اَحْقَابًا ، فَلَا اَدْرِیْ کَیْفَ مِنْ حَقِّہِ ، غَیْرَ اَنْ الْحَقْبَ الْوَاحِدَ ثَمَانِیْنَ اَلْفَ سَنَۃً ، وَالسَّنَۃُ ثَلَاثُمِائَۃٌ وَتِسْتُونَ یَوْمًا ، وَالْیَوْمُ اَلْفَ سَنَۃً تَمَّا تُعَدُّونَ » قَالُوْا لِاَهْلِ النَّارِ ، وَابْوِیْ لَکَ لَکَ الْوُجُوْہُ الَّتِیْ کَانَتْ لَا تُصْبِرُ عَلٰی حَرِّ الشَّمْسِ حِیْنَ تَلْفَحُهَا النَّارُ ، وَابْوِیْ لَکَ الرُّوْسُ الَّتِیْ کَانَتْ لَا تُصْبِرُ عَلٰی الصَّدَاعِ حِیْنَ یَصِیْبُ فَوْقَہَا الْحَمِیْمُ ، وَابْوِیْ لَکَ الْاَمْعِیْنَ الَّتِیْ کَانَتْ لَا تُصْبِرُ عَلٰی الرَّمَدِ حِیْنَ تَرْتَزِقُ وَتَشْطَبُ فِی النَّارِ ، وَابْوِیْ لَکَ الْاَذَانَ الَّتِیْ کَانَتْ تَسْمَعُ الْاَحَادِیْثَ تَنْتَلِذُہَا حِیْنَ یَفْزَعُ مِنْہَا لَہْبٌ ، وَابْوِیْ لَکَ الْمُنَاصِرَ الَّتِیْ کَانَتْ تُجْرِعُ مِنْ رِیْحِ الْجَلِیْفِ حِیْنَ تَشَقَّقَتْ بِالنَّارِ ، وَابْوِیْ لَکَ الْاَعْنَاقَ الَّتِیْ کَانَتْ لَا تُصْبِرُ عَلٰی الْوُجَعِ حِیْنَ یَجْعَلُ فِیْہَا الْاَغْلَالَ ، وَابْوِیْ لَکَ الْجُلُوْدَ الَّتِیْ کَانَتْ لَا تُصْبِرُ عَلٰی الْبَاسِ الْحَشَنِ حِیْنَ یَجْعَلُ عَلَیْہَا قِیَاصٌ مِّنْ غَارِ حَشَنِ مَسْبَا ، مَتَنٌ رَّیْبُہَا تَنْتَلِیْ تَارًا ، وَابْوِیْ لَکَ الْبَطُونَ الَّتِیْ کَانَتْ لَا تُصْبِرُ عَلٰی الْاَذٰی حِیْنَ یَدْخُلُہَا الْاَزْقَامُ مَعَ مَآءٍ حَمِیْمٍ یَقْطَعُ اَسْمَاعُہُمْ ، وَابْوِیْ لَکَ الْاَقْدَامَ الَّتِیْ کَانَتْ لَا تُصْبِرُ عَلٰی الْحَفَا حِیْنَ تُحْدِیْ لَهَا نَعَالَ مِّنْ نَّارٍ ، فَوِیْ لَ اَهْلِ النَّارِ مِّنْ اَصْنَافِ الْعَذَابِ ، اَللّٰہُمَّ بِحَقِّ حِلْمِ الْعِلْمِ الْعَظِیْمِ وَفَضْلِکَ الْعَمِیْمِ لَا تُجْعَلْنَا مِنْ اَعْلَہَا .

(فصل) وَقَالَ أَبُوْ حَرِیْرَۃٍ رَضِیَ اللّٰہُ عَنْہُ : اَنَّ رَسُوْلَ اللّٰہِ صَلَّی اللّٰہُ عَلَیْہِ وَسَلَّمَ کَانَ یَقُولُ : « اِنَّ الْجِسْرَ جَہَنَّمَ سَبِیْعَ قَنَاطِرٍ ، بَیْنَ کُلِّ قَنْطَرَتَیْنِ سِیْعُونَ عَامًا ، وَعَرْضُ الْجِسْرِ کَعَرْضِ السَّیْفِ ، فِیْجُوزُ عَلَیْہِ اَوَّلُ زَمْرَۃٍ مِّنَ النَّاسِ سَرَّاعًا کَطَرَفِ الْعِیْنِ ، وَالزَّمْرَۃُ الثَّانِیَۃُ کَالطَّیْرِ فِی الْمَخَالِیْفِ ، وَالزَّمْرَۃُ الثَّالِثَۃُ کَالرَّیْجِ الْعَاصِفِ ، وَالزَّمْرَۃُ الرَّابِعَۃُ کَالطَّیْرِ ، وَالزَّمْرَۃُ الْخَامِسَۃُ کَالْخَلِیْلِ ، وَالزَّمْرَۃُ السَّادِسَۃُ کَالرَّجُلِ الْمُسْرِعِ ، وَالزَّمْرَۃُ السَّابِعَۃُ یَمْشُوْنَ عَلَیْہِ مَشْیًا ، ثُمَّ یَبْقِیْ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَہُوَ اَخْرَجَ مِنْ بَحْرِ عَلٰی ذَٰلِکَ الْجِسْرِ ، فِیْقَالُ لَہُ ، مَرِّ فِیضَ عَلَیْہِ قَعْقِیَہُ فَنَزَلْ اِحْدَاہُمَا ، ثُمَّ یَرْکَبُہُ فِیَحْبِیْ عَلٰی رِکْبَہِ ، فَتَصِیْبُ النَّارُ مِنْ شَعْرَہُ وَیُجْلَدُہُ : قَالَ : فَلَا یَزَالُ یَتْرَجَّرُ عَلٰی بَطْنِہُ یَنْزَلُ

فلمنہ الأخرى وثبتت يده وتعلق الأخرى ، وهو على ذلك نصيبه النار ، فهو يظن أنه لا يخرج منها ، فلا يزال يخرج على يبطه حتى يخرج منها ، فإذا خرج منها نظر إليها فقال : تبارك الذي أنجاني منك ، ما أنشأت أن ربي أعطى أحدا من الأولين والآخرين مثل ما أعطاني ، إنه نجاني منك ، بعد إذ رأيت وأتيت . قال : فيأتيه ملك من الملائكة فيأخذ بيده فينطلق به إلى غدِير بين يدي باب الجنة ، فيقول له الملك : اغسل في هذا الغدير واشرب منه ، قال : فيغسل ويشرب منه ، فيعود له روح أهل الجنة وأرواحهم ، ثم ينطلق به فيوقفه على باب جهنم ويقول له : قف هاهنا حتى يأتيك إزدك من ربك عز وجل ، قال : فينظر إلى أهل النار ويسمع عوامهم كعواء الكلاب ، قال : فيبكي فيقول : يا رب اصرف وجهي عن أهل النار ، لا أسألك يا رب غيره ، قال : فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين عز وجل ، فيسوء وجهه من النار إلى الجنة ، قال : وبين مقامه إلى باب الجنة خطوة ، فينظر إلى باب الجنة وعرضه ، وإن ما بين عضادتي باب الجنة مسيرة أربعين عاما لطيف المسرع ، قال : فيسأل ذلك الرجل ربه عز وجل فيقول : يا رب إني قد أحسنت إلى الإحسان كله أنجيتني من النار وصرفت وجهي عن أهل النار إلى الجنة ، إنما بيني وبين باب الجنة خطوة فأسألك يا رب بعتك أن تدخلني الباب ، ولا أسألك غيره ، ولكن اجعل بيني وبين أهل النار حجابا ، فلا أسمع حسيها ، ولا أرى أهلها ، قال : فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين ، فيقول : يا ابن آدم ما أكذبك أنت زعمت أنك لا تسأل غيره ، قال عليه السلام فيقول : ويخلف لا وعزة الرب لا أسأل غيره ، فيأخذه بيده فيدخله الباب ، ثم ينطلق الملك عند رب العالمين عز وجل ، قال : فينظر ذلك الرجل في الجنة من بينه وبينه وبين يديه مسيرة ستة ، فلا يرى أحدا غير الشجر والنار وبين مقامه إلى أدنى شجرة خطوة ، قال فينظر إليها فإذا أصلها ذهب وغصنها فضة يضاء وورقها كالأحسن حلق رآها آدمي ولحمها آبن من الزبد وأصل من العسل وأطيب ريحا من المسك ، قال : فتصور ذلك الرجل لما رأى ، قال : فيقول يا رب نجيتني من جهنم وأدخلتني باب الجنة فاحسنت إلى الإحسان كله ، وإنما بيني وبين هذه الشجرة خطوة لا أسألك غيرها ، قال : فيأتيه ذلك الملك فيقول : ما أكذبك يا ابن آدم أنت زعمت أنك لا تسأل زيادة ، فما لك تسأل ، وأين ما أقسمت ألا تسبحي ؟ قال : فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزلة فإذا هو بقصر من لؤلؤ بين يديه على مسيرة سنة ، قال : فإذا أتاه نظر إلى ما بين يديه فرأى منزلا كأنما كان ذلك القصر وما وراءه معه حلما ، فلا يملك نفسه حين ينظر إليه فيقول : يا رب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره ، قال : فيأتيه ملك من الملائكة فيقول : يا ابن آدم أما أقسمت بربك عليك ، ما أكذبك يا ابن آدم هو لك فإذا أتاه نظر إلى منزل آخر بين يديه كأنما كان منزله معه حلما ، قال فيقول : يا رب أسألك هذا المنزل ، قال فيأتيه ذلك الملك فيقول له : يا ابن آدم مالك لا تقوى بالعهد ، أنت زعمت أنك لا تسأل غيره ؟ ولا يلومه لأنه يرى ما تكاد نفسه تخرج منه من العجائب ، قال : فيقول : هو لك ، قال فإذا بين يديه منزل آخر : كأنما كانت معه تلك المنازل حلما ، فيبني مبهوتا لا يستطيع

أن يتكلم ، قال عليه الصلاة والسلام : فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك لا تسأل ربك ؟ فيقول : يا سيدي صلى الله عليه عليك ، والله لقد خلقت لرب العزة حتى خشيت منه وسألته حتى استحييت ، قال : فيقول له رب العزة جل جلاله : أيرضيك أن أجمع لك الدنيا مثل يوم خلقتها إلى يوم أميتها ثم أضعتها لك عشرة أضعاف ؟ قال : فيقول ذلك الرجل : يا رب أتتأخر في وأنت رب العالمين ؟ قال : فيقول له رب العزة جل وعلا : إني لأخسر أن ألقاه فأسألك ما شئت ، قال : فيقول الرجل يا رب ألقني بالناس ، قال : فيأتيه ملك فيأخذ بيده ، فينطلق به يسرى في الجنة حتى يبدؤه شيء كأنه لم يكن رأى معه شيئا فيخرّ ساجدا ، ويقول في سجدة : إن ربي عز وجل يحبني ، فيقول له الملك : ارفع رأسك هذا منزلك وهو أدنى منازل ، قال : فيقول لولا أن الله عز وجل حبس بصرى لحار من نور هذا القصر ، قال : فيزل في ذلك القصر فيلقاه رجل إذا رأى وجهه وثيابه يرى مبهوتا يظن أنه ملك ، فيأتيه ذلك الرجل فيقول : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لقد آن لك أن تحيى ، فيرد عليه السلام ثم يقول له : من أنت يا عبد الله ؟ فيقول : أنا قهرمان لك وأنا على هذا المنزل ولك مثل ألف قهرمان ، كل واحد منهم على قصر من قصورك ، ولك ألف قصر في كل قصر ألف خادم وزوجة من الخور العين ، قال : فيدخل في قصره ذلك فإذا هو بقبة من لؤلؤة يضاء وفي جوفها سبعون بيتا ، في كل بيت سبعون غرفة ، لكل غرفة سبعون بابا ، لكل باب منها قبة من لؤلؤ فيدخل تلك القباب فيفتحها ولم يفتحها أحد من خلق الله قبله ، فإذا هو في جوف تلك القبة بقبة من جوهرة حمراء طولها سبعون فراسا ، لها سبعون بابا ، كل باب منها يقضى إلى جوهرة حمراء على مثل طولها سبعون بابا ، ليس منها جوهرة على لون صاحبها ، في كل جوهرة أزواج ومناصب وأسرة ، قال : فإذا دخل فيها وجد فيها زوجة من الخور العين ، قسّم عليه فيرد عليها السلام ثم يقوم مبهوتا ، فيقول له : قد آن لك أن تزورنا وأنا زوجتك ، قال : فينظر في وجهها فيرى وجهه في وجهها كما يرى أحدكم وجهه في المرآة من الحسن والجمال والصفوة ، فإذا عليها سبعون حلة في كل حلة سبعون لونا ليس فيها لون على لون صاحبها يرى مخ ساقها من ورائها ، لا يمرض عنها إمرأة إلا ازدادت حسنا في حية سبعين ضعفا ، فهي له امرأة وهو لها مرآة ، قال : وإن لكل قصر منها ثلاثة وستين بابا ، كل باب ثلاثة وستون قبة من لؤلؤة وياقوتة وجوهرة ليس منها قبة على لون صاحبها ، فإذا أشرف على ظهر القصر أشرف على ملكة مسيرة من الأرض ينظر بصره فيها ، إذا سار فيه سار في ملكة ماثقومة لا ينشئ إلى شيء فيه إلا نظر فيه أجمع ، وإن الملائكة تدخل عليه في قصوره من كل باب بالسلام والمدايا من عتدوب العالمين ، ليس منهم ملك إلا ومعه من المدايا ما ليس مع الآخر كل يوم في النهار تسلم عليه الملائكة معها افديا : والصديق ذلك في كتاب الله عز وجل يقول (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليهم بما صبرتم فقم عني الناس) وقال تعالى (ولم نزقهم فيها بكرة وعشا) . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذا الرجل يسميه أهل الجنة المسكين لفضل منزلهم على منزله وإن لهذا المسكين ثمانين ألفه »

خادم في طعامه إذا اشبهى الطعام نصبروا له مائدة من موائدها من ياقوتة حمراء منخلفة من ياقوتة صفراء مخفوقة باللبن والياقوت والزبرجد وقوائمه من اللؤلؤ حاقها عشرون ميلا . قال : فيوضع له عليها من الطعام سبعون لونا ، ويقوم بين يديه ثمانون خادما مع كل خادم منهم حصّة فيها طعام وكأس فيه شراب ، في كل حصّة من الطعام ما ليس فيه الأخرى ، وفي كل كأس شرية ما ليس في الأخرى ، يجذ طعم أولها كطعم آخرها ، ويجد لذة آخرها كلفة أولها ، يشبه بعضه بعضا ، وليس منها لون إلا وهو يصيب منه ، وليس له خادم إلا ويعطى حظه من ذلك الطعام والشراب إذا رفع من بين يديه « وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « وإن أهل الدرجة العليا يزورونه ولا يزورهم ، وإن أهل الدرجة العليا يصعب على كل رجل ثمانمائة ألف خادم ، ويد كل خادم منهم حصّة فيها طعام ليس في الأخرى ، وليس منها لون إلا وهو يصيب منه ، وليس منهم خادم إلا ويعطى حظه من ذلك الطعام والشراب إذا رفع من بين يديه ، وما منهم من أحد إلا وله الثمان وسبعون زوجة من الحور العين وأدميان ، لكل زوجة منهم قصر من ياقوتة خضراء منخلفة بحمراء ، فيها سبعون ألف مصراع ، لكل مصراع قبة من اللؤلؤ ، وليس منها زوجة إلا وعليها سبعون ألف حلة في كل حلة سبعون ألف لون ، ليس منها حلة تشبه الأخرى ، وليس منها زوجة إلا بين يديها ألف جارية قيام لحوائجها ، وسبعون ألف جارية جلسها ، وما منها جارية إلا وقد أشعلتها في حاجتها ، إذا قرب إليها الطعام قام بين يديها سبعون ألف جارية ، كل جارية منهم يديها حصّة فيها من الطعام ، وكأس فيها من الشراب ما ليس في الأخرى . » . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « يشتاق الرجل إلى أخ له كان يحبه في الله عز وجل في الدنيا ، فيقول : يا ليت شعري ما فعل أخي فلان شفقة عليه أن يكون قد هلك ، فيطلب الله عز وجل على ما في قلبه ، فيوسى إلى الملائكة أن سيروا بعدي هذا إلى أخيه ، فيأتيه الملك بنجيبة عليها وحلها من مياثر النور ، قال : فيسلم عليه ، فيرد عليه السلام ويقول له : قم فاركب وانطلق إلى أخيك ، قال : فيركب عليها ، فيسير في الجنة مسيرة ألف عام أسرع من أحدكم إذا ركب بنجيبة فسار عليها فرحنا ، قال : فلا يكون شيء حتى يبلغ منزل أخيه ، قال : فيسلم عليه ، فيرد عليه السلام ويرحب به ، قال : فيقول : أين كنت يا أخي لقد كنت أشفتك عليك ؟ قال : فيفتح كل واحد منهما صاحبه ثم يقولان : الحمد لله الذي جمع بيننا ، فيحمدان الله عز وجل بأحسن أصوات سمعها أحد من الناس ، قال : فيقول الله عز وجل : لما عند ذلك يا عبدي ليس هذا حين عمل ، ولكن هذا حين نحية وصالة ، فاسألني أعطيك ما سألتها ، فيقولان : يا رب اجمع بيننا في هذه الدرجة ، قال : فيجعل الله عز وجل تلك الدرجة مجلسهما في حيمة مخفوقة باللبن والياقوت ، ولازواجهما منزل سوى ذلك ، قال : فيشربون ويأكلون ويستمعون . » . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل منهم ليأخذ لقمة فيجعلها في فيه ، ثم يخطر بباله طعام آخر ، فتتحرك تلك اللقمة إلى اللسان حتى ، قيل : يا رسول الله ما أرضى الجنة ؟ قال : أرضها وخلة من قبة مساء ، وتزليها مسك ، وتلائم زعفران ، وحيطانها نور

وبالقوت وذهب وفضة، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وليس في الجنة قصر إلا يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، وليس في الجنة رجل إلا وهو يليق لؤلؤاً وورداً وحللاً غير منقطعة وغير خفيفة، وليس منهم رجل إلا وهو يليق تاجاً من لؤلؤ مجزأ بالدرّ والياقوت والزربرجد، له خفيزان من الذهب، في عنقه طوق من ذهب محفور بالدرّ والياقوت الأخضر، وفي يده كل رجل منهم ثلاث أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، تحت ثيابهم أكاليل من درّ وياقوت، وعلى حللهم تلك يليسون السندس، وعلى السندس الإستبرق والحريير الأخضر، متكئين على فرش بطائنها من إستبرق، وظواهرها البقرى الحسن، أسرتها من ياقوت أحمر وقوائمها اللؤلؤ على كل سرير منها ألف مثال، لكل مثال سبعون لونا، ليس منها مثال يشبه الآخر، بين يدي كل سرير منها سبعون ألف زربية لكل زربية سبعون لونا، ليس منها زربية تشبه صاحبتها، عن يمين كل سرير منها سبعون ألف كمرى، وعن شمالها مثل ذلك، ليس منها كمرى يشبه الآخر، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن أهل الجنة أجمعين أعلامهم وأسفلهم على طول آدم، وطول آدم عليه السلام ستون ذراعاً شاباً جرداً مرداً مكحلاً من محمدين هم ونسألوهم على قدر واحد، قال: فلما فعل ذلك بهم، نادى مناد في الجنة، فيسمع صوته أعلامهم وأدنامهم وأقصاعهم، فيقول: يا أهل الجنة أرضيتم بملأكم؟ فيقولون بأجمعهم: نعم والله، لقد أنزلنا ربنا منزل الكرامة، لا تفيض عنها حولاً ولا ما يندلأ، أرضيتا ربنا جازاً؟ اللهم ربنا فانا سمعنا مناديك فأجبناه القول الصادق، اللهم ربنا فانا إشتبنا ننظر إلى وجهك فأرتاه، فإنا أفضل ثواباً عندك، قال: فأمر الله عز وجل عند ذلك الجنة فيما منزلته ومجلسه، وأسمها دار السلام، خذى زيتك، وترينى واستعدنى لزيارة عبادى فاستمعت لربها وأطاعته قبل أن تقضى الكلمة، وأخذت زيتها واستعدت لزيارة الله تعالى، فيأمر الله تعالى ملكاً من الملائكة أن ادع عبادى إلى زيارتى، قال: فيخرج ذلك الملك من عند الرحمن، فينادى بأهل صوته، بصوت له لديه سمود يقول: يا أهل الجنة، يا أولياء الله زوروا ربكم، قال: فيسمع صوته أعلامهم وأسفلهم، فيركبون على النور والبراقين بأجمعهم، فيسيرون في ظلّ جنب إلى تلال من مسك أبيض وزعفران أصفر، فيسلمون عند الباب، وتسلمهم أن يقولوا: السلام علينا من ربنا، فيستأذنون فيؤذن لهم، فيعبدون فيدخلون الباب، فتبّ ربيع من تحت العرش اسمها الثيرة، فتنصف تلال المسك والزعفران، فتغير في جيوهم ورحمهم ولبابهم، فيدخلون وينظرون إلى عرش ربهم وكرميه نوراً يملأ عليهم من غير أن ينجلى لهم، فيقولون: سبحانك ربنا قدّوس، وبّ الملائكة والروح، تباركت وتعالى، لئنا ننظر إلى وجهك، قال: فيأمر الله عز وجل الحجب اتى من نور: أن اعتزل، فلا يزال يرتفع حجاب وراء حجاب حتى يرتفع سبعون حجاً، كل حجاب هو أشدّ نوراً من الذى يليه سبعين ضعفاً، فيتجلّى لهم ربّ المزة عز وجل، فيخرون له سجداً ماشاء الله، يقولون وهم ساجدون: سبحانك لك الحمد والتسبيح أبداً، أتهبتنا من الدار،

وأدخلنا الجنة ، فتح الدار وضيئنا حلك الرضا كله ، فارضى عنا ، فيقول تبارك وتعالى : قد وضعت عنكم الرضا كله ، وليس هذا ألوان عمل ، ولكن هذا حين نضرة ونعيم ، فاسألوني أعطكم ، ونمنا على أزدكم ، قال : فيمتنون من غير أن يتكلموا ، فيمتنون أن يديم لهم ما أعطاهم ، فيقول تعالى : إني مديم لكم ما أعطيتكم وزائدكم مثله ، قال : فيرفعون رموسهم بالكثير ، ولا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم إلى وجه عز وجل من شدة نور رب العزة ، وذلك المجلس يسمى شرقية عرش رب العالمين ، فيقول لهم رب العزة مرحبا يا عبادي وجبرائي وأصفائي وأحبائي وأوليائي وخيرتي من خلقي وأهل طاعتي ، قال : فإذا بين يدي عرش رب العزة منابر من نور ، من دون تلك المنابر كراسي من نور ، من دون تلك الكراسي للفرش ، اجلسوا على كراسيكم ، فيقدم الرسل فيجلسون على تلك المنابر ، ويتقدم الأنبياء فيجلسون على تلك الكراسي ، ويتقدم الصالحون فيجلسون على تلك الزرائي ، قال : فتوضع لهم مواقد من نور ، على كل مائدة سبعون لونا مكللة بالؤلؤ والياقوت ، قال فيقول رب العزة لحفنته أطعموهم ، فيضع لهم على كل مائدة سبعون ألف صحيفة من در وياقوت ، وفي كل صحيفة سبعون لونا من الطعام ، قال : فيقول عز وجل : كلوا يا عبادي ، قال : فيأكلون ما شاء الله من ذلك ، قال : فيقول بعضهم لبعض : إن طعامنا اليوم الذي عند أهلنا عند هذا حلم ، فيقول رب العزة لحفنته : اسقوا عبادي ، قال : فيأتونهم بشراب فيشربون منه ، فيقول بعضهم لبعض : إن شرابنا عند هذا الشراب حلم ، قال : فيقول رب العزة لحفنته : أطعموهم وسقيوهم ففكهمهم الآن ، قال : فيأتون بفاكهة فيأكلون منها ، فيقول بعضهم لبعض : إن فاكهتنا عند هذه حلم ، قال : فيقول رب العزة سبحانه أطعموهم وفكهمهم وسقيوهم اكسوهم وحملوهم ، قال : فيأتونهم بكسوة وحلية يكسونها ، فيقول بعضهم لبعض : إن كسوتنا وحليتنا عند هذه حلم ، قال : فيلبسهم جلوس على كراسيهم بمش الله عز وجل عليهم ريماً من تحت العرش تسمى الميرة ، فتأتيهم بمسك وكافور من تحت العرش أشد بياضاً من الثلج ، فتغفر لباسهم ورموسهم وجيوبهم فتلبيسهم ، ثم ترفع عنهم المواقد مع ما عليها من الطعام ، قال عليه الصلاة والسلام : فيقول لهم رب العزة صلوا الآن أعطكم ونمنا على أزدكم ، قال : فيقولون بأجمعهم : اللهم ربنا إنا نسألك رضاك عنا ، فيقول عز وجل : إني قد وضعت يا عبادي عنكم ، قال فيخبرون له بهذا باللسان والكثير ، فيقول رب العزة : يا عبادي ارفعوا رموسكم ليس هذا حين عمل هذا حين نظرة ونعيم ، قال : فيرفعون رموسهم ووجوههم مشرقة من نور وجههم ، قال : فيقول رب العزة عز وجل : انصرفوا إلى منازلكم ، قال : فيخرجون من عند وجهه ، ثم تلقاهم غلمانهم بدوابهم ، قال : فيركب كل واحد منهم على ناقته أو برذونه ، ويركب معه سبعون ألف غلام على منل الذي يركب ، فيسير من شاء منهم بالسواد إلى داره ، ثم يسير معه سائرهم حتى يقدم القصر الذي يريد ، قال : فإذا جاء قصره فدخل على زوجته قامت إليه فرحبت به وقالت له : جئني

ابنة يثزاورون. على سيرة مائة ألف عام وفوق ذلك، فإذا وجعوا من عند إخوانهم فلهم إحدى إلى منازلهم من أحدكم إلى منزله. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن أهل الجنة إذا رأوا ربهم عز وجل وأرادوا الانصراف، يمشي كل رجل منهم مائة خضراء فيها سبعون حبة، لكل حبة سبعون لوتاً ليس منها حبة على لون الأخرى، فإذا انصرفوا من عند ربهم عز وجل مروا في أسواق الجنة، ليس فيها بيع ولا شراء، وفيها من الحل والحلل والسندس والإستبرق والحريز والخرف واليعقري من در وياقوت وأكاليق مطفئة، فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما يملكون حله، ولا ينقص من أسواقها شيء، وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون، مكتوب على نحر كل صورة منها: من تمنى أن يكون حسنة على حسن صورتي جعل الله حسنة على صورتي، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه على تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة، قال: ثم ينصرفون إلى منازلهم فيلقاهم غلمانهم صفواً تماماً بالترتيب والتسليم، فيبشر كل واحد منهم صاحبه الذي يليه حتى يبلغ البشري زوجته، ثم يستخفها الفرح حتى تقوم إليه لتستقبله عند بابها بالترتيب والتسليم، فتعاقبه ويعاقبها فيدخلان جميعاً معتقين. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة برزت لم يرها ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا افترق بحسبها. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن آخر شراب يشربه أهل الجنة على أثر طعامهم شراب يقال له ظهور دهاق، فإذا شرب منه شربة فظم طعامهم وشرابهم فجمعه كالمسك وجشاه المسك، ولا يكون في بطونهم أدنى، فإذا شربوا اشتبوا الطعام فهذا ذابهم أبداً. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن دواب أهل الجنة خلقن من ياقوت أبيض. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: هن ثلاث جنات: الجنة، وعدن، ودار السلام، الجنة أصغر من جنة عدن سبعة آلاف ألف مرة، وإن قصور الجنة ظاهرها من ذهب وباطنها من زبرجد وأبرجها من ياقوت أحمر وشرافها نظام اللؤلؤ. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن الرجل من أهل الجنة ليستمتع عند زوجته النكاة الواحدة مقلداً سبع مائة عام ما يشعوى، ثم ناديه زوجته الأخرى من القصر أحسن منها: يا أختي قد آن لك أن تكون لنا ملك دولة، فيقول الرجل: من أنت؟ فيقول: أنا من التي يقول الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) فيشعوى إليها فيسكت عندها مقدار سبع مائة عام يأكل ويشرب ويأضيها. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها سبع مائة عام ما يقطعها تحرى من تحبها الأنهار وإن على كل غصن من غصونها مائة من مائة، طول كل مدينة منها عشرة آلاف ميل، وإن ما بين كل مدينة إلى الأخرى كما بين المشرق والمغرب، وإن ميون السبليل لتجري من تلك القصور إلى تلك المدن، وإن الورقة منها لتطيل الأمة الكبيرة العظيمة. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن الرجل من أهل الجنة إذا دخل على زوجته قالت: والله هو أكرم مني بك ما في الجنة شيء هو أحب إلي منك، قال: فيقول لها أيضاً مثل ذلك. قال: وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إن في الجنة مالا يصفه الواصفون، ولا يخطر على قلوب العالمين، ولا تسمع

به آذان الموحدين ، وفيها ما لم تره حيون المخلوقين . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل ينزل المتحابين فيه في الجنة عتق على عود من ياقوتة حراء ، غلظها سيرة سبعين ألف عام على سبعين ألف بيت ، لكل بيت قصر مشرفين على أهل الجنة ، مكتوب على جباههم كتاب من نور : هؤلاء المتحابون في الله ، إذا أطلع أحدهم من قصره إلى أهل الجنة ملائكة نور وجهه قصور أهل الجنة كما تملأ الشمس بيوت أهل الأرض ، فينظر أهل الجنة وجهه فيقول بعضهم لبعض : هذا من المتحابين في الله عز وجل ، فإذا وجهه مثل القمر ليلة البدر . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فضل حسن الرجل على حسن الخادم من أهل الجنة كمثل القمر ليلة البدر على النجوم . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن نساء أهل الجنة يتقين حد آخر طعامهم بأصوات لليلة ممدودة يقلن : نحن الثالذات فلا نحوت أبدا ، ونحن الآثبات فلا نخاف أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، ونحن الثابتات فلا نهرم أبدا ، ونحن الكاسيات فلا نعرى أبدا ، ونحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن طير الجنة له سبعون ألف ريشة ، لكل ريشة منها لون ليس يشبه الآخر ، عظم كل طير منها ميل في ميل ، إذا اشتبه المؤمن شيئا من أئمة فوضع في جوف الصحيفة ، فانتفض فوقع منه سبعون لونا من الطعام من نحو طيرك وشيء وألوان شتى ، طعمها أطيب من اللب ، ولونها ألين من الزبد ، وبياضها أشد بياضا من الفضة ، فإذا أكل منها انتفض وطار ولم تنقص منها ريشة ؛ فطيرهم ومراكبهم ترمي في رياض الجنة حول قصورهم . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أهل الجنة يعطيهم الله تعالى خواتم من ذهب يلبسونها وهي خواتم الخلد ، ثم يعطيهم خواتم من نور وياقوت ولؤلؤ ، وذلك إذا زاروه في دار السلام . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أهل الجنة إذا زاروا ربهم أكلوا وشربوا وتمتعوا ، قال : يقول رب العزة عز وجل : يا داود مجددي بصوتك الحسن ، فيمجده ما شاء الله تعالى من ذلك فلا يبقى شيء في الجنة إلا أنصت لحسن صوته ولذاته ، ثم يجيهم رب العزة عز وجل بالكسوة والخليفة ، ثم يصرفون إلى أهلهم . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لكل رجل من أهل الجنة شجرة يقال لها طوى ، فإذا أراد أحدهم أن يلبس الكسوة المرتفعة انطلق إلى طوى ففتحت له أكمامها ، وهي سنة ألوان في كل واحد منها سبعون لونا ، ليس منها ثوب لونه على لون الآخر ولا على وشبهه ، فيأخذ من أي ذلك شاء . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أزواج أهل الجنة مكتوب في حجر كل امرأة منهن أنت حبيبي وأنا حبيبك ، ليس عنك معدل ولا عنك مقصر ، وليس لك في قلب غل ولا غش ، فينظر الرجل إلى حجر زوجته فيرى سواد كبدتها من وراء عظمها ولحمها ، فكبدته لما مرآة وكبدتها له مرآة ، ولا يهيبها ذلك إلا كما يهيب الياقوت السلك فيه ، بياضهن كبياض المرجان وصفقهن كصفق الياقوت ، قال الله عز وجل (كأنهن الياقوت والمرجان) . » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أهل الجنة على التوق والبراقين يقع غف إحداهن عند أقصى

طرفها ، وموضع حافر ذلك البرزون عند أقصى طرفه خلقت من حرّ وباقوت ، عظم كل دابة منهن سبعون ميلا ، أومة النوق والبرافين خلق المزلو والزبرجد :

(فصل : في قوله عز وجل (فرقاهم الله شرّ ذلك اليوم) والقام نضرة وسرورا) إلى آخر صفة أهل الجنة) أما قوله (فرقاهم الله شرّ ذلك اليوم) يعنى يوم القيامة يقسم فيه شدة الحساب وهول جهنم ، إذا جرى بها في عرصات القيامة يقودها تسعة عشر خلقا من الملائكة ، مع كل خازن منهم سبعون ألف ملك أعوان له خلاط شداد كالخلة أنباهم ، أعينهم كالبصر والوانهم كذهب النار ، بطور من مناخرهم لبّ ودخان حال مستعدين لأمر الجبار تبارك وتعالى ، فيقودها كل خازن وأمرانه بولاق وسلسلة عظيمة ، فتارة يمشون عن يمينها وأخرى عن شمالها ، ومرة من ورانها ، بيد كل ملك منهم مقبض من حديد ، يصيحون بها قمتشى ، ولها زفير وشيق ووعث وظلمة ودخان وقمعة وغب حال من شدة غضبها على أهلها ، فينصبونها بين الجنة والموقف ، فترفع طرفها فننظر إلى الخلائق ، ثم تجمع إليهم لأكلهم ، فتحبسها الخزنة بسلاسلها ولو تركت لأثمت على كل مؤمن وكافر ، فإذا رأيت أنها قد حبست هن الخلائق قارت فورة شديدة كادت تمز من الفم ، ثم شبت الثانية فسمعت الخلائق صوت حريف أسنانها ، فلومدت عند ذلك الأكلة ، وانخلعت القلوب ، وطارت الأفئدة ، وشخصت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، ثم تفر زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد من شهد الموقف إلا جلا على ركبته ، ثم تفر أخرى فلا يبقى نظرة في عين أحد إلا ندرت ، ثم تفر الثالثة فلا كانة لكل آدمي أوجي عمل التين وسبعين نيا لظنوا أنهم موافعوا لابن جود منها ، ثم تفر الرابعة فلا يبقى شيء إلا انقطع كلامه وبتن جبريل وميكائيل وعليل الرحمن عز وجل بالعرش يقول كل واحد منهم نفسى نفسى لا أسألك غيرها ، ثم ترى بشر منها كمدا يحرم الساء عظم كل شرارة منها كالسحابة المطيعة الطالعة من المغرب ، فيقع ذلك الشر على ريعس الخلائق ، فهذا هو الشر الذى وقاه الله المؤمنين الذين يرفون بالنور ويخافون عذابه أن يقع بهم ، فانه تعالى يكنى أهل التوحيد والإيمان وأهل السنة شرّ ذلك اليوم ، والقام برحمة ويسر حسابهم ويدخلهم جنته ويخلصهم فيها أبدا الآباد بمنه ، ويزيد الكافرين وأهل الشرك والأوثان شرّا إلى شرّ وخوفا إلى خوف وعذابا إلى عذاب ، فيدخلهم جهنم ويخلصهم فيها أبدا الآباد ، ثم قال عز وجل (ولقاهم نضرة وسرورا) فالنضرة في الوجوه والسرور في القلوب ، وذلك أن المؤمن إذا خرج من قبره يوم القيامة نظر أمامه ، فإذا هو بياض وجهه مثل الشمس يضيحك طيب النفس ، وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج ، فينظر إليه حتى يدنو منه ، فيقول : سلام عليك يا ربّ الله ، فيقول : وعليك السلام من أنت يا عبد الله حل أنت ملك من الملائكة ؟ فيقول لا والله ، فيقول : أنت نبي من الأنبياء ؟ فيقول : لا والله ، فيقول : أنت من المقرّين ؟ فيقول : لا والله ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا حملك الصالح جنت أمهلك بالجنة والنجاة من النار ، فيقول له : يا عبد الله أتعلم ذلك نخبرنى ؟ فيقول : نعم ، فيقول : ما تريد منى ؟

فیقول له اركبني ، فيقول له : سبحان الله ما ينبغي لك ان يركب عبده ، فيقول : بل فليدع ظالمًا وركبتك في دار الدنيا ، فإني أسألك بوجه الله إلا ما ركبتني ، فيركبه ، فيقول له : لا تخف أنا ذاك إلى الجنة ، فيفرح فيبين ذلك الفرح في وجهه حتى يتلأأ ، ويرى فيه النور والسرور في قلبه ، فذلك قوله عز وجل (ولقاهم نضرة وسرورا) . وأما الكافر فإذا خرج من قبره نظر أمامه ، فإذا هو برجل فيجرح الوجه أزرق العينين أسود أشد سوادا من القبر في ليلة مظلمة ، ونياها سود ، يجر أنيابه في الأرض يدب يدب دبة الرعد ورجه أنثى من الحيفة فيقول : من أنت يا عبد الله ؟ ويريد أن يعرض عنه بوجهه ، فيقول : يا عدو الله إلى أنت في وأنا لك اليوم ، فقال : ويحك أسيطان أنت ؟ فيقول : لا والله ، ولكني عملك الطالح ، فيقول : ما تريد مني ؟ فيقول أريد أن أركبك ، فيقول له : أشدك بالله مهلا ، فإني تفضيحتني على دعوس الخلائق ، فيقول : والله ما منه بد فعلمنا ركبتني فأنا اليوم أركبك ، قال : فيركبه ، فذلك قوله عز وجل (وهم يصلون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) ثم ذكر عز وجل أوليائه فقال (وجزاهم) بعد البشارة بما صبروا على البلاء وأداء الأوامر ، وإنهاء الناهی والتسليم في القدر (جنة وحريرا) أما الجنة فيجتمعون فيها ، وأما الحرير فيلبسون ، قال (متكئين فيها) يعني في الجنة (على الأرائك) يعني السرر عليها الحجال يعني السر (لا يرون فيها حسنا ولا زمهيرا) يعني ولا يهيبهم حر الشمس ولا يبرد الزمهرير ، لأنه ليس فيها شتاء ولا صيف ، ثم قال عز وجل (ودانية عليهم ظلالا وذلک قطوفها تذلیلا) يعني ظلال الشجر ، وذلك أن أهل الجنة يأكلون من الفواكه إن شاءوا قیاما وإن شاءوا قعودا وإن شاءوا نياما ، وإذا أرقعوها ذلت منهم حتى يأكلوا منها ثم يقوم أحدهم قائما ، وذلك قوله عز وجل (وذلک قطوفها تذلیلا) ثم قال عز وجل (ويوطأ عليهم بآنية من فضة وأكواب) فهي الأكواب يعني الكيزان مدورة الرموس التي ليست لها عرا ، وقال عز وجل (قواریر) یعنی هي قوارير ولكننا من فضة ، وذلك أن قواریر الدنيا من ترابها ، وقواریر الجنة من فضة (قنودها تقدیرا) یعنی قنود الأكواب على الإناء وقدر الإناء على كثرة الخادم على رضى القوم إذا سفوها لم يبق فيها شيء ، ولم يزد عليه فكانت قدرا على الإناء وكثرت الخادم ورضى القوم ، فذلك قوله تعالى (قنودها تقدیرا) وقال تعالى (ويسقون فيها كأسا) یعنی خرا ، وكل إناء لأخره فليس هو بكأس ، وقال تعالى (كان مزاجها زنجیلا) یعنی كئيبا قد مزج فيها الزنجیل ، ثم قال عز وجل (عینا فيها نسیم) مسیلا) یسئل عليهم من جنة عدن ، فتمر على كل جنة ثم ترجع نعم الجنة كلها ، قال تعالى (ویطوف عليهم ولذان یحلمون) فالولذان : هم الظلمان الذين لا یشیبون أبدا فهم یحلمون ، یعنی لا یحلمون ولا یكبرون أبدا ، ظلمان (إذا رأیتهم حسبهم أولوا) في الحسن والیاس (متورا) في الكثرة ، یعنی مثل الأول للثور الذي لا یدری ما عدده ، ثم قال عز وجل (وإذا رأیت سم) یعنی هناك من الجنة (رأیت نعما وملكا کثیرا) ، وذلك أن رجلا من أهل الجنة له قصر ، في ذلك القصر سبعون قصرا ، في كل قصر سبعون بيتا ، كل بيت من أولوة بمجموعة طولا

فى السماء فرسخ وعرضها فرسخ فى فرسخ ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، فى ذلك البيت سرير مشوح بقضبان النر والياقوت من بين السرى ، وعن يساره ، وأربعة آلاف كرمى من ذهب قوائمها من ياقوت آخر ، على ذلك الهرير سبعون قرشا ، كل قرش على لون ، وهو متكى على يساره ، عليه سبعون حلة من ديباج ، التى على جسده حريرة بيضاء ، وعلى جبينه إكليل مكلل بالزبرجد والياقوت وألوان الجواهر ، كل جوهرة على لون ، وعلى رأسه تاج من ذهب فيه سبعون زاوية ، فى كل زاوية حرة تساوى مال المشرق والمغرب ، وفى يده ثلاثة أسورة : سوار من ذهب ، وسوار من فضة ، وسوار من لؤلؤ ، وفى أصابع يديه ورجليه خواتم من ذهب وفضة فيه ألوان القصوى ، وبين يديه عشرة آلاف كلام لا يكبرون ولا يشيرون أبدا ، وتوضع بين يديه مائدة من ياقوتة حراء طولها ميل فى ميل ، ويوضع على المائدة سبعون ألف إناء من ذهب وفضة ، وفى كل إناء سبعون لوتا من الطعام ، فى أخذ القمه يديه ، لما يخطر على باله غيرها حتى تتحرك القمه عن حاملها إلى الحالة التى يشيها ، وبين يديه غلمان بأيديهم أكواب من فضة وألوان من فضة ، ومعهم الخمر والماء ، فى كل على قدر أربعين رجلا من الألوان كلها ، فإذا شبع من لون من الطعام مقوه شربة مما يشي من الأشربة فيتجشى ، فيفتح الله عز وجل عليه ألف باب من الشهوة ، ويشرب حتى يمرق ، فإذا عرق ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة إلى الطعام والشراب ، ويدخل عليه الطير من الأبواب كأمثال التجائب العظام ، فيقومون بين يديه صفا فيمت كل طير نفسه بصوت مطرب ليلذ أذنه من كل غناء فى الدنيا ، يقول يا ولئ الله كلنى فى كذا وكذا فى رياض الجنة ، وأشرب من عين كذا وكذا فيجملون إليه أصواتهم ، فيرفع بصره فينظر إلى أعلاها صوا وأجودها نفا فيشيها ، فيعلم الله عز وجل ما قد استقر فى قلبه من حبه ، فيجىء ذلك الطير فيقع على المائدة بعضه قديد وبعضه شوى ، أشد بياضا من الثلج وأحل من العسل ، فى كل حتى إذا شبع منها واكتفى صار طيرا كما كان ، فيخرج من الباب الذى كان دخل منه ، فهو على الأرائك وزوجته مستقبلة ، يصر وجهه فى وجهها من الصفاء والبياض ، كلما أراد أن يجامعها نظر إليها فيستحي منها أن يدعوها ، فعلم ما يريد منها زوجها ، فتدنى إليه فتقول : بأى وأى أرفع رأسك وانظر إلى ذلك اليوم لى وأنا لك ، فيجامعها على قوة مائة رجل من الأولين ، وعلى شهوة أربعين رجلا ، فلما أنشأها وجدها حراء لا يغفل عنها مقدار أربعين يوما ، فإذا فرغ وجد وجد المسك منها فيزداد حالها زوجة وفيها له أربعة آلاف وثمانمائة مثلها ، لكل زوجة سبعون خادما وجارية ، وروى عن حلى بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن جارية أو خادما أخرجت إلى الدنيا لاقتل عليها أهل الدنيا كلهم حتى يفتانوا ، ولو أن الحور العين أخرجت ذواتها فى الأرض لأطقت نور الشمس من نورها ، قيل يا رسول الله ، وكيف بين الخادام والخدوم قال : والذى نفسى بيده ، إن بين الخادم والخدوم كالنكوب الملقط إلى جنب القصر فى النصف ، قال : فيبنا هو جالس على سريره إذ بعث الله عز وجل إليه

ملکا معه سبعون حلة ، کل حلة علی لون ، قد غابت بین أصبحی الملک ومعه التسلیم والرضا ، فبحیء حتی یقوم علی بابہ فیقول حاجبه : ائذن لی علی ولی الله فانی رسول رب العالمین الیه ، فیقول الحاجب : وهما ما أمک منه المناجاة ، ولكن ما ذکرک الی من یبئی من الحجة ، فلا یزالون یدکر أمره بعضهم الی بعض حتی یأتیہ الخیر بعد سبعین ، باباً ، فیقول : یا ولی الله إن رسول رب العزة علی الباب ، فیاذن له بالدخول علیه ، فیدخل الملک فیقول : السلام علیک یا ولی الله إن رب العزة عز وجل یقرنک السلام وهو عنک راضی فلو لا أن الله عز وجل لم یفرض علیه الموت لمات من الفرح ، فذلک قوله عز وجل (ورضوانه من الله اکبر ، ذلک هو الفوز العظيم) وذلک قوله تعالی (إذا آیات) یعنی یا محمد (ثم رأیت نعیما) یعنی هنالك النعم الذي هو قیه (وملکا کثیرا) حین لا یدخل علیه رسول الله رب العالمین إلا بإذن ، ثم قال جل وعلا (علیهم ثیاب مستس تحضر واستبرق) یعنی الثیاب ، وإنما قال علیهم لأن الذی یلی جسده حریرة بیضاء ، ثم قال (وحلوا الساور من فضة) وفی آیه أخرى (یحلون فیها من أساور من ذهب ولؤلؤا) فهی ثلاث أسورة ، ثم قال عز وجل (وسقام ربهم شربا طهورا) وذلک أن علی باب الجنة شجرة ینبع من ساقها حیثان ، فإذا جاز الرجل الصراط الی العینین یدخل فی عین منها فیصل فیها ، وریحه أطیب من المسک ، طوله سبعون ذراعا فی السماء علی طول آدم علیه السلام ، فأعمل الجنة کلهم رجالهم ونسأهم علی قدر واحد فی مبلاد عیسی علیه السلام أبناء ثلاث وثلاثین سنة ، یکبر الصغیر حتی یمیر ابن ثلاث وثلاثین سنة ، ینحط الشیخ عن حاله الی ثلاث وثلاثین سنة ، کلهم رجالهم ونسأهم علی قدر واحد فی حسن یوسف بن یعقوب علیهما السلام ، یشرب من العین الأخری ، فینی ما فی صدره من غل "أوم" أو حسد أو حزن ، فیظهر الله عز وجل قلبه بذلك الماء ، فیخرج قلبه علی قلب أبوب ، ولسانه علی لسان محمد صل الله علیهما وسلم عربی ، ثم ینطلقون حتی یأتوا الباب ، فتقول لهم الخزنة : طیبم ، فیقولون نعم ، فیقولون : ادخلوها خالئین ، یشرونهم بالخلود قبل الدخول بأنهم لا یتخرجون أبدا ، قالوا ما یدخل من باب الجنة ومعه الملكان اللذان کاتا معه فی دار الدنيا الکرام الکاتبین ، فإذا هو بملک معه نجیبة من یاقوتة خضراء کان زمامها من یاقوتة حمراء ، علیها راحلة مقدما ومؤخرها حر ویاقوت ، وصحفتها الذهب والفضة ، ومعه سبعون حلة ، فلیتسها ویضع علی رأسه التاج ، ومعه عشرة آلاف غلام کائزوا المکتون . فیقول : یا ولی الله اربک فإن هذا لك ، ولك مثلیا ، فیرکبها ولها جناحان یتخطونها منشی البصر ، فیسیر علی نجیبة وبت یدیه عشرة آلاف غلام ، ومعه الملكان اللذان کاتا معه فی الدنيا حتی یأتی الی قصوره ، فیتزقا ، ثم قال عز وجل : إن هذا الذی وصفت لکم فی هذه الصورة السورة کان لکم جزء لأعمالکم من حسن الثواب (وکان سبعکم) أی عملکم (مشکورا) یعنی شکر الله عز وجل أعمالکم ، فأجابکم الجنة .

مجلس : فی فضائل شهر رجب

قال الله عز وجل (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم) سب نزول هذه الآية أن المؤمنين ساروا من المدينة إلى أهل مكة قبل أن يفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنا نخاف أن يقاتلنا كفار مكة في شهر حرام ، فأذن الله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله) يعني في هلال المحفوظ (يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) يعني رجب ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرّم واحد فرد ، وهو رجب وثلاثة سرد متتابعة (ذلك الدين القيم) يعني الحساب القيم المستقيم (فلا تظلموا فيه أنفسكم) يعني في الأشهر الحرم تحصى الله تعالى بالنبي هذه الأربعة الأشهر ليبيّن لنا تمييزها لعظم حرمتها وتأكيدها بالنبي عن الظلم فيها على غيرها من الشهور ، وإن كان الظلم منها عنه في سائر الشهور ، كما قال الله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وهي العصر ، وإن كان الأمر شاملا في المحافظة بجميع الصلاة ، وإنما أفرد الوسطى بالصلاة بالذكر لما ذكرنا من الاختصاص وتمييز في الحرمة والتأكيد يعني بالظلم لا نقتلوا فيه أحدا من مشركي العرب إلا أن يدهوكم بالنقل ، وقال أبو يزيد رحمه الله التظلم هو الترك لطاعة الله تعالى والعمل بماصى الله عز وجل . وقال غيره : هو وضع الشيء في غير موضعه ، وهو رابع إلى ذلك ، ثم قال تعالى (وقاتلوا المشركين) يعني كفار مكة (كافة) جميعا (كما يقاتلونكم كافة) يعني إن قاتلوكم في الشهر الحرم لقاتلهم جميعا (واعلموا أن الله) في النصر (مع المؤمنين) . واختلف أهل التفسير في الدين القيم ، فقال مقاتل رحمه الله : الدين القيم هو الدين الحق . وقال آخرون : هو الدين الصادق ، وهو دين الإسلام . وقال آخرون : هو دين الحنيفية . وقال آخرون : الدين القيم هو الذي أمر الله به للمسلمين .

(فصل) رجب : هو اسم من الأسماء المشقة ، واشتقاقه من الترجيب ، والترجيب : هو التعظيم عند العرب ، يقال : رجبته هذا الشهر : إذا عظمته . ومن ذلك قول الحباب بن المنذر بن الجهم يوم سقيفة بني ساعدة ، يوم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلف المهاجرون والأنصار في أمير يصيرونه ، فقالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، قصة الشهيرة ، فنضب الحباب ، فسل سيفه وقال : أنا جليلها المحكك ، (وحديثها المرجب : أي أنا العظيم أو قوي ، اللطاع فيهم . والعقيق : تصغير حلق ، وهو النخلة الكريمة على أهلها ، كانوا يعمدونها إذا مالت لئلا تسقط ، والرجبة : البناء الذي يكون حول النخلة . وقوله : جليلها المحكك : جليل : تصغير جليل ، وهو الجلع والنخلة التي تحك بها الإبل الجراء . وقيل : الجلع حود يتصب في معطن الإبل يحك بالفضال . وقال أبو زيد : عن يحيى بن زباد الفراء : إنما سمى رجب لأنهم كانوا يرجون الأهل في هذا الشهر على النخل ، ويشدون

بالخوص إلى السعف لئلا تنفضها الرياح ، يقال منه : رجب الخلة ترجيا : إذا فعلت بها ذلك . وقال آخرون : الترجيب : أن يوضع الشوك على الأعلاق حقا لما من تناول أهدى المستطعين والنجس من ثائر آخر على الأرض . وقال آخرون : الترجيب : أن تدم الخلة إذا مالت بدعامة لئلا تسقط وتخر . وقال آخرون : هو مأخوذ من قول العرب : رجب الشيء : أوى ربه ربه . وقال آخرون : الترجيب : التأهب والاستعداد ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : إنه ليرجب فيه خير كثير لشعبان . وقال آخرون : الترجيب : تكرر ذكر الله تعالى وتعظيمه ، لأن الملائكة يرجون أصواتهم فيه بالنسيح والتحميد والتقدس لله عز وجل ، ويقال : شهر رجب بالميم أيضا ، فيكون معناه : ترجم فيه الشياطين حتى لا يؤذوا فيه المؤمنين ، فرجب ثلاثة أحرف ، راء وجيم وياء ، فالراء : رجة الله عز وجل ، والجم : جود الله تعالى ، والياء : بر الله عز وجل ، فمن لوك هذا الشهر إلى آخره من الله عز وجل ثلاث عطايا لعباد رجة الله بلا عذاب ، وجود بلا بخل ، وبر بلا جفاء .

(فصل) ولرجب أسماء أخر : منها أنه سمي رجب مضر ، ومنصل السنة ، وشهر الله الأصم ، وشهر الله الأصم ، والشهر المطهر ، والشهر السابق ، والشهر القرد . ولما قولم رجب مضر ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خطبه : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، وإنما عرف موضعه بقوله : بين جمادى وشعبان ، إطلاعا للنسب الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية ، وهو قوله عز وجل (إنما النسب من أجله) ، فبطل به الذين كفروا) وذلك أن العرب في الجاهلية كانت إذا أرادت الصدور من منى قام رجل من بني كنانة يقال له نعم بن ثعلبة ، وكان رئيس القوم ، فيقول : أنا الذي أجاب ولا أعاب ولا يرد لي قضاء ، فيقولون له : صدقت ، أنسنا شيئا ، يريدون أنصر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر : وأحل لنا المحرم ، وإنما دعاهم إلى ذلك لئلا تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغفرون فيها ، وقد كان معاشهم من الإغارة ، فيفعل ذلك عاما ، ثم يرجع إلى تحريم المحرم ، وإباحة صفر ، فذلك الإنشاء . ومنه قيل : نسا الله في أجله ، وأنسا الله أجله ، فوصف النبي صلى الله عليه وسلم رجب بصفتين وقيدته بعنتين : أحدهما قوله « رجب مضر » ، لأن مضر كانت لبالح في تعظيمه وتكبيره وتحرمه . الثاني أنه قيد بقوله بين جمادى وشعبان خوفا من التقديم والتأخير ، كما جرى في تحريم المحرم إلى صفر ، فخص الشهر وقيدته ، وأبد تحريمه وأكده . وقيل : إنما سمي رجب مضر ، لأن بعض الكفار دعا على قبيلة من القبائل فيه فأهلكهم الله عز وجل . وقيل : إن الدعاء فيه مستجاب على الطائفة ، وكل جائر ، ولهذا كانت الجاهلية يؤخرون دعواتهم على ظلمهم ، فيدعون عليه في رجب فلا يرد عنها ، وأما منصل السنة ، فلأنهم كانوا ينزعون السنة فيه عن الرياح ، ويشملون سيولهم وسهامهم شيئا له وتعظيما ، فسمي بذلك

منصل الأسمه . ويقال : نصلت الشهر : إذا جعلت له نصلا ، وأصلته : إذا تركت عنه نصله .
وأما شهر الله الأصم ، فلما روى عن عثمان رضي الله عنه أنه لما استبسل رجب رقى
النير يوم الجمعة وخطب ثم قال : ألا إن هذا شهر الله الأصم ، وهو شهر زكاتكم ، فمن كان
عليه دين فليؤده ، ثم ليترك ما بقى . قال ابن الأثير : أما قوله الأصم ، فأنما سمى بذلك
لأن العرب كانت تظلل تحارب بعضها بعضا ، فإذا أهل رجب وضعوا السلاح ونزعوا الأسلحة ،
فلا تسمع فيه قطعة السلاح ، ولا صلصلة الرماح ، وكان الرجل إذا ركب في طلب قاتل أبيه
فإذا رآه في رجب لم يتعرض له ، كأنه لم يره ولم يسمع له خيرا ، فسمى أصم لذلك . وقيل :
سمى أصم لأنه لم يسمع فيه غضب الله تعالى على قوم قط ، لأن الله تعالى عذب الأمم الماضية
في سائر الشهور ، ولم يعذب أمة من الأمم في هذا الشهر ، وفي هذا الشهر حل الله نوحا في السفينة ،
فجرت به ومن معه في السفينة ستة أشهر . قال إبراهيم النخعي : إن رجب شهر الله تعالى ، فيه
حل الله نوحا في السفينة ، فصامه نوح عليه السلام وأمر بصيامه من كان معه ، فأشبهه الله تعالى ،
ومن كان معه من الطوفان ، وطهر الأرض من الشرك والعدوان ، ورفع ذلك غيره إلى النبي
صل الله عليه وسلم ، وهو ما أخبرنا به هبة الله بإسناده عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد
رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا إن رجب من الأشهر الحرم ، وفيه
حل الله نوحا في السفينة ، فصامه نوح في السفينة ، وأمر من كان معه بصيامه ، فألجأهم الله تعالى
وأمنهم من الفرق ، وطهر الله الأرض من الكفر والطغيان بالطوفان . وقيل : إنه سمي أصم
لأنه أصم عن جفائك وزلتك وجميع بغضك يأمؤمن وشركك ، فجعله الله تعالى أصم من
جفائك وزلتك ، فلا يشهد عليك بها يوم القيامة ، بل يكون شيدا لك لما سمع من فضلك
وإحسان العمل فيه . وأما الأصم فمعناه : أنه نصب الرحمة فيه صبا على العباد ، ويعطيهم الله
تعالى من الكرمات والثواب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، من
ذلك ما أخبرنا الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك السعدي رحمه الله بإسناده عن الأعمش ، عن إبراهيم
عن علقمة ، عن ابن سعيد الحفري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن عدة
الشهور عند الله تعالى اثنا عشر شهرا ، في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة
مرم ، فرجب يقال له شهر الله الأصم ، وثلاث أشهر متواليات ، يعني ذا القعدة وذا الحجة
والفرم ، إلا أن رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمي ، فمن صام من رجب
نوما زفانا واحسانا استوجب رضوان الله الأكبر ، وأمكن القودوس الأعلى ، ومن صام منه
يومين فله من الأجر ضعفان ، ووزن كل ضعف مثل جبال الدنيا ، ومن صام من رجب ثلاثة
أيام جعل الله بينه وبين النار خلتا طوله مسيرة ستة ، ومن صام من رجب أربعة أيام حرق من
البلايا من الجنون والجذام والبرص ومن فتن المسيح الدجال ، ومن صام منه خمسة أيام وقى
من طباب القبر ، ومن صام منه ستة أيام خرج من قبره ووجهه أضواء من القمر في ليلة القدر ،
ومن صام منه سبعة أيام كان لجهنم سبعة أبواب ، يطلق الله عنه بصوم كل يوم من أيامه بابا . »

عن أبوابها ، ومن صام منه ثمانية أيام فلان الجنة ثمانية أبواب ، يفتح الله له بصوم كل يوم بابا من أبوابها ، ومن صام منه تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادي : أشهد أن لا إله إلا الله ولا يرد وجهه دون الجنة ، ومن صام منه عشرة أيام ، جعل الله تعالى له على كل ليل من الصراط فرشا يستريح عليه ، ومن صام منه إحدى عشر يوما لم يرق القيامة أفضل منه ، إلا من صام مثله أو زاد عليه ، ومن صام من رجب اثني عشر يوما كساه الله تعالى يوم القيامة حللين ، الحلة الرائحة خبير من الدنيا وما فيها ، ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوما يوضع له يوم القيامة مائدة في ظل العرش يأكل منها والناس في شدة شديدة ، ومن صام من رجب أربعة عشر يوما أعطاه الله عز وجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن صام منه خمسة عشر يوما يوقه الله تعالى يوم القيامة مواقف الآمين ، ولا يمر به ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا قال له : طوبى لك إنك من الآمين ، وفي لفظ آخر زيادة على خمسة عشر ، وهي من صام منه ستة عشر يوما كان في أوائل من يزور الرحمن وينظر إليه ويسمع كلامه ، ومن صام منه سبعة عشر يوما ينصب الله له على كل ميل من الصراط مستراحا يستريح عليه ، ومن صام منه ثمانية عشر يوما زاحم إبراهيم عليه السلام في قبره ، ومن صام منه تسعة عشر يوما بنى الله له قصرا في الجنة تجاه قصر إبراهيم وآدم عليهما السلام ، ويسلم عليهما ويسلمان عليه ، ومن صام منه عشرين يوما ، نادى مناد من السماء : يا عبد الله أما ما قد مضى فقد غفره الله لك ، فاستأنف العمل فيما بقي . وأما بطهر فلائه يظهر صائمه من الذنوب والخطيئات ، فمن ذلك ما أخبرنا به الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك السقطي رحمه الله عن الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ بإسناده عن هارون بن عترة ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شهر رجب شهر عظيم من صام منه يوما كتب الله تعالى له صوم ألف سنة ، ومن صام منه يومين كتب الله تعالى له صوم ألفي سنة ، ومن صام منه ثلاثة أيام كتب الله تعالى له صوم ثلاثة آلاف سنة ، ومن صام منه سبعة أيام أغلقت عنه أبواب جهنم ، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ، ومن صام منه خمسة عشر يوما بذلت سيئاته حسنات ، ونادى مناد من السماء : قد غفر لك ، فاستأنف العمل ، ومن زاد زاده الله تعالى ، وأخبرنا الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك بإسناده عن يونس ، عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام يوما من رجب عطف له بصيام ثلاثين سنة » وأخبرنا الشيخ الإمام هبة الله ، عن الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ بإسناده ، عن العلاء بن كثير ، عن مكحول رحمه الله قال : إن رجلا سأل أبا الدرداء رضي الله عنه عن صيام رجب ، فقال له : سألت عن شهر كانت الجاهلية تعظمه في جاهليتها ، وما زاده الإسلام إلا فضلا وتعظيما ، ومن صام منه يوما تطوعا بحسب به ثواب الله تعالى ، ويبتغي به وجهه عظميا ، أهدأ صومه ذلك اليوم يغضب الله تعالى ، وأغلق عنه بابا من أبواب النار ، ولو أعطى كل الأرض ذهبيا ما كان جزاء له ، ولا يستكمل أجر شيء من الدنيا دون يوم الحساب ،

وله إذا أُمسى عشر دعوات مستجابات ، فإن دعا به ثلثي من عاجل التبتا أعطاه ، وإلا أخر له من الخير كأفضل ما دعا به داع من أولياء الله تعالى وأصحابه الصادقين ، ومن صام يومين كان له مثل ذلك ، وله مع ذلك أجر عشرة من الصديقين في عمرهم ، بالغة أعمالهم ما بلغت ، ويشفع في مثل ما يشفعون فيه ، ويكون في زميرهم حتى يدخل الجنة معهم ، ويكون من رفقاتهم . ومن صام ثلاثة أيام ، كان له مثل ذلك ، وقال الله تعالى عند إلفطاره : لقد وجب حق عبدي هذا وجبت له عبيتي وولائي ، أشهدكم باملائكتي أني قد عفرت له من ذنبه ما تقدم وما تأخر . ومن صام أربعة أيام كان له مثل ذلك ، وثواب أولى الأبواب التوابين ، ويعطى كتابه في أوائل الفائزين . ومن صام خمسة أيام كان له مثل ذلك ، ويعت يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، ويكتب له عدد رملي عالج حسنات ، ويدخل الجنة ، ويقال له نحن على خلقه ماشقت . ومن صام ستة أيام كان له مثل ذلك ، ويعطى سوى ذلك نوراً يستضيء به أهل الجمع في القيامة ، ويعت في الآمنين حتى يمر على الصراط بغير حساب ، ويعاى من عقوق الوالدين وقطيعه الرحم ، ويقبل الله عليه بوجهه إذا لقيه يوم القيامة . ومن صام سبعة أيام كان له مثل ذلك ، ويغلق عنه سبعة أبواب النار ، ويحرمه الله على النار ، ويوجب له الجنة يتبوأ منها حيث يشاء . ومن صام ثمانية أيام كان له مثل ذلك ، وفتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من أي باب شاء . ومن صام تسعة أيام كان له مثل ذلك ، ويرفع كتابه في عليين ، ويعت يوم القيامة في الآمنين ، ويخرج من قبره ووجهه نور يظللاً ، ويشرق لأهل الجمع حتى يقولوا هذا نبي مصطفى ، وإن أدنى ما يعطى أن يدخل الجنة بغير حساب . ومن صام عشرة أيام فيخ فيخ له ، فيعطى مثل ذلك وعشرة أضغاله ، وهو ممن يبدك الله حسناته حسنات ، ويكون من المقربين القوامين لله بالقسط ، وكان كمن عبد الله ألف عام صائماً قائماً صابراً محسباً ، ومن صام عشرين يوماً كان له مثل ذلك وعشرون ضعفاً ، وهو ممن يزاحم إبراهيم خليل الله عليه السلام في قلبه ، ويشفع في مثل ربيعة ومضر ، كلهم من أهل الخطايا وأهل الذنوب . ومن صام ثلاثين يوماً كان له مثل ذلك وثلاثون ضعفاً ، ويتأدى مناد من السماء : يا ولي الله أبشر بالكرامة العظمى ، قال : وما الكرامة العظمى ؟ قال : النظر إلى وجه الله تعالى الجليل ، ومراقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، طوبى لك غدا إذا كشف الغطاء ، وأفضيت إلى جسم ثواب ربك الكريم ، فإذا نزل به ملك الموت سقاء الله تعالى عند خروج نفسه شرية من حياض الفردوس ، ويهون عليه سكرات الموت حتى ما يجد ألم الموت ، ويقل في قبره ريان ، ويظل في الموقف ريان حتى يرد حوض النبي صل الله عليه وسلم ، وإذا خرج من قبره شبيه سبعون ألف ملك ، معهم التجائب من اللؤلؤ والياقوت ، ومعهم طرائف الخلق والخلل ، فيقولون له : يا ولي الله ، التجاء التجاء إلى ربك عز وجل الذي أنعمت له نهارك ، وأنعمت له جسمك ، فهو من أولئك الناس دخولاً جنات عدن يوم القيامة مع الفائزين ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك هو الفوز العظيم . قال : وإن كان له

في كل يوم يصومه صدقة على ربة قوته ، تصدق بها ، فهيئات هيئات ثلاثاً ، لو اجتمع جميع الثلاث على أن يتكبدوا قنار ما أعطى ذلك العيد من الثواب ما بلغوا معشار العشر مما أعطى الله ذلك العيد من الثواب . وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : من قرّج عن مؤمن كربة في شهر رجب ، وهو شهر الله الأصم ، أعطاه الله تعالى في الفردوس قصراً مذكّراً بصرة ألا فأكبروا رجب يحكمكم الله عز وجل بألف كرامة . قال عتبة بن سلامة بن قيس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من تصدق في رجب بأعده الله تعالى من النار كقنار غراب طار غرباً من وكرة ، وهو في الهواء حتى مات حرماً ، وقيل الغراب يعيش خمسين عام . وأما السابق فلائحة أول الأشهر الحرم . وأما الفرد فلائحة مفرد عن إخوانه ، كما روى ثور بن يزيد . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في خطبته « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد : رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » . (فصل آخر) وعن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمي » . وعن موسى بن عمران قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة نهرًا يقال له رجب ، أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، من صام يوماً من رجب سفا الله من ذلك النهر » . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : إن في الجنة قصراً لا يدخله إلا صوام رجب . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : لم يصم رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً بعد رمضان إلا رجب وشعبان . وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام ثلاثة أيام من الشهر الحرام : الخميس والجمعة والسبت ، كتب الله له عيادة تسعمائة سنة » . وقيل رجب : ترك الجفاء ، وشعبان لفعل الجفاء ، ورمضان تصديق والصفاء . رجب شهر الثوبة ، شعبان شهر الحبة ، ورمضان شهر العبادة ، شعبان شهر الزمادة ، ورمضان شهر الزيادة . رجب شهر يقضاه الله فيه الحسنات ، شعبان شهر تكفر فيه السيئات ، ورمضان شهر تنتظر فيه الكرامات . رجب شهر السابقين ، شعبان شهر المقتصدين ، ورمضان شهر المعاصرين . وقال ذو النون المصري رحمه الله : رجب ترك الآفات ، وشعبان لاستكمال الطاعات ، ورمضان لانتظار الكرامات ، فمن لم يترك الآفات ولم يستعمل الطاعات ولم ينتظر الكرامات فهو من أهل الترحات . وقال أيضاً رحمه الله : رجب شهر الزرع ، وشعبان شهر الحنق ، ورمضان شهر الحصاد ، وكل يحصد ما زرع ، ويُحزق ما صنع ، ومن ضيع الزراعة تدم يوم حصاده ، وأتلف ظنه مع سوء معاده . وقال بعض الصالحين : السنة شجرة ، ورجب أيام إزالتها ، وشعبان أيام إثمارها ، ورمضان أيام نطقها . وقيل : رجب واجب للمنفرة من الله تعالى ، وشعبان بالشغافة ، ورمضان بتضيق الحسنات ولبلة القنار بإتزال الرحمة .

(١) لم يبق ذكر لرواية هذه الكيفية (عن موسى بن عمران عن أنس) فليترك . اهـ . مصحح .

ویوم عرفہ بإقبال اللہین ، کما قال اللہ تعالیٰ (اليوم آکلت لکم دینکم) ، ویوم الجمعة بإجابة أوعية الداعین ، ویوم القیام بالحق من النار ، وفکاک رقاب المؤمنین . قال المنزی : عن الحسن بن علی رضی اللہ عنہما اللہ قال : صوموا رجب فإن صوم رجب ثوبة من اللہ عز وجل . وروی عن سلمان الفارسی رضی اللہ عنہ قال : سمعت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یقول : « من صام یوما من رجب ، فکأنما صام ألف سنة ، وکأنما اعتق ألف رقبة ، ومن تصدق فیہ بصدقة ، فکأنما تصدق بألف دینار ، وکتب اللہ له بكل شجرة حلی بدنة ألف حسنة ، ورفعہ ألف درجة ، وعاشه ألف سنة ، وکتب له بكل یوم بصومه وبکلم صدقة بتصدق بها ألف حسنة وألف عمرة ، وبني له فی الجنة ألف دار وألف قصر وألف حجرة ، وفي کل حجرة ألف مقصورة ، وفي کل مقصورة ألف حوراء أحسن من الشمس ألف مرة . (فصل: فی فضل صیام أولک یوم من رجب، وقيام أولک ليلة منه) أخبرنا الإمام الشیخ حبة اللہ السقطی رحمه اللہ بإسناده عن أنس بن مالک رضی اللہ عنہ ، قال : « کان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم إذا دخل رجب ، قال : اللهم بآرک لنا فی رجب وشعبان وبلغنا رمضان . » وأخبرنا الشیخ الإمام حبة اللہ بإسناده عن میمون بن مهران بإسناده عن أنس رضی اللہ عنہ ، عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال « من صام أولک یوم من رجب عدل صیام شهر ، ومن صام سبعة أيام خلعت عنه أبواب جهنم السبعة ، ومن صام ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، ومن صام منه عشرة أيام ، بدک اللہ سیئاته حسنات ، ومن صام منه ثمانية عشر یوما نادى ملائکة من السماء : قد غفرک فاستأنف العمل . » وأخبرنا الشیخ الإمام حبة اللہ بإسناده عن سلامة بن قیس یرويه إلى النبی صلی اللہ علیہ وسلم « من صام أولک یوم من رجب کفر اللہ عنه ذنوب سنین سنة ، ومن صام خمسة عشر یوما حاسبه اللہ حسابا یسرا ، ومن صام ثلاثین یوما من رجب کتب اللہ تعالیٰ له رخصاته ولم یعد به . » وروی أن عمر بن عبد العزیز رحمه اللہ کتب إلى الحجاج بن أرقط وهو علی البصرة . وقیل : إلى عدی بن أرقط : عليك بأربع لیل فی السنة ، فإن اللہ تعالیٰ یفرغ فیہن الرحمة إزواها ، وهی أولک لیل من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة السابع والعشرين من رمضان ، وليلة القطر . وعن خالد بن معدان رحمه اللہ أنه قال : خمس لیل فی السنة من وأطلب علیہن رجاء ثوابین ، وتصدقن بوعدهن ، أدخله اللہ تعالیٰ الجنة : أول لیل من رجب یقوم لیلهای ویصوم نهارها ، ولیلتي العیدین یقوم لیلهما ویفطر نهارهما وليلة النصف من شعبان یقوم لیلهای ویصوم نهارها ، وليلة عاشوراء یقوم لیلهای ویصوم نهارها . (فصل) وقد جمع بعض العلماء رحمهم اللہ اللیل التي یستحب إحیائها فقال : إنها أربع عشرة لیل فی السنة ، وهی أول لیل من شهر المحرم ، وليلة عاشوراء ، وأول لیل من شهر رجب ، وليلة النصف منه ، وليلة سبع وعشرين منه ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة عرفة ، وليلة العیدین ، وخمس لیل منها فی شهر رمضان وهن وتر لیل العشر الاواخر ، وکذلك یستحب مواصلة سبعة عشر یوما بالاکواراد والمواظلة علی العبادة فیها . وهی : یوم عرفة ، یوم عاشوراء ، ویوم

النصف من شعبان ، ويوم الجمعة ، ويوم العيلين ، والأيام المعلومات وهي عشر ذى الحجة والأيام المحدودات وهي أيام البشريق ، وأكثها يوم الجمعة وشهر رمضان ، لما روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام ، وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » ثم أكد الأيام وأفضلها بعد ذلك يوم الاثنين والخميس ، هما يومان ترتفع فيهما الأعمال إلى الله عز وجل .

(فصل : في الأدعية المأثورة في أول ليلة من رجب) ويستحب أن يدعو في أول ليلة من رجب إذا فرغ من صلاته بهذا الدعاء وهو أن يقول : إلهي تعرض لي في هذه الليلة المتعرضون وقضك القاصدون ، وأكمل فضلك ومعروفك الطالبون ، ولك في هذه الليلة تفحات وجوائز وعطايا ومواهب ، تمن بها علي من شاء من عبادك ، وتمتعها بمن لم تسبق له العناية منك ، وما أنا عبدك الفقير إليك ، المومل فضلك ومعروفك ، فإن كنت يا مولاي تفضلت في هذه الليلة علي أحد من خلقك وجئت علي بعائلة من عطفك ، فصل علي محمد وآله ، وجد علي بطرك ومعروفك يا رب العالمين . وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يفرغ نفسه للعبادة في أربع ليال في السنة وهي : أول ليلة من رجب ، وليلة القدر ، وليلة الأضحي ، وليلة النصف من شعبان ، وكان من دعائه فيها : اللهم صل علي محمد وآله مصاييح الحكمة وموالي النعمة ومعادن العصمة ، واعصمني بهم من كل سوء ، ولا تأخذني علي غرة ولا علي غفلة ، ولا تجعل عواقب أمري حسرة وندامة ، وارض عني ، فإن مغفرتك للظالمين وأنا من الظالمين ، اللهم اخلط لي ما لا يضرني ، وأعطني ما لا ينقصك ، فإني أوسع رحمة ، أهدى حكمة ، وأعطي السعة والدعة والأمن والصحة والشكر والمعافاة والتقوى ، وأفرغ الصبر والصدق علي وعلى أوليائك ، وأعطني اليسر ولا تجعل معي العسر ، واعصم بذلك أهل وولدي وإخواني فيك ، ومن ولفي من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .

(فصل : في الصلاة الواردة في شهر رجب) أخبرنا الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك القطبي حدثنا محمد بن أحمد الحاملي ، حدثنا علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد الصفار ، أخبرنا سعيد ابن نصر بن منصور البزاز ، أخبرنا صفيان بن حبيطة عن الأعمش عن طارقي بن شهاب عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وقد استهل رجب « يا سلمان ما من مؤمن ولا مؤمنة يصلي في هذا الشهر ثلاثين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقيل هو الله أحد ثلاث مرات وقيل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، إلا دعا الله عنه ذنوبه ، وأعطي من الأجور كن صيام الشهر كله ، وكان من المصلين إلى السنة المقبلة ، ورفع له بكل يوم عمل شهيد من شهداء بدر ، وكتب له بصيام كل يوم عبادة سنة ، ورفع له ألف درجة ، فإن صام الشهر كله وصل هذه الصلاة أنجاه الله من النار وأوجب له الجنة ، وكان في جوار الله سبحانه ، أخبرني بذلك جبريل عليه السلام وقال : يا محمد هذه علامة بينكم وبين المشركين والمنافقين ، لأن المنافقين لا يصلون ذلك ، قال سلمان رضي الله عنه : قلت يا رسول الله ، أخبرني كيف أصلها ومتي أصلها ،

قال : يا سلمان تصلي في أوله عشر ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، فإذا سلمت رفعت يديك وقلت : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، ثم امسح بهما وجهك ، وصل في وسط الشهر عشر ركعات اقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، فإذا سلمت فارفع يديك إلى السماء وقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، إنها واحدا أحدا صمدا فردا وثرا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ثم امسح بهما على وجهك ، وصل في آخر الشهر عشر ركعات اقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، فإذا سلمت فارفع يديك إلى السماء وقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصل حاجتك يستجب لك دعاؤك ، ويعمل الله بينك وبين جهنم سبعين خنذا ، كل خنذاً كما بين السماء والأرض ، ويكتب لك بكل ركعة ألف ألف ركعة ، ويكتب لك براءة من النار وجوازاً على الصراط ، قال سلمان رضي الله عنه : قلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث ، يخرج ساجداً يبكي شكر الله تعالى لما سمعت من هذه الزيادة وجدت في كتاب العمل بالسنة والله أعلم .

(فصل : في تأكيد الفضيلة في صوم أول الخميس من رجب والصلاة في أول ليلة الجمعة)

أخبرنا الشيخ أبو البركات هبة الله السقلي ، أخبرنا القاضي أبو الفضل جعفر بن يحيى بن الكمال المكي ، أخبرنا أبو عبد الله بن الحسين بن عبد الكريم بن محمد بن محمد بن محمد الجزري بمكة في المسجد الحرام ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهم المملي ، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد ابن سعيد السقدي البصري ، أخبرنا أبي ، قال أخبرنا خلف بن حيد الله الصقلي ، عن حيد الطويل ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمي ، قيل يا رسول الله ما معنى قولك شهر الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لأنه مخصوص بالفضة ، وفيه تحن السماء ، وفيه تأمل الله تعالى على أنبيائه ، وفيه ألقوا أولياده من يد أمهاته ، ومن صامه استوجب على الله تعالى ثلاثة أشياء : مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه ، وعصمة فيما بقي من عمره ، وأما الثالث فبأن العطش يوم العرض الأكبر ، فقام شيخ ضحيف فقال : يا رسول الله إني أصعب عن صيامه كله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صم أول يوم منه وأوسط يوم فيه وآخر يوم منه ، فذلك تعطى ثواب من صامه كله ، فإن لمسته بعشر أمثاله ، ولكن لا تغفلوا عن أول ليلة جمعة في رجب ، فإنها ليلة نسيها الملائكة ليلة الرغائب ، وذلك أنه إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك في جميع

السموات والأرضين إلا ويحشعون في الكعبة وحواليها ، فيطلع الله تعالى عليهم اطلاعة فيقول : ملائكتي سلوني ما شئتم ، فيقولون ربنا حاجتنا أن تغفر لصلواتكم رجب ، فيقول الله تعالى : قد فعلت ذلك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما من أحد يصوم يوم الخميس أول الخميس في رجب ، ثم يصلي فيها بين المغرب والعشاء العشرة يعني ليلة الجمعة اثني عشرة ركعة ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات ، وقال هو الله أحد اثني عشرة مرة ، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة ، فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبي الأبي وعلى آله وسلم ، ثم يسجد سجدة يقول في سجده : سبح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة ، ثم يرفع رأسه فيقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، فإنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة ، ثم يسجد الثانية فيقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل الله حاجته في سجده ، فلأنها تقضى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال ، وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار ، وشفع يوم القيامة في سبيئته ، فإذا كان أول ليلة في قبره جاءه ثواب هذه الصلاة بوجه طلق ولسان خالق ، فيقول له : يا حيي أبشر فقد تجوت من كل شدة ، فيقول من أنت ؟ ، فوالله ما رأيت رجلاً أحسن وجهاً من وجهك ولا سمعت كلاماً أحل من كلامك ، ولا شفعت راحة أطيب من راحتك فيقول له : يا حيي أنا ثواب تلك الصلاة التي في ليلة كذا في شهر كذا في سنة كذا ، جئت الليلة لأقضي حاجتك وأونس وحدتك وأدفع عنك وحشتك ، فإذا تفرغ في الصور أظفرك في حرصات القيامة على رأسك ، فأبشر فإن تعلم الخير من مولاك أبداً .

(فصل : في فضل صيام يوم السابع والعشرين من رجب) أخبرنا الشيخ أبو البركات هبة الله السقطي ، قال أخبرنا الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ثابت بن الخطيب ، قال أخبرنا عبد الله ابن علي بن محمد بشير ، قال أخبرنا علي بن عمر الحافظ ، أخبرنا أبو بكر نصر بن جيثون ابن موسى الخلال ، أخبرنا علي بن سعيد الديلمی ، أخبرنا ضمرة بن ربيعة القرشي عن ابن شاذب عن مطر الوراق ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب له ثواب صيام مئة شهر » ، وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة . وأخبرنا هبة الله بإسناده عن الحسن البصري رحمه الله قال : « كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا كان يوم السابع والعشرين من رجب أصبح معتكفاً وحلياً مصلياً إلى وقت الظهر ، فإذا صلى الظهر تنقل خديفة ، ثم صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة ، واللعوذتين مرة ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاثاً ، وقال هو الله أحد خمسين مرة ، ثم يترك إلى الدجاء إلى وقت العصر ويقول : هكذا كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم » . وأخبرنا هبة الله بإسناده عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة وسلمان الفارسي رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله

صلی اللہ علیہ وسلم « إن فی رجب یوما ولیلة من صام فذلک الیوم وقام تلك الليلة کأن له من الأجر کمن صام مائة سنة وقام لیالیا » وهی ثلاثة یقین من رجب ، وهو الیوم الذی یبش فیہ نبینا صلی اللہ علیہ وسلم .

(فصل : فی آداب الصیام ، وما ینهی عنه من الآثام) ینبئی للصائم أن یجرد صومه من الآثام وینمه بتقوی اللہ عز وجل لما أخبرنا به الشیخ حبة اللہ ، قال أخبرنا الحسن بن أحمد بن عبد اللہ القفیه الخبلی ، قال أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ ، قال أخبرنا الحسن بن جعفر الواعظ ، قال أخبرنا أحمد بن عیسی بن السکن ، قال أخبرنا ابن إسحاق الملقب بالخصام قال أخبرنا إسحاق بن رزین الراسنی ، قال أخبرنا إسماعیل بن یحیی ، قال أخبرنا مسعر بن کدام ، عن عطیة عن أبي سعید الخدری رضی اللہ عنه قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم رجب من الشهور الحرم وأیامه مکتوبة علی باب السماء السادسة ، فإذا صام الرجل من یوما وجرده صومه بتقوی اللہ عز وجل نطق الباب ونطق الیوم وقالوا : یا رب اخرج من الیوم وجرده رضى اللہ عنه قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « الصیام جنة فإذا کان أحدکم صائما فلا یجھل ، فإن امرؤ شاتمہ أو قاتله فلیقل إلی صائم » . وعن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال « من لم یتروک قول الزور والعمل به فلیس لله حاجة فی أن یتروک طعامه وشرابه » . وعن الحسن عن أبي هريرة رضى اللہ عنه قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « الصیام جنة من النار ما لم یفرقه ، قبل وما یفرقه ؟ قال بکلیة أو بقیة » . وعن أبي هريرة رضى اللہ عنه عن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال « لیس الصیام من الأکل والشرب ، ولكن الصیام من التفر واللغو والرفث » أخبرنا الشیخ أبو نصر محمد بن البیاء ، قال أخبرنا والذی الشیخ أبو علی بن أحمد بن عبد اللہ ابن البیاء ، قال أخبرنا محمد الحافظ ، قال حدثنا عبد اللہ ، قال حدثنا جعفر بن محمد الحمال ، قال حدثنا سعید بن عتبة ، قال أخبرنا بقیة بن خلف ، قال حدثنا محمد بن الحجاج ، عن خاقان ، عن أنس بن مالک رضى اللہ عنه قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « خمس یطرون الصائم ویقضن الوضوء : الکذب ، والانیة ، والغیبة ، والنظر بشهوة ، والجمین الکاذبة » . وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن أنس بن مالک رضى اللہ عنه قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « ما صام من ظل یا کل لحوم الناس » . وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن حذیفہ بن الیمان رضى اللہ عنهما قال : من تأمل خلف امرأة من فوق ثیابها یطل صومه ، وأخبرنا أبو نصر بإسناده عن سلیمان بن موسى قال : قال جابر بن عبد اللہ رضى اللہ عنهما : إذا صمت فلیصم ممتک وبصرک ولسانک من الکلب والحمار ، ودع أذى الخمار ، ولیکن علیک وقار ومکينة ، ولا تجعل یوم صومک ویوم فطرك سواء . قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم « حرم صائم لیس له من حیاهه إلا البهوی والبغض ، وروى قائم لیس له من قیامه إلا النهر » . وقال صلی اللہ علیہ وسلم « اعتز لک العرش وغضب له الرب » عنی به صلی اللہ علیہ وسلم إذا لم یرد

بالعمل وجه الله تعالى بل أريد به الخلق . وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك ، ومن أشرك معي شريكاً في عمله فهو لشريكي دوى ، إلى لا أقبل إلا ما أحسن لي ، يا ابن آدم أنا خير قسم ، فانظر عملك الذي عملت لغيري ، فإنما جزاؤك على الذي عملت . وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم طهر لساني من الكذب ، وقلبي من الغشاق ، وعلمي من الرياء ، وبصري من الخيانة فإنك تعلم خائفة الأعين وما تخفى الصدور ، فيذني للصام أن يتأذّب ويحذر من الرياء وتظهر الخلق وعلمهم في صومه وجميع عباداته ، لكلا يفسد الدنيا والآخرة . وحدثننا الشيخ أبو نصر عن والده بإسناده عن أبي فراس أنه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صام نوح الدهر إلا يومين الفطر والأضحى وصام داود نصف الدهر ، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر ، صام الدهر وأفطر الدهر ، وأخبرنا الشيخ أبو نصر ، عن والده بإسناده عن محمد بن الزكندر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل البادية فقال : يا رسول الله أخبرني عن صومك ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل على الرجل فزجره وأنهره حتى أسكته ، فلما سرتني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه : جعلني الله فداك أخبرني عن رجل يصوم الدهر كله ؟ قال لا صام ذلك ولا أفطر ، فقال : يا بني الله أخبرني عن رجل يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ذلك صوم الدهر كله ، فقال يا بني الله أخبرني عن رجل يصوم الاثنين والخميس ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أما الخميس فيوم ترفع فيه الأعمال ، وأما الاثنين فهو اليوم الذي ولدت فيه وأنزل عليّ فيه الوحي :

(فصل) فإذا جاء وقت الإفطار فليقل عند إفطاره : بسم الله ، اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، سبحانك ومحمدك ، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وكان عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول عند فطره : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي . وعن أبي العلاء رحمه الله قال : من قال عند إفطاره : الحمد لله الذي خلا ظهري ، والحمد لله الذي نظر فخري ، والحمد لله الذي ملك فطري ، والحمد لله الذي يحيي الموتى ، فقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وعن مصعب بن سعيد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن سعيد بن مالك رضي الله عنهم قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر عند أحد قال : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وحصلت عليكم الملائكة .

(فصل) اعلم أن شهر رجب تشييب فيه الدعوة ، وتقال فيه العمرة ، وتضاعف على من اجترم فيه العقوبة ، من ذلك ما أخبرنا حبة الله قال ، أخبرنا القاضي هناد بن إبراهيم القس ، قال أخبرنا حبة القاهر بن عمر الجوزي بها ، قال أخبرنا حبة الله ، قال أخبرنا محمد بن القمخاني قال أنبأنا أحمد بن الحسين بن سعيد الأنباري ، قال أنبأنا محمد بن إبراهيم بن يعقوب ، قال أنبأنا إبراهيم بن فروش ، عن عمرو بن حمزة ، عن موسى بن العباس . عن الأصمعي ، عن بشارة .

عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : بينا نحن في الطواف إذ سمعنا صوتاً وهو يقول :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم
يا كاشف الكرب والبلوى مع السقم
قد بات وفلك حول البيت والحرم
ونحن ندعو وعين الله لم تم
حب لي بخودك ما أعطيت من جرم
يا من أثار إليه الخلق بالكسوم
إن كان حقك لم يبق لهمرم
فمن يعود على العاصين بالنعم

قال الحسين بن علي رضي الله عنهما : قال لي أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا حسين لما سمع الثادب ذنبه والمعائب ربه ، أمض فساك فتركه وناداه : قال الحسين رضي الله عنه : فأمرحت حتى أتركته ، وإذا أنا برجل جميل الوجه تقي البدن تخفيف الثياب طيب الريح ، إلا أنه قد شل جانب الأيمن ، قلت : أحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكرم الله وجهه ، فقال له : من أنت وما شأنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما شأن من أخذ بالقوية ومنع الحقوق ؟ قال : وما حملك ؟ قال : منازل بن لاحق ، قال : فما قصتك ؟ قال : كنت مشهوراً في العرب بالهجر والطرب ، أركض في صبرتي ولا أفترق من غفلي ، إن تبت لم تقبل توبتي ، وإن استقلت لم تقبل عزتي ، أدب العصيان في رجب وشعبان ، وكان لي والد شقيق رفيق ، يخلعني مصارع البهالة وشقوة المعصية يقول : يا بني لله سطوات وتسمات ، فلا تتعرض لمن يعاقب بالنار ، فكم قد ضيع منك الظلام والملائكة الكرام والشهر الحرام واليالي والأيام ، وكان إذا ألبس علي بالعبس ألححت عليه بالضرب ، فألبست إليه يوماً فقال : والله لأصومن "ولا أفطر ، ولأصلين ولا أنام فقام ، أسبوعاً ثم ركب جملأ أورق وأتى مكة يوم الحج الأكبر وقال لأقعدني إلى بيت الله ولأستعين عليك الله ، قال : فقدم مكة يوم الحج الأكبر ، فطلق بأشطر الكعبة ودعا علي وقال :

يا من إليه أتى الحجاج من بعد
يرجون لطف عزيز واحد صمد
هنا منازل لا يرد من عفتي
فقط بمن يارحم من ولدي
وشل منه يعود منك جانبه
يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال : فوالذي رفع السماء وأبج الماء ما استتم كلامه حتى شل جانبي الأيمن ، فظلمت كالنخبة الملقاة بأرجاء الحرم ، وكان الناس يفلدون ويروحون علي ويقولون : هذا أجاب الله فيه دعوة أبيه ، فقال له رضي الله عنه : فما فعل أبوك ؟ قال : يا أمير المؤمنين سأله أن يدعو الله لي في المراضع التي دعا علي فيها بعد أن رضي عني ، فأجابني ، فحصلت علي ناقة وجدت في السبر حتى وصلنا إلى واد يقال له واد الأراك ، ففر طائر من شجرة ، فغرت الناقة فوقع منها ومات في الطريق ، فقال علي رضي الله عنه : ألا أحملك دعوات سمعها من رسول صل الله عليه وسلم وقال : ما دعا بها مبهوم إلا فرج الله تعالى عنه همه ، ولا مكروب إلا فرج الله تعالى عنه كربه ، فقال نعم ، فقال الحسين بن علي رضي الله عنهما : فعلمه الدعاء ، فدعا به وغلس من مرضه ولما علينا صبحنا سالماً ، قلت للرجل : كيف حملت ؟ قال : لما هدأت

المیون دعوت پہ مرتہ ثانیہ وثالثہ ، فتحدیت : حبیبک اللہ فقد دعوت اللہ باسمہ الأعظم الذی إذا دعی بہ أجاب ، وإذا سئل بہ أعطی ، ثم حلتنی عینی فتمت ، فرأیت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فی منامی ، فعرضتها علیہ فقال صلی اللہ علیہ وسلم : صدق علی ابن عمی ، فیہا اسم اللہ الأعظم الذی إذا دعی بہ أجاب ، وإذا سئل بہ أعطی ، ثم حلتنی عینی مرتۃ ثانیۃ فرأیت النبی صلی اللہ علیہ وسلم فقلت : یا رسول اللہ أرید أن أصبح الدعاء منک ، فقال صلی اللہ علیہ وسلم : قل اللهم إني أسألك بأعظم الخفية ، وبأمن السياء بقدرته مبنية ، وبأمن الأرض بعزته مدحية ، وبأمن الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة ومضية ، وباعتقلا على كل نفس مؤمنة زكية ، وبأمسكن رعب الخائفين وأهل الضيق ، بأمن حوائج الخلق عندك مقضية ، بأمن نبي يوسف من رق العبودية ، بأمن ليس له بواب يتأدى ، ولا صاحب يتشكى ، ولا وزير يعطى ولا غيره ، رب يهدي ، ولا يزدد على كثرة الحوائج إلا كرمًا وجودًا ، وصلى اللہ علی محمد وآلہ ، وأعطی سؤال إنك علی كل شيء قدير ، قال : فانتبھت وقد برأت . قال علی رضی اللہ اللہ عنہ : تمسكوا بهذا الدعاء ، فإنه أكثر من كنوز العرش ، وقد نقل مثل ذلك فی زمن عمر ابن الخطاب رضی اللہ عنہ وغيرہ مما يطول شرحہ .

وفی الجملة لا ينبغي الذی لب أن يستين بالمعاصي والمظالم ودعاء المظلوم ، فقد قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم «الظلم ظلمات يوم القيامة» . وقال صلی اللہ علیہ وسلم «لن الله ليستحيين إذا بسط العبد كفيه إليه بالدعاء أن يردنهما صفرًا ، فإذا أن يسجل له في الدنيا ، وإما أن يورثه له في يوم القيامة» . وقد أتشد في ذلك :

أصبح بالدعاء فتزدريه بين فيك ما صنع الدعاء
سقام الليل لا تخفي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

(مجلس : فی فضل شهر شعبان وما ينزل فی ليلة النصف من المغفرة والرضوان)

أخبرنا الشيخ أبو نصر محمد ، عن والده أبي علي الحسين ، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد ابن عمر بن حفص جعفر القرى بالقضاء أبي الفتح الحافظ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي ، أخبرنا إسحاق بن الحسن ، أخبرنا عبد الله بن سلمة ، أخبرنا مالك بن أنس ، عن أبي النصر مولى عمر بن عبد الله ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبی صلی اللہ علیہ وسلم ورضی علیہا قالت «كان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم يصوم حتى لا ينفطر ، ويفطر حتى تقول لا يصوم ، وما رأيت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته صام في شهر أكثر من صيامه في شعبان» . وهو أحدث صحيح أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك رحمه الله وأخبرنا أبو نصر عن محمد عن والده بإسناده عن هشام بن عروة ، عن عائشة رضی اللہ علیہا قالت «كان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم يصوم حتى تقول لا ينفطر ، ويفطر حتى تقول لا يصوم ، وكان أحب صيامه في شعبان ، فقلت : یا رسول اللہ ما لي أرى صيامك في شعبان ؟ فقال صلی اللہ علیہ وسلم :

یا عائشة إنه شهر ينسخ تلك اللفت فيه اسم من يقبض روحه في بقية العام ، فأنا أحب أن لا ينسخ
 «صلى إلا وأنا صائم» . وأخبرنا أبو نصر عن محمد بن خالد بإسناده عن عطاء بن يسار ، عن
 أم سلمة رضي الله عنها قالت : «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في شهر بعد رمضان
 أكثر من صيامه في شعبان» . وذلك أن كل من يموت في تلك السنة ينسخ اسمه في شعبان من الأحياء
 إلى الأموات ، وأن الرجل ليسافر وقد نسخ اسمه فيمن يموت : وحديثنا أبو نصر عن والده بإسناده
 عن ثابت بن أنس رضي الله عنه قال : «سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الصيام قال :
 صيام شعبان تعظيما لرمضان» . وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن معاوية بن صالح قال :
 «إن عيد الله بن قيس حدثه أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول : «كان أحب الشهور إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبان يصله بـرمضان» . وقال عبد الله رضي الله عنه : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صام آخر يوم الاثنين من شعبان غفر له» يعني آخر اثنين
 فيه ، لا آخر يوم من الشهر ، لأن احتفال الشهر باليوم واليومين فيه منتهى عنه . وعن أنس
 ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما سمى شعبان لأنه يشعب
 لرمضان فيه خير كثير ، وإنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب» .

(فصل) قال الله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) فانه تعالى اختار من كل شيء أربعة ،
 ثم اختار من الأربعة واحدا من الملائكة جبريل وميكائيل وإسراييل وعزرائيل ، ثم اختار منهم
 جبريل ، واختار من الأنبياء عليهم السلام أربعة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه
 وسلم أربعين ، ثم اختار منهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، واختار من الصحابة رضي الله عنهم
 أربعة : أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، ثم اختار منهم أبا بكر رضي الله عنه ،
 ومن المساجد أربعة : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة المنورة ومسجد طور سيناء
 ثم اختار منها المسجد الحرام . ومن الأيام أربعة : يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة ويوم
 عاشوراء ، ثم اختار منها يوم عرفة ، ومن الليالي أربعة : ليلة البراءة وليلة القدر وليلة الجمعة
 وليلة العيد ، ثم اختار منها ليلة القدر : ومن البقاع أربعة : مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس ،
 ومساجد العشائر ، ثم اختار منها مكة . ومن الجبال أربعة : أحدا ، وطور سيناء ، ولكام ، ولبنان
 ثم اختار منها طور سيناء . ومن الأنهار أربعة : يبيحون ، وميحقون ، والقرات ، والنيل ، ثم
 اختار منها فرائدا . واختار من الشهور أربعة : رجب وشعبان ، ورمضان ، والحرم ، واختار
 منها شعبان ، وجعله شهر النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل
 الأنبياء كذلك شهره أفضل الشهور . وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال «شعبان شهري ، ورجب شهر الله ، ورمضان شهر أمي» : شعبان هو المكفر ،
 ورمضان هو المطهر . وقال صلى الله عليه وسلم «شعبان شهر بين رجب ورمضان
 يغفل الناس عنه» . وفيه ترفع أعمال العباد إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عمل وأنا صائم» .
 وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال «فضل رجب على

سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام ، وفضل شعبان على سائر الشهور كفضل الله تعالى على سائر خلقه . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا نظروا إلى حلال شعبان أكبروا على الصالحين يقرمونها ، ويخرج المسلمون زكاة أموالهم فيقتروا بها الضعيف والمسكين على صيام شهر رمضان ، ودعا هؤلاء أهل السجن ، فمن كان عليه حد أقاموه عليه ، ولا خلوا سيده ، وانطلق التجار فقصوا ما عليهم وقبضوا ما لهم ، حتى إذا نظروا إلى حلال رمضان اقتبلوا واعتكفوا .

(فصل) شعبان خمسة أسرار ، شين وعين وباء وألف ونون ، فالشين من الشرف ، والعين من العلو ، والباء من البر ، والألف من الألفة ، والنون من النور ، فهذه العطايا من الله تعالى للعبد في هذا الشهر ، وهو شهر تفتح فيه الخيرات ، وتنزل فيه البركات ، وتترك فيه الخطيئات ، وتكتم فيه السيئات ، وتكثر فيه الصلوات على محمد صلى الله عليه وسلم غير البريات ، وهو شهر الصلاة على النبي المختار ، قال الله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً) فالصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الشفاعة والاستغفار ، ومن المؤمنين الدعاء والثناء . وقال مجاهد رحمه الله : الصلاة من الله التوفيق والعصاة ، ومن الملائكة النور والنصرة ، ومن المؤمنين الاتباع والحرمة . وقال ابن عطاء : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى الوصلة ، ومن الملائكة الرقة ، ومن المؤمنين التابعة والحية . وقال غيره : صلاة الرب تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تعظم الحرمة ، وصلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وسلم إنظار الكرامة ، وصلاة الأمة عليه صلى الله عليه وسلم طلب الشفاعة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا » فينبغي لكل مؤمن ليبب أن لا يغفل في هذا الشهر ، بل يتأهب فيه لاستقبال شهر رمضان بالتطهر من الذنوب والتوبة عما فات وسلف فيما مضى من الأيام ، فيتضرع إلى الله تعالى في شهر شعبان ، ويتوسل إلى الله تعالى بمصاحب الشهر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يصلح فساد قلبه ، ويندأوى مرضى سره ، ولا يسمو ويغرر ذلك إلى غد ، لأن الأيام ثلاثة : أمس وهو أجل ، واليوم وهو عمل ، وغدا وهو أمل فلا تدري هل تبلغه أم لا ، فأمس موعظة ، واليوم غنية ، وغدا غامرة . وكذلك الشهور ثلاثة : رجب قد مضى وذهب فلا يعود ، ورمضان وهو متظر لا تدري هل تبيض إلى إدراكه أم لا ؟ وشعبان وهو واسطة بين شبرين فليفتنم الطاعة فيه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه ، قيل هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « اغتشم حسا قبل خمس : شبلك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

(فصل) في ليلة البراءة ، وما خصت به من الرحمة والكرامة والفضائل (قال الله عز وجل) حم والكتاب للذين ، إذا أنزلنا في ليلة مباركة (قال ابن عباس رضي الله عنهما (حم) يعني

تخصی اللہ ماحور کا تئیں ہی یوم القیامۃ (والکتاب المبین) یعنی القرآن (إنا أنزلناه) یعنی القرآن (فی لیلۃ مبارکۃ) ہی لیلۃ التصف من شعبان وہی لیلۃ البرامۃ ، وقال ذلک اکثر المفسرین سرى حکیمۃ ، فإنه قال : ہی لیلۃ القدر ، وقد سى اللہ تعالیٰ شیا کثیرا فی القرآن مبارکنا من سى القرآن مبارکنا . قال (وهذا ذکر مبارک أنزلنا) فی برکۃ أن من قرأہ وآمن بہ اعتدی ، وتخلص من النار وتعطى حتی یتعلی ذلک إلی الآباء والأبناء ، قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم «من قرأ القرآن نظرا فی المصحف خطف اللہ عز وجل عن أثرہ العذاب وإن کانا کافرین» . ومنها أنه عز وجل سى الماء مبارکنا قال (وأنزلنا من السماء ماء مبارکنا) فی برکۃ أن حیۃ الأشياء بہ کما قال اللہ عز وجل (وجعلنا من الماء کل شىء حی أفلا یؤمنون) وقیل فیہ عشر لطائف : الرقة ، واللین ، والقوۃ ، والسان ، والمصفاوۃ ، والحركة ، والرطوبۃ ، والبرودۃ ، والتراخیج ، والحیاء ، وجعل اللہ تعالیٰ هذه اللطائف فی المؤمن الییب : رقة القلب ، ولین الخلق ، وقوۃ الطعام ، ولطافۃ النفس ، ومصفاوۃ العمل ، والحركة فی الخیر ، والرطوبۃ فی العین ، والبرودۃ فی المباحی ، والتراخیج عند الخلق وحیاء عند استماع الحق . ومنها أنه عز وجل سى الزیتون مبارکنا فی قوله تعالیٰ (من شجرة مبارکة زیتون) وہی أول شجرة أكل منها آدم علیہ السلام حیث أعبط إلی الأرض ، وفيها طعام واستفادۃ کما قال اللہ تعالیٰ (وصیغ للأکلیل) ، وقیل الشجرة المبارکۃ ہی إبراهیم علیہ السلام . وقیل ہی القرآن ، وقیل ہی الإيمان ، وقیل ہی نفس المؤمن المطفئت بالأمارۃ بالخیر الممتلئۃ للأمر ، المنشیۃ للنہی ، المسلمۃ للفقہ ، المواقفۃ للرب فیما قضی وسطر . ومنها أنه عز وجل سى عیسی علیہ السلام مبارکنا قال تعالیٰ (وجعلنی مبارکاً أبنا کنت) فی برکۃ علیہ السلام ظهور اخترۃ من النخلۃ لأمة الصدیقۃ مرم علیہا السلام ، ونبع الماء من تحتہ ، قال عز وجل (فناداہا من تحیا أن لا تحزنی قد جعل ربک تحتک سریا ، وهزى إلیک بیدع النخلۃ تساقط علیک رطباً جنیاً ، فکلی واشربی عیناً وأبراً الآکفہ والأیرمى ، وأحیا الموتى بدعوته وغير ذلک من الخیرات والمعجزات . ومنها أنه عز وجل سى الکعبۃ مبارکنا قال عز وجل (إن أول بیت وضع للناس للذی ببکۃ مبارکنا) ومن برکۃنا أن من دخلها وعلیہ أنقال من الذنوب خرج مغفوراً له ، قال اللہ تعالیٰ (ومن دخلہ کان آمناً) فی دخل البیت وهو مؤمن بحسب نائب أئمة اللہ عذابہ . وقیل توبۃ وغفر لہ . وقیل من دخلہ کان آمناً من أن یؤذی فی الحرم حتی یمرح منه ، ولهذا یحرم قتل حییدہ وقطع شجرہ لحرمۃ الکعبۃ ، فحرمۃ الکعبۃ حرمة لہمۃ اللہ ، وحرمة المسجد لحرمۃ الکعبۃ ، وحرمة مکۃ لحرمۃ المسجد ، وحرمة الحرم لحرمۃ مکۃ . کما قیل : إن الکعبۃ قلة لأهل المسجد ، والمسجد قیلة لأهل مکۃ ، ومکۃ قیلة لأهل الحرم ، والحرم قیلة لأهل الأرض ، وإنما سماها بکۃ لأن الأقدام یلک بعضها بعضاً : أى یدفع ویدور ، وبکۃ ومکۃ واحد تبدل إحداهما بالأخرى ، ککمد وکبید ، ولازم ولازب . ومنها سى لیلۃ البرامۃ مبارکنا لما فیہا من نزول الرحۃ والبرکۃ والخیر والعلو والنفران لأهل الأرض . ومن ذلک ما أخبرنا الشیخ أبو نصر عن والدہ ، قال : أخبرنا محمد ، قال : أخبرنا عبد اللہ بن عبد ، أخبرنا إسماعیل بن عمر

الجبلى ، أخبرنا عمر بن موسى الوجهى ، عن زيد بن حلى عن أبيه ، عن علي بن أبي طالبه
 رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل الله تعالى في ليلة النصف من شعبان
 إلى السماء الدنيا فينظر لكل مسلم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم أو امرأة تبنى في زوجها »
 وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن يحيى بن سعيد ، عن حروة عن عائشة رضى الله عنها
 قالت : « لما كانت ليلة النصف من شعبان استل النبي صلى الله عليه وسلم من مرطى ، ثم قالت :
 والله ما كان مرطى من حرير ولا قر ولا كتان ولا خز ولا صرف ، قال : قلت لها : صبحان الله
 فمن أى شيء كان ؟ قالت : كان سداؤه من شعر وكانت لحته من حرير ، وحسبت نفسى أن
 يكون صلى الله عليه وسلم قد أتى بعض نباله ، فمضت فالتفت في البيت فوجدت يدى على قدميه
 وهو ساجد ، فحفظت من دعائه صلى الله عليه وسلم يقول : « سيدك سوادى وعيالى ، وأمن
 بك غداى ، أبوء لك بالعم وأعترف لك بالذنب ، ظلمت نفسى فأغفر لى إنه لا يغفر الذنوب
 إلا أنت ، أعوذ بمفوك من عقوبك ، وأعوذ برحمتك من ظلمتك ، وأعوذ برضاك من سخطك ،
 وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، قالت : فما زال صلى الله
 عليه وسلم قائما وقاعدا حتى أصبح وقد أصعدت قدماء وأنا أعجزها وأقول : بأى أنت وأبى أليس
 قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، أليس قد فعل الله بك ، أليس أليس ؟ قال صلى الله
 عليه وسلم : يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا ؟ هل تمرين ما في هذه الليلة ؟ قالت : قلت
 وما فيها ؟ قال : فيها يكتب كل مولود في هذه السنة ، وفيها يكتب كل ميت ، وفيها يزل
 أرزاقهم ، وفيها ترفع أعمالهم وألعالم ، قلت : يا رسول الله ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله ؟
 قال صلى الله عليه وسلم : ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله ، قلت : ولا أنت ؟ قال صلى الله
 عليه وسلم : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمته منى ، فسح يده على هامته وحل وجهه ، .
 وأخبرنى أبو نصر ، قال أنبأنا والدى ، حدثنا محمد بن أحمد الحافظ ، أنبأنا عبد الله بن محمد ،
 أنبأنا أبو العباس المروى وإبراهيم بن محمد بن الحسن ، قال أخبرنا أبو عامر الدمشقى ، أنبأنا الوليد
 ابن مسلم ، أخبرنى هشام بن القار وسليمان بن مسلم وغيره ، عن مكحول ، عن عائشة رضى الله
 عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « يا عائشة أبة ليلة هي ؟ قالت : الله ورسوله
 أعلم ، فقال : ليلة النصف من شعبان ، فيها ترفع أعمال الدنيا وأعمال العباد ، والله فيها عتقاء
 من النار بعد شعر ختم كلب ، فهل أنت أدنيت لى الليل ؟ قالت : قلت نعم ، فصل فيخفف القيام
 وقرأ الحمد وسورة غطيفة ، ثم سجد إلى شطر الليل ، ثم قام في الركعة الثانية ، فقرأ فيها نحواً من
 قراءة الأولى ، فكان سجوده إلى الفجر ، قالت عائشة رضى الله عنها : أنظره حتى ظننت أن الله
 تعالى قد قبضُ رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلما طال على دنوت منى حتى مسست أخصى قدمي ،
 فتحركت فسمعت يقول في سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ
 بك منك ، جل ثناؤك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، قلت : يا رسول الله
 قد سمعتك تذكر في سجودك الليلة شيئا ما سمعتك تذكره قط ، قال صلى الله عليه وسلم : وعلمت

فلك ؟ قلت نعم ، قال صلى الله عليه وسلم : تمكسين وعلمين ، فإن جبریل علیه السلام أمرني أن أقدر من في السجود . وأخبرني أبو النصر عن والده ، قال أنبأنا عبد الله بن محمد ، أنبأنا إصاف بن أحمد القارسي ، أنبأنا أحمد بن الصباح بن أبي شريح ، أنبأنا يزيد بن هارون ، حدثنا الحجاج بن أرطاة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فخرجت فإذا هو بالقيع رأسه إلى السماء ، فقال لي : أكنث لحافين أن يعرف الله ورسوله عليك ؟ فقلت له : يا رسول الله ظننت أنك أنبت بعض نساك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب . وعن عكرمة مولى ابن عباس رحمه الله ورضي الله عنه في قول الله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) قال : هي ليلة النصف من شعبان ، يغير الله تعالى أمر السنة ، وينسخ الأحياء إلى الأموات ، ويكتب حاج بيت الله ، فلا يزيد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد . وقال حكيم بن حكيم : يطلع الله تعالى إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان ، فمن طهره في تلك الليلة زكاه إلى ملأها . وعن عطاء بن يسار : يعرض عمل السنة في ليلة النصف من شعبان ، فيخرج الرجل صائرا وقد نسخ من الأحياء إلى الأموات ، ويترجى وقد نسخ من الأحياء إلى الأموات. وأخبرني أبو نصر عن والده بإسناده ، عن مالك بن أنس : عن هشام بن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يسبح الله الخبير في أربع ليال صا ، ليلة الأضحى ، وليلة النضر ، وليلة النصف من شعبان يسبح الله فيها الأجل والأرزاق ، ويكتب فيها الحاج ، وليلة عرفة إلى الأذان » . قال سعيد ، قاله إبراهيم بن أبي نجيح : حسب فيها ليلة الجمعة . وقال أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « جادى جبريل عليه السلام ليلة النصف من شعبان وقال لي : يا محمد ارفع رأسك إلى السماء ، قال : قلت له : ما هذه الليلة ؟ قال : هذه الليلة يفتح الله سبحانه فيها للأنبياء باب من أبواب الرحمة ، بغفر لكل من لا يشرك به شيئا ، إلا أن يكون ساحرا أو كافرا أو مفسداً غر أو مصرافاً على الربا والزنا ، فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا ، فلما كان ربيع الليل نزل جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ارفع رأسك ، فرفع رأسه فإذا أبواب الجنة مفتوحة ، وعلى الباب الأول ملك يتنادى : طوبى لمن ركب في هذه الليلة ، وعلى الباب الثاني ملك يتنادى : طوبى لمن سجد في هذه الليلة ، وعلى الباب الثالث ملك يتنادى : طوبى لمن دعا في هذه الليلة ، وعلى الباب الرابع ملك يتنادى : طوبى للذاكرين في هذه الليلة ، وعلى الباب الخامس ملك يتنادى : طوبى لمن بكى من خشية الله في هذه الليلة ، وعلى الباب السادس ملك يتنادى : طوبى للمسلمين في هذه الليلة ، وعلى الباب السابع ملك يتنادى : هل من سائل فيعطى سؤله ؟ وعلى الباب الثامن ملك يتنادى : هل من مستغفر فيغفر له ؟ فقلت : يا جبريل إلى متى تكون هذه الأبواب مفتوحة ؟ قال : إلى طلوع الفجر من أول الليل ، ثم قال : يا محمد إن الله تعالى فيها عطاء من النار بعدد شعر غنم كلب . »

(فصل) وقيل سميت ليلة البراءة لأن فيها براءتين ، براءة للأشقياء من الرحمن ، وبراءة للأولياء من الخذلان . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله على خلقه اطلاعاً ، فينظر للمؤمنين ، ويعمل للكافرين ، ويدع أهل الحقد بمحدم حتى يدعوه . قيل : إن الملائكة ليالي عيد في السماء ، كما أن المسلمين يربو عيد في الأرض ، فعيد الملائكة ليلة البراءة وليلة القدر ، وعيد المؤمنين يوم القدر يوم الأضحى ، وعيد الملائكة بالليل لأنهم لا ينامون ، وعيد المؤمنين بالليل لأنهم ينامون . وقيل : إن الحكمة في أن الله تعالى أظهر ليلة البراءة وأخفى ليلة القدر ، لأن ليلة القدر ليلة الرحمة والفرح والعشق من النيران ، أغناها الله عز وجل لئلا يتكلموا عليها ، وأظهر ليلة البراءة لأنها ليلة الحكم والقضاء ، وليلة السخط والرضا ، ليلة القبول والرد والوصول والسد ، ليلة السعادة والشقاء والكرامة والفضاء ، فواحد فيها بسعد والآخر فيها بئس . وواحد يميز وواحد يميز ، وواحد بكرم وآخر يحرّم وواحد يؤجر وآخر يهجر ، فكتم من كتم منقول وصاحبه في السوق منقول ، وكتم من كتم منقول وصاحبه بالسروور مغرور ، وكتم من كتم ضاحك وهو عن قريب هالك ، وكتم من كتم كل بناؤه وصاحبه قد لؤف فناؤه ، وكتم من كتم يربو الثواب فينبو له العقاب ، وكتم من كتم يربو البرجاء فينبو له الحسارة ، وكتم من كتم يربو العطاء فينبو له البلاء ، وكتم من كتم يربو الملك فينبو له الملك . وقيل : إن الحسن البصري رحمه الله كان يخرج من داره يوم النصف من شعبان ، وكان وجهه قد قبر ودفن ، ثم أخرج من قبره ، فقيل له في ذلك ، فقال : والله ما الذي انكسرت سفينة بأعظم مصيبة مني ، قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن من ذنوبي على يميني ، ومن حسنتي على يساري ، فلا أدري أتقبل مني أم ترد عليّ .

(فصل) فأما الصلاة الواحدة في ليلة النصف من شعبان فهي مائة ركعة بألف مرة . قل هو الله أحد ، في كل ركعة عشر مرات ، وتسمى هذه الصلاة صلاة الخير ، وتنفرد بركتها . وكان السلف الصالح يصلونها جماعة بمصممين لها ، وفيها فضل كثير وثواب جليل . وروى عن الحسن رحمه الله أنه قال : حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة ، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ، أدناها المغفرة . ويستحب أن تصل هذه الصلاة أيضاً في الأربع عشر ليلة التي يستحب إحياؤها التي ذكرناها في فضائل رجب ، ليعزز بها المصل هذه الكرامة وهذه الفضيلة والثمرة .

ثراث الإسلام

٣

الغَيْثِيَّةُ
لطالبِ طريقِ الحقِّ
في الأخلاقِ والصفوفِ والآدابِ الإسلاميةِ

للشيخ عبد القادر الجيلاني الحنفي

١٧٠ - ٥٦١ هـ

الجزء الثاني



وَعُدَّتْ وَمَوْعِدَةُ الْمُسْتَعِينِ
(لَمَّا كَرِهَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مجلس : فی فضائل شهر رمضان)

قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . قال الحسن البصري رحمه الله : إذا سمعت الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارع لما سمعت فلان لا تمر بغيره لو انتهى تنهيه عنه . وقال جعفر الصادق رحمه الله : الذمة ما في النداء إزالة تعب العبادة والغناء ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) يا : نداء من العالم ، وأى : اسم من المعلوم المنادى ، وما : تلبية على نداء المنادى الذي هو إشارة إلى المعرفة السابقة والصحبة القديمة ، آمنوا : إشارة إلى السر المعلوم بيد المنادى والمنادى ، كأنه يقول يا من حولي بسرته المخلص له بضميره وبلفظ (كتب) : أى لمرضي وأوجب (عليكم الصيام) وهو مصدر كتوا لك : صمت صياما وقت قياما ، وأصل الصيام في اللغة : الإمساك يقال : صامت الريح : إذا سكنت وأمسكت عن الغيوب ، وصامت الخيل : إذا وقفت وأمسكت عن السير ، ويقال : صامت النهار : إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير هنية ، كما قال الشاعر :

حتى إذا صام النهار واعتدل وسال قشيس لعاب فزول

ويقال للرجل إذا صمت وأمسك عن الكلام صام ، قال الله تعالى (إنني نلت من الرحمن صوما) أى صمتا ، فالصوم : هو الإمساك عن المتاع من الطعام والشراب والجماع في الشرع مع ترك الآثام ، قال الله عز وجل (كما كتب على الذين من قبلكم) أى من الأنبياء والأمم أولهم آدم عليه السلام ، وهو ما روى عبد الملك بن حارون بن خثيرة عن أبيه عن جده قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ، « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند انصاف النهار وهو في الحجرة ، فسلمت عليه ، فرد علي السلام ثم قال : يا علي هذا جبريل يقرئك السلام ، قلت : عليك وعليه السلام يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادن مني ، فدنوت منه ، فقال : يا علي يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلاثة أيام ،

يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف سنة ، وباليوم الثاني ثلاثون ألف سنة ، وباليوم الثالث مائة ألف سنة ، فقلت : يا رسول الله هذا الثواب لي خاصة أم للناس عامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم يا علي أعطيك الله هذا الثواب ولئن يعمل بعملك بملك : قلت : يا رسول الله ، وما هي ؟ قال : الأيام البيض ثلاث عشر ورابع عشر وخامس عشر ، قال عترة : فقلت لعلي رضي الله عنه : لأي شيء تسمى هذه الأيام أيام البيض ؟ فقال علي رضي الله عنه : لما أبيض الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض أحرقت الشمس قاسود جسده ، فأناه جبريل عليه السلام فقال : يا آدم أحب أن يبيض جسدك ؟ قال نعم ، قال له : فصم من الشهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر ، فصام آدم عليه السلام أول يوم قايض ثلث جسده ، ثم صام اليوم الثاني قايض ثلثا جسده ، ثم صام اليوم الثالث قايض جسد كله ، فسببت أيام البيض ، أقدم عليه السلام من الذين كتب عليهم الصيام من قبل محمد صلى الله عليه وسلم . قال الحسن وجعاجة من العلماء بالتفسير : أراد الله تعالى بالذين من قبلكم : النصارى ، شبه صيامنا بصيامهم لاختلافهما في الوقت والمقدار ، وذلك أن الله تعالى فرض على النصارى صيام شهر رمضان ، فاشتد ذلك عليهم ، لأنه ربما كان يأتي في الحر الشديد أو في البرد الشديد ، وكان يضربهم في أسفارهم ومعايشهم ، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يحلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف ، فيجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كثرة لما صنعوا فصار أربعين يوما ، ثم إن ملكا لهم اشتكى فيه ، فجعل له إن هو برئ من وجهه ذلك يزيد في صومهم أسبوعا ، فزادوا فيه ، ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فأتموه خمسين يوما . قال جعاجة رحمه الله أصحابه مرتان ، فقال : زيدوا في صيامكم ، فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد . قال الشعبي رحمه الله لو صامت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه ، فيقال من شعبان ويقال من رمضان ، وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان كما فرض علينا ، فحركوه إلى الفصل ، وذلك أنهم كانوا ربما صاموا في القبط فعادوا ثلاثين يوما ، ثم جاء بعدهم قرن منهم فحللوا بالحقبة في أنفسهم ، فصاموا قبل ثلاثين يوما وبعدها يوما ، ثم لم يزل الآخر يستن بستم القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوما ، فذلك قوله عز وجل (كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) يعني لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع : وقال أهل التفسير أيضا : فرض الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين صوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر حين قدم المدينة ، فكانوا يصومونها ، إلى أن نزل صيام شهر رمضان قبل ثمان بغير شهر وأيام ، قال الله تعالى (أياما معلودات) يعني شهر رمضان ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما . وروى عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنا ونسبي أمة لا تحسب ولا تكتب الشهر مكثا ومكثا ومكثا تمام الثلاثين ، ومعنى الشهر شيئا لشهرته ، وهو مأخوذ من الشهرة وهي البياض ، ومنه يقال : شهرت للسيف إذا سلطه وشهر الملل إذا طلع .

(فصل) اختلف الناس في معنى قوله رمضان ، فقال بعضهم : رمضان : اسم من أسماء الله تعالى ، فيقال شهر رمضان ، كما يقال : شهر الله الأصم لرجب وعيد الله . وروى جعفر الصادق رحمه الله عن أبياته رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : شهر رمضان شهر الله ، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشكروا رمضان بل أنسيوه كما نسب الله تعالى في القرآن ، فقال : شهر رمضان . وروى الأصمعي قال أبو عمرو : إنما سمي رمضان لأنه رمضت فيه الفصال من الحر ، وقال غيره : لأن الحجارة كانت ترمض فيه من الحرارة ، والرمضاء : الحجارة الخشنة . وقيل : سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب : أي يبرقها ، وهو مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إن القلوب تأخذ من الحرارة الموهقة والفكرة في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس . وقال الخليل : مأخذه من الرمض ، وهو مطر يأتي في الحريف ، فسمي هذا الشهر رمضان لأنه يفسد الأبدان من الأثام ضللاً ، ويظهر القلوب تطهيراً .

(فصل) : في قوله عز وجل (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) روى عن عطية بن الأسود أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال : إنه قد وقع الشك في قوله تعالى (لما أنزلناه في ليلة مباركة) وقد نزل القرآن في سائر الشهور ، قال الله تعالى (وقرآنًا فرقناه لنقرأه على الناس على مكث) فقال له نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان ، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ليحوماً ليحوماً في ثلاث وعشرين سنة ، وذلك قول الله عز وجل (فلا أنسم بمواقع النجوم) . وقال داود بن أبي هند : قلت للشعبي : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أما كان ينزل عليه ، عليه السلام في سائر السنة ؟ قال : بلى ، ولكن جبريل عليه السلام كان يمارض محمدًا صلى الله عليه وسلم في رمضان بما أنزل الله ، ليحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء . عن شهاب ابن طارق عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال مضين من شهر رمضان ، وأنزلت تورات موسى عليه السلام في ست ليال مضين من شهر رمضان ، وأنزل زبور داود عليه السلام في ثمان عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وأنزل إنجيل عيسى عليه السلام في ثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من شهر رمضان . ثم وصف عز وجل القرآن فقال (هدى الناس) من الضلالة (وبيّنات) من الحلال والحرام والحدود والأحكام (من الهدى والفرقان) يفصل بين الحق والباطل .

(فصل) : فيما يختص بشهر رمضان من الفضائل (أخبرني أبو نصر عن والده ، قال : أنبأنا ابن القاسم ، قال : حدثنا أبو حماد أحمد بن محمد بن الجلودي التيسابوري ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق بن عزيمة ، قال : أنبأنا علي بن حمير السعدي ، قال : أنبأنا يوسف بن زياد ، قال : أخبرنا همام بن يحيى عن علي بن زيد بن جندب ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان رضي الله عنه ،

قال : خطبتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان وقال : « أيها الناس قد أنظمتكم شهر عظيم ، شهر مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير أو أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد فيه قدر رزق المؤمن ؛ فمن أفطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وحقق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن يقتصر من أجره شيء ، قالوا : ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، قال : يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائما على تمر أو شربة ماء أو ملقة لبن ، وهو شهر أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، فمن خفف عن مملوكه فيه فخر الله له وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتان ترضون بهما ربكم ، وخصلتان لا غنى لכן عنهما ، فأما الخصلتان التان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه . وأما اللتان لا غنى لכן عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعرفون به من النار ، ومن أشيع فيه صائما سقاء الله تعالى من حرقه شربة لا يظلم بعدها أبدا . وعن الكلبي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أبواب الجنة وأبواب السماء لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان ، ولا تغلق إلى آخر ليلة منه ، ليس من عبد أولية يصل في ليلة منه إلا كتب الله له بكل عبادة ألفا وسبعمئة حسنة ، وإن له بيتا في الجنة من ياقوتة حراء له سبعون ألف باب ، لكل باب منها مصراعان من ذهب موشح من ياقوتة حراء ، فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب إلى آخر يوم من رمضان ، وكان كفارة إلى مثلها ، وكان له بكل يوم يصومه قصر في الجنة له ألف باب من ذهب ، واستغفر له سبعون ألف ملك من غفوه إلا أن تتلوى بالحجاب ، وكان له بكل عبادة سجدها من ليل أو نهار شجرة في الجنة يسير الزاكي في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وأخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن الأخرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، نظر الله إلى خلقه ، وإذا نظر إلى عبد لم يملأه أبدا ، ولا عز وجل في كل يوم ألف ألف حقيق من النار . وأخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن سهل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » . وعن تابع بن بردة ، عن أبي مسعود الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يصوم يوما من رمضان إلا رزق زوجة من الخور العين في خيمة من حرمة جنة مما نعمت الله عز وجل (خور مقصودات في الخيام) على كل امرأة من سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ، ويعطى سبعون لونا من الطيب ، ليس منها لون على لون الأخرى ، ويعطى سبعين سريرا من ياقوتة حراء موشحة بالمر ، على كل سرير سبعون فرسلا ، على كل فراش أربعة ، لكل امرأة سبعون ألف وصيف لحايتها ، وسبعون ألف وصيفة لزوجه مع كل وصيفة حصة من ذهب فيها لون من طعام ، فيجد لآخر لقمة منها لذة لم يجدها لأوله ،

ويعطى زوجها مثل ذلك ، على صبر من ياقوت آخر ، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما يعمل من الحسنات .

(فصل) أخبرني أبو نصر عن والده يستاده ، قال حدثنا محمد بن أحمد ، قال حدثنا عبد الله بن محمد ، قال حدثنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد ، قال حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار وإبراهيم بن محمد بن حارث ، قال حدثنا سلمة بن شبيب ، قال حدثنا القاسم بن محمد ، قال حدثنا هشام بن الوليد ، قال حدثنا حماد بن سليمان الدومني ، عن الحسن ، عن الضحاک بن مزاحم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الجنة تشج وتزين من الحول إلى الحول بدخول شهر رمضان ، فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة ، تصفق أوراق أشجار الجنة وحلق المصارع ، فيسمع لذلك طين لم يسمع المسلمون الحسن منه ، فتزين الحور العين حتى يلقن بين شرف الجنة ، فينادي هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوج ، ثم يلقن الرضوان : ما هذه الليلة فيجبين بالثلثية يا خيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان فتفتح أبواب الجنة للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول الله تعالى : يا رضوان افتح أبواب الجنان ، يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يا جبريل ابط إلى الأرض وصعد مردة الشياطين وغلبهم بالأغلال ، ثم اقتطف بهم في بلج البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صيائهم ، قال : ويقول الله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات : هل من سائل فأعطيه مؤله ، هل من تائب فأثوب عليه ، هل من مستقر فأغفر له ؟ من يقرض الفتي غير العدم ، والوفى غير الظلوم ؟ قال : وله في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف عتيق من النار ، كلهم قد استوجبوا العقاب ، فإذا كان ليلة الجمعة ويوم الجمعة أعنت الله تعالى في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار ، كلهم قد استوجبوا العذاب ، فإذا كان في آخر يوم من شهر رمضان أعنت الله في ذلك اليوم بعدد ما أعنت من أول الشهر إلى آخره ، فإذا كان ليلة القدر يأمر جبريل عليه السلام فيبسط في كنيكة من الملائكة ومعه لواء أخضر إلى الأرض ، فيركزه على ظهر الكعبة ، وله سبائة جناح لا يفسرها إلا في ليلة القدر ، فينشرها في تلك الليلة ، فيجوز الشرق والمغرب ، ويأمر جبريل عليه السلام الملائكة بالدخول بين هذه الأمة فيدعونهم بينهم ، فيسلمون على كل قائم ومصل وذاكتر ، ويسامحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى مطلع الفجر ، ثم ينادي جبريل عليه السلام : يا معشر الأولياء الرحيل فيقولون : يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هؤلاء الأربعة : مدمن خمر ، وعاق والده ، وقاطع رحم ، ومشاحن ، قيل : يا رسول الله من المشاحن ؟ قال : المصارم ، فإذا كان ليلة القدر سميت تلك الليلة ليلة البخرمة ، فإذا كان غداة النظر بث الله تعالى للملائكة في كل البلاد يهبون إلى الأرض ، فيقومون على أفواء السكك

فيأخرون بصوت يسمعه من خلق الله تعالى إلا الجن والإنس فيقولون : يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجوا إلى ربكم بحرم يعطى الجحيل ويغفر الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله تعالى ثلاثه : يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ قال : تقول ثلاثه : إنا وسيدنا توفيه أجره ، فيقول : إني أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب صيامهم من شهر رمضان وقيامهم وضأى ومضرق ، ثم يقول : يا عبادي صلوني فبحرق وجلال لا تسألوني اليوم فيحكم هلأ لأخبرتكم شيئا إلا أعطيتكم ، ولا لذنايكم إلا نظرت لكم ، وحرق وجلال لأسرن عليكم عزائكم ما راغبتموني ، وحرق وجلال لأخزيكم ولا أقضحكم بين أصحاب الخلود ، انصرفوا مغفورا لكم ، لقد أرفضتموني ورفضت عنكم ، قال : فطرح الملائكة ويسبشرون بما يعطى الله عز وجل هذه الأمة إذا أضلوا من شهر رمضان . . وعن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، واللفظ متقارب . والخبر يروى عن والده بإسناده عن نافع ، عن أبي مسعود الغفاري رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أهلك شهر رمضان : لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لقي العباد أن يكون شهر رمضان ستة ، فقال رجل من خزاعة : يا رسول الله حدثنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الجنة تزين لشهر رمضان من رأس الخول إلى الخول ، حتى إذا كان أول ليلة منه هبت ريح من تحت العرش ، فصلفت أبواب أشجار الجنة ، فنظرت الخور العين إلى ذلك فقال : يا رب اجعل من هباتك في هذا الشهر لنا أزواجا نقرأ أينما هم ، وقرأ أينهم بنا ، فامن عبد صام شهر رمضان إلا زوجة الله زوجة من الخور العين في خيمة من درة مجوقة ، مما تمت الله به (حور مقصورات في القيام) على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ، وتطلى سبعين لونا من الطيب ليس منه لون يشبه الأول ، كل امرأة منهن على سرير من ياقوت موشح بالمرح عليه سبعون فراشا ، بطاقتها من إستبرق ، وقرق كل فراش سبعون أريكة ، ولكل امرأة منهن سبعون ألف وصيف يخدمها ، وسبعون ألف وصيف لزوجها بيد كل وصيف صحيفة من ذهب فيها لون من الطعام ، يجد لأخوه من الله ما لا يجد أولوه ، ويطلى زوجها مثل ذلك ، على سرير من ياقوتة حراء ، عليه سوران من ذهب مرصع بالياقوت هذا لكل من صام شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات . . وعن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادى الملائكة جلست عظمته وضوان خازن الجنان ، فيقول : ليك وسعديك ، فيقول : نجد جنتي وزينها للصائمين من أمة أحد ، ولا تملقها عنهم حتى يقضى شهرهم ، ثم ينادى مالكا خازن النار : يا مالك ، فيقول : ليك وسعديك ، فيقول : أغلق أبواب الجنة عن الصائمين من أمة أحد ، ثم لا تفتحها عليهم حتى يقضى شهرهم ، ثم ينادى جبريل عليه السلام ، فيقول : ليك وسعديك فيقول : انزل إلى الأرض قلل مرة الشياطين عن أمة أحد حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم وإفطارهم رقة عز وجل في كل يوم من شهر رمضان عند طلوع الشمس وعند وقت الإفطار عشاء أعظمهم

من النار عبيدا وإماء ، وله في كل سماء مناد يهيم ملك له عرف تحت عرش رب العالمين ولما اتته في تحريم الأرض السابعة النخل ، له جناح بالشرق وجناح بالمغرب ، متكامل بالمرجان والدر والجزاهر ، ينادى : هل من تائب يتاب عليه ، هل من داح يستجاب له ، هل من مظلوم ينصره الله ، هل من مستغفر يقفر الله له ، هل من سائل يعطى سؤاله ؟ قال : وينادي الرب تعالى ذكره في الشهر كله : عبادي وإمائي أهبوا واصبروا وداوموا ، يوشك أن أرفع عنكم الموانع ونفصوا إلى رحمتي وكرامتي . فإذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كنيكة من اللاتكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أذن الله السموات والأرض أن تتكلما لبشرنا من صام رمضان بالجنة » . وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة ، وصمته تسبيح ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف » . وعن الأعمش عن أبي عبيدة رضي الله عنه أنه قال : كانوا يقولون رمضان إلى رمضان ، والنجح إلى النجح والجمعة إلى الجمعة ، والصلاة إلى الصلاة كقاربات لما يبين ما اجتليت الكبار . وعن أبيه المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان : مرحبا بشهر خير كله ، صيام نهاره وقيام ليله ، والثقة فيه كالثقة في سبيل الله . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل حسنة يعملها ابن آدم من أمي تتضاعف عسرا إلى سبعائة ضعف ، إلا الصوم فإن الله تعالى يقول : الصوم لي وأنا أجزى به ، يدع شبهته وأكله وشربه من أجل ، والصوم جنة . والصائم فرحان فرحة عند إبطائه وفرحة عند لقاء ربه » . وأخبارنا أكبر البركات السقطى بإسناده عن يزيد بن هارون قال : حدثنا المسعودي قال : بلغني أن من قرأ في ليلة من شهر رمضان في الطلوع (إذا فتحنا لك فتحا مبينا) حفظ في ذلك العام .

(فصل) رمضان خمسة أحرف : الراء : رضوان الله ، واليم : عباد الله ، والفاء : ضيانه الله ، والألف : ألفة الله ، والتون : نور الله ، فهو شهر رضوان وعبادة وضيان وألفة ونور ونوال وكرامة للأولياء والأبرار . وقيل : مثل شهر رمضان في الشهور كمثل القلب في الصدور ، وكالأقبياء في الأنام ، وكالحرم في البلاد ، كالحرم يمتنع منه السجالات اللعين . وشهر رمضان تصعد فيه مرادة الشيطان ، وتكون الأقياء شفعاء المعجمين . وشهر رمضان شفع الصائمين ، والقلب مزين بنور المعرفة والإيمان . وشهر رمضان مزين بنور تلاوة القرآن ، فمن لم يغفر له في شهر رمضان ففي أي شهر يغفر له ، فليتب التبت إلى الله عز وجل قبل أن تغلق أبواب القبول ، وليتب إليه عز وجل قبل أن يقوت وقت الإنابة ، وليتب قبل أن ينقض وقت البكاء والرحمة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن أمي لم يغفروا ما أقدموا شهر رمضان ، فقال رجل يا نبي الله وما خزيهم ؟ قال : من انتهك فيه محرما أو عمل سيئة أو شرب خرا - أو زنى لم يقبل

منه رمضان ، ولعمرة الله وملائكته وأهل السموات إلى مثله من الحول ، وإن مات فبأبنته ويعين
رمضان فليس له عند الله حسنة .

(فصل : قيل : إن سيد البشر آدم عليه السلام ، وسيد العرب محمد صلى الله عليه وسلم ،
وسيد الفرس سلمان ، وسيد الروم صهيب ، وسيد الحبش بلال ، وسيد القرى مكة ، وسيد
الأودية وادي بيت المقدس ، وسيد الأيام يوم الجمعة ، وسيد الليالي ليلة القدر ، وسيد الكتب
الفرقان ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسي ، وسيد الأحجار الحجر الأسود ،
وسيد الأنهار زمزم ، وسيد النخيل عصا موسى ، وسيد الجنان الحوت الذي كان يونس عليه
السلام في بطنه ، وسيد الثور ناقة صالح ، وسيد الأفراس البراق ، وسيد الخوام حاتم سليمان
عليه السلام ، وسيد الشجر شهر رمضان .

(فصل : في فضائل ليلة القدر) قوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) إلى آخر السورة ،
فأنزلناه كتابنا عن القرآن أنزله الله تعالى من الفرج المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى السفرة ، وهم
الكعبة من الملائكة ، فكان ينزل في تلك الليلة من الفرج على قدر ما ينزل به جبريل عليه السلام
بإذن الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في السنة كلها . إلى مثله من قابل ، حتى نزل
القرآن كله في ليلة القدر من شهر رمضان إلى سماء الدنيا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره :
(إنا أنزلناه في ليلة القدر) يعني أنزلنا جبريل بهذه السورة وحلة القرآن في ليلة القدر على الكعبة
ثم نزل بعد ذلك نجما نجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ثلاث وعشرين سنة ،
في سائر الشهور والأيام والليالي والأوقات . قوله تعالى (في ليلة القدر) أي في ليلة عظيمة ،
وقيل في ليلة الحكم ، وصحبت ليلة القدر تعظيها واقتدرها ، لأن الله تعالى يقدر فيها ما يكون
من أمر السنة إلى مثله من العام المقبل . ثم قال (وما أدراك ما ليلة القدر) يا محمد لولا أن الله
أعطاك بعظمته ، فكل ما في القرآن وما أدراك فقد أعلمه الله إياه ، وما فيه وما يدريك فلم
يلدره ، ولم يطلع عليه كقوله عز وجل (وما يدريك لعل الساعة تكون قربا) وما تبين له
وقبها . قوله تعالى (ليلة القدر) أي ليلة المنظمة والحكمة ، وقيل : هي ليلة المباركة التي قال الله
عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) فيها يفرق كل أمر حكيم . ثم قال عز وجل (ليلة القدر
خير من ألف شهر) يعني العمل فيها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة قدر . ويقال : إن الصحابة
رضي الله عنهم لم يفرحوا بشيء كفرحهم بقوله تعالى (خير من ألف شهر) ، وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما لأصحابه أربعة من بني إسرائيل بأنهم عبدوا الله ثمانين سنة
لم يعصوه طرفة عين ، وذكر أيوب وذكريا وحزقيل ويوشع بن نون عليهم السلام ، فعجب
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له . يا محمد
عجبت أنت وأصحابك من عبادة هؤلاء الثفر ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى فيها طرفة عين ، فقد
أنزل الله عليك غيرا من ذلك ، ثم قرأ عليه (إنا أنزلناه في ليلة القدر) إلى آخرها ، وقال له
هذا أفضل مما عجبت أنت وأصحابك منه ، فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم . وقال يحيى

نبي نوح : إنه كان في بني إسرائيل رجل ليس السلاح ألف شهر في سبيل الله تعالى لم يضعه عنه ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، فتعجبوا من قول ذلك ، فأمر الله عز وجل (ليلة القدر غير من ألف شهر) يعني غير لكم من تلك الألف شهر التي ليس فيها ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ولم يضعه عنه . وقيل : إنه كان اسمه شعرون العابد في بني إسرائيل ، وقيل شعرون (تزك الملائكة) يعني تزك من غروب الشمس إلى طلوع الفجر (والروح) يعني جبريل عليه السلام . وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما إنه قال : الروح على صورة الإنسان عظيم الخلق ، وهو الذي قال الله عز وجل (ويسألونك عن الروح) وهو الملك يفرم مع الملائكة صفاء وحله يوم القيامة . وقال مقاتل : هو أشرف الملائكة عند الله تعالى . وقال غيره : إنه ملك وجهه على صورة الإنسان وجسده جسد الملائكة ، وهو أعظم خلق عند العرش يقوم صفاء ، ويقوم الملائكة صفاء ، قال الله تعالى (يوم يفرم الروح والملائكة صفاء) فيها) يعني في ليلة القدر (وإذا نزل بهم) أي يأمر بهم (من كل أمر) يعني بكل خبر (سلام هي) أي هي سلام ، أي سليمة (حتى مطلع الفجر) لا يتحدث فيها داء ولا كهانة ، مطلع الفجر يكسر اللام يريد الطلوع ، وبالفجر يريد الموضع الذي يطلع فيه ، وقيل سلام ، يعني سلام للملائكة على المؤمنين من أهل الأرض ، يقولون سلام سلام حتى يطلع الفجر .

(فصل) ولشمس ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان ، وآكدتها ليلة سبع وعشرين . وعند مالك رحمه الله جميع ليالي العشر ليس بعض يأكد من بعض . وعند الشافعي رحمه الله : آكدتها إحدى وعشرون . وقيل : إنها ليلة التاسع عشر ، وهو مذهب عائشة رضي الله عنها . وقال أبو بردة الأسلمي رضي الله عنه : هي ليلة ثلاث وعشرين . وقال أبو ذرٍّ والحنبل رضي الله عنهما : إنها ليلة خمس وعشرين . وروى بلال رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنها ليلة أربع وعشرين » . وقال ابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهما إنها ليلة سبع وعشرين . والليل على أن آكدتها ليلة سبع وعشرين والله أعلم ، ما روى ابن حنبل رحمه الله بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « كانوا لا يزالون يقصون على النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من العشر الأواخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرى رؤياكم قد توارت أنها ليلة سابعة من العشر الأواخر ، من كان متحريا فليتحرها الليلة السابعة من العشر الأواخر » . ويروي أن ابن عباس قال لمر بن الخطاب رضي الله عنهم : إن نظرت في الأفراد فلم أر فيها أخرى من السبعة ، فذكر بعض ما ذكره في السبعة ، فقال : السموات سبع ، والأرضون سبع ، والقرى سبع ، والأقاليم سبع ، والنجوم سبع ، والسموات بين الصفا والمروة سبع ، والطراف باليت سبع ، وروى الجهم سبع . وخلق الإنسان من سبع ، ووزقه من سبع ، وشق في وجهه سبع ، والفرات سبع ، والحمد سبع آيات ، وقراءة القرآن على سبعة أحرف ، والسبع المثاني ، والسجود على سبعة أعضاء ، وأبواب جهنم سبع ، وأسمائها سبع ، ودركاتها سبع ، وأصحاب الكهف سبع ، وأهلك عاد بالريح في سبع ليال ، ومكث يوسف عليه السلام في السجن سبع سنين ،

والبركات سبع ، والسنون المجدبة سبع ، والسنون الخصبة سبع ، والصلوات الخمس سبع عشرة ركعة ، وقال الله عز وجل (وسبعة إذا رجفتم) وحرم من النساء النسب سبع ، ومن الصبر سبع ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طهارة الإثاء إذا وقع فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالآداب ، وعدد حروف سورة القدر إلى قوله (سلام هي) سبع وعشرون حرفا ، ومكث أيوب عليه السلام في بلائه سبع سنين ، وقالت عائشة رضى الله عنها : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع سنين ، وأيام العجوز يعنى الحسوم سبعة ، ثلاثة من شياطين وأربعة من أذى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شهاده أمي سبعة : القتل أو سبيل الله ، والمطعون ، والمسلوك ، والفريق ، والحريق ، والميلون ، والنساء من النساء » وأنفس الله عز وجل سبع (والشمس وضحاها) إلى قوله (وما سوأها) وكان طول موسى عليه السلام سبعة أذرع بلذراع ذلك القرن ، وطول عصى موسى سبعة أذرع ، فإذا ثبت أن أكثر الأشياء سبع ، فقد لبه الله تعالى عباده على أن ليلة القدر السابعة والعشرون بقوله تعالى : (سلام هي حتى مطلع الفجر) فعلمنا بذلك أنها ليلة السابع والعشرين .

(فصل) فهل ليلة الجمعة أفضل أم ليلة القدر ؟ اختلف أصحابنا في ذلك ، فاختار الشيخ أبو عبد الله بن بطه ، والشيخ أبو الحسن الجزري ، وأبو حفص عمر البرمكي رحمهم الله أن ليلة الجمعة أفضل : واختار أبو الحسن النخعي رحمه الله أن الليلة التي أنزل فيها القرآن من ليالي القدر أفضل من ليلة الجمعة ، فأما أمثال تلك الليلة من ليالي القدر فليدة الجمعة أفضل . وقال أكثر العلماء : ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعة وغيرها من الليالي ، وجه اختيار أصحابنا ما روى القاضي الإمام أبو يعلى رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يفر الله ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين » وهذه لفظة لم تنقل عنه عليه الصلاة والسلام لغيرها من الليالي . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أكثروا على من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهري ، ليلة الجمعة ويومها » والفرقة من الشيء خياره ، ولأن ليلة الجمعة تابعة ليومها ، وقد جاء في فضل يومها ما لم يجرى في فضل يوم ليلة القدر ، من ذلك ما روى أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما طلعت الشمس على يوم أعظم عند الله من يوم الجمعة ولا أحب إليه » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة ، وما من دابة إلا وهي تخرج ليوم الجمعة لإلاهلين الفضلين من الجن والإنس » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئة ، ويبعث الجمعة وهي زهراء منيرة ، وأهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى كرمها تضيء لهم ويمشون في ضوئها ، وأولهم كمالنج ، ورحمهم كالكسك ، يخوضون في جبال الكافور ، وينظر إليهم أهل الوقت الثقلان ما يطرفون تجمعا حتى يدخلون الجنة » فإن قيل : فما جوابكم عن قوله عز وجل (ليلة القدر غير من ألف شهر) ؟

تقبل: المراد بها غير من ألف شهر ليس فيها ليلة الجمعة، كما أن التقديرها عندهم خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأيضاً أن ليلة الجمعة باقية في الجنة، لأن في يومها تنفع الزيادة إلى الله سبحانه وتعالى وهي معلومة في الدنيا بعينها على القطع، وليلة القدر مظلون عينها، ووجه اختيار القميص وغيره من العلماء أن ليلة القدر أفضل. قوله تعالى (غير من ألف شهر) وألف شهر: ثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر. وقيل: إنه عرض على النبي صلى الله عليه وسلم أخبار أمته فاستقبلها: فأعطى ليلة القدر. وعن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: سمعت عن أنس به يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أخبار الناس قبله أو ما شاء الله تعالى من ذلك، فكانت تصاغر أخبار أمته بأن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر غير من ألف شهر. وقال أنس بن مالك رحمه الله: بلغني أن سعيد بن المسيب قال: من حضر صلاة العشاء ليلة القدر أصاب منها حظاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صلى العشاء والمغرب في جماعة فقد أشعل يخطئه من ليلة القدر، ومن قرأها» يعني سورة القدر «فكأنما قرأ ربع القرآن» ويستحب أن يقرأها في العشاء الأخيرة من شهر رمضان.

(فصل: فإن قال قائل: لم لم يطلع الله عباده على ليلة القدر بعينها ولقطعا كما أطلعهم على ليلة الجمعة وبينها لهم؟ قيل له: ثلاثا يتكلموا على عملهم فيها، فيقول قد عملنا في ليلة غير من ألف شهر، فقد غفر الله لنا وحصل لنا عتقه درجات وجنات، فلا يعملوا عملاً وإيماناً، ليطلب عليهم الرجاء فيهلكوا، وهذا كما لم يطلعهم على فناء آجالهم لثلاث يقول من كان في عمره طول: أتبع الشهوات واللذات والتعم في الدنيا، فإذا قاربت فناء أجل تبت واشتغلت بعبادة ربك وأموت تائباً مصلحاً، فغيب الله تعالى عنهم آجالهم ليكوتوا أبداً على وجل وحذر من الموت فيحسنوا العمل ويدوموا على التوبة وإصلاح العمل، فيأتيهم الموت وهم على خير حال، فتصل إليهم الأكلام من اللذات والشهوات في الدنيا، وينجون من عذاب الله في الآخرة برحمة الله تعالى. وقيل: إن الله تعالى أخص ليلة في خمسة: الأول: أخصي رضاء الله في الطاعات. والثاني: أخص غضب في المعاصي. والثالث: أخص الصلاة الوسطى بين الصلوات. والرابع: أخصي وليه في خلقه. والخامس: أخصي ليلة القدر في شهر رمضان:

(فصل: وإن الله عز وجل أعطى المصطفى صلى الله عليه وسلم خمس ليال: الأولى ليلة المعجزة والقدرة وهي انشقاق القمر قوله تعالى (انفلق الساعة وانشق القمر) وكان انفلاق البحر لموس عليه السلام بغرب العصا، والانشقاق لحمد صلى الله عليه وسلم بإشارة أسبع المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو أعظم من المعجزات والإعجاز والقدرة. والثانية: ليلة: الإجابة والدعوة قوله تعالى (وإذ صرنا إليك نفاعاً من الجن يستمعون القرآن). والثالثة: ليلة الحكم والقضية، قوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منتظرين، فيها يفرق كل أمر حكيم). والرابعة: ليلة النور والقرية، هي ليلة المعراج، قوله تعالى (صبحنا الذي أصرى بعبدك ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) الآية. ولما الخامسة ليلة السلام والتمية قوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر)

إلى قوله (نزل الملائكة والروح فيها) يعنى ليلة القدر : وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إذا كان ليلة القدر بأمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ومع سكان مدرة للنهى وهم سبعون ألف ملك ، ومعهم أنوية من نور ، فإذا هبطوا إلى الأرض ركز جبريل عليه السلام لواءه والملائكة ألويتهم في أربع مواطن : عند الكعبة ، وعند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وعند مسجد بيت المقدس ، وعند مسجد طور سيناء ، ثم يقول جبريل عليه السلام للملائكة : فتركوا ، فيضربون فلا يبق دار ولا حجرة ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة إلا دخلت الملائكة فيها ، إلا بيت فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة ، فيسبحون ويصلون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان وقت الفجر يصعدون إلى السماء ، فيستقبلهم سكان السماء الدنيا فيقولون لهم : من أين أنزلتم ؟ فيقولون : كنا في الدنيا ، لأن الليلة ليلة القدر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال سكان السماء الدنيا : ما فعل الله بهم وبمواطنهم ؟ فيقول جبريل عليه السلام : إن الله ظفر لصالحهم وشفعهم في طالحهم ، فرفع ملائكة السماء الدنيا أصواتهم بالنسبح والتكبير والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطاه الله هذه الأمة من المغفرة والرضوان ، ثم تشبههم ملائكة السماء الدنيا إلى السماء الثانية ، ثم كذلك سماء بعد سماء إلى السابعة ، ثم يقول جبريل عليه السلام : يا سكان السموات ارجعوا ، فرجع ملائكة كل سماء إلى مواطنهم ، ويرجع سكان مدرة للنهى إلى المدرة ، فيقول سكان المدرة : أين كنتم ؟ فيجيبون مثل ما أجابوا أهل السماء الدنيا ، فرفع سكان المدرة أصواتهم بالنسبح والتكبير ، فتسمع جنة المأوى ، ثم جنة النعيم ، ثم جنة عدن ، ثم الفردوس ، فيسمع عرش الرحمن ، فيرفع العرش صوته بالنسبح والتكبير والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى هذه الأمة ، فيقول الله عز وجل وهو أعلم : يا عرشي لم رفعت صوتك ؟ فيقول : إلهي بلغني أنك قد غفرت البارحة لصالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفعت صالحيا في طالحها ، فيقول الله تعالى : صدقت يا عرشي ، ولأمة محمد عندي من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقيل : إن جبريل عليه السلام إذا نزل من السماء ليلة القدر لا يبدع أحدا من الناس إلا سلم عليه وصافحه ، وعلامة ذلك اقشعرار جلده وترقيق قلبه وتلذذ عينيه . ولهذا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مهموما لأجل أمته ، فقال الله تعالى : يا محمد لا تنغم في لا أخرج أمك من الدنيا حتى أعطهم درجات الأنبياء ، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نزلت عليهم الملائكة بالروح والرسالة والوحى والكرامة ، وكذلك أنزل بالملائكة على أمك في ليلة القدر بالتسليم والرحمة مني .

(فصل) والأمارة في أنها ليلة القدر ، أن تكون ليلة طلاقة تسمى لاحارة ولا باردة . وقيل : لا يسمع فيها نباح الكلاب ، وتطلع الشمس صبيحتها ، ليس لها شعاع كالطست ، وتكشف عجائبها لأرباب القلوب والولاية وأهل الطاعة لمن يشاء الله تعالى من المؤمنين من عباده ، على قدر أسواقهم وأقسامهم ومنزلهم في القرب من الله عز وجل :

(فصل) وصلاة التراويح سنة النبي صلى الله عليه وسلم صلاة ليلة ، وقيل ليلتين ، وقيل ثلاثاً ، ثم انتظروه فلم يخرج ، وقال : « لو خرجت لفرضت عليكم » ثم إنها استدعيت في أيام عمر رضي الله عنه ، فلذلك أقبلت إليه لأنه ابتدأها . والحديث المروي في ذلك عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في جوف الليل في شهر رمضان ، فصل في المسجد وحصل الناس بصلاته ، فلما كانت الليلة الثانية كثُر الناس حتى عجز المسجد عن أمه ، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما صلى الفجر أقبل على الناس وقال لهم : إنه لم يخف على شأنكم الليلة ، ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عن ذلك » . قالت : وكان صلى الله عليه وسلم يرغبهم في إحياء رمضان من غير أن يأمرهم بزيادة ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك في أيام خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصلوا من خلافة عمر رضي الله عنه . وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : إنما أخذ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه هذه التراويح من حديث سمعته مني ، قالوا : وما هو يا أمير المؤمنين قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لله تعالى حول العرش موضعاً يسمى حظيرة القدس وهي من النور ، فيها ملائكة لأبغض عبادهم إلا الله عز وجل ، يعملون الله تعالى عبادة لا يفترقون ساعة ، فإذا كان ليل شهر رمضان استأذنوا ربهم أن يتركوا إلى الأرض ، فيصلون مع بني آدم ، فكل من مسهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أو مسره سعد ساعة لا يشق بعدها أبداً » فقال عمر رضي الله عنه إذ ذلك : ففتح أحق بهذا ، فجمع التراويح وصنها وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه عرج في أول ليلة من شهر رمضان ، فسمع القرآن في المساجد ، فقال : نور الله قبر عمر كما نور مساجد الله بالقرآن . وكذلك يروى عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه . وفي لفظ آخر : إن علياً رضي الله عنه اجتاز بالمسجد وهي تزهو بالقناديل والناس يصلون التراويح ، فقال : نور الله عز وجل على عمر قبره كما نور مساجدنا . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من علق في بيت من بيوت الله قنديلًا لم تزل الملائكة تستنقر له وتصل عليه وهم سبعون ألف ملك حتى يطفأ ذلك القنديل » : وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال « صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون قام فصلى بنا حتى مضى ثلث الليل ، ثم لما كانت الليلة الرابعة والعشرون لم يخرج إلينا ، فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون خرج وصلى بنا حتى مضى شطر الليل ، فقلنا له : لو قلنا ليلتنا هذه لكان حسناً ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنه من قام مع الإمام حتى يتصرف كتب له قيام ليلة ، ولم يصل بنا في الليلة السادسة والعشرين ، فلما كانت الليلة السابعة والعشرون قام بنا وجمع أمه وصلى بنا حتى خشينا أن يثوينا القلاص ، قيل : وما القلاص ؟ قال : السجود » . (فصل) ويستحب « لما الجماعة والجهر بالقراءة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كذلك في تلك الليال ، ويكون ابتداءها في الليلة التي يسفر صباحها غرة ومطمان ، لأنها ليلة من شهر رمضان ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك صلاها ، ويكون فعلها بعد صلاة

لفرض ، وبعد ركعتين بسليمة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هكنا صلاها وهي عشرون
ركعة يحلّس عقب كل ركعتين ، وسلم فهي خمس ترويعات ، كل أربعة منها ترويعية ،
ويروى في كل ركعتين : أصلي ركعتي التراويح المسنونة إذا كان فردا ، أو إذا كان إماما ،
أو مأموما . ويستحب أن يقرأ في الركعة الأولى منها في أول ليلة من شهر رمضان الفاتحة وسورة
الحق ، وهي اقرأ باسم ربك الذي خلق ، لأنها أول سورة نزلت من القرآن عند إمامنا أحمد بن
محمد بن حنبل رحمه الله ، وكذلك عند جميع الأئمة رضوان الله عليهم ، ثم يسجد في آخرها ، ثم
ينهض فيبدأ بسورة البقرة . ويستحب له قراءة الختمة كاملة ليسمع الناس جميع القرآن فيلقوا على
ما فيه من الأوامر والنواهي والمواظع والزواجر ، ولا يستحب الريادة على ختمة واحدة ،
لأنها يشق ذلك على المأمومين فيضجروا وتلحقهم السآمة ويكروهوا الجماعة وينقلوا بها ، فينبوهم
أجر عظيم وثواب جزيل ، فيكون ذلك بسبب الإمام فيعظم إثمه فيكون من الآثمين ، وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك لعاد رضي الله عنه « أفتان أنت يامعاد » وذلك لما
صلى يقوم وطوى في القراءة وقطع أهدم الصلاة وانفرد ، ثم شكى ذلك إلى النبي صلى الله عليه
وسلم . ويستحب تأخير الوتر إلى آخر صلاة التراويح ، وقرأ في الركعة الأولى سبح اسم ربك
الأعلى ، وفي الثانية سورة الكافرون ، وفي الثالثة سورة الإخلاص ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك كان يصل ويكره التثقل بين كل ترويعتين ، ويكره أن يصل التراويح في مسجدتين ،
وكذلك صلاة التراويح في جماعة بعد التراويح في إحدى الروابطين ، لأنه هو العقب ، وذلك
مكروه عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى . روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كرهه بل
ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم ويأتى بما شاء من التواخل والتباعد ثم يرجع إلى منامه ، وهي ناشئة
الليل التي أتى الله عليها وذكرها وقال (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا) . والرواية
الثانية : أن ذلك جائز غير مكروه لكنه يؤخره لما روى عمر رضي الله عنه قال : تدعون فضل
الليل آخره الساعة التي تملكون أحب إلي من الساعة التي تقومون .

(فصل آخر : ينتم به ما يتعلق بإيلة القدر وجميع شهر رمضان) قوله عز وجل (نزلك
الملائكة والروح) الذي هو جبريل عليه السلام ومنه سبعون ألف ملك وهو أمير عليهم فجبريل
عليه السلام يصل على من كان قاعدا ، والملائكة تسلم على من كان قائما ، والبارئ سبحانه
وتعالى يصل على عباده من كان قائما ، كما جاز أن يصل الله عز وجل على عباده المؤمنين من أهل
الجنة في الجنة بقوله (سلام قولا من رب رحيم) فجاز أن يصل على عباده الأبرار في الدنيا الذين
سبق لهم من الحسن والعناية والصلادة في الأزل ، القاتنين عن التلحق بالدين بالرب المخلصين
إلى الحق ، فلا يبق في ليلة القدر بقعة إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات
إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت النار أو بيت الرحمن ، أو بعض أماكنهم التي يطرحون فيها
الحق ، فلا يزالون يدعون ليهم تلك المؤمنين والمؤمنات . وأما جبريل عليه السلام فلا يدع
أحدا من المؤمنين والمؤمنات إلا يصل عليه ويصافحه ويقول له : إن كنت في الطاعة فسلام عليك

بالتقوى والإحسان ، وإن كنت في المعصية فسلام عليك بالقرآن ، وإن كنت في النوم فسلام عليك بالرضوان ، وإن كنت في القبر فسلام عليك بالروح والريحان ، فهو قوله عز وجل (من كل أمر سلام) وقيل : إن لللائكة تسلياً على أمهات الطاعات ولا تسلياً على أهل المعصيات ، ففهم الظلمة ليس لهم نصيب في سلام اللائكة وأكل الحرام وقاطع الرحم والنظام وأكل أموال الناس ، فهو لا يسلم نصيب في سلام اللائكة ، فأى معصية أعظم من هذه المعصية ؟ يفتي شبرا أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، ولا يكون ذلك حظاً في سلام ملائكة رب العصاة والأبرار ، فهل كان ذلك إلا لبعثك من الرحم ، وكوتك من أهل الطغيان وموافق الشيطان ، وتحليك بحلية مالهكي سبيل النيران ؟ ولبعثك ونجائك عن مالهكي سبيل الجنان ، وهيرائك لطاعة من بيده الضرر والإحسان ؟ فشير رمضان شهر الصفا وشير الوفا وشير الناكرين وشير الصابرين وشير الصادقين ؛ فإنما لم يؤثر في إصلاح قلبك وإفلاحك عن معاصي وبك ومجانبة أهل الشقاء والجرائم ، فما الذي يؤثر في قلبك ؟ فأى خير يرجى فيك ؟ وأى بقية بقيت فيك ؟ وأى فلاح يترقب منك ؟ فتنبه يا مسكين لما حل بك ، واستيقظ من رقبتك وغفلتك ، وانتظر إلى الذي دعاك ، وشيع بقية شهرك بالثوبة والإتابة ، وتمتع فيها بالاستغفار والطاعة لعلك تكون ممن تاله الرحمة والرفقة ، وتودعها بإسبال العبرات ، وأبك على نفسك المشغومة بالعربيل والويل واليأس ، فكم من صائم لا يصوم غيره أبداً ، وكم من قائم لا يقوم بعده أبداً ، والعامل يعطى أجره عند فراغه من عمله ، وقد فرغنا من العمل ، فليت شرى أميقول صيامنا وقيامنا أم مضروب بهما وجوهنا ؟ فآليت شرى من المقبول منا فتيه ؟ ومن المردود منا فتعزبه ؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » السلام عليك يا شهر الصيام ، السلام عليك يا شهر القيام ، السلام عليك يا شهر الإيمان ، السلام عليك يا شهر القرآن ، السلام عليك يا شهر الأنوار ، السلام عليك يا شهر المغفرة والقرآن ، السلام عليك يا شهر الدرجات والنجات من الدركات ، السلام عليك يا شهر التائبين العابدين ، السلام عليك يا شهر المارقين ، السلام عليك يا شهر المجتهدين ، السلام عليك يا شهر الأمان ، كنت للعاصيين حياً وللمتقين أنساً ، السلام على القناديل والصابيح الزاهرة ولقميون الساهرة والشموع الماطلة ، والمخاريب المنورة والعبرات القسكية المضطرة ، والأنفاس الصاعدة من قلوب المحترقة . اللهم أجعلنا ممن قبلت صيامهم وصلاتهم وبنيت مسكناته بحسناته وأدخلته برحمتك في جناتك ، ووقعت درجاته يا أرحم الراحمين :

(فصل : في ذكر القطر) قال الله تعالى (قد أفلق من تركي وذكر اسم ربه فصلى) قوله (قد أفلق) فالفلاح على وجهين : أحدهما الفوز بالجنة والنجاة من النيران في العقبي ومن الآفات والبلبات في الدنيا ، والثاني الأمن والسعادة بالتوفيق للطاعة في الدنيا والخلود في الجنان في الآخرة . قال الله عز وجل (قد أفلق المؤمنون) يعني مسلحوا ، ونظيره (قد أفلق من تركي) أي وفق للزكاة ، وظهره إيمانه وتقواه من الآثام . وأما من لم يرك فلا فلاح له ،

(١) لعل من صائم يوم . ولأن ليل . الخ . ١٤٠٠ .

قال الله عز وجل (لا يضلح الجرمون) أى لا يفلوزون ولا يسعدون . وأما قوله (من تركنى) فقد اختلف في ذلك ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : بئى من تطهر من الشرك بالإيمان . وقال الحسن رحمه الله (من تركنى) بئى من كان صالحا وعمله زاكيا قلبا . وقال أبو الأحوص : أعنى به زكاة الأموال كلها . وقال قتادة وعطاء وجهما الله : أراد به زكاة الفطر لا غير . وقوله (وذكر اسم ربه فصل) قد اختلف في ذلك أيضا ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : معناه وحده الله تعالى وصل الصلوات الخمس . وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه (ذكر اسم ربه) بالكبير (وصل) بئى خرج إلى العيد فصل . وقال وكيع بن الجراح رحمه الله : زكاة الفطر لرمضان كسجدة السيور للصلوة ، وفرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من الرث ، فكأنها جبران للصائم لما دخله من نقصان بالأثم من الغر والرفث والكذب والنية والشمية وأكل الشبهات والنظر إلى المستحبات ، فجعلت الفطرة مكفرة لما شتمه الصيام جارة لها ، كالتوبة للثوب والاستغفار لها ، والسجود للسير ، فكأنها السجود للسير شرع ترغيا للشيطان إذا كان هو السبب في ذلك ، فكذلك التوبة من المعاصي والفطرة لرمضان شرعا ترغيا له ، لأن المعاصي الرثت الحاصل في الصيام سيئه الشيطان ، أعادنا الله وجميع المؤمنين من مكابده ومصايده وغوائله ، وسلمنا من آفات الدنيا وبلائها ، وأخرجنا منها برحمة ومنه آمين .

(فصل) وإنما سمي العيد عيدا لأنه يبعد الله إلى عباده القرب والسور في يوم عيدهم .

وقيل : إنما سمي عيدا لأنه فيه عوائد الإحسان من الله وعوائد الامتنان منه للعبد . وقيل : لأنه يعود العيد فيه إلى التضرع والبكاء ، ويعود الرب عز وجل فيه إلى الحية والعطاء . وقيل : إنهم عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من الظهارة . وقيل : معناه عادوا من طاعة الله إلى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن التريفة إلى السنة ، ومن صوم رمضان إلى صوم سنة أيام من شوال .

وقيل : إنما سمي عيدا لأنه يقال للمؤمنين فيه : عودوا إلى منازلكم مغفورا لكم . وقيل : إنما سمي العيد عيدا لأن فيه ذكر الوجد والوعيد ، ويوم الجزاء والزياد ، ويوم حق الإمام والبيد ، وإقبال الحق إلى القريب من خلقه والبعيد ، ووجود الإنابة والأوبة من العبد الضعيف إلى الغفور الودود . وقال وهب بن منبه رحمه الله : خلق الله ليلة يوم الفطر ، وخرس شجرة طوى يوم الفطر ، واسطق جبريل عليه السلام الوحي يوم الفطر ، والسحرة وجدوا المغفرة يوم الفطر . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم الفطر وخرج الناس إلى الجبابة أطلع الله تعالى عليهم فيقول : عبادى لى صمتتم ولى صليتم تصرفوا مغفورا لكم » .

وروى عن أس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : « صلى الله عليه وسلم قال : ليلة الفطر يرقى الله تعالى فيها أئمة من صام شهر رمضان ، فيأمر الله تعالى غلبة الفطر لملكه فيعطون إلى الأرض ، ويقرمون على أنوار السمكك ويهجم الطرق فينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلا الإنس والجن : يا أئمة محمد اخرجوا إلى ربكم عز وجل يقبل القليل ويعطي الجزيل ويغفر الذنوب العظيم . فإذا برزوا إلى مصلاتهم وصلوا ودعوا لم يدع لهم الرب تبارك وتعالى حاجة إلا قضاهم ،

ولا سوا إلا لأجابه ولا ذنباً إلا لغيره ، فيصرفون مغفورا لهم . وفق حقيقت ابن عباس رضي الله عنهما : « فإذا كانت ليلة القدر بحيث تلك الليلة ليلة الجائزة ، وإذا كان غداة قططر بث الله ملائكته في كل البلاد ، فيبطون إلى الأرض فيقومون على أقواله السكك وينادون بصوت يسمعه كل من خلق الله تعالى إلا الجن والإنس ، فيقولون : يا أمة محمد اخرجوا إلى ربكم كرم يعطي الجزيل ويغفر الذنوب العظيم ، فإذا يبرزوا إلى مصلاهم يقول الله تعالى ملائكته : يا ملائكتي فيقولون : إليك ومعديك ، فيقول لهم : ما جزاء الأكبر إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلنا وميدنا ومولاتنا توفية أجره ، قال : فيقول الجليل جل جلاله : أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب صياهم من شهر رمضان وقيامهم وضائق ومغفرتي ، ثم يقول : يا عبادي سلوني فوزي وجلال لا تسألوني اليوم في جمعكم هذا شيئا آخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، وحرقي وجلائي لأسمركم عليكم حرائكم ما راقبتموني ، ولا أخزيكم ولا أفصحكم بين أصحاب الجلود ، انصرفوا مغفورا لكم ، قد أراضيتوني ورضيت عنكم ، قال : ففرح الملائكة واستبشروا بما يعطي الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان .

(فصل) ولربعة أعين لأربعة أقوام : أحدها عيد قوم إبراهيم ، قوله عز وجل (فطر نظرة في التبرج فقال إلى مني) وذلك أن قومه خرجوا إلى عيد لهم فتخلف إبراهيم عليه السلام عنهم واعتزل بيته ولم يخرج معهم ، لأنه لم يكن على دينهم ، فلما خرجوا أخذ فلما وكسر أصنامهم ، وجاء بالقاس فوضعه في حق الصنم الكبير ، فلما رجعوا قالوا (من فعل هذا بالفتا) القصة إلى آخرها ، فغار خليل الرحمن عليه السلام لربه ، فأتعب يده بكسر الأصنام وخاطر بنفسه في ولاية رب الأنعام ، فأكرمه ربه بالخلعة ، وأحيا على يده الطيور الميتة ، وأخرج من ظهره أهل الرسالة والنبوة وجعله أبا المصطفى خير البرية صلى الله عليه وسلم . وأما العيد الثاني : فهو عيد قوم موسى كلم الرحمن عليه السلام ، قوله عز وجل (موعدكم يوم الزينة) قيل : صبي يوم الزينة لأنه عز وجل زين موسى وقومه بإعلاك علوهم فرعون وقومه ، فخرج مع فرعون وقومه اثنا وسبعون ساحرا ، وقيل : ثلاثة وسبعون ، ومعهم سبعائة عصا وجل ، وجعلوا في وسط العصا اللثة بالحبال الزين والخلات في قيام على الرمضاء ، واشتد حر الشمس فسال الزين سمعت العصا اللثة بالحبال ، فتخيل للناس أنها حيات تسعى وهي لا تتحرك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) على قومه ، قال : ربما يهزمون أن الذي فعلوه حتى فيفضي إليهم أو يرتدون ، فقال الله تعالى لموسى عليه السلام (وألق عصاك) فألقاها فإذا هي حية كأعظم حيا يكون ، ولها عيان تفقدان نارا ، ودمعة وهية ، فأقبلت على ما صنعوا من السحر والحبال والعصى خلفتها ، يعني لتفتتها بأسرها ولم تنفجر بانفجار بطن وقصان حركة ولا زاد في طولها ولا في عرضها (فألق السحرة ساجدين) له عز وجل وكان أكبرهم اسمه ضمون ، فقالوا (آمنا) يعني صدقنا (بربنا هارون وموسى) ثم أثبت الحية على عسكر فرعون وقومه فأنهزموا وقيل : مات منهم خمسون ألفا ، القصة بطولها . وأما الثالث : فهو عيد عيسى عليه السلام وقومه ،

فوله تعالى (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك) الآية . وذلك أن الحواريين قالوا : يا عيسى هل يستطيع ربك أن يعطيك إن سألكه أن ينزل علينا مائدة من السماء ، قال لهم عيسى عليه السلام اتقوا الله فلا تنالوه البلاء إن كنتم مؤمنين ، فإنها إن أنزلت ثم كلمتم بها عوفيتكم (قالوا: نريد أن نأكل منها) فقد جئنا (ونعطيك قلوبنا) يعني تسكن قلوبنا إلى ما تدعوننا إليه من الإيمان والتصديق (ونعلم أن قد صدقنا) بأنك نبي ورسول (ونكون عليا) يعني على الملائكة من الشايعين (عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم . والحواريون هم الذين أجابوا عيسى عليه السلام حين مر بهم وهم بيت المقدس يقصرون الثياب . وبالتبعية : الحواريون : الذين ثيابهم ، وهم اثنا عشر رجلا لما قال لهم عيسى عليه السلام (من أنصاري إلى الله) يعني من ينصرك مع الله على أهل الكفر والطغيان فأذعهم إلى طاعة الله تعالى وتوحيده (فقال الحواريون نحن أنصار الله) فتركوا معيشتهم واتبعوا عيسى عليه السلام يسبحون معه أينما توجه من الأرض ، فيرون العجائب والمعجزات التي تجري على يده عليه السلام ، فأبى وقت جاعوا واحتاجوا إلى الطعام فأخرج عيسى يده فأخرج من الأرض لكل واحد منهم رغيفين ولقمة كذلك ، وكان جبريل عليه السلام يمشي معه ويريه العجائب ويؤيده وينصره بالأشياء ، لما رآه عيسى عليه السلام يرى بني إسرائيل العجائب ولم يزدهم ذلك إلا بعدا من تصديقه واتباعه ، حتى خرج معه يوما خمسة آلاف بطريق من بني إسرائيل وسألوه المائدة مع الحواريين ، فقال عيسى بن مريم عليه السلام عند ذلك (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) يقول : تكون عيدا لمن كان في زماننا عند نزول المائدة ، وتكون عيدا لمن بعدنا ، تكون المائدة (آية منك ولزنا) يعني المائدة (وأنت خير الرزقين) من غيرك ، فإنك خير من يرزق ، قال الله تعالى (إني منزلها) يعني المائدة عليكم (فمن يكفر بعدكم أي بعد نزولها منكم) فإني أعذبه عليها لأعذبه أحدا من العالمين) فأنزلها الله عليهم يوم الأحد من السماء سمكا طريا وخبيرا راقا وتحرا . وقيل : كانت سفرة فيها سمكة مشوية ، وعند رأسها ملح وعند ذنبها خيل ولها خمسة أرغفة ، حل كل رغيف زيتونة ، وخمس دمانات وتحرات قد تصد حولها من البقول ما خلا الكراث . وقيل : إن عيسى عليه السلام قال لأصحابه وهم جلوس في روضة : هل مع أحد منكم شيء ، فجاء شمعون بسمكتين صغيرتين وخمسة أرغفة ، وجاء آخر بشيء من السويق ، فبعد عيسى عليه السلام فقطعتهما صدرا وكسرا الخبز فوضعه فلما ، ووضع السويق وتوضأ صل ركعتين ودعاه به ، فألقى الله سبحانه وتعالى على أصحابه شيء السمك ، فتفتح القوم أعينهم وزاد الطعام حتى بلغ الركب ، فقال عيسى عليه السلام للقوم : كلوا وسبحوا الله ولا ترفعوا ، وأمرهم أن يجلسوا حلقا حلقا ، فجلسوا وأكلوا وسبحوا الله تعالى حتى شبعوا وهم خمسة آلاف رجل ، وقيل إنهم كانوا ألف رجل وثمانمائة رجل وامرأة من بين فقير وجائع وبين من له فاقة إلى رغيف واحد أو أكثر ، فصعدوا كلهم شهابا يمشون بهم ، وإذا ما عليها كهيئته ، ورفعت السفرة إلى السماء وهم ينظرون ، قال فاستغنى كل فقير أكل منها يومئذ ولم

یزل غیا حتی مات ، ویری کل زمن وشی کل مریض . وقال مقاتل : فنادی عیسیٰ علیہ السلام للقوم : اکتلم ؟ فقالوا : نعم ، قال : فلا ترفعوا ، قالوا : لا نرفع ورفضوا ، فبلغ کل ما رفعوا من الفضل أربعة وعشرين مکتلا ، فأتوا عند ذلك بعیسیٰ علیہ السلام وصدقوا به ، ثم رجعوا إلى قومهم الیہود ، یعنی بنی اسرائیل ومعهم فضل المائدة ، فلم یزل بهم قومهم حتی ردوهم عن الإسلام ، وكفروا بالله تعالیٰ ، وجحدوا بزول المائدة ، فسخطهم الله عز وجل وهم نیام خزایر وهم ذکور ، وليس فیهم صبی ولا امرأة . وقیل فی ذلك مائدة وضع علیها طعام مینود ، صدر عنها البعث الغفیر والجمع الكثير وحی یجللها ، فكیف بمائدة الرضا وبساط الرحمة الی لاحد لها ولا نهاية . ففی الخبر : إن لله عز وجل مائة رحمة ، واحدة أنزلا إلى خلقه فیها یترحمون ویا یطاعون ، وأخر تسعة وتسعين عنده یرحم بها عباده یوم القيامة . . وفی خبر آخر : إن یوم القيامة یسط الجلیل جل جلاله بساط المجد بدخل ذنوب الأولین والآخرین فی حواشیه ویرى البساط فارغا حتی یتناول إلیه لیس رجاء أن تصیبه . ومع ذلك لا یبغی لكل عاقل لبیب أن یشكل علی ذلك ویفتی به ، ولا یظلیه الرجاء فیها ، بل یبذل مجهوده ویستفرغ وسعه فی أداء الأوامر وإنهاء التواهی وتسلیم الأمور إلى الله عز وجل ، ویکثر من الاستغفار والتوبة ، ویكون دائما علی حذر ، لا خوف مؤیس من رحمة الله ، ولا رجاء یوقع فی ارتکاب الحارم وإهمال الأوامر ، بل یتنبی بین ذلك سیلا . كما قیل : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاحتلا ، فلیکن خوفه ورجاؤه كجناحی الطائر ، والطار لا یطیر بجناح واحد . وأما العید الرابع : فهو عید أمة محمد صلی الله علیه وسلم ، وقد ذکرنا ما یقتضی به أوّل المجلس . (فصل) یشترک المؤمن والکافر فی العید ، فکل له عید ، فالؤمن عیده لرضا الرحمن ، والکافر عیده لرضا الشیطان ، المؤمن ینهب إلى عیده وحل رأسه تاج الملبیة وحل عیبه علامة فكرة العبرة ، وحل أذنه استماع الحق ، وحل لسانه الشهادة بالترحید ، وفی قلبه المعرفة بالیقین وحل عقه وراه الإسلام ، وفی وسطه منطقة العبودیة ، ومعقنه الحارب والجوامع والمساجد ، ومعبوده رب العباد والبریة ، ثم التضرع منه . والسؤال ، وبقائه الرب بالإجابة والتوال ، ثم یحله دار الکرامة والجنان ، والکافر ینهب إلى عیده وحل رأسه تاج الحسرة والفضلال ، وحل أذنه حتم الغفلة والحجاب ، وحل عیبه علامة السهو والشهوات ، وحل لسانه حتم الشقاوة والإبعاد ، وحل قلبه ظلمة الشکر والنجود ، وحل وسطه زناز القرقة والشقاوة والتناق ، وموضعه البیعة والکنائس أو بیت النار ، ومعبوده الوثن والأصنام ومعیده آخری إلى جهنم والنیران .

(فصل) لیس العید لیس الذامات وأكل الطیبات ومعانقة المستحبات وانفتح بالذات والشیوات ، لكن العید بظهوره علامة القبول للعلاجات ، وتکفیر الذنوب والخطیئات ، وتبدیل السیئات بالخصنات ، والیشارة بارتفاع الدرجات ، والخلع والظرف والیات والکرامات ، وانسراح الصدر بتور الإيمان ، ومیکون القلب بقوة یقین وما ظهر علیہ من العلامات ، وانسراح

بحور العلوم من القلب على الأكنة ، وأنواع الحكم والفصاحة والبلغة . كما قيل : إن رجلا دخل على علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه في يوم عيد ، وهو يأكل الخبز المشكرك فقال له : اليوم يوم العيد وأنت تأكل الخبز المشكرك ؟ فقال : اليوم عيد لمن قبل صومه ، وشكر سعيه ، وغفر ذنبه ، اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد ، وكل يوم لانصلي الله فيه فهو لنا عيد ؛ فينبغي لكل عاقل أن يترك النظر إلى الطاهر ولا يتقيد به ، بل يكون نظره في يوم العيد ينظر الشكر والاعتبار ، فيشبه العيد بيوم القيامة ، فليذكر نفخ الصور يوم القيامة عند سماع صوت يوق السلطان ليلة العيد ، وإذا بات الناس ليلة العيد ووقفوا منتظرين عيدهم متأهين له ، فليذكر الرقود بين الفطحين ، وإذا رأى الناس صبيحة يوم العيد وقد خرجوا من قصورهم وبيوتهم مخلفي الأحوال متفاوتي اللباس والألوان كل ذي زئ وحلية ؛ واحد منهم مسرور وواحد مغموم ، وواحد راكب وآخر ماش ، وواحد غني وآخر فقير ، وواحد في فرحة وآخر في ترحة ، فليذكر تفاوت أهل القيامة ، أهل الطاعة مسرور وأهل المعصية مغموم ، المتقي راكب والمجرم المشرك متعثر مكبوت على وجهه مسحوب أو ماش ، كما قال عز من قائل (يوم نحشر الشقيين إلى الرحمن وغداً) أي وكما بنا على النجائب (ونسوق الجحيم إلى جهنم ورداً) أي عطاشاً والزاهد والعارف والأبدل كل واحد في راحة وغنى عند مليكهم ومهيوم تحت ظل العرش عليهم الخلق والحلل ، وأنوار الطاعات والمعارف حل وجوههم ظاهرة وهي تضرعة ومشرفة ، وبين أيديهم موائد عليا أنواع الأطعمة والأشربة والفواكه حتى يقضى حساب الخلائق ، ثم يسرون إلى الجنة إلى منازلهم التي أعد الله تعالى لهم ، وفيها ما تشبه الأنفس وتلك الأعين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) . وأما الراغب في الدنيا فهو في نياحة وبكاء وعناء ، ممنوع عما فيه القوم من النعم بدنياء ، وتناوله الحرام والشبهات ، وتخليطه في طاعة ربه ، وهو يرى مكانه في الجنة فلا يصل إليه حتى يخرج مما عليه من الحقوق ، والكافر يتأذى بالويل والبوار لما قد حاربه وانكشف له من أنواع العذاب والنكال والموانع والملاك والخلود في القبر ، وإذا رأى الأعلام قد نشرت والأقوية قد ضربت فليذكر أهل الإسلام أصحاب الأعلام حين يتأذى منادى الرحمن بالترجعة إلى زيارة رب الأنام إلى دار السلام بأمر السلام ، وإذا رأى الصغوف قد استكثت والخلائق قد اجتمعت فليذكر وقوف الخلائق بين يدي الجبار وصغوف القجار والأبرار يوم النشر الذي فيه تظهر الأسرار ، وإذا رأى الناس قد انصرفوا من الجبابة فكل يرجع إلى ما قد قسم له من دار أو مسجد أو خان ، فليذكر منصرف الخلائق من بين يدي الملك المثلث الديان إلى الجنة أو إلى النار ، كما قال ذو العظمة والامتنان (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفركون - فريق في الجنة ، وفريق في السعير) .

(مجلس : فی فضائل ایام العشر)

قوله عز وجل (والعصر لیال عشر) والشفع والوتر ، واللیل إذا یسر ، هل فی ذلك قسم لئى حبر) . قوله (والعصر) انتطف الناس فی ذلك ، فقال ابن عباس رضی الله عنهما : عنى بالفجر : صلاة الصبح ، (ولیال عشر) هى عشر ذی الحجة ، (والشفع) الخلق ، (والوتر) هو الله (واللیل إذا یسر) یعنى إذا ذهب (هل فی ذلك قسم لئى حبر) أى إن ذلك قسم لئى لبّ وعقل ، وجواب القسم قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) . وقال مقاتل رحمه الله : (والعصر) عنى به : صلاة جمع یوم النحر ، (ولیال عشر) وهى عشر لیال قبل الأضحى ، وإنما سبأها عز وجل : لیال عشر ، لأنها تسعة أيام وعشر لیال ، (والشفع والوتر) أما الشفع : فآدم وحركه عليهما السلام ، والوتر : فهو الله عز وجل (واللیل إذا یسر) إذا أقبل ، وهى لیلة الأضحى ، فأقسم عز وجل : بیوم النحر والعشر وآدم وحركه ، وأقسم بنفسه تبارك وتعالى ولیلته الأضحى ، فلما فرغ منها قال (هل فی ذلك قسم لئى حبر) ؟ یعنى : هل فی ذلك القسم كفاية لئى لبّ ، یعنى ذی عقل ، لیعرف عظم هذا القسم ، (إن ربك لبالمرصاد) . وقیل : المراد بالفجر : فجر النهار . وقیل : هو النهار ، فعبّر عنه بالفجر ، لأنه أوّل . وقال مجاهد رحمه الله : هو فجر یوم النحر خاصة . وقال عكرمة رحمه الله : أقسم الله تعالى بانقجار المياه من العیون ، والنبات من الأرض ، والثائر من الشجر . وقیل : أقسم الله بانقجار المياه من أصابع النبی صلی الله علیه وسلم . وقیل : أقسم الله بانقجار الناقة من الصحرة لصالح علیه السلام . وقیل : أقسم الله تعالى بانقجار المياه من الحبر بعضا موسى علیه السلام . وقیل : أقسم الله تعالى بانقجار المياه من عیون المصاة . وقیل : أقسم الله تعالى بانقجار المعركة من القلب كما قال الله تعالى (أومن كان میتا فأحیاه) یعنى بالإیمان والمعرفة . وأیضا قوله تعالى (ولیال عشر) روى جابر بن عبد الله رضی الله عنهما ، عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قال : والعصر ولیال عشر : هى عشر الأضحى . وقال ابن الزبیر وابن عباس رضی الله عنهما : إنها عشر ذی الحجة . وعن ابن عباس رضی الله عنهما ، فی رواية أخرى : إنه العشر الآخر من شهر رمضان . وقال مجاهد رحمه الله : إنها عشر موسى علیه السلام . وقال محمد بن جریر الطبری رحمه الله : إنها عشر أوّل الحشر . قوله تعالى (والشفع والوتر) قال قتادة والسدى رحمهم الله : الشفع : كل الثین ، والوتر : هو الله تعالى . وقیل : هما آدم وحركه ، وهو قول مقاتل : وهو أن آدم كان ولما فشفع بزوجته حركه . وقیل : الصلاة منها شفع ، ومنها وتر . قال الربیع بن أنس وأبو العالیة رحمهم الله : هى صلاة المغرب الشفع فیها ركعتان ، والوتر الثالثة . وقیل : هو یوم النحر ، لأنه العاشر ، والوتر هو یوم عرفة لأنه التاسع . وقیل : الشفع یومان بعد النحر ، والوتر الیوم الثالث . قوله تعالى (واللیل إذا یسر) یعنى إذا ذهب . وقیل : إذا أظلم . وقیل : إنه لیلة المزدلفة خاصة . وقیل : یعنى إذا سرى فیه أهله ، لأن السرى : هو سرى اللیل ، وقوله

تعالیٰ (حل فی ذلك قسم للی حجر) یعنی للی عقل ، وهو قول ابن عباس رضی اللہ عنہما . وقال الحسن وأبو رجاء وحمہما اللہ : للی علم . وقال محمد بن کعب رحمہ اللہ : للی دین ، معناه : إن فی ذلك قسم للی حجر ، وحل حائطا فی موضع إن ، ومعنی قوله عز وجل (والقصر لیال عشر) وحتى رب الفجر ، وحتى رب لیال عشر لی آخر القسم ، وكلکلم فیما شاکل ذلك کقولہ تعالیٰ (والشمس وضحاها — والیاء والطارق — والیاء ذات البروج) وغیرہا ؛ (فصل : فیما ورد فی عشر ذی الحجۃ من کرامات الانبیاء ، وما نقل فی ذلك من الأخبار والآثار وفصائل الأعمال) أخبرنا الشیخ أبو البرکات ، قال أنبأنا الشیخ الحافظ أبو بکر أحمد بن علی الثابت الخطیب ، قال أنبأنا أحمد بن أحمد بن زرقونہ ، قال أنبأنا محمد بن عبد اللہ الشافعی رحمہ اللہ ، قال أنبأنا محمد بن عبد اللہ بن عبد الرحمن بجلب ، قال أنبأنا عمرو بن عثمان ، قال أنبأنا الولید ، عن ابن المبارک ، عن خالد الخذاء ، عن عکرمہ ، عن ابن عباس ، رضی اللہ عنہما أنه قال فی عشر ذی الحجۃ قبل اللہ توبۃ آدم ، وتاب علیہ ہرقہ ، لأنه اعترف بذنبہ ، وفیہ وجد إبراهیم الخلیل علیہ السلام الخلق ، فلیل مالہ للضیفان ، ونفسہ للفریان ، وولدہ للقربان وقلبہ للرحمن ، ولم یصبح لأحد للثکر کل إلا لإبراهیم خلیل الرحمن ، وفیہ بنی إبراهیم علیہ السلام الکعبۃ الشریفۃ ، قال اللہ تعالیٰ (وإذا رفع إبراهیم القواعد من البیت وإسماعیل) الآیۃ ، وفیہ أکرم اللہ موسیٰ علیہ السلام بالمشاجۃ ، وفیہ نزلت علی جلود المغفرۃ ، وفیہ كانت لیلة المبارکۃ . وقیل : إن فیہ افتتاح نزول القرآن بکرمۃ یوم الأضحی ، والنبی صلی اللہ علیہ وسلم متوجہ لیل المصلی ، وفیہ كانت بیعة الرضوان ، فأنزل اللہ تعالیٰ (إذا پیارینک تحت الشجرۃ) وہی حمرة ، وكان ذلك یوم الحذیبیۃ ، وأصحاب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ألف وأربعمئة رجل وقیل ألف وخمسائة رجل ، وأول من أطلق یدہ للبیاعۃ أبو سنان الأسدی ، علیہ وعلى جمیع الصحابة رحمۃ اللہ تعالیٰ وبرکاتہ ونحوکما والذابین لم یحسان ، وفیہ یوم القرویۃ ، ویدوم عرفۃ ، ویدوم النحر وهو یوم الحج الأكبر . وأخبرنا الشیخ أبو البرکات ، عن الفضل بن محمد ، عن أحمد بن علی الحافظ بإسناده عن أبي سعید الخدری رضی اللہ عنہ ، عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال « مید الشہور شہر رمضان ، وأعظمها حرمة ذوالحجۃ » . وأخبرنا الشیخ أبو البرکات عن الفضل بن محمد القصار الأصفہانی ، قال أنبأنا أبو سعید الحسن بن علی بن سہدان ، قال أخبرنا عبد اللہ بن محمد الوراق ، قال أخبرنا أبو بکر الیزر ، قال أخبرنا أبو کامل الفضل بن الحسن الجحدری ، قال أنبأنا أبو حاتم بن حلال ، عن ایوب ، عن ابن الزبیر ، عن جابر رضی اللہ عنہ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال « أفضل أيام الدنیا أيام حشر ذی الحجۃ ، قیل : ولا مثلها فی سبیل اللہ ؟ قال : ولا مثلها فی سبیل اللہ ، إلا رجل غفر وجہہ فی القرب » . وأخبرنا الشیخ أبو البرکات عن القاضی أبي المصفر حماد بن إبراهیم البخاری القسبی بإسناده عن عطاء بن أنس رضی اللہ عنہ ، قال : سمعت عائشۃ رضی اللہ عنہا قالت : « كان علی عهد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم رجل یحب السیاح ، یعنی الغناء ، وكان إذا عمل حلال ذی الحجۃ أصبح صائما ، فاقصص الحنفیہ برسول

الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فأحضروا الرجل ، فقال له : ما حلتك على صيام هذه الأيام ؟ فقال : يا رسول الله إنها أيام مشاعر وأيام الحج ، فأجبت أن يشركني الله تعالى في دعائهم . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لك بعد كل يوم تصومه عتق مئة ، فبة مؤمنة بدنة تهديها . ومئة فرس تحمل عليها في سبيل الله ، فإذا كان يوم القروية ، فلك عتق ألف رقبة وألف بدنة تهديها وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله ، فإذا كان يوم عرفة فلك عتق ألفي رقبة وألف بدنة تهديها وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله ، وصيام سنة قبلها وستة بعدها . وأخبرنا الشيخ أبو البركات بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من رجل في هذه الأيام ، يعني أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء . . . وأخبرنا الشيخ أبو البركات ، عن أبي بكر بن أحمد بن علي بن ثابت الحافظ بإسناده عن جبير بن خالد الخزاعي ، عن حفصة رضي الله عنها أنها قالت : أربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يتركهن : صوم عشر ذي الحجة ، وعاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتان قبل الغداة . وأخبرنا الشيخ أبو البركات ، عن حزة بن عيسى بن الحسن الوراق بإسناده عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من أيام أحب إلى الله تعالى أن يتعبده فيها من أيام عشر ذي الحجة ، وإن صيام يوم فيها يعدل صيام سنة ، وقيام ليلة فيها كت قيام سنة . . . وأخبرنا الشيخ أبو البركات عن الحسن بن أحمد الثوري بإسناده ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من صام أيام العشر كتب الله له بكل يوم صوم سنة . وعن سعيد ابن جبير رحمه الله أنه كان يقول : لا تطلقوا سرجكم ليال العشر ، ويأمر بإيقاظ الخدم ، وتعجده فيه العبادة .

(فصل : في الصلاة الواردة في أيام العشر) أخبرنا الشيخ أبو البركات ، عن الشريف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى اللهدي بإسناده ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أصاب ليلة من ليالي عشر ذي الحجة ، فكأنما صام الله عبادة من حج وأحضر طول سنته ، ومن صام فيها يوماً فكأنما عبد الله تعالى سائر سنته . أخبرنا الشيخ أبو البركات عن محمد بن محمد بن عبد العزيز الشاهد بإسناده عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا دخل عشر ذي الحجة ، فجدوا في الطاعة ، فإنها أيام فضلها الله تعالى وجعل حرمة لياليها كحرمة نهارها ، فمن صلى في ليلة من ليالي العشر في الثلث الأخير أربع ركعات بقراً في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، والموذنين ، ويكرر سورة الإخلاص ثلاثاً ، ويقرأ آية الكرسي ، ويكرر ذلك ثلاثاً في كل ركعة ، فإذا فرغ من صلاته رفع يديه وقال : سبحان

شیء المزمک والجبروت ، سبحانه ذی القدرة والملكوت ، سبحانه الخی الہی لا یموت ، لا یموت ، لا یموت ، وهو حی لا یموت ، سبحانه اللہ ربّ العباد والیباد ، والحمد للہ کثیرا طیبا مبارکا علی کلّ حال ، اللہ اکبر کثیرا ، ربنا جلیل جلّالہ وقلوبہ بکلّ مکان ، قال الشیخ : یعنی علمہ بکلّ مکان ، ثمّ یبدو بما شاء ، فإنّ له من الآخر کمن حجّ بیت اللہ الحرام وزلزل قبر النبی صلی اللہ علیہ وسلم وجاهد فی حبیل اللہ ، ولم یسأل اللہ شیئا إلا أعطاه إیاءہ ، وإن صلاھا فی کلّ لیلۃ من لیلال العشر ، أسأله اللہ تعالیٰ القردوس الأعلیٰ ، وھا عنہ کلّ سبۃ . وقیل له : استخفّ العمل ، فإذا کان یوم عرقہ ، وصباح نہارھا ، وصلى لیلھا ، ودعا بہا الدعاء ، وأكثر التضرّع بین بدی اللہ تعالیٰ بقول اللہ : یا ملأ کلّی الشہدوا أنّی قد غفرت لہ وأشرکتہ بالخلاص إلی بیت اللہ ، قال : تستبشر الملائکۃ بما یعطى اللہ تعالیٰ ذلک العبد المؤمن بصلواتہ ودعاہ .

(فصل) والعشر خمسة أنبياء عليهم السلام : الأول : عشر آدم عليه السلام ، وهو أنه لما خلق اللہ حواء من ضلعه الأيسر القصير وهو نائم ، فاستيقظ من سبۃ ، فرأى حواء جالسة عنده ، فقال لها : لمن أنت ؟ قالت : لك ، فأراد أن یسبھا ، فقیل لہ : لا تمسبھا حتى تعطى مہربھا ، قال : إلی وما مہربھا ؟ قال اللہ تعالیٰ : هو أن تصل علی نبي آخر الزمان عشر ، فذلک مہربھا .

والثاني : عشر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، قال اللہ تعالیٰ (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) وهي عشر عصال : خمس منها فی الرأس : الفروق ، وقصّ الشارب ، والسرّاك ، والمضغیة ، والامتنشاق . وخمس فی البدن : وهي تقليم الأظفار ، وتنفّ الإبطین ، ولتئان ، وحلق العانة ، وتحليل الأصابع ، فلما أتمّ إبراهيم علیہ السلام هذه التصلال العشرة أكرمه اللہ تعالیٰ بالخلعة ، قوله تعالیٰ (واتخذ اللہ إبراهيم خلیلا) .

والثالث عشر : شعيب النبی علیہ السلام ، قوله عزّ وجلّ (فإن أئمت عسرا فن عندك) وهو أنه أبصره موسى علیہ السلام نفسه عشر سنین ، فكان أبصرته مہر ابنة شعيب النبی علیہ السلام . وقیل : إن شعيبا علیہ السلام بکی عشر سنین حتى ذهب بصره ، فردّ اللہ بصره علیہ ، فأوحى اللہ تعالیٰ إلیہ : یا شعيب إن كنت تخاف الثیران فقد أمتاک منھا ، وإن كنت تريد إلیان فقد وھبت لك ، وإن كنت تطالب الرضوان فقد أعطيتك ، فقال : یا جبریل لیس بکافی حیا للجنان ، ولا أخوفا من الثیران ، ولكن شوقا إلی لقاء الرحمن ، فقال اللہ عزّ وجلّ : الآن حقّ لك ، فأبک ثم أبک ثم عرض لیکانه أن أجعل اللہ نبيہ موسى علیہ السلام غادما لہ عشر سنین . جزاء لما کان من بکائه علی عبۃ ، سوى ما قد ادّخر لہ عنده من الکرامات والمنازل العالیات والقرب منه تبارک وتعالیٰ ، والنظر إلی وجهہ الکرم ، وغير ذلک مما لا ین وأت ولا أذن سمعت ولا یخطر علی قلب بشر .

والرابع : عشر موسى ، علیہ السلام ، قوله عزّ وجلّ (وواعظنا موسى ثلاثین لیلۃ

وَأَتَمَّتْهَا بِعَشْرِ) وَهَكَذَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَجَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُنَاجَاةَ ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ ، فَصَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ شَهْرُ ذِي الْحِجَّةِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ ؛ فَلَمَّا قَصِدَ الْمُنَاجَاةَ وَضِعَ قِطْعَةُ زَيْتُونٍ فِي فِيهِ لَمَّا شَهِدَ مِنْ تَغْيِيرِ رَأْيِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عُلُوفَ قَوْمِ الصَّامِ عِنْدِي أَطْلُبُ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ؟ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَصْرُمَ عَشْرًا مِنْ الْخَمْرِ أَنْخَرَهَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَعَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ : الشَّهْرُ كَانَ ذَا الْقَعْدَةِ ، فَيَكُونُ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ ، ثُمَّ قُرْبَهُ وَأَكْرَمَهُ بِالْمُنَاجَاةِ وَالْقُرْبَةِ ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا) الْآيَةُ .

وَالْخَامِسُ : عَشْرَ نَبِيْنَا لِلصَّلَاطِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالْفَجْرِ وَلِيَالٍ عَشْرَ) يَعْنِي عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ .

(فَصْلٌ) وَقِيلَ : مِنْ أَكْرَمِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرَةُ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَشْرِ كَرَامَاتٍ : الْبِرْكَةُ فِي عَمْرِهِ ، وَالزَّيَادَةُ فِي مَالِهِ ، وَالْحِفْظُ لِمَالِهِ ، وَالتَّكْفِيرُ لِسَيِّئَاتِهِ ، وَالتَّضْعِيفُ لِحَسَنَاتِهِ ، وَالتَّسْبِيلُ لِسُكْرَاتِهِ ، وَالضِّيَاءُ لظُلُمَاتِهِ ، وَالتَّخْفِيلُ لِمِيزَانِهِ ، وَالنَّجَاةُ مِنْ حُرُكَاتِهِ ، وَالصُّعُودُ عَلَى عُرُجَاتِهِ . وَمَنْ تَصَدَّقَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ بِصَدَقَةٍ عَلَى مَسْكِينٍ ، فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى أَسْبَابِهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ حَادَّ فِيهَا مَرِيضًا فَكَأَنَّمَا حَادَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَبِدَلَانِهِ ، وَمَنْ شَبَّحَ جَنَازَةً فَكَأَنَّمَا شَبَّحَ جَنَازَةَ شَهِيدَانِهِ ، وَمَنْ كَسَا مَوْلَانَا كَسَاءَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حِلِّهِ ، وَمَنْ لَطَفَ فِيهَا بِشَيْءٍ لَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْقِيَامَةِ نَحْتِ ظِلِّ عَرْشِهِ ، وَمَنْ حَضَرَ جُلُوسًا مِنْ عِبَادِ الْعَالَمِ ، فَكَأَنَّمَا حَضَرَ جُلُوسَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مَتِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَعْيَطَ إِلَى الْأَرْضِ يَكُنِي عَلَى ذَنَبِهِ سِتَّةُ أَيَّامٍ ، ثُمَّ لَوْحِي اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَهُوَ مَحْزُونٌ كَظِيمٍ مِنْكَسٍ رَأْسُهُ ، يَا آدَمُ حَاضِرًا لِيُجَاهِدَ الَّذِي بِكَ ؟ فَقَالَ : إِلَهِي عَظُمْتَ مَصِيبَتِي ، وَأَحَاطَتْ بِي خَطِيئَتِي ، وَصَحَرَتْ فِي دَارِ الْغَوَانِ بَعْدَ الْكَرَامَةِ ، وَفِي دَارِ الشَّقَاةِ بَعْدَ السَّعَادَةِ ، وَفِي دَارِ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ بَعْدَ الْخُلْدِ وَالْبَقَاءِ ، فَكَيْفَ لَا يَكُنِي عَلَى خَطِيئَتِي ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا آدَمُ أَمَا اصْطَلَمْتُكَ لِنَفْسِي ، ثُمَّ اصْطَلَمْتُكَ عَلَى خَلْقِي ، وَخَصَصْتُكَ بِكَرَامَتِي ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مِهْنِي ؟ أَمَا خَلَقْتُكَ بِيَدِي وَأَجَدْتُكَ لَكَ مَلَأْتُكَ نِي ؟ أَلَمْ تَكُنْ فِي بَحْبُوحَةِ كَرَامَتِي وَمَنْهَى رَحْمَتِي ، فَعَصَيْتَ أَمْرِي ، وَتَسَبَّتَ عَهْدِي ؟ فَكَيْفَ تَسَبَّتَ رَحْمَتِي وَنَعَمَتِي ؟ فَوَعَدْتَنِي وَجَلَّالَ لَوْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ وَجَدَلَا كُلَّهُمْ مِثْلَكَ يَبْدُرُونِي وَيَسْبَحُونِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ عَنْ عِبَادَتِي طَرَفَةَ عَيْنٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ حَصَرُونِي لِأَكْثَرِ ثَمَنٍ مَنَازِلَ الْعَاصِينَ : قَالَ : فَبَكَى عِنْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مِائَةِ حَامٍ عَلَى جَبَلِ الْفَنَاءِ تَجْرِي دُمُوعُهُ فِي أَوْدِيَةِ جِهَنَّمَ ، فَتَنَّبَتْ مِنْ تِلْكَ الْقَدَمُوحِ الشَّجَارُ طِيَّةً ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اذْهَبْ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَاصْبِرْ حَتَّى تَدْخُلَ أَيَّامَ الْعَشْرِ ، ثُمَّ تَبَّ إِلَى اللَّهِ لَعْلَهُ يَرْحَمُ ضَعْفَكَ ، فَضِي فَكَانَ يَطْفُوُ خَطْوُهُ ، فَكَانَ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ عَمْرَانًا ، وَمَا بَيْنَهُمَا مَقَاوِزُ . وَقِيلَ : كَانَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ ، حَتَّى آتَى الْبَيْتَ ، فَطَفَأَ بِأَلْيَتِ أَسْبُوحَا كَمَلًا ، وَبَكَى حَتَّى خَاضَ فِي دُمُوعِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَجَرَى عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِعَمَلِكَ حَمَلْتُ مَوَدًّا ، وَظَلَمْتُ نَفْسِي

فاغفر لی وأنت خير الصالحين ، وارحمی وأنت خير الراحمين ، فأوحى الله إليه : يا آدم قد رحمت ضيقك ، وخفرت ذنبك ، وقيلت توبتك ، فلك قوله عز وجل (خلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فوجد آدم من بركات أيام العشر التوبة ، وكذلك المؤمن الذي عصى ربه واتبع هواء في معصية مولاه إذا تاب وأتاب ، وانقاد لطاعة الله في هذه الأيام يتفضل عليه بالرحمة والقرآن ، وإبدال السيئات بالحسنات برحمة منه .

(فصل) وقد أقسم الله تعالى (بالفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر) إلى قوله (إن ربك لبالمرصاد) وهي ثمان قطاطر على جسر جهنم ، فيستل العبد في أولك موقف منها عن الإيمان بالله ، فإن كان مؤمنا بها ، وإلا تردى في النار ، ثم جاز إلى الثاني فيستل عن الوضوء والصلاة ، فإن قصر فيها تردى في النار ، وإن أكل وكوهرها وسجودها بها ، ثم جاز إلى الثالث فيستل عن الزكاة ، فإن كان قد أدأها بها ، ثم جاز إلى الرابع ، فيستل عن الصيام ، فإن كل صيامه بها ، ثم جاز إلى الخامس فيستل عن الحج والعمرة ، فإذا كان أدأها بها ، ثم جاز إلى السادس فيستل عن الأمانة ، فإن لم يكن فيها بها ، ثم جاز إلى السابع فيستل عن العفة والنيسة والبيتان ، فإن لم يكن اغتاب بها ، ثم جاز إلى الثامن فيستل عن أكل الحرام ، فإن لم يكن أكل بها وإلا تردى في النار ،

(فصل : في ذكر يوم القروية) قال الله سبحانه وتعالى (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا) الآية . وهذه الآية في سورة الحج ، وهي من أعاجيب سور القرآن العظيم ، فإن فيها مكيًا ومدنيًا وحضريًا وسفريًا وليليًا ونهاريا ، وفيها نسخ ومنسوخ . فأما المكي فـ (رأس الثلاثين آية منها إلى آخرها . وأما الآيات المدنية فنـ (رأس خمسة عشر إلى رأس الثلاثين . وأما المدني منها فنـ (أولها إلى رأس خمس آيات . وأما الناري منها فنـ (رأس خمس إلى رأس سبع . وأما الحضري قال رأس العشرين ، ونسب ذلك إلى المدينة لقربها منها . وأما النسخ ، فـ (قوله تعالى (أذن قلدين يقاتلون) الآية . وأما المنسوخ ثلاث آيات (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) نسخت بقوله تعالى (ستتركك فلا تفرق) ، والثانية قوله تعالى (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيها كنتم فيه تختلفون) فنسخت بآية السيف . والثالثة (وجاهدوا في الله حق جهاد) فنسخت بقوله تعالى (فاقترأوا الله ما استطعتم) . قوله تعالى (وأذن في الناس بالحج) أي ناديا إبراهيم ذريته وغيرهم من بني آدم من المؤمنين بالحج (يأتوك رجالا) أي يبيتون إليك رجالا على أرجلهم ، (وعمل كل ضامر) يعني وكبانا على الإبل (يأتين من كل فج عميق) يعني من كل أرض بعيدة وطريق بعيد ، قال الله تعالى ذلك لإبراهيم عليه السلام حين فرغ من عمارة البيت الحرام ، وقال : إلى من يقصد هذا البيت ؟ قالوا أن يؤذن في الناس بالحج ، فصعد أبا قهيس وهو الجبل الذي صنفا في أصله ، فنادى بأعلى صوته : يا أيها الناس أجيروا ربكم إن الله يأمركم أن تحجوا بيته ، فسمع نداء إبراهيم كل مؤمن ومؤمنة على وجه الأرض ، ومن في أصلاب الرجال ولرحام

نساء ، فالليلة اليوم هي جواب تلك إبراهيم عليه السلام عن امرئيه ، فأجابوا كلهم : ليك
فن أجاب ذلك اليوم فلا يخرج من الدنيا حتى يزور هذا البيت .

(فصل : في فضائل من أحرم بالحج وليي وقصد البيت وإليه دنا) روى مجاهد عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت طائفة من الجن
قالوا : فذلك الأمهات والآباء ، أغبرنا بفضائل الحج ، قال نعم ، أتى رجل يخرج من منزله
حاجا أو معتمرا ، فكلما وقع قلما ووضع قلما تافرت الذنوب من قلبيه كما ينثر الورق
من الشجر ، فإذا ورد المدينة وصالحني بالسلام صافحته الملائكة بالسلام ، فإذا ورد
فا الحليفة واغتسل طهره الله من الذنوب ، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له الحسنات ،
وإذا قال ليك اللهم ليك أجابه الله تعالى بليك ومعلوك أصح كلامك وأنظر إليك ، وإذا دخل مكة
فطاف وصلى بين الصفا والمروة أوصل الله له الخيرات ، وإذا وقف بمرفقات وضجت له الأصوات
بالحاجات ، باهى الله تعالى بين ملائكة سبع سموات فيقول : ملائكتي وسكان سمواتي ، أما ترون
إلى عبادي أنوني من كل فجٍّ عميق شعا غبرا ، وقد أنفقوا الأموال وأنعبوا الأبدان ، فوهت وجلال
وكرى لأهمن سيئهم لحسنهم ، ولأخرجهم من الذنوب كيوم وضعهم لهاهم ؟ فإذا رموا
إلى حصار وحلقوا الرموس وزاروا البيت ، نادى مناد من بطان العرش : ارجعوا مطفورا لكم
ولماتقوا العمل . وروى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أعزاني وقال له : يا رسول الله
خرجت لأريد الحج فإني ، وأنا رجل متزر ، يعني حرما ، فرق بما أصنع ، فأبلغ به الحج أو مثل :
أجر الحج ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : انظر إلى أبي قيس ، فلو أن
لك أبا قيس ذهبا أحمر وجعلته في سبيل الله ما بلغت ما بلغ الحاج ، ثم قال عليه السلام :
إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئا ولا يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات وبها عنه عشر
سيئات ورفع له عشر درجات ، فإذا ركب بعبده لم يرفع البعير غفا ولا يضعه إلا كتب الله
له مثل ذلك ، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه ، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه ،
فإذا وقف بمرفقات خرج من ذنوبه ، ثم قال : إذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه ، فإذا
رمى إحصار خرج من ذنوبه ، ثم قال للأعرابي : أتى لك أن تريد تبلغ ما بلغ الحاج . وعن
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : كنت طائفا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت
الحرام ، فقلت له : يا رسول الله فذلك أبي وأبي ما هذا البيت ؟ فقال : يا علي أسس الله تعالى
هذا البيت في دار الدنيا كفارة للذنوب التي ، فقلت : فذلك أبي وأبي يا رسول الله ، ما هذا
الحجر الأسود ؟ قال صلى الله عليه وسلم : تلك جوهرة كانت في الجنة ، فأعطيت الله بها إلى دار
الدنيا ، لما شاع كشعاع الشمس ، فاشتد سوادها وتغير لونها منذ مسها أيدي المشركين .
وعن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : يزل على هذا البيت الحرام في كل ليلة ويوم مائة وعشرون راحة ، ستون منها
لطائفين بالبيت الحرام ، وأربعون منها لعاطفين حول البيت الحرام ، وعشرون منها لناظرين إليها .

إليها . وعن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن سلمة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله تعالى : إن جبلا صححت له في جسمه وقسحت له في عمره وتفضى عليه ثلاثة أعوام لا يقبلوا إلى هذا البيت ، إنه لغروم إنه لغروم . وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أول خلافته ، فدخل المسجد حتى وقف عند الحجر ، فقال : إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلك ، فقال له عليّ رضى الله عنه : لا تقل هذا يا أمير المؤمنين ، فإنه ليسر ويضع يداك الله ، ولو أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه لما أنكرت عليّ ، فقال له عمر رضى الله عنه : يا أبا الحسن وما تأويله في كتاب الله عز وجل ؟ قال : قوله تعالى : وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، فلما أقرؤا بالعبودية كتب إقرارهم في ورق ، ثم دعا الحجر فألقى ذلك الورق ، فهو أمين الله تعالى على هذا المكان يشهد لمن وافاه يوم القيامة ، فقال عمر رضى الله عنه : يا أبا الحسن لقد جعل الله بين ظهرانيك من العلم غير قليل . وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الحاج والعمار وفد الله عز وجل إن دعوهم أجابهم ، وإن استغفروا غفر لهم . وعن مجاهد رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج . وروى عن الحسن رحمه الله أنه قال في الخبر : إن الملائكة يتلقون الحاج فيسلمون على صاحب الجمال ويصافحون أصحاب البغال والحمر ويعاتقون الرعاة . وروى عن الضحاك رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل أنه قال : أيما مسلم خرج من بيته قاصدا في سبيل الله فقصته الدابة قبل القتال ، وأودعته حامة ، أو مات بأي حنف فهو شهيد ، وأيما مسلم خرج من بيته إلى بيت الله تعالى ، ثم نزل به الموت قبل بلوغه إلا ألوجب الله له الجنة . وعن سفيان بن عيينة رحمه الله عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ولم يجهل عاد كذا ولدت أمه . وروى عن سعيد بن المسيب رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حج هذا البيت ثم عاد فلم يرفث ولم يفسق ولم يجهل عاد كبرم وضعت أمه . وقال صلى الله عليه وسلم : لا يدخل ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الجنة : الوحشي بها ، والمفذلها ، والحاج عنه ، والعسرة والجهاد كذلك . وعن علي بن عبد العزيز رحمه الله قال : كنت عديلا لأبي عبيد القاسم بن سلام سنة من السنين ، فلما صرت إلى الموقف فصرت إلى وكن جبل الرحمة ، فظهرت ونسيت تنفسي عنده ، فلما صرت إلى المزمين ، قال لي أبو عبيد : لو اشتريت لنا زبدا ونعرا ، فخرجت لا يباع ذلك ، فذكرت الثقة ، ورجعت عودا على بدء إلى أن وافيت الموضع ، فإذا الثقة بأخا ، فأقبلتها ورجعت ، وكنت قد صادفت الوادئ معلوما قرودة وبخنازير وغير ذلك ، فجزعت منهم ، ثم إن رجعت فإذا هم على حالهم حتى دخلت على أبي عبيد قبيل الصبح ، فسألني عن أمري فأخبرته وقد ذكرت له القرودة والبخنازير ، فقال : تلك ذنوب بني آدم تركوها وانصرفوا .

(تصل) واختطفوا في تسمية يوم التروية ، والتروية : اسم اليوم الثامن من شهر ذي الحجة وهو اليوم الذي يخرج الناس فيه من مكة إلى منى ، فسمى تروية لأن الناس يرتوون فيه من ماء زمزم ، والتروية : فغلة من قولهم ارتوى : إذا استقى الماء وسقى وشرب واقتبل ، والناس يشترطون من ماء زمزم في ذلك اليوم مستكثرين . وقيل : سميت التروية لأن إبراهيم عليه السلام رثد في الشام في ليلا أنه يذبح ولده ، فلما أصبح تروى وتفكر أنه من المصلين الشيطان ، ثم من الحبيب الرحمن ؟ فبقي ذلك اليوم متفكرا قيا رأى فلما كان يوم عرفة قيل له : افعل ما تأمر به ، عرف أنه من الحبيب ، فلها سمى يوم عرفة . قوله عز وجل (وأذن في الناس بالحج) أمر خيلة بدعوة عباده إلى بيته . والدعوات أربعة : دعوة الله لعباده ، قال الله عز وجل (والله يدعو إلى دار السلام) دعاهم من دار إلى دار ، دعاهم من دار التكليف إلى دار التشریف ، من دار الفاقة إلى دار المشاهدة ، ومن دار الزوال إلى دار البقاء ، ومن دار البلى إلى دار المولى ، دعاهم من دار أولها بكاء ووسطها عناء وآخرها فناء ، إلى دار أولها عطاء ووسطها رضاء وآخرها لقاء . والثانية دعوة النبي صلى الله عليه وسلم دعا أمته إلى دين الإسلام قوله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية . فالدعوة إليه صلى الله عليه وسلم والهداية يست إليه ، كما قال عليه الصلاة والسلام « بعثت هاديا وليس إلى من الهداية شيء » ، وبعث إبليس غاويا ، وليس إليه من الضلالة شيء ، قال الله عز وجل (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) : سأل النبي صلى الله عليه وسلم هداية عما أتى طالب ، فأتى أن يهدي وحده وحشيا قاتل حزة رضي الله عنهما ، كأنه عز وجل يقول لنبيه عليه السلام : يا محمد عليك الدعوة كما قال عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك) ، وقال تعالى (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وادعنا إلى الله بذاته سراجا منيرا) الآية ، ولك الشفاعة ، وأما الإجابة والهداية فإلى : قال الله عز وجل (يهدي الله لنوره من يشاء) قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هديا) . والثالثة : المؤذن يدعو إلى الصلاة وإلى دار أمر الله تعالى ، قال الله تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤذنين والمليين يوم القيامة يخرجون من قبورهم ، المؤذن يؤذن ، والملي يلي ، ويستغفر للمؤذن مدى صوته ، ويشهد له كل رطب وياس من شجر وصنبر سمع صوته ، ويكتب للمؤذن بكل إنسان صلى في ذلك المسجد مثل حسناته ، ويعطيه الله تعالى ما بين الأذان والإقامة كل شيء » ، سألته ، إما أن يمحطه في الدنيا أو يصرف عنه سرعا ، أو يدخر له في الآخرة . . وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال : يا رسول الله أخبرني بعمل واحد أدخل به الجنة ، فقال : تكون مؤذنا قومك ، يجمعون بك صلاتهم ، قال : يا رسول الله ، فإن لم أطلق ؟ قال : تكون إمام قومك يقيمون بك صلاتهم ، قال : فإن أطلق ؟ قال : فعليك بالصف الأول » . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : « نزلت هذه الآية في المؤذنين (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا) » يعني دعا الخلق إلى الصلاة ، وصلى بين الأذان

والإقامة . وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يغفر للمؤمن مدى صوته ، وله مثل أجر من صلى معه من غير أن يقص من أجورهم شيئا . وعن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرضى ضيف الله مادام في مرضه ، يرفع له بكل يوم عمل سبعين شهيدا ، فإن علقه الله من مرضه فخرج من ذنوبه كيوم وضعته أمه ، وإن قضى عليه بالموت أدخله الجنة بغير حساب . وقال بعضهم : المؤمن أحجب الله تعالى بكل أذن ثواب ألف نبي ، والإمام وزير الله يعطى بكل صلاة ثواب ألف صديق ، والعالم وكيل الله تعالى يعطى بكل حديث ثواب يوم القيامة ، وكتب له عبادة ألف سنة والمتعلمون من الرجال والنساء هم خدم الله فأجزأهم إلا الجنة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أطول الناس أعتاقا يوم القيامة المؤذنون . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أذن صبح مبين أعتقه الله من النار بعد أن يحسن نيته . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : يغفر الله تعالى للمؤذن مدى صوته ، ويصدق كل ما سمعه من رطب وبابس . وأما الدعوة الرابعة ، فدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام قوله عز وجل (وأذن في الناس بالحج) الآية ، وقد ذكرناها في أول المجلس .

(مجلس : في فضائل يوم عرفة)

قال الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عنايتكم يعني ورضيت لكم الإسلام ديناً) هذه الآية نزلت بعرفات دون سائر آيات هذه السورة ، لأنها نزلت بالمدينة وهي سورة المائدة ، وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) يعني شرائع دينكم من الحلال والحرام (وأتممت عليكم) يعني متى عليكم : أي لا يتجسس معكم بعرفات كافر ولا مشرك (ورضيت لكم الإسلام ديناً) يعني اختارت لكم دين الإسلام ، نزلت هذه الآية يوم عرفة بعرفات في حجة الوداع ، ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها إحدى وعشرين يوما ، ثم قبضه الله تعالى إلى رحمة ورضوانه . مروى ذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عنه وغيره من المفسرين . وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله : نزلت هذه الآية يوم فتح مكة . وقال جعفر الصادق رحمه الله : (اليوم) إشارة إلى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ويوم رسالته ، وقيل : إن اليوم إشارة إلى يوم الأزل . والإتمام : إشارة إلى الوقت والرضا إشارة إلى الأبد . وقيل : إن كمال الدين في شيئين : في معرفة الله تعالى ، واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : كمال الدين في الأمن والفراغ ، لأنك إذا كنت آمنا بما تكفل الله تعالى لك صرت فارغا لعبادته . وقيل : كمال الدين في التبري من الحول والقوة والرجوع من الكل إلى من له الكل . وقيل : إن كمال الدين حيث رد الحج إلى يوم عرفة ، لأنهم كانوا يحجرون كل سنة في كل شهر ، فلما رد الله وقت الحج إلى اليقاعات وجعله فريضة ، أزل (اليوم أكملت لكم دينكم) . والدين حلى وبهره عدتها الله في القرآن : منها بمعنى الدنيا ، وهو قوله عز وجل (ما كان ليناخذ أخاه في دين الملك) يعني في دنياه وعادته وصيرته . ومنها الحساب ، قوله

عز وجل (ذلك الدين القيم) یعنی الحساب المستقیم . ومنہا الجزاء ، قوله عز وجل (یومئذ یوفیہم اللہ دینہم الحق) ائی الجزاء الاعل . ومنہا بمعنی الحکم ، قوله عز وجل (ولا تأخذکم بہما رائۃ فی دین اللہ) یعنی فی حکم اللہ . ومنہا بمعنی العید ، قوله تعالیٰ (وفی الدین اتخذوا دینہم لعیا ولعوا) یعنی عیدہم . ومنہا الصلاة والفرکاة ، قوله تعالیٰ (ذلك دین القيمة) . ومنہا التیامۃ ، قوله تعالیٰ (مالک یول الدین) . ومنہا الشریعۃ ، قوله عز وجل (الیوم آکلت لکم دینکم) یعنی شرائع دینکم .

(فصل) قوله (الیوم آکلت لکم دینکم) وذلك أن اللہ تعالیٰ أنزل الکتاب بجلۃ واحدة ، وأنزل القرآن متفرقا ، فقیل : أیہما أحسن نزولا ؟ قیل : القرآن أحسن لأن اللہ تعالیٰ لما أنزل التوراة بجلۃ واحدة قبلہا بنو اسرائیل ، فعملوا بہا قلیلا ، فقلت علیہم تلك الأوامر والنواہی الئی فی التوراة (فقالوا سمعنا وعلینا) . وأما القرآن فأنزلہ اللہ شیتا بعد شیء علی التدریج متفرقا ، فأول ما أمر اللہ المؤمنین بقوله : لا إله إلا اللہ محمد رسول اللہ ، وضمن شہم إذا قالوها بالجنۃ ، فسمعوا وأطاعوا ، ثم أمرہم بإقامۃ صلاتین رکعتین قبل طلوع الشمس ورکعتین بعد غروبہا ، ثم أمرہم بالصلاة الخمس ، ثم أمرہم بالجمعة علی الجماعۃ بعد الحجرة ، ثم أمرہم بالزکاة ، ثم أمرہم بصوم عاشوراء ، ثم أمرہم بصوم ثلاثۃ آیام من کل شہر ، ثم أمرہم بصوم شہر رمضان ، ثم أمرہم بالجهاد ، ثم أمرہم بالہج ، ثم ہذا تحت الأوامر والنواہی أنزل اللہ عل رسوله فی حجة الوداع (الیوم آکلت لکم دینکم) . : : الآية ، وكان ذلك یوم الجمعة ، ویوم عرفة ، كذلك نقل عن عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ ، قال طلق بن شہاب رحمہ اللہ : جاء رجل من الیہود إلی عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ ، فقال لہ : آیتۃ تفرقونہا لو كانت تزلت علینا وعلینا فذلك الیوم لا نخذلہ عیدا ، فقال لہ عمر رضی اللہ عنہ : أئی آیتۃ ؟ فقال (الیوم آکلت لکم دینکم) الآية ، فقال عمر رضی اللہ عنہ : قد علمت فی أئی یوم تزلت ولی أئی مکان تزلت ، إلیہا تزلت یوم عرفة ویوم الجمعة ، ونحن مع رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وقوف بعرفات ، وکلاہما یحمد اللہ تعالیٰ لنا عید ، ولا یزال ہذا الیوم عیدا للمسلمین مائتین واحد . وقال رجل من الیہود لا ین عیاس رضی اللہ عنہما : لو كان هذا الیوم فینا لا نخذلہ عیدا ، قال لہ ابن عباس رضی اللہ عنہما : وأئی عید آکل من یوم عرفة .

(فصل) واختلف العلماء فی المعنی الئی لأجلہ قبل الموقوف عرفات ، ولیوم الموقوف بہا عرفة ، فقال الضحاك : إن آدم علیہ السلام لما أبطل إلی الأرض وقع بالہند وحواء بہذک ، فجعل آدم یطلب حواء وحی نعلیہ ، فاجتمعا بعرفات یوم عرفة وتعلقا ، فسمی هذا الیوم عرفة ، والموضع عرفات . وقال السدی : إنما سمیت عرفات ، لأن ہاجر حملت إسماعیل علیہ السلام فأخرجہ من عند سارۃ ، وكان إبراہیم علیہ السلام خائبا ، فلما قدم لم یر إسماعیل علیہ السلام وحده سارۃ بالئی صمت ہاجر ، فاطلق فی طلب إسماعیل فوجیہ مع ہاجر بعرفات فعرلہ ، فسمیت عرفات . وروی عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنہ قال (إن إبراہیم

عليه السلام حذا من فلسطين : فحلقت سارة أن لا ينزل عن ظهر دابته حتى يرجع إليها من الغيرة ، فألن إسماعيل ثم رجع ، فحبسته سارة سنة ، ثم استأذنها فأذنت له ، فخرج حتى بلغ مكة وجبالها ، فكان ليلة يسير ويسعى حتى أذن الله عز وجل له في ليل الليل الأخير عند سد جبل عرفات ، فلما أصبح عرف البلاد والطريق ، ففعل الله عز وجل عرفة حيث عرف : فقال اللهم يبتك في أحب بلادك إليك حيث تهوى إليه قلوب المسلمين من كل فج عمن ، وقال عطاء رحمه الله : إنما سميت عرفات لأن جبريل عليه السلام كان يرى إبراهيم عليه السلام الناسك ، فيقول له عرف ، ثم يريه فيقول عرف ، فسميت عرفات . وروى سعيد بن المسيب عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : بعث الله عز وجل جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام فحج به ، حتى إذا أتى عرفات قال له : قد عرف ، قال : وكان قد أتاه مرة من قبل ذلك ، فسميت عرفات . وروى أبو التثليل رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما سميت عرفة لأن جبريل عليه السلام أتى إبراهيم عليه السلام فأراه بقاع مكة ومشاعلها ، فكان يقول : يا إبراهيم هذا موضع كذا وهذا موضع كذا ، فيقول قد عرف قد عرف . وروى أسباط عن السدي رحمه الله قال : لما أذن إبراهيم عليه السلام للناس بالحج أجابوه بالتلبية ، وأتاه من أتاه ، فأمره الله عز وجل أن يخرج إلى عرفات ونسبها له ، فخرج ، فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان على الجمرة الثالثة التي هي جرة العقبة ، فرماه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة ، فطار فوق على الجمرة الثانية ، فرماه وكبر ، فطار فوق على الجمرة الأولى ، فرماه فكبر ، فلما رأى أنه لا يطيقه ، ذهب قاطعتي إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز ، فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز ، فلذلك سمي ذا الحجاز ، ثم انطلق حتى وقف بعرفات ، فلما نظر إليها بالتمتع عرفها ، فقال عرف ، فسميت عرفات بذلك . وسمي ذلك اليوم يوم عرفة ، حتى إذا أمسى ازدلف إلى جمع فسميت مزدلفة ، وإنما سمي جمعاً لأنه يجمع فيه بين الصلاتين المغرب والعشاء ، وإنما سمي المشعر الحرام لأن الله لشعر الناس وأعلمهم بأنه حرم كسائر بقاع الحرم كيلاً بأنوا فيه بحرم . وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما سميت تروية وعرفة ، لأن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يوم يذبح ابنه ، فلما أصبح روى يومه أجمع : أي تفكر ، لمن الله هذا الحلم أم من الشيطان ؟ فسمى اليوم من فكرته تروية ، ثم رأى ليلة عرفة ذلك ثانياً ، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله سبحانه وتعالى ، فسمى ذلك اليوم يوم عرفة . وقال بعضهم : سميت بذلك لأن الناس يعترفون في هذا اليوم على الموقف بذنوبهم ، والأصل فيه أن آدم عليه السلام لما أمر بالحج فوقف بعرفات يوم عرفة ، فقال (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية : وقيل : هي مأخوذة من العرف وهو الطيب ، قال الله عز وجل (عرفها لهم) : أي طيبها . وقيل : هي ضد مني ، لأن من موضع يعني فيه الله : أي يصب ، ولذلك سميت مني ، ففيه تكون القروى والعماء ، فهي ليست بطيبة ، وعرفات ليست فيها تلك الأفكار فهي طيبة ، فلذلك سميت عرفات ، ويوم الوقوف بها يوم عرفة . وقيل : لأن الناس يتعارفون بها . وقيل : أصل هذين اليمين من الصبر ، يقال :

وجعل عارف : إذا كان صابرا غاضبا خاشعا ، ويقال في المثل : النفس عروف وما حملها تتحمل وقال ذو الرمة -

• عروف لما حطت عليه المقادير •

أى صبور على قضاء الله ، فسمى بهذا الاسم لفصوص الحجاج وتذلهم وصبرهم على القحاة وأشواق البلاء ، وإحسان الشدائد والمشقات لإقامة هذه العبادة .

(فصل : في شرف يوم عرفة وليكنه) أخبرنا هبة الله بن المبارك ، قال أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد ، أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله اللعل ، أنبأنا أبو علي بن الصواف ، أنبأنا عبد الله بن محمد بن ناجية ، أنبأنا عمر بن حفص أبو عمرو ، أنبأنا محمد بن مروان ، أنبأنا هشام الدستوائي ، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم أفضل من يوم عرفة ، يباهى الله تعالى بأهل الأرض أهل السماء ، يقول : انظروا إلى عبادي شعنا خيرا جاموني من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ويخافون عقابي ، فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة » وأخبرنا هبة الله عن أبي محمد الحسن بن محمد بن أحمد القارمي بإسناده عن الحسن العرفي ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم عرفة فقال « أيها الناس إنه ليس البر في إيجاب الإبل ولا في إرضاع الخيل ، ولكن صبرا جيلا ، توصلوا ضعيفا ، ولا تؤذوا مسلما » . وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالى ينظر إلى عباده يوم عرفة ، فلا يدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا غفر له » قللت لأين عمر : للناس جميعا أم لأهل عرفة ؟ فقال : بل للناس جميعا . وأخبرنا هبة الله ، قال أنبأنا مكابر بن الجحش المازني بالبصرة ، بإسناده عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان يوم عرفة ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا ، فيباهى بالملائكة ، فيقول لهم عز وجل : يا ملائكتي انظروا إلى عبادي كيف جاموني من كل فج عميق ، شعنا خيرا يرجون رحمتي ويخافون عقابي ، فحق على المزدور أن يكرم زائره ، وحق على المضيف أن يكرم ضيفه » الشيداء أني قد غفرت لهم وجمعت قراهم دخول الجنة ، قال فنقول للملائكة : يا رب إن فيهم فلاتا يزهو ، وفلاتة تزهو ، فيقول الله عز وجل : قد غفرت لهم لما من يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة » وأخبرنا هبة الله بإسناده عن طلحة بن عبد الله رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما رأى إبليس يوما هو فيه أصفروا لأسفر ولا أدحض ولا أعيت من يوم عرفة ، وذلك لما يرى من شذيل الرحمة والعفو عن اللئيم إلا ما رأى يوم بدر » قالوا : يا رسول الله وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما إنه رأى جبريل يدهو الملائكة . وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول : إن يوم الحج الأكبر يوم عرفة ، وهو يوم المياحة ، ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة : انظروا إلى عبادي في أرضي صدقوا في ، فليس من يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« اليوم الموعود يوم القيامة ، والشاهد يوم الجمعة ، والشهود يوم حرفة » . وعن حطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى باهى بالناس يوم حرفة عامة ، وباهى بعمر بن الخطاب خاصة » . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن أعظم الناس جرماً من انصرف من عرفات » ويرى أن الله عز وجل لم يفر له . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « إن الله تعالى يغفر عشة يوم عرفة لأهل الجميع جميعاً إلا أهل الكبائر » فإذا كان غداة المزدلفة غفر لأهل الكبائر والنيعات . أخبرنا حبة الله ابن المبارك ، قال أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد الطبري يعرف بالياهر ، قال أخبرنا علي بن أحمد بن الرقاء السامري ، أنبأنا إبراهيم بن عبد الصمد الماشقي ، أنبأنا أبو مصعب عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : « وقف بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشة يوم عرفة ، فلما قام عند الدفعة استقصت الناس فأنصتوا ، فقال : يا أيها الناس إن ربكم عز وجل قد تطول عليكم في يومكم هذا ، فوهب سيبتكم لحسنكم ، وأعطى حسنكم ما سأل ، وخفر ذنوبكم إلا النيعات ، ادفعوا بسم الله ، فلما صرنا بالمزدلفة وقف بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان عند الدفعة استوقف الناس واستقصتهم فأنصتوا ، ثم قال : يا أيها الناس إن ربكم قد تطول عليكم في يومكم هذا ، فوهب سيبتكم لحسنكم ، وأعطى حسنكم ما سأل ، وخفر ذنوبكم وخفر النيعات وضمن لأهلها التواب ، ادفعوا بسم الله ، فقام أعرابي وأخذ بزمام الناقة ، فقال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما بين من عمل إلا وقد حملته ، وإني لأحلف حل بيني والفاجرة ، فهل دخلت فيمن وصفت ؟ فقال : « يا أعرابي إنك إن تحسن فيها تستأنف يغفر لك فيها مضي خل زمام الناقة » . وأخبرنا حبة الله عن أبي حنبل الحسن بن الحبيب المقرئ ، بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشة حرفة لأمة بالغفرة والرحمة ، فأجابته الله تعالى : إني قد فعلت إلا ظم بعضهم بعضاً ، فلما ذنوبهم فيها بيني وبينهم فقد غفرتهم ، فقال : يا رب إنك قادر أن تتيب هذا المظلم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم ، قال : لم يبه تلك العشة ، فلما كان غداة مزدلفة أعاد الحديث ، فأجابته الله تعالى : إني قد غفرت لهم ، قال : ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تبسم فيها ؟ فقال : تبسمت من عند الله إيليس لأنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمي ما أوعى ، يدعوا بالويل والثبور ، ويخبرون الزاب على رأسه » . وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حرفة بعرفات في الموضع الذي رجع العباد فيه أيديهم إلى الله تعالى ويعجرون بالدعاء ، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام ، وقال : يا محمد إن العلى الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك : هؤلاء حجاج بيني وزيارتي ، وحي على الزور أن يكرم الزائر ، تشهدك وتشهد ملائكتي أني قد غفرت لهم جميعاً وهكذا أفعل بزيارتي يوم الجمعة » . وعن علي رضي الله عنه أنه لما كان عشة يوم حرفة ورسول

(١) قوله يدعوا بالويل والثبور ، أي يذبحون ، ما يصلح أن يكون هوأيا لها .

اللہ صلی اللہ علیہ وسلم واقف ، اُنہل علی الناس بوجہہ فقال : مرحبا بولہ اللہ ثلاث مرات ، الذين إذا سألوا أعطوا ، وتختلف عليهم تقاضهم فی الدنيا ، وتجعل لهم عند اللہ فی الآخرة مكن كل درهم ألف ، ألا أبشركم ؟ قالوا : بلى يا رسول اللہ : قال : فإنه إذا كان فی هذه العشيہ یزل اللہ إلى سماء الدنيا ، ثم يأمر ملائكتہ فیہم یولون إلى الأرض ، فلو طرخت إبرة لم تسقط إلا علی رأس ملك ، فيقول اللہ عز وجل : يا ملائكتی انظروا إلى عبائی جاءونی شعثا غبرا من أطراف البلاد ، هل تسمعون ما سألوکي ؟ قالوا : یا ربنا سألوك المَغفرة ، فيقول سبحانه وتعالى : أشهدکم أني قد غفرت لهم ثلاث مرات ، فأقبضوا من موقفکم مغفورا لکم » :

(الفصل : فی تفصیل صیامہ ، وما ورد فیہ من الصلوات ، وما أمر بہ من صنوف الدعوات) أخبرنا ہبة اللہ بن المبارک ، قال أنبأنا أحمد بن محمد ، بإسناده عن عبد الرحمن بن زید بن أسلم عن أبيہ ، قال : إن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال « من صام یوم عرفة غفر اللہ ما تقدّم من ذنبہ وما تأخر لسنۃ » . وأخبرنا ہبة اللہ بإسناده عن أبي قتادة رضی اللہ عنہ ، عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال « صیام یوم عرفة کفارة مئین ، ست ماخبة ، وستة مستغلة » . وأما الصلاة فما أخبرنا بہ ہبة اللہ ، قال أنبأنا الشیخ أبو علی الحسن بن أحمد عبد اللہ المقرئ ، قال أنبأنا أبو الفتح حلال بن محمد بن جعفر الحفاری ، قال أنبأنا أبو الحسن علی بن أحمد الحلوانی ، أنبأنا موسى بن عمران البجلي ، أنبأنا أبو یوسف بن موسى القطان ، أنبأنا عمر بن نافع ، أنبأنا مسعود ابن واصل ، أنبأنا التماس بن لہم ، عن قتادة عن سعید بن المسیب عن أبي هريرة رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « من صلی یوم عرفة بین الظهر والعصر أربع رکعات یقرأ فی کل رکعة فاتحة الکتاب مرۃ وقل هو اللہ أحد خمین مرۃ ، کتب له ألف حسنة ، وربع له بکل حرف فی القرآن درجة فی الجنة ، ما بین کل درجة مسيرة خمسمائة عام ، ویزوجه اللہ بکل حرف فی القرآن سبعین حوراء ، مع کل حوراء سبعون ألف مائدة من اللؤلؤ والياقوت ، حل کل مائدة سبعون ألف لون بین لحم طیر خضر ، برده برد الثلج ، وحلاوة حللوة العسل ، وریح ریح المسک ، لم تحسہ ناز ولا حذیقة ، یجد لآخرہ طعاما کما یجد لأولہ ، ثم یأتیہم طائر جناحاه من یاقوتین حراوین ومقلوہ من ذهب ، له سبعون ألف جناح ، فینادی بصوت لہذہ لم یسمع السامعون بمثله ویقول : مرحبا بأهل عرفة ، وقال : یسقط ذلک الطیر فی صحفة الرجل منهم ، فیخرج من تحت کل جناح من أجنحتہ سبعون لونا من الطعام فیأکل منها ، ثم ینفض لیطیر ، فإذا وضع فی قبرہ أشباه له بکل حرف فی القرآن نور حتی یرى الطائفین حول البیت ، ویفتح له باب من أبواب الجنة ، ثم یقول عند ذلک : «وب أتم الساعة رب أتم الساعة ، بما یرى من الثواب والكرامة » :

وأخبرنا ہبة اللہ بن المبارک ، قال أنبأنا الحسن بإسناده عن علی بن أبي طالب رضی اللہ عنہ وعبد اللہ بن مسعود رضی اللہ عنہ ، قالا : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم « من صلی یوم عرفة رکعتین یقرأ فی کل رکعة فاتحة الکتاب ثلاث مرات ، فی کل مرۃ یدأأ بسم اللہ الرحمن

الرحيم ويختمها باسمين ، ثم يقرأ قل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد مرة ، يبدأ في كل مرة بسم الله الرحمن الرحيم ، إلا قال الله تعالى : اشهدوا أنني قد غفرت له ذنوبه .
وأما الدعوات ، فإدعونا حبة الله بن المبارك عن القاضي الشريف أبي الحسن محمد بن عليّ الهندى بالله ، عن أبي القتيح يوسف بن عمر بن مسرور القواس ، قال أنبأنا عبد الله بن أحمد بن ثابت الزبلي ، أنبأنا أيوب ، يعني ابن الوليد الضرير ، أنبأنا أبو النصر ، يعني الطائفي عن القاسم عن محمد بن الفضل بن عطية ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر التيمي ، عن أبيه رضى الله عنه قال بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى عيسى عليه السلام خمس دعوات جاء بها جبريل عليه السلام وقال لعيسى عليه السلام : ادع هؤلاء الخمس دعوات ، فإنه ليس عبادة أحب إلى الله تعالى من عبادة أيام العشر لئلا يكون : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . والثانية : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . والرابعة : حسبي الله ونكفي ، صمغ الله لمن دعا ، ليس وراء الله منجى . والخامسة : اللهم لك الحمد كما تقول ، وخيرا مما تقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، ولك يارب تراقي : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن شتات الأمر ، اللهم إني أسألك من خير ما تجرى به الريح . فقال الخواريون عيسى ابن مريم عليه السلام وقالوا : ما ثواب من دعا بهذه الدعوات فقال : أسأمن قال الأولى مائة مرة ، فإنه لا يكون لأحد من أهل الأرض عمل مثل ذلك العمل في ذلك اليوم ، وكان أكثر العباد حسنات يوم القيامة ، ومن قال الثانية مائة مرة ، كتب الله له ألف حسنة ، ومحا عنه مثلها سيئات ، ورفع له عشرة آلاف درجة في الجنة . ومن قال الثالثة مائة مرة ، نزل سبعون ألف ملك من سما الدنيا وألقى أيديهم يصلون على من قالها : ومن قال الرابعة مائة مرة ، تلقاها ملك ويضعها بين يدي الرحمن عز وجل ، فينظر إلى من قالها ، ومن نظر الله تعالى إليه لم يبق ، وقالوا يا عيسى ، فما ثواب من قال الخامسة ؟ قال : هي دعوتي ولم يؤذن لي في تفسيرها .

وأخبرنا حبة الله بن المبارك ، عن الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ ، بإسناده عن خليفة ابن الحسين ، عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : كان أكثر ما يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم عبادة حرة يقول : اللهم لك الحمد كما تقول وخيرا مما تقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، ولك يارب تراقي ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وقدة الصلور وشتات الأمر ، اللهم إني أسألك من خير ما تجرى به الريح ، وأخبرنا حبة الله بن المبارك بإسناده عن موسى بن عبيدة ، عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قلل بعزلة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري

تخروا اللهم" اشرح لي صدري ويسر لي أمري ؛ اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وفتنة
القبر وشتات الأمر ؛ اللهم إني أعوذ بك من شرّ ما يبيع في الليل ، ومن شرّ ما يبيع في النهار ، ومن
شرّ ما تهب به الرياح ، ومن شرّ يوائق الدهر » . وروى الضحاك رحمه الله عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال في حجة الوداع حين اجتمعوا برفة : « هذا يوم الحج الأكبر ، ولا حج لمن لم
يراف عرفة اليوم واليلة ، فاليوم دعاء وسؤال الرب عز وجل ، وهو يوم تهليل وتكبير وتلبية
إنه من وافي هذا اليوم في هذا المكان وحرم سؤال ربه عز وجل فهو المحروم ، وإنكم تدعون
جوادا لا يخل ، وحليلا لا يجهل ، وعالما لا ينسى ، إنه من صام يوم عرفة ملقيا في أهله فقد
صام عاما كاملا وعاما خلقه » .

(فصل : وأما ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء في عشية عرفة ، فهو
ما أخرتاه به هبة الله بن المبارك ، قال أنبأنا القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الكريم
المسكري ، قال حدثنا علي بن محمد بن عبيد الله المديني ، قال حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم
حدثنا محمد بن أحمد أبو شيبة ، حدثنا علي ، حدثنا مسلم ، أنبأنا ابن أبي قديك ، قال حدثني
إبراهيم بن فضل القزويني ، عن سليمان بن زيد ، عن هرم بن حبان ، عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس في الموقف برفة قول
ولا عمل الفضل من هذا الدعاء ، وأول من ينظر الله إليه صاحبه ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم
كان إذا وقف برفة استقبال القبلة بوجهه وسط يديه كهيئة الداعي ، ثم يلقي ثلاثا ويقول :
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل
شيء قدير ، مائة مرة ، ثم يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أشهد أن الله على
كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ، يقول ذلك مائة مرة ، ثم يتعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ويقول : إن الله هو السميع العليم ، يقولها ثلاث مرات ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب
ثلاث مرات ، ويبدأ في كل مرة بسم الله الرحمن الرحيم ، ويختتمها بآمين ؛ ويقرأ قل هو الله أحد
مائة مرة ، ثم يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صل على النبي الأُمّي ورحمة الله وبركاته
مائة مرة ، ثم يدعو الله عز وجل بما شاء ، فيقول الله تعالى لأحلكه : انظروا إلى عيدي توجّه
إلى بيتي وكبرني ولبيّن وسبحني ووحدي وهادي ، وقرأ بأحب السور إلى وصلي على رسولي
أشهدكم أني قد قبلت عمله ، وأوجب له أجره ، وغفرت له ذنوبه ، وشفعت فيه سألني » .

(فصل : في دعاء جبريل وميكائيل والخضر عليهم السلام عشية عرفة) أخرتاه هبة الله
ابن المبارك ، قال أنبأنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ ، قال أنبأنا الحسين بن همران المؤذن
قال حدثنا أبو القاسم القاسم ، قال حدثنا أبو علي الحسن بن علي ، قال حدثنا أحمد بن عمار ،
أنبأنا محمد بن مهدي ، قال حدثني ابن جريج ، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجتمع البرئ والبرئى والبرئى والبرئى والبرئى والبرئى
كل عام بمكة قال ابن عباس رضي الله عنهما : وبلغنا أنه يخلق لهما رأس صاحبه ، فيقول

أحدهما للآخر : قل بسم الله ما شاء الله ، لا يأتي بالخير إلا الله ، بسم الله ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، بسم الله ما شاء الله ، وما يكمن من نعمة فمن الله ، بسم الله ما شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قاتل كل يوم أمة من الفرق ، والحرق والسرقة ومن كل شيء » ، ينكره حتى يمسي ، ومن قاتل حتى يمسي كان في حرز الله حتى يصبح » . وأخبرنا حبة الله بن المبارك ، قال أنبأنا الحسن بن أحمد الأزهرى ، قال أنبأنا أبو طالب بن حمدان البكرى ، قال أنبأنا إسماعيل ، قال حدثنا عباس الدوري ، قال أنبأنا عبد الله بن إسماعيل الطاطري ، قال أنبأنا محمد بن البشر القيسي ، عن عبد الله الحسن ، عن أبيه عن جده ، عن علي رضي الله عنه قال : يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام ، فيقول جبريل : ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فيرد عليه ميكائيل فيقول : ما شاء الله ، كل نعمة من الله ، فيرد عليه إسرافيل فيقول : ما شاء الله لنهر كله بيد الله ، فيرد عليهم الخضر فيقول : لا يدفع السوء إلا الله ، ثم ينفرون ولا يجتمعون إلى قابل ذلك اليوم ، والله أعلم .

(فصل) قال ابن جرير : بلغني أنه كان يؤمر أن يكون أكثر دعاء المسلم في الموقف : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » . وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : عند المرحن إيمان ملك قائم منذ خلق الله تعالى السموات والأرض يقول آمين ، لمن يقول : ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار . عن حماد بن ثابت قال : إنهم قالوا لأبي بن مالك رضي الله عنه : ادع لنا ، فقال : اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار ، قالوا زدنا ، فأعادها ، قالوا زدنا ، قال : ما نريدون قد سألت الله لكم خير الدنيا والآخرة . وقال أنس رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها يقول : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » ، وقد ذكر الله تعالى من دعا بهذا الدعاء جعل له نصيبا وحظا من فضله ورحمته ، قال الله عز وجل (فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا) أي أعطنا إيلاء وغنا وبقرا وعيلا وإيما وذخا وقنفة ، ينوي الدنيا في كل شيء . ولما ينفق ولما يحمل ولما ينصب ، فهمي همه وسؤله وطلبته ، فقال الله عز وجل (وما له في الآخرة من خلاق) يعني حظا ولا نصيبا (ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون .

وختلف العلماء في معنى الحسنتين فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قوله (ربنا آتانا في الدنيا حسنة) امرأة سالحة (وفي الآخرة حسنة) الجور العين (وقتنا عذاب النار) وهي المرأة السوء . وقال الحسن رحمه الله (في الدنيا حسنة) العلم والعبادة (وفي الآخرة حسنة) الجنة . وقال السدي وابن حبان (في الدنيا حسنة) أي رزقا حلالا واسعاً وعملا صالحا (وفي الآخرة حسنة) هي المظفرة والثواب . وقال ابن عطية رحمه الله (في الدنيا حسنة) العلم والعمل به (وفي الآخرة حسنة) تفسير الحساب ودخول الجنة . وقيل (في الدنيا حسنة) التوفيق والنعمة

(وفي الآخرة حسنة) النجاة والرحمة . وقيل (في الدنيا حسنة) أولاداً أبراراً (وفي الآخرة حسنة) مرافقة الأنبياء . وقيل (في الدنيا حسنة) المال والنعمة (وفي الآخرة حسنة) تمام النعمة ، وهو الفوز من النار ودخول الجنة . وقيل (في الدنيا حسنة) الإخلاص (وفي الآخرة حسنة) الخلاص . وقيل (في الدنيا حسنة) الثبات على الإيمان (وفي الآخرة حسنة) السلام والرضوان . وقيل (في الدنيا حسنة) حلالة الطاعة (وفي الآخرة حسنة) لذّة الرؤيّة . وقال قتادة رحمه الله : (في الدنيا عافية ، وفي الآخرة عافية) والذي يؤيد هذا التأويل ما روى ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً قد صار مثل القرخ المتخوف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كنت تدعو الله بشيء ، أو تسأله شيئاً ؟ فقال : كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة ، فصجّله لي في الدنيا ، فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ! إنك لا تستطيع ولا تطيقه ، فلا قلت : اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ولنا عذاب النار ؟ قال : فدا الله عزّ وجل بها ، فشفاه . وقال سبيل ابن عبد الله رحمه الله : في الدنيا البسة ، وفي الآخرة الجنة . وعن السيب عن عوف رحمه الله أنه قال : في هذه الآية من ثناء الله عزّ وجل للإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً ، فقد أوتى في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة . وعن عبد الأعل بن وهب قال : سمعت سليمان الثوري رحمه الله يحدث في هذه الآية قال (في الدنيا حسنة) الرزق الطيب (وفي الآخرة حسنة) الجنة .

جلس : في فضائل يوم الأضحى ويوم النحر

قوله عزّ وجل (إنا أعطيناك الكثرة) . فصل " لربك وانحر . إن شئتَك هو الأبر " . هذه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : الكثرة هو الخير الكثير ، منه القرآن والنبوة والنهر الذي في الجنة ، وهو نهر يجرى من بطنان الجنة ، باطنه الدرّ الجوف ، وعلى حافته قباب من الياقوت للأخصر ، ماءه أحلى من العسل وألين من الزبد ، حباته المسك الأذفر ، وزايله الكافور الأبيض وحصاه الدرّ والياقوت ، يطرد مثل السهام ، أعطاه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقال مقاتل رحمه الله (إنا أعطيناك الكثرة) هو نهر في بطنان الجنة ، وإنا سمى الكثرة لأنه أكثر أنهار الجنة خيراً ، وذلك لغير حاجاج يطرد مثل السهم ، طيبته المسك الأذفر ، وزواجره الياقوت والزرجد والفلز ، أشدّ بياضاً من الثلج وألين من الزبد وأحلى من العسل ، حافته قباب الدرّ الجوف ، كل قبة طولها فرسخ في فرسخ ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، في كل قبة زوجة من الخمر لعين ، لها سبعون خادمًا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ليك الإسراء قلت بليرى ما هذه النيام ؟ قال جبريل عليه السلام : هذه مساكن لأزواجك في الجنة » . ويضجر من الكثرة أربعة أنهار لأهل الجنان التي ذكرها الله عزّ وجل في سورة محمد صلى الله عليه وسلم أحدها الماء ، والثاني اللبن ، والثالث العسل ، والرابع العسل . قوله عزّ وجل (فصل " لربك وانحر) قال مقاتل رحمه الله : يعني صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ، والنحر البدن يوم النحر . وقيل : فصل " لربك ، يعني صلاة العيد . والنحر : يعني نحر البدن يعني وقيل : ارفع يديك بالتكبير

إلى تحرك . قيل : وانحر ، يعني استقبل القبلة بنحرك . وقوله عز وجل (إن شئتكم هو الأوفر) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد الحرام من باب بني سهم بن عمرو بن حصيص ، والناس من قريش جلوس في المسجد ، ففضى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجلس حتى خرج من باب الصفا ، فنظروا إليه حين خرج ولم يروه حين دخل ، فلم يعرفوه ، فلقاه العاص بن وائل ابن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم على باب الصفا وهو يدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يخرج ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم توفي ابنه عبد الله بن محمد ، وكان الرجل إذا مات ولم يكن له منه من بعده ابن يرثه فليسمونه أبير ، فلما انتهى العاص بن وائل إلى القوم سألوه ، فقالوا له : من ذا الذي تلقاك ، فقال لهم الأبر ، فزل قوله عز وجل (إن شئتكم) يعني عدوك ومبغضك (هو الأبر) يعني مقطوع من الخير الذي هو العاص بن وائل ، وأما أنت يا محمد فستذكر معي إذا ذكرت ، فرفع الله عز وجل ذكره عليه السلام في الناس عامة ، قال الله تعالى (لم نشرح لك صدوك ، ووضعناك وزرك ، الذي أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك) فتذكر صلى الله عليه وسلم في كل عيد وجمعة على المنابر والمساجد والأذان والإقامة والصلاة وكل المواطن ، حتى في خطبة النكاح وخطبة الكلام وفي الحاجات صلى الله عليه وسلم ، وجعل مأواه الفردوس الأعلى وماضيه قول شائسته وحسنه ، وجعل مأوى العاص بن وائل النار ، وأنواع العذاب والنكال لقوله النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وكفروه بالله عز وجل ، فهكنا يبارى الله عز وجل كل محب النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين من أمت بالجنة ، ومبغضه عليه السلام من المنافقين والكفار بالنار . (فصل) قوله عز وجل (فصل لأبريك وانحر) اعلم أن الله عز وجل أمر نبيه عليه الصلاة والسلام وأنته بالصلاة ، ثم أمرهم تأتيا بأشياء بعد الصلاة : منها الذكر ، ومنها الدعاء ، ومنها التحرك . (فصل) وأما الذكر ، فقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) وقوله عز وجل (فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون) اعظف العلماء في ذلك ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : اذكروني بطاعتي أذكركم بموئتي ، كما قال الله تعالى (والذين جاءوا من قبلي لهديهم سبيلا) . وقال سعيد بن جبير رحمه الله : اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي ، كما قال الله تعالى (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) . وقال فضيل بن عياض رحمه الله : فاذكروني بطاعتي أذكركم بشراي ، كما قال الله عز وجل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا ننقص أجرهم من أحسن عملا ، أولئك هم جنات عدن) الآية . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصي الله فقد نسي الله ، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن . . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : كلني بالتوحيد عبادة ، وكلني بالجنة ثوابا . وقال ابن عباس رحمه الله : فاذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة ، لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقيل : اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنات ، لقوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا وعملوا

(١) قوله توفي ابنه عبد الله ، انقصر العمل على الناس وانظر حاشية الجليل له مصححه .

لصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) الآية . وقيل : اذكروني على ظهر الأرض اذكركم في بطنها إذا نسيتكم أهلها ، كما قال الأصمعي : رأيت أمرايا واقفا يوم عرفة يرفقات وهو يقول : يا إلهي عجت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلاء إذا نسيتني أملي . وقيل : اذكروني في الدنيا اذكركم في الآخرة . وقيل : اذكروني بالمطامير اذكركم بالمطامير ، دليله قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنصفيه حياة طيبة) وقيل : اذكروني بالبلاء والملا اذكركم بالبلاء والملا ، كما روى أن الله تعالى قال في بعض الكتب وأنا عند ظن عيسى في ، فليظن في مشاء ، وأنا معه إذا ذكرني ، فمن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ غير منهم ، ومن قربني إلى شيئا ، قربت إليه ذراعا ، ومن قرب إلى ذراعا ، قربت إليه باحا ، ومن أتاني مائها ، أتته خروقة ، ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة ، أتته بمثلها ممسرة ، بعد أن ألا يترك في شيئا . وقيل : اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء ، كما قال الله عز وجل (قلوا أنه كان من المسبحين لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) . وقال سليمان الفارسي رضي الله عنه : إن العبد إذا كان دعا في السراء فيبذل به البلاء ، فيقول للملائكة : يا ربنا عبدك قد نزل به البلاء فيشفعون له ، فيجيبهم الله تعالى ، وإذا لم يكن دعاء قالوا آلا فلا يشفعون له ، بيانه قصة فرعون (آلا وقد عصيت قبل) الآية . وقيل : اذكروني بالتسليم والتفويض اذكركم بأصليح الاختيار ، بيانه قوله عز وجل (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) . وقيل : اذكروني بالشوق والمهبة اذكركم بالوصل والله به . وقيل : اذكروني بالهدى والثناء اذكركم بالعطاء والجفاء . وقيل : اذكروني بالتوبة اذكركم بفقران الخربة ، اذكروني بالدعاء اذكركم بالعطاء ، اذكروني بالسؤال اذكركم بالثवाल ، اذكروني بلا غفلة اذكركم بلا مهلة ، اذكروني بالندم اذكركم بالكرم ، اذكروني بالمعزة اذكركم بالمغفرة ، اذكروني بالإرادة اذكركم بالإفادة ، اذكروني بالتوصل اذكركم بالفضل ، اذكروني بالإخلاص اذكركم بالخلاص ، اذكروني بالقلوب اذكركم بكشف الكرب ، اذكروني بلا نسيان اذكركم بالإيمان ، اذكروني بالافتقار اذكركم بالافتقار ، اذكروني بالاعتذار والاستغفار اذكركم بالرحمة والاعتذار ، اذكروني بالإيمان اذكركم بالإيمان ، اذكروني بالإسلام اذكركم بالإكرام ، اذكروني بالقلب اذكركم بكشف الحجب ، اذكروني ذكرا فانما اذكركم ذكرا باقيا ، اذكروني بالإتيان اذكركم بالأفضال ، اذكروني بالتذلل اذكركم بمحضرة الرائل ، اذكروني بالاعتراف اذكركم بمحو الاعتراف ، اذكروني بصفاء السر اذكركم بصفاء الير ، اذكروني بالصدق اذكركم بالرفق ، اذكروني بالصفو اذكركم بالصفو ، اذكروني بالصعظ اذكركم بالتكريم ، اذكروني بالتكبير اذكركم بالنجاة من السعير ، اذكروني بترك البقاء اذكركم بحفظ الوفاء ، اذكروني بترك الخطأ اذكركم بأنواع الخطأ ، اذكروني بالجهل في الخسرة اذكركم بإتمام النعمة ، اذكروني من حيث أنهم اذكركم من حيث أنا ، ولذكر الله أكبر : قال الربيع رحمه الله في هذه الآية : إن الله تعالى فاعلم

میں پڑ کر ، وزائے ابن یسکرہ ، ومعذب لمن یکفرہ . وقال السدی رحمہ اللہ فیہا : لیس من عید یدکر اللہ تعالیٰ إلا ذکرہ ، لا یدکرہ مؤمن إلا ذکرہ بالرحۃ ، ولا یدکرہ کافر إلا ذکرہ بالمطاب . وقال سفیان بن عیینہ رحمہ اللہ : بلغنا أن اللہ عز وجل قال : أعطیت عبادی ما لو أعطیہ جبریل ومیکائیل کنت قد أبزلت لہما ، فقلت لہم : اذکرونی اذکرتکم ، وقلت لموسی : قل للظلمۃ لا یدکرونی فإنی اذکر من ذکرتی ، وإن ذکرتی لیاہم أن العنہم . وقال أبو عیان الہدی رحمہ اللہ : إنی أعلم حین یدکرتی وی ، قیل لہ : وکیف ذلک ؟ فقال : إن اللہ عز وجل قال (اذکرونی اذکرتکم) فإذا ذکرک اللہ ذکرتی . وقیل : لموسی اللہ عز وجل إلی داود علیہ السلام : یا داود بی قافر حوا ، ویدکرتی فتنعموا . وقال الثوری رحمہ اللہ : لکل شیء عقرۃ ، وعقرۃ العارف القملاعہ عن ذکر اللہ . وقیل : إذا تمکن الذکر من القلب فإذا دنا من الشیطان صرک کما یصرع الإنسان إذا دنا من الشیطان ، فیلوٹون : ما لہذا ؟ فیقال : قدمہ الإنسان . وقال سہیل بن عبد اللہ رحمہ اللہ : ما أعرف معصیۃ أتبع من نسیان ہذا الربّ الکرم وقیل : الذکر الخفی لا یرلہ للک لائمہ لا اطلاع لہ علیہ ، فهو سرّ بین العبد وبن اللہ تعالیٰ وقال بعضهم : وصف لی ذاکر فی الأجرۃ فأتیت ، فبینا نحن جلوس وإذا صبح عظیم أقبل ، فضر بہ ضریۃ ونہش من قطعۃ ، فغشی علیہ وحلّ ، قلنا أتنت قلت لہ : ما ہذا ؟ فقال : قبض اللہ علیّ ہذا السبع کلما دخلتۃ فترۃ عن ذکری جانی فعضنی کما رأیت .

(لمصل) وأما الدعاء فتقولہ عز وجل (وقال ربکم ادعونی استجب لکم) وقولہ تعالیٰ (فإذا فرغت فانصب ، وإلی ربک فارغب) أی إذا فرغت من صلاتک فانصب للدعاء لہ تبارک وتعالیٰ ، وقولہ عز وجل (وإذا سألت عبادی عنی فإنی قریب أجیب) دعویۃ الداع إذا دعان (الآیۃ المخطف المفسرون فی قول ہذہ الآیۃ ، فروی الکلبی عن أبی صالح عن ابن عباس رضی اللہ عنہما أنہ قال « سألت یہود أهل المدینۃ النبی صلی اللہ علیہ وسلم : کیف یسمع ربنا دعائنا وأنت ترعہم أن ینینا وبن السیاء مسیرۃ لمسائتہ عام ، وأن غلف کل معام مثل ذلک ؟ فزلت ہذہ الآیۃ (وإذا سألت عبادی عنی فإنی قریب) . وقال الحسن رحمہ اللہ : سأل أصحاب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أبین ربنا ؟ فأنزل اللہ ہذہ الآیۃ ، وقال عطاء وفتادہ رحمہما اللہ : لما نزلت ہذہ الآیۃ (وقال ربکم ادعونی استجب لکم) قال رجل یا رسول اللہ کیف ندعو ربنا وعن ندعوہ ؟ فأنزل اللہ ہذہ الآیۃ (وإذا سألت عبادی عنی فإنی قریب) وقال الضحاک رحمہ اللہ : « سأل بعض الصحابۃ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قریب ربنا فتاجہ أم بعد فتنادیہ ؟ فأنزل اللہ ہذہ الآیۃ (وإذا سألت عبادی عنی فإنی قریب) » . قال أهل المعانی : فیہ إخبار کأنہ قال : لعل علم لہ فاعلمہم أی قریب منهم بالعلم . وقال أهل الإشارة : رفع الوساطۃ إظهار القدرۃ . قوله (أجیب دعویۃ الداع إذا دعان ، فلیستجیروا لی) أی فلیستجیروا لی بالطاعۃ ، یقال : أجاب واستجاب بمعنی واحد . وقال أبو رجاء اللہسانی رحمہ اللہ : یحیی فلیدعونی . والإجابۃ فی اللغة الطاعۃ وإعطاء ما سئل ، یقال : أجابہ السیاء بالمطر ، وأجابت الأرض بالنبات : أی مطلت

السماء المظفر فأعطت ، وسطت الأرض النبات فأعطته . والإجابة من الله عز وجل : هو الإعطاء ومن العبد الطاعة ، قوله (وليؤمنوا لي لعلهم يرشدون) أي لكي يتبعوا ، فإن سأل سائل عن قوله (أجب دعوة الداع إذا دعان) وقوله (ادعوني أستجب لكم) وقال : قد نرى كثيرا من خلق الله تعالى يدعون فلا يجاب لهم ، قيل : اختلف أهل العلم في وجه الآيتين ، وأزولهما فقال بعضهم : معنى الدعاء ههنا : الطاعة ، ومعنى الإجابة : الثواب ، كانه قال عز وجل : أجب دعوة الداع بالثواب إذا أطمعني . وقال بعضهم : معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما ، فتدبرهما أجب دعوة الداع إن شئت : أجب دعوة الداع إذا وافق القضاء ، أجب دعوة الداع إذا لم يسأل عملا ، أجب دعوة الداع إذا كانت الإجابة له خيرا . يدل على ذلك ما روى عن علي بن أبي المكارم عن أبي سعيد رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم دعا الله عز وجل بدعوة ليس فيها قلبية رحم ولا إثم إلا أعطى الله تعالى بها صاحبها إحدى ثلاث خصال : إما أن يجعل دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يطلع عنه من السوء مثله ، قالوا يا رسول الله ، فإذن تكثر من الدعاء ، قال صلى الله عليه وسلم : الله أكثر ، وقال بعضهم : إن الآية عامة ليس فيها أكثر من إجابة الدعوة ، فإما إعطاء المية وقضاء الحاجة فليس بذكر في الآية ، وقد يجيب السيد عبده وأولاده ولده ولا يعطيه سواه ، فالإجابة كائنه لا محالة عند حصول الدعوة : لأن قوله أجب وأستجب غير ، والخير لا يعترض عليه النسخ ، لأنه إذا نسخ صار الخير كائنه ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وخير الله تعالى لا يقع بخلاف غيره ، والذي يؤيد هذا التأويل ما روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من فتح له باب في الدعاء فتحت له أبواب الإجابة . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قل للظلمة لا يدعوني فإني أوجبت على نفسي أن أجب ، وإلى إذا أجبتم الظالمين لنعم . وقيل : إن الله تعالى يجيب دعوة المؤمن في الوقت إلا أنه يؤخر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ، يدل عليه ما روى عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد ليدعوا الله عز وجل وهو يحبه ، فيقول الله تعالى : يا جبريل انقض لعبدي هذا حاجته وأخرها ، فإني أحبه أن لا أزال أسمع صوته ، وإن العبد ليدعوا الله عز وجل وهو يغضه فيقول : يا جبريل انقض لعبدي هذا حاجته بإعلائه وعجلها ، فإني أكره أن أسمع صوته . وقيل : إن يحيى بن سعيد رحمه الله قال : رأيت ربة العزة في المنام فقلت : يا ربة كم أدعوك فلا تستجيب لي ؟ قال : يا يحيى إني أحبه صوتك . وقال بعضهم : إن الدعاء آدابا وشرائط هي أسباب الإجابة ونيل المني ، فمن راحها واستكملها كان من أهل الإجابة ، ومن أغفلها أو أشغل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء . وقيل : إنه مثل إبراهيم بن آدم رحمه الله قليل له : ما بالنا تدعوا الله فلا يستجيب لنا ؟ فقال : لأنكم حرقت الرسول فلم تتبعوا سنته ، وحرقت القرآن فلم تعملوا به ، وأكلتم نعمة الله فلم تودوا شكرها ، وحرقت الجنة فلم تطلبوها ، وحرقت النار فلم تهربوا منها ، وحرقت الشيطان

علم بخاريه ووالفقيهه ، وعرفتم الموت علم تستعملوا له ، وحفظتم الأموال فلم تغربوا بهم .
وتركتم صوبيكم واشتغلتم بمعوب الناس .

(فصل) وأما النحر فتقوله عز وجل (وانحر) والأصل في النحر أمر الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام لما أتياه الله تعالى من نار ثمرود الجبل وسلمه من كيده وعذابه ، قال (إن ذاب إلى رب) يعني مهاجرا إلى رب ، يعني إلى رضا رب بالأرض المقدسة (سيدين) لدينه ، وهو عليه السلام أول من هاجر من خلق الله في دين الله عز وجل ، فهاجر معه لوط وسارة أخت لوط ، وهو ابن خال إبراهيم عليه السلام ، فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد قال (رب هب لي من الصالحين) يقول : هب لي ولدا صالحا ، فاستجاب الله له (فيشره بفلام حليم) يعني عليم وهو العالم ، وهو إسحاق بن سارة (فلما بلغ معه السعي) يعني المشي إلى الجبل (قال يا بني إن أرى في المنام أرى أذبحك) يعني أمرت في المنام بذبحك وذلك لتزكك كان عليه فيه عليه السلام (فانظر ماذا ترى) فرد عليه السلام بقوله (يا أبت افعل ما تأمر) وأطع ربك ، فمن ثم لم يقل إسحاق لإبراهيم افعل ما رأيت في المنام ، ورأى ذلك لإبراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات ، وكان إبراهيم صام وصل قبل الذبح فقال (مستجدي إن شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلما) يقول أسلما لأمر الله تعالى وطاعته (وتله للجبن) يقول : كبح على جيبته ، فلما أعل بناصيته لذبحه لله علم الله منهما الصديق ، وقال الله عز وجل (واذنبا أنه يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) في ذبح ابنك ، فخط الكباش واذبحه فذاه ابنك ، قال الله عز وجل (واذنبا بذبح عظيم) واسم الكباش زور ، كان من الزهور يرضى في الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح ، وقيل : إنه هو الكباش الذي قرّبه هابيل بن آدم المقتول شيئا عليه السلام ، وكان يرضى في الجنة قد فدى به إسحاق النبي عليه السلام من الذبح ، قال الله عز وجل (إنا كذلك نجزي المحسنين) يعني هكذا نجزي كل محب ، فجزاه الله خيرا بإحسانه بطاعته لأمر الله تعالى في الذبح لابنه إسحاق . وقيل : إن الأمور بذبحه إنما هو إسحاق عليه السلام ، ثم قال الله عز وجل (إن هذا هو بلاء المبين) يعني النعيم المبين حين ضاع عنه فذاه بالكباش . وقيل : إنه لما وضع التحليل عليه السلام السكين على حلق ولده نودي (أن يا إبراهيم) خلّ ولك ، فإن مرادنا لم يكن قربانا للولد ، وإنما كان مرادنا خلّ القلب من محبة الولد ، ولهذا قيل : إنه ذكر في بعض الكتب أن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يذبح ولده قال في سرّه : يا رب إيش لو كان هذا الذبح على يد غيري لكانت خيرا ، قال الله تعالى (لا يكون إلا على يدك ، فقلت لللائكة : يا ربنا لم فعلت هكذا ؟ قال : حتى يزيد بلاء على بلاء . فقلت لللائكة : لم ذلك ؟ قال : حتى لا يحب أحدنا غيره ، فإن لا أقبل الشريك في الحب) لإبراهيم عليه السلام أحبّ ولده إسماعيل بذبحه ، ويعقوب أحبّ يوسف فغاب عنه أربعين سنة ، وإسحق برفاقه ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أحبّ الحسن والحسين رضي الله عنهما وعلقا بقلبه ، فذاه جبريل عليه السلام وأصبره بأن أحدهما بسم الآخر يقتل حتى لا يحبه مع الحبيب سواه .

(فصل) ويستحب إذا خرج المؤمن إلى صلاة العيد في طريق أن يرجع من طريق أخرى، لما روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوم العيد في طريق ورجع في طريق أخرى. وفي حديث آخر أنه كان يخرج في طريق ويرجع في طريق، فاختلف الناس في ذلك، فقال أكثرهم: إنما أراد بذلك اختلاف حرز المشركين لمسكره، فخالف بين الطريقين ليختلف الحرز وقال آخرون: إنما قصد بذلك الاختصار في الرجوع كأنه سلك الطريق الأول في المرة لكثرة الحسنات ورجع في الأقصر. وقال آخرون: لما مضى في طريق شهدت له الأرض، ثم رجع في طريق أخرى للشهادة له الأرض الثانية. وقيل: إنه عليه السلام مضى على حى من الأحياء ثم رجع على غيرهم ليسأوى بينهم في الإكرام، لأن رؤيته عليه السلام كانت راحة، قال الله تعالى (وما أرومناك إلا راحة للعالمين). وقيل: إن الأرض فتخر بوطه النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء وسعهم عليها، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يساويه بين اليقطين لكي لا فتخر بعضها على بعض. وقيل: إنه عليه السلام كان قد سلك إلى المصلية في طريق وقصده الحقيقة إلى الله تعالى، ثم أراد الرجوع إلى الأمل والوطن والطين والماء المعروف بالمهود، ففكره أن يسلك إلى الله تعالى طريقاً ثم يسلكه إلى غيره، فرجع في طريقه آخر. وقيل: إنه عليه السلام لو لم يرجع في طريق آخر لوجب على الناس الاستئذان به عليه السلام، وتذمر عليهم الفارق بعد صلاة العيد إلى منازلهم، فأراد أن يبين التوسعة عليهم في الرجوع في أي طريق شاؤوا. وقيل: إنه صلى الله عليه وسلم فرغ من مكيدة الكفار والمناقبين وقيل: إنه كان يتصدق على من كان معه، فكان يرجع في طريق آخر حتى تتوفر الصدقة على الفقراء وقيل: إنه كان يفعل ذلك لأجل ازدحام الناس عليه صلى الله عليه وسلم.

(فصل في فضيلة يوم النحر والأضحية) روى عبد الله بن قريط رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعظم الأيام عند الله يوم النحر» وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقاطمة رضي الله عنها «قوى إلى أشبهيتك فاشهيدا، فإنه يفرق بأول قطرة تظفر من دمها كل ذنب علق، وقوى: إن صلاتي وتسكبي وصياي ومعاي قد رب العالمين» وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن داود عليه السلام قال: إلهي ما ثواب من شجى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ثوابه أن يعطى بكل شجرة منها عشر حسنات، ويعمى عنه عشر سيئات، ويرفع له عشر درجات»، فقال: إلهي فما ثوابه إذا شق يظها؟ قال: إذا انشق القبر عنه أخرجته الله تعالى آمناً من الجوع والعطش ومن أهوال القيامة، يا داود له بكل بضعة من لحمها طير في الجنة كأمثال البخت، وبكل فراع منها مركب من مراكب الجنة، وبكل شجرة على جسدها قصر في الجنة وبكل شجرة على رأسها جارية من الحور العين أما علمت يا داود أن الضحايا هي المطايا، وأن الضحايا تحمى الخطايا وتدفع البلايا، مراً بالضحايا فإنها فداء للمؤمن كفداء إسحاق من النسيح وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أحسنوا ضحاياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة» وروى أن علياً رضي الله عنه قرأ (يوم نحشر المقين إلى الرحمن وفداً) ثم

قال : وهل يكون الولد إلا ركبانا على نحائهم ، ونحائهم ضحاياهم يؤتون بوق لم ير الخلاق مثلاً ، عليها أرحلة من الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، ثم تتلقى بهم إلى الجنة حتى يشرعوا بابها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « تسحوا وعلبوا بها تسلا فإنه من أشد أنسجته فاستقبل بها القبلة كان معها وشعرها محصورين له إلى يوم القيامة ، فإن الدم إذا وقع في التراب فإنه يقع في حرز الله ، أنفقوا يسيراً تؤجروا كثيراً » . وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بكشين أمهين أقرنين عظيمين ، فأضجع أحدهما وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عن محمد وعن أهل بيته ، ثم بالآخر نبي وقال : بسم الله والله أكبر اللهم هذا عن محمد وعن أمته » . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحى بكشين يوم النحر » . وأخبرنا هبة الله عن محمد بن أحمد بن الحرث المحدث الكوفي ، قال أنبأنا القاسم بن محمد بن محمد بن عبد الله الجعفي ، أنبأنا محمد بن جعفر الأشجعي أنبأنا حل بن المنذر الطرق ، أنبأنا ابن فضيل عن هشام عن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرب أنسجته يوم النحر لشعرها ، قرّبه الله تعالى إلى الجنة ، فإذا نحرها غفر الله له بأول قطرة تنظر من دمها ، وجعلها الله تعالى له مركبا يوم القيامة إلى الخضر ، ويعطى بعدد شعرها وصفوها حسبات » . وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكشين أقرنين أمهين ، فكان يذبح ويسمى ويضع رجليه على صفيحتها » قال أبو عبيدة الأضلع ما فيه بياض وسواد ، والسواد أغليه وينظر في سواد ويبرك في سواد . وروى عائشة رضى الله عنها « أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكيش أقرن يظا في سواد وينظر في سواد ويبرك في سواد ، فأق به فضحى به فأضججه وذبحه فقال : بسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد » وقال أصحاب الحديث : قوله « ويظا في سواد وينظر في سواد » معناه : لكثرة شحمه ولحمه ما يظلل إلا في ظل نفسه وينظر فيه ويبرك فيه . وقال أهل اللغة : معنى السواد في هذا الموضع : أنه كان أسود البين والبين والركبتين .

(فصيل : في صلاة ليلة الأضحي) وهي أن يصل ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب خمس عشرة مرة ، وقيل هو الله أحد كذلك ، وقيل أعوذ برب الفلق مثل ذلك ، وقيل أعوذ برب الناس كذلك ، فلذا سلم قراءة آية الكرسي ثلاث مرات ، واستغفر الله خمس عشرة مرة ، ثم يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة :

(فصيل : والأضحية سنة لا يستحب تركها لمن قدر عليها عند الإمام أحد ومالك والشافعي رحمهم الله ، وعند غيرهم هي واجبة . والأصل في استحبابها دون وجوبها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمرت بالنحر وهو لكم سنة ، وفي غير أكثر ثلاث على فرض ، ولكم تطوع : النحر ، والوتر ، وركعتا الفجر » . وفي حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل العشر وأراد أحدكم

أن يضحى فلا يمس من شعره ولا يشرب شيئاً ، فعلق صلى الله عليه وسلم الاضحية بالإرادة ، وما كان واجباً بالشرع لا يتعلق بالإرادة .

(فصل) : وأنضلها الإبل ثم البقر ثم الغنم ، ولا يجزئ إلا البلذخ من الضأن والثني من غيره . أما البلذخ فهو ما ككل له ستة أشهر ، والثني من المعز ما ككل له ستة ، ومن البقر ما ككل له ستان ، ومن الإبل ما ككل له خمس سنين . ويجزئ الشاة عن واحد ، والبدنة من الإبل والبقر عن سبعة . وأفضل الضحايا الشهب ثم الصفر ثم السود ، والأفضل أن يذبحها بنفسه ، وإن لم يحسن فليشاهد ذبحها ، وبأكل ثلثها ، ويهدى ثلثها ، ويصدق بثلثها ، ويحطب فيها العذبة . والغريب خمسة : فلا يضحى بعضياء القرن والأذن ، وهي ما ذهب أكثر أذن أو قرن ، وكليل : ما ذهب ثلث أذن أو قرن ، وكذلك لا يضحى بالحمام ، لأنها كالعضباء في أصبح القولين ، ولا بالعرواء البين عروها ، وهي ما انحسفت عنها وذعبت ، ولا بالمجنفاء التي لا تنبي ، وهي الخزيلة التي لا منب فيها ، ولا بالمرجاء البين عرجها ، وهي التي لا تقدر على المشي مع السرح ، ولا المشاركة في العلف لضعفها ، ولا بالمریضة البين مرضها ، ولا بالجرباء ، لأن جربها يفسد اللحم ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يضحى بالمقابلة ، وهي ما قطع شيء من مقدمه أذن أو وبي معلقاً ، ولا بالمدايرة ، وهي ما قطع شيء من خلف أذن ، ولا بالخرقاء ، وهي ما قلب الكنَى أذن ، ولا بالشرقاء ، وهي ما شق الكنَى أذن ، وذلك محمول على نهى تنزيه لأعلى نهى تحريم ، والأولى أن يحضن ذلك ، وإن ضحي بها جاز وأيام التحن ثلاثة : يوم العيد بعد الصلاة أو قدرها ، ويومان بعده ، وهو ملعب أكثر الفقهاء . وقال الشافعي رحمه الله : يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة ، والذي ذكرناه من أنه ثلاثة أيام منقول عن عمر وعجل وأبي حنيفة وأبي هريرة رضي الله عنهم . ومن ضحى قبل صلاة الإمام فهي شاة لحم لا يحصر ، يملك ثواب الأضحية ، لما روى منصور عن الشعبي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال ، خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر بعد الصلاة فقال : من صل صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فنسك شاة لحم ، فقام أبو بردة بن نيار رضي الله عنه فقال : يا رسول الله لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب ففعلت وأكلت وألعبت أهلي وجيران ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك شاة لحم فقال : إن عندي عتاقاً جفحة وهي غير من شاة لحم فهل تجزئ ، عنى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم نعم ، ولا تجزئ عن أحد بعدك . وعن الأسود بن قيس رضي الله عنه قال : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر ثم يقوم ذبحوا قبل الصلاة ، فقال صلى الله عليه وسلم : (من ذبح قبل الصلاة فليعد) . وفي بعض الأخبار : من كان ذبح قبل أن يصل فليعد أخرى مكانها ، ومن لم يكن ذبح فليذبح .

(فصل) : في ذكر أيام التشريق قال الله تعالى (واذكروا الله في أيام معدودات) يعني بالذكر : التكبير أثناء الصلوات ، وعند الجسرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات

بشعبہٴ ذلك من أول العشر إلى آخر أيام التشريق . قوله (في أيام معدودات) يعني أيام التشريق
 أيام من الثلاث . وأما المعلومات : فهي أيام العشر ؛ وعلى هذا أكثر العلماء ، ويدل عليه قوله
 تعالى (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) وإنما يكون الصلوة في أيام التشريق في يومين منها
 أو جميع الثلاث . قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمر الله تعالى بذكره في الأيام المعدودات وهي
 أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر ، وجعلها معدودة لقلها في أيام حرك ، كقوله تعالى في شهر
 رمضان (أياما معدودات) قلها من بين الشهور ، وكما قال تعالى (وشروه بشمن يفسد ديارهم
 معدودة) وقيل : إنما سميت معدودة ، لأنها تعد من أيام الحج ، فيفرغ فيها مما عليه من أفعاله
 الطبع من البيوت بزدقة ، ورمى الجمار يعني وقال الزجاج : تستعمل المعدودات في اللغة
 لشيء القليل فسميت بذلك لأنها ثلاثة أيام . فالأيام المعدودات : ثلاثة أيام التشريق ، والذكر
 المأمور فيها : التكبير . وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : الأيام المعدودات :
 ثلاثة أيام يوم النحر ويومان بعده . وقال إبراهيم النخعي رحمه الله : الأيام المعدودات : أيام
 العشر . والمعلومات : أيام النحر ؛ وسبب أمر الله تعالى المسلمين بالذكر في هذه الآية والتي
 قبلها قوله عز وجل (فاذكروا الله كذا كركم آباءكم) على ما ذكر المفسرون أن العرب كانوا
 إذا فرغوا من حجهم وقفا عند البيت وذكروا ما فر آباؤهم ومفاسمهم ، وكان الرجل يقول
 إن أبي كان يقرى الضيف ، ويطعم الطعام ، ويحرم الخمر ، وفك العاني ، ويجزئ التواصي ،
 ويقبل كلنا وكفا ، ويضاحون بذلك ، فأمرهم الله عز وجل بذكره ، فأقول الله عز وجل
 (فاذكروا الله كذا كركم آباءكم لو أشد ذكرا) إلى قوله تعالى (واذكروا الله في أيام معدودات)
 وقال جل وحلا (فاذكروني) فأتا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأوصفت إليكم واليهم . وقال
 السدي رحمه الله : كانت العرب إذا قضت مناسكها وأقاموا يعني يقوم الرجل ليسأل الله عز
 وجل ويقول : اللهم إن أبي كان عظيم الخلة عظيم العبة كثير المال ، فأعطني مثل ذلك ،
 وليس يذكر الله عز وجل ، إنما يذكر آباءه ، ويسأل أن يعطي في دنياه ، فأقول الله تعالى هذه الآية
 وقال ابن عباس وعطاء الربيع والضحاك معناه : فاذكروا الله تعالى كذا كركم الصبيان الصغار
 الآباء ، وهو قول الصبي ، أول ما يفسح ويفقه كلام أبيه وأمه ، ثم يلجج بآية وأمه . عن عمر
 ابن مالك عن أبي الجوزاء قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما : أكتفى عن قول الله عز
 وجل (فاذكروا الله كذا كركم آباءكم أو أشد ذكرا) وقد يأتي على الرجل يوم لا يذكر فيه آباءه ،
 فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس كذلك ، ولكن أن تغضب لله عز وجل إذا عصي
 أشد من غضبك لو الدبك إذا شئت . وعن محمد بن كعب القرظي رحمه الله (فاذكروا الله
 كذا كركم آباءكم أو أشد ذكرا) يعني بل أشد كقوله (أو يزيدون) أي بل يزيدون . قال
 مقاتل رحمه الله (أو أشد ذكرا) يعني أكثر ذكرا كقوله (أو أشد قسوة أو أشد خشية) .
 (فصل) وقد سمى الله عز وجل أشياء في القرآن ذكرا ، من ذلك أنه سمى الجوزاء ذكرا ،
 فقال عز وجل (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، وسمى القرآن ذكرا ، قوله عز وجل

(وهذا ذكر مبارك أثرت له) ، وصي القرح المحفوظ ذكرا ، قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) يعنى من بعد اللوح المحفوظ ، وصي الموحدة ذكرا قوله عز وجل (فلما نسوا ما ذكروا به) وصي الرسول ذكرا ، قوله عز وجل (قد أثرت الله إليكم ذكرا رسولا) ، والخير ذكرا ، قوله عز وجل (فلما ذكر من معي وذكر من قبلي) والشرف ذكرا ، قوله عز وجل (إنه للذكر لك وللقومك) ، والثروة ذكرا ، قوله عز وجل (ذلك ذكرى للذاكرين) ، والصلاة ذكرا ، قوله عز وجل (فاذكروا الله كما علمكم) ، وصي صلاة العصر ذكرا ، قوله عز وجل (إلى أحييت حب الخير عن ذكر ربى) يعنى صلاة العصر ، والجمعة أيضا ذكره قوله عز وجل (فاسعوا إلى ذكر الله) ، والشفاة ذكرا ، قوله عز وجل (اذكروني عند ربك) ، وصي الطاعة والمغفرة ذكرا ، قوله عز وجل (فاذكروني أذكركم) معناه : اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة ، وصي التداية ذكرا ، قوله تعالى (إذ ظلموا أنفسهم ذكروا الله) أى تدعوا بالقلب واستغفروا باللسان ، وصي التكبير ذكرا ، قوله تعالى (واذكروا الله في أيام معدودات) يعنى أيام التشريق .

(فصل) واختلف لم سميت أيام التشريق ، فقال قوم إن المشركين كانوا يقولون أشرق ثبير كذا ثبير ، يعنى أدخل في الشروق بالثبير ، وهو اسم جبل ، كذا نغير أى كذا ندفع ، لأنهم كانوا لا يدفعون ولا يفيضون من المزدلفة إلا بعد أن تشرق الشمس ، فجاء الاسلام فأبطل ذلك . وقيل : إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يشرفون فيها لحوم الأصاحي ، وتشريق اللحم : أن يشرح ويشرق في الشمس ، ويسمى التقيد شراقة اللحم . وقيل : بل سميت الصلاة يوم النحر ، والتشريق صلاة العيد ، وإنما أخذ من شروق الشمس لأن ذلك وقتها وصي المصل المشرق لأن الناس يبرزون فيه للشمس ، فسمى يوم العيد يوم التشريق لهذا المعنى ، ثم صارت أيام التشريق تبعاً للعيد . وقيل لذي القرون المصري رحمه الله : لم سمى الموقف بالمشر ولم يسم بالحرم ؟ فقال : لأن الكعبة بيته ، والحرم حجابها ، والمشر بابها ، فلما قصدوا الوافدون أوقفهم بالباب الأول ينشعرون إليه ، ثم أوقفهم بالحجاب الثاني وهو المزدلفة ، فلما نظر إلى نضرهم أمرهم بتقريب قربانهم ، فلما أن قربوها وتطهروا من الذنوب أمرهم بالزيارة على الطهارة ، فقيل له : لم كره الصيام في أيام التشريق ؟ قال : لأن القوم زوار الله تعالى وهم في ضيافته ، ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من أهله ، فقيل له : يأبى الضيف ما معنى تعلق الرجل بأستار الكعبة ؟ قال : مثله كمثل رجل بينه وبين صاحبه جناية ، فهو متعلق بذيل ورجال يشفعون له أن ييب له جرمه : (فصل) واختلف في قدر التكبير في هذه الأيام قال نافع رحمه الله : كان عمر وعبد الله ابنه رضي الله عنهما يكرران بين هذه الأيام عقيب الصلاة ، وفي المجلس ، وعلى الفرش والفسطاط ، وفي الطريق ، ويكبر الناس بتكبيرهما ، ويقولان هذه الآية . فلا اتفاق حاصل على كون التكبير سنة ، وإنما الخلاف في قلوه ، وكان على رضي الله عنه يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق ، وهو مذهب إسماعيل بن محمد بن حنبل

رحمه الله تعالى، وألحد أقوال الشافعي ومذهب أبي يوسف ومحمد بن الحسن، وهو أولى الأقاويل وأجمعها . وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يكبر من صلاة الغداة يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر ، وهو مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى . وكان ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهم يكرآن من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق ، وهو قول عطاء رحمه الله ، والأظهر من مذهب الشافعي رحمه الله أن يبدأ بالتكبير من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة العصر من آخر يوم التشريق اقتداء بالخارج ، وهو مذهب الإمام مالك . والشافعي قول ثالث : أوله من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق . وأما لفظ التكبير ، فكان ابن مسعود رضي الله عنه يكبر التين الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر وفي الحمد . وهو مذهب إمامنا أحمد وأبي حنيفة رحمهما الله وأهل العراق . وعن مالك رحمه الله تعالى أنه كان يقول الله أكبر الله أكبر ، ثم يقطع فيقول : الله أكبر لا إله إلا الله . وكان سعيد بن جبير والحسن رحمهما الله تعالى يقولان : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثا نسفا ثم يسوق التكبير إلى آخره على ما ذكرنا أولا ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله وأهل المدينة وعن قتادة رحمه الله أنه كان يقول الله أكبر كبيرا ، الله أكبر علي ما عدا الله أكبر وفي الحمد . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيام مني أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى » . وعن جعفر بن محمد رحمه الله أنه قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مناديا فتادى في أيام التشريق : أنها أيام أكل وشرب ويعال » .

(فصل) وإن كان حرما فن صلاة الظهر يوم النحر إلى آخر أيام التشريق عند إمامنا أحمد رحمه الله تعالى، وكذلك في الصحيح عنه لا يكبر إلا إذا صلى الفرض في جماعة، ولا يكبر إذا كان وحده ولا عقب التوافل .

(فصل) وهذا التكبير الذي ذكرناه في عيد الأضحى مثله في عيد القطر، بل أكد في القطر ليلة القطر لتتوكل الله عز وجل (ولتاكلوا العدة ولتكبروا الله على ما عداكم) الآية ، غير أن ابتداءه من بعد غروب الشمس ليلة القطر إلى أن يفرغ الإمام من خطبتي العيدين العيد ثم ينقطع . وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله ليس في القطر تكبير مستون . وقال مالك رحمه الله : يكبر يوم القطر دون ليله ويكون وقته إلى أن يأتي المصل ويخرج الإمام ويظهر الناس للصلاة . وقال الشافعي رحمه الله يكبر من غروب الشمس ليلة القطر إلى أن يفرغ الإمام من خطبتي العيد يوم العيد . وقال في قول : يكبر من غروب الشمس ليلة العيد إلى أن يظهر الإمام في المصل . وقال في قول : إلى أن يجرم بالصلاة وفي قول : إلا أن يفرغ من الصلاة .

يجلس : في فضائل يوم عاشوراء

قال الله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله) إلى قوله (منها أربعة حرم) ، ولقد تقدم ذكر ذلك . وأن منها الحرم ، فهذا الشهر من الأشهر الحرم عتاقه

تعالى ، وفيه يوم عاشوراء الذي عظم الله تعالى أجر من أطاعه فيه . من ذلك ما أخبرنا به أبو نصر عن والده ، بإسناده عن عبيد بن حماد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام يوما من المحرم لله بكل يوم ثلاثون يوما ، ومن ذلك ما روى عن عبيد بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشرة آلاف ملك ، ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشرة آلاف شهيد وثواب عشرة آلاف حاج ومعتصر ، ومن مسح يده على رأسه يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكل شجرة على رأسه درجة في الجنة ، ومن فطر مؤمنا ليلة عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأشيع بطونهم ، قالوا : يا رسول الله لقد فضل الله تعالى يوم عاشوراء على سائر الأيام ، قال صلى الله عليه وسلم : نعم خلق الله تعالى السموات في يوم عاشوراء ، وخلق الجبال يوم عاشوراء ، وخلق البحار يوم عاشوراء ، وخلق القلم يوم عاشوراء ، وخلق اللوح يوم عاشوراء وخلق آدم يوم عاشوراء ، وأدخله الجنة يوم عاشوراء ، وولد إبراهيم عليه السلام يوم عاشوراء ، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء ، وفدى ابنه من الذبح يوم عاشوراء ، وأغرق فرعون يوم عاشوراء ، وكشف الله تعالى البلاء عن أيوب يوم عاشوراء ، وتاب الله تعالى على آدم يوم عاشوراء ، وغفر الله تعالى ذنب داود عليه السلام يوم عاشوراء ، وولد عيسى يوم عاشوراء ، ويوم القيامة لي يوم عاشوراء . » وفي لفظ آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة بصيامها وقيامها ، ومن صام يوم عاشوراء أعطى ثواب ألف شهيد ، ومن صام يوم عاشوراء كتب الله له أجر أهل سبع سموات ، ومن فطر مؤمنا يوم عاشوراء ، فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأشيع بطونهم ، ومن مسح رأسه يوم عاشوراء رفعت له بكل شجرة على رأسه درجة في الجنة ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله لقد فضلتنا الله تعالى بيوم عاشوراء قال صلى الله عليه وسلم : خلق الله تعالى السموات يوم عاشوراء والأرض كذلك وخلق الجبال يوم عاشوراء والنجوم كذلك ، وخلق العرش يوم عاشوراء والكروسي كذلك ، وخلق اللوح يوم عاشوراء والقلم كذلك وخلق جبريل يوم عاشوراء والملائكة كذلك وخلق آدم في يوم عاشوراء وولد إبراهيم في يوم عاشوراء ، ونجاه الله تعالى يوم عاشوراء ، وفدى الله ابنه يوم عاشوراء ، وأغرق فرعون في يوم عاشوراء ، ووقع إدريس في يوم عاشوراء ، وكشف الضر عن أيوب في يوم عاشوراء ، ووقع عيسى في يوم عاشوراء ، وولد عيسى في يوم عاشوراء ، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء ، وغفر ذنب داود في يوم عاشوراء ، وأعطى الله الملك سليمان في يوم عاشوراء « واستوى الرب تبارك وتعالى على العرش في يوم عاشوراء ، ويوم القيامة في يوم عاشوراء وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء وأول رحمة نزلت في يوم عاشوراء ، ومن اقتتل يوم عاشوراء لم يمرض مرضا إلا مرض الموت ، ومن اكتمل

الإثم يوم عاشوراء لم ترحم عليه تلك السنة كلها ، ومن عاد مريضاً يوم عاشوراء فكأنما عاد ولد آدم ، ومن سقى شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما لم يعض الله طرفة عين ، ومن صلى أربع ركعات يوم عاشوراء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد غفر الله تعالى له ذنوب خمسين عاماً ما ضيا وخمسين عاماً مستقبلاً ، وبني الله تعالى له في اللأ الأعلى ألف قصر من نور . وقد ورد في حديث آخر أربع ركعات يسلمتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة ، وإذا زلزلت الأرض زلزالها مرة ، وقل يا أيها الكافرون مرة ، وقل هو الله أحد مرة ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة إذا فرغ منها ، مروى ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه » . وسواوا فيه على عيالكم ، ومن وسع على عياله من ماله في يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته ، ومن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة ، وما من أحد أحب إليه عاشوراء وأصبح صائماً مات ولم يدر بالثواب . وفي حديث عليّ كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحببنا ليلة عاشوراء أحببنا الله تعالى ما شاء » وعن سفیان بن عيينة عن جعفر الكوفي عن إبراهيم بن محمد بن المنذر ، وكان من أفضل ما روى بالكوفة على ما قيل في زمانه أنه بلغه : أن من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله تعالى عليه سائر سنته ، قال سفیان رحمه الله : فحربنا ذلك منذ خمسين سنة فلم نر إلا سعة . وعن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من وسع على أهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته » . وقيل عن بعض السلف أنه قال : من صام يوم الزينة ، يعني يوم عاشوراء أدرك ما فاتته من صيام السنة ، ومن تصدق فيه يومئذ أدرك ما فاتته من صدقة السنة . وقال يحيى بن كثير رحمه الله : من اكتمل يوم عاشوراء يكتمل فيه مسك لم يشك عليه إلى قابل من ذلك اليوم . وأخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أبي غليظ بن أمية بن خلف الجهمي قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم على يثبي صريداً فقال : هذا قول طائر صام يوم عاشوراء . وقال قيس ابن عباد : كانت للوحش تصوم يوم عاشوراء . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل صيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي يذهب عنه الحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة وفي جوف الليل الصلاة يوم عاشوراء » . وعن عليّ كرم الله وجهه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « في شهر الله المحرم تاب الله على قوم ويحب على آخرين » . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام آخر يوم من ذي الحجة وأوّل يوم من المحرم فقد ضمّ السنة الماضية بصوم واستفتح السنة المستقبل بصوم ، وجعل الله عز وجل له كفارة خمسين سنة » . وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه بمكة ، فلما قدم المدينة فرض صيام رمضان ، فمن شاء صام يوم عاشوراء ، ومن شاء تركه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود تنصوم يوم عاشوراء ، فسأل عن ذلك ، فقالوا : هذا اليوم الذي أظهر الله فيه عز وجل موسى عليه السلام وبني إسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيلا له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نحن أحق بموسى منكم ، فأمر بضومهم » .

(فصل) واختلف العلماء وحهم الله في تسميته يوم عاشوراء ، فقال أكثرهم : إنما سمي يوم عاشوراء ، لأنه عاشر يوم من أيام الحرم . وقال بعضهم : إنما سمي عاشوراء ، لأنه عاشر الكرامات التي أكرم الله عز وجل هذه الأمة بها : أولها : رجب ، وهو شهر الله تعالى الأسم ، وإنما جعله كرامة لهذه الأمة لفضله على سائر الشهور كفضل هذه الأمة على سائر الأمم ، والكرامة الثانية : شهر شعبان ، وفضله على سائر الشهور كفضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء ، والثالثة : شهر رمضان وفضله على سائر الشهور كفضل الله تعالى على خلقه ، والرابعة : ليلة القدر ، وهي خير من ألف شهر ، والخامسة : يوم القدر ، وهو يوم الجزاء ، والسادسة أيام العشر ، وهي أيام ذكر الله تعالى ، والسابعة : يوم حرقه ، وصومه كفارة سكتين والثامنة : يوم النحر ، وهو يوم القربان ، والتاسعة يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام ، والعاشرة : يوم عاشوراء ، وصومه كفارة سنة ، وكل وقت من هذه الأيام كرامة جعلها الله تعالى لهذه الأمة تكفيرا لذنوبهم وتطهيرا لخطاياهم . وقال بعضهم : إنما سمي عاشوراء ، لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء عليهم السلام بعشر كرامات ، إحداها : أنه عز وجل تاب على آدم عليه السلام فيه ، والثانية : رفع الله عز وجل إدريس عليه السلام فيه مكانا عليا ، والثالثة : استوت سفينة نوح عليه السلام فيه على الجودي ، والرابعة : ولد إبراهيم عليه السلام فيه ، وانقذ الله تعالى خيلًا ، وأنجاه من نار نمرود فيه ، والخامسة : تاب الله عز وجل على داود عليه السلام فيه ، ورد الملك على سليمان عليه السلام فيه ، والسادسة : كشف الله ضرَّ أيوب عليه السلام فيه ، والسابعة : نجى الله عز وجل موسى عليه السلام من البحر ، وأغرق فرعون في البحر فيه ، والثامنة : نجى الله عز وجل يونس عليه السلام من بطن الحوت فيه ، والتاسعة : رفع الله عز وجل عيسى عليه السلام إلى السماء فيه ، والعاشرة : ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه .

(فصل) واختلفوا في أي يوم هو من الحرم ، فقال أكثرهم : اليوم العاشر من الحرم وهو الصحيح لما تقدم . وقال بعضهم : هو الحادي عشر منه . ونقل عن عائشة رضي الله عنها هو التاسع منه . وعن الحكم بن الأخرج أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن أي يوم يصام عاشوراء ؟ فقال : إذا رأيت الحرم فاعبد ، ثم أصبح صائما من تاسعه . قلت : كنتك كان يصومه محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . وفي حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا ، أنه كان يقول : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا يا رسول الله تعظمه اليهود والنصارى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان العام المقبل إن شاء الله تعالى صمنا يوم التاسع ، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله

عليه وسلم . قال ابن عباس رضي الله عنهما في لفظ آخر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لئن عشت إلى قابل إن شاء الله تعالى صمت يوم التاسع ، عاقبة أن يفوته يوم عاشوراء .

(فصل) وذكر من فضائل يوم عاشوراء أن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما
قتل فيه . روى عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في منزل ، إذ دخل عليه الحسين رضي الله عنه ، فطالعت عليهما من الباب وإذا الحسين
رضي الله عنه على صدر النبي صلى الله عليه وسلم يلعب ، وفي يده النبي صلى الله عليه وسلم
قلعة من طين ودموغة تجري ، فلما خرج الحسين رضي الله عنه دخلت فقلت : يا أيُّ أئمة وأبي
يا رسول الله طالعت عليك وفي يديك طينة وأنت تبكي ، فقال صلى الله عليه وسلم لي : لما فرحت
به وهو على صدري يلعب أناني جبريل عليه السلام وتلووني الطينة التي يفتل عليها ، فذلك
يكفي . وروى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال : إن سليمان بن عبد الملك رأى النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام يبشره ويلاطفه ، فلما أصبح سأله الحسن رضي الله عنه عن ذلك ،
فقال له الحسن رضي الله عنه : لعنك لعنت إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا ،
فقال نعم ، وجلست رأس الحسين بن علي رضي الله عنه في غزاة يزيد بن معاوية ، فكسوته
خسة من الديباج ، وصليت عليه مع جماعة من أصحاب وقبيرة ، فقال له الحسن رحمه الله : لقد
رضي النبي صلى الله عليه وسلم عنك بسبب ذلك ، فأحسن إلى الحسن رحمه الله وأمر له بالجوهر .
وروى عن حزة بن قريبات قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الخليل عليه السلام
في المنام يصليان على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما . وأثير تأثير نصر عن والده بإسناده
عن أبي أسامة عن جعفر بن محمد رحمه الله قال : هبط على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما
يوم أصيب سبعون ألف ملك يكون عليه إلى يوم القيامة .

(فصل) وقد طعن قوم على من صام هذا اليوم العظيم وما ورد فيه من التعظيم ، وزعموا
أنه لا يجوز صيامه لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فيه . وقالوا : ينبغي أن تكون المصيبة
فيه عامة لجميع الناس بقتله فيه ، وأنتم تتخلون يوم فرح وسرور ، وتأمرون فيه بالتوسعة
على الأهل والنفقة الكثيرة ، والصدقة على الفقراء والضعفاء والمساكين ، وليس هذا من حق
الحسين رضي الله عنه على جماعة المسلمين . وهذا القائل غلط . ومذهبه قبيح قاسد ، لأن الله
تعالى اختار بسيط نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الشهادة في أشرف الأيام وأعظمها وأجلها
وأرفعها عنه ، ليزيده بذلك رتبة في درجاته وكراماته ، مضافة إلى كرامته وبلغه منازل الشرف
الراشدين الشهداء بالشهادة ، ولوجاز أن يتخذ يوم موته يوم مصيبة لكان يوم الاثنين أولى
بذلك ، إذ قبض الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فيه ، وكذلك أبو بكر الصديق رضي
الله عنه قبض فيه ، وهو ما روى هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال أبو بكر
رضي الله عنه : أتى يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم فيه ؟ قلت : يوم الاثنين ، قال رضي
الله عنه إلى أرجو أن أموت فيه ، قامت رضي الله عنه فيه ، ولقد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفقد أب بكر رضى الله عنه أعظم من فقد غيرهما ، وقد اتفق الناس على شرف يوم الاثنين وفصلته صومه ، وأنه تعرض فيه الأعمال ، وفى يوم الخميس ترفع أعمال العباد ، وكذلك يوم عاشوراء لا يتخذ يوم مصيبة ، ولأن يتخذ يوم عاشوراء يوم مصيبة ليس بأولى من أن يتخذ يوم فرح وسرور لما قلتمنا ذكره وفصله ، من أنه نعى الله تعالى فيه أنبياءه من أعدائهم ، وأهلك فيه أعداءهم الكفار من فرعون وقومه وغيرهم ، وأنه تعالى خلق السموات والأرض والأشياء الشريفة فيه ، وآدم عليه السلام وغير ذلك ، وما أعد الله تعالى لمن صامه من الثواب الجزيل والعطاء الوافر ، وتكثير الذنوب وتنجيس السيئات ، فصار عاشوراء بمثابة بقية الأيام الشريفة كالعبدین والجمعة وعرفة وغيرها ، ثم لو جاز أن يتخذ هذا اليوم مصيبة لاختلته الصحابة والتابعون رضى الله عنهم ، لأنهم أقرب إليه منا وأخص به . وقد ورد عنهم الحديث على شريعة على العباد فيه الصوم فيه ، من ذلك ما روى عن الحسن رحمه الله أنه قال : « صوم يوم عاشوراء فريضة » . وكان على رضى الله عنه بأمر بصيامه . وقالت لهم عائشة رضى الله عنها : من يأمركم بصوم يوم عاشوراء ؟ قالوا : على رضى الله عنه ، قالت : إنه أعلم من بنى بالسنة وروى عن على رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحيا ليلة عاشوراء أحياء الله تعالى ما شاء » فقل على بطلان ما ذهب إليه القائل ، والله تعالى أعلم .

مجلس : فى فضائل يوم الجمعة

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وخذوا السبيل ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما (يا أيها الذين آمنوا) يعنى أقرؤا وصدقوا بوحداية الله تعالى (إذا نودى للصلاة) يعنى إذا دعيت بالأذان يوم الجمعة (فاسعوا إلى ذكر الله) يعنى فاسعوا إلى صلاة الجمعة (وخذوا السبيل) يعنى واتركوا البيع بعد النداء (ذلكم) يعنى الصلاة (خير لكم) من الكسب والتجارة (إن كنتم تعلمون) يعنى تصدقون . وسبب نزول هذه الآية أن اليهود اتخفروا على المسلمين بأشياء ثلاثة ، أحدها : قالوا : نحن أولياء الله وأحباؤه دونكم . والثاني : لنا كتاب ولا لكم كتاب : والثالث : لنا سبت ولا سبت لكم . فرد الله عليهم وكلهم في هذه الآية ، فقال لبيته صلى الله عليه وسلم (قل يا أيها الذين آمنوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فضعوا الموت إن كنتم صادقين) يقول لكم نحن أولياء الله من دونكم ، وأنزل الله عز وجل لقولهم أنتم أميون لا كتاب لكم ، قوله جل وعلا (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) ، وضمهم فقال تعالى (مثل الذين حللوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) الآية ، وأنزل تبارك وتعالى لقولهم لنا سبت ولا سبت لكم (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) إلى قوله تعالى (ذلكم خير لكم) الآية : ثم قال عز وجل (وإذا رأوا تجارة أو ألحوا أنفسهم إليها) الآية ، وذلك أن الغير إذا قدمت المنيعة استقبلوها بالطلب والتصفيق ، فيخرج الناس من المسجد ، فلما كان ذات يوم

جاءت العير فخرجت الناس من المسجد ، غير التي عشر رجلا وامرأة ، ثم جاءت غير أخرى فخرجوا أيضا ، إلا التي عشر رجلا وامرأة ثم إن دحية بن خليفة الكلبي من بني حارث بن عوف أقبل بتجارة من الشام قبل أن يسلم ، وكان يحمل معه من أنواع التجارة ، وكان يطلق أهل المدينة بالطليل والتصفيق ، فوافق قدمه يوم الجمعة والتي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يحطّب ، فخرج إليه الناس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا حكم بن قيس السجدي ؟ فقالوا : انا عشر رجلا وامرأة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لولا هؤلاء لقد سومت عليهم الحجارة ، يعني علم على الحجارة لهم ، فأنزل الله عز وجل (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) على المنبر (قل ما عند الله خير من اللهو) يعني الطليل والتصفيق (ومن التجارة) التي جاء بها دحية (والله خير الراغبين) من غيره وقيل : من الاثنين عشر رجلا الذين بقوا في المسجد أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما .

(قصص : في فضائل يوم الجمعة من طريق الآثار) من ذلك ما روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لم تطلع الشمس ولم تغرب حتى يوم أفضل من يوم الجمعة ، وما من دابة إلا وهي تفرح من يوم الجمعة إلا الفيلان الجن والإنس ، وكل كل باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الناس الأول فالأول ، كرجل قرب بدنة ، وكرجل قرب بقرة ، وكرجل قرب شاة وكرجل قرب دجاجة ، وكرجل قرب بيضة ، فإذا قام الإمام طوت الصحف . وعن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق الله تعالى آدم ، وفيه أدخله الجنة ، وفيه أهبط منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه . قال أبو سلمة : قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : قد عرفت تلك الساعة ، هي آخر ساعة من النهار ، وهي الساعة التي خلق فيها آدم عليه السلام ، قال الله عز وجل (خلق الإنسان من عجل) . وروى عبد الله بن منذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله ، وهو أعظم عند الله تعالى من يوم الفطر ، وفيه خمس خلال : فيه خلق الله تعالى آدم عليه السلام ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه توفى ، وفيه ساعة لا يسأل العبد ربه فيها شيئا إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراما ، وفيه تقوم الساعة ، وما من ملك مقرب عند ربه عز وجل إلا وهو يفرح من يوم الجمعة ، ولا سماء ولا أرض إلا وهي تشفق من يوم الجمعة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اليوم شاهد يوم الجمعة ، والشهود يوم عرفة ، والوعود يوم القيامة ما طلعت الشمس ولا غابت ، على يوم أفضل من يوم الجمعة ، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله تعالى فيها عبداً إلا أعطاه أو يستعبده من شئ إلا أعطاه » . أخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه قال : إذا كان يوم الجمعة خرجت الشياطين يزفون الناس إلى أسواقهم ومعهم الزبايات ، وتخرج الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس على قدر منازلهم ، السابق والمصل والذى يليه ، حتى يخرج الإمام ، فمن دنا من الإمام فنصت واستمع ولم يلف كان له كفلان من الأجر ، ومن نأى عنه قاستمع ونصت ولم يلف كان له كفل من الأجر ، ومن دنا من الإمام فلما ولم ينصت ولم يستمع كان له كفلان من الوزر ، ومن نأى عنه قلما ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفل من الوزر ، ومن قال صه فقد تكلم ، ومن تكلم فلا جمعة له . ثم قال على رضي الله عنه : هكذا سمعت من نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت . وعن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تقف الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون عبيد الناس حتى يخرج الإمام ، فإذا خرج الإمام طوت الصحف ورفعت الأعلام ، قال : فتقول الملائكة بعضهم لبعض : ما حبس فلانا وما حبس فلانا ؟ قال : فتقول الملائكة بعضهم لبعض : اللهم ! إن كان مريضاً فافشه ، وإن كان ضالاً فاهده ، وإن كان غائباً فاعنه . وقال جعفر : حدثنا ثابت قال : بلغنا أن لله تعالى ملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يكتبون من صلى ليلة الجمعة ويوم الجمعة في جماعة . أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده : بإسناده عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة في يوم الجمعة ، إلا مريضاً أو مسافراً أو امرأة أو صبياً أو مملوكاً ، ومن استغنى عنها يلهو أو تجارة استغنى الله تعالى عنه ، والله غني حديد . وعن أبي الجهم الظهيري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ترك الجمعة ثلاثاً تهاونا بها طبع الله تعالى على قلبه » وأخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده بإسناده عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره : « يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تسعدوا ، وأكثروا من الصلوة في السر والعلانية توجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله تعالى قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامى هذا في شهرى هذا إلى يوم القيامة ، من وجد إليها سبيلاً وتركها في حيال أو بعدى بجسودها بها أو استخفافا بها ، وله إمام جائر أو عادل ، فلا جمع الله له شمله ولا يبارك له في أمره ، ألا فلا صلاة له ، ألا ولا موضوه له ، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا حج له ، ألا ولا بركة له حتى يتوب ، فإن تاب تاب الله عليه ، ألا ولا تؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجرة ، ألا ولا يؤمن فاجر مؤمناً إلا أن يفخره سلطان يخاف سيفه وسوطه » . وأخبرنا أبو نصر عن والده : بإسناده عن ثابت البناني عن طلوس عن ابن موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبعث الأيام يوم القيامة حل هليتها ، ويبعث الجمعة وهي زاهرة منيرة ، أهلها يفتنون بها كالغروب ،

تهدى إلى كرمها نضىء لهم ، يحشون في ضوئها ، ألوانهم كالطلع ورجعهم كالمسك ، يغزضون في جبال الكافور ، وينظر إليهم الثقلان ، ما يطرفون تعجبا حتى يدخلوا الجنة ، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون الخفسيون . وأنجزنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن ثابت البناني ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لله ثلث سئات ألف عتيق من النار ، في كل يوم وليلة الجمعة ، ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة ، في كل ساعة سائة ألف عتيق من النار ، كلهم قد استوجبوا النار » . وفي لفظ آخر عن ثابت عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لله في كل ساعة من ساعات الدنيا سائة ألف عتيق من النار يعقهم كلهم ، قد استوجبوا النار يوم القيامة وفي يوم الجمعة وليلة الجمعة أربع وعشرون ساعة ، ليس فيها ساعة إلا لله عز وجل فيها سائة ألف عتيق يعقهم من النار كلهم قد استوجبوا النار » . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي البرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الجمعة في جماعة كتبت له حجة مقبلة ، وإن صلى العصر كانت له عمرة وإن تمس في مكانه لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه » . وعن أبي أمامة وشهد جنازة وتصدقت بصدقة وعاد مريضا وشهد نكاحا وجبت له الجنة . وأنجزنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحضر الجمعة ثلاثة نفر : فرجل حضرها بالغوفلك حلقه ، ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله تعالى ، فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه ، ورجل حضرها بإصصت وسكوت ولم يتخط رقية مسلم ولم يؤذ أحدا ، فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام ، فإن الله عز وجل يقول (من جاء بالحسن فله عشر أمثاله) ، وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من دابة إلا وهي قائمة على ساق يوم الجمعة مشقة من قيام الساعة إلا الشياطين وشقي بني آدم » ، ويقال إن الطير والقوام تلي بعضها بعضا في يوم الجمعة ، فتقول سلام عليكم يوم صالح . وفي غير آخر : « إن جهنم تسمر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السباع ، فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة ، فإنها صلاة كلها ، وإن جهنم لا تسمر فيه » .

(فصل) روى عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بقية ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » فالساعة الأولى تكون بعد صلاة الصبح ، والساعة الثانية تكون عند ارتفاع الشمس ، والثالثة عند انبساطها وهي القسي الأعلى إذا رفعت الأقدام بحر الشمس ، والساعة الرابعة تكون قبل الزوال ، والخامسة إذا زالت الشمس أو مع

استوائها . وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اغتسل في كل يوم جمعة اشترجه الله تعالى من ذنوبه ثم قيل له استأنف الغسل » . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من غسل واغتسل وغدا وبكر وذا من الإمام ولم يلع ، كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها » وقوله صلى الله عليه وسلم « من غسل » بالشدائد : أى غسل أهله كتابة عن الجامع ، ولغا يستحب عند أهل العلم إثبات الزوجة في يوم الجمعة ، وكان بعض السلف يفعله اتباعا لهذا الحديث ، وروى بالتخفيف : أى غسل رأسه ثم غسل جسده . وعن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها حريرة اغتسل كل يوم جمعة ، ولو صار أن تشتري الماء بقوت يومك ، فغسل الجمعة مستحب عند أكثر الفقهاء ، وواجب عند داود ، فلا ينبغي أن يتركه من يأخذ الجمعة . قال وقتبه : بعد طلوع الفجر الثامن ، والأولى له أن يعقبه بالرواح إلى المسجد ليخرج من الخلاف ، وأن يحفظ من نقض الظهارة حتى يصل الجمعة وينوي بالغسل خدمة مولاه ، فإن أصبح جفا فوضأ واغتسل نوبا بهما الجنبات والجمعة جاز ، وينظف بأحد شعره وظفره وقطع وأتمه : أى الكريمة ، وينسأ أحسن ثيابه وأفضلها البياض ويتعمم ويرتدى ، فإنه جاء في الحديث (إن الملائكة تصل على أهل المسام يوم الجمعة ، ويتطيب بأطيب طيبه مما يظهر ربحه ويخفى لونه ، وليخرج من بيته إلى الجامع وعليه السكينة والوقار عاشقا متراضعا عتبا متفرضا محكما من الدعاء والاستغفار ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينوي بخروجه زيارة مولاه في بيته والتفرب إلى الله تعالى بأداء فرائضه ، والمكوف في المسجد إلى حين انقلابه إلى بيته ، وينوي كلف جوارحه عن الظهور والظفر في الطريق والجامع ، وليترك راحته يوم الجمعة وحفظه دنياه ، وليواصل الأوراد والعبادة فيه ، فيجعل أولئك نهاره إلى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة ، ثم يجعل وسط النهار إلى صلاة العصر لامتاع العلم ومجالس الذكر ، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس لتسبيح والاستغفار ، وأفضل ما يشتغل به في هذا الوقت وفي كل يوم وليلة من الأذكار أن يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، سبحانه الله العظيم وبحمده مائة مرة ، لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي مائة مرة واستغفر الله الحق القيوم وأمسأله التوبة مائة مرة ، وانشأ الله لا تحركه إلا بالله مائة مرة فذلك سبع مائة مرة من أنواع الأذكار . وقد نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم ، أنه كان يسبح في كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة . وعن بعض التابعين أنه كان يسبح كل يوم ثلاثين ألفا ، كل قد علم صلاته وتسبيحه ، فاحذر أن تكون من الغرومين ، فلا تذكر ولا تذكر ، والمؤمن أولا يكون ذا كراهة عز وجل ، ثم مذكورا له ، قال الله تعالى (فلاذكروني أذكركم) . وأما قبل الصلاة فلا يستحب له حضور القاص ، لأن القصص بدعة وكان ابن عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم يخرجون القصص من الجامع ، اللهم إلا أن يكون عالما بالله تعالى من أهل المعرفة

والیثین ، لیکون حضور مجلسه افضل من صلاته لحديث أبي ذر رضي الله عنه : « حضور مجلس العلم افضل من صلاة ألف ركعة ، وإذا أتى الجامع لا يتخطى رقاب الناس إلا أن يكون إماما أو مؤذنا » لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل رآه يتخطى رقاب الناس : « يا فلان ما متك أن تصلي معنا الجمعة ؟ فقال : أوم ترني يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم رأيك تلبث وآذيت ، أي تأخرت من اليكور ، وآذيت بالحضور . وفي حديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما متك اليوم أن تجتمع ؟ قال : يا نبي الله قد جمعت ، قال صلى الله عليه وسلم : أوم لرك تتخطى رقاب الناس . » وقد قيل : إن من فعل ذلك جعل جسرا يوم القيامة حل ظهر جهنم يتخطاه الناس ، ولا تمرّ بين يدي المصل ، لأن في الخير « لأن يقف أحدكم أربعين سنة غير له من أن يمرّ بين يدي المصل » . وفي لفظ آخر « لأن يكون الرجل رماحا فلروء الرياح خير له من أن يمرّ بين يدي المصل » . ولا يقيم أحدا من موضعه ومجلس مكانه ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يقيم أحدكم أثناء من جلسته ثم يجلس فيه » . وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه . وإن رأى بين يديه فرجة فهل يجوز له أن يتخطى رقاب الناس فيجلس فيها ؟ حل روايتين عند إمامنا أحمد رحمه الله تعالى ، فإن قدم صاحبها له فيجلس في موضعه ، فإذا جلس هناك جاز ، وإن سبط له شيئا فهل لغيره أن يرفعه ويجلس هناك حل وجهين عند أصحابنا : ويجهد أن يدنو من الإمام فينصت إليه الخطبة فلا يتكلم ، فإن تكلم أثم في إحدى الروايتين ، ولا يحرم الكلام قبل الشروع في الخطبة وبعد الفراغ منها .

(فصل) أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده ، قال أنبأنا أبو النّاسم عبد الله بن عمر القفقي الشافعي رحمه الله تعالى ، قال حدثنا حبيب بن الحسن القزاز ، قال حدثنا جعفر بن محمد الخراساني قال حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، قال حدثنا محمد بن شعيب ، عن عمر بن عبد الله مولى عذرة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الثاني جبريل عليه السلام في كتفه كتاب يضاف فيها نكتة سوداء ، قلت : ما هذه يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة ، لكم فيها خير كثير ، قلت : وما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هذه الساعة ، تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام ، ونحن نسميها عندنا يوم المزيد ، قلت : ولم تسمونه يوم المزيد يا جبريل ؟ قال : ذلك لأن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أبيع من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الأخيرة سبط الجبار تبارك وتعالى من حرشه إلى كرميه إلى ذلك الوادي . وقد صف الكرمي بتأثير من نور مجلس عليها التينون ، وحفت الثاير بكرسي من ذهب مكلفة . بالجواهر يجلس عليها الصديقون والشهداء ، ثم جاء أهل الغرف حتى حقوا بالكتيب ، فيقول الله عز وجل : أنا الذي صدقكم وعدى وأتممت عليكم نعمتي وأطعتمكم كرامتي ، ثم يقول : فسوفي قيتولون بأجمعهم : نساك الرضا عنا ، فيقول : رضائي بكم أهلكم داري وأهلكم كرامتي ، ثم يقول : سلوتي فيجيدون فيقولون : ربنا نساك الرضا ، ثم يقول : سلوتي فيسألونه حتى تنهى

آمنیۃ کل عید منہم ، ثم يقولون : حیثا ربنا ، فیتفتح لهم بقدر التصرفهم من يوم الجمعة مالا عین رأیت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، وكل غرفة من اللواتی یقضاء ویاقوتۃ حراء وزمرۃ خضراء ، لیس فیها فصم ولا وسم ، مطرقة فیها الأنهار متدلیۃ فیها ثمارها ولبها أرواجها وعلیها وساکنها ، فلیسوا إلى شیء أحوج منہم إلى يوم الجمعة ، لیزدادوا فضلا من ربهم ورضوانا . وأخبرنا أبو نصر عن والده ، قال حدثنا محمد بن أحمد الحافظ ، قال حدثنا أبو علی محمد بن أحمد الصوفی ، قال حدثنا أبو العباس عبد الله بن أصغر ، قال حدثنا إسحق بن إبراهیم أبو صالح الجزرکي ، قال حدثنا عمرو بن حمس عن سعد بن طریف الإسکافی ، عن الأصمعی بن نایف ، عن علی بن رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « إذا کان يوم الجمعة غدا آمین الله جبریل علیہ السلام إلى المسجد الحرام ، فركزوا فيه ، وغدا سائر الملائكة إلى المسجد الی یجمع فیها ، فركزوا ألویهم ورایانهم بأبواب المسجد ، ثم ینشرون قراطیس من فضة وألقاما من ذهب ، ثم یکتبون الأول فالأول من یکر إلى الجمعة ، فإذا دخل کل مسجد سبعون ممن یکر إلى المسجد طویت القراطیس ، وکان أولئك السبعون الذین یکرؤا إلى الجمعة کالذین اختار موسى (واختار موسى لومه سبعین رجلا) والذین اختارهم موسى من قومه کالتوا أنبیاء ، ثم یتخلل الملائكة الصفوف یتفتشون الرجال ، ویقول بعضهم لبعض : ما فعل فلان ؟ فیقولون مات ، فیقولون رحمه الله تعالى ، فإنه کان صاحب جمعة ، ویقولون ما فعل فلان ؟ فیقولون مریض ، فیقولون عافاه الله فإنه کان صاحب جمعة .

(فصل) رقی يوم الجمعة ساعة لا یوافقها عبد یدعو الله تعالى إلا استجبت دعوته . أخبرنا أبو نصر عن والده ، یسأده ، عن محمد بن إبراهیم ، عن أبي سلیمة ، عن أبي هریرة رضی الله عنه قال : أتیت الطور فوجدت فیہ کعبا ، فحدثته عن النبي صلی الله علیه وسلم وحديثی عن التوراة ، قال : فما اختلفنا فی شیء حتى انبیا إلى حدیث ، فقلت : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « فی الجمعة ساعة لا یوافقها مؤمن یصلی فیسأل الله تعالى فیها خیرا إلا أعطاه إیاه » قال کعب : فی کل سنة ، قال : فقلت یل فی کل جمعة ، کذلك قال صلی الله علیه وسلم ، فذهب قلیلا ثم رجعت فقال : صدقت والله ، إنها لکذا قال رسول الله صلی الله علیه وسلم فی کل جمعة ، وإنه لیسد الأيام وأحبها إلى الله تعالى . فیہ خلق آدم علیه السلام ، وفیه أسکن الجنة ، وفیه أمط سحابا ، وفیه تقوم الساعة ، ما من دابة إلا وهی مصیطة تنظر ما یكون فی يوم الجمعة إلا القتلین . فرجعت فقلت عبد الله بن سلام رضی الله عنه فحدثته بحديثی وحديث کعب ، قال : فقال عبد الله رضی الله عنه کذب کعب هو کذا قال رسول الله صلی الله علیه وسلم وهو فی التوراة ، قال : فقلت إنه قدر رجعت ، فقال عبد الله بن سلام رضی الله عنه : إلی لأحکم تلك الساعة ، قلت : أئی ساعة هی ؟ قال : آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، قال : فقلت وكيف وقد سمعت النبي صلی الله علیه وسلم قال لا یوافقها مؤمن

بصلی ، ولات حين صلاة قال : لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من انظر صلاة فرض فهو في صلاة ، قلت بلى ، قال فهي كذلك . وفي لفظ عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه ، وقال يده يمشيها ، وقد روى عن بعض السلف أنه قال : إن لله فضلا من الرزق سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا لمن سألته عشية الخميس ويوم الجمعة . وأخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن سعيد بن راشد ، عن زيد بن علي عن مرجانة ، عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ، عن أبيها صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه ، قلت يا أبت أية ساعة هي ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إذا تلى نصف الشمس للغروب ، قالت فكانت فاطمة رضي الله عنها إذا كان يوم الجمعة أشرت غلاما لها يقال له زيد تقول اصعد إلى القناب ، فإذا تلى نصف الشمس للغروب فاذني وأعلمني ، فكان يصعد ، فإذا كانت تلك الساعة آذنها وأعلمها ، فتقوم وتدخل المسجد حتى تغرب الشمس وتصل . وفي حديث كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : في الجمعة ساعة من نهار لا يسأل الله فيها عبد شيئا إلا أعطاه سؤله . قيل له : وأية ساعة هي يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها ، قال كثير بن عبد الله المزني : يعني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة . وأخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن محمد بن الشككر قال : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : عرض هذا الدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لودعي به على شيء بين المشرق والمغرب في ساعة يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه : سبحانه لا إله إلا أنت يا حنان يا منان ، يا بدیع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام . وقال صفوان ابن سليم : بلغني أن من قال حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، غفر له . وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فضل الجمعة في رمضان على سائر الأيام كفضل رمضان على سائر الشهور .

(فصل : في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة) أخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكثرُوا من الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه يوم تصاعف فيه الأعمال ، وسلوا الله في الدرجة الوسيطة ، قيل : يا رسول الله : وما الدرجة الوسيطة من الجنة ؟ قال : هي أعلى درجة في الجنة لا يتألف إلا نبي ، وأرجو أن أكون هو . وعن محمد بن الشككر عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وأبعثه مقامًا محمودًا

الذي وجدته ، حلت له الشفاعة يوم القيامة » . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أكثرُوا الصلاة على نبيكم في الليلة الغراء واليوم الأزهري ، ليلة الجمعة ويوم الجمعة » . وعن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت واقفا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من صلى علي في كل جمعة ثمانين مرة غفر الله تعالى له ذنوب ثمانين سنة » قلت : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : تقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وتنفذ واحدة » . وعن مكحول الشامي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرُوا من الصلاة علي في يوم الجمعة ، فإن صلاة أمي تعرض علي في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة يوم القيامة » .

(فصل : فيها يستحب أن يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة) أخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أبي الأحوص ، عن عبد الله رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ يوم الجمعة ألم السجدة ، وهلم ألي » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في المغرب بقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، وفي العشاء بسورة الجمعة والمثاقين » . وقيل : إنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ذلك في صلاة الجمعة . وعن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ليلة الجمعة سورة يس وحسن اللحن أصبح مغفورا له » . وقيل : إن من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة كان كن تصديق بعشرة آلاف دينار . ويستحب أن يصل ليلة الجمعة ويوم الجمعة ركعتين بأربع سور : سورة الأنعام ، وسورة الكهف ، وسورة طه ، وسورة الملك ، فإن لم يحسن القرآن فجميع ما يحسن منه ، فذلك له ختمه ، فقد قيل : ختمه من حيث علمه ، وإن كان يحسن القرآن يستحب له أن يختم في يوم الجمعة ، فإن لم يقدّر يشفع إليه ليلة الجمعة ، فإن جعل آخر ختمته في ركعتي المغرب أو ركعتي الفجر كان أحسن ، وكذلك إن جعل ختمته بين الأذان والإقامة يوم الجمعة كان فيه فضل كبير ، وإن قُولا ألف مرة قل هو الله أحد يوم الجمعة في عشر ركعات أو عشرين أو في غير صلاة كان أفضل من ختمه القرآن . ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة يوم الجمعة ، وكذلك التسبيح ألف مرة ، وهي الكلمات الأربع التي نقلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

(فصل : في تسبحة يوم الجمعة) أخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن سلمان رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدري لم سمى يوم الجمعة ؟ قلت : لا » قال : لأن فيه جمع أبوك آدم ، ثم قال : لا يظهر رجل يوم الجمعة فيتوضأ ويحسن وضوءه : ثم يأتي الجمعة ، لا كفر له ما بينها وبين الجمعة الأخرى ما اجتنب الكبر » . وقال بعضهم : هو من الاجتياح ، وهو اجتياح قلب آدم وروحه بعد أن كان ملئاً بأربعين سنة . وقال آخرون : لاجتياح آدم وحواء بعد القرعة الطويلة . وقيل : إنما سمى بذلك لاجتياح أهل البلد والرسائل فيه .

وقیل : لانه تقوم فيه القيامة ، وهو يوم الجمع ، قال الله عز وجل (يوم يحصنكم ليوم الجمع) : (فصل) وجميع ما ذكرناه من صيام الأشهر والأعياد والعبادات من الصلاة والأذكار وغير ذلك ، وما سنذكر إن شاء الله تعالى ، لا يقبل إلا بعد التوبة وطهارة القلب وإخلاص العمل لله تعالى وترك الرياء والسعرة .

أما التوبة فقد تقدم ما بناه ونزله عليه بأن الله يحب التوابين ويحب كل قلب طاهر من الذنوب ، فقال عز وجل (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) . قال عطاء ومقاتل والكنزي رحمهم الله : إن الله يحب التوابين من الذنوب ، والمتطهرين بالماء من الأحداث والنجس والجنابات والنجاسات يانه قصة أهل قباء ، حيث ذكرهم الله عز وجل بقوله تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عما يعملون ، فقالوا : تلعب الماء الأحجار في الاستنجاء . وقال جماعة رحمه الله : يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين عن أذكار النساء أنه يأتوها ، من أتى امرأة في دبرها فليس من المتطهرين ، فإن دبر المرأة مثله من الرجل . وقيل : التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك . روى عن أبي الهيثم رحمه الله أنه قال : كنت عند أبي العلاء فتروا فسر ما حسنا ، فقلت : إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، فقال : الطهور منه ، إن الطهور حسن ، ولكنهم المتطهرون من الذنوب . وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال : إن الله تعالى يحب التوابين من الشرك ، والمتطهرين من الذنوب . وقيل : التوابين من الكفر ، والمتطهرين بالإيمان . وقيل : التوابين من الذنوب لا يعودون فيها ، والمتطهرين بها لم يصيبوها . وقيل : التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر . وقيل : التوابين من الأفعال ، والمتطهرين من الأقوال . وقيل : التوابين من الأقوال والأفعال ، والمتطهرين من العقود والإضمار . وقيل : التوابين من الآثام ، والمتطهرين من الأجرام . وقيل : التوابين من الحرائر ، والمتطهرين من حيث السرائر . وقيل : التوابين من الذنوب ، والمتطهرين من العيوب . وقيل : التواب الذي كلما أذنب تاب ، قال الله عز وجل (فإنه كان للأوابين غفورا) . وعن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مر رجل من كان قبلكم بمسجدة ، فنظر إليها فقال : أي رب أنت أم أنا ، أنت العواد بالمسفرة وأنا العواد بالذنوب ، أم غير مساجدة ؟ فقبل له : لرفع رأسك فانا العواد بالمسفرة ، وأنت العواد بالذنوب فرفع رأسه فغفر له » .

وأما الإخلاص فقد قال الله عز وجل (وما أسروا إلا ليهبوا الله مخلصين له الدين) وقال جل وعلا (ألا لله الدين الخالص) ، وقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) ، وقال جل جلاله (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) اختلف الناس في معنى الإخلاص ، قال الحسن رحمه الله : سألت حليفة رضي الله عنه عن الإخلاص ما هو ؟ قال « سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ما هو ؟ قال صلى الله عليه وسلم : سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت رب العزة جل وعلا عن الإخلاص

ہا ہو ؟ فقال سبحانه وتعالى : هو من سرى استودعه قلب من أحببت من عبادى . ومن أن إدريس الخولاني رحمه الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل حق حقیة وما يبلغ عبد حقیقة الإخلاص حتى لا یحب أن یحمد علی شیء من عمل عمله لله عز وجل . وقال سعید بن جبیر رحمه الله : الإخلاص أن یخلص العبد دینه لله وعمله لله تعالى ، ولا یشارك به فی دینه ، ولا یأثر بعمله أحدا . وقال الفضیل رحمه الله تعالى : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص هو الخوف من أن یعاقبك الله تعالى علیهما ، وقال یحیی بن معاذ رحمه الله : الإخلاص : تمیز العمل من العیوب ، کتمیز اللین من القرم والدم . وقال أبو الحسن البوشنجی رحمه الله : هو مالا یکنیه للشکاک ، ولا یفسده الشیطان ، ولا یطلع علیه الإنسان . وقال روح رحمه الله : هو ارتفاع رؤیتك من العمل . وقیل : هو ما یراد به الحق ویقصد به الصدق . وقیل : هو ما لا تشوبه الآفات ولا یقبه رخص التویلات . وقیل : هو ما استمر عن الخلق واستصلى من العلائق . وقال حلیفة المرحشی : هو أن تستوی أفعال العبد فی الظاهر والباطن . وقال أبو یعقوب المکثوف : هو أن یکنم حسنه کما یکنم سیئه . وقال سهل بن عبد الله : هو الإقلاص . عن أنس بن مالک رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علیه وسلم : ثلاث لا یفلح علیهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين . وقیل : الإخلاص : أفراد الحق فی الطاعة بالقصد ، وهو لزوم العبد بطاعته تقرب إلى مولاه دون أحد من خلقه ، فلا یصنع الخلق ، ولا یکتسب منهم الحمد ، ولا یتستجب منهم الحب ، ولا یدفع بها عن نفسه القرم والدم . وقیل : الإخلاص : تصفیة القلب عن ملاحقة الخلق . قال ذو النون المصری رحمه الله : الإخلاص لا یتم إلا بالصدق فیهِ والصبر علیهِ ، والصدق لا یتم إلا بالإخلاص فیهِ والمداومة علیهِ . وقال أبو یعقوب السمرسی : متى شیدوا فی إخلاصهم إخلاصا احتاج إخلاصهم إلى إخلاص . وقال ذو النون رحمه الله : ثلاث من علامات الإخلاص : استواء الفصح والظلم من العامة ، وتبیان رؤية الأعمال ، واقتضاء ثواب العمل فی الآخرة . وقال أيضا رحمه الله : الإخلاص : ما حفظ من العدو أن یفسده . قال أبو عثمان المغربي رحمه الله : الإخلاص ما لا یكون لنفس فی حظه بحال ، وهو إخلاص العوام . وأما إخلاص الخواص فهو ما یجرى علیهم لا بهم ، فیدو عنهم الطاعات وهم عنها بمنزل ، ولا یبلغ علیهم رؤية بها اعتداد ، فذلك إخلاص الخواص . وقال أبو بکر الدقاق رحمه الله : نقصان کل غلص فی إخلاصه رؤية إخلاصه ، فإذا أراد الله تعالى أن یخلص إخلاصه ، یسقط عن إخلاصه رؤية إخلاصه ، فیکون غلصا لا یخلصا . وقال سهل رحمه الله : لا یعرف الریاء إلا یخلص . وقال أبو سعید الخدری رحمه الله : رياء العارفين أفضل من إخلاص الريدین . وقال أبو عثمان رحمه الله : الإخلاص : تبیان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخلق . وقیل : الإخلاص : ما لرب به الحق وقصد به الصدق . وقیل : هو الإحسان عن رؤية الأعمال . وقال سري السقطی رحمه الله : من ترین للناس بما لیس فیهِ سقط من عین الله تعالى . وقال الجنید رحمه الله :

الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد ، لا يعلمه ملك فيكبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى يميله . وقال روم رحمه الله : الإخلاص في العمل هو الذي لا يريد صاحبه عليه عوضا في الثارين ، ولا حظا من الملكين . ومثل ابن عبد الله رحمه الله : أئى شئ أشدّ على النفس ؟ فقال : الإخلاص ، لأنه ليس لما منه نصيب . وقيل : هو أن لا يشهد على عملك أحد غير الله عزّ وجل . وقال بعضهم : دخلت على سبل بن عبد الله رحمه الله يوم جمعة قبل الصلاة ، فرأيت في البيت حبة ، فجعلت ألقم رجلا وأؤخر رجلا أخرى ، فقال : ادخل لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شئ يخافه ، ثم قال : هل لك في صلاة الجمعة ؟ فقلت : بيتا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة ، فأخذ يدي ، فإنا كان إلا قليلا حتى رأيت المسجد ، فدخلنا وصليا الجمعة ثم خرجنا ، فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون ، فقال : أهل لا إله إلا الله كبير ، ولكن المخلصون منهم قليل . كنت مع إبراهيم الخواص رحمه الله في سفر ، فجلنا إلى موضع فيه حبات كثيرة ، فوضع ركوبه وجلس وجلس ، فلما كان برد القليل وبرد الهواء ، خرجت الحيات ، فصعدت بالشيوخ ، فقال : اذكر الله تعالى ، فذكرت فرجعت ، ثم عادت ، فصعدت به : فقال مثل ذلك ، فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة ، فلما أصبحنا قام ومضى ومثيت معه ، فسقطت من وعاءه حبة عظيمة قد تطوّقت ، فقلت : ما أحسست بها ؟ فقال لا ، منذ زمان ما بت ليلة أطيب من البارحة . وقال أبو عبيان رحمه الله تعالى : من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أسى الذكّر .

(فصل) وينبغي لكلّ متعب وعارف أن يخطر في جميع أحواله من الرياء بورؤية الخلق والعجب ، فإن النفس خبيثة ، وهى منشأ الأهوية المفضلة والشهوات المردية والذلات الخائفة بين العبد وبين الحقّ عزّ وجل ، لا طريق إلى الأمن من غوائلها ما دام الروح في جسد ابن آدم ، وإن بلغ العبد إلى حالة البدلية والصدقية ، وإن كانت هذه الحالة أسلم من الابتداء وآمن من شرّها ودواهاها ، والخير أغلب والنور أكثر والمداية متحققة بسبيل الله ، والتوفيق شامل والحفظ موجود ، غير أن العصاة ليست لنا ، إنما ذلك مخصص بالأنبياء عليهم السلام ، ليضع الفرق بين النبوة والولاية ، وقد نوهذ الله عزّ وجل أهل الرياء والسعة ، ونبه على شؤم النفس وغوائلها ، ونهى عن اتباعها وأمر بمخافتها في القرآن تارة ، ونهاى نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار والسنة أخرى . من ذلك قال الله عزّ وجل (فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراون ويمنون الماعون) ، وقال جلّ وعلا (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) ، وقال تعالى (ولذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، ملهيون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) ، وقال تعالى (إن كثيرا من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصلون عن سبيل الله) الأخبار . هم العلماء . والرهبان : العباد ، وقال عزّ وجل (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبير ملقا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) ، وقال تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم بذات

الصدور ، وقال جل وعلا (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ، وقال تعالى (إن النفس لأملوء بالسوء إلا ما رحم ربى) ، وقال تعالى (وأحضرت الأنفس الشح) ، وقال عز وجل للود عليه السلام : يا داود اعبج حواك فإني لا منازع بيننا حتى في ملكي خير الهوى ، وقال تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) .

وأما السنة فمن ذلك ما روى عن شداد بن أوس رضى الله عنه أنه قال « دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت في وجهه ماسداً ، فقلت : ما الذى بك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أخاف على أمي الشرك بعدى ، فقلت : أيشركون من بعدك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أما إني لا يعبدون شيا ولا قمرا ولا وثنا ولا حجرا ، ولكنهم يرامون في أعمالهم ، والرياء ، هو الشرك ، ثم تلا قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ، وقال صلى الله عليه وسلم « جاء يوم القيامة يصحف هؤلاء ، فيقول الله عز وجل لللائكة : أنشأوا هذا وأقبلوا هذا ، فيقولون : وعزتك وجلالتك ما علمنا إلا غيرا ، فيقول تعالى : نعم ، ولكن هذا خلق لغيري ، ولا أقبل إلا ما ابتغى به وجهي » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « اللهم طهر لسانى من الكذب ، وقلبي من النفاق ، وعملى من الرياء ، وبصرى من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » . وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقعدوا إلا على علم يدهوكم من غس إلى غس ، من الرغبة إلى الزهد ، من الرياء إلى الإخلاص ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن المدانة إلى المناصحة ، ومن الجهول إلى العلم » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك ، من أشرك معي شريكا في عمله فهو لشريكى دونى ، إني لا أقبل إلا ما خلص لى ، يا ابن آدم أنا خير قسم ، فانظر عملك الذى عملت لغيري ، فإنما أجرك على الذى عملت له » . وقال صلى الله عليه وسلم « بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة في الدين والتمكين في البلاد ، ما لم يعملوا عمل الآخرة للدنيا ، ومن يعمل عمل الآخرة للدنيا لم يقبل منه وماله في الآخرة من نصيب » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ، ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا » . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى في قوم تفرض شفاعهم بمقاريض من نار ، فقلت لجهنم عليه السلام . من هؤلاء ؟ قال : خطباء أمك الذين يقولون الشىء ولا يعملون به ، يقولون ما يسمعون ، ويعملون ما ينكرون ، يأثمون الناس بالبر وينسون أنفسهم » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمي كل منافق علم اللسان ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكون عليكم أمداء كذبة ، ووزراء فجرة وأخوان خونة ، وحرفاء ظلمة ، وقرقاء فسقة ، وعباد جهال ، ينتج الله تعالى عليهم فتنة غيراء مظلمة ، فيبهركون بهوك اليهود النظملة ، فيحتك بقض الإسلام عروة عروة حتى لا يبال الله الله » . وعن حذيفة بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بناس يوم القيامة في أعظم تكال ، فيقول الله تعالى : إنكم كنتم إذا حلوتهم بارزتموني بالعظام ، وإذا

لقبتم الناس لقبصوم غيبين هبتم الناس ولم تهابوني ، وأجلبتم الناس ولم تجلوني ، وجزئي لأذيقنكم ألم العذاب . وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بلى رجل في النار فتتلقى أفتاب بطله ، فيدار به كما تدور الرحي بصاحبها ، فيقال له : ألميس كنت تأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت تأمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية ، ولا أجتنبه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اهتز لذلك العرش وغضب له الرب تبارك وتعالى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بنس العبد عبد حال بينه وبين ثواب الله عبد من خلق الله تعالى ، يتبع له رجاء ما في يديه ، فيعذب بقله في مرضاته ، فيخرج دينه ويشتريه ، ويقبح مروءته ، حتى يقول بينه وبين ربه ، برجو الله تعالى في الكبر ، وبرجو العبد في الصغر ، يعطى العبد من خدمته ما لا يعطى الله تعالى من طاعته . وعن مجاهد رحمه الله أنه قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أتصدق بصدقة فأفئس بها وجه الله تعالى ، وأحب أن يقال لي خيرا ، فقول قوله سبحانه (لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) قال النبي صلى الله عليه وسلم « يخرج في آخر الزمان أقوام يختطون الدنيا بالدين ، فيلبسون للناس جلود الضأن من اللبن ، وألصقهم أهل من السكر ، وقلوبهم قلوب اللذاب ، يقول الله تعالى لبي يهدون أم هل يهتدون ؟ في حلفت لأبعثن هل أولئك لئنة تدعو الخليم فيها حيران . وعن خزيمة عن أبي حبيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد الله يستكثرونه ويذكرونه حتى يذهبوا به إلى حيث يشاء الله تعالى من سلطانة ، فيوحى الله تعالى إليهم إنكم حفظت عمل عمل عبيدي وأنا رقيب على ما في نفسه إن عبيدي هذا لم يخلص عمله فاكثروه في صين ، ويصعدون بعمل عبد من عبادي يستقلونه ويحرقونه حتى يذهبوا به إلى حيث شاء الله من سلطانة ، فيوحى الله إليهم إنكم حفظت عمل عمل عبيدي وأنا رقيب على ما في نفسه ، إن عبيدي هذا أخلص لي عمله فاكثروه في عليين . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يفضي بين خلقه وكل أمة جاثية ، فأول من يدعى به رجل جمع القرآن ، ورجل قتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله تعالى للثاني : ما ذا عملت فيها حملت ؟ فيقول : كنت أقوم به آتاء الليل وأطراف النهار ، فيقول تبارك وتعالى : كذبت ، ونقول للملائكة : كذبت ، بل أردت أن يقال فلان قارىء ، فقد قيل ذلك . ويقال لصاحب المال : ما ذا عملت فيها آتيتك ؟ فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق به ، فيقول الله تبارك وتعالى : كذبت ، ونقول للملائكة : كذبت ، بل أردت أن يقال : فلان جواد ، وقد قيل ذلك . ويقول بالثاني قتل في سبيل الله ، فيقول الله تعالى : لما ذا قاتلت ؟ فيقول : قاتلت في سبيلك حتى قتلت في سبيلك ، فيقول الله تبارك وتعالى : كذبت ، وتقول للملائكة : كذبت ، بل أردت أن يقال فلان جريء ، وقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسول

الله صلى الله عليه وسلم يديه على ركبتيه وقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة لو كُفِ عَنَّا لَخَلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ تسعةَ بهم النار يوم القيامة قال : فبلغ هذا الخبر إلى معاوية رضى الله عنه ، فبكى بكاء شديدا وقال : صدق الله تعالى وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وقرأ هذه الآية (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفَّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة هم وحبط ما صنعوا فيها ويأطَّل ما كانوا يعملون ، أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الآخسون) . وعن عدي بن حاتم الطائي رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤمر بناس يوم القيامة من أهل النار إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله تعالى لأهلها نودوا : اصرفوهم لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة وندامة ما يرجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن نترين ما أرىتنا من لواب ما أعددت لأولياتك ، فيقول الله تعالى : ذلك أردت بهم كنتم إذا خلوتهم بارز تحوي بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم غيبين متواضعين ، تراؤن الناس بأعمالكم خلافت ما يتولى عليه قلوبكم ، هيئت الناس ولم تبايوني ، وأجلتكم الناس ولم تجلوني ، وتركتهم للناس ولم تتركوا لي ، فالיום أذيقكم ألمي علقاني مع ما حرمتهم من جزيل ثوابي . » وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما خلق الله تعالى جنة عدن ، خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : « قد ألقح المؤمنون ثلاثا ، ثم قالت : إني حرام على كل بخيل ومراء . » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : فم الجنة خذا ؟ قال : لا تخادع الله تعالى ، قال : وكيف أشادع الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : أن تعمل بما أمرك وتريد به غير وجه الله تعالى ، فأتقوا الرياء فإنه الشرك بالله تعالى ، فإن المرأى بتأدي يوم القيامة بأربعة أسماء على رموس الخلائق : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ، ضلَّ عملك وبطل أجرك ، فلا خلاق لك اليوم ، فانص أجرك ممن كنت تعمل له يا خادع . » فعوذ بالله من الرياء والسمة والتفاني ، فإن ذلك عمل أهل النار ، قال الله عزَّ وجلَّ (إن المنافقين في الثرك الأسفل من النار) يعني في الخاوية مع فرعون وهامان وقومهما ، فإن قيل : قد جاء في بعض الأخبار ما يدل على أن رؤية الخلق للعمل لا تنسر ، وهو ما روى عن وكيع عن سفيان عن حبيب عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أعمل العمل أسره ، فيقطع عليه فيمجنني . » ألي فيه أجر ؟ فقال : لك أجران أجر السر وأجر العلانية . » قيل : هذا معمول على أن ذلك الرجل كان يعجبه اقتناء الناس به في عمله ، وعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، فقال له : لك أجران أجر لعملك ، وأجر لاقتناء الناس بك . كما قال صلى الله عليه وسلم من سنَّ حسنة لله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة الحديث إلى آخره . وأما إذا تجرد العجب من الاقتناء به ، فإنه لا أجر له ، لأن العجب يسقط العبد من عين الله . وقال الحسن البصري رحمه الله : إذا شئت لقيت أبيض فظا ذليق اللسان حديد النظر ميت القلب

نرى أبدانا ولا قلوب ، وسمع الصوت ، ولا أنيس ، ألحصب أمتة وأجذب قلوب ، حتى
 قد حدثني جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه لا تزال هذه الأمة تحت يد الله
 في كشفه ما لم تزل قراؤها أمراها ، وما لم تزل صلواتها فجارها ، وما لم يلمن خيارها
 شرارها ، فإذا هم فعلوا ذلك رفع الله تعالى عنهم يده ، وخزبهم بالقاتلة والفقر ، وملأ قلوبهم
 رعبا ، وسلط عليهم جبابرهم فساوهم سوء العذاب . وقال أيضا رحمه الله : ينس العيد عيد
 يسأل المغفرة وهو يعمل بالمعصية ، ينشع ليحصب عنه أمانة وإنما يتسنع بالخيانة ، ينس
 ولا ينتهي ، يأمر ولا يفعل ، إن أعطى قدر وإن منع لم يعط ، وإن صبح آمن وإن سلم ندم ،
 وإن أضر حزن وإن استغنى قن ، يرجو النجاة ولا يعمل ، ويخاف العذاب ولا يحذر ، يريد
 الزيادة ولا يشكر ، ويؤثر الثواب ولا يصبر ، يعمل الصوم ويؤخر الصوم . وقال يوما لفرقد
 السنجي وهو جالس في مجلسه وعليه ثياب فلخرة وعمل فرقد جبة صوف : ثياب ثياب أهل الجنة ،
 وثيابك ثياب أهل النار ، وجعلوا زعمهم في ثيابهم ، وكبرهم في صدورهم ، والله لأحدم أعجب
 بصوفه من صاحب الطرف بمطرفه ما له تفاخر ، ألا اليسوا ثياب اللوك وألبتوا قلوبكم بالخشية .
 وقال عمر رضي الله عنه : أليس من ثياب ما لم تسمى به القرد ولا يزدريك السفهاء . وكانت
 يقال : كن صوفى القلب قلنى ثياب .

وفي الجملة : شئنا في اللباس على ثلاثة أضرب : الأكفيا ، والأوليا ، والبلاء . للباس
 الأكفيا : هو اللباس الذي ليس للخلق عليه تبع ، ولا للشرع فيه مطابقة في كل حال ، سواء
 كان لباسهم قننا أو صوفيا أو زرقا أو أبيض . ولباس الأوليا ما وقع به الأمر ، وهو أدنى ما يستر
 به العورة والجسد بما لا بد منه وتدعو إليه الضرورة ، ليتحقق بذلك كسر أهويتهم ، فيبلغوا در
 درجة الأبدال . ولباس البلاء ما جاء به القدر مع حفظ الخلود ، قميص بقرط أو حلة بمائة
 دينار ، فلا زيادة ، فسوا إلى الأعلى ، ولا هوى يكسر بالأدنى ، بل ما تفضل به المولى من
 جميع ما أسئل وأعطي من غير نصب ولا عناء ، ولا يشرف من النفس ولا منى ، وما سوى هذه
 الوجه فهو من الجاهلية الأولى ، وورعنة النفس واتباع الهوى .

باب في ذكر فضائل أيام الأسبوع

والأيام البيض ، وما ورد في صيام ذلك من التحفيض

وذكر أورد الليل والنهار فيها

من ذلك ما أخبرنا أبو نصر عن والده ، قال أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد القرني ، قال
 حدثنا أبو الحسين أحمد بن عثمان بن يحيى الأدي ، قال حدثنا عباس بن محمد بن حاتم البوري ،
 قال حدثنا حجاج بن محمد الأحمر ، قال حدثنا ابن جريج ، قال أخبرني إسماعيل بن أبيه عن
 أبيه بن خالد ، عن عبيد الله بن رافع مولى أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
 : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال : خلق الله تعالى القربة يوم السبت ، وخلق

فیہا الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المکروه يوم الثلاثاء ، وخلق الخیر يوم الأربعاء ، وبت فیہا القواب يوم الخميس ، وخلق آدم علیہ السلام بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق فی آخر ساعة من ساعات الجمعة فیما بین العصر إلى الليل . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأيام ، فسئل عن يوم السبت فقال : يوم مکر وخليفة ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لأن فیہ مكرت قريش فی فی دار الندوة ؛ ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الأحد : فقال صلى الله عليه وسلم يوم غرس وعامرة ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لأن فیہ ابتداء الدنيا وعمرتها ؛ ومثل صلى الله عليه وسلم عن يوم الاثنين ، قال صلى الله عليه وسلم : يوم سفر وتجارة ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لأن فیہ مسافر شعیب النبي عليه السلام وأخبر ؛ ومثل صلى الله عليه وسلم عن يوم الثلاثاء ، قال صلى الله عليه وسلم : يوم دم ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لأن فیہ حاضيت حواء ، وقتل ابن آدم أخاه ، ومثل صلى الله عليه وسلم عن يوم الأربعاء : قال صلى الله عليه وسلم : يوم نخص وشوم ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم لأن فیہ أغرق الله تعالى فرعون وقومه ، وأهلك عادا وثمود ؛ ومثل صلى الله عليه وسلم عن يوم الخميس ، فقال صلى الله عليه وسلم : فیہ قضاء الحوائج ، والتحول عن السلاطين ، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم فیہ دخل إبراهيم خليل الرحمن علی نمرود فلفضی حوائجه ، وأخذ منه هاجر . ومثل صلى الله عليه وسلم عن يوم الجمعة : فقال صلى الله عليه وسلم : يوم خطبة ونكاح ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم لأن فیہ مكاتبت الأنبياء تنكح ، وروى عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج فی سفر إلا يوم الخميس . وعن معاوية بن قرة عن أنس رضي الله عنه یرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر من الشهر أخرج الله تعالى منه داء سنة . وقيل : إن الله تعالى أعطى يوم السبت لموسى ونحمسين نبياً مرسلًا ، وأعطى يوم الأحد لعشرين نبياً ولعيسى عليه السلام ، وأعطى يوم الاثنين محمد صلى الله عليه وسلم وثلاثة وستين نبياً مرسلًا ، وأعطى يوم الثلاثاء لسليمان عليه السلام ونحمسين نبياً مرسلًا ، وأعطى يوم الأربعاء ليعقوب عليه السلام ونحمسين نبياً مرسلًا ، وأعطى يوم الخميس لآدم عليه السلام ونحمسين نبياً ، ويوم الجمعة لله عز وجل ونفدس . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إلی ما حظ أني ؟ قال تبارك وتعالى : يا محمد الجمعة لی والجمعة لی ، فأعطيت الجمعة لأمتك والجمعة معها ، وأنا مع الجنة لأمتك . . وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة بنی الله تعالى له قصراً فی الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد ، وكتب الله تعالى له براءة من النار . . وفي لفظ آخر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « من صام ثلاثة أيام من كل شهر ، الخميس والجمعة والبيت ، كتب الله له عبادة تسعة سنة » . وقال صلى الله عليه وسلم « صوموا يوم السبت والأحد ، وغداً يوم اليهود والنصارى » : وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « تفتح أبواب السماء كل اثنين وخميس ، فيغفر الله تعالى في ذلك اليوم لكل عبد لا يشرك بالله تعالى شيئاً ، إلا امرأً كان بينه وبين أخيه شحناء ، يقول تعالى أنظروا هذين حتى يصطلحا » . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لم يفتح صومهما حضراً ولا سفراً ، ويقول : إنيهما يومان تعرض فيهما الأعمال » .

(فصل) وأما صيام الأيام البيض ففيها فضل كثير . من ذلك ما أخبرنا أبو نصر عن والده قال أنبأنا هلال بن محمد ، قال حدثنا الثقات ، قال حدثنا الحسين بن سفيان ، قال حدثنا سليمان ابن يزيد مولى بني هاشم ، قال حدثنا علي بن يزيد ، عن عبد الملك بن هرون ، عن سعيد ابن عتيان ، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : صوم يوم الثالث عشر يعدل صيام ثلاثة آلاف سنة ، وصوم الرابع عشر يعدل صوم عشرة آلاف سنة ، وصوم يوم الخامس عشر يعدل صوم مائة ألف سنة وثلاثة عشر ألف سنة . وعن أبي إسحاق عن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صيام ثلاثة أيام من كل شهر ثلاث عشر رابع عشر وخامس عشر يعدل صوم الدهر كله » وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام ثلاثة أيام من الشهر صام الدهر » وقد صدقه الله في كتابه العزيز بقوله عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتح صيام الأيام البيض في سفر ولا حضر » . وعن الشعبي رحمه الله قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من صام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلى ركعتي الفجر ولم يترك الوتر في سفر ولا حضر ، كتب له أجر شهيد » . وعن سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أوصاني جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث لا أدعهن حتى ألقاه : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، والوتر قبل النوم ، وصلاة الضحى » . وعن عبد الملك بن هارون بن عتبة عن أبيه عن جده قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند انتصاف النهار وهو في الحجرة ، فسلمت عليه ، فردّ النبي صلى الله عليه وسلم عليّ ثم قال : أدن مني يا عليّ » ، هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت : عليك وعليه السلام : يا رسول الله ، فقال : أدن مني ، فدنوت منه ، فقال : يا عليّ يقول لك جبريل عليه السلام : صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم ثلاث عشرة آلاف سنة ، وباليوم الثاني ثلاثين ألف سنة ، وباليوم الثالث مائة ألف سنة ، فقلت : يا رسول الله هذا الثواب لي خاصة أم للناس عامة ، قال صلى الله عليه وسلم : يا عليّ يعطيك الله هذا الثواب وإن يعمل مثل عملك بعدك ، قلت يا رسول الله وما هي ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الأيام البيض ثلاث عشر وربيع عشر وخامس عشر . قال عتبة : قلت لعلي رضي الله عنه . لأي شيء سميت هذه الأيام البيض ؟

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما أعطى الله آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض أحرقته الشمس فأسودَّ جلده، فأناه جبريل عليه السلام فقال: يا آدم أحب أن يبيض جسدك؟ قال نعم، قال فصم من الشهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، فصام آدم عليه السلام أول يوم طابيض ثلث جلده، ثم صام اليوم الثاني طابيض ثلثا جلده، ثم صام اليوم الثالث طابيض جلده كله، فسميت الأيام البيض، وعن فر بن حبيش رحمه الله قال: سألت ابن مسعود رضي الله عنه عن الأيام البيض قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: إن آدم عليه السلام لما عصي وأكل من الشجرة، أوحى الله تعالى إليه: يا آدم أعط من جوارى، وعزق وجلائي لا يماورني من عصائي، قال: فهبط إلى الأرض مسودا، قال: فبكيت الملائكة وصحبت وقالت يا رب خلقت خلقته بيضا، وأسكنته جنتك، وأجعلت له ملائكتك، في ذنب واحد حولت يافضه سودا، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم صم لي هذا اليوم، يوم ثالث عشر، فصامه فأصبح ثلثه أبيض، ثم أوحى الله تعالى إليه: يا آدم صم هذا اليوم، يوم رابع عشر، فصامه فأصبح ثلثاه أبيض، ثم أوحى الله تعالى إليه يا آدم صم هذا اليوم، يوم خامس عشر، فصامه، فأصبح كله أبيض، فسميت الأيام البيض. وقال القتيبي في أدب الكاتب: العرب تسمي الأيام البيض، لأن ليلها تبيض بطول القمر من أولها إلى آخرها.

باب في صيام الشهر وما لمن صامه من الثواب والأجر

أخبرنا أبو نصر عن والده، قال حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد القرقي، قال حدثنا إبراهيم ابن أحمد القريني، قال حدثنا الحسن بن سويل، قال حدثنا يحيى، قال حدثنا إبراهيم بن أبي نجاة عن صفوان بن سليم، عن حلقمة بن أبي حلقمة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام صيام داود، ومن صام الدهر كله فقد وهب نفسه لله تعالى». وعن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام الدهر غيبت عليه جهنم هكذا، وعقد سبعين». وعن شعيب عن سعد بن إبراهيم قال: «كانت عائشة رضي الله عنها تصوم الدهر». وعن يعقوب قال حدثنا أبي، قال: «سعد رضي الله عنه الصوم قبل أن يموت أربعين سنة». وعن أبي أنريس عاتق الله قال: «صام أبو موسى الأشعري رضي الله عنه حتى صار كأنه خلال»، قال: فقلت يا أبا موسى لو لمحت نفسك؟ فقال: «إعلمها أريد أن رأيت السابق من الخليل المقصود». وعن أبي إسحاق ابن إبراهيم قال: حدثني عمار الراهب قال: رأيت سكرية القبطية في منام، وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأهلة، تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة، قال عمار: فقلت لها يا سكرية ما فعل عيسى؟ فضحك ثم قالت: قد كسى حلة الياء وطافت بأباريق حوله الخدم، ثم حلى. وقيل: يا قارئة لرق قلعمري لقد برك الصيام، وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه

لا يصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل الفزوة، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أوه مفطرا إلا يوم القطار ويوم البحر . وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال : «حدثني من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم صائف يصب على رأسه الماء من شدة الحر والعتش وهو صائم» . وعن صفوان عن أبي إسحق عن الحرث عن علي بن رضى الله عنه قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوما ويفطر يوما» . وما نقل في حديث جابر رضى الله عنه قال : «إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما سأله عمر رضى الله عنه : يا نبي الله أخبرني عن رجل يصوم المهر كته ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا صام ذلك ولا أفطر» فبحمول على رجل صام الدهر ولم يفطر يومى العيدين وأيام التشريق ؛ وكذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وأما إذا أفطر هذه الأيام وصام بقية السنة فلا شيء في حقه ، بل له ما ذكرنا من الفضائل .

(فصل : في فضل الصيام على الجملة) من ذلك ما أخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن عمرو بن ربيعة عن سلام بن قيس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام يوما ابتغاء وجه الله تعالى ، بعده الله من جهنم كبغد غراب طار وهو فرخ حتى مات هربا » . وقيل : إن الغراب يعيش مقدار خمسين سنة . وعن أبي الترداه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا عرضه كما بين السماء والأرض » . وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام يوما في سبيل الله باعد الله بذلك وجهه عن النار سبعين خريفا » . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد أصبح صائما إلا فتح له أبواب السماء ، وصيحت أعضاؤه ، واستغفر له أهل الدنيا إلى أن توارت بالحجاب ، وإن صلى ركعة أو ركعتين تطوعا أضاعت له السماء نورا ، وقالت أزواجه من الحرور العين : اللهم اتبها لئلا فقد اشقتا إلى زوجته ، وإن هلك أو سبح تلقاها سبعون ألف ملك يكتبونها إلى أن توارت بالحجاب » . وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كل حسنة يعملها ابن آدم فهي بمسرحستات إلى مئة حسنة أو سبع مئة حسنة» . إلا الصوم ، فإن الله تعالى قال في بعض كتبه : الصوم لي وأنا أجزي به ، وخلف في الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . وعن علي رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من منعه الصيام من الطعام والشراب الذي يشبهه ألبسه الله من ثمار الجنة ، وسقاه من شربها » . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون منه بذلك العمل ، ولأهل الصيام باب يدعون منه يقال له الريان ، قال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله هل أحد يدعى من هذه الأبواب كلها ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم ، وأنا أوجو أن تكون منهم يا أبا بكر » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن لكل شيء بابا وإن باب العبادة الصيام » . وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم «عليكم بالصوم تصفوا قلوبكم» . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصوم نصف الصبر ، ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم» . وعن أبي أوفى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ثوم الصائم عبادة ، وسكوته تسبيح ، وعمله مقبول» . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوضع للصائمين يوم القيامة مائدة من ذهب عليها سحك يأكلون منها والناس ينظرون» . وعن أحمد بن أبي الخولرى ، قال حدثني أبو سليمان ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوضع للصائم مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب» ، قال فيقولون : يا رب نحن نحاسب وهؤلاء يأكلون ؟ قال فيقول : أنهم مثلكم صاموا وأفطروا وقاموا ونعم» . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الصائمون إذا خرجوا من قبورهم تنفتح من أفواههم ريح المسك ، ويؤتون بمائدة من الجنة يأكلون منها ، وهم في ظل العرش» . وقال صفوان بن يحيى : بلغني أن الصائم لا يحاسب على ما يفطر عليه . وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل : الصوم لي وأنا أجزى به ، يدع شهوته وأكله وشربه من أجل ، والصوم جنة ، وللصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولطوف به أطيب عند الله من رائحة المسك» . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الصوم جنة يحتمل بها العبد من النار» . وعن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضى الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ما آتى على شيء من الدنيا أتركه خلقى إلا الصيام في المهاجرة والمشي إلى الصلاة . وعن مجاهد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو أن رجلا صام لله تلو عا ثم أعطى مائة الأرض ذهباً لم يستوف ثوابه دون الحساب» .

(فصل) ولما أورد الليل والحدث على قيامه مما اتفق في الصحيحين وما ذكر في غيرهما من الكتب ، فمن ذلك ما روى عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه قال : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقيل : يا رسول الله إن فلانا تام الليلة حتى أصبح ماضياً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه» . وفي الخبر «إذا نام الرجل عقد الشيطان على رأسه ، ثلاث عقد ، فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة ، وإن توضأ انحلت عقدة وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها ، وأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح كسلاً خبيث النفس» . وفي غير آخر «إن للشيطان معونةً ولعوقاً وذروراً ، فإذا سخط العبد ساء خلقه ، وإذا لعنه لعنة ذرب لسانه بالشراً ، وإذا ذره نام بالليل حتى الصباح» . ويسن طول القيام في صلاة الليل ، وهي منى متى ، وكثرة الركوع والسجود في صلاة النهار ، وإن أراد أن يصليها أربعاً بتسليمة حاز ، وصلاة الليل في حق النبي صلى الله عليه وسلم نافذة وقرينة وكرامة ، وفي حق أمته مكنة ومثممة للقرضى . وعن سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان الرجل في حياة رسول

اللہ صلی اللہ علیہ وسلم إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فقصته
 أن أرى رؤيا أقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكنت غلاما شابا عزيا ،
 وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت في النوم كأن ملكين
 أخذاني فلبسوا بي إلى النار ، وإذا هي مطوية كطلي البئر ، وإذا لها قرنان كقرني البئر ، فرأيت ناسا
 قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعود بأفك من النار أعود بأفك من النار فقلنا هلك آخر فقال : لي لن
 نراج ، قال : فقصصها على حفصة فقصتها حفصة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل عبد الله ، لو كان يصلي من الليل ؟ قال : فكان
 رضي الله عنه لا ينام من الليل إلا قليلا . وعن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
 الله عنهما قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تكون مثل فلان كان يقوم الليل فترك
 قيام الليل . وعن أبي صالح عن ابن شهاب قال أخبرني علي بن حسين أن أباه الحسين بن علي
 رضي الله عنهما ، أخبره أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أخبره أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم طرقه هو وفاطمة ابنته رضي الله عنهما ، فوجدتهما نياما ، فقال : ألا تصلين ؟ فقلت
 يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله تعالى ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حين قلت ذلك له ، فلم يرجع شيئا فسمعت ، وهو يفسر فخذوه ويقول صلى الله عليه وسلم
 (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) : وحديثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن سفيان الثوري
 عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « ركعتان يصلحهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها
 عليهم . وحديثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أبي العافية ، قال حدثني أبو مسلم ، أنه سأل
 أبا ذر رضي الله عنه : أي صلاة الليل أفضل ؟ فقال أبو ذر رضي الله عنه : سألت عنها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال « جوف الليل » أو قال نصف الليل وقيل فاعله . وفي بعض
 الأخبار « سأل داود النبي عليه السلام ربه عز وجل وقال : إني أريد أن أعبد لك فأي
 وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه : يا داود لا تلتزم أول الليل ولا آخره ، فإنه من قام أوله نام
 آخره ، ومن قام آخره لم يقم أوله ، ولكن قم وسط الليل حتى تخطو وأغسلوك ، وارفع
 إلى حوائجك وعن يحيى بن الحارث عن الحسن رحمه الله أنه قال : ما عمل عبد عملا أقر لعين ،
 ولا أخف لظهور ولا أغيب لنفس ، من قيام من جوف الليل بدم أو إناق مال في حق . وكان
 أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : يا أيها الناس إني لكم ناصح إني علمكم شقيق ، صلوات ظلمة
 الليل لو حشيت القبور ، وصوموا في الدنيا لحريقهم التشنج ، وتصدقوا ههنا يوم عسير ، يا أيها الناس
 إني لكم ناصح إني علمكم شقيق وحديثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن يحيى بن أبي كثير ،
 عن أبي جعفر أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا
 بين ثلث الليل ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا فيقول : من الذي يدعوني فأستجيب له ، من
 الذي يستغفر لي فأستغفر له ، من الذي يستترضي فأرزقه من الذي يستكشف الضر فأكشفه

عنه حتى يتجرع الفجر . وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا هرز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلاث الليل الآخر فيقول : هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فيستجاب له ؟ هل من سائل فيعطى مؤله ؟ هل من كاترا يستحيون الصلاة من آخر الليل . وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أجمع ؟ قال : جوف الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبات » . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن خير الصيام صيام داود عليه السلام ، كان يصوم نصف الدهر ، وغير الصلاة صلاة داود عليه السلام ، كان يرقد نصف الليل ويصلى آخر الليل ، حتى إذا بقي سدس الليل » . وفى لفظ آخر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام ، كان يرقد شطر الليل ثم يقوم ، ثم يرقد آخره ثم يقوم ثلث الليل بعد شطره » . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لى أجعل الليل أثلاثا . فثلاثا أدام وثلاثا أصلى ، وثلاثا أسدكر . فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية . وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه : ركمة بالليل خير من حشر بالنهار . « وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام : أى الليل أجمع فقال : إن العرش ينزل من السحر » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، إن قيام الليل قرابة إلى الله تعالى ، وتكفير للسيئات ، ومنهارة عن الأمم ، ومطرقة للقاء عن الجسد حدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن الأعمش عن أبي سليمان عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الليل ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه ، وهى فى كل ليلة قالوا : وهذا عام مثل الساعة فى يوم الجمعة ، ومثل ليلة القدر فى العشر الأخير من شهر رمضان . ويقال : إن فى الليل وقتا لا يد أن ينام فيه ويفعل كل ذى عين إلا ألقى القيوم الذى لا يموت ، فطلها هذه الساعة » وفى حديث عمرو بن عبدة رضى الله عنه : عليك بصلاة آخر الليل فإنها مشيرة بحضور ملائكة الليل وملائكة النهار . (فصل) وأما صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورة فى المثنى عليه فها روى عن أبي إسحاق « قال أنبت الأسود بن يزيد « وكان لى أختا وصديقا ، فقلت له يابا عمرو حدثنى ما حدثتك عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم ينام فى أول الليل ويحيى آخره ، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم لم يمض ماء حتى ينام فإذا سمع النداء الأول قالت وثب ، لا والله ما قالت . قام فأفاض عليه إياه ، ولا والله ما قالت انفسل ، وأنا أعلم ما تريد ، وإن لم يكن جنبا فوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى » وعن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنه نائم ليلة عند ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها قال : فاضطجعت فى عرض الوضادة ،

واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها ، ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس فسمع النوم عن وجهه يده ، ثم قرأ العشر الآيات انزلها من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شن معلقة ففرضاً منها فأحسن وضوءه ، ثم قام ففعل ، قال ابن عباس رضي الله عنه : لقد كنت فصحت مثل ما صنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهبت فقصت إلى جنه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسه ، فأكمل بأذني اليمنى قفطها ففعل ركعتين ، ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن ، ثم قام ففعل ركعتين خفيفتين ، ثم خرج ففعل الصبح ، وعن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كنت ألقى النبي صلى الله عليه وسلم من آخر السحر إلا وهو قائم عتي » ، تعني بعد الوتر . وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمجبه الدائم من العمل ، فقلت أي الليل كان يقول ؟ قالت إذا سمع الصياح » وعن الحسن رحمه الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صارا من الليل ولو أربعاً ، صارا ولو ركعتين ، ما من أهل بيت يعرف ثم صلاة بالليل إلا ناداهم مناد يا أهل البيت : قوموا لصلاتكم » . وعن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله لشيء مثل ما أذن لبي حسن الصوت يفتي بالقرآن » . وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « إن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ في سورة من الليل ، فقال صلى الله عليه وسلم : رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية ، كنت أسمعها من سورة كذا وكذا » .

وأما قدر صلاته صلى الله عليه وسلم في الليل ، فأشهرنا به الشيخ أبو نصر عن والده ، قال حدثنا محمد بن أحمد بن أبي القوارس ، قال حدثنا أحمد بن يوسف ، قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان ، قال حدثني أبو بكر ، قال حدثني الليث عن ابن أبي حبيب ، عن عراك ، عن عروة رحمه الله قال : « إن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصل بالليل ثلاث عشرة ركعة وركعتي الفجرة ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يصل من الليل اثنتي عشرة ركعة ، ثم يوتر بواحدة ، وقبل عشر ركعات ثم يوتر بواحدة . (فصل آخر : في صلاة الليل) وقد ذكر الله تعالى القائلين بالليل في كتابه العزيز ، فقال عز وجل (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأصوات يستغفرون) ، وقال جل وعلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطعناً) ، وقال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) ، وقال تبارك وتعالى (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) ، وقال جل وعلا (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا جامع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نادى مناد : ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطعناً ، فيقومون وهم قليل » ثم يرجع فينادي : ليقيم الذين كانت لا تهيم بحجارة ولا يبع عن ذكر الله

فیقومون وهم قليل ، ثم يرجع فینادی لیقوم المؤمنون ۖ فقاموا یحصلون الله عز وجل فی السراء والضراء فیقومون وهم قليل ، ثم یحاسب سائر الناس من بعدهم . وقال صلى الله علیه وسلم : استمعوا بطعام السحر علی صوم النهار ، وقیلولة النهار علی قیام اللیل ، إن صاحب النوم یحییء مفلسا ، وما تام أحد طول لیلہ إلا بال الشیطان فی آفته . وكان رسول الله صلى الله علیه وسلم رجلا رده آتة حتی یصبح . وقالت عائشة رضی الله عنها : «قام رسول الله صلى الله علیه وسلم لیلۃ حتی ألتصق جلده یجلدی ، ثم قال یا عائشة أتأذنین لی أن أتبع لربی اللیلۃ ، قلت : والله إنی لأحب فربک ولکنی أؤثر هراک ، ثم قام صلى الله علیه وسلم یقرأ القرآن ویبکی حتی بل بالدموع منکیه ، ثم جلس یقرأ حتی بل بالدموع جتیبه وحقیبه ثم اضطجع یبکی ویقرأ حتی بل بالدموع مایل الأرض ، فأتاه بلال رضی الله عنه فقال : یا بنی وأی لم یضر الله لك ؟ قال صلى الله علیه وسلم : یا بلال أفلا أکون عبدا شکورا ، إله أنزل علی فی هذه اللیلۃ (إن فی خلق السموات والأرض واختلاف اللیل والنهار لآیات لأول الذلیل ، الذین یذکرون الله قیاما وقعودا وحل جوارحهم ، ویذکرون فی خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فلتنظر عذاب النار) . وقالت عائشة رضی الله عنها : «مارأیت رسول الله صلى الله علیه وسلم یصل فی شیء من صلاة اللیل جالساً حتى دخل فی السن ، لم یجل یصل وهو جالس ، فإذا بقی علیه من السورة ثلاثون آتة أو أربعون آتة ، قام فقرأ بها ثم رجع صلى الله علیه وسلم . وقال یمر بن بشر : أتیت باب عبد الله بن المبارک بعد العشاء الآخرة ، فوجدته یصل وهو یقرأ (إذا السماء انشطرت) حتی إذا بلغ (یا ایها الانسان ما غرک بربک الکرم) وقف یردها إلی أن ذهب هوائاً من اللیل ، فرجعت حین طلع النجم وهو یردها ، فلما رأى النجم قد طلع قطع ، ثم قال حلمک وجهلی ، حلمک وجهلی ، فأنصرفت وتركته ، وقال النبی صلى الله علیه وسلم : «الشقاء ریح المؤمن قصر نهاره فصاعده ، وطال لیلہ قصاده . وقال ابن مسعود رضی الله عنه : ینقی لقاریء القرآن أن یعرف لیلہ إذا الناس ینامون ونهاره إذا الناس یفطرون ، ویکانه إذا الناس یسبحون ، ویرده إذا الناس یحکطون ، ویضوؤه إذا الناس یختالون ، ویزوره إذا الناس ینفرون ، ویرصه إذا الناس ینفرون .

(فصل : فی فضل الصلاة بین العشاءین) حدثنا أبو نصر عن والده قال حدثنا أبو القحح محمد بن أحمد بن أبی القوارس الحافظ إمامه ، قال حدثنا بشر ، قال حدثنا محمد بن سلیمان المصمی ، قال حدثنا زید بن الحباب ، عن عمر بن عبد الله بن نعیم ، عن یحیی بن أبی کثیر عن أبی سلمة عن أبی هريرة رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علیه وسلم : «من صلی ست رکعات بعد المغرب لم یتکم بینین عدلین بعبادة ثقی عشرة سنة . وفي حديث زید ابن الحباب ولم یتکم بینین بسوء . وقیل : یتحجب أن یقرأ فی الركعتین الأولین بقلی یا ایها الکافرون ، ولعل هو الله أحد ، لیسرع بهما ، لأنه قیل : إنهما یؤمان مع صلاة المغرب ، ثم یصل باقیها ویطول قیاماً إن شاء . وفي حديث ابن عباس رضی الله عنهما أن النبی صلى الله علیه وسلم

وسلم قال : « من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا رفعت له في حطين ، وكان كثر أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى ، وخرج من ليالي نصف ليلة » . وحديث أبو نصر عن والده بإسناده عن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى المغرب وصلى من بعدها أربعا كان كمن حج بعد حجة » ، قلت فإن صلى بعدها سنا ؟ قال : يغفر له ذنوب حسين سنة » . وعن سعيد بن جبير ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلوة أو قرآن كان حقا على الله أن يني له قصرين في الجنة ، مسيرة كل قصر منها مائة عام ، ويغفر له بينهما غراما لوفائه أهل الدنيا لوسعهم » . وحديث أبو نصر عن والده بإسناده عن هشام بن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صلاة أحب إلى الله تعالى من صلاة المغرب » ، يا فتاح القيد ليك ، ويختم بها نهاره ، ولم يحط عن مسافر ولا عن مطيع ، من صلاها وصلى بعدها أربعا من غير أن يكلم جليسا بنى الله له قصرين مكللين بالدر والياقوت ، بينهما من الجنان مالا يعلم عليه إلا الله تعالى ، وإن صلاها وصلى بعدها ستا من غير أن يكلم جليسا غفر له أربعين عاما » . وكان أبو هريرة رضي الله عنه يصلي بين العشاءين ثلث عشرة ركعة وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة » . وروى أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان يصل ما بين المغرب والعشاء ويقول : هي ثلثة الليل . وعن عبد الرحمن بن الأسود عن عمه أنه قال : ما أتيت ساحة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلا وجدته يصل ما بين المغرب والعشاء ، وكان يقول : هي ساحة خفلة ، وقيل : فيها ثلث (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) . وعن عبد الله بن أبي لؤلؤ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ بعد المغرب ثم نزل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك ، جاء يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقد أدى حتى تلك الليلة » . وهذه الركعات التي وردت بها الأخبار يَحْتَمِلُ أن تكون منفردة عن الركعتين السنة ، ويَحْتَمِلُ أن تكون معها .

(فصل) وأما الركعتان قبل صلاة المغرب ، فقد مثل أحد بن حنبل رحمه الله فقال : أما ألا فلا أفعلهما ، وإن فعلهما رجل لم يكن به بأس . وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن صلاتهما فقال : ما رأيت أحدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلهما ولم يه ابن عمر رضي الله عنهما . وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا نصلي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب ركعتين ، فقلت له : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلهما صلاهما ، فقال : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلهما فلا يأمرنا ولا ينهانا . قال إبراهيم النخعي رحمه الله : قد كان بالكوفة غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وابن مسعود وسليقة بن الحصان وعمار بن ياسر وأبو مسعود

الانصارى وغيرهم رضى الله عنهم ، فزاريت أحدا منهم يصلى قبل مغرب ، وما صلى هاتين الركعتين أبوبكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم .

(فصل آخر : في ذكر ما ورد فعله بين العشامين ، وروية فاعله النبي صلى الله عليه وسلم ببركة فعله ذلك في المنام ، وغير ذلك من الثواب) عن عبد الرحمن بن حبيب الخزازي البصري ، عن عبد بن سعد ، عن أبي طيبة كرز بن وبرة الخزازي رحمه الله ، وكان من الأبدال ، قال : أتاني أخ لي من أهل الشام فأخبرني عن حديثه وقال لي : أقبل مني هذه الهدية يا كرز فانها نعم الهدية ، قال : فقلت يا أباي ومن أهدي إليك هذه الهدية ؟ قال : أعطاني إبراهيم النبي رحمه الله تعالى ، قال فقلت فهل سألت إبراهيم من أعطاه هذه العطية ، قال بلى ، قال لي : كنت جالسا في قبالة الكعبة وأنا في الليل والتسبيح والتحميد ، فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني ، فلم أر في زمان أحسن منه وجهه ولا أحسن منه ثيابا ولا أطيب منه ريحا ولا أشد منه يراضا ، فقلت : يا عبد الله من أنت ومن أين جئت وما أنت ؟ فقال : أنا الخضر جئت للسلام عليك وحيا لك في الله ، وعندى هدية أريد أن أهديا إليك ، فقلت له : فأعطني هديتك هذه ما هي ؟ قال : الخضر عليه السلام : تقرأ قبل أن تطلع الشمس وتبسط على الأرض وتقول أن تغرب سورة الحمد سبع مرات ، وقل أعوذ برب الناس سبع مرات ، وقل أعوذ برب الفلق سبع مرات وقل هو الله أحد سبع مرات ، وقل يا أيها الكافرون سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات ، وتقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر سبع مرات ، وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات ، وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين وللمؤمنات سبع مرات ، وعقب الاستغفار اللهم ربّ الفعل لي وجهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يا ربّ لانا ما نحن له أهل ، إنك غفور حلیم جواد كريم برّ رءوف رحيم سبع مرات ، وأنظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية ، فإن الذي أعطاني قال لي : قلها مرة واحدة في دهرك ، فقلت : أحب أن تعرفني من أعطاك هذه الهدية ؟ قال : أعطاني محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فقلت للخضر عليه السلام : علمني شيئا إن قلته رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منام فأسأله أهو أعطاك هذه العطية ؟ فقال لي : أنت أنت لي ؟ قلت لا والله ، ولكنني أحب أن أسمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : إن كنت تريد أن ترى النبي صلى الله عليه وسلم في منامك ، فأعلم أنك إذا صليت المغرب تقوم تبصلي إلى العشاء الآخرة من غير أن تكلم أحدا من الآدميين ، وأقبل على صلاتك التي أنت فيها ، وتسلم في كل ركعتين ، وقرأ في كل ركعة سورة الحمد مرة ، وقل هو الله أحد سبع مرات ، ثم تصل صلاة العشاء في جماعة ، ولا تكلمن أحدا حتى تأت من ذلك وتصل الفجر ، وتصل جند لومك ركعتين ، تقرأ في كل ركعة سورة الحمد وقل هو الله أحد سبع مرات ، ثم اسجد بعد الصلاة ، واستغفر الله تعالى في سجودك سبع مرات ، وقل سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ، ثم ارفع رأسك من

اسجدوا واسترجدوا ، فارفع يديك وقل : يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا الله
 الأولين والآخرين ، ويلرحن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، يارب يارب يارب ، يا الله يا الله
 يا الله ، ثم قم فادع بمنزل مادموت في قيامك ، ثم اسجد وادع في سجودك مثل مادموت ، ثم ارفع
 رأسك ، ثم حيث شئت مستقبل القبلة وأنت تصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأدم ذلك حتى
 يفلح الزوم ، فقلت أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا الدعاء ، فقال : اللهم أنت لي قلت : والذي
 بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق نيا ما أنا بمتهم لك ، فقال عليه السلام : إني حضرت محمدا
 صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء ، وأوصي إليه به وكنت عنه ، تعلمت من علمه إياه ،
 قال إبراهيم : فقلت له : أعبرني في ثواب هذا الدعاء ، فقال لي الخضر عليه السلام : إذا قلت محمدا
 صلى الله عليه وسلم قائله عن ثوابه ، قال إبراهيم : فقلت ما قال لي الخضر عليه السلام ، ولم أزل
 أصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في فراشي ، فذهب عني الزوم من شدة الفرح بما علمني
 الخضر عليه السلام وبما رجوته من لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت على تلك الحال إلى أن
 صليت الفجر ، وجلست في محرابي إلى أن ارتفع النهار ، فصليت الضحى وأنا أحدث نفسي : إن
 حلت اليلة فطعت هذا كما فطعت في اليلة الماضية ، فطلعت الزوم ، فجاءني الملائكة فدخلوني فدخلوني
 الجنة ، فرأيت قصورا من الباقوت الأحمر ، وقصورا من زمر أخضر ، وقصورا من لؤلؤ أبيض
 ورأيت أنهارا من عسل ولبن وغر ، ورأيت في قصر منها جارية أشرفت على قرأت نوروحيها
 أشد من نور الشمس الصاحية ، وإذا لها ذواب قد سقطت على الأرض من أهل القصر ،
 فسألت الملائكة الذين أدخلوني لمن هذا القصر ولمن هذه الجارية ؟ فقالوا الذي يعمل مثل عملك ،
 فلم يخرجني من تلك الجنة حتى أطعموني من ثمرها وسقوني من ذلك الشراب ، ثم أخرجوني
 وردوني إلى الموضع الذي كنت فيه ، فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نيا
 وسبعون صفا من الملائكة ، كل صف مابين المشرق والمغرب ، وسلم علي وأخذ يدي ، فقلت :
 يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث ، فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم : صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق ، وهو عالم أهل الأرض ، وهو رئيس
 الأبدال ، وهو من جنود الله في الأرض ، فقلت : يا رسول الله ماكن يعمل هذا العمل من
 ذلك أب مدني ما رأيت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لي : وأي ثواب يكون أفضل من هذا الذي رأيت
 وأعطيت ، لقد رأيت موضعك من الجنة وأكلت من ثمارها وشربت من شرابها ، ورأيت الملائكة
 والأنبياء معي ، ورأيت الحور العين ، فقلت يا رسول الله فمن يعمل مثل ما عملت ولم ير مثل
 الذي رأيت في منامي ، هل يعطي شيئا مما أعطيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي بعثني
 بالحق نيا ، إنه ليخبر له جميع الكبر التي عملها ، ويرفع الله عنه غضبه ومقته ، والذي بعثني نيا
 إنه ليعطى العامل لهذا ، وإن لم ير الجنة في منامه مثل أعطيت ، وإن نادى ينادي من السماء : إن
 الله قد غفر لعامله ويجمع الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمؤمنات من المشرق إلى المغرب
 ويؤمن صاحب الشمال أن لا يكتب على أحد منهم شيئا من السيئات إلى السنة المقبلة ، قال : فقلت

له : بأنني أنت وأبي يا رسول الله ، بالذي أراي جارك وأراني الجنة ، أله هذا الثواب ، قال صلى الله عليه وسلم : نعم يعطى ذلك جميعاً فقلت : يا رسول الله إنه ينبغي لجميع المؤمنين والمؤمنات أن يتعلموا هذا ويعلموه ، لما فيه من الثواب والفضل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وقدسى بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيداً ، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقياً ، فقلت : يا رسول الله فهل يعطى حامل هذا شيئاً غير هذا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي بعثني بالحق نبياً إن من عمل هذا العمل ليلة واحدة كتب له بعدد كل قطرة نزلت من السماء منذ خلق الله الدنيا إلى يوم ينشق فيها الصور حسنة ، وعسى عنه بعدد كل حبة تبت من الأرض مائة له ، ولمن عمل به من المؤمنين والمؤمنات من الأولين والآخرين . وعن الأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة ، وخسة عشر مرة . قل هو الله أحد ، ويقول في آخر صلاته ألف مرة اللهم صل على محمد النبي الأبي فإنه يراني في المنام ، ولا تم له الجمعة الأخرى إلا وقد رأي ، ومن رأى فله الجنة وغفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ذكرها في الحديث .

(فصل : في ذكر الصلاة بعد العشاء الآخرة) من ذلك ما حدثنا به أبو نصر عن والده ، بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا من صل أربعا بعد العشاء الآخرة ، كان كمن أحره ليلة القدر في المسجد الحرام . وكذلك عن كعب الأحبار : « من صل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات بقرعة حسنة ، كان له من الأجر مثل ليلة القدر » ، يعني كأنها صلاة في ليلة القدر . وأخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ركعتين بعد العشاء الآخرة يقرأ بفاتحة الكتاب مرة وعشرين مرة قل هو الله أحد ، يبي الله له قصرين في الجنة يترامهما أهل الجنة » .

(فصل : وأما التوثر فالأفضل فيه آخر الليل لما تقدم من فضل قيام آخر الليل ، وما روى عن تابع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلاً سأله عن قيام الليل فقال : متى مضى ، فإذا خشيت الصبح فواحدة توثر لك ما قبلها . » وكان عمر الفاروق رضي الله عنه يوتر في آخر الليل ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يوتر في أول الليل ، فسلطما النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لأبي بكر رضي الله عنه : متى توثر ؟ فقال : أول الليل قبل أن أنام ، وقال لعمر رضي الله عنه : متى توثر ؟ فقال : من آخر الليل ، فقال صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه : حذر هذا ، وقال عن عمر رضي الله عنه : قوی هذا . وقد روى عنه رضي الله عنه أنه قال : إن الأكياس يوترون أول الليل ، وإن الأتقياء يوترون آخر الليل وهو أفضل . وقيل : بل أول الليل أفضل لقول أبي بكر رضي الله عنه ، وما روى عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : أما أنا فأوتر أول الليل ، فإذا استيقظت صليت ركعة شفقت بها وترى ، فما شيتها إلا بالغربة من الإبل ضمنتها إلى أمواتها ، ثم أوترت في آخر صلاتي ، وللشهور عنه رضي الله عنه من فعله أنه كان يحجر الليل كله في ركعة واحدة يحتم فيها القرآن

وہی وترہ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : أوصاني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم بثلاث : الوتر قبل النوم . وصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ولا سبأ في حق من يخاف أن لا يستيقظ إلا بعد طلوع الفجر ، فإن الأول أن يتم على وتر وقد قال علي رضي الله عنه : الوتر على ثلاثة أنحاء : إن شئت أوترت أول الليل ، ثم صليت ركعتين ركعتين ، وإن شئت أوترت بركعة ، فإذا استيقظت شغفت إليها أخرى ، ثم أوترت من آخر الليل ، وإن شئت أوترت الوتر حتى يكون آخر صلاتك . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من خاف أن لا يستيقظ من آخر الليل فليوتر من أول الليل ثم ليوقد ومن طمع أن يقوم من آخر الليل فليوتر ، فإن قيام آخر الليل محظور ، وذلك أفضل . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أمه دنا منها ، وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال رضي الله عنه فيؤذنه بالصلاة . وقالت عائشة رضي الله عنها : من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه ونهايه وتره إلى السحر . وفي الخبر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر عند الأذان ، ويصل الركعتين عند الإقامة . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون العشاء ، ثم يصلون ركعتين ، ثم أربعا ، فمن بدا له أن يوتر أوتر ، ومن أراد أن يتم نام .

(فصل : ومن أوتر أول الليل ثم قام إلى التهجّد فهل يفسخ وتره أم يصل ما يشاء من غير أن يفسخه على روايتين عن أحمد رحمه الله : أحدهما لا يفسخه . وقال في رواية الفضل بن زياد : الوتر آخر الليل أفضل ، فإن خاف رجل أن يتم فليوتر أول الليل ، فإن قام آخر الليل صلى ركعتين ركعتين ولم يوتر . والرواية الأخرى : ينقضه . قال الفضل بن زياد : قلت لأحمد : أفترأى ينقض الوتر ؟ قال لا ، وإن نقضه فلا بأس ، قد فعل ذلك عمر وعلي وأسماء وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم . وصفة نقض الوتر وفسخه ، أنه إذا أوتر أول الليل بواحدة ، وتام ثم قام في أثناء الليل ليصل ، صلى ركعة واحدة ينوي بها نقض وتره واشطاعه وسلم منها ، فيصير كل ما صلى من قبل شفعاً ، ثم يصل ما شاء مثني مثني ، ثم يوتر بركعة واحدة قبل طلوع الفجر ، ويكشف ذلك فعل حيّان بن عوف رضي الله عنه الذي قدما ذكره ، ولا يترك الوتر على حاله ، ثم يوتر مرة أخرى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا وتريان في ليلة ، وإن لم ينقضه وصل ما أراد ، فقد بيّنا جواز ذلك .

(فصل : في دعاء الوتر) وهو أن يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الوتر : اللهم إني نستعيتك ونستدعيك ونستغفرك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ، ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إني أعبدك ، وأتوكل عليك ، وأرجو رحمتك ونجّيتك ، إن عذابك الجحد بالثقلات ملحق ، اللهم اغفر لي عديتي ، وعافني فيمن عديت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي

فیما أحطیت ، وفتی شرّ ما قضیت ، إلتک تقضی ولا یقضی علیک ، إله لا یدلّ من والیت ، ولا یحرّ من عادیّت ، تبارکت ربنا وتعالیت : اللهم إلی أعوذ برضاک من سطوک ، وبعفوک من عقوبتک ، وأعوذ بک منک لا أحصی ثناء علیک ، أنت کما أنشیت علی نفسك ، وإن زاد علی ذلک جائز ، ثم یمرّ یده علی وجهه فی إحدى الروایتین ، والأخری یمرّها علی صدره ، فإن کان إماما فی شهر رمضان قال فی جمیعها : بالتون والألف اهدنا وعافنا إلی آخر الدعاء .

(فصل) وإذا کان من یصل اللیل وغلبه التماس ، فالأولی له أن ینام ، ما روى فی الصحیحین عن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلّی الله علیه وسلم إذا نمتم أسدکم وهو فی الصلاة فلیقرئ حتی یذهب عنه النوم ، فإنه إذا صلی وهو ینعم لعله یذهب لیستغفر فیسب نفسه . وعن عبد العزیز بن صیب عن أنس رضی الله عنه قال : دخل رسول الله صلّی الله علیه وسلم المسجد وجعل یمدود بین الساریتین ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هو لزیب تصل ، فإذا کسلت أوفرت أکسکت بعدها به ، فقال حلوه ، ثم قال صلّی الله علیه وسلم : یصلی أحدکم نشاطه ، فإذا کسل أو قرأ فلیقعه . وعن عروة عن عائشة رضی الله عنها : أنها کانت عندها امرأة من بنی أسد ، فدخلت فی صلّی الله علیه وسلم فقال : من هذه ؟ قالت : هذه فلاتة لا تنام اللیل ، فقال انشی صلّی الله علیه وسلم : علیکم بالذلّی تطیعون من العمل ، فوالله لا یملّ الله عزّ وجلّ حتی تمّوا ، قالت : وأحبّ العمل إلی الله تعالی الذی یدلّم علیه صاحبه ، وإن قلّ ، فان رسول الله صلّی الله علیه وسلم کان إذا أمرهم بما یطیعون من العمل یقولون : یا رسول الله إنا لستنا کبیکم ، إن الله عزّ وجلّ لا یغفر ذلک ما تقدّم من ذلک وما تأخر ، فلیغضب حتی یعرف فی وجهه ، فالتفت فی حق من غلبه النوم حتی شغلّه عن الصلاة والذکر أن ینام حتی یذهب عنه نفل النوم ، ویبسط للعبادة ویقلّ ما یقول . وروی عن ابن عباس رضی الله عنهما أنه کان یکره النوم قاعدا . وفي الخیر : لا تکابھوا اللیل ، وقد کان من الصالحین من یعمد لنفسه النوم لیفتوی بذلك حتی أوسط اللیل ، ومنهم من کره التعمد للنوم وکان لا ینام حتی یذهب النوم . ويقال : إن وهب بن منبه إلهائی رحمه الله ما وضع جنبه إلی الأرض ثلاثین سنة ، کانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره علیها وخفق خفقات ثم یفرج إلی النیام ، وکان یقول : لأن أری فی بیی شیطانا أحبّ إلیّ من أن أری فیہ وسادة ، یعنی لأنها تدعو إلی النوم . ومثل بعضهم عن وصف الأبدال فقال : أکلهم ذلّة ونومهم غلبة وکلامهم ضرورة ومصنمهم حکمة وعلمهم قنرة . ومثل بعضهم عن صفّة الخلفین فقال : أکلهم أکل المرضی ، ونومهم نوم الطریق ، ولا ینظر إلی أسوال المسالین وأفعلم ، بل إلی ما روى عن الرسول صلّی الله علیه وسلم ، فإن الاعیاد علیہ حتی یدخل البید فی حالة یفرّد بها عن غیره . وعن أمّ سلمة عن عائشة رضی الله عنها قالت : سئل رسول الله صلّی الله علیه وسلم : أیّ العمل أفضل ؟ قال : أدومه وإن قلّ ، وعن علقمة عن عائشة رضی الله عنها قالت : کانت صلاة رسول الله صلّی الله علیه وسلم دائمة ، ولهذا کان رسول الله صلّی الله علیه وسلم یقوم لیلة نصف اللیل ، ولیلة ثلثه ،

وليلة نصف الليل مع نصف سلمه ، ويقوم ليلة ويه قطع ، ويقوم سلس الليل لحسب ، وكل ذلك مذكور في سورة الزمل . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صل من الليل ولو قدر حلب شاة » وقد يكون ذلك قدر أربع ركعات ، وقد يكون قدر ركعتين ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ركعتان يصلحهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها ، ولو لا أن أشق على أمي لفرضتهما عليهم » كل ذلك ليسهل على أمته قيام الليل والعبادة ، ولا ينقل عليهم ، ويتخفف العبادة إليهم فيسأروا ، بل أرشدهم صلى الله عليه وسلم لقيام الليل وذكر فضله ولوابه لئلا يقتصر على الفرائض والسنة خاصة . ويستحب من قيام الليل ثلثة ، وأقل الاستحباب من القيام سلمه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم ليلة قط حتى أصبح ، بل كان ينام فيها ، ولم يمت ليلة حتى يصبح ، بل كان يقوم فيها على ما بيناه . وقيل : إن صلاة أول الليل للمتجهدين . وقيام أوسطه للثانين ، وقيام آخره للمصلين ، والقيام من القبر للعالين . وعن يوسف ابن مهران أنه قال : يلفي أن تحت العرش ملكا في صورة دينك برائته من لؤك ، وصيسته من زبرجد أخضر ، فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم المصلون ، فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم المتجهدون ، فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم القانتون ، فإذا طلع القبر ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم العاقلون وعليهم أوزارهم . وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأصوار إلى قلوب المتقطين فيسلوها أنوارا ، فترد الفوائد على قلوبهم فتستثير ، ثم تشر من قلوبهم المعاني إلى قلوب العالفين . وروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عبادة من عبادي يحويها وأحبهم ، ويشاقون لي " وأشاق إليهم ، ويذكروني وأذكروهم ، وينظرون لي " وأنظر إليهم فإن حقوت طريقهم أحببتك ، وإن عدلت عنهم مقتك ، قال : يا رب وما حلاصهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الزايع الضيق غنمه ، ويحترون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب ، فإذا جنبهم الليل واحتطت الظلام ، وفرشت القرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بعينه ، نصبوا إلى أقدامهم والتمسوا إلى وجوههم ، فتابجوى بكلامى وتلقوا لي " باتمامي ، فين صارخ وبالك ، وبين متأوه وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد ، يعني ما يحصلون من أجل ، ويسمى ما يشكون من حبي ، أول ما أعطيتهم ألقاف من نورى في قلوبهم ، فيخبرون عنى كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع وما فيها في موازيتهم لاستغلتها لهم ، والثالثة أقبل برجهم الكريم عليهم فترى من أقبلت بوجهى الكريم عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه :

(فصل) وأما قيام جميع الليل ، ففعل الأكفراء الذين صفت لهم منه العتاة ، وأدبت لهم الرعاية ، وأحبط على قلوبهم بالتوفيق ونور الجلال ثم البصا ، فجعل القيام بالليل لهم موهبة وخلة ، فلم يسلبه منهم مولاهم عز وجل حتى اللقاء . وقد روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يحب الليل بركعة واحدة يحتم فيها القرآن وقلمة ذكره ، وذكر عن أربعين رجلا من التابعين أنهم كانوا يهونون الليل كله ، ويصلون صلاة القدادة بوضوء العشاء الأخيرة أربعين

صنح الثعل عنهم والشهر ، ميم سعيد بن جبر ، وصفوان بن سليم ، وأبو حازم ومحمد ابن المنكر من أهل المدينة ، وفضيل بن عياض ، ووهب بن خالد من أهل مكة ، وطاوس ووهب بن منبه من أهل اليمن ، والربيع بن خيثم ، والحكم من أهل الكوفة ، وأبو سليمان الداراني ، وعلي بن بكار من أهل الشام ، وأبو عبد الله الخراسي ، وأبو عاصم من أهل عبادان وحبيب أبو حد وأبو جابر السلياني من أهل فارس ، ومالك بن دينار ، وسليمان التيمي ، ويزيد الرقاشي ، وحبيب بن أبي ثابت ، ويحيى البكاء من أهل البصرة ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، راحة الله عليهم ورضوانه .

(فصل) ومن استكلت غفلته ، وأحاطت به غيبياته ، وتيقنته وثبطته عن قيام الليل زلته ذنوبه ، وأحب قيامه والنجول في زمرة القانتين المستغفرين بالأصهار ، فليستغفر الله تعالى ثلاثاً عند نومه واضطجاعه ، ثم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف ، وعشراً من آخرها ، ويقرأ آية الرسل ، وقل يا أيها الكافرون ، فإن الله تعالى يوفقه ويؤمله لقيام الليل بنعمة الواسعة ، ومغفرته الشاملة ، ورحمته العامة للمؤمنين من عباده ، وليقل أيضاً : اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك ، واستعملني بأحب الأعمال لديك ، التي تفرقني إليك زلتى ، وتبعدني من ضلوك بهذا ، أسألك فتعطيني ، وأستغفرك فتغفرلي ، وأدعوك فتستجيب لي ، اللهم لا تؤمني منكرك ، ولا تؤمني غيرك ، ولا ترفع عني سترك ، ولا تنسني ذكرك ، ولا تجعلني من الغافلين ، فإنه قيل : من قال هذه الكلمات عند نومه أعطاه الله عز وجل له ثلاثاً أسلاك يوقظونه للصلاة ، فإن صلى ودعا آمناً على دعائه ، وإن لم يقم تعبد الأملاك في الهواء ، وكتب له ثواب عبادتهم ، وليقل أيضاً ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من سره أن يسقيظ بالليل فليقل عند اضطجاعه : اللهم ابعدني من مضجعي للذكرك وشكرك وحاصلك واستغفارك وثلاوة كتابك وحسن عبادتك ، ثم ليسبح ثلاثاً وثلاثين مرة ، وليحمد ثلاثاً وثلاثين مرة ، وليكبر أربعاً وثلاثين مرة . وإن أحب أن يقول حساً وعشرين مرة سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فهو أخف عليه ، ومجموعها مائة جزء . عن الأول وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى ، وهو يرى أنه ميت في ليلة تلك : اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فأنت الحبيب والوحي ، أعوذ بك من شر كل ذي شر ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقتض عن الدين ، وأغنى عن الفقر .

(فصل) : ومن أتمم عليه بقيام الليل وفعل شيء من التوافل ، فليجتهد في المداومة عليه مع القدرة وعدم الغر ، لما روى عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من عبد الله سبحانه من عبادة ثم تركها ملاثة مقته الله تعالى ، وقالت عائشة رضي الله عنها

، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة ، صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة . وفي الخبر إن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل .

(فصل) ويستحب لمن قام من الليل للهجد أن يقول : الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور ، وقرأ العشر الآيات من آخر آل عمران ، ثم يستاك ويغسل ، ثم يقول : سبحانك ويحمدك ، لا إله إلا أنت أستغفرك وأستأذك التوبة ، فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، واجعلني صبورا شكورا ، واجعلني ممن يذكرك ذكرا كثيرا ويسبحك بكرة وأصيلا ، ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أعوذ بعنوك من عقابك وأعوذ برضائك من ضحكك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

أما عبدك وابن عبدك ، ناصيتي بيدك ، جارف حركتك ، عدل في قضاؤك ، هذه يداي بما كسبت ، وهذه نفسي بما اجتريحت ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، عملت سوءا وظلمت نفسي ، فاغفر لي ذنبي العظيم ، إنك أنت رب ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فإذا قام إلى الصلاة متوجها فيقول : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، ثم يسبح عشرا ، وليحمد عشرا ، وليلال عشرا ، وليكبر عشرا ويقول : الله أكبر ذو المنكوت والجبروت ، والكبرياء والعظمة ، والجلال والقدرة ، وإن شاء أن يقول هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للهجد وهي : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ، ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ومن علقين ، أنت الحق ، ومنك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبون حق ، وحمدك صلى الله عليه وسلم حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وبك خالصت ، وإليك حشكت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم اهدني لأحسن الأعمال ، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واسرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت ، أسألك مسألة البائس المسكين ، وأدعوك دعاء المقتدر القليل ، فلا تجعلني بدعائك رب شقيا ، وكنت في روعها رجيا يا خير المستولين وأكرم المصلين . وأخبرنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن يحيى بن أبي كثير ، قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال سألت عائشة رضي الله عنها ، يأتي شيء كان يكبر ويفتح لشيء صلى الله عليه وسلم صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان يكبر ويفتح فيقول : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

(فصل) يستحب إذا قام لصلاة الليل أن يفتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ولا يتناول شيئا

من الطعام والشراب حتى يفرغ مما أنعم الله عليه من فعل الصلاة والتسبيح ، لأنه إذا استيقظ من نومه يكون حاشى القلب فارغ الهم ، فإذا أكل أو شرب تغير قلبه عن هيئته وأظلم ، فالأولى له أن يؤخر ذلك ، إلا أن يكون جائعا وأفرطه البلوغ ، أو يخاف من جوع النهار في شهر رمضان ، ويخاف طلوع الفجر ، فإن المستحب ، تقديم الأكل .

(فصل) ويستحب أن لا ينام حتى يقرأ للثلاثة آية ليدخل في زمرة العابدين ، ولم يكتب من العاقلين ، فليقرأ سورة الفرقان والشعراء ، فإن فيهما ثلاثمائة آية ، وإن لم يحسبها قرأ سورة الواقعة ونون والحاقة وسورة الواقعة : أي سأل سائل والمندر ، فإن لم يحسبها فليقرأ سورة الطارق إلى خاتمة القرآن ، فإنها ثلاثمائة آية ، فإن قرأ مقدار ألف آية كان أحسن وأكمل للفضل ، وكتب له قطار من الأجر ، وكتب من الثنتين ، وذلك من سورة تبارك الذي بيده الملك إلى خاتمة القرآن : فإن لم يحسبها فليقرأ مائتين وخمسين مرة قل هو الله أحد ، فإن مجموعها ألف آية ، وينبغي له أن لا يدع قراءة أربع سور في كل ليلة : ألم تنزل السجدة ، وسورة يس ، وحسب السخان ، وتبارك ، وإن قرأ معها سورة الزمر والواقعة كان أحسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك الملك . وفي خبر آخر : سورة بني إسرائيل والزمر . وفي خبر آخر : المسبحات ، ويقال : فيها آية أفضل من مائة ألف آية .

(فصل) والذي يستعان به على قيام الليل أشياء : منها أكل الحلال ، والاستقامة على التوبة رغم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود ، ومنها أنه يجنب أكل الشبهات والإصرار على اللئوب ، ويدفع غلبة هم الدنيا وحبا عن القلب بذكر الموت والفكر في العباد ، وما يلي بعد الموت . وقال رجل للحسن رحمه الله : يا أبا سعيد إلى أي بيت معاني وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيدتك . وقال الثوري رحمه الله : حرمت قيام الليل خمسة أشهر يذهب أذنيته ، قيل : وما هو ؟ قال : رأيت رجلا يسكني ، فقلت في نفسي : هذا مرء . وكان الحسن رحمه الله يقول : إن العبد ليذهب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار . وقيل : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة حرمت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل الأكلة ، أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام السنة ، فيحسن التفقد يعرف المزيد من القصص ، وبهالة التوب يوقف على التفقد . وقال أبو سليمان رحمه الله تعالى : لا يفوت أحدا صلاة جماعة إلا يذهب . وكان يقول : لا احتلام بالليل عقوبة ، وإشارة البعد ، ومنها قلة الطعام والشراب ، ونحو العلة منها ، لما روى عرو بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كان في بني إسرائيل ناس يصيدون ، فكان إذا حضر فطرهم قام عليهم قائم فقال : لا تأكلوا كثيرا ، فإنكم إذا أكلتم كثيرا نمت كثيرا وإذا نمت كثيرا صليتم قليلا . وقيل : إن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وقيل : إنه اتفق رأى سبعين صديقا وهم يقولون : إن كثرة النوم من كثرة شرب الماء ، ومنها أنه يلزم قلبه الهم والغم والحزن ويقظة دائمة ، فيحسب بها القلب ، ويدبر الفكر في اللذات ، ويقبل في النهار ، ولا يكثر تعب جوارحه في أمور الدنيا ، فإن اغتر أن يقوم أوله الليل حتى يغلبه النوم ، ثم ينام ثم يقوم متى استيقظ ، ثم ينام متى غلبه النوم .

ثم يقوم آخر الليل ، فيكون له في الليل قومتان ونومتان ، ليكابد الليل فهو من الله الأعمال ، وهي حالة أهل الحضور واليقظة والفكر والتذكر . وقيل : إنها من اتخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون للعباد في الليل قومات ونومات في تصاعيف ذلك ، ولما أن يكون القيام والنوم مرزونا عدلا فلا يكون ذلك إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون قلبه دائم اليقظة ، وحس من الله سبحانه يؤمر به وينهى ويوقظ ويترم ويقلب ويحرك ، غاص ذلك دون بقية الخلق . (فصل) ويستحب لمن قام الليل أن يتام آخره لوجهين : أحدهما : أنه يذهب الناس

بالغداة ، والنوم بالغداة مكروه ، ولهذا كانوا يأتمرون الناس بالنوم بعد صلاة الصبح ، وعمنون قبلها ، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له هبة بعد صلاة الفجر . والوجه الثاني : أن نوم آخر الليل يذهب صفرة الوجه ، وإذا كابد نومه ولم يتم بقيت الصفرة بخافا ، وينبغي أن يتقى ذلك لأنه باب غمض ، وهو من الشهوة الخفية والشرك الخفي ، لأنه يشار إليه بالأصابع ، ويترجم فيه الصلاح والسير والصوم والخوف من الله عز وجل لأجل تلك الصفرة التي في وجهه ، تحذ بالله من الشرك والرياء ، وكل امرأة تدل عليها ، وينبغي أن يقلل شرب الماء بالليل لما علمنا من أنه يجلب النوم ، وأنه تكون منه صفرة الوجه ، سيما في آخر الليل . وعند الانتهاء من النوم . وفي الخبر « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الأيمن ضجعة حتى يأتيه بلال رضى الله عنه فيخرج معه إلى الصلاة » . وقد كان السلف يستحبون هذه الضجعة بعد الوتر ، وقبل صلاة الصبح حتى يجعلها بعضهم سنة ، وهو أبو هريرة رضى الله عنه ومن تابعه في ذلك ، وإنما استحبوا ذلك لأنه مزيد لأهل المشاهدة والحضور ، لأنهم يكشف لهم عن الملكوت ونفى لهم أنواع العلوم من الجبروت ، ويلقون غرائب الحكم والعلوم ، ويطلبون على ما غاب عنهم من الأقسام والحفظ ، مما أعد ما لهم رب تلبية حلام الغيوب ، وفي حق العمال وأهل المجاهدة راحة وسكون ، ولذلك نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، ليسريح فيها أهل لوراء الليل والنهار ، وكذلك يستحب أن ينصل في تصاعيف صلاة الليل يجلس يسبح فيه مائة تسبيحة ، ليكون حولا على الصلاة ، ولتسكن الجوارح ، وتزول مائة النفس للقيام ، ويحب إليها التهجد والصلاة ، وهو داخل تحت قوله عز وجل (ومن الليل فسيحه وإذ بار السجود) ، وقوله تعالى (وأذ بار السجود) أى أعقاب الصلاة .

(فصل) فإن قام الليل يتم أو شغل ، فإن قضاء ما بين طلوع الشمس إلى زوالها كان كمن صلاه في وقته من الليل ، لما حدثنا به أبو نصر عن والده ، يسانده عن عبد الله بن حنم ، قال حدثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أربع ركعات قبل الظهر بعد الزوال يصحب بمثلهن من السحر » . وفي لفظ آخر عن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قام من الليل أو نسيه فقرأه من صلاة الفجر إلى صلاة الظهر ، فكأنما قرأه في ليله » . ومن بعض السلف أنه قال : اجتمع رأي آل محمد

صلى الله عليه وسلم أنه من صلى ورده القى فاتة من الليل قبل الزوال كان كمن صلى في الليل ، وإن لم يقترحل ذلك فيقتضيه ما بين الظهر والعصر ، قال الله تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) أي جعلهما خلفين يتعاقبان في الفضل ، فيخالف أحدهما الآخر .

(فصل) فقد تحصل من هذه الجملة أن أوقات الليل خمسة : أحدها : ما بين العشاءين . والثاني : ما بعد العشاء الأخيرة إلى وقت منامه . والثالث : جوف الليل . والرابع : الثلث الأخير . والخامس : وهو السحر الأخير قبل طلوع الفجر الثاني وهو القراءة والاستغفار والتفكير والاعتبار دون الصلاة ، لأنه لا يؤمن أن تصادف صلاته طلوع الفجر ، وهو الوقت الذي عن الصلاة فيه ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مني مني فإذا غشيت الفجر فأوتر بركعة توتر لك ما قبلها » اللهم إلا أن يكون قد نام عن وتره وورد ، فإنه يصليها هذه الساعة على ما تقدم بيانه في فعله ل فعله التر .

(فصول أوقات النهار)

(فصل) وأما أوقات النهار فخمسة أيضا : أحدها : من وقت طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس . والثاني : صلاة الضحى وما كان في معناها إلى الزوال . والثالث : أربع ركعات بعد الزوال بقراءة حسنة وسلام واحد ، وقيل : إن أبواب السماء تفتح لها . والرابع : ما بين الظهر والعصر . والخامس : بعد العصر إلى الغروب .

(فصل) وأما الورد الأول من النهار فيستحب الجلوس من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، يذكر الله تعالى فيه إما بتلاوة القرآن أو تسبيح أو تفكير أو تذكير أو تعلم أو جلوس إلى عالم ، وكذلك بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، لأنهما وقتان تنهى عن التفل بالصلاة . فيما ، لما أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده ، قال أخبرنا أبو نعل إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الخطي ، قال حدثنا محمد بن يعقوب ، قال حدثنا هديبة بن خالد القيسي ، قال حدثنا أحمد ابن سلمة عن علي بن زيد ، عن الشعبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لأن أمد مع قوم أذكر الله تعالى من بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس أكبر وأهل أحب إلي من أن أعتق رقبتين ، ولأن أذكر الله عز وجل من بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تناموا عن طلب أركانكم » قيل : يا أنس ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تناموا عن طلب أركانكم ؟ قال : فإذا صليتم الفجر ، فقولوا ثلاثا وثلاثين مرة الحمد لله ، وصبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر وفي حديث آخر : « يسبح ثلاثا وثلاثين مرة ، ويحمد ثلاثا وثلاثين مرة ، ويكبر أربعاً وثلاثين مرة ، ويغتنمها بلاء إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » هكذا يفعل بعد العصر وعند النوم وحدثنا .

أبو نصر عن والده ، بإسناده عن حمزة بن الربيع ، عن أبيه رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « غلوة أو روضة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » فقال رجل : يا رسول الله في لا يستطيع عزوا قال : من جلس حين يصلي المغرب يذكر الله تعالى حتى يطلع العشاء ، كان مجلسه ذلك روضة في سبيل الله ، ومن جلس حين يصلي الغداة يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس كانت مثل غلوة في سبيل الله . وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يقول في دير صلاة الغداة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات إلا كتب الله له بين عشر حسنات ، وعنا عنه بين عشر سيئات ، ورفع له بين عشر درجات ، وكان عدل عشر رقاب ، ولا يضرة يومئذ ذنب يعصيه إلا أن يكون شركا ، وما من عبد أحسن الموضوع فضل ونجته كما أمر الله تعالى ، إلا حظ الله عنه كل ذنب نظرت إليه عيناه ، أو تكلم به لسانه ، وما من عبد غسل يديه كما أمر الله عز وجل ، إلا حظ الله عنه كل ذنب بطشت به يده ، ثم مسح رأسه وأذنيه إلا حظ الله عنه كل ذنب استمعت إليه أذناه ، ثم غسل رجليه كما أمره الله تعالى ، إلا حظ الله عنه كل ذنب مشى به رجلاه حتى يقوم إلى صلاته ، فتكون تلك الصلاة فضيلة ، وما من عبد نام على ذكر طاهرا ، فأوكل ما يقفه بدهر بدوه إلا كانت دعوته مستجابة ، وما من عبد روى بسهم في سبيل الله عز وجل فأصاب أو أخطأ إلا أعطى به تحرير رقبة ، وما من عبد شاب شيعة في سبيل الله ، إلا أعطى بها نورا يوم القيامة ، ومن أعتق رقبة كانت له فداء من نار جهنم ، كل عضو بعضو . وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى الغداة في مسجده ثم جلس يذكر الله تعالى إلى أن تطلع الشمس ، فإذا طلعت حمد الله تعالى وقام يصلي ركعتين ، أعطاه الله بكل ركعة ألف ألف قصر في الجنة ، في كل قصر ألف ألف حوراء ، مع كل حوراء ألف ألف خادم ، وكان عند الله من الأولاد ، وعن تابع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى القجر لم يتم من مجلسه حتى تمكته الصلاة . وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصبح وجلس في مجلسه حتى تمكته الصلاة كانت بمنزلة حبة وحمرة متقيلتين » فكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا صلى الغداة جلس حتى تطلع الشمس ، فقبل له : لم تفعل هذا ؟ فقال يزيد به السنة ، وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى القجر في جماعة ، ثم اعتكف إلى طلوع الشمس ، فصل أربع ركعات متواليات ، يقرأ في أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي ثلاث مرات ، وتل هو الله أحد سبع مرات ، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة ، والشمس وضحاها ، وفي الركعة الثالثة فاتحة الكتاب ، والسماء والطارق ، وفي الركعة الرابعة فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي مرة ، وتل هو الله أحد ثلاث مرات ، بعث الله تعالى إليه سبعين ملكا ، من كل سماء عشرة أملاك ، معهم

أطابق من أطباق الجنة ، ومتاديل من متاديل الجنة ، فيحملون تلك الصلاة على نعت الأتباع ، ثم يصعدون بها ، فلا يعرفون يقوم من الملائكة إلا استغفروا لصلحها ، فإذا وضعت بين يدي الجبار قال الله تعالى : عبد لي صليت ، وإياي عبدت ، فاستأنف العمل قد غفرت لك ، وهذه الصلاة هي تفسير ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل قال يا ابن آدم صل لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره . وقد حمله بعضهم على صلاة الفجر فرضها وسننها ، والصحيح ما ذكرناه .

(فصل) وأما المورد الثاني : فصلاة الضحى ، وهي صلاة الأوابين ، وهل يستحب المداومة عليها أم لا ؟ حل وجهين عند أصحابنا . والأصل في ذلك ما حدثنا به أبو نصر عن والده ، بإسناده عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الضحى صلاة الأوابين » وبهذا الإسناد قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الضحى أكثر صلاة داود عليه السلام » . وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن بابا من أبواب الجنة يقال له الضحى » . فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : « أين الذين كانوا يصلون صلاة الضحى دائمين عليها ، أدخلوهم الجنة برحمة الله » . وكان الناس على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلى رضي الله عنهما يصلون صلاة الصبح ، ثم ينتظرون الوقت الذي يصل فيه صلاة الضحى فيصلونها في المسجد . وعن الضحاك بن قيس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لقد ألقى علينا زمان لا ندرى ما وجه هذه الآية (سبحن بالمشي والإشراق) حتى رأينا الناس يصلون الضحى . وقال ابن أبي مليكة رحمه الله : سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن صلاة الضحى فقال : إنها في كتاب الله تعالى ثم قرأ (في بيوت أن الله أن ترفع وتذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغلوة والأصاال) . وكان ابن عباس رضي الله عنهما يصل ركعتي الضحى ، ولكن لا يدمن عليها ، ولهذا لما سئل عن ركعة عن صلاة ابن عباس رضي الله عنهما الضحى قال : كان يصلها اليوم ويدعها الغد . وقال النخعي رحمه الله : كانوا يكرهون أن يدعوا صلاة الضحى فيصلون ويدعون لئلا تكون كالمكتوبة .

(فصل) وأما عدد ركعات صلاة الضحى ، فأقلها ركعتان ، وأعلىها ثمان ركعات ، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة . فأما الركعتان فما أخبرنا به الشيخ أبو نصر عن والده ، بإسناده عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في الإنسان ثلثمائة وستون مفصلا ، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل كل يوم بصدقة ، قالوا : ومن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « النخامة يراها في المسجد فيدفعها ، أو الشيء يتيجه عن الطريق ، فإن لم يقدر فركعتي الضحى تجزيه » . وحدثني أبي هريرة رضي الله عنه : أوصاني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم بثلاث : الفوتر قبل النوم ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى . وروى أربع ركعات ، وهو ما تقدم في الفصل الذي قبله من حديث مكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث . ورويت معاذة عن عائشة

ورضى الله عنها ، « أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى أربعاً ، ثم سب ركعات » . وعن حيد الطويل عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، « أنه كان يصلى الضحى ست ركعات ، ثم ثمان ركعات » . وعن عكرمة بن خالد عن أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها قالت : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم : في الفتح ، فتح مكة ، نزل بأعلى مكة ، فصل ثمان ركعات ، فقلت : يا رسول الله ما هذه الصلاة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : صلاة الضحى » : قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : هو ثبت . والاختيار عند أهل العلم رحمه الله ثمان ركعات . وكذلك روى أبو سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن عائشة رضى الله عنها أيضاً أنها صلت الضحى ثمان ركعات . وقال الأمام بن محمد رحمه الله : كانت عائشة رضى الله عنها تصلى الضحى ثمان ركعات وتطيل ذلك ، وكانت إذا صلتها خلعت ثياب عليها ، ثم عشر ركعات إن اختارت ، ثم ثلث عشرة ركعة وهو أفضلها ، لما حدثنا به أبو نصر عن والده بإسناده عن حزة بن موسى بن أنس بن مالك الأنصاري ، عن عمه ثعلبة بن أنس ، عن جده أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله تعالى له قصراً من ذهب في الجنة . وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى اثنتي عشرة ركعة من النهار بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة » . وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا ذر إن النهار اثنا عشرة ساعة ، فأعد لكل ساعة منها ركعة وصديقتين ، يقرأ عليك ما فيها من ذنب ، يا أبا ذر من صلى ركعتين لم يكن من الغافلين ، ومن صلى أربعاً كتب من الذاكرين ، ومن صلى ستاً لم يلحقه في يومه حزن إلا الشك بالله تعالى ، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة قلت : يا رسول الله أجمعاً أم شتى ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا عليك » .

(فصل) وأما وقتها : فلها وقتان : جائز ، وهو بعد طلوع الشمس إلى صلاة الظهر ومستحب ، وهو حين ترمض الفصال عند قرب الزوال . والدليل على استحبابها في هذا الوقت ما روى أن زيد بن أرقم رضى الله عنه رأى قوما يصلون الضحى في مسجد قباء ، فقال : لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة الأوابين حين ترمض الفصال » . ويجوز فعلها أيضاً بعد الزوال ، لما روى عوف بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ساعة السجدة حين تزل الشمس من كبد الساء » وهي صلاة الخبثين ، وأفضلها في شدة الحر وإن هو لم يصلها إلى أن صلى الظهر فضاءها على وجه الاستحباب .

(فصل) وأما الذي يقرأ فيها ، فأروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة الضحى بسورة الشمس وضحاها والضحى » . وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى اثنتي عشرة ركعة صلاة الضحى ، قرأ

فی کل رکعة فاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسي مرة ، وثلاث مرآت (قل هو الله أحد) تزل من کل جماء سبعون ألف ملك ، معهم قرطيس یضی وأقلام من نور یتکتبون له الحسنات إلى أن ینفخ فی الصور ، فإذا کان یوم القيامة أنه الملائكة مع کل ملک حلة وهدية ، فیتوسون علی قبره یشقرون : یا صاحب القبر قم بإذن الله عز وجل فإتک من الآمین .

(فصل) وقد ورد عن بعض الصحابة رضی الله عنهم إنکار صلاة الضحی : من ذلك ما روی ابن المنادی من أصحابنا بإسناده عن ابن عمر رضی الله عنهما أنه قال : ما صليت الضحی منذ أسلمت ، إلا أن أطوف بالبيت ، وإنی البدة ولتعت البدة ، وإنی لمن أحسن ما أحسنه الناس . وكان ابن مسعود رضی الله عنه یقول فی صلاة الضحی : یا عباد الله لا تحملوا الناس ما لم یحملهم الله إياه ، فإن كنتم لا بد فاعلوا فصلوها فی یورتکم ، وكل هذا لا یدل علی رد ما قدعنا ذكره من الفضائل الواردة فی فعلها ، وإنما أرادوا بذلك أن لا تشبه بصلاة الفرض فیعتقد الناس وجوبها وليس كل الناس سواء فی نشاط العبادة ، فطلبوا الخفة عنهم وسبیل الطاعة عليهم ولهذا المعنی روی عن عتبان بن مالك رضی الله عنه قال : فإن رسول الله صلی الله علیه وسلم صلی فی بيته سبعة الضحی ، فقاموا وراءه فصلوا ، وكانت عائشة رضی الله عنها إذا أرادت أن تصلی خلعت الیاب ، وابن عباس رضی الله عنهما كان يصلی یوما یتزکها عشرا .

(فصل) وأما الزود الثالث ، فالصلاة قبل الظهر وبعدها . حدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده عن أم حبیبة رضی الله عنها أنها قالت : « من صلی أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً وبعدها ، حرم الله تعالى جسمه علی النار » . وقيل : إن أبواب السماء والجنة تفتح من بعد الزوال إلى أن تصلی الظهر ، ولهذا قيل : إن الدعوات تستجاب فی هذه الساعة ، ولهذا يستحب ملازمة العبادة والدعاء والذكر فيها . وفي ذلك حديث مروی عن أنى أبوب الأنصاری رضی الله عنه قال : إن النبی صلی الله علیه وسلم كان یؤظب علی أربع ركعات قبل الظهر ، فسنل فقال صلی الله علیه وسلم : « إن أبواب الجنة تفتح عند زوال الشمس فلا ترجع حتی تقام الصلاة ، فأحب أن أقدم » . وسنلت عائشة رضی الله عنها : أنى صلاة كانت أحب إلى رسول الله صلی الله علیه وسلم أن یؤظب علیا ؟ فقالت رضی الله عنها : « كان صلی الله علیه وسلم یصلی أربعة قبل الظهر یطول فبین القيام ، ویسمن فبین الركوع والسجود » .

(فصل) وأما الزود الرابع ، فقیما بین الظهر والمصر ، حدثنا أبو نصر عن والده قال أنبأنا عمر ابن أحمد ، قال أنبأنا عبد الله بن محمد ، قال حدثنا صالح بن مالك ، قال حدثنا جعفر بن عمر قال : حدثنا یونس ابن أبی عمرة عن عطاء ، عن ابن عباس رضی الله عنهما قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : من أسیا ما بین الظهر والمصر أسیا الله قلبه یوم تموت القلوب . وعن ابن عمر رضی الله عنهما أنه كان یحیی ما بین الظهر والمصر . وعن إبراهیم النخعی رحمه الله أنه قال : كانوا یسبون الصلاة بین العشاءین وقیما بین الظهر والمصر یصلیة القیل . كان ذلك دلیل کثیر من العباد فیصلون أوداهم بین الظهر والمصر ، یفردون عن الخلق ینقطعون إلى الحق

في حذو الساعة، وهي ساعة شريفة المخلوة بالرب عز وجل وذكوه، وهي صلاة الغلة . ويستحب الاحتكاف في المسجد بين الظهر والعصر للصلاة والذكر، ليجمع بين الاحتكاف والانتظار للصلاة . وقد كان دأب السلف، إلا أن يكون قد فاتته التوم قبل الزوال، ظلم في هذه الساعة ليتقوى به على قيام الليل، فإن تومه قبل الظهر ليلة الماضية وبعد الظهر ليلة المستقبل، ولا يستحب أن يزيد في التوم على ثمان ساعات . وقيل إن نقص في التوم عن هذا المقدار اضطرب بهنه، لأن التوم قوت البدن وراحته . وحديثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن سهل عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من صلى اثنتي عشرة ركعة كل يوم بنى الله له بيتا في الجنة » اثنتين قبل الفجر، وأربعاً قبل الظهر، واثنتين بعد الظهر، واثنتين قبل العصر، واثنتين بعد المغرب . وعن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يزال المصلون لأربع قبل العصر حتى يغفر الله لهم مغفرة حسنة » . (فصل) وقد ورد حديث جامع التواتر في هذه الأوقات، وهو ما حدثنا به أبو نصر عن والده، قال حدثنا محمد بن أحمد الحافظ، قال حدثنا محمد بن بدر الحميري، قال حدثنا حماد ابن مبرك، قال حدثنا عثمان بن عبد الله الشامي، قال حدثنا محمد بن إبراهيم، عن عبد الله ابن أبي سعيد عن طاوس، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صلى بعد المغرب أربع ركعات قبل أن يكلم أحداً رفعت له في عشرين، وكان كمن أمرك ليلة القدر في المسجد الأقصى » يعني مسجد بيت المقدس « وهي خير من قيام نصف ليلة »، وهي قول الله تبارك وتعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) وهي قول الله تعالى (تبتغي جن جهنم عن المضاجع) وهي قول الله تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) . « ومن صلى أربعاً بعد العشاء الأخيرة كان كمن أمرك ليلة القدر في المسجد الحرام »، ومن صلى أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها حرم الله تعالى جسده على النار أن تأكله أبداً، ومن صلى أربعاً قبل العصر كتب الله له براءة من النار . وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ركعتا الفجر أحب إلي من الدنيا وما فيها » . وحديثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن علي كرم الله وجهه أنه سئل عن تطوع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « ومن يطيق ذلك، كان يجهل حتى إذا كانت الشمس عن يساره مقدارها عن يمينه في العصر صلى ركعتين، فإذا كانت عن يساره مقدارها عن يمينه في الظهر صلى أربعاً، فإذا زالت الشمس صلى أربعاً، فيصلي بعد الظهر ركعتين وقبل العصر أربعاً » . وفي الجملة يغتنم العبد الصلاة بعد الأذان والإقامة والدعاء والتضرع، فإنها ساعة مريجة بإجابة الداعي فيها على ما تقدم . (فصل) وأما الورود الخامس بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، فهو الذكر من التسبيح والتبجيل والاستغفار والتفكير في الملكوت وقراءة القرآن، لأن صلاة النافلة سبقت فيها لله . ويلزم قبل غروب الشمس: الشمس وضحاها، والليل إذا يمشي، ثم المعوذتين بسم الله . ويستفتح ليلة بالقرآن والاستعاذة . وروى عن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال فيها بذكر من رحة ربه عز وجل : (إن الله تعالى قال : يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الصبح ساعة ، وبعد صلاة العصر ساعة ، أكفك ما بينهما) .

باب في الصلوات الخمس

وبيان أوقاتها ومذنبها وفضائلها

(فصل) الصلوات المكتوبة خمس : الصبح وهي ركعتان ، والظهر وهي أربع ركعات ، والعصر وهي أربع ركعات ، والغرب وهي ثلاث ركعات ، والمغرب الأخرى وهي أربع ركعات ؛ فذلك سبع عشرة ركعة . وقد كانت أرفقت حسين صلاة ليلة أُمري بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الميراج ، ثم أعيدت إلى خمس حكمة من الله عز وجل ، ليأبين بذلك التحذيف وسيرة ما أبى مما أسقط عن عباده المؤمنين ، كما أسقط عنهم ثبوت واحد لعشرة من المشركين في القتال إلى ثبوت واحد لاثنين منهم ، وكما أسقط تحريم الأكل والشرب والحجام بعد الترم في ليالي الصيام بقوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود) بعد أن كان ذلك هراً عليهم . (فصل) والأصل في وجوبها قوله عز وجل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولركعوا مع الراكعين) والأصل في بيان أوقاتها آيات وأشعار ، أما الآيات فقوله عز وجل (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وحشياً وحين تظهرون) فسبحان الله : أي صلوا الله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء ، وحين تصبحون صلاة الصبح ، وحشياً صلاة العصر ، وحين تظهرون صلاة الظهر . وقال عز وجل (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقناً) وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل) وقال تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أي عند غروبها ، وقيل : عند زوالها . وقال جل عظمته (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آتاه الليل فسبح وأطراف النهار لعنك نرضى) . قال قتادة رحمه الله : قيل طلوع الشمس : هي صلاة الصبح ، وقيل غروبها : صلاة العصر ، ومن آتاه الليل : صلاة المغرب والعشاء ، وأطراف النهار : صلاة الظهر . وأما الأخبار فإروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنى جبريل عليه السلام عند البيت ، فعلى في الظهر حين زالت الشمس ، وكانت بقدر الشراك ، ثم صلى في العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى في المغرب حين أظلم الصائم ، ثم صلى في العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى في الصبح حين حرم الطعام واشرب على الصائم ، ثم صلى في الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى في العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى في المغرب حين أظلم الصائم ، ثم صلى في العشاء إلى ثلث الليل الأول ، ثم صلى في الصبح حين أفسر ، ثم التفت إلى فقال : يا محمد جئت وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت فيما بين هذين الوقتين » وهذا الخبر هو الأصل في الروايات . وفي هذا الباب أحاديث وردت كلها ترجع إلى معناه فلم تذكرها .

(فصل : فی ذکر من صل هذه الصلوات أولا قبل نبينا صلى الله عليه وسلم) روى في بعض الاخبار : أن رجلا من الأصهار سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر : من صلاحها أولا ؟ فأخبره أن من صلاحها أولا آدم عليه السلام ، والظهر صلاحا لإبراهيم عليه السلام حين نجاه الله تعالى من نار نمرود ، والعصر صلاحا يعقوب عليه السلام حين تاب الله عليه ، وصلاة العشاء صلاحا يونس ابن متى عليه السلام حين أخرج الله من بطن الحوت كالفرخ الذي لأريش له ، فجاء جبريل عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك : إني مسبح ملك كيف علمتك في دار الدنيا ، فهل أنت راض عني ؟ فقام فصلى أربع ركعات ثم قال : إني عن ربي راض ، إني عن ربي راض . . .

(فصل : وأول ما وجب من الصلوات على نبينا صلى الله عليه وسلم وأمر بفعلها ، صلاة الفجر والغرب ، فكان صلى الله عليه وسلم يصل ركعتين بالغدوة وركعتين بالعشي ، وهو قوله عز وجل (وسبح بحمد ربك بالعشي والإفكار) إلى أن أسرى به صلى الله عليه وسلم إلى السماء ليلة المعراج ، ففرض عليه خمس صلوات ، وصلاة الفجر هي أول صلاة النهار ، ثم الظهر ، وإنما بدأ العلماء في بيان صفة الصلوات بالظهر اتباعا لسنة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أني جبريل عند البيت فصل في الظهر » إلى آخر الحديث ، نبأ ببيان وقتها ، فجعل أول المواثيق وقتها ، لأنها فرضت أولا . وقد بينا أن الفجر هي التي صلاحها آدم عليه السلام ، وهو أول نبي أرسل في الأرض من الإنس ، فلم أنها أول صلاة فرضت في الجملة .

(فصل : في بيان وقت صلاة الفجر) قالوا وقتها انصداع الفجر الثاني للشمس بالنبيا في أقصى شرفي فاهيا من القبلة إلى دبرها حتى يرتفع فيعم الأفق ، وينتشر على رموس الجبال والقصور المشيدة ، وآخر وقتها الإسفار النير الذي إذا سلم منها بدأ حاجب الشمس ، وما بين هذين وقت واسع . والمشتبه أن تسمى هذه الصلاة صلاة الصبح أو الفجر ولا تسمى صلاة الغداة ، لأن الله تعالى قال (وفرآن الفجر إن فرآن الفجر كان مشهودا) يعني صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار ، فحصل في آخر صحيفة ملائكة الليل وأول صحيفة ملائكة النهار عليهم السلام والأفضل التمسك بها ، خلاف ما قال الإمام أبو حنيفة من أن الإسفار بها أفضل . وإنما قلنا ذلك لما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كنت النساء يخرجن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلين الفجر معه ، ثم يرجعن متلفعات بمروطهن لا يعرفهن أحد من الناس . » وعن إسماعيل أحمد رحمه الله رواية أخرى : أن الحبر بحال المؤمنين ، فإن أسفروا فالأفضل الإسفار لتكثير الجمع والثواب . وأما الفجر الأول فلا حيرة به ، لأنه لا يحرم شيئا ولا يوجب شيئا ، لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الفجر طهران ، قالني تحل به الصلاة ويحرم فيه الأسكل والشرب الذي ينتشر على رموس الجبال وهو الذي يحرم . وقد وصف بعض العلماء

بأنه عز وجل التجريين وحدهما يحددين فقال : القجر الأول ، وهو بدو سلطان شعاع الشمس إذا ظهرت من وراء الأرض الخامسة ليطع ضوعها في وسط السماء حتى يقطعها بمقدار بقاء القجر الأول ، فذلك الضياء الذي يظهر في السماء في الثلث الأخير من الليل هو القجر الأول ، ثم يعود سواد الليل كما كان ، لأن الشمس تفرق في تلك الأسفل المتجانف ، وتحجبها الأرض السادسة ، فيذهب ذلك الضوء الذي ظهر في السماء . وأما القجر الثاني ، فهو انشقاق شفق الشمس وهو بدو بياضها الذي تحته الحمرة ، وهو الشفق الثاني ، وهو أول سلطانها من آخر الليل ويعد طلوع قرص الشمس وذلك أن الشمس إذا ظهرت على وجه أرض الدنيا التي هي السابعة وانفجر شعاعها من تلك الأسفل ، وهو ذيل السماء سترت فيها البحال والبحار والأقاليم العالية ، وظهر شعاعها منتشرا إلى وسط السماء عرضا مستطيرا . والأول يسمى مستطيلا لأنه يظهر في وسط السماء طولا ثم يذهب ، والثاني يظهر عرضا مستطير فيعم الأفق وأرجاء السماء كلها . والشمس شفقان عند الغروب ، وشفقان عند الطلوع . .

(فصل) وأما الظهر ، فأول وقتها إذا زالت الشمس ، وآخره إذا صار ظل كل شيء مثله والأفضل تعجيلها لإلا في شدة الحر ، ومع التيم في حق من أراد الخروج إلى الجماعة يقول النبي صلى الله عليه وسلم : أبردوا بالظهر ، فإن شدة الحر من فيح جهنم ، ولما روى عن بلال رضي الله عنه قال : أكدت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الظهر ، فقال : أبرد ، ثم أذنته ثانية فقال : أبرد ، ثم أذنته ثالثة فقال : أبرد ، حتى رأيت فيء للظل ، ثم قال : إن شدة الحر من فيح جهنم ، فإذا شئت الحر فأبردوا . . وبين معرفة الزوال أن الشمس إذا وقتت فهو قبل الزوال ، فإذا زالت أقل القليل فذلك وقت الظهر ، وجاء في الحديث : أن الشمس إذا زالت بمقدار شرك فذلك أول وقت الظهر ، فإذا صار ظل كل شيء مثله فهو آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ، فإذا أردت أن تعرف ذلك فقس الظل بأن تنصب عمودا ، أو تقوم قائما في موضع من الأرض مستويا معتدلا ، ثم علم على منتهى الظل بأن تخط خطا ، ثم انظر أينقص أو يزيد ، فإن رأيت ينقص علمت أن الشمس لم تزل يمد ، وإن رأيت قائما لا يزيد ولا ينقص ، فذلك قيامها وهو نصف النهار لا تجوز الصلاة حينئذ ، فإذا أخذ الظل في الزيادة فذلك زوال الشمس ، فقس من حد الزيادة إلى ظل ذلك الشيء الذي قست به طول الظل ، فإذا بلغ إلى آخر طوله فهو آخر وقت الظهر ، فإذا زاد شيئا يسيرا فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشيء مرة أخرى ، فذلك آخر وقت العصر ، ثم يبقى وقت الضرورة إلى قبل غروب الشمس ، وكذلك تفعل بقيامك فتعلم على موضع ذلك ، فإن نقص علمت أنه لم تزل الشمس ، وإن وقف فهو حال القيام ، وإن زاد فهو الزوال . وأما معرفتك للثل بقيامك وطولك ، فإن طولك سبع أقدام بقدمك سوى قدمك التي تقوم عليها ، فذلك تقوم مستقبل الشمس بوجهك ، ثم تأمر إنسانا يعلم طرف ذلك بعلامة ، ثم تقيس من حديق إلى تلك العلامة ، فإن كان بينهما أقل من سبعة

أقدام سوى ما زالت الشمس عليه من الظل ، فعلم أنك في وقت الظهور ، وأن وقت العصر لم يدخل بعد ، فإذا زاد الظل على سبعة أقدام علمت دخول وقت العصر .

(فصل) وهذا الذي ذكرناه من الأقدام ونصب العمود ، يختلف في الشتاء والصيف ، فيزيد الظل وينقص ، فالزيادة تكون في الشتاء ، لأن الشمس تكون في مسافة الشخص ، لأنها تسير في ذيل السماء ولا ترتفع في الجو ، ونقصانه يكون في الصيف ، لأن الشمس ترتفع إلى الجو فتشرف على الأشخاص ، لأنها أول ما تصعد تكون من جانب السماء ، فيمتد ظلها لخفاضة قريبا ، فكلما صعدت قصر الظل إلى أن تنهي في الارتفاع فتصير في كبد السماء وهو حالة قيامها ، فإذا أخذت في السيران وهو النزول نحو ما يل مغربها ، فيأخذ الظل في الطول وهو الزوال وكذلك يختلف في البلدان ، فما كان منها تحت وسط تلك كمنكة وما حوالها من البلدان قصر ظل الشمس فيه حتى لا يبقى للشمس ظل أصلا ، وما كان بعيدا من وسط تلك كخراسان وما والاها من النواحي فإن ظل الشمس يطول صيفا وشتاء ، فيكون صيفا كشتاء غيرها في طول الظل ، فقد يزول في تلك البلاد على قدم واحدة .

(فصل : في معرفة الأقدام) اعلم أن أقل ما تزول عليه الشمس على ما ذكره القدماء من أهل هذا العلم في حزيران على قدمين ، وأكثر ما تزول عليه في كانون على ثمانية أقدام وتزول في أيلول على خمسة أقدام ، وفي تشرين الأول على ستة أقدام ، وفي تشرين الآخر على سبعة أقدام ، وفي كانون الأول على ثمانية أقدام ، وذلك منتهى قصر النهار وطول الليل ، وهو أكثر ما تزول عليه الشمس ، ثم ينقص الظل ويزيد النهار ، فتزول الشمس في كانون الآخر على سبعة أقدام ، وتزول في شباط على ستة أقدام ، وتزول في آذار على خمسة أقدام ، وذلك استواء الليل والنهار ، وتزول في نيسان على أربعة أقدام ، وفي أيار على ثلاثة أقدام ، وفي حزيران على قدمين ، فذلك منتهى طول النهار وقصر الليل ، وهو أقل ما تزول الشمس عليه ، فيكون النهار خمس عشرة ساعة ، والليل تسع ساعات ، وتزول في تموز على ثلاثة أقدام ، وفي آب على أربعة أقدام ، وفي أيلول على خمسة أقدام ، وفيه يستوى الليل والنهار . وروى عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال أكثر ما تزول عليه الشمس سبعة أقدام ، وأقل ذلك ما تزول على قدم واحدة . ومن عباده ابن مسعود رضي الله عنه قال : كانت صلواتنا الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصيف على ثلاثة أقدام إلى خمسة أقدام ، وفي الشتاء على خمسة أقدام إلى ستة أقدام .

(فصل) وذكر بعضهم صفة أخرى فقال : تزول الشمس في تسعة عشر يوما من آذار وظل الإنسان ثلاثة أقدام ، وكذلك كل شيء نصبه ، فإن الشمس تزول يومئذ ، وظل ذلك الشيء ثلاثة أسابيع ، ثم ينقص الظل قلما حتى ينتهي طول النهار وقصر الليل في تسعة عشر من حزيران ، فتزول الشمس يومئذ ، وظل الإنسان نصف قدم وذلك أقل ما تزول عليه الشمس ، ثم يزيد الظل ، فكلما مضت ستة وثلاثون يوما ، زاد الظل قلما حتى يستوى الليل والنهار في تسعة عشر يوما من أيلول ، فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلاثة أقدام ، ثم يزيد الظل ، فكلما

مضي أربعة عشر يوما ، زاد الظلّ قلما حتى ينتهي طول الليل وقصر النهار ، وذلك في تسعة عشر يوما من كانون الأول ، فتزول الشمس يومئذ على سبعة أقدام ونصف قدم ، وذلك أكثر مما تزول الشمس عليه ثم كثر مضي أربعة عشر يوما زاد الظلّ قلما ، حتى ينتهي إلى تسعة عشر يوما من آذار ، فقلت استواء الليل والنهار ، وتزول الشمس على ثلاثة أقدام ، وذلك دخول الشمس في الصيف وزيادة الظلّ ونقصانه الذي ذكرناه في كل ستة وثلاثين يوما قدم في الصيف والقيظ ، وزيادة في كل أربعة عشر يوما قدم في الربيع والخريف .

(فصل) وقد ذكر بعض شيوخنا لذلك صفة أخرى ، وهي أن قال : تزول الشمس في حزيران كله على ثلاثة أقدام ، والقادم سبع كل شخص متصّب وأول وقت العصر فيه تسعة أقدام ونصف ، وأول وقت الظهر في تموز كله أربعة أقدام ، وأول وقت العصر فيه عشرة أقدام ونصف ، وأول وقت الظهر في آب كله خمسة أقدام ، وأول وقت العصر فيه أحد عشر قلما ونصف ، وأول وقت الظهر في أيلول كله ستة أقدام ، وأول وقت العصر فيه اثنا عشر قلما ونصف ، وأول وقت الظهر في تشرين الأول كله سبعة أقدام ، وأول وقت العصر فيه ثلاثة عشر قلما ونصف ، وأول وقت الظهر في تشرين الآخر كله ثمانية أقدام ، وأول وقت العصر فيه أربعة عشر قلما ونصف ، وأول وقت الظهر في كانون الأول كله عشرة أقدام ونصف ، وأول وقت العصر فيه سبعة عشر قلما ، وأول وقت الظهر في كانون الثاني كله تسعة أقدام ، وأول وقت العصر فيه خمسة عشر قلما ، وأول وقت الظهر في شباط كله سبعة أقدام ونصف ، وأول وقت العصر فيه أربعة عشر قلما ونصف . وأول وقت الظهر في آذار كله ستة أقدام ، وأول وقت العصر فيه اثنا عشر قلما ونصف ، وأول وقت الظهر في نيسان كله أربعة أقدام ونصف ، وأول وقت العصر فيه أحد عشر قلما ، وأول وقت الظهر في أيار كله ثلاثة أقدام ونصف ، وأول وقت العصر فيه عشرة أقدام ، فهذه مقادير ما تزول عليه الشمس في شهور السنة كلها ، والله أعلم بما لا تدركه إحسانا ، ولا تنهى لغوه علمنا :

(فصل) ومعرفة الزوال على هذه الصفات والتحديده ليس هو بأمر حتم ، بل هي جهة من جهات الوصول إلى معرفة الزوال ، وليس كل أحد يدرك ذلك ، بل كل من غلب على ظنه وبقوته زوال الشمس وجب عليه فعل صلاة الظهر ، وذلك أن الناس في الأوقات على ثلاثة أضرب : من غرضه اليقين ، وهو من يعرف الدقائق والساعات وسير الكواكب ، يستدل بذلك ليحصل له يقين الوقت ، ومن غرضه الاجتهاد والتقدير بالعمل أو تقليد من يعمل ، وهم الصانع الجهال بالأوقات ، فإن اجتهدوا فقدروا بأعمالهم ، مثل الهزار عادته أن يميز العجنتين أو ثلاثة إلى الظهر ، أو الطحان يطحن القمح إلى الظهر ، استظهر بالتأخير وصل ، لأن في يوم الغيم كان الوقت يقصر بغية الشمس فيقبل الإنسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل عنه ، وكلما أذنان من عارف بالأوقات ، أو من لا يؤذّن إلا يؤذّن عارف بالوقت يقوم للصلاة ، والثالث :

من فرضه الصحري والثأخير بجهده إلى أن يغلب على ظنه دخول الوقت، وهو المعلوم والمجهوس في الأمكنة التي لا يتوصل إلى معرفة الوقت بدلالة ولا غير ولا سماء أذان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

(فصل) ومعرفة الزوال على التحقيق أمر يقدح ويصعب، وقد ورد في الحديث: «أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام: أزلت الشمس؟ فقال: لا نعم، فقال كيف هذا؟ فقال: من قولي لك: لا، نعم، قطعت الشمس من قلبك حسين ألف فرسخ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم سأكه عن زوالها في علم الله تعالى: لكنك إذا استقبلت القبلة فكانت الشمس عن حاجبك الأيمن في الصيف. فقد زالت بلا شك، فصل الظهر، فإذا صار ظل كل شيء مثله فهو وقت العصر، فإذا كانت الشمس على حاجبك الأيسر في الصيف وأنت مستقبل القبلة، فاعلم أنها لم تزل بعد، فإذا كانت بين عينك فهو قيامها واستوالها في كبد السماء، وقد يجوز أنها قد زالت إذا كانت في أول الشتاء وقصر النهار، ولما إذا كانت في أول الشتاء على حاجبك الأيمن فتكون قد زالت في جميع الأكرمة، لأنه إذا كان ذلك في الصيف فهو أول وقت الظهر، وإن كان في الشتاء فهو آخر وقت الظهر، وإذا كانت على حاجبك الأيسر فقد يجوز أنها قد زالت تقصر النهار في أول الشتاء، ولا يجوز في أول الصيف لامتداد النهار وطوله، وإذا كانت بين عينك في الشتاء فقد زالت بلا شك، فإذا صار على حاجبك الأيمن فهو آخر وقت الظهر، وهذا لأهل إقليم العراق وخراسان الذين يصلون إلى الركن الأسود وباب البيت من جهة الكعبة، وأما أهل اليمن والمغرب ومن يليهم، فعمل ضد ذلك، لأنهم يصلون إلى الركن الباقى ومؤخر الكعبة، فذلك يختلف التقدير.

(فصل) فإذا عرفت الزوال وأردت أن تعرف القبلة فاجعل ظلك على يسارك، فإنك تكون حينئذ مستقبل القبلة فاعلم ذلك مختصراً بلا تعب، وإنما طرقت في ذكر معرفة الزوال لأنه أشكل الأوقات وأدقها، وقد ورد ذكر الأقسام في خبر ابن مسعود رضي الله عنه، والتفنية على معرفة ذلك ما تقدم بيانه والله أعلم.

(فصل) وأما وقت العصر، فأوله على ما ذكرنا أدنى زيادة على ظل الليل، وآخر وقتها إذا صار الظل مثله، ووقت الضرورة إلى قبل أن تغيب الشمس، وقد تقدم ذكره بالأفضل تمجيلاً.

(فصل) وأما صلاة المغرب فإذا غربت الشمس، وهو إذا تدل حاجبك الشمس الأعلى، وهو غيبتها عن الأبصار دخل وقتها، ولها وقتان: أحدهما الغروب، والثاني غيوبة شفق الشمس وهو الشمرة في أصح الروايتين.

(فصل) فإذا غاب الشفق دخل وقت الشتاء الآخرة، ووقت القسيلة متى إلى ثلث الليل في إحدى الروايتين، والثانية إلى نصف الليل، ووقت العلو والضرورة ما لم يطلع الفجر الثاني، ولها إيمان: أحدهما حتمة، والثاني الشتاء الآخرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم

الأعراب على اسم صلاحكم هذه يسونها حصة، يعني أن اسمها العشاء الآخرة، والأعراب يسونها حصة، فوافقهم في ذلك، والأفضل تلغيرها إلى أكثر وقتها، وهو الثلث الأول أو النصف الأول على ما ذكرنا، وأفضل ما صليت إذا غاب الياض الفري وأظلم مكانه، وهو الشفق الثاني فيؤخر إلى ربع الليل أو الثلث أو النصف، كل ذلك ما لم يتم المصل قبل أن يصلها، فإنه يكره النوم عنها، فمن خاف غلبة النوم، فالأفضل أن يصلها ثم ينام، ولهذا الأفضل عند الشافعي رحمه الله أن يصلي في أول الوقت، وإنما قلنا الأفضل تأخيرها لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعتمروا بالعنمة». وخرج صلى الله عليه وسلم ليلة وقد أعظم فقال: «لولا أن أشتق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها»، هكذا قال صلى الله عليه وسلم أخرها وحش على تأخيرها.

(فصل) وأما السن الرتبة مع هذه الصلوات الخمس فثلاث عشرة ركعة: ركعتان قبل صلاة الفجر، وركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء الآخرة، ويوتر بثلاث، وهو غير إن شاء صلاة بتسليمة واحدة كصلاة المغرب: وإن شاء فصل بينها، فيصل من كل ركعتين، ويوتر بالآخرة، وهو الأفضل، فيقرأ في الأولى من الثلاث بعد الفاتحة سبع اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة بقل هو الله أحد، وفي الأولى الركعتين من سنة الفجر بقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية بقل هو الله أحد، ويستحب فعلهما في منزله، ثم يخرج، ويستحب الاشتغال بذكر الله تعالى وترك الكلام إلا أن يكون واجبا بعد أن يصلها حتى يدخل في القريضة، والقراءة في الركعتين بعد المغرب كالقراءة في ركعتي الفجر. روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرين مرة يقرأ في الركعتين بعد المغرب: قل يا أيها الكافرون، وقال هو الله أحد». وروى عن طلوس رحمه الله أنه كان يقرأ في الأولى منهما: آمين الرسول، وفي الثانية قل هو الله أحد. ويستحب تعجيلهما لما روى حليفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عجلوا بالركعتين بعد المغرب لرفعهما الملائكة مع المكتوبة» فيستحب تخفيفهما لذلك. وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم رفعت صلاته في عشرين». وقد جاء ما يدل على استحباب تطويلهما، وهو ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الركعتين بعد المغرب حتى يضيق أهل المسجد». وروى كذلك عن حليفة رضي الله عنه أنه قال: «أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصليت معه صلاة المغرب، ثم قام فمضى إلى العشاء الآخرة، ثم انتقل إلى منزله». وقد ورد أيضا أن الاستحباب في فعلهما في المنزل، وهو ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الركعتين اللتين بعد المغرب في بيته». وكذلك عن أم حبيبة رضي الله عنها. وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي الركعتين بعد المغرب إلا في بيته». وروى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «لقد أمرت زمان عتيان بن عفان رضي الله عنه وإنه ليسلم من

المغرب ، وما أرى رجلاً واحداً يصلحهما يعني الركعتين بعد المغرب في السجدة ، بل كانوا يتدرون باب المسجد فيخرجون فيصلونها في بيوتهم .

(فصل : في فضائل الصلوات الخمس) روى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « رأيت لو أن نهرًا يباب أحدكم يقتل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درته شيء ؟ » قالوا : لا ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يحجر الله تعالى بها الخطايا . وعن أبي ثعلبة القرظي قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يترقون فإذا صلوا الصبح غسلت الصلاة ما كان قبلها ، ثم يترقون فإذا صلوا الظهر غسلت الصلاة ما كان قبلها ، ثم يترقون فإذا صليت صلاة العصر فصلوا غسلت ما كان قبلها ، حتى ذكر صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس . وعن الحرث بن عثمان بن عفان رحمه الله قال « جلس عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم دعا بماء فتوضأ ، ثم قال : وأبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوئي هذا ، ثم قال : لمن توضأ وضوئي هذا ثم قام فصل الظهر غفر له ما بيننا وبين صلاة الصبح ، ثم قام فصل صلاة العصر غفر له ما بيننا وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ما بيننا وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء الآخرة غفر له ما بيننا وبين صلاة المغرب ، ثم لعل بيت يصرخ إليه ، ثم إذا قام فصل الصبح غفر له ما بيننا وبين العشاء الآخرة ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، قالوا : هذه الحسنات ، فما الباقيات الصالحات ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضاة الرب والملائكة ، وسنة الأنبياء صلوات الله عليهم ونور المعرفة وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاء وقبول الأعمال ، وبركة في الرزق ، وراحة الأبدان ، وصلاح الأعداء ، وكراهية الشيطان ، وشفيع بين صاحبها وبين مالك السموات ، وسراج في قبره ، وفرش تحت جنبه . وجواب منكر وتكبير ومؤنس زائر معه في قبره ، إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة كانت الصلاة خلافة لله ، وتاجاً على رأسه ، ولباساً على بدنه ، ونوراً يسعى بين يديه ، وسيراً بين يمينه ، وحجة المؤمنين بين يدي الرب عز وجل ، وثقلاً في الميزان ، وجوازاً على الصراط ، ومفتاحاً للجنة ، لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتكبير وقراءة ودعاء ، وإن أفضل الأعمال كلها الصلاة لو قتها . وعن أبي عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس عماد الدين ، لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلوة . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قاله قال رجل : يا رسول الله كم افترض الله عز وجل على عباده من الصلوات ؟ قال : خمس صلوات ، قال : فهل قبلهن أو بعدهن شيء ؟ قال : افترض الله على عباده صلوات خمساً ليس قبلهن أو بعدهن شيء ، فحلف الرجل بالله لا يزيد عليهن ولا ينقص منهن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق دخل الجنة . وعن تميم الداري رضي الله عنه : قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة

صلاته ، فإن هو أكلها كتبت له كاملة ، وإن لم يكن أكلها قال الله عز وجل للسلائكة : انظروا هل يجدون لعبدي من تطوع فأكثروا له ما ضيع من ذلك . وعن أنس بن حكيم الضبي قال : قال أبو هريرة رضي الله عنه : إذا أتيت أحلك فأخبرهم أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته المكتوبة ، فإن أتتها ولا نظر فإن كان له تطوع أكلت له القريضة بها ، ثم يفعل بسائر الأعمال كذلك . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، وأول ما اقترضه الله تعالى على هذه الأمة الصلاة .

(فصل : في الطرود إلى المسجد ، وفضل الجماعة والخشوع في الصلاة) من نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بين صلاة الجماعة والفرد سبع وعشرون درجة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا توضأ العبد ثم خرج إلى المسجد كتب الله عز وجل له بكل خطوة حسنة ، وحسناته ستة ، ورفع له درجة ، ويبشر الله تعالى به كما يبشر بالجناب الطويل غية إذا قدم على أهله . وعن أبي عتيان التدي عن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم زارني في بيت من بيوت فائاني زائرا وحتى علي للزور أن يكرم زائره . وعن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : جاء جبريل إلى النبي عليهما السلام فقال : بشر المشائين في ظلم الليل إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة . وعن أبي الترداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من مشى في ظلم الليل إلى المسجد آتاه الله تعالى نورا يوم القيامة . وعن سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة . وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بين صلاة الجماعة والفرد سبع وعشرون درجة . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عتيان بن مفلح من صلى الصبح في جماعة كانت له حجة مبرورة وعمره متقبلة ، يا عتيان من صلى الظهر في جماعة كان له خمس وعشرون صلاة كلها مثلها وسبعون درجة في الجنة الفردوس ، يا عتيان من صلى العصر في جماعة ثم ذكر الله تعالى حتى غرب الشمس فكأنما أعطى نسمة من ولد إسماعيل ، مع كل رجل منهم اثنا عشر ألفا ، يا عتيان من صلى المغرب في جماعة كانت له خمس وعشرون صلاة كلها مثلها ، وسبعون درجة في الجنة عدن ، يا عتيان من صلى العشاء الآخرة في جماعة فكأنما قام ليلة القدر . ويستحب للرجل إذا أقبل إلى المسجد أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع ، وأن تكون عليه السكينة والوقار ، وأن يحدث لنفسه فكرا وأدبا غير ما كان عليه ، وفيه قبل ذلك من حالات الدنيا وأشغالها ، وليخرج برغبة ورحمة وقد وتواضع وانكسر من غير عجب وتكبر وانحدار ورؤية الناس والخلق ، ويؤتى بذلك التوجه إلى الله عز وجل إلى بيت

من بيوته التي (أذن الله أن ترفع ويدك فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغلو والآصال رجال لا تلهيهم
 تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ، فأنشأ من الصلاة صل مع الجماعة ، وما قامته فقي ، وكذا جاء
 في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جاء
أحدكم وقد أتته الصلاة فليمش على هيئة ، فليصل ما أنشأه ، وليقض ما سبقه . وقد انقضى
 آخره فليمش وعليه السكينة والوقار ، فليصل العجب في المواظبة على العبادات والمداومة عليها ،
 لأن ذلك يشغله من عين الله عز وجل ، ويحده من قربه ، ويعنى عليه حاله ، ويزيل نور
 بصيرته وحلاوة ما كان يحده من قبل في عبادته ، ويكون صفاء معرفته ، وربما ردت عليه عمله
 وقسم ، لأنه روي أنه تبارك وتعالى لا يتقبل من المتكبرين عملا حتى يتوبوا ، وقد جاء في الحديث :
 أن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام أسيا ليلة ، فلما أصبح أعجب بقيام ليلة فقال : نعم الرب ربه
 إبراهيم ، ونعم العبد إبراهيم فلما كان غدا لم يجد أحدا يأكل معه ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن
 يأكل معه غيره ، فأخرج طعامه إلى الطريق يمر به مارا فأككل معه ، فزل ملكان من السماء فأقلا
 نحوه فدعاهما إبراهيم عليه السلام إلى الغداء ، فأجاباه ، فقال لهما : تقدما بنا إلى هذه الروضة ، فإن
 فيها عينا وفيها ماء فتشربا عندها ، فتقدموا إلى الروضة ، فإذا العين قد غارت وليس فيها ماء ،
 فاشتد ذلك على إبراهيم عليه السلام واستحيا بما قال ، إذ لم يجد الماء ، فلقال له : يا إبراهيم فادع
 ربك واسأله أن يعيد الماء في العين ، فدعا الله عز وجل فلم يرد شيئا ، فاشتد ذلك عليه ، فقال
 لهما : ادعوا الله ، فدعا أحدهما فرجع الماء في العين ، ثم دعا الآخر فأقبلت العين ، فأخبراه
 أنهما ملكان ، وإن إجابته بقيام ليلة ودعاه عليه فلم يستجب له ، فإذا كان هذا فعله عز وجل
 بخليته إبراهيم عليه السلام ، فكيف فعله بغيره ؟ بل يعتقد العبد أن جميع ما هو فيه من الطاعة
 والمسارة إليها توفيق من الله ونعمة وفضل ورحمة ومنة ، فليقم بين يديه عز وجل مخرما خاضعا
 ذليلا ، كأنه يشاهده ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه
فإنه يراك . وقد ورد في الحديث : أن الله عز وجل أوحى إلى عيسى بن مريم عليهما السلام
إذا قممت بين يدي فقم مقام الخائف الذليل القائم لنفسه لأنبا الولي بالقلم ، وإذا دعوتني فادعني
وأعضدك فتفرض . وكذلك روي أن الله تعالى أوحى مثل ذلك إلى موسى عليه السلام . وروي
 أن ابن سيرين رحمه الله كان إذا قام إلى الصلاة ذهب دم وجهه خوفا من الله عز وجل ولمقامته .
 وكان مسلم بن يسار رحمه الله إذا دخل في الصلاة لم يسبح حسنا من صوت ولا غيره ، اشتغلا
 بالصلاة وخوفا من الله عز وجل . وقال حاتم بن عبد قيس : لأن تختلف الخناجر بين كتي أحب
 إلي من أن أفكر في شيء من أمر الدنيا ، وأنا في الصلاة . وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه :
 ما صليت صلاة قط فحلفت نفسي فيها بشيء من أمر الدنيا حتى انتصرت . وقال جهماد رحمه
 الله : كان ابن الزبير رضي الله عنهما إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع . وكان وهب
 رحمه الله إذا قام يصل كأنما يطلع في جهنم . وكان عتبة الغلام رحمه الله إذا قام في الصلاة في الشتاء
 ينصب العرق منه ، فسألوه في ذلك ، فقال حياه من الله عز وجل . وكان مسلم بن يسار رحمه الله

جبل فوقع الحربین فی دارہ و هو فی بیت منہا ففرغ أهل البصرة حتی خرجوا فأطلقواہ ، فما عقل مسلم إلا بعد ما أطلقوا و فرغ من صلاتہ . وقیل : إنه أيضا كان یصلی فی البقیع ، فسقطت سارية إلى جنبه ففرغ منہا أهل السوق ، و هو لم یعقل بہا . وعن عمرو بن الزبیر رحمہ اللہ : أنه كان یصلی وتعلہ بین یدیه ، وكان شمع نعلہ جلیدا ، فالتفت إلى الشمس ، فلما فرغ من صلاتہ رمی نعلہ ولم یلبس بعد ذلك نعلاتہ مات رحمہ اللہ . وحکی عن الربیع بن نعیم رحمہ اللہ أنه كان یصلی تلوذا و بین یدیه فرس له یساوی عشرين ألف درہم ، فجاء لیس فقبله وذهب بہ ، لنبیاء الناس من العداة یزولہ ، فقال : أما إنی كنت أری من یعلہ ، ولكن كنت فی شیء أحب إلی منہ ، فلما كان فی بعض البہار فإذا الفرس قد أقبل حتی قام بین یدیه . وروی عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم : أنه صلی فی شقة سرودہ فیہا خیط أحمر ، فلما سلم قال : إن هذا الخیط أمانی عن صلاتی . وقد وصف اللہ تعالیٰ العاشمین فی الصلاة فی قوله تعالیٰ (الذین هم فی صلاتهم خاشعون) قال المهری رحمہ اللہ : هو مسكون المرء فی صلاتہ . قیل : هو المانی لا یعلم من عن یمینہ و شمالہ فی الصلاة لا اشتغاله بالصلاة ، ولذا قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم : إن فی الصلاة لثلاثا .

(فصل : فی المحافظة علیہا وما ورد من التقویۃ حل من ضیعہا) وروی الأعمش عن شقیق

ابن مسلمة عن ابن مسعود رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : إذا صلی العبد فی أول الوقت صعدت إلى السماء ، ولما توارى حتی تنہی إلى العرش ، تستقر لصاحبہا إلى يوم القيامة ونقول : حفظك اللہ كما حفظنی ، وإذا صلی العبد فی غیر وقتها صعدت إلى السماء لا توارى ، تنہی إلى السماء فثقت كما یلف الثوب ، أو المرفة فیضرب بہا وجهہ ثم تقول : ضیعك اللہ كما ضیعنی . وفي حديث عبادہ بن الصامت رضی اللہ عنہ قال : إن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال : من توضأ فأبلغ الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة قائم رکوعہا وصبرہا والقراءة فیہا قالت الصلاة : حفظك اللہ كما حفظنی ، ثم صعد بہا إلى السماء ولما ضوء ونور ، فتفتح له أبواب السماء حتی تنہی إلى اللہ عز وجل ، فتشفع لصاحبہا ، وإذا ضیع رکوعہا وصبرہا والقراءة فیہا : قالت الصلاة ضیعك اللہ كما ضیعنی ، ثم صعد بہا ولما ثقتہ حتی تنہی إلى السماء ، فتغل أبواب السماء دونہا ، ثم قلت كما یلف الثوب الطلق فیضرب بہا وجه صاحبہا .

وعن ابن مسعود رضی اللہ عنہ قال : سألت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : أئی الأعمال أفضل ؟ قال : الصلوات لوقتہن ، وبر الوالین ، والجهاد فی سبیل اللہ عز وجل . وعن ابراہیم ابن ابی حنورة المؤذن عن أبیہ عن جده رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : أول الوقت رضوان اللہ ، والوسط الوقت رحمة اللہ ، وآخر الوقت خوف اللہ . وقال اللہ تعالیٰ ، (قریل المصلین اللین هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس رضی اللہ عنہما : وانما ترکوها ولكن أصروها عن أوقاتها . وقال سعد رضی اللہ عنہ : سألت النبی صلی اللہ علیہ وسلم عن قوله عز وجل (اللیین هم عن صلاتهم ساهون) قال صلی اللہ علیہ وسلم : هم اللین یؤخرون الصلاة عن وقتہا . وعن البراء بن عازب رضی اللہ عنہما فی قوله تعالیٰ (أصاحوا الصلاة واتمروا

الشهوات فسوف يلقون غيا) قال : هو واد في جهنم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يدخلها إلا من أضاع أوقات صلاته ، وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت نورا له وبرهانا ونجاة يوم القيامة » ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة من النار ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف . وعن الحارث عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تهاون بصلاته فإن الله عز وجل يعاقبه بخمسة عشر عقوبة : ستة منها قبل الموت ، وثلاث عند الموت ، وثلاث في القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر » فأما الست قبل الموت فأولها : أنه يرفع عنه اسم الصالحين ، والثانية ترفع عنه بركة الحياة ، والثالثة ترفع عنه بركة الرزق ، والرابعة لا يقبل منه شيء من أعمال الخير حتى يكمل صلاته ، والخامسة لا يستجاب دعائه ، والسادسة لا يجعل له في دعاء الصالحين نصيبا ، وأما الثلاث التي عند الموت فأولها : يموت عطشانا ولو صبت في حلقه سبعة أبحر ما روى ، والثانية أنه يموت يئس ، والثالثة أنه أثقل بعبد الدنيا وخشبها وأصحابها حل رقبته وكلفه ، وأما الثلاث التي في القبر : فيضيق عليه قبره ، والثانية ينظم عليه القبر ، والثالثة يصير حيا بالقول ، وأما الثلاث التي عند خروجه من القبر فأولها : يلقى الله عز وجل وهو عليه غضبان ، والثانية يكون حسابه شديدا ، والثالثة رجوعه من بين يدي الله عز وجل إلى النار إلا أن يعفو الله عنه .

(فصل) الصلاة خطرها عظيم وأمرها جسيم ، وبالصلاة أمر الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأول ما أوحى الله بالنبوة ، ثم بالصلاة قبل كل عمل ، وقيل كل فريضة في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى (أنل ما أوحى إليك من الكتاب ، وأقم الصلاة) وقال عز وجل (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، وقال جل وعلا (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا نحن رزقك) وعاطب جميع المؤمنين فأمرهم بالاستعانة على طاعته كلها ، بالصبر والصلاة ، فقال (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) وقال تعالى (وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة) فذكر الخيرات كلها جملة وهي جميع الطاعات مع اجتناب جميع المعاصي ، فأمر بالصلاة بالذكر وأوصاهم بها خاصة ، وبالصلاة أوحى النبي صلى الله عليه وسلم أنه عند خروجه من الدنيا فقال : الله الله في الصلاة وفيها ملكوت أيمانكم فهي آخر وصيته صلى الله عليه وسلم . وجاء في الحديث : أنها آخر وصية كل نبي لأنه ، وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا « فالصلاة أول فريضة فرضت عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته ، وهي آخر ما أوحى به أمته وآخر ما يذهب به من الإسلام » ، وأول ما يسأل العبد عنه من عمله يوم القيامة ، وهي عمود الإسلام وليس بعد فعلها دين ولا إسلام . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أول ما تنقلون من دينكم الأمانة » ، وآخر ما تنقلون من الصلاة ، وليصلين أقوام لا خلاق لهم ، فترك الصلاة يكفر عند إيمانه أحد ربه الله إذا تركها

جاحدا لوجوبها ووجوب قتلہ لاختلاف فی مذہبہ . وأما إن ترکها تبارنا وكسلا مع اعتقاد وجوبہا ودعی لیتعلها ، فإن لم یصلها حتی تضایق الوقت الذی یلیها فیکفر وقیل بالسیف لکفره ، وبعد أن یتتاب ثلاثة أيام کالمرة فی الخاتین ، ویكون ماله قیا یوضع فی بیت مال المسلمین ، ولا یصلی علیه ولا یدفن فی مقابر المسلمین ، وعتة لا یجب قتلہ فی التبارون حتی یترو ثلاث صلوات یتضایق وقت الرابعة ، ویقتل حدا کالمزانی المحصن : وحکمہ حکم أموات المسلمین یرث ماله ورثته من المسلمین . وقال الإمام أبو حنیفة رحمه الله : لا یقتل ولكن یحبس حتی یصلی فیتوب أو یموت فی الحبس . وقال الإمام الشافعی رحمه الله : یقتل بالسیف حدا ولا یکفر ، والدلیل علی کفره ما ذکرنا فیها تقدم من الآیات والأخبار ، وتزید علیها بما روى عن جابر ابن عبد الله رضی الله عنہما قال : إن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ، ما بین الرجل وین الکفر والشک إلا ترک الصلاة . وروی عن عبد الله بن زید عن أبيه رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ، یبئنا ویبئهم ترک الصلاة ، فمن ترکها فقد کفر . وروی عن جعفر بن محمد عن أبيه رضی الله عنه قال : إن رسول الله صلی الله علیه وسلم أبصر رجلا یشر فی صلاته کما یشر الغراب ، فقال : لو مات هذا مات علی غیر دین محمد صلی الله علیه وسلم وعن عطیة العوفی عن أبي سعید الخدری ، رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ، إذا ترک الرجل صلاته متعمدا کتب الله علیه علی باب النار فیمن یدخلها . وعن أنس بن مالك رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ، ألا من نام عن صلاة العتمة ولم یصلها نقول الملائكة : لا نأتم عینک ولا قرنا ، حبسک الله بین الجنة والنار کما حبسنا .

(فصل) مروی عن الحسن البصری رحمه الله أنه قال : کان العلماء من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم یقولون : خمس وأربعون خصلة مکروهة منہی صیاً فی صلاة الفریضة . وهي : التمتحن عمدا ، والتشاغل عمدا ، والتعاطس عمدا ، ورفع الرأس إلی السماء ، لما روى عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه کان یقلب بصره فی السماء ، فخرت (الذین هم فی صلاتهم خاشعون) لفظاً رسول الله صلی الله علیه وسلم رأسه ، فكانوا یستحیون لرجل أن لا یجاوز بصره مصلاه . ومنها إصباغ الخنک بالصبغ ، وقیل التوب ، والتمطی ، وتنفس الصعداء ، وتقبض العینین ، والالتفات فی الصلاة ، لما روى عتبة بن حاضرم رضی الله عنه فی قوله تعالی (الذین هم علی صلاتهم دائمون) قال : إذا صلوا لم یلفضوا یمنی ولا شمالا . وقالت عائشة رضی الله عنها : سألت رسول الله صلی الله علیه وسلم عن التفات الرجل فی صلاته ، فقال : إنما هی اختلاصة الخنک الشیطان من صلاة العبد . وقیل : جاء طلحة ، یعنی ابن مصرف الخلی عبد الجبار بن الولی وهو فی القوم ، فسأله ثم انصرف ، فقال عبد الجبار : أکتبون ما قال ؟ قال : رأیتک أمس التفت وأنت تصلی ، وقد جاء فی الحديث عن رسول الله صلی الله علیه وسلم ، إن العبد إذا فتح الصلاة استقبله الله بوجهه ، فلا یصرفه حتی یتکون العبد هو الذی یتصرف أو یلتفت یمنی وشمالا ، وفی حدیث آخر : إن العبد ما دام فی صلاته فله ثلاث خصال : البر

يتمتع عليه من حنان السماء إلى مفرق رأسه ، وملائكة يحفون من لذن قلعه إلى عنان السماء ،
ومناد ينادى : لو يعلم المصل من يناسب ما أتقّل ، أئى الفث وانصرف ، والاتقّلت مكروه
جدا . وقد قيل : إنه يقطع الصلاة ، وفيه استخفاف بحرمة الصلاة وآدابها ، ومن ذلك
الإلقاء في القعود فيها ، والرد على الإمام ، وانقراش المراقبين في السجود ، ووضع الصدر على
الفتحين في السجود ، وضغ الأبطين إلى الجنبين في السجود : بل يفرق بينهما ، ولا يلفقهما .
لأنه مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا سجد لم يمت بيمينه تحت ذراعيه كشدت ،
وذلك لشدة مبالغته في رفع مرقبيه عن ضبعيه . وفي حديث آخر : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا سجد يحدّث بين ضبعيه ، ومن ذلك تفرق الأصابع في السجود ، بل يضمها ، ووضع
ليدين دون الركبتين في الركوع ، ووضع القدمين إحداها على الأخرى ، وتطبيقهما من الأرض ،
والسدل على الإزار والسرابيل ، والتخليل والتلطف ، واستراط الطعام مقدار الحبة والحببتين ،
والتمس أن يردد ويبلغ ، والفث بالسنان والتفخ في السجود ، وتسوية الحصى ، والمشي عرضا
ورفع الصوت على جليتك في التشهد ، ومعرفتك من عن يمينك ومن عن خمالك ، والإيماء ،
والإشارة ، وبلغ الجشاء ، أو ما يخرج من الحلق ، والاستعجال ، والتسخط ، والبهز ، والنظر
في الثياب ، ومسح التراب عن الجبهة قبل أن ينصرف وتسوية الحصى أكثر من مرة واحدة .
وتنفس موضع السجود ، والدعاء بعد التشهد إذا كنت إماما ، والقعود في الخراب بعد التسليم
حتى ينصرف من مكانه إلى يساره ، والقفد باليد بالأصابع في الصلاة ، والعبث بالعبثية والثوب
فيها ، لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه
مع بدنه ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بعبثته فقال : لو خشع قلب هذا
خعشت جوارحه . ونظر الحسن رحمه الله إلى رجل يعبث بالحصى وهو يقول : اللهم زدني من
الخيرات العين ، فقال : بني الخاطب أن تخطب وأنت تعبث ، وقال عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله
رضي الله عنه أنه قال : ليتني أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء أولا ترجع إليهم أبصارهم ،
يعني في الصلاة . وقال الأوزاعي رحمه الله : يكون الرجلان في الصلاة وبين أحدهما وبين
الأخر كما بين السماء والأرض ، علما مقبل على الله تعالى بقلبه ، وهذا له وصاء ، وقد صح
الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : للمصل من له من صلاته نصفها ، فذكر إلى عشرها ،
يعني بذلك ما عقل منها وحضر قلبه فيها : وفي حديث آخر أنه قال صلى الله عليه وسلم : لمصل
أربعين صلاة ، ولمصل مائتا صلاة ، ولمصل مائة وخمسون صلاة ، ولمصل سبعون صلاة ،
وصلاة بخمسين صلاة ، وصلاة بسبع وعشرين صلاة ، وصلاة بعشر صلوات ، وصلاة بصلاة
واحدة : فالذي يكتب له أربعة صلاة فهو الذي يصل بمكة في البيت الحرام مع الإمام في الجماعة
بعد أن لا قوته التذكيرة الأولى ، والذي يكتب له مائتا صلاة فهو الإمام الذي يؤم الناس بعد
أن يعرف أحكام الصلاة ، والذي يكتب له مائة وخمسون صلاة فهو المؤذن ، والذي له سبعون
صلاة فهو الذي يستاك ويسبح وضوحه ويصل في الجماعة ، والذي يكتب له خمسون

صلاة فهو الرجل الذي يصل في الجامع مع الإمام في الجماعة ، ويكون قد فاتته تكبيرة الإحرام ، والذي يكتب له سبع وعشرون صلاة فهو الرجل الذي يسبح وضوءه ويصلي في المسجد في الجماعة ولا تقوته تكبيرة الإحرام ، والذي يكتب له عشر صلوات فهو الرجل الذي يلحن الجماعة وقد فاتته تكبيرة الإحرام ، والذي يكتب له صلاة واحدة فهو الذي يصل وحده في غير جماعة ، والذي لا صلاة له هو الذي يصل وينقر كتفرك التيك ولا یمّ وكوعها وسجودها ، وهو الذي تطوى صلواته كاللوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ، ويقال له : لا حفظك الله كما لم تحفظ صلاتك .

(فصل) وينبغي لكل مصل أن يقدم التبة لصلاته ، ويمثل الكعبة البيت الحرام أمامه ونعصب حربه على ما تقدم بيانه في أول الكتاب ، ويتيقن قيامه بين يدي الله تعالى ، ولا يشك أنه بعين الله متعصب حيث يراء لقوله تعالى (والذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) ، ولقول الرسول صل الله عليه وسلم « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك » وينوي الصلاة الفريضة بينا بالأداء والقضاء فهو أول ، ويرفع يديه إلى فروع أذنيه أو حلقه منكبه . وقد بينا صفة ذلك في أول الكتاب ، وهل يضم الأصابع بعضها إلى بعض أو يفرجها على روابين : وإذا رفع يديه وكبر كأنه رفع الحجاب الذي بينه وبين الله تعالى ، فوصل في المكان الذي لا يفرز الخلقت فيه ولا التشاغل عنه ، لعلمه أنه بعين من يرى حركته ، ويعلم ما يتلجلج في نفسه وينظرى عليه سره وقلبه ، فينظر موضع سجوده ، ولا يلتفت مبتدئاً وخلا ، ولا يرفع رأسه إلى السماء ، وإذا قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، علم أنه يخاطب من هو سامع منه مقبل عليه ناظر إليه ، ولا يحنى عليه موضع شعرة ولا حركة جالوجة عنه ، وكذلك قوله (إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم) يقول ما يقول ويدري من يخاطب بهذا الخطاب ، ولا ينسى مع ذلك الخشوع والتحفظ حذرا ، من وقوع السهو عليه فيها هو قائم له ومائل فيه ، وبأى إحدى عشرة تشبذة في الفاتحة ، ويجوز اللحن الذي يذو المعنى فيها ، فإن قراءتها فريضة ، وهي ركن تبطل الصلاة بتركها ، ومع ذلك يرى كأنه وافق على الصراط ، وأن الجنة من يمينه بصفها ، والنار عن شماله بما فيها ، وأنه بصلاته مستنجز ما وعده الله عز وجل بها ، إذا صحت صلواته من ثواب الجنة ومستحسن بها من وعيد الله بعقاب النار ، كال ذلك يتيقن من قلبه ، وحضور من عقله ، ويعتقد مع ذلك أنه يصل صلاة مودع لا يشك أنها تعرض حل الله تعالى ، وأنه لا يصح له منها إلا ما يصح له عند الله فقط . ثم يأتي بقراءة ما ينسر من السور الكوامل ، وهي أول من قراءة أو آخرها وأوسطها ، ويكون منصتا إلى ما يقرأ منهما إلى ما يلفظ وينار ، وكذلك إن كان مأموما ينصت إلى قراءة الإمام وبفهمها ويحفظ بمواضعها ، ويعتقد امتثال أوامرها والاتباء عن نواهيها هكذا إلى أن تنهى السورة ، فإذا فرغ من القراءة ثبت قائما وسكنا حتى يرجع إليه نفسه قبل أن يرجع ، ولا يصل قراءته

بشکرة الركوع ، ثم يركع ويرفع يديه إلى فروع أذنيه أو حفظه منكبيه على ما بينا في أول الكتاب ، فإذا انقضى التكبير خط يديه ، ثم التحط من قيامه للركوع ، ويلقن راحته ركبته ، ويفرق بين أصابعه ، ويعتمد على خبجه وساعديه ، ويسوى ظهره ، ولا يرفع رأسه ، ولا يخفض فيهكسه ، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا ركع لو كانت قطرة ماء على ظهره ما تحركت عن موضعه » وجاء عنه صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا رجع لو كان قدح من ماء على ظهره ما تحرك عن موضعه » وذلك لاستواء ظهره صلى الله عليه وسلم ، ويقول : سبحان رب العظم ثلاثا وهو أدنى الكمال . وقال الحسن البصري رحمه الله : التسبيح الثام سبع ، والوسط من ذلك خمس ، وأدناه ثلاث تسبيحات ، ثم يرفع رأسه مسجداً فيتنصب معتدلاً فيطعن مترسلاً يديه ، ثم ينحط للسجود فيبدأ بوضع ركبتيه على الأرض ثم يديه ثم جبهته وأفقه ، ويستمكن من الأرض ويطن في سجوده ، ويتوجه بكل عضو منه وجزء إلى القبلة . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمرت بالسجود على سبعة أعظم » . وفي حديث آخر « إن العهد بسجد على سبعة أعضاء ، فأي عضو منها ضيع لم يزل ذلك العضو يلته » ويكون في سجوده متقبلاً لا ينسط على الأرض ، ولا يفرش ذراعيه ، بل يضع أصابع يديه على الأرض حتى يجاذى بها أذنيه أو منكبيه الموضع الذي يستحب رفع اليد إليه في التكبير في حال القيام ، ولا يضعهما خلف رأسه ، ويضم أصابعهما ويوجههما نحو القبلة ، وبين العضدين عن الجنبين ، والخصفين عن اليمين ، والباطن عن الأرض على ما تقدم بيانه ، ويقول في سجوده : سبحان رب الأعلى ثلاثا كالركوع ، ثم يرفع رأسه مكباً ، ويجلس على رجله اليسرى ، وينصب اليمنى ويقول : رب اغفر لي ثلاثا ، ناظراً إلى حجره ، ثم يسجد ثانية كذلك ، ثم يرفع رأسه مكباً عن الأرض ثم يديه ثم ركبتيه معتدلاً على ركبتيه ، فينهض على صدر قدميه ، ولا يقدم إحدى رجليه لأنه مكروه . وقيل : إنه يقطع الصلاة مروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ويفعل كذلك في الركعة الثانية ، فإذا جلس للشهد الأول جلس على رجله اليسرى ، وينصب رجله اليمنى ويرجه أصابعه نحو القبلة ، ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ، ويده اليمنى على فخذه اليمنى ويشير بأصبعه التي تلي الإبهام وهي السبابة ، ويخلق الإبهام مع الوسطى ، ويقبض الخنصر والبنصر ، ويكون ناظراً إلى أصبعه من أول تشهده إلى آخره ، لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان أحدكم في الصلاة فجلس فلا يبعث بشيء » ، فإنه ينادي ربه ، ولكن يجعل يده اليسرى على فخذه اليسرى ، ويده اليمنى على فخذه اليمنى ، ثم ليكن قلبه وبصره إلى أصبعه فإنها مذبة للشيطان ، ويشهد فيقول : « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ثم يقوم مكباً يقرأ الفاتحة فحسب ، ويركع ويسجد كذلك ، ثم يصلي الركعة الرابعة كذلك ، ثم يجلس للشهد فيأتي به على ما ذكرنا ، فإذا بلغ عبده ورسوله قال : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك

عل محمد وعل آل محمد : کما بارکت علی إبراهیم ، إنک حید عیدہ . - وعن إمامنا أحمد رواية أخرى : أنه يذكر إبراهیم ثم يذكر آلہ فيقول علی إبراهیم وعل آل إبراهیم ، وهذا آخر التشديد . ويستحب له أن يستعيذ من أربع فيقول « اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المسيح الدجال ، ومن فتنة الدنيا والموت » ثم يدعو فيقول : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون » اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » . وإن زاد على ذلك جاز ، إلا أن يكون إماما فيطول ذلك على السامعين ، فالمستحب الاقتصاد حفظاً لقلوبهم ، لعل أن يكون فيهم ذو الحاجة ، ثم يسلم ويدعو لنفسه ولوالديه وللمسلمين ، ويكون في جميع ذلك متخوفاً من عاقبتها ، كيف وقد وقعت عند الله عز وجل الناحي إليها الأمر بها للثيب عليها والمعاقب عليها عند إسماعيل ، فإذا خرج منها عرضها على العلم ، فإن شهد لها ببراءة الساحة وسلامة الميزلة حمد الله تعالى وأثنى عليه إذ جعله أهلاً لذلك ، وإن وجد فيها نقصاناً وخللاً تاب إلى الله عز وجل واستغفر الله وتائب واجتهد في التحفظ في التي بعدها ، والصلاة المقبولة علامة بينة والسرودة علامة ، فعلمة القبور لشيئاً وكفها لصاحبها عن القواحش والتأكير ، وترغيبه في الخير وتجهيد نية في الصلاح والازدياد من الطاعات ولعل الخيرات ، والرغبة في الثوابات وارتقاعه عن الأسواء وكراهة المعاصي والخطيئات ، لقول الله عز وجل (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) وهذا الذي ذكرنا يشترك فيه الإمام والمأموم والمفرد . فلما شرائط الصلاة وواجباتها ومسئولياتها فقد ذكرناها في أول الكتاب ، والله الموفق للصواب .

(فصل : فيما يختص بالإمام) ولا ينبغي الرجل أن يكون إماماً حتى تكون فيه هذه الخصال التي نذكرها ، وهي أن لا يحب أن يقدم وهو يحد من يكفيه ذلك ، ولا يقدم وهناك من هو أفضل منه ، لأنه جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنا أقم أقوم رجل وخلقه من هو أفضل منه لم يزلوا في سجال » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لأن أعدم فتضرب عنق ولا يقريني ذلك من أثم غير من أن أقدم قوما فيهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن يكون لأركا كتاب الله ، فقيها في دين الله ، بصيراً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه جاء في الحديث « اجعلوا أمر دينكم إلى فقهاءكم ، وأمتكم قرائكم » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يؤمكم خيركم فيهم وفودكم إلى الله عز وجل » وإنما خصهم صلى الله عليه وسلم بذلك لأنهم أهل الدين والفضل والعلم بالله عز وجل والخوف من الله تعالى ، الذي يتون بصلاتهم وصلاة من خلفهم ، ويتقون ما يلزمهم من وزر أنفسهم ووزر من خلفهم إن أساءوا في صلاتهم ، وما أراد

صلی اللہ علیہ وسلم بالقرآن الحفظ للقرآن فحسب من غیر أن یعملوا به ، وإنما أفراد صلی اللہ علیہ وسلم العمل بالقرآن مع حفظه ، وقد جاء فی الحديث : « إن آمن الناس بهذا القرآن من كان یعمل به وإن كان لا یقرؤه » وقد یحفظ القرآن من لا یعمل به ولا یبدأ بإقامة حدوده عما فرض اللہ علیہ من العمل به وما نہاہ من النہی عنه ، فلا تنفی نحن به ولا کرامة له ؛ قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم : « ما آمن بالقرآن من استحل حرامه » فلا يجوز للناس أن یقدموا علیہم فی صلاتہم إماما إلا أعلمہم باللہ وأخوفہم له ، فإن خالفوا وقد تموا غیرہ لم یزالوا فی سفال وإدبار وانتفاص فی دینہم وبعد من اللہ تعالیٰ ومن رضوانہ وجنتہ ، فرحم اللہ قوما اعتنوا بدینہم وصلواتہم ، قد تموا خیارہم والتجروا فی ذلك سنة نبیہم صلی اللہ علیہ وسلم ، وطلبوا بذلك القرۃ إلى ربہم تبارک وتعالیٰ . وینبی أن یکون الإمام حافظا لسانہ من حیب الناس علیہ وغیبہم له ، إلا من الظہر ، ویکون بأمر بالمعروف وبمنہی عن المنکر وبمنہی عن الخیر وأهلہ ، ویغض الشر وأهلہ ، حارقا بمواہیت الصلاة عافطا علیہا ، مقبلا علی شأنہ ، عقیف البطان والفرج ، متقیض البد عن الحرام ، قلیل السعی إلا فی ابتغاء مرضاة اللہ عز وجل ، یقوموا حولاً صبوراً علی الأذى ، یغضی عن الشر ویستعمل بمن یتکلم فیہ ، ویصبر علی من یجھل علیہ ، ویحسن إلى من أشاء إلیہ ، ویکون غصیض الطرف عن المحارم ، إن رأى عورة سترها ، وإن رأى غزبة دنبا ، یرض عن الجاهلین ویقول : اللہم سلماً ؛ الناس منه فی راحة ، وهو من نفسه فی عناء ، حریصاً علی فکاک رقبته ، مجدداً فی خلاص نفسه ، ویعلم أنه قد یل یسئ . عظیم جلیل خطره ، کبیر شأنہ ، ولیکن همه ما قد کلف بہ من عظم قدر الإمامة وخطر قدرها وغیرہا : قلیل الکلام إلا فیما یمنیہ ، له حال وللناس حال ، إذا قام فی عہدہ علم أنه قائم فی مقام النبیین ، وخليفة سید المرسلین ، یتأجی رب العالمین یتحرى الاجتهاد تمام الصلاة والتسليم من خلقہ ، من تقلد إمامتہ ، خلیف الصلاة فی تمام ، یصل بصلاته أضعفہم ، فیری من نفسه أنه دونہم وأنه یجئ بإمامتہم ، وأن اللہ تعالیٰ یسأله عن أداء القرائن عن نفسه وعنه ، وهو یقدمہ بالک علی عظیمتہ ، نادم علی ما سلف من تفرطہ وقدم آثامہ ، وما انقضی من أوقانہ ، لا یتکبر علی من خلفہ ، ولا یخیر علی من هو دونہ ، ولا یعصب حمة نفسه ، إذ قیل ما فیہ وما هو عنہ بریء ولا یحب خدمہ ولا یکرہ نفعہم ، فتکون الجماعة عنده فی الجاہلین سواء ، لم یحرب علیہ کلمة ، طیب الطعام ، نظیف اللباس ، متواضعا فی إیسة متخاشعا فی جلستہ ، غیر محدود فی الإسلام ، ولا ذاریة فی الأنام ، ولا انحازا علی أشیہ عند السلطان ، ولا یشیع أسرار الناس : أی لا یفتشہا ، ولا هو صاع إلى شر الناس ، ولا یؤخذ فی لعیہ ، ولا خائن فی وعیہ ویمارہ وعاریہ ، ولا یتقدم وهو خیر المطعم والمکسب ، ولا یتقدم وهو یشتہی الإمامة ، ولا یتقدم وهو یعلم أن فیہ حسداً ولا بغیا ولا حسداً ولا إحداً ولا غلاً ولا دغا ولا ترة ، ولا طالباً ثاراً ، ولا منتصراً لنفسہ ، ولا متشلقاً من غیظ ، ولا متقیعاً عورة رجل مسلم ، ولا غاشاً لأحد من أمة محمد صلی اللہ علیہ وسلم ، ولا یتکلم فی فتنہ ولا یسئ فیہا ولا یقریبہا ، بل یبعث أهل الحق علی

(۱) یقدمہ أنه یرید الارشاد علی الناس اہ صحیحہ .

أهل الباطل بيده ولسانه وقلبه ، يقول الحق وإن كان مراداً تأخذه في الله لومة لائم ، ولا ينبغي مدح الناس له ، ولا يكره ذمهم ، ولا يخص نفسه بشيء من الدعاء ، بل يعصم الدعاء له وفي وقت ما يدعو عقيب الصلاة بهم ، فإن أفرد نفسه بذلك كان خيانة منه لهم ، ولا يؤثر بعضهم على بعض إلا أولى العلم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليليني أو الوالأحلام والنهي ، وكذلك الذين يلونهم وراء ظهوره ، ولا يقرب النبي ويؤذي بالتفكير ، ولا ينبغي له أن يتقدم بتروم وفيهم من يكره إمامته ، فإن كان فيهم من يكرهه ومن لا يكرهه نظر ، فإن كان الأكثر يكرهونه اعتزل الحراب ولا يقربه ، هذا إذا كانت كراهتهم له يعلم وحس ، وإن كانت مجهول وباطل وروحته نفس أو عصبة للعصب أو هوى لم يلتفت إلى كراهتهم ، ولا يترك الصلاة بهم إلا أن يخاف الفتنة في التروم لأجله ، فيلتجئ ويبتذل الحراب لذلك حتى يصطالحوا ويرضوا ، ولا ينبغي له أن يكون عماري ولا حلالاً ولا لعاناً ، ولا يدخل في مداهل السوء والهم ، ولا يألف ولا يخاطب من الناس إلا الصالحين ، ولا ينبغي له أن يكون إماماً وهو يحب الفتنة وأهلها ، ثم العصبة وأهلها ، والرياسة وأهلها . وينبغي أن يكون صبوراً على أذية الناس متوددا إليهم ، طالبا لمغفرتهم ، مجتهداً في نصيحتهم ، لا يماري على الإمامة ولا يقاتل عليها من كفاء مؤلفيها ، ولقد نقل عن الأكابر عن تقدم من السلف الصالحين أنهم كرهوا الإمامة وقنعوا من ليس هو مثلهم في الشرف والعبادة ابتغاء حل المؤنة عنهم وتحقينا ، وعيفة من تقصير يقع لهم . وينبغي للإمام إذا حضر عنده ذو سلطان أن لا يتقدم عليه في الصلاة إلا بإذنه ، وكذلك لا يجلس إلا بإذنه وإذا نزل بقرية أو محلة أو قبيلة أو حتى من أحياء العرب لا يؤمهم إلا بأذنه ، وكذلك إذا اتفق مع قوم في قافلة وسفر وجميع التمام لا يؤمهم إلا بأذنه . وينبغي للإمام أن لا يجلس الصلاة بل يغفها مع التمام لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان أحدكم إماماً فليخفف : فإنه يقوم وراء الصغير والكبير وذو الحاجة ، وإذا صلى لنفسه فليقبل مائشاً ، وعن أبي واقد رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوجز الناس صلاة على الناس ، وأدوم على نفسه :

(فصل) وينبغي للإمام أن لا يدخل في الصلاة ولا يكره حتى ينوي الإمامة بقلبه ، وإن تلفظ بلسانه كان أحسن ، ولتفت بينا وشمالا فيسرى الصفوف فيقول : استقيموا يرحمكم الله ، اعتزلوا رضي الله عنكم ، وأمرهم بسد الصرح وتسوية المشايخ ودنو بعضهم من بعض حتى تماس مناكيهم ، لأن اختلاف المشايخ والاحتجاج الصفوف نقص في الصلاة وحضور الشياطين وقيامهم مع الناس في الصفوف ، جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : راصوا الصفوف وحاذوا المشايخ وسدوا الخلل حتى لا يقوم بينكم مثل أولاد الخلف ، يعني مثل أولاد الغنم من الشياطين : وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة لم يكره حتى يلتفت بينا وشمالا ، فأمرهم بتسوية مناكيهم ويقول : لا تختلفوا تختلف قلوبكم . « ورأى صلى الله عليه وسلم يوماً رجلاً قد خرج صلبه من الصف فقال : لست من مناكيكم أو ليخالفن الله

تعالیٰ بین اللہ ربکم۔ ولہا اتفق علیہ مسلم والبخاری رحمہما اللہ عن سالم بن ابی الجعد رحمہ اللہ قال سمعت النعمان بن بشیر رضی اللہ عنہ قال : کان النبی صلی اللہ علیہ وسلم یقول : لتسون صفوفکم أو لیمالکن اللہ تعالیٰ بین وجوہکم۔ . وفي حدیث آخر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصّوا صفوفکم، فان تسوية الصفوف من تمام الصلاة، وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان اذا قام مقام الإمام لا يكبر حتى يأتيه رجل قد وكله باقامة الصفوف فيخبره أنهم قد استوتوا فيكبر حينئذ . وكذلك كان يفعل عمر ابن عبد العزيز رحمه الله . وروى أن بلالا المؤذن رضي الله عنه كان يسوّي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالرة حتى يستوتوا . وقال بعض العلماء : إن الظاهر من هذه أنه كان يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند إقامته قبل أن يدخل في الصلاة لأن بلالا رضي الله عنه لم يؤذن لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوما واحدا عند مرجعه من الشام فزمن أن يكر الصديق رضي الله عنه ، بسأله وسؤال الصحابة رضي الله عنهم شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ، فلما بلغ بلال رضي الله عنه إلى قوله : أشهد أن محمداً رسول الله ، امتنع من الأذان فلم يقدر عليه ، فسقط مغشيا عليه حبا للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقا إليه ، واشتد عند ذلك بكاء أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى خرجت العرائق من صدورهن شوقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فثبت بذلك أن شربه لعراقيب الناس كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وينبغي للإمام أن لا يدخل طاق القبلة فيمنع من وراءه وقبته ، بل يخرج منه قليلا . وعن إمامنا أحمد رحمه الله رواية أخرى : أنه يستحب قيامه فيه ، ولا يقف مقاماً أعلى من مقام المؤمنين ، فان فعل ذلك قبل بطل صلاته على وجه . وينبغي له إذا سلم من صلاته أن لا يلبث في محرابه ، وليتم وليتفتح إلى يساره ، فليأت بتفله ناحية من المحراب ، لما روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يتطوّع الإمام في مقامه الذي يصل فيه بالناس المكتوبة . وأما المأموم فجائز له ذلك ، وهو غير إن شاء صلى في موضعه أو يتأخر قليلا : وينبغي أن تكون له سكتان سكتة عند افتتاح الصلاة ، وسكتة إذا فرغ من القراءة قبل أن يركع حتى يتنفس ويسكن وهي قراءته . ولا يصل قراءته بتكبيرة الركوع ، لأن ذلك مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه : وينبغي إذا صلى إلى ستر أن يدنو منها ، ولا يدع بينه وبينها فرجة بعدة ثلاثين بينهما كلب أسود بيهم أو حمار أو امرأة ، فإن صلاته تنقطع بذلك عند أحمد إمامنا رحمه الله . وعنه في المرأة والحمار رواية أخرى لأبأس بهما : وينبغي له إذا ركع أن يسبح له ثلاث تسيحات على ما ذكرنا ، ولا يسرع فيها ولا ياتر ، وليكن بها من كلامه ويكده ويمكن ، لأنه إذا أسرع بالتسيح لم يدركه من خلقه ، فيؤدي ذلك إلى مسابقة المأمومين ففسد صلاتهم ، فيرجع وزدوم إليه . وكذلك يلحق له إذا رقع رأسه من الركوع وقال : سمع الله لمن حده ثبت قائماً معتدلاً ويقول : ربنا ولك الحمد من غير عجلة في كلامه حتى يدركه المأمومون ، وإن زاد على ذلك قليل : ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، جاز

لأن ذلك مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم . وجاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع يقوم حتى يقال قد نسي » وكذلك يثبت في السجود وفي جلسته بين السجدين ليدركه من خلفه في الركعتين ، ولا نظر إلى قول من يقول : إذا فعل ذلك سبقه المأموم فبطلت صلاته : إذا تكرّر ذلك منه ، ففي ذلك فساد لأن الناس إذا رأوه يقدم ذلك ويوافق عليه علموا أن التثبيت فإياه فتيروا له ولم يبادروا ، ثم يقال للإمام : يستحب لك أن تحوّلهم قبل الشروع في الصلاة وتحلّهم من مسابقتك على ما نذكره في الفصل الذي يليه ، فلا يؤدي ذلك إلى فساد بل إلى مصلحة عامة ونظام صلاة الجميع ، ولقد جاء في الحديث أن كل مصلّ راع ومستول عن رعيته . وقيل : إن الإمام راع لمن يصل بهم ، فعل الإمام النصيحة لمن يصل خلفه ، وبناهم عن المسابقة في الركوع والسجود ، وبجس أدبهم إذ هو راع لهم ومستول غذا عنهم ، وبتمّ صلاته وبمكناها وبجسها حتى يكون له مثل أجر من يصل خلفه ، وإلا عليه مثل أوزارهم إذا أساء وقصر .

(فصل) ويجب على المأموم أن ينوي الاتّباع ، ويقف على يمين الإمام ولا يقف قدامه ولا عن يساره ، فإن كانوا جماعة فالسنة أن يقفوا خلفه ، فإن كبر عن يمينه وجاء آخر فانه يكبر معه ويحصل معه صفا ثم يخرجان وراء الإمام ، فإن كبر الثاني أخرجهما الإمام بيده ، ولا يقدم هر عن موضعه إلا أن يكون وراءه شيخ ، وإذا حضر الجماعة فوجد في الصف فرجة دخل فيها ، وإن لم يجد وقف عن يمين الإمام ، ولا يجذب رجلا فيقوم معه صفا لأنه يؤدي إلى المرح والفتنة والبغضاء والمناوأة ، ولأنه يؤدي ذلك إلى بطلان صلاة التجذوب ، لأنه يصير خطأ بذلك ، وذلك يبطل الصلاة عندنا ، ولكن يجتهد فيحصل كنفية في الصف ، فيكبر ويحرم بالصلاة ، ثم يخرج مع واحد منهم إلى وراء الصف ، وإذا دخل المسجد والإمام في الركوع كبر تكبيرين : إحداهما للإحرام ، والأخرى للركوع ، فإن كبر واحدة ونواهما جاز ، وإذا دخل الإمام في التشهد الأخير استحبه له أن ينوي الصلاة ويكبر ويجلس مع الإمام ليدرك فضل الجماعة ، فإذا سلم الإمام بنى على تكبيرته وصل .

(فصل) ويلبى للمأموم أيضا أن لا يسبق الإمام في التكبير ولا في الركوع والسجود ولا في الوقوف منها ، ويجتهد ذلك جدا ، ويجتهد وسعه ويملك طاقته أن تكون أفعاله جميعها في الصلاة حبيب فعل إمامه ، وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، من ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أما يخاف الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوك الله رأسه حاك » وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإمام يرفع يديه قبلكم ويسجد قبلكم ويرفع يديكم » . وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال « كنا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا انحطّ من قيامه لا يهني أحد منا ظهره حتى يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جبهته على الأرض ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبوتون خلفه قياما حتى ينحطّ النبي صلى الله عليه وسلم ويكبر ويضع جبهته على الأرض

و هم قيام ثم يتعزونه : و بعد جلاء عن الصحابة رضى الله عنهم انهم قالوا : لقد كان رسول الله صلى
وسلم يستوى قائما وانا سجد بعدة . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار أو رأس
خنزير . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : أما
يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار ؟ وروى أن ابن مسعود رضى
الله عنه نظر إلى من سبق الإمام فقال : لا وحبك صليت ولا بإمامك اقتديت . وروى أن من لم يصل
وحده ولم يقف بأمامه فلذلك الذى لا صلاة له . وكذلك روى أن ابن عمر رضى الله عنهما نظر
إلى من سبق الإمام فقال له : ما صليت وحبك ولا صليت مع الإمام ، ثم ضرب به وأمره أن يعيد
الصلاة . وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
: إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع رأسه فارتفعوا
وموسم : وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا جميعا : ربنا لك الحمد ، وإذا سجد فاسجدوا ،
ولا تسجدوا قبل أن يسجد ، وإذا رفع رأسه فارتفعوا وموسم ، ولا ترفعوا رؤوسكم قبل أن يرفع
وإذا صلى جالسا فصلوا أجمعين جلوسا . وروى إمامنا أبو عبد الله أحد راحة الله في رسالة له
بإسناده عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا صلاتنا وعلمنا ما نقول فيها ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إذا كبر الإمام فكبروا ، وإذا قرأ فاتصتوا ، وإذا قال غير المضروب عليهم ولا المضالين
فقولوا آمين ، يستجيب الله تعالى لكم ، وإذا كبر فكبروا ، وإذا رفع رأسه فقال : سمع الله لمن
حمده ، فارتفعوا وموسم وقولوا اللهم ربنا لك الحمد ، يسمع الله لكم ، وإذا كبر وسجد
فكبروا واسجدوا ، وإذا رفع رأسه وكبر فارتفعوا وموسم وكبروا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : فذلك بئسك ، وإذا كان في القعدة فليكن من قول أحدكم التحيات لله والصلوات
والطيبات ، حتى تفرغوا من التشهد . قال الإمام أبو عبد الله أحد بن محمد بن حنبل الشيباني
رحمه الله وأما على مذهبه أصلا وفرعا ، وحشرنا في زمرته : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا
كبر فكبروا » معناه أن ينتظروا الإمام حتى يكبر ويفرغ من تكبيره ويتقطع صوته ثم يكبرون
بعدة : والناس يفلطون في هذه الأحاديث ويجهلونها مع ما عليه عالمهم من الاستخفاف
بالصلاة والاستبانة بها ، فثارة بأخذ الإمام في التكبير فيأخذون معه في التكبير ، وهذا خطأ
لا ينبغي لهم أن يأخذوا في التكبير حتى يكبر الإمام ويفرغ من تكبيره ويتقطع صوته وهكذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم : « إذا كبر الإمام فكبروا » والإمام لا يكون مكبرا حتى يقول : الله أكبر ،
لأن الإمام لو قال الله ثم سكنت لم يكن مكبرا حتى يقول : الله أكبر فيكبر الناس بعد قوله :
الله أكبر ، فأخذهم في التكبير مع الإمام خطأ ، وترك قول النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنك
لو قلت إذا صلى فلان كلمته كان معناه أن انتظره حتى إذا صلى وفرغ من صلاته كلمته ،
وليس لك أن تكلمه وهو يصلي ، وكذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا كبر الإمام

فكبروا ، وربنا طوك الإمام في التكبير إذا لم يكن له قفه ، والذي يكبر معه ربنا جرم التكبير ففرغ من التكبير قبل أن يفرغ الإمام ، فقد صار هنا مكبرا قبل الإمام ، ومن كبر قبل الإمام فليست له صلاة ، لأنه دخل في الصلاة قبل الإمام وكبر قبل التكلام فلا صلاة له ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا كبر وركع فكبروا واركعوا ، معناه : أن ينظروا الإمام حتى يكبر وركع وينقطع صوته ، وهم قيام يبعثونه ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : فإذا رفع رأسه وقال : سمع الله لمن حمده فارفعوا رؤوسكم وقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، معناه أن ينظروا الإمام وينبتوا ركبوا حتى يرفع الإمام رأسه ويقول : سمع الله لمن حمده ، وينقطع صوته وهم ركوع ، ثم يبتعدون فيركعون رؤوسهم ويقولون : اللهم ربنا لك الحمد ، وقوله : فإذا اكبر وسجد فكبروا واسجدوا ، معناه : أن يكونوا قياما حتى يكبر وينحط السجود ويضع جبهته على الأرض وهم قيام ، ثم يبعثونه . وكذلك جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وهذا كله موافق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : الإمام يركع قبلكم ويسجد قبلكم ويرفع قبلكم ، وقوله : إذا كبر ورفع رأسه فارفعوا رؤوسكم وكبروا ، معناه أن يبتدوا سجودا حتى يرفع رأسه ويكبر ، فإذا انقطع صوته وهم سجود اتبعوه فرفعوا رؤوسهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم : فذلك بقلبك يعني انتظاركم إياه قياما حتى يكبر وركع وأنتم قيام فتبعونه ، وانتظاركم إياه ركوعا حتى يرفع رأسه ويقول : سمع الله لمن حمده وانقطع صوته وأنتم ركوع ، فإذا قال : سمع الله لمن حمده وانقطع صوته وأنتم ركعوا اتبعوه فرفعتم رؤوسكم وقلم ربنا لك الحمد ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : فذلك بقلبك في كل رفع وانخفض ، وهذا إتمام الصلاة فاعتقلوه وأبصروه وأحكموه . وأعلموا أن كثيرا من الناس يوم القيامة ما تكون لهم صلاة لسبق الإمام بالركوع والسجود والرفع والانخفاض . قد جاء في الحديث : أنه يأتي على الناس زمان يصلون ولا يصلون ، ويوشك أن يكون زمانا هذا ، فإن الغالب عليهم مسابقة الإمام وتضييع أركان الصلاة وواجباتها ومسراتها ونعماها .

(فصل) ويجب على من رأى من يقصر في صلاته ويقطع أركانها وواجباتها وآدابها أن يعظه ويعلمه وينصحه ليصلح فيها بني ويستغفر عما مضى ، فإن لم يفعل كان شريكه في ذلك وعليه وزره وأثمه . وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه ، قلوا أن تعلم الجاهل واجب على العالم ولازم له وفرض عليه لما توجده صلى الله عليه وسلم بالويل في السكوت عنه ، لأن الوعيد لا يستحقه إلا من ترك الواجب والفرض دون النفل . وجاء في الحديث عن بلال بن رباح أنه قال : الخطيئة إذا خفيت لم تنصف إلا صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغفر ضرت العامة ، وذلك لتركهم ما ألزمهم من التغيير والإنكار على من ظهرت الخطيئة منه وسكوتهم عنه ، فلما سكروا تخلفهم الأمر والويل على الجميع ، وشارك الحسن النبي في إسمائه إذا لم يبه وينصحه : وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : من رأى من يسيء في صلاته فلم يبه شاركة في وزرها وعملها ويكون موافقا

لشيطان اللعين ، لأنه يريد أن يسكت عن الكلام في ذلك ، وأن يترك التعاون على البر والتقوى
 القليلين أوصى الله تعالى بهما في قوله عز وجل (وتعاونوا على البر والتقوى) الآية . والنصيحة التي
 هي واجبة عليهم بعضهم البعض ، ويريد أن يضمحل الدين ويذهب الاسلام ، وبأنهم الخلق
 كلهم ، فلا ينبغي للماتل أن يطيع الشيطان ، قال الله عز وجل : (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما
 أخرج أبويكم من الجنة . وقال جلا وعلا (إن الشيطان لكم عدو فاتخلوه عدوا ، إنما يدعو حزبه
 ليكونوا من أصحاب السعير) . واعلم أن جميع ما يوجد من النقص في الصلاة والزكاة وجميع
 سائر العبادات لسكوت أهل العلم والفقه والتصبر عنهم وترك النصيحة والتعليم والتأديب ، فنبأ
 ذلك أولا من أهل الجهل ، ثم يعم أهل العلم وينسب إليهم ، ومن العجب لو رأى رجلا من يسرق
 حبة واحدة أو رغيفا من إنسان يهودي أو مسلم لم يهلك من نفسه حتى يصبح عليه وزجره
 ويضيق له ذلك ، وإذا رأى من يصلي ويسرق أركان الصلاة يستقلها مع الواجب ويسابق الإمام
 سكت عنه ولا يعلق ، فيترك عليه ويعلمه ويسبون أمره . وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنه قال « شر الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ، قالوا : يا رسول الله وكيف يسرق
 من صلاته ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا يتم ركوعها ولا سجودها » . وعن الحسن البصري رحمه
 الله قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بشر الناس سرقة ؟ قالوا بل من هو
 يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الذي لا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها » . وقال سلمان
 القارسي رضي الله عنه : الصلاة ميكال ، فن وفي وفي له ، ومن ظنفت فقد علمتم ما قال الله
 تعالى في الظنفتين . وعن عبد الله بن علي بن شيبان رضي الله عنه ، وكان من الوقت الذين
 وفدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى صلاة
 عبد لا يتم صلبه في ركوعه وسجوده » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال « إن رجلا دخل
 المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فجلس ، ثم جاء إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فرد عليه السلام وقال : ارجع فصل فانك لم تصل فصل كما
 صلى ، ثم جاء فسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجع فصل فانك لم تصل فصل ففعل
 ذلك ثلاث مرات ، فقال : والذي يهلك بالحق نبي ما أحسن غير هذا فعلمني ، فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : إذا قمت إلى صلاتك فأفسح الوضوء ، ثم استقبل القبلة فركع ، ثم اقرأ
 ما تيسر منك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن ركعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن
 ساجدا ، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن
 جالسا ، ثم اصنع ذلك في صلاتك كلها » . وفي حديث آخر عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه
 قال « بينما نحن جاز من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل رجل فاستقبل القبلة فجلس ،
 فلما قضى صلاته جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قومه ، فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : ارجع فصل فانك لم تصل أمره بذلك مرتين أو ثلاثا ، فقال الرجل : ما أقصر
 ما قدرت فلا أدري ما عني من صلاتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لانتم صلاة

أحدكم حتى يسبح الرضوء كما أمر الله تعالى فيضل وجهه ويديه إلى الرقبتين ، ويمسح رأسه ويضل رجله إلى الكعبين ، ثم يكبر الله تعالى ويحمده ، ثم يقرأ من القرآن ما أذن له فيه ، ثم يكبر فيضع كفيه على ركبتيه حتى تظعن مفاصله وتسترخى ، ثم يقول : سمع الله أن حمده ، ويستوى قائماً حتى يقم صلبه ، يأخذ كل عضو مأخذته ، ثم يكبر ويسجد ويمكّن وجهه حتى تظعن مفاصله وتسترخى ، ثم يكبر ويستوى قاعداً على مقعده ويقم صلبه ، فحرف صلاته هكذا أربع ركعات ، حتى فرغ ، ثم قال : لأنتم صلاة أحدكم حتى يفعل كذلك « فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإتمام الصلاة والركوع والسجود ، وأخبر أن الصلاة لا تقبل إلا مكثلاً وما وسعه صلى الله عليه وسلم السكوت حين رأى الرجل يصل صلاة ناقصة ، فلو جاز تأخير البيان عن وقت الحاجة وترك الإنكار على الجاهل وتعليمه لسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كل ذلك إلى ما قد بين من قول الصحابة رضي الله عنهم ويجاوز عنه ، فلما بالغ في ذلك الإنكار عليه والتعليم له دلّ على وجوب ذلك ، وتنبه صلى الله عليه وسلم من حضرة من الصحابة رضي الله عنهم أن يفعلوا كذلك إذا رأوا من يفعل في صلاته مثل ما فعل ذلك الرجل وعلموا أصحابهم وأصحاب أصحابهم كيفية أحكام الشرع إلى أن تقوم الساعة .

(فصل) ويجب على المؤذن أن يصلح من لسانه مالا يلحق في الشهادتين ، ويكون عارفاً بالأوقات ، وأن لا يذّن إلا بعد دخول الوقت إلا في النجس خاصة ويحسب بأذنه وجه الله تعالى ، ولا يأخذ على أذنه جزء ، ويستقبل القبلة بوجهه في التكبير والشهادتين ، ويؤلى وجهه يمينا وشمالاً في الدعاء إلى الصلاة ، وإذا أذن لصلاة المغرب جلس بين الأذان والإقامة جلسة خفيفة ، ويكره له أن يذّن وهو جنب أو محدث ، ولا ينبغي له أن يشقّ الصفوف إذا فرغ من الإمامة ليقيم في الصف الأول ، ولا ينبغي له أن يقم في غير موضع الأذان إلا أن يشقّ عنه محل أن يكون قد أذن في منارة ، فإنه يقم مواضع الصلاة ، أو حيث يسر له .

(فصل) فرحم الله من أقبل على صلاته خاشعاً خاضعاً ذليلاً لله عز وجل خائفاً واحياً راغباً وجيلاً مشفقاً ، اجياً وجعل أكثرهمته في صلاته لربه تعالى ، وسماجته إياه واتصافه بين يديه قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، وفرغ لذلك قلبه وثمرة فؤاده ، واجتهد في أداء فرائضه ، فإنه لا يدري هل يصل صلاة بعد التي هو فيها أو يعاجل عليه برفاهته قبل ذلك ، فقام بين يديه عز وجل عز وجل عز وجل مشفقاً يرجو قبولها ، ويخاف ردها ، إن قبلها سعد وإن ردها شق ، فما أعظم خطر كل يأبى المؤمن للشغل بأمر الإسلام في هذه الصلاة وفي غيرها من عماله ، وما أولئك من المهم والخزن والخوف والوجل فيها وفيما سواها ، مما افترض الله تعالى عليك أنك لا تدري هل قبلت منك صلاة أو حسنة قط أم لا ؟ وهل غفرت لك سيئة أم لا ؟ وأنت على ذلك ضاحك فرح لخلل متنتع بالعيش ، كيف وقد جاء اليقين من غير صادق أمين أنك وارد النار فقال جل وعلا (وإن منكم إلا واردها) ولم يأتك اليقين أنك صاعد عنها ، فمن أحمق بطول الركاء وطول الخزن منك حتى يتقبل الله منك ، ثم مع ذلك لا تدري لم لك لا تصيح إذا أمسيت

ولا تخشى إذا أصبحت ، فبشر بالجنة أم مبشر بالنار ؟ فحقيق أن لا تفرح بأهل ولا ولد ولا مال ، وإن العجب كل العجب من طول غفلتك وطول سهوك عن هذا الأمر العظيم وأنت تساق سرفاً حثيثاً في كل يوم وليلة ، وفي كل ساعة وطرفة عين ، فتوقع أهلك ولا تغفل عن هذا الخطر العظيم الذي قد أنشأك ، فإنيك لابد ذاتي الموت والايه ، ولعله يزل بساحتك في صباحك أو مساءك أشر ما تكون عليها إقبالا ، فإنيك قد أخرجت من ذلك كله وسلبته فاما إلى الجنة وإما إلى نار انقطعت عنها الصفات ، وفصرت العبارات والحكايات عن بلوغ حقيقة وصفها ومعرفة قدرها وأنواع عذابها والإحاطة بغياب خيرها . قال العبد الصالح رحمه الله : عجبت لأمر كيف نام هاربا ، وعجبت للجنة كيف نام طالبا ! لو الله لأن كنت خارجا من الحرب والطلب لقد هلكت هلاكاً بينا وعظم شقاؤك وطال حزنك وبكائك غدا مع الأشقياء الملعدين ، ولئن زعمت أنك حارب طالب ، فلا تغرنك الأمان والعجب بما أنت متحل به ، فدوئك الجسد والجاهد ، واحذر النفس والشيطان ، فإن متقيهما دقيق وغافلتهما شديدة ومكايدهما خبيثة ، واحذر الدنيا فلا تأخذك بزيئها وتحذرك بأباطيلها وكنسها وخضرتها وتضرها وقد جاء في الحديث عن سيد البشر « إن الدنيا تغرّ وتغرّ وتضرّ وتضرّ » قال الله عز وجل (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور) فالغرور هو الشيطان الرجيم الله الله ثم الله ، احذر الهلاك والرذى ، احفظ الصلاة وما سواها من الأوامر ، واته عن المناهى أجمع ، وفر الإنم ما ظهر منه وما بطن ، وسلم إلى ربك جميع المقدور فيك وفي غيرك ، وانقد لربك بطاعته فيما أمرك ونهاك ولا تنفر منه بل ارتكبتك ما نهاك عنه ، ولا تسخطه عليك باعترافك عليه في تدبيره فيك وترك رضاك عنه ، فإني قسم لك من الأقسام والأرزاق ، وفعل فيك من الأفعال ، ما طوى عنك مصالحها وأغنى عنك عواقبها ، وما سيظهر لك من أغليب ثمارها ومنافعها ، قال عز من قائل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ولكن أبدا طامعا لمولائك راغيبا بقضائه صابرا على بلائه شاكرا لآلائه داعيا بأسمائه ، ذاكرا لأنعمه وآياته ، موافقا لفعله ومراده ، غير منهم له في تدبيره فيك وفي خلقه ، حتى تأتيك الوفاة ، فتتروى مع الطيبين ، وتغشى مع النبيين ، وتدخل جنات النعيم برحمة رب العالمين ، ومشيئة إله الأولين والآخرين .

(فصل) وأما صلاة الخاصة لإيقاظ المتيقظين الخاشعين المراقبين ، حراس القلوب جلساء الرحمن رضوان الله عليهم وسلامه ، فصلتها ما روي أن يوسف بن عصام مرّ في جامع من جماع خراسان فإذا هو بحفلة عظيمة ، فسأل عنها ف قيل له : إنها حفلة حاتم ، وهو يتكلم في الزهد والورع والخوف والرجاء ، فقال لأصحابه : قوموا بنا نسأله عن مسئلة من أمر الصلاة ، فإن هو أجابنا عنها جلسنا إليه ، فوقف عليه وسلم عليه وقال رحك الله في مسألة ، قال : له حاتم مل ، قال : أسألك عن أمر الصلاة ، فقال له حاتم : تسألني عن معرفتها أو عن أدبها ؟ قال : ففصّلت مسائلتين ، وجب هما جوابان ، فقال يوسف : أسألك عن أدبها ، فقال حاتم : هو أن تقوم بالأمر ، وتنتهى

بالاحصاب ، وتدخل بالنية ، وتكبر بالعظيم ، وتقرأ بالتريل ، وترجع بالتشوع ، وتسجد بالترضع ، وتشهد بالإخلاص ، وتسلم بالرحمة ، فقال أصحاب يوسف : صله عن معرفتها ، فسأله ، فقال حاتم : هو أن تحمل الجنة عن يمينك ، والدار عن شمالك ، والصراف تحت قدميك والبركان تحت عينيك ، والرب عز وجل كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك ، فقال يوسف : يا شاب منذ كم تصل هذه الصلاة ؟ قال : منذ عشرين سنة ، فقال يوسف لأصحابه : قوموا بنا نغضى حتى نعبد صلاة خمسين سنة ، ثم التفت إليه فقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتبك التي كنت تحلبها عليا . وحديث أبي حازم الأخرج رحمه الله يلقى بهله البهلة فذكره ، وذلك أن أبا حازم رحمه الله قال : لقيني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على ساحل البحر ، فقال لي : يا أبا حازم أتعين أن تصل ؟ قلت : وكيف لأحسن أن أصلي وأنا بصير بالفرافض وما استقر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا أبا حازم ما الفرض عليك قبل قيامك إلى الصلاة ؟ قلت : سنة ، قال : وما هي ؟ قلت : الطهارة ، والاستنار ، واختيار موضع الصلاة ، والقيام إلى الصلاة ، والنية ، والتوجه إلى القبلة ، قال لي : يا أبا حازم لبأئ تبة تخرج من بيتك إلى المسجد ؟ قلت : بنية الزلزلة ، قال : فبأئ تبة تدخل المسجد ؟ قلت : بنية العبادة ، قال : فبأئ تبة تقوم إلى العبادة ؟ قلت : بنية العبودية مقرأ له بالعبودية ، قال : فأقبل علي وقال : يا أبا حازم كم تستقبل القبلة ؟ قلت : بثلاث فرائض وسنة ، قال : وما هي ؟ قلت : التوجه إلى القبلة فرض ، والنية فرض ، والتكبير الأول فرض ، وربع الدين سنة ، قال : فكم من التكبير عليك فرض وسنة ؟ قلت أصل التكبير أربع وتسعون تكبيرة ، منها خمس فرض ، والباقي كلها سنة ، قال : فم تستفتح الصلاة ؟ قلت : بالتكبير ، قال : فما يراها ؟ قلت : قراءتها ، قال : فما جوهرها ؟ قلت : تسبيحها ، قال : فما إسماؤها ؟ قلت : عشرتها ، قال : فما الحشر ؟ قلت : النظر إلى موضع السجود ، قال : فما وقارها ؟ قلت : السكون ، قال : فما تحريمها ؟ قلت : التكبير ، قال : فما تحلبها ؟ قلت : التسليم ، قال : فما شعارها ؟ قلت : التسميع عند انقضائها ، قال : فما مفتاح ذلك كله يا أبا حازم ؟ قلت : الرضوخ ، قال : فما مفتاح الرضوخ ؟ قلت : التسمية ، قال : فما مفتاح التسمية ؟ قلت : النية ، قال : فما مفتاح النية ؟ قلت : اليقين ، قال : فما مفتاح اليقين ؟ قلت : التوكل ، قال : فما مفتاح التوكل ؟ قلت : الخوف ، قال : فما مفتاح الخوف ؟ قلت : الرجاء ، قال : فما مفتاح الرجاء ؟ قلت : الصبر ، قال : فما مفتاح الصبر ؟ قلت : الرضا ، قال : فما مفتاح الرضا ؟ قلت : الطاعة ، قال : فما مفتاح الطاعة ؟ قلت : الاعتراف ، قال : فما مفتاح الاعتراف ؟ قلت : الاعتراف بالوحدانية والربوبية ، قال : فم استغذت ذلك كله ؟ قلت : بالعلم ، قال : فم استغذت العلم ؟ قلت : بالتعلم ، قال : فم استغذت التعلم ؟ قلت : بالعقل ، قال : فم استغذت العقل ؟ قلت : العقل عقلان ، عقل تفرّد الله بصفته دون خلقه ، وعقل يستفيد المرء بتأنيبه ومعرفته ، فإذا اجتمعا جميعا عضد كل واحد منهما صاحبه ، قال : فم استغذت ذلك كله . قلت : بالتوفيق ، وقتنا الله وإياك لما يحب ويرضى . ثم قال : والله لقد آكلت مفاتيح الجنة ، لما

القرض عليك ، وما فرض القرض ، وما قرض يؤدى إلى فرض ، وما السنة الداخلة في القرض : وما سنة يتم بها القرض ؟ قلت : أما القرض : فالصلاة ، وأما فرض القرض : فالطهارة ، وفرض يؤدى إلى فرض : أخذك الماء يمينك إلى شمالك ، وأما السنة الداخلة في القرض : فتحذيك الأصابع بالماء ، وسنة يتم بها القرض فهي الشيطان ، فقال : ما أبقيت على نفسك حجة يا أبا حازم ، لكم فرض وسنة عليك في أكل الطعام قلت : هل في أكل الطعام فرض وسنة ؟ قال : نعم : أربعة فرض ، وأربعة سنة ، وأربعة مكروهة ، فأما القرض : فالسنة : والخمسة . والشكر : ومعرفة ما أعطاك الله ، وأما السنة : فأنكأوك على فعلك الأيسر ، والأكل بثلاث أصابع ، وشدة المضغ ، ولعن الأصابع ، وأما المكروهة : ففعل البيهين ، وتصغير القم . والأكل مما يهلك ، وأن تقل النظر إلى جلبك ، هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب تشير فيه إلى صلاة الجمعة والعيدين وصلاة الاستسقاء والكسوف والخسوف والقصر والجمع وصلاة الجنبلة مختصرا

(لنصل) أما صلاة الجمعة فالأصل في وجوبها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ، وفروا البيع) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض عليكم الجمعة في يوم الجمعة » وقول النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه » فكل من لزمه الصلوات الخمس يلزمه فرض الجمعة إذا كان مسوطا مقبلا ببلد أو قرية جامعة فيها أربعون رجلا عتلاء بلباء أسراراً ، وإن كانت قرية ليس فيها أربعون رجلا ، وكان من حيث يسمع النداء من قرية أخرى أو مدينة بينهما فرسخ وجب عليه إتيانها ، ولا يسه التخلف عنها إلا أن يكون له عذر ، أو فاته بعد في تركها ، وترك الجماعات في بقية الصلوات مثل أن يكون مريضا ، أو يكون له مال يخاف ضياعه ، أو قريب يخاف موته في غيبته ، أو ينافعه الأغنياء البول والفاط أو أحدهما ، أو حضره الطعام وبه حاجة إليه ، أو يخاف من سلطان أن يأخذ له ، أو خرج يلازمه ، ولا شيء معه يعطيه ، أو يكون مسافرا يخاف قوات القافلة ، أو يخاف ضررا في ماله ، أو يرجو وجوده يتخلفه عن الجمعة والجماعة ، أو عليه الناس حتى يفوته الوقت ، أو يخاف التأذي بالمطر والوحل والرياح الشديدة ، وهي وكعتان يصلها بعد الخطبة مع الإمام ، فإن فاتته يصل أربعاً ظهرا إن شاء وحده وإن شاء بجماعة ، ووقتها قبل الزوال في الوقت الذي تقام فيه صلاة العيد . وقال بعض أصحابنا : في الساعة الخامسة ، ومن شرط انعقادها حضور أربعين رجلا ممن يجب عليهم الجمعة ، وفي رواية غسون ، وفي رواية ثلاثة . ومن الظهر بالقراءة فيها ، وأن تكون سورة الجمعة بعد الفاتحة في الأولى ، وسورة المنافقين في الثانية . وهل يشترط إذن الإمام ؟ على

روایتیں ، ومن شرطها الخطیبتان : وليس لما سنة قبلها ، ولما بعدها فأقلها ركعتان ، وأكثرها ست ركعات ، مروى ذلك في حديث بعض الصحابة رضي الله عنهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قال بعض العلماء بالله عز وجل : تستحب أن يصلي قبل صلاة الجمعة اثنتي عشرة ركعة وبعدها ست ركعات ، ويختب البيع والشراء بعد الأذان عند المنبر لقوله تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) وهذا هو الأذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واجب علينا ، والغيرها فرض على الكفاية . وروى عنه أنه سنة . ولما أذان المنارة فأمر به عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمانه لمصلحة عامة وهي إعلام الغائبين عن الأمصار والقرى فلا يطل البيع ولا الشراء . ويستحب أن يضل إذا دخل الجامع ، وكان في الوقت سنة أربع ركعات يقرأ فيها (قل هو الله أحد) مائتي مرة ، في كل ركعة خمسين مرة ، فإنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة لويرى له ، رواه ابن عمر رضي الله عنهما ، وإذا دخل الجامع فلا يجلس حتى يصل ركعتين قبل أن يجلس ، وقد ذكرنا فضائل الجمعة وصفة الخروج إلى الجامع وجميع ما يتحقق بذلك فيما تقدم .

(فصل) ولما صلاة العيدين لفرض على الكفاية إذا قام بها جماعة من أهل موضع سقطت عن الباقي ، فإن اتفقوا على تركها قائلهم الإمام حتى يتبرأ ، ولو كان وقتها إذا ارتفعت الشمس وآخره إذا زالت ، ويستحب تقديمها في عيد الأضحى لأجل الأضحية ، وتأخيرها في عيد القطر لعدم ذلك . ومن شرطها : الاستيطان والعدد وإذن الإمام كالجُمعة ، وعن إمامنا أحمد رحمه الله رواية أخرى أنه لا يشترط جميع ذلك ، وهو مذهب الإمام الشافعي رحمه الله . ويستحب المأثرة إليها وليس الثياب الفاخرة والطيب كما قلنا في فضائل الجمعة من قبل . والأولى أن تقام في الصحراء ، وذكره في الجامع إلا للعلماء ، ولا بأس بحضور النساء . والأولى أن يكون في خروجه ماشيا ، وأن يرجع في طريق أخرى . وقد ذكرنا العلة في ذلك في فضائل العيدين ، وينادي لها الصلاة جماعة ، وهي ركعتان يكثر في الأولى بعد دعاء الاستفتاح وقبل التعمد سبع تكبيرات ، وفي الثانية قبل القراءة خمس تكبيرات ، يرفع يديه مع كل تكبيرة ويقول : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلوات الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما ، فإذا فرغ من التكبير استأذنه وقرأ الفاتحة ، وقرأ (سبح اسم ربك الأعلى) . وفي الثانية (قل تلك حديث الغاشية) ، وإن قرأ في الأولى (قل والقرآن المجيد) وفي الثانية (اقتربت الساعة واتسق الناس) فهي رواية منقولة عن إمامنا أحمد رحمه الله ، وإن قرأ غير ذلك جاز . وكذلك في تأخير الاستفتاح إلى حين القراءة روايتان : إحداهما يستفتح عقيب تكبيرة الإحرام ، والأخرى يؤخر مع التعمد إلى حين القراءة ، وإذا صلى العيد لا يشتغل بالزواجل من الصلاة ، وكذلك لا يصل قبلها ، بل يرجع إلى أهله ويصنع عملهم بحضوره ، ويصنع خلقه مع أهله ، ويجتهد في التوسعة عليهم في النفقة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيام العيد أيام أكل وشرب

وبال : وهذا عام في يومي العيدين وأيام التفریق ، وإن صلوا في المسجد جائز ، فإذا دخل المسجد فلا يجلس حتى يصل ركعتين تحية المسجد لقول النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يأتي ركعتين ، وهذا عام في يومي العيدين وغيره . وإنما نص إمامنا أحد على منع التفرق إذا كان في الفصل ، لأنه مروى من غير وجه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل قبل ولا بعد ، وهو قول عمر وعبد الله بن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في الفصل في الجلائفة ، ولو كانت في المسجد لما كان صلى الله عليه وسلم يترك تحية المسجد ، فإن فاته جميع صلاة العيد استحب له فضاؤها وهو غير في ذلك بين أن يصل أربعة كصلاة الضحى بغير تكبير ، أو بتكبير كتهنئة ، فيجمع أمته وأصحابه كل ذلك إليه ، وله بذلك فضل كثير :

(فصل) وأما صلاة الاستسقاء فسته تمام ، يفرج لها الإمام كما يخرج للعيدين ضحوة ، ليس كصلاة العيدين في جميع صفاتها وموضعها وأحكامها . ويستحب له التنظيف والتطهر من جميع الأحداث والأوساخ ، غير أنه لا يستحب التطيب ، لأنها حالة الافتقار والدليل وطلب الحاجة ، ولهذا يستحب الخروج إليها بلباس البذلعة المشروع والتضرع والاستكانة والانكسار والخزن ، وأن يخرج معهم الشيوخ والعجائز والصبيان وأصحاب العاقات ، وأن يفرجوا من الظلم والحقوقي من القصب وغيرها ، وقد عز وجل من الزكوات والتطور والكفارات ، ويكثروا الصدقة والصيام ، ويحدثوا التوبة ، ويغزوا على اللقائمة عليها إلى المئات ، ولا يبارزوا الرب سبحانه بكبره من الذنوب ولا صغيرة ، ويستحيوا منه عز وجل في الخطوات ، إذ لا غلرة منه ، فلا تفتي عليه غانية في الأرض ولا في السماء ، هو عالم بالسر والعلانيات . وكذلك يستحب أن يتوسلوا بالزهاد والصالحين وأهل العلم والفضل والدين ، لما روى أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج يسئس ، فأخذ بيد العباس رضي الله عنه فاستقبل القبلة فقال : اللهم هذا هم نبينا جئنا نوصل به إليك فاسقنا به . قال : فما رجعوا حتى نسقوا ، لأن منع القطر وحبه عقوبة ومثابة عن شؤم معاصي بني آدم . ولهذا إذا مات الكافر وغير وجده منكر وتكبير وسأله عن ربه ونبيه ودينه ولم يقدر على الجواب ، يضره به بحرزية فيصبح صبيحة يسمعهما الخلاق غير الجن والإنس ، فيلته كل شيء حتى شاة القصاب والسكين على حلقها ، فنقول : لعنه الله هذا الذي كنا نمنع القطر لأجله ، وهو قوله عز وجل (أولئك يعلمهم الله ويعلمهم اللاعنون) فإن الأدنى إذا فسد تعدى فسادا إلى كل شيء من الحيوانات وإذا صلح تعدى صلاحه إلى كل شيء ، ففساده لمصيبة لربه ، وصلاحه لطاعته له عز وجل فيصل الإمام أو نائبه بالناس ركعتين بغير أذان ولا إقامة ، يكبر في الأولى ستا سوى تكبيرة الإحرام ، وفي الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام من السجود ، حل ما ذكرنا في صلاة العيد ، ويذكر الله عز وجل بين كل تكبيرتين كقولك : فلذا صل خطيب بهم ، وإن خطب قبل الصلاة جاز . وفي رواية عنه : أنه ظهر في ذلك : ونقل عنه رحمه الله أنه لا يسن لها الخطبة ، وإنما

يدعو فحسب : فيفعل الإمام من ذلك ما ييسر عليه : فإذا غلبت الفتحة بالكثير كما يفعل في خطبة العيد ، ويكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقرأ في خطبته (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفورا ، يرسل السماء عليكم مدرارا) الآيات ، فإذا فرغ من الخطبة استقبل القبلة ، فحرك رداءه فجعل ما كان على منكبيه الأيمن على الأيسر ، وما على الأيسر على الأيمن ولا ينكسه ، ويفعل الناس كذلك ، ويتركونه حتى يرجعوا إلى أهلهم ، فيزعمونه مع ثيابهم ، بفعلونه تفاؤلا بشحوك القحط ، ولأن السنة بذلك وردت ، وهو ما روى عباد بن نعيم ، عن عمه رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بالناس ينسئ ، فصل بهم ركعتين ، جهرا بالقراءة فيهما ، وحرك رداءه ودعا واستسقى واستقبل القبلة ثم يرفع يديه فيستقبل القبلة فيدعو بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اسقنا غيثا مغيثا مرينا هنيئا مريعا غيثا جلالا ، وروى مجتلا عاما طبقا مما دائما ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا حطب ولا علق ولا بلاء ولا هدم ولا غرق ، اللهم إن بالبلاد والبلاد والبلاد والبلاد من الأرواء والبلاء والجهد والفتك ما لا يشكوى إلا إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الفروع ، واسقنا من بركة السماء ، وأنبت لنا من بركات الأرض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري ، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إلك كنت غفارا ، فأرسل السماء علينا مدرارا ، ويدعو مثل ذلك : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ، ووعدنا إجابتك ، فقد دعونا كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا . وقيل : إنه يستقبل القبلة في أثناء الخطبة ويصمها مستقبل القبلة ، ثم يردفها بالدعاء : والأولى ما قلنا من أنه إذا فرغ من الخطبة استقبل القبلة ، لأن الخطبة وحظ وزجر وتخويف ، وذلك إنما يحصل إذا وجه الناس واستقبلهم ليبلغ إلى أجمعهم وقلوبهم ، وأما إذا استقبل القبلة فقد استدبرهم وقد كان بين أيديهم حين صلى بهم (فصل) وأما صلاة الكسوف ، فهي سنة مؤكدة ، ووقتها من حين الكسوف إلى حين التحلل ورد نورهما إليهما ، يعني إذا كسفت الشمس وحسف القمر ، فمن حين يتبدى ظهور السواد والكدر ونقصان الشعاع يدخل وقت الصلاة إلى أن يزول ذلك ، فإذا زال : زال وقت الصلاة ، والسنة أن تصل في الجامع موضع صلاة الجمعة ، وينادي لها الصلاة جامعة ، فيصل بهم الإمام ركعتين ، يحرر بالأول ويستفتح ويستعذ ، ويقرأ الفاتحة ، ثم يقرأ سورة البقرة ، ثم يركع فيطيل الركوع ، يكثر فيه التسبيح بقدر مائة آية ، ثم يرفع رأسه قائلا : سمع الله لمن حمده ، ثم يقرأ الفاتحة وآل عمران ، ثم يركع دون الركوع الأول ، ثم يرفع رأسه كذلك ثم يسجد سجدتين طويلتين يسبح في كل واحدة بقدر مائة آية ، ثم يقوم إلى الثانية يقرأ الفاتحة ، ويقرأ سورة النساء ، ثم يركع فيطيل ، ثم يرفع ويقرأ الفاتحة والمائدة ، وإن لم يحسن هذه السور قرأ غيرها من سور القرآن بعدد آياتها ، فإن لم يحسن إلا قل هو الله أحد قرأها على التفصيل كذلك ، فتكون قراءته في القيام الثاني كثلثي قراءته في القيام الأول ، وتكون قراءته في القيام الثالث وهو إذا رفع من السجود إلى القيام كتصنيف قراءته في القيام الأول ، وتكون قراءته في القيام الأخير وهو الرابع

کٹائی قیام الثالث ، وهو الذى قبله ، وأما التسبیح فهو کتلى قراءته فی کل قیام ، ویرکع بعده من غیر خلف ، ثم یسلم . فتكون أربع رکعات وأربع حیدات ، ویزید فی کل رکعة رکوعا واحدا ، وإن انجل والناس فی الصلاة استحب تحفیفا ولا یقطعونها ، ومن أراد أن یصلیا وحده فی بیت أو مع أهلہ جاز . والأولی ما ذکرنا ، والأصل فی صلاة الکسوف علی ما بینا ما روى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت « کسفت الشمس علی عهد رسول الله صلی الله علیه وسلم فأتی النبی صلی الله علیه وسلم للصل ، فکبر وکبر الناس ، ثم قرأ فجهر بالقراءة ، وأطال القیام ، ثم رکع فأطال الركوع ، ثم رفع رأسه فقال : سمع الله لمن حده ، قرأ وأطال القراءة ، ثم رکع فأطال الركوع ، ثم رفع رأسه ، ثم سجد ، ثم رفع رأسه ، ثم سجد ، ثم قام ، ففعل فی الثانية مثل ذلك ، ثم قال صلی الله علیه وسلم : إن الشمس والقمر آیتان من آیات الله لا ینخسفان لموت أحد ولا حیاة ، فإذا رأیتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة » .

(فصل ۴) وأما صلاة الخوف فجازز فعلها بشرائط أربع : أحدها : أن یکون العدو مباح القتال . والثانی : أن یکون فی غیر جهة القبلة . والثالث : أن لا یؤمن هجومه . والرابع : أن یکون فی القوم کثرة یمکن تفرقهم طائفتین ، فیحصل فی کل طائفة ثلاثة فصاعدا ، فتجعل إحدى الطائفتین بإزاء العدو ، والأخرى خلفه ، فیصلی بها رکعة فإذا قام إلى الثانية فارتفع الطائفة وصلت الركعة لأنفسها نازية للمفارقة ، لأنه لا یموز للمأموم أن یشارك إمامه إلا بنية قسمل ونقص إلى وجه العدو ، فتأتی الطائفة الأخرى فتحریم بالصلاة خلف الإمام فتصل مع الركعة ، ویجلس الإمام وتقوم من فصل الركعة الأولى ، ویجلس والتشهد ویسلم بهم الإمام ، غیر أنه یطیل القراءة فی الركعة الثانية بقدر ما تم الطائفة الأولى الركعة الثانية ونقص إلى أصحابها ، وتأتی الطائفة الأخرى فتحریم مع ، ویطیل التشهد فی حق الطائفة الثانية حتى تتم الركعة التي علیها وتلزمه فی التشهد ، ویسلم بها ، وتحصل له فضيلة السلام مع الإمام وللأولی فضيلة التحريم مع الإمام ، هكذا صلاها رسول الله صلی الله علیه وسلم بالمسلمین فی غزوة ذات الرقاع ، وقد قال صلی الله علیه وسلم فی حديث سهل بن أبی خزیمة رضی الله عنه « یقوم الإمام وصف خلفه ، وصف بین یدی العدو ، فیصل بالذین خلفه رکعة وسجدتین ، ثم یقوم قائما حتى یصلوا لأنفسهم رکعة ، ثم تنقذهم أخرى أولئك مکان هؤلاء ، ثم یبیء أولئك فیقومون مقام هؤلاء ، فیصل بهم رکعة وسجدتین ، ثم یبعد حتى یقفوا رکعة أخرى ، ثم یسلم بهم » . وقد روى عن إمامنا رحمه الله ما یدل علی جواز تأخیر الصلاة فی حالة التحام القتال والمطاردة إلى حین زوالها ووضع الحرب أوزارها ؛ فهذا الذى ذکرناه من صفة صلاة الخوف فی صلاة القیم . والرابعة إذا قصرت فی السفر . وأما المغرب فیصل بالطائفة الأولى رکعتین ، وبالثانية رکعة ، ولا یقص منها شیء لأنها لا تقصر ، فإذا جلس فی التشهد الأول فهل تغارقه الطائفة أو حین یقوم إلى الثالثة ؟ حل وجهین ، وإن خاف بالخصر صلی بكل طائفة رکعتین ، ونقصی لأنفسها رکعتین ، وإن فرقه أربع فرق لم تصح صلاته وصلاة الفرقة الثالثة والرابعة ، وهل تبطل صلاة الأولى

والثانية؟ على وجهين ، هذا الذى ذكرناه إذا كان العدو وراء القبلة أو عن يمينهم وشمالها ولما إذا كان في جهة القبلة فيرى بعضهم بعضا ، ولا يتوهم هناك كين لهم ، جاز أن يمس بهم صلاة الخوف ، فيجعلهم صفين أو ثلاثة على قدر كثرتهم وقتلهم ، ويحرم بهم أجمعين ، فيصل الركعة الأولى ، فإذا أراد السجود سجد الجميع إلا الصف الأول الذى يليه ، فإنه يقف فيحرمهم حتى يقوموا إلى الركعة الثانية ثم يسجد فيلحقهم قياما ، فإذا سجد الإمام في الركعة الثانية وقف الصف الأول الذى سجد معه في الركعة الأولى ، فيحرمهم إلى أن يجلس الإمام في التشهد ، ثم يلحقه في التشهد فيلحقه ، فيسلم بالجميع . هكذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلاها بعصفان ، وإن تلخر في الركعة الثانية الصف الأول وتقدم الصف الثاني إلى مكان الأول فيحرس جاز ، وإن اشتد الخوف والتحم القتال صلوها جماعة وفرادى على أى حال أمكنكم رسالا ، وركبانا ، مستقبل القبلة ومستدبرها ، إماما وغير إمام . وحل عليهم افتتاح الصلاة من جهين إلى القبلة أم لا ؟ على روايتين ، فإن حصل الأمن وانكسر العدو بنواحل صلاتهم ونزلوا عن ظهور دوابهم مترجعين ، وإن شرحوا في الصلاة مطمئنين ثم اشتد الخوف ركبوا وأتموا صلاة خوف ، وإن احتاجوا إلى الضرب والطمع والكر والفر ، ونجوز هذه الصلاة لكل خائف من عدو ، كالسبع والسيل وقطاع الطريق وغير ذلك ، وكذلك إذا كان عاليا للعدو وبخرف فوته عند هزيمته يصلونها على إحدى الروايتين .

(فصل) وأما قصر الصلاة فبأثر إذا جاوز بيوت قريته أو خيام قومه ، فيقصر الرباعية فيصليها ركعتين إذا كان سفره طويلا ، وهو ستة عشر فرسا أربعة برد ، وهي ثمانية وأربعون ميلا بالمناخي ، والبريد الواحد أربعة فراسخ ، فيقصر مارا وجاليا ، فإن دخل بلدة أو قرية فنوى الإقامة فيها التين وعشرين صلاة أتم ، وكان حكمه حكم المقيم ، وإن نوى إحدى وعشرين صلاة فعل روايتين ، ودون ذلك قصر ، وإن نزل بلدة ولم ينو رحل ولا نية له بلى قال اليوم أخرج وغدا أخرج قصر بها ، لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثمانية عشر يوما ، وقيل : خمسة عشر يوما بقصر . وفي حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما : شهدت الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لا يصل إلا ركعتين ، ثم يقول لأهل البلد : صلوا أربعة فانا قوم سفر ، وأقام صلى الله عليه وسلم ببيوتك عشرين يوما بقصر ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم قال أنس بن مالك رضي الله عنه : كان أقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برامهرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما أقام بأذربيجان ستة أشهر يصل ركعتين ، وإن أحرمت بالصلاة وهو مقيم ثم صار مسافرا بأن كان يركب إلى جنب بلده في حدودها دخلنا من حيطانها وسورها ، ثم دفع الملاح المركب فخرج من حدودها لزمه الإتمام ، وكذلك لو أحرمت في السفر ثم أقام ببلد أو أتم بمقيم أو بمن يشك هل هو مقيم أو مسافر ، ولم ينز القصر عند شروعه فيها لزمه الإتمام في جميع ذلك . ولا يجوز القصر إذا كان قاضيا للصلاة لأنها قد ثبتت في ذمته كاملة ، ولا يؤثر السفر إلا في الأداء خاصة ، وإذا أحرمت بنية القصر ثم

نوى الإقامة آتم ، وذلك إن أحرم وهو مقيم ثم نوى السفر آتم ، وكذلك إن كان سفره معصية أو لعباً ونزهة لا يستحب رخص السفر ، ولا يستلزم ذلك إلا إذا سافر لواجب كالخروج والجهاد ، أو مباح كتجارة أو طلب حريم وما شاكله ، وإذا اجتهد العاصي بسفره فقد اعتد على معصية وبقيت عليها وعدم صلاحه بطاعته ، فلا تقوية على ذلك ولا تمتنع ، بل تمتنع وتكسر والقصر عند إمامنا أحمد رحمه الله أفضل من الاتمام ، وله الإتمام والقصر كاله الصيام والقطر وترك التجلد على الله عز وجل في جميع ذلك واتباع رخصه ورقيقته أولى ، ولو لم يكن في إتمام الصلاة وصيامه في السفر غير رؤيته النفس وعجبه ومباهاته وتعظيمه ذلك وق قصره وإتلافه من قلة النفس والتكسرها وخضوعها لترك تمام العبادة والمزينة ، لكان بالخير أن يقال : إن القصر والقطر أولى ، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما قول له في قصر الصلاة » : « ما لنا بقصر وقد أتمنا » فقال صلى الله عليه وسلم : « تلك صدقة تصليق الله بها على عباده قالوا صدقته » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بنزاهته » ، فالمعجب كل المعجب عن نوى الصلاة في السفر ويصوم فيه ، ويترك الرخص ، وهو يترك الكبائر من أكل الحرام وشرب السكر وليس الحرير والزنا والرباطة ، واعتقاد سوء في الأصول وغير ذلك من العظام .

(فصل) وأما الجمع بين الصلاتين فجائز بين الظهر والعصر والغرب والعشاء في السفر ، بشرط أن يكون السفر طويلاً ، وهو ستة عشر فرسخاً على ما بيننا ، ولا يجوز ذلك في القصر ، وهو ما دون ذلك ، وهو بخير من تأخير الأولى إلى تقديم الثانية ، وبين تقديم الثانية إلى وقت الأولى ، والاستيعاب في التأخير وهو أن يؤخر من الأولى ويقدم الثانية ، فيصلها في أول وقت الثانية ، فإن صلاحها في وقت الأولى قد تم الأولى منهما ثم الثانية ، ونوى الجمع عند الإحرام بالأولى ، ولا يفرق بينهما إلا بقصر الإقامة والوضوء إن انقضى وقبوه ، وإن صلى بينهما سنة الصلاة بطل الجمع في إحدى الروايتين ، والأخرى لا يبطل ، والأولى أن يؤخر السنة إلى بعد الفراغ من الفرض ، ولا يفصلها بشيء ، وإن جمع في وقت الثانية غلبته في وقت الأولى تجزئه ، ولا يفتقر إلى تجديد الثانية عند فعلها ، لأنه ما أخر الأولى إلا ليجمع بينها وبين الثانية ولا فرق بين أن ينوي ذلك في أول وقت الأولى ، أو إذا بقي منه بقدر فعلها ، فإن عرج وقت الأولى من غير نية الجمع لم يجر الجمع بينهما ، وإذا جمع في وقت الثانية تقدم الأولى ثم الثانية ، كما لو صلحما في وقت الأولى ، وحل بشرط أن لا يفرق بينهما سنة وغيرهما على وجهين ، ومن أصحابنا من قال إن الجمع والقصر لا يفتقران إلى نية ، وهو أبو بكر رحمه الله . وأما الجمع لأجل المطر فيجوز بين المغرب والعشاء وحل يجوز بين الظهر والعصر على وجهين ، وكذلك الحكم في الرجل الجرد من غير مطر أو يبع شديدة باردة ، حل يجوز الجمع لأجله ؟ حل وجهين : فإما جمع نظرنا ، فإنه كان ذلك في وقت الأولى لأجل المطر اعتبر أن يكون المطر موجوداً عند انتحاج الأولى ، وعند الفراغ منها . والمنتحاج الثانية مع وجوده كان ذلك في وقت الثانية بجاز ، سواء كان المطر قائماً لوقت القطع لأنه قد انقضى

الأولى، بسبب العذر، فلا يؤثر زواله، لأن أول الوقت قد فات وانقضى فلا يمكن تلافيه وإدراكه، ولما جوزنا له الجمع لأجل المشقة الإلحاق بالناس من بل الثياب والحذاء والآنية، فيبقى حل الناس التحول والخروج، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا ابتلت الثعلب فالصلاة إلى الرجال مروى ذلك في الصحيحين: وكذلك عندنا حكم المريض حكم المسافر في الجمع، لأن الله تعالى جمع بينهما وذكرهما في كلام واحد، فقال عز وجل: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر). فالعدة في التخفيف: المعجز والمشقة، وذلك في المريض أكد وأظهر وبه أحن لأن المسافر قد يكون مريضاً مطلقاً محمولاً متفرجاً قوياً نشيطاً في سفره أكثر مما كان في الحضر لغناه وسلطته وقدرته، ومع ذلك تستباح له الرخص، والمريض بخلافه، فكان أولى بالرخص من المسافر.

(فصل) وأما الصلاة على الجنائز، فهي فرض حل الكفاية، وأولى الناس بها عندنا وحيه ثم السلطان، ثم الأقرب فالأقرب من عصبائه، فيقف الإمام حذاء صدر الرجل ووسط المرأة، وإن كانوا جماعة سوى بين وروسمهم، وإن كانوا أنواعاً قدم أنفسهم بما يلي الإمام، مثل أن يكونوا رجالاً ونساء وعبيداً وخنثى وصبياناً، تقدم الرجال ثم العبيد ثم الصبيان ثم الخنثى ثم النساء، وروى عنه تقديم الصبيان حل العبيد، ثم ينظر في الأنواع فيقدم بما يلي الإمام من كل نوع أنفسهم في العلم والقرآن والدين والورع. وقيل: إذا اجتمع رجل وامرأة جعل وسط المرأة حذاء صدر الرجل، وإذا وقف الإمام التفت يميناً وشمالاً وسوى الصنف كعله في بقية الصلوات، واستنفر الله تعالى كتاب من ذنوبه وذكر مصرعه والدار الآخرة، ويستحق أنه تكلم لا بد من شربه، وأنت ساجد إليه ولا يقوته، فليخفف قلبه وليخشع جوارحه ليكون أسرع لإجابة دعائه، ثم يصلي على الميت، فصلتها أن يقول: أصل على هذا الميت فرضاً حل الكفاية، ولا يحتاج أن يذكر ذكراً أو أنثى، فيكبر أربع تكبيرات يقرأ في الأولى القائمة، كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقرأ بالقائمة الكتاب على الجنائز» ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في الثانية كما يصلي في التشهد، لما روى مجاهد رحمه الله قال: سألت ثمانية عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على الجنائز، فكلهم يقول: يكبر ثم نقرأ بالقائمة الكتاب ثم يكبر، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكبر، وأدع الميت في الثالثة بما تحسنه وليس عليك من أنواع الجهاد وتقصك ولو التبتك والمسلمين، غير أن المستحب أن يقول: اللهم اغفر لنا وبياتنا وشهادتنا وغالبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنتنا، اللهم من أحييتنا فاحيها على الإسلام والجنة، ومن توفيته منا فتوه عليها، إنك تعلم مثلياً ومثواناً وأنت على كل شيء قدير، اللهم إنه حيالك وابن حيالك، نزل بك وأنت خير منزول به ولا تعلم إلا بخبرها. اللهم إن كان حسناً فجاززه بإحسانه، وإن كان معيباً فتجاوز عنه، اللهم إنا جئناك شفاعة له فيشفعنا فيه، وفقه من فئة القبر وجلباب النار، واعف عنه وأكرم مثواه، وأبدله داراً خيراً من داره، ورجلاً خيراً من رجوله، وأفضل ذلك بنا.

وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تَقْطَعْ بَعْدَهُ ، وَيَقُولُ فِي الرَّابِعَةِ : (اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ، وَمِنْ أَصْحَابِنَا مَنْ قَالَ : يَقِفُ قَلِيلًا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا ، وَيَسَلُّ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً عَنْ يَمِينِهِ ، وَإِنْ سَلَّمَ تَسْلِيمَتَيْنِ جَازٍ ، وَهُوَ مُتَعَلِّبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَالتَّسْلِيمَةُ الْوَاحِدَةُ الْإِخْتِيَارُ عِنْدَ إِمَامِنَا أَحَدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ . قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يُرَوَّى عَنْ سِتَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ سَلَّمُوا عَلَى الْخِزَّازَةِ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً مِنْهُمْ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَابْنُ أَبِي أَوْفَى ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَوَالِدَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَيُرَوَّى أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنَّهُ صَلَّى عَلَى جَنَازَةِ فَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ » وَإِنْ أَرَادَ غَيْرَ هَذَا الدُّعَاءِ دَعَا وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَجْعَلُ لِلْوَلِيِّ لَهُ الْعِظَمَةَ وَالْكِبَرِيَاءَ وَلِلْمَلَكِ وَالْقُدْرَةَ وَالنَّهَاءَ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ وَرَحِمْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَبِيدٌ مَبِيدٌ ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَيْدُكَ وَابْنُ عَيْدِكَ ، أَنْتَ خَلَقْتَهُ وَرَزَقْتَهُ ، وَأَنْتَ أُمُّهُ وَأَنْتَ نَحْيُهُ ، أَنْتَ تَعْلِمُ بَسْمَهُ ، جَنَاتُكَ شَفَعَاءُ لَهُ فَشَفَعْنَا فِيهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَجِيرُ بِجَبَلِ جَوَارِكَ لَهُ ، إِنَّكَ ذُو وَفَاءٍ وَذِي عِلْمٍ ، اللَّهُمَّ لَمْ يَمُتْ مِنْ قَتْلِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، اللَّهُمَّ اخْفِزْ لَهُ وَلِرَحْمَةِ وَعَافِهِ وَاصْفِ عَنْهُ ، وَأَكْرَمْ مِثْلَهُ وَوَسِّعْ مَدْحَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِمَاءِ التَّلَجِّ وَالْبَرْدِ ، وَغَسِّقْهُ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يَغْتَسِلُ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدُّسَنِ وَأَنْزِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَدْخِلْهُ ابْنَةً وَنَحْمَدُكَ مِنْ النَّارِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَسَا فَرَدَ فِي إِحْسَانِهِ وَجَازَهُ بِإِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوِزْ عَنْهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ تَزَلَّ بِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْزُولٍ بِهِ ، وَهُوَ فَقِيرٌ إِلَيْ رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عِلَاقِهِ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ عَنْهُ مَسْئَلَتَهُ مَنْطِقَهُ ، وَلَا تَبْتَلِهِ فِي قَبْرِهِ بِمَا لَا طَاقَةَ بِهِ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تَقْطَعْ بَعْدَهُ .

وَإِنْ كَانَتْ امْرَأَةٌ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا أُمُّكَ وَابْنَةُ عَيْدِكَ وَأُمُّكَ ، ثُمَّ يَمُتُ الدُّعَاءُ . وَابْنُ النَّاسِ عِنْدَ إِمَامِنَا أَحَدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، مِنْ أَوْصَى أَنْ يَصِلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ الْوَالِي ، ثُمَّ أَقْرَبُ الْعَصْبَةِ الْأَبِ ، وَإِنْ عَلَا ، ثُمَّ الْإِبْنُ وَإِنْ سَفَلَ ، ثُمَّ أَقْرَبُ الْعَصْبَةِ الْأَخِ وَإِنْ الْإِخْ وَالْعَمُّ وَابْنُ الْعَمِّ : وَهَلْ يَتَقَدَّمُ الزَّوْجُ عَلَى الْوَلَدِ ؟ عَلَى رِوَايَتَيْنِ . وَقَدْ أَوْصَتْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ، فَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَّى أَنْ يَصِلَ عَلَيْهِ عُمَرُ ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَّى أَنْ يَصِلَ عَلَيْهِ صُهَيْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْجُودًا ، وَالْوَصِيُّ شَرِيحٌ لَنْ يَصِلَ عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ، وَالْوَصِيُّ مَيْسَرَةُ أَنْ يَصِلَ عَلَيْهِ شَرِيحٌ ، وَوَصَّتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَوَصَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ يَصِلَ عَلَيْهَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ . وَأَمَّا دُعَاءُ الْغُلَّ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَيْدُكَ وَابْنُ عَيْدِكَ وَابْنُ أُمِّكَ ، أَنْتَ خَلَقْتَهُ وَرَزَقْتَهُ ، وَأَنْتَ أُمُّهُ وَأَنْتَ نَحْيُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَوْلَايِهِ سَلَفًا وَذَخِيرًا وَفِرْقًا وَأَنْجَارًا ، وَيَقُولُ بِهِ مَوَازِينُهُمَا وَعَظَمُ بِهِ أَجُورُهُمَا ، وَلَا تَحْرِمْنَا وَلِيَّاهُمَا أَجْرَهُ ، وَلَا تَقْطَعْ وَلِيَّاهُمَا بَعْدَهُ ، اللَّهُمَّ اخْلُقْهُ بِصَالِحِ سُلُوكِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كَمَالِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَبْنَاهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَعَافَهُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، اللَّهُمَّ اخْفِزْ لَأَهْلَائِنَا وَأَسْلَانِنَا وَمَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ ، اللَّهُمَّ مِنْ أَحَبِّهِمْ مَنَّا فَخَفِّجْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ

توفیہ منا فوفہ علی ایمان ، وانشر للمؤمنین والؤمنات الاحیاء منهم والاموات . وإنما یصل علی النقط ویصل إذا کان قد تبین فیہ شکل الإنسان ، وأما إذا کان قطعة لحم تبین فیہ شیء من الخلقة فلا یصل ولا یصل علیہ ، بل یدفن ، والذی یشرع فیہ الفصل من ذلک لافرق بین أن یفصل رجل أو امرأة ، لما روى أن إیراعیم بن النبی صلی اللہ علیہ وسلم توفی وهو ابن ثمانية عشر شهرا ففصلہ النساء .

(فصول فیما یفعل بمن حضرہ الموت وکيفية غسلہ وتکفینہ وتحنيطہ ودفنہ) .

(فصل) یتحبہ لكل مؤمن موثق بالموت عاقل أن یکثر ذکر الموت ویستعد له ، ویكون علی أعباء وترقب بتجدید التوبۃ کل ساعة ، وحاجۃ نفسه والخروج من المظالم والذیون ، وکتاب وصیۃ معدة ، ولا یکون غفلا عن حلل الأمر المتیقن العام الشامل فی حق جمیع الأنام ، الذی لا ید من حیثہ وھجرۃ وقصورہ ، وھو کأش لا ید من شرہ . وإنما قلنا یتحبہ لہ ذلک لما روى عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال : « أكثروا من ذکر ہازم القلوب » . وفي لفظ آخر « أكثروا ذکر الموت فإنکم إن ذکرتموہ فی غنی کثرہ علیکم : وإن ذکرتموہ فی ضیق وسعہ علیکم » . وقال صلی اللہ علیہ وسلم : « أتندرون أن الناس أکیس وأحزم ؟ أکیسہم أكثرهم ذکرا للموت ، وأحزمہم أكثرهم استعدادا لہ ، قالوا : یا رسول اللہ وما علامۃ ذلک ؟ قال : التبحر فی عن دار القرور ، والإتیاقہ إلى دار الخلود » . وقال لقمان علیہ السلام لابنہ : یا بنی لا تفرح التوبۃ إلى خدا ، فإن الموت یأتیک بغتۃ . وقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم : « ما حق امرئہ لہ مال أن یبیت لیلتین إلا ووصیۃ مکتوبۃ عنده » . وجاء فی الحديث : « جاسبوا أنفسکم قبل أن تمسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا » . وقال عبد اللہ بن عمر رضی اللہ عنہما : سمعت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یقول : « اعمل لدنیاک کأنک تہبئ أبدا ، وامل لأخرتک کأنک تموت غدا » . فلیجہد العاقل المؤمن فی خلاص نفسه من الحقوق اللازمة الواجبة علیہ قبل الموت من القنوب والمظالم والذیون ، فان لم یفعل فلیقطع ولیقین أنه سیکون مرثیبا بها ومؤالفا ومعاقبا خدا فی قبرہ حين تنقطع القوى وتبطل الحیل والحراس ویہجرہ الأهل والجارین ، ویظافر علی ماله الأعداء والخلان من الرجال والنساء والولدان ، فلا یتجہد من تہمتها إلا الأدام فی الدنیا والامستحلال والتوبۃ والإذعان لوتعمد الرحیم ، برافقہ ورحمتہ إذ ہو أرحم الراحمین ، فیعوض اصحابها بما یشاء فی دار الخلود والجنان . وروی عن حمزۃ بن جندب رضی اللہ عنہ أنه قال : « کنا مع رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فصلی علی جنازۃ ، فلما انصرف قال : هل ہامن من آل فلان أحد ؟ فقال رجل : أنا فقال لہ علیہ الصلاۃ والسلام : إن فلانا مأسور ربیبہ ، قال : فلقد رأیت أہلہ ومن یتحرق علیہ قاموا یقفون عنہ حتی ما بق أحد یطلبہ بشئ » . وفي لفظ آخر قال : « إن فلانا یموس یاب الحنۃ یدین علیہ » . وعن علی رضی اللہ عنہ أنه قال : « مات رجل من أهل الصفۃ فقیل : یا رسول اللہ ترک دینا لہ ودرہما ، فقال صلی اللہ علیہ وسلم : کیتان من نار ، صلاوا علی صاحبکم وكان دینا علیہ » . وفي حديث آخر : « شهد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم جنازۃ رجل من الأنصار فقال : أعلیہ

دين ؟ قيل : نعم ، قالوا فرجع ، فقال علي رضي الله عنه : أنا ضامن ما عليه ، فرجع فصله عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا علي فلك الله وقيتك كما فككتك عن أشيائك السلم ، ما من رجل بفلك من رجل دينه إلا فككه الله به يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم : لتؤذن الحقوقيه إلى أمليها يوم القيامة حتى يؤخذ الشاة الجسامن الشاة القتراة . وقال صلى الله عليه وسلم وإياكم ، والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة ، وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ، وإياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالتطعية ففعلوا ، ثم أمرهم بالظلم ففعلوا .

(فصل) فإذا مرض المؤمن استجبت صلاته ، فإذا عادته أخوه المسلم نظر في حاله فإن رجا خلاصه من مرضي دعا له وانصرف ، وإن خاف موته رغبه في التوبة من الذنوب والوصية بثلثه ما له لم يره من الأقارب الفقراء منهم ، فإن كانوا أغنياء فلفقروا والمساكين وأهل العلم والفضل والدين والمقطعين عن الأسباب الذين قطعهم عنها القدر ، وضيق الورع عليهم التحرك فيها ، فانقلب الأسباب عندهم ربابا ، فتركوها وزهوا الرب سبحانه عن أن يكون له شريك ، يرجون إليه في الرزق ، فصار ما لم الثقة بالحق عز وجل ، والياس بما في أيدي الناس ، فلم ترجعهم واشتاشت أنفسهم إليه صفوا عقولهم من غير رغبة في الدنيا ولا عقوبة في الآخرة ، فباطلوا كل اهتمام يقول ، أو حذاهم بخلاء ، أو أصلهم بفضل ، أو خدمهم يوما من الأيام ، أو آمن على دعائهم ساعة من ساعات ، أو أحسن القول فيهم حالة من الأحوال ، طوبى له طوبى له ، وذلك لأنهم أهل الله وعلمه ، فهل يدخل على الملك إلا بمخاصته ، وهل يجزى من السلطان إلا بطريق خواشيته وخدمته من صادق الخواشي والخدم وأحسن إليهم ، وخدمهم يوشك أن يوقعوه على الملك الأحقهم ، ثم كل منهم يذكر ما عنده من غير غشاله ومكره ، ثم ينعم الملك عليه بما جاء من نعمه وفضائله ، فإذا ظهرت أمارات الموت استخفى لأهله أن يلزموه لرفقهم به وأمرهم . بأخلاقه وسياسته ، وأتمامهم لربه ، ليذكروه بالله عز وجل ، ويخبره على ما ذكرنا من طاعته ، ويتعاهد بل خلقه بأن يقطر فيه ماء أو شرابا ، وينادي شفثي بقطنة ، ويلقنه قول لا إله إلا الله مرة ، ولا يزيد على ثلاث فلا يفسح ويسأم ، فيخرج روحه وهو مستكره للملك ، فإن لقته ثم تكلم بشيء غيره ، أعاد تلقينه ليكون آخر كلامه : لا إله إلا الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ويكون تلقينه بقطنة ومداراة ، وينبغي أن يقرأ عليه سورة يس لتكون حونا على خروج روحه وتسهيل عليه ، فإذا خرجت روحه وجهه إلى القبلة على ظهره طولا ، بحيث إذا أقبل كان وجهه إليها ، ثم ينادي فيغمض عينيه لما روى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا حضرتم موتاكم فامضوهم ، فإن ألبصر يفتح الروح وتقولوا غيرا ، فإنه يؤمن على ما قال أهل البيت ثم يشد لحية ، وصفته ما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا يه عبد الله رضي الله عنه حين حضرته الوفاة : أدن مني ، فإذا رأيت روحا قد بلغت لسان فضع كفك اليمنى على جبهتي تحت ففني والضمضي . ثم يلين مفاصله بأن يرد فواعيه حتى يلبسهما بغضديه ، ثم

یردھا ویرہ سابقہ الیٰ فخلیہ ، وفخلیہ الیٰ بطنہ ، ثم یردھا ویخلج ثیابہ ویسجہ یشرب یستر
 جمیعہ ، لآئہ یصیر جمیعہ عورۃ بالثوب ، ولذا یجب ستر جمیعہ بالکفن ، ویجعل علیٰ بطنہ مرآۃ
 لوسیفا ، لأن المیت إذا خرجت روحہ یدلو ویطبخ ، ثم یرضع علیٰ سریر غسلہ متوجہا متعلدا
 نحو رجلہ ، ثم یسارع الیٰ قضاء دینہ وإبراء ذمہ من اللیون والوصایا حتیٰ یلقیٰ ربه یرى الذمۃ
 من المظلم ، غلصا من الخقوق والجواذب .

(فصل) ثم یسارع فی غسلہ وتجهیزہ وتکفینہ ودفعہ إلا أن یکون موته فجاءه ، فیتوقف عن
 ذلك حتیٰ یتبین موته ، فتتفصل کفاه وتسترخی رجلاه ویسبل آتفه وتختف صدغاه ، ثم
 یسرع فی ذلك . أما صفۃ الفصل فیجرد الفصل المیت ویسترہ من سرته الیٰ رقبته ، لآئہ أمکن
 له وأعرن علیٰ مبالغۃ غسلہ ، ویغشیٰ بصرہ ما أمکن لاسیما من عورته . وقیل : إن الأفضل أنه
 یغسلہ فی قنصیص خفیف واسع ، وإن کان غنیقا ففی رأس الدخاریس ، ثم یلین مفاصلہ
 یرفق إن سہلت علیہ ، وإلا فیلدعھا لآئہ ربما آل ذلك الیٰ کسرھا . وقد قال النبی صلی اللہ علیہ
 وسلم : کسر عظم المیت ککسره حیاً ، ثم یغنیہ قليلا الیٰ أن یتلغ بہ قریبا من الجلوس ، ثم یعصر
 بطنہ عصرا رقیقا ، ثم یلف علیٰ یدہ خرقة وینحہ کفی لا یباشر عورته یدہ ، ولأن الخرقة أبلغ
 فی إزالة النجاسة لغشوتھا ، فکذلك یتحبب أن لا یباشر بقیۃ یدہ إلا بخرقة ، یتابع فی سب
 الماء علیٰ یدہ ، ثم یرى بالخرقة ویأخذ غیرھا نظیفۃ ، کذلك الیٰ ثلاث ، ثم یلقیٰ الخرقة ویسبل
 یدہ ثم یرضخ وضوءہ لفصلۃ مرتبا ، فیئوی ویسوی ویدخل أصبعہ مایولین بالماء بین شفتیه ،
 فیمسح أسنانه ، وکذلك فی منخریه فینظفهما ، ویصب الماء علیٰ فیہ وأذنه کما یلطفه
 والاستنشاق ، من غیر أن یدخل الماء فی فیہ وأذنه ، فیوضه الیٰ آخر الأعضاء ، فلما فرغ من
 ذلك غسل رأسہ بماء وسدر ، ثم لحیہ ، ولا یسرح شعرہ ، ثم یصب علیہ الماء القراح من رأسہ
 الیٰ رجلہ ، ویسبل شقہ الأيمن ، ثم قلبہ شمالا فیسبل شقہ الأيسر ، وکذلك یسبل سائر جسمہ
 بالماء والسدر فی الفسلات کلھا ، ولكن یظفہ عقیب کل غسلۃ بالسدر وبالماء القراح ، فإن
 احتاج الیٰ أشنان لفصل وسخ وخلخال لتقیۃ ماتحت الأظافر استعمالھا ، ویلف القطن علیٰ الخلال
 فیزیل ما بآتفه وصاحیہ من الأشیٰ ویظفھا ، ثم یرجع فیجہد ، ثم یعبد وضوءہ ثانیۃ علیٰ ما ذکرنا
 ثم یغسلہ الأخيرة بماء فیہ کافور ، ثم یشفہ بثوب . وأقل ما یسبل المیت ثلاث مرات ، وأكثرہ
 سبع مرات ، فلذا لم یبق ثلاث زاد الیٰ سبع ، ولا یقطع إلا علیٰ وتر ، ثلاث أو خمس أو سبع
 وإن خرج منه شیء بعد ذلک أکید علیہ الفصل الیٰ سبع مرات ، فإن لم یتمتع ذلك خروجه حتیٰ
 بالقطن والسم بہ والطین الحر . وقال بعض أصحابنا : لا یجسی لأن الإمام أحمد رحنہ کرهہ ..
 وقیل : إنه إذا خرج شیء منه بعد تمام الفصل لم يعد الیٰ الفصل ، بل یسبل موضع التجلیة ثم
 یوضأ وضوءہ لفصلۃ وکفین وحمل . والأولیٰ أن یسبل المرۃ الأولى بماء وسدر ، وبقیۃ الفسلات
 بالماء القراح کغسل الجنابة ، ویكون الکافور فی الآخرۃ ، ثم یشفہ ویکفن . وأما تکفینہ فآئہ
 یکفن فی ثلاثہ أبواب : یدوج فیہا إندیجا ، وتكون لغائف بیض لا یکون فیہا قمیص ولا منور

لا سراويل ولا شيء خفيط ، إلا القنائف فتخطط لمصيق عرض الثوب وحصره ، فيصط بعضها فوق بعض بعد أن يجسر بالمود والد والكافور ، ويجعل الطيب بين كل لقائين . وقيل : إنه يكن في قميص ومئزر ولقافة ، ويكون المئزر مما يلي جلده ، ولم يزر القميص عليه ، وثلاثة أبواب أفضل لما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن في ثلاثة أبواب بيض صولية ، ليس فيها قميص ولا حمالة » وقد مضى الإمام أحمد رحمه الله حديث عائشة رضي الله عنها وبني مذهبه عليه ، ثم يجعل الطيب وهو الحنوط والكافور في قطن فيجعل منه بين اليدين ويشد فوقه عرقه ، ويجعل ياقبه من مواضع مجوده ومذابه كالخخلين وتحت إبطيه ومذاه وجهه وصاحبه وجبته وركبته وكفيه وظاهر عييه ، ولا يدخله في عييه ، وإن خاف الانتفاخ وغروج ما في الباطن إلى الظاهر حشا داخل أنه وصاحبه بالقطن والكافور ، وإن طيب جميع جسده بالكافور والصندل كان أحسن . وروى تابع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يتبع مائة من الميت ومرافقه بالمسك ، ثم يأتي بالميت ويطرحه على القنائف ويبنى طرف القنافة العليا على شقه الأيمن ثم يرد طرفها الآخر على شقه الأيسر ويدرجه فيه إدراجا ثم يفعل بالثانية والثالثة كذلك ، فيجعل ما عند رأسه مما عند رجليه ، ثم يجمع ذلك جمع طرف العمامة فيعيده على وجهه ورجليه ، إلا أن يخاف انتشارها فيمقدحها ، ثم إذا وضع في القبر حلقها ولم يفرق الكفن . وأما المرأة فاتها تكفن في خمسة أبواب : إزار ، ودرع ، وخمار ، ولقائين ، تخرج فيها إدراجا ، والإزار يعمها . قال بعض أصحابنا : يستحب أن يعمل لها خاصة لشدة بها لحظها ، فيكون ذلك بدل إحدى اللقائين ، ويضفر شعرها ثلاثة قرون ، ويسدل من خلفها ويفعل بها وبالرجل كما يفعل بالعرس ، فإن تعذر في حلقها جميع ما ذكرنا ، اجتزى بثوب واحد . وأما الحرم فينسل بماء وسدر ، ولا يقرب طيبا ولا يجسر رأسه ولا رجلاه ، ولا يلبس خفيط ، ويكفن في ثوبه لما روى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعسرة ورجل واقف إذ وقع من راحلته فوقسته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه ولا تخمروا رأسه ، فإن الله يحشره يوم القيامة ملبيا » . ولما سقط إذا ولد لأكثر من أربعة أشهر غسل وصلى عليه ، وإن لم يبين أذكر هو أم أنثى ، سمى اسمها يصلح للذكر والأنثى ، ولا فرق في غسله بين الرجل والمرأة ، لأن النساء غسلن إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره ثمانية عشر شهرا ، مذكور ذلك في حديث أم حنيفة رضي الله عنها ، وينسل الرجل الرجل والمرأة المرأة ، فإن غسلت المرأة زوجها جازيلا خلافا في اللعاب ، وهل ينسل الرجل امرأته ؟ على روايتين ، وكذلك الحكم في أم الولد ، وقد غسل على فاطمة الزهراء رضي الله عنهما ، وكفن الرجل مقدم على الثمين والوصية ، فإن لم يكن له مال قبل من تارمه فقلته ، فإن لم يكن فمن بيت المال ، وكذلك كفن المرأة ، ولا يجب على زوجها ، والأول أن يتولى غسله من يتولى غسله ، ويعقب القبر قبل إقامة وبسطة ، ويكون طولها ثلاثة أذرع وشبرا في عرض ذراع وشبرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

لعمريں الخطاب رضى الله عنه «كيف أتت اذا أحدك من الأرض ثلاثة أخوخ وشبر لى عرض ذراع وخبر، ثم قام إليك أمك فسلوك وكفتوك وحطوك ثم حلوک حتى يفيوك فيه، ثم يبيلوا عليك التراب، ثم انصرفوا عنك» الحديث. ويستحب أن يسأل الميت من قبل رأسه سلا. وإن عسر ذلك فمن جنب القبر أو أسهل الجهات، وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله. وأما المرأة فتبلى دفن النساء كما يتولين غسلها، فإن تعلمت فلو أوسامها من الرجال، فإن تعلمت الطلوع من الأجانب. ويستحب أن يسجد قبرها خلف الرجل، لأنها عورة، وقد مر على رضى الله عنه يقوم وقد بسطوا على رجل ثوبا، فجلبه وقال: إنما يصنع هذا بالنساء، فإذا حصل لى القبر مستقبل القبلة حتى عليه التراب ثلاث حثيات، بذلك جاءت السنة، ثم يمال عليه القواب، ويرفع القبر من الأرض قلتر شبر ويرش عليه الماء ويضع عليه الحصى، وإن حلين جاز وإن جصص كره، ومن تسبم القبر دون تسليحه، لما روى عن الحسن رحمه الله قال: رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه منيا، فإذا فرغ من تدبيره من تلقينه لما روى أبو أمامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات أحدكم فسرتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقبل يا فلان ابن فلانة ثانية، فإنه يستوى لأعدا، ثم ليقبل يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون، فيقول اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنت ربييت بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، فإن منكراً وكثيراً يقولان ما يقعدنا عند هذا، وقد لقن حجته، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه؟ قال: فلينسبه إلى حمراء، وإن شاء أن يزيلوا بالزمين إخواناً حواً لكعبة قبله، وغير ذلك من أحلام الإسلام جاز.

(فصل: فى ذكر فضائل الصلوات فى أيام الأسبوع والياليه) أما ما جاء فى صلوات القبار، فمن ذلك ما روى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين بمنعائك مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين بمنعائك مدخل السوء». وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى صلاة الصبح «من توضأ ثم توجه إلى المسجد ثم يصلى فيه الصلاة، كان له بكل خطوة حسنة وهي عنه سيئة، والحسنة بعشر أمثالا، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب الله تعالى له بكل شجرة فى جسده حسنة، وانقلب بحجة مبرورة، فإن جلس حتى يرمى كتب الله تعالى له بكل جلسة أثنى ألف حسنة، ومن صلى العتمة فله مثل ذلك، وانقلب بحجة مبرورة». وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مع صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام شطر الليل، ومن صلى القنجر فى جماعة فكأنما صلى الليل كله». وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من صلاة أثقل على المتقين من صلاة العشاء والقنجر، ولو يعلمون ما فيها

لأنهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن أسر فياني فيأخذوا الحطب فحرق على رجال لم يشهدوا معنا في يومهم ، وعن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن ثوابين أو كونهن » وسجدن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل . ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع أربعاً بعد الزوال يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة ، فأحب أن يرفع لي عمل فيها قبل : يا رسول الله فيمن سلام فاضل ، قال صلى الله عليه وسلم لا . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله عبداً صلى أربعاً قبل العصر » :

(فصل : في ذكر صلاة يوم الأحد) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب ، وآمن الرسول مرة ، كتب الله تعالى له بعد كل نصراني ونصرانية حسنة ، وأعطاه ثواب نبى » ، وكتب له حجة وعمره ، وكتب له بكل ركعة ألف صلاة ، ثم أعطاه الله تعالى في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وحسبوا الله تعالى بكثرة الصلاة في يوم الأحد ، فإنه واحد لا شريك له ، فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد القريضة والسهة يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب ، وآمن السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ، ثم يشهد ويسلم ، ثم يقوم فيصلي ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة ، ويسأل حاجته ، كان حقاً على الله تعالى أن يقضى حاجته ويبرئه مما كانت تصارى عليه . »

(فصل : في ذكر صلاة يوم الإثنين) عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الإثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة مرة ، فإذا سلم استغفر الله عشر مرات ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات . غفر الله له ذنوبه كلها . » وعن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الإثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة ، فإذا فرغ من صلاته قرأ التي عشرة مرة قل هو الله أحد ، واستغفر اثنتي عشرة مرة ، يتلوه يوم القيامة أين فلان بن فلان ، ليقيم فليأخذ ثوابه من الله تعالى ، فأول ما يعطى من الثواب ألف حقة : وخرج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك ، مع كل ملك هدية ، ويشجونه حتى يحدوا على ألف قصر من نور يتلأأ » :

(فصل : في ذكر صلاة يوم الثلاثاء) عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انصاف النهار ، وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي

مرة وقال عز الله أحد ثلاث مرات ، لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما ، فإن مات إلى سبعين يوما مات شهيدا ، وغفر له ذنوب سبعين سنة .

(فصل : في ذكر صلاة يوم الأربعاء) عن أبي إدريس الخولاني ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة ، ولعل هو الله أحد ثلاث مرات والمؤمنين ثلاث مرات ، نادى به ملك عند العرش : يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ، ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقته وظلمته ، ورفع عنه شدائد القيامة ، ورفع له من يومه عمل نبي » .

(فصل : في ذكر صلاة يوم الخميس) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة ، وفي الثانية فاتحة ومائة مرة قل هو الله أحد ، وبعد الفراغ يصلي على مائة مرة ، أعطاه الله تعالى ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان ، وكان له من الثواب مثل حاج البيت ، وكتب له بعدد كل من آمن بالله تعالى ولو نكل عليه حسنات .

(فصل : في ذكر صلاة يوم الجمعة) عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يوم الجمعة كله صلاة ، ما من عبد مؤمن قام إذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رميح أو أكثر من ذلك غزواً فأصبح الموضوء ، وصلى صبحه الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا ، كتب الله تعالى له مائتي حسنة ، ومحا عنه مائتي سيئة ، ومن صلى أربع ركعات ، رفع الله تعالى له في الجنة أربعائة درجة ، ومن صلى ثمان ركعات ، ورفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة ، وغفر له ذنوبه كلها ، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة ، كتب الله له ألفا ومائتي حسنة ، ومحا عنه ألفا ومائتي سيئة ، ورفع له في الجنة ألفا ومائتي درجة . وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الصبح ، في يوم الجمعة في جماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، كان له في الفردوس سبعون درجة ، بعد ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمرمسعين سنة ، ومن صلى صلاة الجمعة في جماعة كان له في الفردوس خمسون درجة ، حضر الفرس الجراد لحسين سنة ، ومن صلى العصر في جماعة فكانما أحببت ثمانية من ولد إسماعيل كلهم رقيق ، ومن صلى المغرب في جماعة فكانما حج حجة مبرورة وعمره مقبلة . وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وخمسا وعشرين مرة قل أحمذ برب الفلق ، وفي الركعة الثانية يقرأ فاتحة الكتاب مرة وقال هو الله أحد مرة وقال أحمذ برب الفلق عشرين مرة ، فإذا سلم قال : لا حول ولا قوة إلا بالله حسين مرة ، فلا يخرج من الدنيا حتى يرى ربه

عز وجل في المنام ، ويرى مكانه في الجنة ، أو يرى له وروى أن أعرابيا قام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا نكون في البادية بعداء من المدينة ولا نقدر أن نأتيك في كل جمعة ، فقلني على عمل إذا رجعت إلى قومي أغيرهم في سبب الجمعة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أعرابي إذا كان يوم الجمعة فصل ركعتين عند ارتفاع النهار ، قاترا في أول ركعة فاتحة الكتاب ، وقل أعوذ برب الفلق ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الناس ، ثم تشهد وسلم ، واقرأ سبع مرات آية الكرسي جالسا ، ثم صل ثمان ركعات أربعاً أربعاً ، واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وإذا جاء عصر الله مرة واحدة وخمسا وعشرين مرة قل هو الله أحد ، فإذا فرغت من صلاتك فقل سبعين مرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فالذي نفس محمد بيده ما من مؤمن ولا مؤمنة صل يوم الجمعة هذه الصلاة كما أقول إلا وأنا ضامن له الجنة ، ولا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولوالديه إن كانا مسلمين ، وينادي مناد من تحت العرش : يا عبد الله استأنف العمل ، فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وذكر لها فضائل كثيرة يطول شرحها ، وقد ذكرنا فيما تقدم فضائل أخرى في صلاة أخرى بها عشرة مرة قل هو الله أحد في يوم الجمعة فمن شاء أن يصلها فليصلها .

(فصل : في ذكر صلاة يوم السبت) روى سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صل يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، فإذا فرغ من صلاته وسلم قرأ آية الكرسي كتب الله تعالى له بكل حرف حجة وعبرة ، ووقع له بكل حرف أجر ستة صيام نهارها وقيام ليلها ، وأعطاه الله بكل حرف شاب شهيد ، وكان تحت عرشه مع النبيين والشهداء .

باب في ذكر صلاة الليالي

(فصل : في ذكر فضل صلاة ليلة الأحد) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة ، واستغفر الله سبعائة مرة ، واستغفر الله لنفسه ولوالديه مائة مرة ، وصل على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ، وتبرأ من حوله وقوته ، والتجأ إلى حول الله وقوته ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن آدم صفة الله وطره وإبراهيم خليل الله عز وجل ، وموسى كلم الله تعالى ، وعيسى روح الله سبحانه ، ومحمد حبيب الله عز وجل ، كان له من الأجر والثواب بعدد من دعاه الله عز وجل ولدا ، ومن لم يدع له ولدا وبه الله تعالى يوم القيامة مع الآمين ، وكان حقا لله أن يدخله الجنة مع النبيين .

(فصل : في ذكر فضل صلاة ليلة الاثنين) روى عن الأعمش عن أنس رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صل في ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى

الحمد لله مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفي الركعة الثانية الحمد لله مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفي الركعة الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفي الركعة الرابعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة ، ثم تشهد وسلم وقرأ قل هو الله أحد خسا وسبعين مرة ، واستغفر الله تعالى لنفسه ولوالديه خسا وسبعين مرة ، وحمل على النبي صلى الله عليه وسلم خسا وسبعين مرة ، ثم سأل حاجته كان حقا على الله تعالى أن يعطيه مؤله « وهي تسمى صلاة الحاجة . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي ، ويستغفر الله سبحانه وتعالى خمس عشرة مرة ، جعل الله تعالى اسمه في أصحاب الجنة وإن كان من أصحاب النار ، وغفر له ذنوب الغلانية ، وكتب له بكل آية قرأها حصة وعمرة ، وإن مات ما بين الإثنين إلى الاثنين مات شهيدا » .

(فصل : في ذكر فضل صلاة ليلة الثلاثاء) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الثلاثاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإذا جاء نصر الله خسا مرات ، يبي الله تعالى له في الجنة بيتا ، عرضة وطوله وسع الدنيا سبع مرات » .

(فصل : في ذكر فضل صلاة ليلة الأربعاء) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين ، يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات ، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الناس عشر مرات ، ينزل من كل سبعون ألف ملك ، يكتبون له الثواب إلى يوم القيامة » .

(فصل : في ذكر فضل صلاة ليلة الخميس) عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات ، فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة ، وجعل لوابها لوالديه ، فقد أدى حقهما وإن كان عاقا لهما ، وأعطاه الله سبحانه وتعالى ما يعطى الصديقين والشهداء » .

(فصل : في ذكر صلاة ليلة الجمعة) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ، فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها » . وروى عن كثير بن سلمة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الأخيرة في جماعة وصل بعدها ركعتي السنة ، ثم صلى بعدها عشر ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة مرة ، ثم أوتر بثلاث ركعات وقام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة » .

فكانما أحيا ليلة القدر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أكثرُوا من الصلاة على في الليلة القرام واليوم الأزهري ، ليلة الجمعة ويوم الجمعة .

(فصل : في ذكر فضل صلاة ليلة السبت) عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة ، بي الله تعالى له نصراً في الجنة ، وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ، وتبرأ من اليهودية وكان حقاً على الله أن يقر له .

(فصل : وقد ذكرنا في مجلس التوبة فيما تقدم في أثناء الكتاب ، وإنما يشتغل بالوافل من الصلاة والصيام والصدقة وأنواع العبادات بعد أحكام الفرائض والسنن ، فلا يشتغل ببولعاء ، بل ينوي بجميع عباداته فرائض ما عليه من كل جنس منها ، فينوي بجميع هذه الصلوات التي ذكرناها في هذه الليالي والأيام قضاء يسقط عنه القرض ، ويحصل له الفضل ، يجمع الله تعالى بينهما بمنة ورحمة وكرمه ، فإذا تحقق برائة ساحتها من القرائض ، فحينئذ ينوي بجميع ذلك ناظراً .

(فصل : في ذكر فضل صلاة التسبيح) حدثنا الشيخ أبو نصر عن والده ، قال : أخبرنا أبو النضر أبي النضر محمد بن أحمد بن أبي الفوارس وأبو محمد الحسن بن محمد الحلال ، قال أخبرنا أبو حنيفة عمر بن أحمد الواعظ ، قال حدثنا عبد الله بن محمد البغوي ، قال حدثنا إسحق بن أبي إسرائيل ، قال حدثنا موسى بن عبد العزيز ، قال حدثنا الحكم بن أبان ، قال حدثني عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : يا عباس يا عمي ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبك ، ألا أجعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك خسر الله لك ذلك أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطؤه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلايته ؟ أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم ترقع فقلوها وأنت راكع عشر ، ثم ترفع رأسك من الركعة فقلوها عشر ، ثم تسجد فقلوها عشر ، ثم ترفع رأسك من السجود فقلوها عشر ، ثم تسجد فقلوها عشر ، ثم ترفع رأسك فقلوها عشر ، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ، فإن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل في كل جمعة مرة فإن لم تفعل في كل شهر مرة ، فإن لم تفعل في كل سنة مرة ، فإن لم تفعل في حركه مرة ، وفي لفظ آخر : يقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد . وحدثنا أبو نصر عن والده ، بإسناده : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغفر ابن أبي طالب رضى الله عنه : ألا أمنحك ألا أحبك ألا أعطيك ؟ وساق الحديث إلى آخره : وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك لعمر بن العاص رضى الله عنه ، وفيه زيادة عشرة في جالسه القيام ، وفي غيره إسقاطها ، وفي بعض الألفاظ : فذلك ثلثائة ، يعني به السبحة

فی الأربع . وفي لفظ آخر : فذلك ألف ومائتان ، یعنی انواع التسبیح ، وهي أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فإذا ضربت في ثلثمائة كانت ألفا ومائتين . وقال بعض العلماء بالله عز وجل : يستحب فعلها في الجمعة مرتين مرة ليلا ومرة نهارا .

(فصل : في صلاة الاستخارة ودعائها) عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر أو بإزالة عروج ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستظورك بقدرتك ، وأسالك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر وتسميه بعينه خير لي في ديني ودنياي وآخرتي وأجالي ومآلي ، فافتحه لي وبصره لي ثم بارك لي فيه ، وإلا فاصرفه عني وبصره لي الخير حيث كان ما كنت ، ورضي بقضائك يا أرحم الراحمين ، فيبني لكل أحد إذا تحقق عزه على الخروج إلى وجه من سفر التجارة أو حج أو زيارة أن يقول عقب الركعتين : اللهم إني أريد الخروج في وجهي هذا بلا قوة مني بغيرك ، ولا رجاء إلا بك ، ولا قوة أتوكل عليها ، ولا حيلة ألتجأ إليها إلا طلب فضلك ، والتعرض لمعرفتك ورحمتك ، والسكون إلى حسن عبادتك ، وأنت أعلم بما قد سبق لي في علمك في وجهي هذا مما أحببته وأكرهته اللهم فاصرف عني بقدرتك مقادير كل بلاء ، ونفس عني كل كرب ولاء ، وابسط علي كفا من رحمتك ولطف من عونك وحرزا من حفظك وجميع معالائك ، ثم يرفع الأيمان ويأخذ في السير ويقول : يا رب قضاؤك علي حقيقة أحسن أهل ، وادفع عني ما أحذر مما أنت أعلم به مني ، واجعل ذلك خيرا لي في ديني وآخرتي ، أسألك يا رب أن تخلفني فيما خلقت ورائي من أهل وولدي وقرائي بأحسن ما خلقت به غالبا من المؤمنين في تحصين كل حورة ، وحفظا من كل مضرة ، وكفاية كل مهم ، وصرف كل مكروه ، وكما ما تجمع لي به من الرضا والسرور في الدنيا والآخرة ، ثم ارزقني في ذلك كله شكرك وذكرك وحسن عبادتك ، حتى ترضي عني وتدخلني جنتك ببرحمتك بعد الرضا يا أرحم الراحمين : ويبني أن يكثر في سفره من هذا الدعاء ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوله كثيرا وهو : الحمد لله الذي خلقني ولم يك شيئا مذكورا ، اللهم أعني على أهوال الدنيا وبرائقي الدنور ومصائب الليل والأيام ، واكفني شر ما يعمل الظالمون ، اللهم في سفرى فاصمني ، وفي أهل فادخلني ، وفيها وزعني فبارك لي ، وفي نفسي قلبي ، وفي أمين الناس فعتقني ، وفي خلق فقرتي ، وإليك يا رب فحيني ، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرق به السموات ، وكشفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن لا تحمل علي غضبك ، ولا تنزل في صطك ، لك الجهي فيما استطعت ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم إني أعود بك من وهات السفر ، وكآبة القلب ، ومن الحور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، اللهم أطولنا الأرض وهوّن علينا السفر ، أسألك بلاغا يبلغ غيرا ومغفرة ورضوانا ، أسألك الخير كله ،

إنك على كل شيء قدير . ويتنهي أن يقول عند خروجه من منزله : بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنه قيل في الخبر إنه « يقال له : وقيت وكفيت وحيت » . وبنى إذا ركب راحلته أن يكبر ثلاثا ويحمد ثلاثا ويقول سبحانه الذي صرنا هذا وما كنا له مقرنين . سبحانه لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » . لأنه مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر وركب يقول : اللهم إني أسألك في سفرى هذا الليل ، ومن العمل ما ترضى » . اللهم هون علينا السفر ، واسهل لنا بعدد الأرض اللهم أنت صاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم احسبنا في سفرنا ، واحلفنا في أهلنا » . وزاد ابن جريج فقال « إني أخوذ بك من وعاء السفر ، وسوء المقلب ، وكآبة النظر في الأهل والمال » . ويتنهي له إذا أراد دخول قرية أو مدينة أن يقول كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم رب السموات السبع وما أظلل ، ورب الأرضين السبع وما أظلل ، ورب الشياطين وما أضلل ، أسألك من غير هذه القرية وغير أهلها وغير ما فيها ، وأخوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أسألك مودة خيارهم ، وأن تحببني من شر أشرارهم » .

(فصل : في حوز المسافر من كل سارق وسبع ومؤذ) « اللهم احرمنا عينك التي لا تنام واكفنا برحمتك الذي لا يرام ، وارحنا بقدرتك علينا ، لأنك وأنت وجاهنا » . وعن حبان ابن حبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قال في أوله ليله : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات ، لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح » . وعن أبي يوسف الخراساني عن أبي سعيد بن أبي الروحاء قال : ضللت بطريق مكة في بعض الليال ، فسمعت حسا خفى ، فاسترحشت فسمعت بقرا القرآن ، فلفحني فقال : أحسبك ضالا ؟ قلت : نعم ، فقال : ألا أعلمك شيئا إذا أنت قلته وأنت ضال اعتديت ، أو مستوحش استأنت ، أو أركقت تمت ؟ قلت بلى ، قال قل : بسم الله ذي الشأن ، عظيم البرهان ، شديد السلطان ، بكل يوم هو في شأن ، أخوذ بالله من الشيطان ما شاء الله كان ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، قلها إذا أصابك غريب ، فطابت الرجل فلم أجده قال أبو بلال وهو من رواة الحديث : فقلت بمنى من أهلى ، فقلت هذا ، فالتفت كذا فإذا أنا بأهل . وعن أبي الروداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال كل يوم سبع مرات : إن ولي الله الذي تزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، كفاه الله تعالى ما أهله عبادة كان أو كاذبا إن شاء الله تعالى » . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال عند الكرب : لا إله إلا الله العظيم الحريم ، سبحانه الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، كشف عنه بإذن الله تعالى » .

(فصل : في ذكر صلاة الكفاية) وهي ركعتان يصلحهما أين وقت كان ، يقرأ في كل ركعة

فاتحة الكتاب مرة ، (قل هو الله أحد) عشر مرات و (فيحكيكم الله وهو سميع العليم) خمسين مرة ، ثم يسلم ، ويدعو بهذا الدعاء وهو : يا الله يا رحمن يا منان يا حنان ، يا مهيأ لكل لسان ، يا من يداه بالخير مبسوطة ، يا كافي محمد صلى الله عليه وسلم الأحزاب ، ويا كافي إبراهيم عليه السلام النيران ، يا كافي موسى فرعون ، ويا كافي عيسى عليه السلام الجبابرة ، ويا كافي نوحا عليه السلام القرق ، يا كافي لوطا عليه السلام فحش قومه ، يا كافي من كل شيء حتى لا أنضاف منه شيء ، يا كافي عائشة رضي الله عنها وآسية الكافى عظيم البلاء من كل شيء حتى لا أنضاف ولا أحصى مع اسمك العظيم الأعظم شيئا ، فإنه يكفى ويجمع همه وشره عند صلته :

(فصل : في ذكر صلاة الخصاء) وهي أربع ركعات بتسليمة واحدة ، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب و (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة ، وفي الثانية الفاتحة و (قل هو الله أحد) عشر مرات وثلاث مرات (قل يا أيها الكافرون) وفي الثالثة الفاتحة وعشر مرات (قل هو الله أحد) و (ألهاكم التكاثر) مرة وفي الرابعة الفاتحة وخمس عشرة مرة (قل هو الله أحد) وآية الكرسي مرة ، ثم يجهر ثوابها لخصائه ، يكفيه الله أمرهم يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، يصلى هذه الصلاة في سبعة أوقات أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وأخير جمعة من رمضان ، ويوم العيدين ، يوم عرفة ، ويوم عاشوراء .

(فصل : في صلاة التقاء في سؤال) حدثنا أبو نصر بن البلاء عن والده قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عمر البلاف ، قال أخبرنا أبو القاسم القاضي ، قال حدثنا محمد بن أحمد ابن صديق ، قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، قال أنبأنا أبو بكر أحمد بن جعفر المروزي ، قال حدثنا علي بن معروف ، قال حدثني محمد بن محمود ، قال أخبرنا يحيى بن شبيب ، قال حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى في سؤال ثمان ركعات لئلا كان أوتاهها ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمس عشرة مرة (قل هو الله أحد) فلما فرغ من صلاته صبح سبعين مرة ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة ، والذي بعني بالحق نيا ما من عبد يصلى هذه الصلاة إلا أتبع الله له بتابع الحكمة في قلبه ، وأعطى بها لسانه وأرأه داء الدنيا ودواءها ، والذي بعني بالحق نيا ما من عبد يصلى هذه الصلاة كما وصفت لا يرفع رأسه من آخر سجوده حتى يضر الله له ، وإن مات مات شيئا مغفورا له ، وما من عبد يصلى هذه الصلاة في السفر إلا سبيل الله عليه السير والتخاطب إلى موضع مراده ، وإن كان مديونا قضى الله دينه ، وإن كان ذا حاجة قضى الله حاجته ، والذي بعني بالحق نيا ما من عبد يصلى هذه الصلاة إلا أعطاه الله تعالى بكل حرف ويكل آية غفرة في الجنة قبل : وما المخرفة يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ستاتين في الجنة يسير الراكب في ظل شجرة من أشجارها مائة سنة ثم لا يقطعها .

(فصل : في فضل الصلاة للرفع عذاب القبر) عن عبد الله بن الحسن عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ركعتين يقرأ في إحداهما آخر الفرقان من (تبارك

الذى جعل في السماء بروجا) حتى يحتم السورة ، ثم يأخذ في الثانية فيقرأ فيها بعد الفاتحة من أول سورة المؤمن حتى يبلغ (غياثك الله أحسن الخالقين) ، فإنه يأمن من مكر الجن والإنس ويعطي كتابه يوم القيامة ، ويأمن من عذاب القبر ومن القزع الأكبر ، ويعلمه الكتاب ، وإن لم يكن حريصا ، وينزع منه القفر ، ويؤتيه الله الحكم ، ويصره في كتابه الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويلقنه حجه يوم القيامة ، ويجعل الثور في قلبه ، ولا يغرن إذا حزن الناس ، ولا يخاف إذا خافوا ، ويجعل الثور في بصره ، وينزع حب الدنيا من قلبه ، ويكتب عند الله من الصدقين .

(فصل : في صلاة الحاجة) عن أبي حاتم الأيلي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان له إلى الله حاجة مهمة ، فليسلح الوضوء وليصل ركعتين ، يقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وآية الكرسي ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وآمن الرسول إلى آخره ، ثم يشهد ويسلم ، ويدعو بهذا الدعاء فلأنها تقضى : والدعاء : اللهم يا مؤنس كل وحيد ، يا صاحب كل فريد ، يا قريبا غير بعيد ، يا شاهدا غير غائب ، يا غاليا غير مغلوب ، أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم ، الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم ، الحى القيوم ، الذى عنت له الوجوه ، وخشعت له الأصوات ، ووجلّت منه القلوب ، أن تصل على محمد وعلى آل محمد ، وأن تجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا وتقضى حاجتى . »

(فصل : في الدعاء لدفع القلم والاحتراس منه) روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم عليا وقاطمة رضي الله عنهما هذا الدعاء ، وقال لهما : إذا نزلت بكما مصيبة ، أو خفنا جور سلطان ، أو ضلّت لكما ضالة ، فأتينا الوضوء وصليا ركعتين وارفعنا أيديكما إلى السماء وتولا : يا عالم الغيب والسرائر ، يا منقاع يا عزيز يا عليم ، يا الله يا الله يا الله ، يا هازم الأحزاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يا كائد فرعون موسى عليه السلام ، يا منجى عيسى عليه السلام من يد ظلمته ، يا مخلص قوم نوح من الغرق ، يا راسم عبرة بقرب عليه السلام ، يا كاشف ضرّ أيوب عليه السلام ، يا منجى ذى النون عليه السلام من الظلمات الثلاث ، يا فاعل كل خير ، يا هاديا إلى كل خير ، يا دالّا على كل خير ، يا أهل الخير ، يا خالق الخير ، يا أهل الخيرات ، أنت الله ، وحيث إليك فها قد علمت ، وأنت هلام الغيوب ، أسألك أن تصل على محمد وعلى آل محمد ، ثم سلا حاجتك كما تجايا إن شاء الله تعالى . »

(دعاء آخر) ، وهو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ، ورواه ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك ، وبنور قلمك ، وعظمة طهارتك ، وبركات جلالك من كل آفة وعامة وطارق الجن والإنس ، إلا طارقا يطرّق منك بخير ، إنك أنت عيادي فيك أعوذ ، وأنت ملاذى فيك ألوذ ، يا من ذلت له وقاب الجبابرة ، وجمعت له مقابلد الرعاية ، أعوذ بجلال وجهك ، وكرم جلالك من غيوك وكشف سترك ، ونسيان

ذَكَرَكَ وَالْإِنْصِرَافَ عَنْ شُكْرِكَ ، أَنَا فِي كَفْكَ فِي لَيْلٍ وَنَهَارِي ، وَنَوِي وَفَرَارِي ، وَطَنِي
وَأَسْفَارِي ، ذَكَرَكَ شَعَارِي وَتِلْكَ دَلَالِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَزَّيْهَا لِأَعْيُنِكَ ، وَتَكْرِيماً لِصِبْغَاتِ
وَجْهِكَ ، أَجْرُنِي مِنْ عَزْزِكَ وَمِنْ شَرِّ عَذَابِكَ وَعِبَادِكَ ، وَأَضْرِبْ عَلَيَّ سِرَافَاتِ حِفْظِكَ ،
وَأَدْعُنِي فِي حِفْظِ عَنَانِكَ ، وَتَحِيَّ سَيِّدَاتِ عَذَابِكَ ، وَأَعِزَّنِي بِخَيْرِ مَنِّكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ » .

(فصل : فِي الدَّعَاءِ لِلْعَلَاءِ الْمَيُومِ وَقَضَاءِ الْغُيُوبِ) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَصَابَهُ حُزْنٌ أَوْ حَزَنٌ ، فَلْيَدْعُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ : اللَّهُمَّ أَنَا عَبْدُكَ
وَابْنُ عَبْدِكَ ، تَاصِفِي بِرَبِّكَ ، مَا ضَلَّ فِي حِكْمِكَ عَذَابُكَ فِي قَضَائِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ
هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ فَتُسَكِّ ، أَوْ أُنْزِلَ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ
فِي حِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ رِيحَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حَزَنِي ، وَنُعَافٍ
عَمِّي وَهَمِّي ، فَقَالَ قَاتِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْغُيُوبَ لَمْ يَنْ لَحْنِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : أَجَلُ قَلْبِهِمْ وَعِلْمُهُمْ ، فَإِنَّهُ مِنْ قَالَتِ النَّاسُ مَا يَبِينُ ، أَذْعَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَزَنَهُ وَأَطَالَ
فَرْحَهُ ، وَبُرُوقِي عَنْ حَاشِيَةِ رَضَى اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : إِنْ أَبَا يَكْفُرُ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ
عَلَيْهَا فَقَالَ : هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاءَ كَانَ يَعْطِيهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَعْلَمُهُ أَصْحَابُهُ وَيَقُولُ : لَوْ كَانَ عَلَّ أَحَدُكُمْ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدِ دِينَا
قَضَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ ؟ فَقَالَتْ : كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ فَارِجِ لِي هَذَا الْغَمِّ كَأَنَّكَ الْغَمِّ فَجَبَّ دَعْوَةَ
الْمُضْطَرِّينَ رَحِمَ الدُّنْيَا وَرَحِمَ الْآخِرَةِ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُرَحِّقَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَغْنِيَنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ
مَنْ سِوَاكَ » .

(دَعَاءُ آخَرُ فِي ذَلِكَ) وَهُوَ مَا رَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ جَاءَهُ صَدِيقٌ لَهُ يَكْفُرُ
عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ عَلَيَّ دِينٌ ، وَأَحِبُّ أَنْ تَعْلَمَنِي اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى الْأَعْظَمُ ، فَقَالَ إِنَّ
شَيْئَ ذَلِكَ فَغَمٌّ وَتَوْضُؤٌ ، فَقَامَ وَتَوَضَّأَ وَقَالَ لَهُ : قُلْ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ أَنْتَ اللَّهُ ، بَلَى وَاللَّهِ أَنْتَ اللَّهُ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، الْقَسَمُ عَلَى الْغَيْبِ ، وَارْزُقْنِي بَعْدَ الدِّينِ ،
فَأَصْبَحَ الرَّجُلُ فَرَأَى مِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ مَحْضَةً فِي مَسْجِدِهِ دَرَاهِمُ مُخْتَلِفَةٌ فِي جَوَابِ ، عَلَى رَأْسِ الْجَوَابِ
مَكْتُوبٌ : لَوْ سَأَلْتُ أَكْثَرَ مَنْ هَذَا لَأَعْطَيْتُكَ ، فَكَيْفَ لَمْ تَسْأَلِ الْجَنَّةَ ؟ فِجَاءَ الرَّجُلِ إِلَى الْحَسَنِ
رَحِمَهُ اللَّهُ فَتَضَرَّعَ بِذَلِكَ ، فَأُطْلِقَ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَنَظَرَ إِلَى الدَّرَاهِمِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي لَنَلْعَقُ
حَيْثُ لَمْ أَسْأَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ ، قَالَ الْحَسَنُ : إِنْ لَقِيتَ عِلْمَكَ هَذَا الْاسْمَ لَمْ يَعْلَمْكَ إِلَّا ظَهَرَ بِرَبِّكَ بِهِ ،
فَاكْتُمْ عَلَى عِلْمِ الْاسْمِ لَا يَسْمَعُ بِهِ الْحَاجَّ فَلَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ :

(دَعَاءُ آخَرُ عَلَيْهِ) جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ
الشَّرِيفَةِ بِرَبْدِ جَبَلِ حِرَاءَ ، خَوْفًا مِنَ الْفَرِيشِ ، وَكَتَابَةِ الْغَمِّ وَالرَّزْقِ ، رَوَى أَبُو يَكْفُرَ الصَّدِيقُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرَأُكَ السَّلَامَ ، وَقَدْ عَلِمَنِي
دَعَاءُ تَدْعُو بِهِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ بِكَ وَيَنْهَمُ سُبْحًا ، فَأَعْظَمَهُ لَكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ

يا جبريل ، قال : قل يا كبير كل كبير يا صبيح يا بصير ، يا من لا شريك له ولا وزير ، يا خالق الشمس والقمر النير ، يا عصمة الياس الخائف المستجير ، يا رازق الطفل الصغير ، يا جابر العظم الكبير ، يا قاصم كل جبار عنيد ، أسألك وأدعوك دعاء الياس الفقير ، دعاء المضطر الضير ، أسألك بمناقد العز من عرشك ، ومفاتيح الرحمة من كتابك ، وبالأسماء الثمانية المكتوبة على قرن الشمس ، أن تفعل بي كذا وكذا .

باب الأدعية التي يدعى بها عقب الصلوات المفرضة ودعاء الخضة وغير ذلك

أما دعاء صلاة التلدة وصلاة العصر فهو أن يقول : اللهم لك الحمد شكراً ، ولك المني فضلاً ، بتعنتك ثم الصالحات ، نسألك اللهم طرماً قريباً ، فذلك لم تزل مجيباً ، وصبراً جليلاً ، وعافية من جميع البلايا ، والسلامة من طريق الرزايا ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعل اجتماعنا اجتماعاً مرحوماً ، وتفريقنا تفريقاً معصوماً ، ولا تجعل فينا شقياً ، ولا محروماً ، ولا تردنا بالفاقة إل غيرك ، ولا تحرمنا سعة غيرك ، وحقيقة التوكل عليك ، وغالب الرغبة فيك لديك ، وأملنا قلبنا منك الفنى ، واكس وجوهنا منك الحياة ، وارزقنا خير الآخرة والأنديا ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، يا رب اللهم ارزقنا خير الصباح وخير المساء ، وخير القضاء وخير القدر ، واصرف عنا شر الصباح وشر المساء ، وشر القضاء وشر القدر ، اللهم وما أنزلت في هذا اليوم من غير عافية وسلامة وغنيمة وسعة رزق ، فاجعل لنا فيه لوفر الحظ والنصيب ، اللهم وما أنزلت من سوء وبلاء وشر وفاء وفتنة ، فاصرف عنا وعن جميع المسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين .

دعاء آخر : الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، لا إله إلا هو أهل الكبرياء والعظمة ، ومنهى الجيروت والعترة ، وولى الثبوت والرحمة ، مالك الدنيا والآخرة ، عظيم الملكوت شديد الجيروت ، لطيف لما يشاء فعال لما يريد ، أول كل شيء ، وخالق كل شيء ، ورزقه ، سبحانه لا إله إلا هو ، اللهم اجعل صياحنا صياحاً صالحاً ، لا غنياً ولا فاضحاً . اللهم اكفنا شر نوائب الزمان ومكروهه ، ومضارح السوء ومعصايه الشيطان ، وموارد مودة السلطان ، ووقتنا في يومنا هذا وفي سائر الأيام ، لاستعمال الخيرات وهجران السيئات ، اللهم أصلحنا وأصلح قلوبنا ، وأصلح أحوالنا وأصلح أفعالنا ، وأصلح آباءنا وأبنائنا وأجدادنا وجددتنا ، ودنياً وآخرتنا ، اللهم كما أنصبت الملة بالسلامة والعافية فأنصس علينا بالسلامة والعافية برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين ، آمين اللهم آمين يا الله يا رب العالمين .

دعاء آخر : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم ، سبحانه وتعالى عما يشركون ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا ما أظهرنا وما أسررنا ،
وما أخفيها وما أظنا ، وما أنت أعلم به منا ، اللهم أعطنا رضاك في الدنيا والآخرة ، واغنم
لنا بالسعادة والشهادة والمنفرة ، اللهم اجعل آخر أعمالنا خيرا ، وخواتم أعمالنا خيرا ، وخير
أيامنا يوم نلقاك ، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، ومن قبضة نعمتك ، ومن تحويل
حافيتك ، اللهم إنا نعوذ بك من حرك النشأ ، وجهد البلاء ، وشدة الأعداء ، وتغير النعماء ،
وسوء القضاء ، نعوذ بك من جميع المكروه والأصواء ، ونسألك اللهم خير العطاء ، اللهم إنا
نسألك أن تكشف سقمنا ، وتبرئ مرضانا ، وترحم موتانا ، وتصح أبداننا ، وتخلصنا لك ،
اللهم أخلص أدياننا ، وأن تحفظ عبادنا وتشرح صدورنا ، وتبهر ألبوسنا ، وتبهر أولادنا ،
وتسر جرمنا ، وترد غيابنا ، وأن تبثنا على ديننا ، ونسألك خيرا ورشدا ، اللهم ربنا إنا نسألك أن
تؤتينا حصنة في الدنيا وحسنة في الآخرة ، وأن تؤفقا مسلمين برحمتك ، وقنا حذاب النار وعذاب
القبر بأرحم الراحمين يا رب العالمين . فالدعاء مأثور به ، وهو عند الله بمكان ، وقد بينا ذلك
في أثناء الكتاب ، فلا ينبغي للإمام والمؤمن أن يفرجا عن المسجد من غير دعاء . قال الله تعالى
(فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) أي إذا فرغت من العبادة انصب في الدعاء وارغب
فيا عند الله وأطلب منه . وقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « إذا قام الإمام في خطبته وتواترت الصفوف ، تزلت الرحمة ، بأول ذلك
تصيب الإمام ، ثم من عن يمينه ، ثم من عن يساره ، ثم يفرق الرحمة على الجماعة ، ثم ينادي
حك ربك فلان وحسب فلان ، فالراعي من يرفع يديه بالدعاء إلى الله تعالى إذا فرغ من صلاته
المكتوبة ، والخامس هو الذي يخرج من المسجد بلا دعاء ، فإذا خرج بلا دعاء قالت الملائكة :
يا فلان استغثت عن الله تعالى ما لك عند الله حاجة ؟ »

(فصل) فأما دعاء خمسة القرآن فهو : صدق الله العظيم الذي خلق الخلق قابله ، وسن
الدين وشرعه ، ونور النور وشمسه ، وقدر الرزق ووصعه ، وحسن خلقه ونفعه ، وأجرى الماء
وأنبه ، وجعل السباع سلقا محفوظا مرفوعا رفيعا ، والأرض بساطا وضعه ، وسير القمر فأطلعه ،
حسبانه ما أهل مكانه وأرفعه ، وأعطى سلطانه وأبدعه ، لا راد لما صنع ، ولا منير لما ابتغره ،
ولا ملئ لمن رفعه ، ولا منزل لمن وضعه ، ولا مفرق لما جمعه ، ولا شريك له ، ولا إله معه ، صدق
الله الذي دبر الأمور ، وقدر المقدر ، وصرف الأمور ، وحلم هواجس الصدور ، وتعاقب
الديور ، وسهل المسور ، ويسر اليسور ، وحضر البحر المسجور ، وأزل الفرقان والنور ،
والنوراء والإنجيل والفرير ، وأقسم بالفرقان والطور ، والكتاب المسطور في الرق القشور ،
والبيت المسور ، والبعث والنشور ، وبجاءل الظلمات والنور ، والزلزال والجور ، والجنان
والقصور (إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) صدق الله العظيم ، الذي عز
قادره ، وحل قاسمه ، وذلك شيء أعظمه وخضع ، ومملك السباع ورفع ، وفرض الأرض

وَنُوسِعْ ، وَفُجِّرْ الْأَنْهَارَ فَاتَّبِعْ ، وَمَرَجِ الْبَحَارَ فَاتَّبِعْ ، وَضَرِ النُّجُومَ فَاطْلُعْ ، رَأْسُ السَّحَابِ
فَارْتَفِعْ ، وَتَوَرَّ الشُّورَ فَطَمَعْ ، وَاتَّزَلِ الْغَيْثَ فَهَمَّجْ ، وَكَلِّمْ مَوْحِيَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَاصْبَحْ ، وَتَجَلَّى لِنَاجِلِ
فَنَفْطَحْ ، وَوَهَبْ وَتَرَعْ ، وَضَرَّ وَنَفَعْ ، وَأَعْطَى وَمَنَعَ ، وَسَمَّنَ وَشَرَعَ ، وَفَرَّقَ وَجَمَعَ ، وَأَنشَأَتْكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، لَسْتُمْ بِمُسْتَوْدَعٍ ، صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ، التَّوَكَّلْ عَلَى الْغُفُورِ الرَّحِيمِ ، الَّذِي خَضَعَتْ
لِعَظَمَتِهِ الرُّقَابُ ، وَذَلَّتْ بِمُحَرِّمِهِ الصُّبَابُ ، وَلَانَتْ لَهُ الْقِدَادُ الصَّلَابُ ، وَاسْتَدَلَّتْ بِصَنَعَتِهِ
الْأَنْيَابُ ، وَبَسِجَ بِجَمْعِهِ الرُّعْدُ وَالسَّحَابُ ، وَالْبَرْقُ وَالسَّرَابُ ، وَالشَّجَرُ وَالنَّوَابُ ، رَبِّهِ
الْأَرْيَابُ ، وَمَسَبَّ الْأَسْيَابُ ، وَمَنَزَلَ الْكِتَابُ ، وَخَالَقَ خَلْقَهُ مِنْ الْقَرَابِ ، غَاثُ الدَّنْبِ ، وَقَاتِلُ
الْغُيُوبِ ، شَدِيدُ الْعِقَابِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ ، صَدَقَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ جَلِيلًا
دَلِيلًا ، صَدَقَ مَنْ عَسَى بِهِ كَتِيلًا ، صَدَقَ مَنْ كَفَّلَتْهُ وَكِيلًا ، صَدَقَ اللَّهُ الْهَادِيَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ،
صَدَقَ اللَّهُ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلًا ، صَدَقَ اللَّهُ وَصَدَقَ أَنْبَاؤُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَصَدَقَتْ أَنْبِيََاؤُهُ ،
صَدَقَ اللَّهُ وَجَلَّتْ آيَاتُهُ ، صَدَقَ اللَّهُ وَصَدَقَتْ أَرْغَمُهُ وَمَنَاقِبُهُ ، صَدَقَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَدِيمَ
الْمُجَادِدَ الْكَرِيمَ الشَّاهِدَ الْعَلِيمَ الْغُفُورَ الرَّحِيمَ الشُّكُورَ الْحَلِيمَ ، (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَالْبَاقُونَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ)
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ ، الْحَيُّ الْكَرِيمُ ، الْحَيُّ الْبَاقِي
الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَالْأَسْمَاءُ الْعِظَامُ ، وَالْمَنِّ الْجَسَامُ ، وَبَلَّغَتْ
الرُّسُلُ الْكِرَامَ بِالْحَقِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَنَحْنُ عَلَى مَا قَالَ اللَّهُ رَبَّنَا سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مِنَ الشَّاعِدِينَ ، وَمَا أَوْجِبَ وَأَكْرَمَ خَيْرَ جَلَسَتَيْنِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَوَاتُهُ
عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَعَلَى زُجُوجِهِ
جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَعَلَى زُجُوجِهِ
الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى تَابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، عَلَيْنَا بِمَعْنَى بَرَحَتِهِ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، صَدَقَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَالْعِظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ ، جَبَّارٌ لَا يُؤَامَ ، حَزِيزٌ
لَا يُضَامُ ، قَيُّومٌ لَا يُنَامُ ، لَهُ الْأَفْعَالُ الْكِرَامُ ، وَالرَّوَابِعُ الْعِظَامُ ، وَالْأَكْبَادُ الْبِصَامُ ، وَالْأَفْعَالُ
وَالْأَنْعَامُ ، وَالْكَوَالُ وَالنَّكَامُ ، تَسْبِيحُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ ، وَالْبَهَائِمُ وَالْمَوَامُّ ، وَالرِّيَاحُ وَالْعِصَامُ ،
وَالضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ ، وَهُوَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ، وَنَحْنُ عَلَى مَا قَالَ اللَّهُ رَبَّنَا جَلَّ ثَلَاثُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ
أَسْمَاؤُهُ ، وَجَلَّتْ آيَاتُهُ ، وَشَهِدَتْ أَرْضُهُ وَمَنَاقِبُهُ ، وَنَطَقَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَأَنْبِيََاؤُهُ شَاهِدُونَ (لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَلَوْهَا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، إِنَّ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ)
وَنَحْنُ بِمَا شَهِدَ اللَّهُ رَبَّنَا وَالْمَلَائِكَةُ وَلَوْهَا الْعِلْمُ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الشَّاعِدِينَ ، شَهِادَةُ شَهِدَ بِهَا الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ، وَهَدَىٰ بِهَا الْمُؤْمِنَ الْغُفُورَ الْوَدُودَ ، وَأَنْطَلَسَ بِالشَّهَادَةِ عَلَى الْعَرْشِ الْعَلِيِّ ، بِرَفْعِهَا بِالْعَمَلِ
الصَّالِحِ الرَّشِيدِ ، بِعَطْفِ قَائِمِهَا الْخَلْقُ فِي جَنَّةِ ذَاتِ سَعْدٍ مُخْفُودٍ ، وَطَلَحَ مَشْفُودٌ ، وَظَلَّ مَعْدُودٌ ،
وَمَا مَسْكُوبٌ ، يَر_اقِقُ فِيهَا النَّبِيُّنَ الشُّبُودَ ، وَالرَّكْعَ السُّجُودَ ، وَالْبَاقِينَ فِي طَاعَتِهِ خَلَاءَ الْمَجْهُودِ ،
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِهَذَا التَّصَدِّيقِ صَادِقِينَ ، وَبِهَذَا الصِّدْقِ شَاعِدِينَ ، وَبِهَذَا الشَّهَادَةِ مُؤْمِنِينَ ، وَبِهَذَا
الْإِيمَانِ مُوحِدِينَ ، وَبِهَذَا التَّوْحِيدِ مُخْلِصِينَ ، وَبِهَذَا الْإِحْلَاصِ مُوقِنِينَ ، وَبِهَذَا الْإِيمَانِ عَارِفِينَ ،

وبہدہ المرقۃ معترفين ، وبہذا الاعتراف منيبين ، وبہذہ الإنابة فائزين ، وفيہا تلبك واغين ، ولما عندك طالين ، وبہذا بنا لللائكۃ الکرام الکاتبين ، واحشرنا مع الشقيين والصدیقین والشہداء والصالحين ، ولا تجعلنا من استبوتہ الشياطين ، فشفعہ بالدنيا عن الدين ، فأصبح من النادمين ، وفي الآخرة من الخاسرين ، وألوجب لنا الخلود فی جنات النعيم برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم لك الحمد وأنت للحمد أعل ، وأنت الخلق بالذات ثم الفضل ، لك الحمد على تنابع إحسانك ، ولك الحمد على تواتر إنعامك ، ولك الحمد على ترادف امتناتك ، اللهم إنك عطفت علينا قلوب الآباء والأمهات صغارا ، وضاعفت علينا نعمك كبراً ، وواليت إلینا برك مدراراً ، وجهلتنا وما عاجلتنا مراراً ، فلك الحمد ، اللهم فإنا نحسبك سرّاً وجہاراً ، ونشکرك محبة واختياراً ، فلك الحمد إذ أمتنا من الخطأ استغفاراً ، ولك الحمد فلزقنا جنة واحجب عنا بفقرك نارا ، ولا تہلکنا يوم البعث فتجعلنا بين العاشر عارا ، ولا تفضضنا بسوء أفعالنا يوم نقائلك ، فتکسبنا ذلة وانکساراً برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم لك الحمد كما هدیتنا للإسلام وعلمتنا الحکمة والقرآن ، اللهم أنت علمتنا قبل رغبتنا فی تعلیمہ ، ومنعت به علينا قبل علمنا بمعرفته ، وعصمتنا به قبل معرفتنا بفضله ، اللهم فإذا كان ذاك من فضلك لطفاً بنا وامتناناً علينا من غير حيلتنا ولا قوتنا ، فہب لنا اللهم رعاية حقہ ، وحفظ آياته ، وعملاً بمعكمہ ، وإيماناً بمشايہ ، وهدى فی تدبرہ ، وتفكيراً فی أمثاله ومعجزتہ ، وتبصرة فی نورہ وحکمہ ، لاتعارضنا الشکوک فی تصدیقہ ، ولا یختلجنا الريب فی قصد طریقہ ، اللهم انفعنا بالقرآن العظيم وبارک لنا فی الآيات والاکثر الحکيم ، وقبل منا إنک أنت السميع العليم ، وثب علينا إنک أنت التواب الرحيم برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعل القرآن وبيع قلوبنا ، وشفاء صدورنا ، وجلاء أضرأتنا ، وذهاب همومنا ونحوماتنا ، وسائقنا وقالدنا ودليلاً إلینک وإلى جناتک جنات النعيم برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعل القرآن لقلوبنا ضیاء ، ولأبصارنا جلاء ، ولأسقامنا دواء ، ولذنوبنا محصاً ، ومن النار غلصاً ، اللهم اكسنا به الخلل ، وأسكننا به القلل ، وأسبغ علينا به النعم ، وأدفع به عنا النقم ، واجعلنا به عند الجزاء من الفائزين ، وعند النعماء من الشاکرين ، وعند البلاء من الصابرين ، ولا تجعلنا من استبوتہ الشياطين ، فشفعہ بالدنيا عن الدين ، فأصبح من الخاسرين برحمتك يا أرحم الراحمين : اللهم لا تجعل القرآن بنا ماحلاً ، ولا الصراط بنا زائلاً ، ولا نبینا وسيدنا ومسلماً علیہ وسلم فی القيامة عنا معرضاً ، ولا امرئاً ، الجبلة یا ربنا خالقنا یا رزقنا لنا شافعاً مشفقاً ، وألودنا حوضاً واسعاً بکأسه مشرباً ، رويلاً سائقاً هنياً لا نطقاً بعده أبداً ، غير عزایا ولا ناکثين ، ولا جاحدين ولا مغضوبين علينا ، ولا ضالين برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم انفعنا بالقرآن الذي رفعت مکانہ وثبت أركانہ ، وأبدت سلطانہ وبيئت بركانہ ، وجعلت اللغة العربیة القصیحة لسانہ ، وقلت یا عز من قائل سبحانه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنہ) ثم إن علينا بیانہ) وهو أحسن کتبک نظاماً وأوضحها كلاماً وأبينها حلالاً وحراماً ، بحکم الیان ظہر الزہان هموس من الزیادة والتقصان ، فیہ وعد ووعد

وتخويف وتهديد (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) اللهم فاجوب لنا به الشرف والمزيد ، وأخفنا بكل بر سعيد ، واستعملنا في العمل الصالح الرشيد ، إلك أنت القريب الحبيب برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ اللهم فكنا جعلنا به مصدقين ، ولما فيه عفتين ، فاجعلنا بتلاته متقين ، وإلى ليلك خطابه مستمعين ، وبما فيه مختبرين ، ولأحكامه جامعين ، ولأوامره ونواهيه خاضعين ، وجند خضعة من الفائزين ، ولنوابه جائزين ، ولك في جميع شئونا فاكرين ، وإليك في جميع أمورنا راجعين ، واخفر لنا في ليلتنا هذه أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ اللهم اجعلنا من الذين حفظوا القرآن حرمته لما حفظوه ، وعظموا منزلته لما سمعوه ، ونادوا بآدابه لما حضروه ، والزموا حكمه لما طرقوه ، وأحسنوا جوارحه لما جاوروه ، ولزادوا بتلاته وجهك الكريم والدار الآخرة ، فوصلوا به إلى المقامات الفاخرة ، واجعلنا به نحن في درج الجنان يرتقى ، وبنيه صلى الله عليه وسلم يوم عرضه ، وهو راض عنه بلقنى ، فالشفع بالقرآن غير شئ برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ اللهم اجعلها ختمه مباركة على من قرأها وحضرها وسعها وأمن على دعائها ، وأنزل اللهم من بركاتها على أهل الدور في دورهم ، وعلى أهل القصور في قصورهم ، وعلى أهل الثغور في ثغورهم ، وعلى أهل الحرمين في حريمهم من المؤمنين ؛ اللهم وأهل القبور من أهل ملنا أنزل عليهم في قبورهم الضياء والفسحة ، وجازم بالإحسان إحسانا ، وبالسبوات غفرانا ، وارحنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ اللهم يا سائق القوت ، ويا سامع الصوت ، ويا كاشي العظام بعد الموت ، صل على محمد وعلى آل محمد ، ولا تدخ لنا في هذه الليلة الشريفة المباركة ذنبا إلا غفرته ، ولا عا إلا طهرته ، ولا كربا إلا نسفته ، ولا غما إلا كشفته ، ولا سوما إلا صرفته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولا مبتلى إلا عافته ، ولا ذنا إسماعة إلا أظفته ، ولا حقا إلا استخرجته ، ولا غايا إلا رددته ، ولا عاصيا إلا عذبته ، ولا ولدا إلا جبرته ، ولا ميتا إلا رحمته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا على قضائها بيسر منك وعافية مع المغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ اللهم عافنا وعاف عنا بضوك العظيم ، وصبرك الجميل ، وإحسانك القديم ، يا هائم المعروف ، يا كثير الخير ، وصل على سيدنا وسندنا محمد وعلى إخوانه الأتقياء وعلى آل الله والملائكة وسلم تسليما ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ، ووفقنا لعمل الصالح برضيك عنا برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ اللهم صل على محمد كما حقيقتا به من الفضالة ؛ اللهم صل على محمد كما استقلتنا به من الجمالة ؛ اللهم صل على محمد كما بلغ الرضالة ؛ اللهم صل على محمد خمس البلاد وقمر الهاد وزين الوراد وشقيق اللينين يوم القناد ؛ اللهم صل على محمد وذريته وجميع صحابه ، الذين قاموا بتصرته وجروا على سننه برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ اللهم صل على محمد الذي بالحق بعثته ، وبالصدق بعثته ، وبالحلم وصته ، وبأحد سمته ، وفي القيامة في أنه شفعت ، اللهم صل على محمد ما أثمرت التجوم ، وصل على محمد ما تلاحت الغيوم ، وصل على محمد يا حي يا قيوم ؛ اللهم صل على محمد ما ذكره الأبرار ، وصل على محمد

ما اختلف الليل والنهار ، وصل على محمد وعلى المهاجرين والأنصار برحمتك يا أرحم الراحمين .
 الوصية : اعملوا وحكم الله أن ليلتكم هذه ليلة الوداع لشهركم الذي شرهه الله وعقشه ،
 ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن ، وتزول الرحمة فيه عليكم من الله والرضوان
 جعله الله مصباح الصيام واسطة النظام ، وشرف قواعد الإسلام المشرقة بأنوار الصيام
 والقيام ، أنزل الله تعالى فيه كتابه وفتح فيه للنايين أبوابه ، فلا دعاء فيه إلا مسموع ، ولا خير
 إلا بمسوع ، ولا خير إلا لمطوع ، ولا عمل إلا مرفوع ، الظاهر المبين من اغتم أوقاته ،
 والخاسر المبين من أهمله قاته ، شهر جعله الله للذنوبكم تطهيرا ، ولستائكم تكفيرا ، ولئن أحسن
 منكم صيته ذخيرة ونورا ، ولئن وفق بشره وقام بحقه فرحا وسرورا ، شهر توضع فيه أهل
 النسي والفساد ، وزاد فيه من الرغبة إلى الله أهل البعد والاجتهاد ، شهر عمارات القلوب
 وكفارات الذنوب واختصاص المساجد بالأزحام والتحامد ، وهبوط الأملاك بصيكتك العنق
 والتمكك ، شهر فيه المساجد تضرع ، والمصاييح تزهو والآيات تذكر ، والقلوب تحير والذنوب
 تتغفر ، شهر فيه تشرق المساجد بالأنوار ، وتكثر الملائكة لصفواتهم من الاستغفار ، ويعنى فيه
 الجبار في كل ليلة عند الإفطار صلاة ألف عتيق من النار ، وتزل فيه البركات ، وتعظم فيه
 الصدقات ، وتكثر فيه السيئات ، وتقال فيه العثرات ، وتبلغ فيه الذبكات ، وترفع فيه الترجات ،
 وترحم فيه العبرات ، وتنادى فيه المحور الحسان من الجنة : هيتا لكم يا معشر الصائمين
 والقاتلين والقاتلات بما أعد الله لكم من الخيرات ، لقد محرتكم البركات ، واستبشر
 بكم أهل الأرض والسموات ، فرحم الله أمرا مهد فيه لنفسه قبل حلول ربه ، واشتغل بيومه
 حين غداه وأمه ، تروء من بقية زاده ، في تقاده نفاذ عمره ، وأظهر لفرق شهره جزعه ،
 وحمل على شهره وودعه ، وقال : السلام عليك يا شهر رمضان ، السلام عليك يا شهر
 الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، السلام عليك يا شهر التجلوز والنقران ، السلام عليك يا شهر
 البركة والإحسان ، السلام عليك يا شهر التحف والرضوان ، السلام عليك يا شهر التسك والتعب
 السلام عليك يا شهر الصيام والتهجد ، السلام عليك يا شهر التراويح ، السلام عليك يا شهر
 الأنوار والمصاييح ، السلام عليك يا أنس العارفين ، السلام عليك يا فخر الواصلين ، السلام
 عليك يا نور الواعين ، السلام عليك يا روضة العابدين ، فيا شهرنا خير مودع ودعناك ، وغير
 عقل قارئك ، كان تبارك صدقة وصيما ، وليك قراءة وقيام ، فليكن من تحية وسلاما ، أترك
 تعود بعدها علينا أو يدركنا اللون فلا تنول إلينا ، مصاييحنا إليك مشبورة ، ومساجدنا إليك
 معسورة ، فالآن تطلق المصاييح ، وتقطع التراويح ، وترجع إلى العادة ، وتناقض شهر العبادة
 فيأيت شعري مع القبول منا فنهيه بحسن عمله ، أم ليت شعري من المطرود منا فعزبه بسوء
 عمله ، فيا أيها القبول هيتا لك شراب الله عز وجل ورضوانه ورحمته وغفرته وقبوله وإحصائه
 وعفوه وامتنانه وغفرته في حلل أمانته ، ويا أيها المطرود بإصراره وعظيماته وعذوانه وغفلته
 وخسرانه وتكاديه وعصيانه ، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله وهوانه فأين مقلتك الباكية ،

وأين دعتك الخيرة ، وأين زفرك الرثمة القادية ، لأي يوم أخرت توبتك ، ولأي عام أخرت صدك ، إلى عام قابل وحول حائل ، كلا فإليك مدة الأعمال ، ولا معرفة القفار ، لكم من مؤمل أمل بلوقه فلم يلقه ، وكم من مدرك له ولم يقصده ، وكم من أعد طيا لميده جعل في للعبه وليابا لزيده صارت لتكفيه ، ومتأهيا لظفره صار مرثيا في قبره ، وكم من لا يصوم بعده سواه وهو يطمع في غيره أن يراه ، فاحملوا الله عباد الله على بلوغ اختتامه ، وسوره قبول صيامه وقيامه ، وراقبوا بأداء حقوقه ، واعتصموا بحبل الله وتوفيقه ، واعلموا رحمتكم الله أنكم قارنتم شهرا عظيما مفضلا كريما ، أين الصومك القويم الموافقون لكم في سائر الأعوام ، وأين من كان معكم ليال شهر رمضان شاهدين ، وفي كل حق الله معاملين من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والنجرة والقرابات ، أنتم والله هادم الفئات وقاطع الشبهات ومفرق الجماعات ، فأهل منهم المشاهد ، وعطل منهم المساجد تراهم في بطون الإخلاء صرعى ، لا يخلون لما هم فيه دلتا ، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ينظرون يوما الأسم فيه إلى وجه تدعى ، والخللاتي تحشر إلى الموقف وتسعى ، والفرائض ترتعد من هول ذلك اليوم جمعا ، والقلوب لتصدع من الحساب صدعا ، وتفيض في الصور فجمعناهم جمعا ، عباد الله من كان منع نفسه من الحرام في شهر رمضان فليمنعها في بعده من الشهور والأعوام ، فإن إله الشهرين واحد ، وهو على الزمانين مطلع شاهد ، جزا الله وإياكم على فريق شهر البركة ، وأجزل أناسا وأناسكم من رحمة المشتركة ، وبارك لنا ولكم في بقيته ، وسلك بنا وبكم طريق هداه برحمته وفضله ومنته ، اللهم وما حسنت في هذه الليلة من عتي وغفران ، ورحمة ورضوان ، وعفو وامتنان ، وكرم وإحسان ، ونجاة من الثيران ، وخلد في نعم الجنان ، فاجعل لنا منه أوفر الخلف وأجزل الأقسام برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم فكنا بلفتنا شهر الصيام ، فاجعل عامه علينا من أبرك الأعوام ، وأيامه من أسعد الأيام ، وتقبل منا ما قدسناه فيه من الصيام والقيام ، واغفر لنا ما اقترنا فيه من الآثام ، وخلصنا من مظالم الآثام يوم لا يرجى فيه سواك يا حلام يا أرحم الراحمين ، اللهم إنا قد تولينا صيام شهرنا وقيامه على تقصير ، وأدنا فيه من حقل قليلا من كثير ، وقد أئنا بياك سائئين ، ولمعرفك ظالمين ، فلا تردنا خائين ، ولا من رحمتك آيسين ، فتحن الفقراء إليك ، الأسرى بين يديك ، إليك توجعنا ، ولمعرفك تعرضنا ، ولبارك فرحنا ، ومن رحمتك سألنا ، فأرحم خضوعنا ، وأجبر قلوبنا وأسر عيوبنا ، وانقر ذنوبنا وأفر في القيامة عبرتنا ، ولا تصرف وجهك الكريم عنا ، واجعل عملنا مقبولا ، وسعنا مشكورا وحظنا في هذه الليلة موفورا ، اللهم إن كان في سابق علمك أن تيمنا في مثله فبارك لنا فيه ، وإن تقصبت بقطع آجالنا وما يجرل بيننا وبينه قلحسن الخلافة على باقينا ، وأوسع الرحمة على ما بقينا ، وحننا جمعا برحمتك وغفرانك ، واجعل المرحد بمحرج جنتك ووجوهناك ، (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم وأهل القبور وهائن ذنوب لا يظفون ، وأسارى وحشا لا يذكرون

و غریبہ سفر لایستقر ون ، ہمت داراست الثری محاسن وجوہہم ، وجاودہم عظام فی ملاحظہ
 قیورہم ، فہم جود لایستکملون ، وجیران قرب لایزولرون ، وسکاک لحد الی الخسر لایظعنون
 ولہم محسنون ومسیئون ، ومقصورون ومجہدون ، اللهم "فن کان منہم مسروروا فزده کرامة
 وحیورا ، ومن کان منہم ملہوفا فیک حزنہ فرحا وسرورا ، اللهم "وتعطف علی کافة اموات المسلمین
 الراحین ، والقیمین المستسلمین برحمتک یا ارحم الراحمین ، اللهم "اجعل قیورہم مقایض
 صلواتک ومقار حیاتک وطرق إحسانک وعبادی عفوک وغفرانک ، حتی یكونوا الی بطون
 الألحاد مطمئنین ، ویجودک وکرمک والقیین ، والی اهل حوجاتک سابقین ، واخصص بک
 الآباء والبنین والأخوة والأقربین ، قبل أن یشتعل المذم علی البناء ، والکفر علی الصفاء ،
 ویقطع من الحیاة حبیل الرجاء وتصیر للشار تحت أطلالی الثری ، وقیل أن یصیر المریج ویلا ،
 والقطر سیلا ، والصبح لیلا ، وسحب الموت علی اهل السموات والأرض ذیلا ، وقبل
 أن یقول الشیخ الکبیر : واشیاء ، ویقول الکہل الخطیر : واشجئنا ، ویقول المذنب المسیء :
 واشجئنا ، ویقول الحدیث الصغیر : واشحرناء ، واشجولوا منہ واشفقوا وغشیہم من الندامة ،
 وحن علی انواعہم فلم یقطعوا ، ووقفوا علی عمل نکس الرعوس فأطرقوا ، وعابوا من الأموال
 ما ودوا منہ انہم لم یخلقوا ، اللهم "یا سائق القوت ویا ساع الصوت ، ویا کاسی العظام بعد
 الموت ، صل علی محمد وعلی آل محمد ، ولا تدع لنا فی هذه اللیلة البائسة الشریفہ ذنبا
 إلا غفرته ، ولا عیبا إلا فرجته ، ولا کربا إلا کشفته ، ولا مبلی إلا غافقته ، ولا ذایا إساءة
 الا تلتک ، ولا حقا إلا استخلصتہ ، ولا غایبا إلا رددتہ ، ولا عاصبا إلا قطعته ، ولا مینا إلا رحمتہ ،
 ولا حاجة من حوائج الدنیا والآخرة لك فیہا رضا ولنا فیہا صلاح إلا أعثنا علی قضائہا بتیسیر
 وعالیہ ، مع المغفرة برحمتک یا ارحم الراحمین ، اغفر لنا ذنوبنا ولآہاتنا وأمہاتنا وإخواننا وأخواتنا
 وفریاتنا وغریباتنا وأصدقائنا ومعیننا ، ومن قرأنا علیہ وقرأ علینا ، وتعلمنا منہ وتعلم منا ، ومن
 سألنا الدعاء وسألنا الدعاء ، ومن سألنا فیک ، ومن تولانا فیک ، ومن تولىنا فیک ، ومن کان منہم
 حیا ومن کان منہم مینا برحمتک یا ارحم الراحمین ، اللهم "یا عالم الخفیات ، ویا دافع البلیات ،
 ویا مجیب الدعوات ویا کاشف الکربات ، صل علی محمد الفضل البریات ، وانفعتا بما صرفت
 فی کتابک من الآیات ، وتکفر عنا بذلواتہ السیئات ، وارفع لنا بعیام شہر رمضان وقیامہ عندک
 التبرجات ، برحمتک یا عالم الخفیات ، صل علی محمد وعلی آل محمد ، واغفر بالقرآن
 خطیئاتنا ، وأجزل بہ عقیباتنا ، واشف بہ مرضاتنا ، وارحم بہ موتانا ، وأصلح بہ أمور دیننا
 ودنیانا ، واحتلط بہ عنا ثقل الأوزار ، وهب لنا حسن شمائل الأبرار ، واغفر لنا اثرل العثار
 وطهر لنا القلوب والأسرار ، وطیب لنا بہ الأذکار وصف لنا بہ الأفكار ، ولزخص لنا
 الأسفار ، واصرف عنا شر الأشرار وکید الفجار ، وأجبتنا علی حب الصحابۃ الأخیار ، واجمع
 عیننا وینہم فی دار القرار ، واجعلنا من عتقائک من النار ، وأکتفی الدنیا حسنة وفی الآخرة حسنة

وَقَدْ عَلَّابُ النَّارِ ، الْحَمْدُ لَهُ عَلَى سَوَابِغِ نِعَمَائِهِ وَصَلَوَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

کتاب آداب المریدین

من الفقراء الصادقين سالکی طریق الصوفیة الذین صفوا عن الأهویة المفسدة ، وأمسکوا عن الأخلاق الرذیة فأدخلوا فی زمرة الأبدال وأهل الولاية ، واتصلوا بالعینة علی وجه الاعتصار والإقلال ، خشية السأمة واللال

(فصل : فی الإرادة والمرید والمراد) أما الإرادة : فترك ما جرت علیه العادة ، وتحقیقها نبوض القلب فی طلب الحق سبحانه وترك ما سواه ، فإذا ترك العبد العادة الی الی حفظ الدنيا والأخری فتجرد حیث قد إرادته ، فالإرادة مقدمة علی کل أمر ، ثم یبقی المقصد ، ثم الفعل ، فلهی بده طریق کل مآلک واسم أول منزلة کل قاصد ، قال الله عز وجل لئنیه صلی الله علیه وسلم (ولا تطرد الذین یدعون ربهم بالهدایة والعشی یریدون وجهه) فلی نیبه صلی الله علیه وسلم عن طردهم وإبعادهم ، وقال تعالی فی آیه أخرى (واصبر نفسك مع الذین یدعون ربهم بالهدایة والعشی یریدون وجهه ، ولا تبد عینک عنهم ترید زینة الحیاة الدنیا) فأمره صلی الله علیه وسلم بالصبر معهم وملازمة منهم وتبصیر النفس فی صحبتهم ، ووصفهم بأنهم یریدون وجهه ، ثم قال (ولا تبد عینک عنهم ترید زینة الحیاة الدنیا) فبان بذلك أن حقیقة الإرادة إرادة وجهه ، الله فحسب ، ذلك زینة الحیاة الدنیا والأخری . فلما المرید والمراد ، فالمرید : من كانت فیه هذه الجملة واتصف بهذه الصفة ، فهو أبدا مقبل علی الله عز وجل وطاعته ، مول عن غیره وإجابته ، یسمع من ربه عز وجل فیعمل بما فی الکتاب والسنة ، ویصم عما سوا ذلك ، ویبصر بنور الله عز وجل فلا یری إلا فعله فیه ، ولی غیره من سائر الخلائق ، ویبصر عن غیره فلا یری فاعلا علی الحقیقة غیره عز وجل ، بل یری آله وسیما محرکا مدبرا مسخرا ، قال النبی صلی الله علیه وسلم (حیلک الشیء یعنی ویصم ، أتى یصیبک عن غیر محبوبک ، ویصمک عنه لاشغاک بمحبوبک ، فما أحب حتی أراد ، وما أراد حتی تجردت إرادته ، وما تجردت إرادته حتی قلت فی قلبه جرة الخشبة فأحرق کل ما هنالك ، قال الله عز وجل (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أمرة أهلها أثلة) كما قبل : إنها لوحة تهون کل دوعة فتزومه غلبة وأکمله فاقة ، وکلامه ضرورة ، یصم نفسه أبدا فلا یجیبها إلى محبوباتها ولذاتها ، ویصم عباد الله ویأس بالخلاوة مع الله ، ویبصر عن معاصی الله تعالی ویرضی بقضاء الله ویختار أمر الله ، ویستحی من نظر الله ، ویبذل مجهوده فی محابة الله تعالی ، ویترکس أبدا لکل سبب یوصله إلى عز وجل ویفتح بالتمسک والاعتقاد ، فلا یختار حد عباد الله ویستحب إلى ربه بکثرة التواضع ، مخلصا له حتی یصل إلى الله عز وجل ، ویحصل فی زمرة أصحاب الله تعالی ومریدیه ، فحیلنا یسمى مرادا ، فتخط عنه أقدال سالکی طریق الله ، ویفضل بقاء راحة الله ورأفته . الخلفه ،

فیثی له بیت فی جوار الله ، وتخلع علیه أنواع الخلع ، وهی المعرقه بالله والانس به ، والسکون والعطانیة الیه ، وینتقل بحکمة الله وأسرار الله بعد الإذن الصریح ، بل بالخبر عن الله عز وجل ویلقب باللقاب بضمیر بها بین أحباب الله تعالی ، فیدخل فی غوارس الله ، ویسوی بأسماءه لا یصلها إلا الله ، ویطلع علی أسرار نفسه ، فلا یوح بها عند غیر الله عز وجل ، فیسمع من الله ویبصر بالله ویعلق بالله ویطش بقوة الله ، ویسوی فی طاعة الله ، ویسکن لئی الله ، وینام مع طاعة الله ، وذكر الله فی کلامه الله ، وحرز الله ، فیکون من أمته الله وشهادته ، وأمراده أرضه ومنجی عباده وبلاده وأحیائه وأمواته ، قال النبی صلی الله علیه وسلم حاکمنا عن الله تعالی لا یرال عبیدی المؤمن یتقرب إلی بالوافل حتی أحمه ، « فإذا أحمیته کنت حمده وبصره ولسانه یده ورجله وفیاده ، ففی یسمع وفی یبصر وفی ینقل وفی یعقل وفی یطش والحديث . فهذا عبد حمل عقله العقل الأكبر ، وسکنت حركاته الشهوانیة لقبضة الحق عز وجل ، لمصارفیه خزائن الله عز وجل فهذا هو مراد الله تعالی إن أردت أن تعرفه یا عبد الله ، وقد قال من تقدم من عباد الله تعالی : إن المرید والمراد واحد ، إذ لو لم یکن مراد الله عز وجل بأن یریده لم یکن مریدا ، ولا یکان إلا ما أراد ، لانه إذا أراد الحق بالتخصیصی وفقه بالإرادة . وقال آخرون : المرید المبتدئ ، والمراد المنتهی ، المرید : الذی نصب بعین التعب وأللی فی مفاصلة المشاق ، والمراد : الذی لئی الأمر من غیر مشقة . المرید المتعب والمراد : مرفوق به مرفقه . فالأخیر فی حق القاصدين المبتدئين فی سنة الله تعالی ما قد تم وجری من توفیق الله تعالی للمجاهدات ، ثم إصباحهم الیه وحط الأثقال عنهم ، والتخفيف عنهم فی کثیر من التوالم وترك الشهوات ، والاعتصام علی القيام بالفرائض والسنة من جمیع العبادات ، وحفظ القلوب وحفاظة الحدود والمقام ، والانتطاع عما سوى الحق عز وجل بالقلوب ، فیکون قلوبهم مع خلق الله تعالی ، وبواعظهم مع الله عز وجل ، ألسنتهم بحکم الله ، وقلوبهم بعلم الله ، فآلسنتهم لتصح عباد الله ، وأسرارهم لحفظ ودائع الله ، فعلمهم سلام الله ونعماته وبرکاته ورحته ونحیته ما دامت أرضه وسماؤه ، وقام العباد بطاعته وحقه ، وحفظ حدوده . وحصل الختید رحمه الله عن المرید والمراد فقال : المرید : تتولاه حیاة العلم ، والمراد : تتولاه رعاية الحق ، لأن المرید یسیر ، والمراد بطیر ، ففی یلحق السائر الطائر ؟ ویکتشف ذلک بموسى ونبیة محمد صلی الله علیه وسلم ، کان موسی علیه السلام مریدا ، ونبیة صلی الله علیه وسلم مرادا ، انتهى میر موسی علیه السلام إلی جبل طور سیناء ، وطهران . نبیة صلی الله علیه وسلم إلی العرش والروح المحفوظ ، فالمرید طالب ، والمراد مطارب ، حیاة المرید مجاهدة ، وعبادة المراد موعبة ، المرید موجود ، والمراد فان المرید یعمل للعرض ، والمراد لا یرى العمل بل یرى التوفیق واللین ، المرید یعمل فی سلوک السبیل ، والمراد قائم علی جمیع کل سبیل ، المرید ینظر بنور الله والمراد ینظر بالله : المرید قائم بأمر الله ، والمراد قائم بنقل الله ، المرید یخالف هواه ، والمراد یتبرأ من إرادته ومناه ، المرید یتقرب والمراد یقرب ، المرید یحیی ، والمراد یسلط ویعزم ویغلب ویشهی ، المرید محفوظ ، والمراد یحفظ به المرید ،

فی الرقی ، والمراد قد وصل وبلغ إلى الربّ الذى هو الرقی ، وقال عنده كل طریق ونفیس ولطیف ونفی ، فجاز على كل طائع عابد متقرب بار تقی .

(فصل : ما المتصوف وما الصوفی ؟) لما المتصوف : فهو الذى يتكلف أن يكون صوفیا ، ويتوصل بجهده إلى أن يكون صوفیا ، فإذا تكلف وتقصص بطریق القوم وأخذ به يسمى متصوفا كما يقال لمن لبس القميص تقصص ، ولمن لبس الدراعة تدروع ، ويقال : تقصص ومتدروع ، وكذلك يقال لمن دخل فی الزهد : مزهد ، فإذا انتهى فی زهده وبلغ وبغضت الأشياء إليه وفنى عنها ، فترك كل واحد منهما صاحبه ، سعى حينئذ زاهدا ، ثم تأتبه الأشياء وهو لا يريد بها ولا يهضمها ، بل يمثل أمر الله فيها ، ويشتغل فعل الله فيها ، فيقال لهذا متصوف وصوفی إذا انصف بهذا المعنى ، فهو فی الأصل صوفی على وزن فاعل ، مأخوذ من المصافاة ، يعنى عبدا صافاه الحق عز وجل ، ولهذا قيل : الصوفی من كان صافیا من آفات النفس ، خالیا من ملذوماتها ، سالكا لحמיד ملاحیه ، ملازما للحقائق غير ساكن بقلبه إلى أحد من الخلائق . وقيل : إن المتصوف : الصديق مع الحق ، وحسن الخلق مع الخلق . وأما الفرق بين المتصوف والصوفی ، فالمتصوف المبتدئ ، والصوفی المنتهى ، المتصوف التلوع فی طریق الوصل ، والصوفی من قطع الطريق ووصل إلى من إليه القطع والوصل ، المتصوف متحمل ، والصوفی محمول ، حل المتصوف كل ثقیل وخفیف ، فحمل حتى ذابت نفسه ، وزال هواء ، وتلاشت إرادته وأمانته فصار صافیا فسی صوفیا ، فحمل فصار محمول القدر ككرة المشقة ، مربى النفس ، منبع العظم والحكم ، بيت الأمن والقرى ، سمى الأولياء والأبدال وموثلهم ومرجعهم ومتكسبهم ومسترأحهم ومسرتهم ، إذ هو عين القلادة ذرة التاج منظر الربّ (والمراد المتصوف مكابدة لنفسه وهواء وشيطانه وخلق ربه ودنياه وأخره ، متعب لربه عز وجل بفارقة الجهات الست والأشياء وترك العمل لها وموافقها ، والقبول منها وتصفية باطنه من الذل إليها والاشتغال بها ، فيخالف شيطانه ويترك دنياه ، ويفارق أقرانه وسائر خلق ربه بحكمة عز وجل لطالب آخره ، ثم يجاهد نفسه وهواء بأمر الله عز وجل فيفارقه آخره ، وما أعد عز وجل لأولائه فيها من جنة لرضيته فی مولاه ، فيخرج من الأكوان فيصن من الأحداث ويصوهر ربه الأنام ، فتنتزع منه العلل والآسباب والأهل والأولاد ، فتضد عنه الجهات ، وتفتح فی وجهه جهة الجهات ، وباب الأبواب ، وهو الرضا بقضاء ربه الأنام ، ورب الأبواب ، ويفعل فيه فعل العلم بما كان وما هوأت ، والتخير بالسرائر والتلفيات ، وما تتحرك به الجوارح ، وما تضرره القلوب والنيات ، ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القرية إلى الملك المنيان ، ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس ، ثم يجلس على كرمى التوحيد ، ثم يرفع عنه الحجب ويدخل دار القدانية ، ويكشف عنه الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بين يلا هو ، قائما عن نفسه وصفاته ، عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وآخره ، فيصير كأنه بلور مخلو ماء صافیا ، تبين فيه الأشياخ ، فلا يحكم عليه غير القبر ، ولا يرجده غير الأمر ،

فهو فان عنه وعن حظه ، موجود لمولاه وأمره ، لا يهتبط خطوة لأن الخطوة للموجود ، فهو كالطفل لا يأكل حتى يطعم ، ولا يلبس حتى يلبس ، فهو مسترسل مفروض (ونقلهم ذات الجبن وذات الشمال) الآية ، إلا أنه كان بين الخليفة بالهيم ، بان عزم بالأفعال والأعمال والسرائر والظواهر والضيائر والنيات ، فيحتك يسمى صوفيا ، على معنى أنه بعض من التكنر بالخليفة والبريات ، وإن شئت سميت بللا من الأبدال ، وعينا من الأعيان ، عارفا بنفسه وربه ، الذي هو محي الأموات ، المخرج أوليائه من ظلمات النفوس والطباع والأهوية والضلالات إلى ساحة الذكر والمعارف والعلوم والأسرار ونور القرية ، ثم إلى نوره عز وجل (الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) فانه يعمل تولى إخراجهم من الظلمات إلى النور ، وهو عز وجل أطلقهم على ما أضمرت قلوب البهادر ، وانطوت عليه النيات ، إذ جعلهم ربي جواسيس القلوب والأمعاء على السرائر والخصيات ، وحرسهم من الأعداء في الخلوات والجلوات ، لا شيطان مضل ولا هوى متبع يميل بهم إلى الزلات ، قال الله عز وجل (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ولا نفس أمارة بالسوء ، ولا شهوة غالبة متبعة تدعوهم إلى اللذات الرديئة في التركات المخرجة من أهل السنة والجماعات ، حال عز من قائل (كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الخالصين) فحرسهم ربي ، وقمع رجوات نفوسهم وضراوتها بسلطان الجبروت ، فثبتهم في مراتبهم ووقفهم لوفاء بشرطه ، بعد أن وقفهم الوفاء بالصدق في سرهم ، وبالصبر في عمل ، انقطاعهم واضطرابهم ، فأدوا الفرائض وحفظوا الحدود والأوامر ، وأكرموا المراتب حتى قوموا وحدّثوا ونكحوا وأدبوا وطهروا وطيبوا ووسعوا وزكوا وشجعوا وعوذوا ، فثبت لهم ولاية الله وتوليته (الله ولي الذين آمنوا) ، وقوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) ففعلوا من مراتبهم إلى مالك الملك ، فرب علم ذلك بين يديه ، فصار نجواهم كفاحا بناجواهم بقلوبهم وأسرارهم ، فاشتغلوا به عن سواه ، ونهوا عن نفوسهم ، وعن كل شيء - هو رب كل شيء - ومولاه ، فصبرهم في قبضته ، وقبضهم بعقولهم وجعلهم أمناء ، فهم في قبضته وحصنه وحراسه ، يتشمرون روح القرب ويحيون في فسيحة التوحيد والرحمة ، فلا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم من الأعمال ، فلذا جاء وقت عمل أبادتهم دون قلوبهم ، مضوا مع الحرس في تلك الأعمال ، حتى لا تضرم شياطينهم ونفوسهم وأهوائهم ، فسلم أعمالهم من حظ الشياطين ، وهتات النفوس من الرياء والفتاق والعجب وطلب الأعراس ، والشرك بشيء من الأشياء والحول والقوة ، بل يرون جميع ذلك فضلا من الله وتوليها من الله خلقا ، ومنهم بتوفيقه كتبوا ، فلا يفرجوا بعد هذه العقيدة من سنن الهدى ، ثم يردون بعد أداء تلك الأوامر ، وفراغ تلك الأعمال إلى مراتبهم التي أكرموا بها ، فوقفوا معها وحفظوها بالقلوب والضيائر ، وقد يتفكرون إلى حالة بعد أن جعلوا الأمناء ، وعوطف كل واحد منهم بالانفراد في حاله (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فلا يحتاجون فيها إلى إذن ، لأنهم صاروا كالنفوس إليهم أمرهم ، فهم في قبضته حبيبا ذهيرا في شيء من أمورهم يحفظه قول النبي صلى الله

عليه وسلم فيها يحكيه عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل أنه قال «ما تقرب إلى عبيدي مثل أداء فرائضي، وإنه ليتقرب إلى بالتواضع حتى أحبه، فإذا أحبه كنت سمعه وبصره وأسماءه ويده ورجله وقزاده، فبي يسمع وبني يبصر وبني ينطق وبني يعقل وبني يطعم». فهذا الخبر قد ذكرناه في مواضع من هذا الكتاب، لأنه أصل في هذا المقام، فيحتل قلب هذا العبد بحب ربه عز وجل ونوره وعلمه والفرقة به، فلا يصح غير ذلك، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم «من أحب أن ينظر إلى رجل يحب الله يحل قلبه فلينظر إلى سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه»، فظاهره مشحرك متصرف بفعل الله تعالى، وباطنه مخلوع بالله عز وجل، وقد قال موسى عليه السلام «يا رب أين أبغيت قال: يا موسى أين بيت يسئ، وأي مكان يحملي؟ فإن أردت أن تعلم أين أنا فأنا في قلب التارك الواضع العفيف؟» «التارك هو الذي يترك بمهله وفيه بقية»، ثم من عليه ربه فودعه موتاً عنه ثم عفا، فلا يلتفت إلى شيء سوى مولاه. فإن قيل: فما تلك الجنة التي من بها ربه عليه؟ قلنا: هي أنه عز وجل أقامه في المرتبة على شريطة الزوم لها ليقوم بها، فلما وفى له بالشروط ولم يبع عملاً وسرعة غير ذلك وحفظه ولم يتجاوز نقله منها إلى ملكك الجبروت ليقوم، فنجبر نفسه ثم قمعها بسلطان الجبروت حتى ذلت وعشمت ثم نقله منها إلى الملك السلطان ليهذب، فلذابت تلك اللذات التي في نفسه، وهي أصول تلك الشهوات التي قد صارت غدة ثابتة فيها، ثم نقله منها إلى ملك الجلال فأدب، ثم نقله منها إلى ملك الإحسان فنفق، ثم نقله إلى ملك العظمة فظهر، ثم إلى ملك البهاء فطيب، ثم إلى ملك البهجة فوسع، ثم إلى ملك الحقبة فربي، ثم إلى ملك الرحمة فطرب وقوى وشجع، ثم إلى ملك الفردية فألرد، فالطفت بخلقه، والرائقة تجمعه وتكتنفه، والغيرة تقويه، والشوق يدينه، والمشيقة تؤديه إليه، والجواهر العزيز بقلبه فيقره، ثم يدينه ثم يمهله ثم يؤديه ثم يتبعه ثم يسلطه بمنه ثم يقبض عليه، فأبنا صار إلى كل مكان حال وفي كل حال لربه دان فهو في قبضته، وأمين من أمانته على أسراره، وما يؤديه من ربه إلى خلقه، فإذا صار إلى هذا الحال فقد انقضت الصفات وانقطع الكلام والمبارات، فهذا هو منتهى العقول والقلوب، وغاية ما تبلغ حالات الأولياء إليه ويمتلئ، وما وراء ذلك مخصص بالأنبياء والرسل عليهم السلام، لأن نهاية الولي بداية النبي على الجميع صلوات الله ونحياته ورواحته ورحمته، والفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام يفصل من الله تعالى ووحى، منه روح من الله يقضى الوحي، ويختمه بالروح، منه تعالى قوله فيقبله، هذا هو الذي يلزم تصديقه، ومن رده فهو كافر، لأنه راد لكلام الله عز وجل وأما الولاية فهي لمن تولى الله عز وجل حديثه على طريق الإلهام فأوصله إليه فله الحديث، فيفصل ذلك الحديث من الله على لسان الحق منه السكينة، فالحق السكينة التي في قلب المحبوب فيقبله ويسكن إليه، فالكلام للأنبياء، والحديث للأولياء، فمن رده الكلام كفر، لأنه رده على الله كلامه ووحىه، ومن رده الحديث لم يكفر، بل يغيب ويعصير وبالا عليه ويبعث قلبه، لأنه رده على الحق ما جاء به محبة الله تعالى ممن علم الله في نفسه فأودعه الحق، وجعله مؤدته

إلى القلب ، لأن الحديث ما ظهر من علمه الذي برز في وقت المشقة ، فيعبر حديثاً في النفس كالسر ، إنما يقع ذلك الحديث بحجة من الله لهذا العيد ، فيمضي مع الحق إلى قلبه فيقبله لقلب بالسكينة .

باب فيما يجب على المبتدئ في هذه الطريقة أولاً

وما يجب عليه من الأدب مع الشيخ كانيا ، وما يجب على الشيخ في تأديب المريد فالذي يجب على المبتدئ في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس ، فيكون على عقيدة السلف الصالح أهل السنة القديمة سنة الأنبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين ، والأولياء والصديقين على ما تقدم ذكره وشرحه في أثناء الكتاب ، فعليه بالنسك بالكتاب والسنة والعمل بهما أمراً ونهياً ، أسلاً وفرعاً ، فيجعلهما جناحيه يطير بهما في الطريق الواصل إلى الله عز وجل ، ثم الصديق ثم الاجتهاد ، حتى يجد الهداية والإرشاد إليه والدليل ، وقالوا بقوده ، ثم مؤنساً يؤنس ، ومستراحاً يستريح إليه في حالة إعيائه ونصبه وظلمته عند ثوران شمسه ولذاته وهنات نفسه وهواه الضل ، وطيعه الخبول على التنبط والتوقف عن السير في الطريق قال الله عز وجل (والذين جاءوا من قبنا لهديهم سبيلنا) : وقال الحكميم : من طلب وجد وجد . فيالاعتقاد يحصل له علم الحقيقة ، وبالاجتهاد يتحقق له سلوك الحقيقة ، ثم يجب عليه أن يخلص مع الله عز وجل عهداً بأن لا يرفغ قدماً في طريقه إليه ، ولا يضعها إلا بالله مالم يصل إلى الله ، فلا ينصرف عن قصده بلامه مالم لأن الصادق لا يرجع ، ولا يوجد كرامة فلا يقف معها ويرضى بها عن الله عز وجل عرضاً ، إذ هي حجاب عن ربه مالم يصل إليه عز وجل ، فإذا حصل الوصول لا تضره الكرامات ، إذ هي من باب القدرة وثمراتها وعلاماتها ، ووصوله إلى الحق عز وجل من القدرة ، فلا ينقض الشيء نفسه ، وكيف وقد يصير هو حينئذ قدوة في الأرض ويحرق عادة ، وكلامه حكمة بالغة من بعد جهل وعجمة وبلاغة وقصور ، وحركاته وسكناته وتصاريفه حيرة لمن اعتبرها ، وأفعال الله تجري فيه وعليه مما يبرر القول ، ثم قد يؤمر حينئذ بطلب الكرامة ويحبر عليه ، وتحقق عنده أن دماره وهلاكه في ترك الطلب ومخالفة هذا الأمر ، وقيامه وبقاؤه وعبادته وقرينه ومرحاضة ربه ودنوه منه وزيادة محبة ربه له في طلبها وانتال أمره فيها ، فكيف تضره الكرامة حينئذ أن يكون ذلك بينه وبين ربه عز وجل ، ولا يظهره لأحد من العوام إلا أن يطلب عليه ظهوره ، لأن من شرط الولاية كتمان الكرامات ، ومن شروط النبوة والرسل إظهار المعجزات ، ليضع بذلك الفرق بين النبوة والولاية . ولا ينبغي له أن يرجع في أوطان التقصير ، ولا يتألم للمفسرين والمطالين أبناء قبل وقال ، أعداء الأسماء والتكاليف ، المدعين للإسلام والإيمان ، الذين قال الله عز وجل في حقهم (يا أيها الذين آمنوا لم تنه لوق ما لا تفعلون ، كبير مقنا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال في آتياً (أنأمرون الناس بالمعروف ونهون أنفسكم وأنهم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) . وينبغي له أن لا يقصّر بئاليسور ،

ولا يدخل بالمجرور خوفاً أن يقال مثله للإظهار والسجود ، ويقطع في نفسه ويقول علمنا بأن الله لم يخلق ولياً له في سائر الدهور بخيلاً بذلك للصور . وينبغي له أن يرضى بالذلّ الدائم وسحرمان النصيب ، والجوع الدائم والعمول ، وذمّ الناس له ، وتقديم أقرانه وأشكاله وأقرانه عليه في الإكرام والعطاء ، والتفريب عند الشيوخ ومجالس العلماء ، فيجوع هو والجماعة بشعور ، والكل أعزاء ، ونصيبه الذلّ ، ويمزّ الجميع ويكون يستخبر نفسه الذلّ ، ويجعله نصيبه ، ومن لم يرض بهذا ويوطن نفسه عليه فلا يكاد أن يفتح عليه ويحيى منه شيء ، فالتجّاح الكلّ والفلاح فيها ذكرنا ، وينبغي له أن لا ينتظر من الله مطلوباً سوى المضرة لما سلف من الذنوب ، والعصاة فيها يأتي من الدهور ، والتوفيق لما يحبه من الساعات ويوصله إليه من القربات ، ثم الرضا عنه في الحركات والسكنات والتعجب إلى الشيوخ من الأولياء والأبدال إذ ذاك سبب لتضرّعه في زمرة الأجباب ذوى العقول والأقباب ، الذين عقلوا من ربّ الأرباب ، واطلعوا على الغيب والآيات ، فصفت حينئذ القلوب والضاير والنيات ، فهذا الذي ذكرته صفة المريد ، قلما لم يتجرّد قلبه عن جميع الطلبات والمآرب ، ويتنقّ عن غيرها ما ذكرنا من الحوائج والمطالب ، لا يكون مريداً على نعم الاستحقاق .

(فصل) وأما آدابه مع الشيخ ، فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر ، وترك الاعتراض عليه في الباطن ، فصاحب المصيان بظاهره تارك لأدبه ، وصاحب الاعتراض بسرّه متعرّض لعطبه ، بل يكون خصماً على نفسه شيخه أبداً ، يحفّ نفسه ويمزجها عن مخالفة ظاهرها وباطنها ويكثر قراءة قوله عزّ وجلّ (ربنا الحقر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا . ربنا إنك رؤوف رحيم) وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة ، ولا يصرّح به لكلا يفرّ به عليه وإن رأى فيه عيباً من العيوب سرّه عليه ، ويعود بالهمة على نفسه ، ويتلوّك الشيخ في الشرع ، فإن لم يجد له حلواً في الشرع استغفر للشيخ ودعا له بالتوفيق والعلم واليقظ والعصمة والخشية ، ولا يعتقد فيه العصمة ، ولا يجبر أحداً به ، وإذا رجع إليه يوماً آخر أو ساعة أخرى يعتقد أن ذلك قد زال ، وأن الشيخ قد نزل إلى ما هو أعلى رتبة ولم يقرّ عليه ، وإنما كان ذلك غفلة وحديثاً وفصلاً بين الحالين ، لأن لكل حالين فصلاً ورجوعاً إلى رخص الشرع وإباحته وترك العزيمة والأشدّ ، كالاعتذار بين الدارين ، والمزلة بين المزلتين ، انتهاء للحالة الأولى ، وقياماً على عتبة الحالة الثانية ، وانتقالاً من ولاية إلى أخرى ، وخلف خطمة ولاية ، وليس خطمة ولاية أخرى ، التي هي الأعلى والأشرف لأنهم كل يوم في مزيد قرب من الله عزّ وجلّ ، وإذا غضب الشيخ وجلس في وجهه أو ظهر منه نوع إحراض عنه لم ينقطع عنه ، بل يقتش باطنه وما جرى منه من سوء الأكواب في حقّ الشيخ لولايته فيها يعود إلى أمر الله عزّ وجلّ ، من ترك امتثال الأمر وترك كتاب النبيّ ، فليستغفر ربه عزّ وجلّ وليتوب إليه ، ويمزّ عن ترك المعادة إليه ، ثم يعتذر إلى الشيخ ويتخلّل له وبسطقه ، ويتعجب إليه بترك المخالفة له في السخيل ، ويداوم على المرافقة له ، ويواطب عليها ، فيجعله

وضیلة وواسطة بینہ و بین زہہ عز وجل ، وطریقا وسیبا بتوصلی بہ الیہ ، کمن یرید الدخول حین ملک ولا معرفۃ لہ بہ ، لآلہ لا یدلہ لہ من أن یمصادف حاجبا من حجابہ ، أو واحدا من حواشیہ وخواشیہ ، لیصرہ سبیلۃ الملك ودأبۃ وعادۃ ، ویعلم الأدب بین یدیہ والمخاطبۃ لہ ، وما یصلح لہ من الهدایا والطرایف بما لیس مثلها فی خزانۃ ، وما یؤثر الاستکثار ، قلبات الیث من بابہ ولا یسلف من ورثہ من غیر بابہ ، فیلام ویبان ، ولا یبلغ الغرض من الملك ولا المقصود منہ ، ولكل داخل دہشۃ لا یدلہ من تذکر ومنہ ، ومن یأخذ بیدہ فیقعدہ موضع مثلہ ، أو یشیر الیہ بذلک فلا تنطرق الیہ اللہانہ ، ولا یشار الیہ بسوء الأدب والمخاطبۃ ، ولیتحقق بأن اللہ عز وجل أجرى المادۃ بأن یکون فی الأرض شیخ ومريد صاحب ومصحوب ، تابع ومتبوع من لدن آدم إلى أن تقزم الساعة . الاخرى إلى آدم علیه السلام لما خلقه اللہ تعالی علمہ الأسماء كلها ، وانفتح الأمر بہ ، فجعلہ كالنظمید مع الأستاذ ، والمريد مع الشيخ ، وقال لہ : یا آدم هذا فرض وهدایا . بلن وعذا حار ، حتى علمہ قصصہ وقصصہ . ثم لما فرغ من تعليمہ وتہلیہ جعلہ أستاذًا معلما شیخًا حاکما ، وكساه بأنواع الخلق والحلی ، وتوجه منطقہ وأجلسہ علی کرمی فی الجنة ، وأقام الملائکۃ حوله صوفوا فقال (یا آدم أنبئکم بأسمائہم) بعد أن ظهر حجبہم وعلمہ علمہم لک ، وقولہم (سبحانک لا علم لنا إلا ما علمتنا) فصارت الملائکۃ تلاميذ لآدم وآدم شیخہم ، فأیامہم بأسماء الأشياء كلها علی ما ثبتہ بہ القرآن ، فظهر فضله علیہ السلام علیہم ، فصار أفضلیہم وأشرقیہم عند اللہ وعندہم ، فصار متبوعہم وهم تابعون مقتدون صلوات اللہ علیہم ، فلما جرى ما جرى من أكل الشجرة والخروج من الجنة ، والانتقال إلى حالہ اخرى ومزل غیرہ ، لم یعط علمہ ولم یستوطنہ بعد ، ولا جرى ذلک فی خلقہ ، ولا عین أنه سہار بہ الیہ ، فلما وصل إلى المنزل وجال فی الأرض ، استوحش منها ورأى فیها ما لم یکن رآہ من قبل ، فألقى علیہ الجفوع والعطش والحرقۃ والقیض ما لم یعہدہ من قبل ، احتاج إلى معلم ومرشد وأستاذ ودلیل ومؤید ومنبہ ، فبعث اللہ تعالی جبریل علیہ السلام فأنبأہ ، وعرفہ ما أشکل علیہ من أمر المنزل ، وأعطاہ الخطة فأمرہ فیئودھا ، ثم أمرہ فحصدھا ، ثم أمرہ فلما راھا ، فطحنھا وحیا لہ أسبأھا ، ثم أمرہ بالخبز فخبز ، ثم أمرہ بالأكل فأكل ، ثم لما طلب الطعام الخروج من المدة تحیر ولم یلم بالصنع المحتاج إلى معلم أيضا ، فعلمہ کیف یغوط وکیف یطهر وکیف یعبد اللہ تعالی فی المنزل ، وعلمہ کیف بتوصل إلى بیاض جسدہ الذی قد حال لونه من البیاض والإشراق إلى السواد والظلمۃ ، فأمرہ بصيام أيام البیض من الشهر ثالث عشر وربیع عشر وخمیس عشر ، فعاد لونه إلى البیاض ، وعلمہ غیر ذلک من العلوم والأداب ، فصار آدم علیہ السلام تلميذا لجبریل ، وجبریل علیہ السلام أستاذہ وشيخہ ، بعد أن کان آدم شیخہ والملائکۃ أئمة ومتبوعہم ، وأعلمہم کل ذلک لتغير الحال بہ ، والانتقال من منزله إلى آخر ، ثم علم جبرائیل شیخ بن آدم من آیہ آدم ، ثم أولادہ منہ ، وكذلك نوح النبی علیہ السلام علم أولادہ ، وإبراهیم علیہ السلام علم أولادہ ، قال اللہ تعالی (ووصی بہا إبراہیم بنیہ وصحب)

ای اثر ہم و علم ہم ، و کذلک موسیٰ و ہارون علیہما السلام علما اولادہما و بنی اسرائیل ،
و عیسیٰ علیہ السلام علم الحواریین ، ثم إن جبریل علیہ السلام علم نبینا صلی اللہ علیہ وسلم
الروضہ و الصلاة ، و وصاء بالسواک ، و هو قوله صلی اللہ علیہ وسلم : و صاتی جبریل بالسواک
حتى کاد أن یقرضه ، و صلی فی جبریل علیہ السلام عند البیت مرتین ، فصلی فی الظہر حين
زالت الشمس ، الحبث إلى آخرہ ، و قد تقدم ذکرہ . ثم تطعت الصحابة رضی اللہ عنہم منہ
صلی اللہ علیہ وسلم ، ثم اتابعون منہم ، ثم تابعو التابعین منہم قرنا بعد قرن و حصرا بعد حصر ،
فما من نبی إلا وله صاحب یہدی بہداه و یقفو أثرہ و یشیع مذہبہ و یرشدی ہدیہ ، ثم یحلقہ مکانہ
و یقوم مقامہ ، کومسی بن عمران و غلامہ و ابن أختہ یرشع بن نون علیہم السلام ، و الحواریین ،
مع عیسیٰ علیہ السلام ، و ابی بکر و عمر رضی اللہ عنہما مع النبی صلی اللہ علیہ وسلم ، و کذلک
عمران و علی و سائر الصحابة رضی اللہ عنہم ، و ما زالت الأولیاء و الصديقون و الأبدال کذلک
من بین أستاذ و تلمیذ کالسنن البصری و تلمیذہ عتبہ الغلام ، و سری السقطی و غلامہ و ابن أختہ
ابی القاسم الجندی و غیرہم مما یطول شرحہ . فالشیخ ہم الطريق إلى اللہ عز و جل و الأدلاء علیہ
والباب الذی یسخر منہ إلیہ ، فلا بد لكل مرید للہ عز و جل من شیخ علی ما ینا ، إلا علی التذلل
و التسلو ، فیحوز أن یعطی اللہ عبدا من عبادہ ، فیتولى تربیتہ و حراستہ عن الشیطان و هزات
النفس و الغوی ، کأبراہیم النبی و تینیا محمد صلوات اللہ و سلامہ علیہما ، و أویس القرنی من
الأولیاء و غیرہم و رحمہم اللہ فلا ینکر ، إلا أنا ینا ما هو الأغلب و الأكثر و الأسلم و الأحسن ،
فلا یبغی لہ أن یقطع عن الشیخ حتی یشغی عنہ بالوصول إلى ربہ عز و جل ، فیتولى تبارک
و تعالیٰ تربیتہ و تہذیبہ ، و یرفقہ علی معالی أشیاء خفیة علی الشیخ ، و یستعملہ بما یشاء من
الأعمال و یأمرہ و ینہاہ و یسطہ و یقبضہ و ینخہ و یفرہ و یلقہ و یطلہ علی أنفسہ و ما یشول
أمرہ إلیہ ، فیشغی برہ عن غیرہ ، بل لا یضرغ لغيرہ ولا یسعه إلا مراعاة الأدب لربہ ،
و محافظتہ خدمتہ و حرمتہ و توقیرہ ، فحیث یقطع عن الشیخ قطعا و ربما حرم علیہ المرور إلى
الشیخ ، إلا عن صریح و غیر بین ، إلا ما یضغ عیہ الشیخ إلیہ ، فواللہ لاقاة لہ فی طریق أو جامع
قدرا و لا یكون قصدا ، کذلک حفظ الحال ، و استثناء بالرب و غیرہ علی الحال و ملازمة
لہا ، و خيفة من الرلة و القلقة لہا و العقوبة بملک ، و ذلك أن الحکم یمسح المرید و الشیخ و یسعیہما
و الأحوال تفرق بینہما لأنها قدر و القدر غیب ، فہی فعل الرب عز و جل ، و اللہ تعالیٰ فی کل
یوم ہو فی شأن فی تقدم و التأخیر ، و تبديل و تغیر ، و ولایة و عزل ، و إعفاء و إختار ، و اعزاز
و إذلال ، یمسوق المقادیر إلى الواقیت ، لا یدوک ذلك ولا ینضبط لأحد من الخلق ، لیل مظلم
و بحر جلی ، و یر شامع لا یحیط بشیء من ذلك إلا اللہ عز و جل ، و من یطلہ اللہ تعالیٰ علیہ
من رسلہ و أنبیائہ و غیرہم "أولیاءہ" ، فالانسان من الأولیاء لا یظنق فی طریق بعد دخولہما الی
ہی القدر و الفعل ، فما یصنع المرید بالشیخ و طریقہما مختلفہ ، فالشیخ یمسیرہ إلى جہۃ ، و المرید
إلى أخرى ، فقد خولفت بین ظهورہما و وجوہہما ، فأتی لہما و الصیحة و الاجتہاد و الإیقان

بعد ذلك جلد ، فإن الحق فهو تاجر شاذ لا التفات إليه ولا معرك عليه ، إذ الأخطب ما قد انكشف وظهر وبان : فصولات الله على الشيخ ، وعلى المرید الصادق الذي إذا بلغ به إلى حالة استثنى فيها بره تبارك وتعالى عن الشيخ إلا في الوقت .

ومن آداب المرید : أن لا يتكلم بين يدي شيخه إلا في حالة الضرورة ، وأن لا يظهر شيئا من مناقب نفسه بين يديه ، ولا ينبغي له أن يسطر سجدته بين يدي الشيخ إلا في وقت أداء الصلاة ، فإذا فرغ من صلاته طوى سجدة في الحلال ، ويكون مهيئا لتلمذة شيخه ومن هو قاعد على بساطه ، ميسوما مستوطنا مستريحا ، لا تكلفه عليه لغيره ، وهذه حالة الشيوخ لأحوال المریدین ، ويتخذ في اجتناب سطر سجدته وفوق سجدته من هو فوقه في الرتبة ، وإدناء سجدته عن سجدته إلا بأمره ، فإن ذلك عندهم سوء الأدب . وينبغي للمرید إذا جرت مسألة بين يدي الشيخ أن يسكت ، وإن كان عنده فصل وإشباع جواب فيها ، بل يقتنم ما يفتح الله على لسان شيخه فيقبله ويعمل به ، وإن رأى في جوابه نقصانا وقصورا فلا يرد عليه ، بل يشكر الله تعالى على ما خصه من فضل وعلم ونور ، ويحتج جميع ذلك في نفسه ، ولا يكثر حديثه ولا يقول أخطأ الشيخ في المسألة ، ولا يناقض كلامه إلا أن يطلب عليه ذلك ، فيبذل منه الكلمة فليتناكره بالسكرت والثوبة ، والنزيم على ترك العودة على ما قدمنا ذكره في أثناء الكتاب من فعله في توبته عن معاصي الله عز وجل ، فالخير كله في حق المرید في سكوتة فيها هذا سبيله . وينبغي للمرید أن لا يتحرك في حال السماع بين يدي الشيخ إلا بإشارة منه عليه ، ولا يرى من نفسه كلمة حلا إلا أن ترد عليه تأخذه عن التمييز والاعتبار ، فإذا سكنت غيخته طمعه إلى حال سكوتة وأدبه ووقاره وكثبان ما أولاه الله عز وجل من سره ، وقد ذكرنا هذا وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصص والقصص ، وقد قدمنا كرامته فيها تقدم ، إلا أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد ليج به أهل زماننا في تربيتهم وجامعهم ، ولا يتكرأن يكون فيمن ينزل ذلك صادق ، فيكونه حتى ما قد سمع مبهجا لثائرة صفة ومثيرا لها ، فيشتغل بثارته ويغيب فيها ، فتتحرك أعضاؤه وجوارحه بين القوم وهو في عز عزال عما القول فيه من لذات الطباع والأهوية ، وتلك كل كل واحد قرب من معشوقه من قد مات وطال به عهده ، ومن هو حي غائب عنه غاشقا شوقه . والمرید الصادق تآثرته غير خامة وشعلته غير هامة ، ومهيرة غير غائبة ، وأنيسه غير مستوحش فهو أبدا في زيادة دنو وقرب ، ولذات ونعيم ، فلا يغيره ويهيجه عن حاله غير كلام مراده وحديثه الذي هو ربه عز وجل ، في ذلك عنده متبوعة عن الأشعار والقبائل والأصوات وصراخ اللذات من شركاء الشياطين ، ركاب الأهوية مطايا النفوس والطباع ، أنواع كل ناعم وزائق . وينبغي للمرید أن لا يمارض أحدا في حال صحابه ، ولا يراحم أحدا في وقته في التفاضل على الذي يشهد الرغبات المشوقات إلى الجنان والحور ، وروية الحق تعالى في الآخرة المزهجات في الدنيا ولذاتها وشهواتها وأبنائها ونسوانها ، للشجعات عن العبر على آلتها وعنها وبلاها ، وإدبارها على أبناء الآخرة ، وإقبالها على أبنائها وغير ذلك ، فليكل جميع ذلك إلى الشيخ

الحاضر ، فإن القوم في ولاية الشيخ ، اللهم إلا أن يكون المستمع حينئذ من المستحقين ، فيحفظ الأدب في الظاهر وينكر عن تكلفه في الباطن ، فلا شك أن الله عز وجل يقبض من يقبض عنه ، أو يلهم القائل بذلك التكرار والرداد ، ليقبض الصادق المستمع تهت ووطره من ذلك : (فصل آخر : في أدبه مع شيعته) وينبغي له إذا أراد أن تأدب بشيخ أن يكون له إيمان وتصديق واعتقاد أن لا أحد في تلك الديار أول من ، حتى يتضع به فيا هو مراده ، وأن يقبله الله عز وجل ويحفظ سره في خدمته مع الله تعالى في عقد إرادته ، يحفظه حتى لا يجرى على لسان شيعته إلا ما هو الأول بشأنه ، ويجعل مخالفته جندا ، لأن مخالفة الشيوخ سم قاتل فيها مضرة عامة ، فلا يخالفه بتصريح ولا بتأويل ، ويجهد أن لا يكتم من شيعة شيئا من أحواله وأسراره ، ولا يطلع أحدا سواه على ما يأمره شيعته . ولا ينبغي له أن يجتمع إلى طلب الرخصة أو يرجع إلى شيء تركه الله عز وجل ، فإنه من الكبار وقبح الإرادة عند أهل الطريقة . وقد جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : العائد في هيته كالكلب يقر ثم يعود فيه ، وعليه الالتزام بالآداب ما يأمر به شيعته من التأديب على مقتضى سوء أدبه ، فإن وقع منه تقصير في القيام بما أشار إليه شيعته ، فالواجب عليه تعريف ذلك لشيعته ليرى فيه رأيه ، ويدعو له بالتوفيق والتيسير والقلاح .

(فصل) وأما الذي يجب على الشيخ في تأديب المريء ، فهو أن يقبله الله عز وجل لا نفسه فيعاشره بحكم النصيحة ، ويلاحظه بعين الشفقة ، ويلتزم بالرفق عند عجزه عن احتياج الرياضة فيربيه تربية الرائدة لولدها ، والوالد الشفيق الحكيم الشيب لولده وغلظه ، فيأخذه بالأسهل ولا يجسسه ما لا طاقة له به . ثم بالأشد فيأمره أولا بترك متبذرة الطبع في جميع الأمور ، وأنواع وخص الشرع حتى يخرج بذلك عن قيد الطبع وحكمه ، ويحصل في قيد الشرع ورده ، ثم يقبله من الرخص إلى العزيمة شيئا بعد شيء ، فيمنحوه رخصة من الرخص ، ويثبت مكانها رخصة من العزيمة ، فإن وجد في ابتداء أمره فيه صدق للمجاهدة والعزيمة وتفرض فيه ذلك بتور الله عز وجل ومكاشفة ، وعلم من قبل الله عز وجل على ما قد مضت سنة الله في عباده المؤمنين من الأولياء والأصحاب الأتباع العلماء به ، فحينئذ لا يسامحه في شيء من ذلك ، بل يأخذه بالأشد من الرياضات التي يعلم أنه لا تنفاصر قوة إرادته عنها ، إذ ثبت عنده أنه خلق لذلك وجدير به ، وهو من شأنه فلا يفرقه في التهورين عليه . ولا ينبغي له أن يرتفع من المريء بحال لا بالانتفاع بماله ولا بخدمته ، ولا يأمل من الله عز وجل عوضا في تأديبه ، ولا شيئا ، بل يودعه ويربيه موافقة لله عز وجل أداء لأمره وقبولاً لقبضته وطرفته ، فإن المريء الذي جاء من غير تحجير من الشيخ ولا استجلاب ، بل قسر محض بإرشاد الله تعالى له وهدايته وإقضاء إليه ، فإنه هدية من الله ، فعليه قبوله والإحسان إليه بحسن تأديبه وتربيته ، فلا يرتفع به ولا بماله إلا بأمر من الله تعالى ، وغير في استعماله وقبول ما يأتي به من ماله الذي قد جعل الله تعالى صلاح المريء ونجاة به ، وقسم الشيخ فيه ، فحينئذ لا ميل إلى الإعراض عنه وورده ، ويجعل بعدا أن يتخار من المريء

ما يقع له ، بل ينتظر في ذلك فعل الله وقدره ، فمن جاءه الله تعالى به من غير تكلف منه وتخبر قلبه وروياه ، فيحسب يوفق في تربيته ويسرع فلاح المريد ونجسه ، فليحذر أن يكون لهوى فيه ؛ فيعدم التوفيق والحفظ في حق المريد ، وعليه أن يربيه بهيمته ويتوب عنه في سره إذا وجد منه خللاً أو فورة ، وعليه أن يحفظ سرّ المريدين فلا يطلع غيره على ما يحصل له من الإشراف على أحواله ، إما بطريق علم لدني من مواهب الله عز وجل ، أو بإشياء المريد له وامتناعه إياه ، فلا ينبغي له أن يفشي لغيره ، لأنه أمانة عنده . وقد قيل : صدور الأحرار قبور الأمرار ، فينبغي له أن يكون مستراحاً للمريدين ، وغزاة وحزناً للأمرار ، وملجأ لهم وكهفاً ومشجعاً ومقرباً ومعيناً لهم ، ومثبتاً لهم في الطريق ، ولا يفرهم عن الطريق ومصاحبهم والقصد إلى الله عز وجل ، وإذا رأى شيئاً مما يكره في الشرع من المريد وعقله في السر وأدبه ، ونهاه عن المعادة إلى ذلك إن كان ذلك في الأصول أو الفروع أو ادعاء حالة ليست له أو إصجاب بعمله ورؤيته ، فيصوره عن محل الإعجاب ، ويصغر في عينه أحواله وأعماله ، لتلاجه ، فإن العجب يسقط العبد من عين الله عز وجل ، وإن أراد أن يعم الجماعة بالنصح فليجمعهم وليتكلّم عليهم فيقول : بلغني أن فيكم من يدعي كذا ويقول كذا ويرتكب كذا ، ويذكر ما يتعلق بذلك من المفسد والمصالح ، ويذكرهم ويحذرهم ، ولا يعين أحداً منهم على ذلك لما في ذلك من التنفير ، فإن أشعث الحلق والقول معه ، وأفتى أسرارهم واغتابهم وسلبهم وذكر مساوئهم ، نقرت قلوبهم عن قصده ومصاحبته ، وصار ذلك تهمة عندهم في أهل الطريقة ، وفيما قد غرس في قلوبهم من حب أولياء الله تعالى ، فليحذر من ذلك جداً ، فإن غلب هذا عليه ولا يمكنه تداركه فليعزل نفسه عن هذه المنصب والولاية ، ولينفرد عن المريدين ، ويشغل بمجاهدة نفسه ورباطتها وطلب شيخ يؤدبه ويقومه وبهذه ، فلا يصلح أن يكون شيخاً مع هذه الدوامي ، فلا يتطلع على المريدين طريقهم إلى الله عز وجل .

باب في صحبة الإخوان والصحة مع الأجانب

وكيف الصحة مع الأغنياء والفقراء

أما الصحة مع الإخوان فيالإيثار والشفقة والمصنف عنهم والقيام معهم بشرط الخدمة ، لا يرى لنفسه على أحد حقاً ، ولا يطالب أحداً بحق ، ويرى لكل أحد عليه حقاً ولا يقصر في القيام بحفظهم ، ومن الصحة بهم إظهار الولاية لهم في جميع ما يقولون أو يفعلون ، ويكون أئداً معهم على نفسه وشأنهم ويعتذر عنهم ، ويترك عفاقتهم ومناقرتهم ومجادلتهم ومشادتهم ، ويتعالي عن عيوبهم ، فإن خالاه أحد منهم في شيء سلم له ما يقول في الظاهر ، وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقوله . ينبغي أن يحفظ أبداً قلوب الإخوان ، ويحفظ فعل ما يكرهونه وإن علم فيه صلاحهم ، فلا يتطوى لأحد منهم على حقد وإن شاعر قلب واحد منهم كراهة له تخلق

معه بشيء حتى يزول ذلك ، فان لم يزل زاد في الإنسان والتخلق حتى يزول ، وإن وجد هو في قلبه من أحد منهم استبحاشا وأذية بغيية أو غيرها فلا يظهر ذلك من نفسه ويرى من نفسه خلاف ذلك :

(فصل) وأما الصحة مع الأجانب فيحفظ السر عنهم ، وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة ، وأن يسلم أموالهم إليهم ، ويسر عليهم أحكام الطريقة ، ويصبر على سوء أخلاقهم وترك معاشرتهم ما أمكنه ، وأن لا يعتقد نفسه عليهم فضيلة ويقول : إنهم من أهل السلامة فيجازوا الله عنهم ، ويقول لنفسه : أنت من أهل المضايقة ، فتطالبين بالفقير والقطيع والحفيظ والكبير ، وتحاسبين حل الكبير والصغير ، وإن الله تعالى يتجاوز للجاهل مالا يتجاوز بمثله من العالم والعوالم لا يبال بهم والمواضع على الخطر :

(فصل) وأما الصحة مع الأضياف فالتعزُّز عليهم ، وترك القطع فيهم ، وقطع الأمل بما في أيديهم ، وإخراج جميعهم من قلبك ، وحفظ دينك من التضعيف لهم لتوالم ، كما جاء في الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : من تضعيف لئلي لأجل ما في يديه ذهب ثلثا دينه ، فعزَّذ بالله من فعل يتقص به الدين ، وصحة أقوام يتكلم بهم الدين ، وتتقطع عراه ، ويطغى نور الإيمان شعاع أموالهم ويريق دنيائهم كما جاء في الحديث ، غير أنك إذا أبليت بصحبهم في سير أو سفر أو مسجد أو رباط جميع فحسن الخلق أولى ما يستعمل ، وهو حكم عام شامل في صحة الأضياف والفقراء فلا ينبغي لك أن تعتقد لنفسك فضيلة عليهم ، بل تعتقد أن جميع الخلق خير منك لتخلص من الكبر ، ولا تطلب لنفسك فضيلة الفقر ولا تعتقد لما خطرأ في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا ترى لما قلوا ولا وزنا كما قيل : من جعل لنفسه قلما فلا قدر له ومن جعل له وزنا فلا وزن له ، فأدب النبي بالإحسان إلى الفقير ، وهو إخراج المال من كيبه إليه ، ويكون فارغا من ماله مستطلعا فيه غير متملك له ، وأدب الفقير إخراج النبي من قلبه ، ويكون قلبه فارغا من النبي وماله ، بل من الدنيا والآخرة أجمع ، ولا يجعل لشيء من الأشياء في قلبه موطنًا ومخلا ومخلًا ، بل يتصنى من ذلك كله ويخلو منه ، ثم يترقب اعتلاء بره عز وجل ، فلا يكون لغيره وجود ولا له حول ولا قوة ، فيأتيه عند ذلك فضل الله عز وجل فيجئله يحصل النبي به عز وجل من غير تعب ولا هم .

(فصل) وأما الصحة مع الفقراء فيأيتهم وتقديرهم على نفسك في المأكول والمشروب والملبوس والمذود والفيالس وكل شيء نفيس ، وترى نفسك دونهم ، ولا ترى لما عليهم فضلا في شيء من الأشياء البتة ، عن أبي سعد بن أحمد بن عيسى قال : صحبت الفقراء ثلاثين سنة ولم يجز بيني وبينهم كلام قط تأذوا به ، ولا جرى بيني وبينهم مناقرة استوحشوا منها . قيل له : كيف ذلك ؟ قال : لأنني كنت معهم على نفس أبدا ، وإذا دخلت عليهم أدخلت عليهم سرورا وولفا ، واستعملت معهم عطقا عذبة وأتيا وسيا من الأسباب ، فلا ترى بذلك لك عليهم فضلا ، بل تعتقد منهم منه في قبولهم ذلك منك ، وإحسان أن يمن عليهم بذلك أو تراه

منك بل اشكر الله عز وجل على ما أولاك من توفيقه على تيسير ذلك ، وجعلك له أهلاً لخدمة أهله وخاصته وأحبابه ، فإن الفقراء الصالحين هم أهل الله وخاصته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **أهل القرآن هم أهل الله وخاصته** ، فأهل القرآن من يعمل بالقرآن ، وأما من يقرأ بلا عمل فليس من أهله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : **ما آمن بالقرآن من استحل حرامه** فإلما لمن يقبل منك العيلة لا لك .

(ومن آداب) الصحبة مع الفقراء أن لا تخرجهم إلى مسألتك ، وإن انفق فاستغرض الفقير منك شيئاً ففرضه في الظاهر ، ثم تبره منه في الباطن ، ونجبه عن قريب بذلك ، ولا تبدأ بالعطاء على وجه الصلة لئلا يتحشم بحمل المنة منك بذلك . (ومن الأدب معهم) مراعاة قلبه بتعجيل مراده دون تنقيص الوقت عليه بطول الا انتظار ، لأن الفقير ابن وقته كما جرد: ابن آدم ابن يومه وليس له وقت لا انتظار للمستقبل . (ومن الأدب معهم) أنك إذا علمت أنه ذو عيال وصبيان فلا تفرد بالارتفاق معه ، بل تتخلق معه بقدر ما يتسع له ولما يشغل به قلبه . (ومن الأدب معهم) الصبر على ما يذكر الفقير من حاله ، وأن تتفاه في حال ما يخاطبك بوجه طلق مستبشر ، ولا تلفاه بالعبوس ولا بالنظر الشرر ولا بالكلام الوحش ، وإذا طألت بما لا يحضر في الوقت فاصرفه بالوجه الجميل إلى مساعدة الإمكان ، ولا توحشه بياس الرد على الجرم لئلا يعود بمشمة الإخفاق وعدم الإجابة بماجته عنك ، واتمم على إغشاء سره إليك حسيماً ، وربما يقلب عليه طبعه ، وتستولى عليه نفسه ، فيظهر عليه الجهل بجماله والسخط عليك والاعتراض على قرب عز وجل فيها قسم له من القافة إلى الخلق والتبذير ثم فيعصى قلبه وينطق به تورعائه ، فكنت أنت مؤاخذاً بذلك لك ، إذا كنت سبياً لثوران ذلك من قلبه ، بترك الأدب في رده ، وربما حجب أيضاً عن الثواب والعارف والعلوم والمصالح المدفونة في سؤاله للخلق ، التي لو صبر وأحسن الأدب ظهرت وانجلى السؤال للخلق وحصل غنى اليد والقلب والبيت ، وجامته حاسر فضل الله وآلائه ونعمائه ودلته يد الرأفة والرحمة والراحة والراحة ، وتحقق فيه لم له عز وجل (وهو يتولى الصالحين) وجعل مصاناً مغفراً عليه ، وهو غنى عن الأشياء بخالقها وثأبه الأشياء وهو لا يأبئها ، يقصده القاصدون فينا لئن من أنواره وسره ، ويطيرون بطييه ، وهو لا يشعر بهم في غيب عنهم ، مشغول بمولاه وبجاذبه التي تجذبه إليه ، وأنقله من خلعته مخالطة الخلق وموافقة النفس ومتابعة الهوى ، والتفكير بإرادة الأشياء دنيا وأخرى (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) أهل الجنة لما باعوا في الدنيا أنفسهم وأموالهم لربهم عز وجل بالجنة ، كما قال جل وعلا: **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** (وصبروا على الإنفاس في الدنيا وردوا التصرف في الأئس والأموال والأولاد إلى وبهم عز وجل ، وسنوا الكلى إلى جل جلاله سوى الأوامر والنواهي ، وامتنوا الأوامر وانها عن النواهي . وسلموا في المقدور ، وتحركوا من الخليفة ، وتجوهروا عن الإرادة والأمان ، وأقسم في الجملة أدخلهم الجنة فغشهم بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما قال

جلّ وعلا وإن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) فهكنا الفقير إذا فعل ذلك في الدنيا وتحقق بظاهر القرآن حصول الجنة له ، باع حينئذ الجنة بربه عز وجل ، وطلب الجوار قبل الدار ، كما قالت رابعة العدوية رحمة الله : الجوار قبل الدار ، وكما قال الله عز وجل ، (يريدون وجهه) وكما قال الله عز وجل في بعض كتبه السالفة : أورد الأوداء إلى عبد حديد ليبر توله ليعطي الربوية حقها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو لم يخلق الله تعالى الجنة والنار ما كان أحد بعده ، وقول علي رضي الله عنه : لو لم يخلق الله الجنة والنار ما كان أحداً أن يعبد . قال عز وجل (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) فإذا انتصف الفقير بهذه الصفة ، وتحقق إخلاصه عن سوى مولاه ، وتنظف قلبه عن التعلق بالأشياء وفنى عنها ، وصار مريدا حقا ، وخائب عما سوى ربه عز وجل ، كان حقيقا على كرم الله أن يتولاه ويدله وينصحه في الدنيا إلى حين الفناء ، ثم يزيده على ذلك ، ويمدّد عليه أنواع الخلق والأنوار والنعيم والحياة الطيبة ، والتقرب على ما أهد وأخير لأوليائه وأسيائه ، بقوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : اقرعوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) الآية ، فإن رددت الفقير اليد الفنى القلب المثل لأمر مولاه في إخباره لك عن حاله لأجل عياله أو نفسه طالما لربه عز وجل في ذلك خائفا له ، ولم يترك سؤالك إذ كلمه الله ذلك وإبلا به ، قال الله عز وجل (وجعلنا بعضهم لبعض فئة تصيبون) وهي حالة لا تلوم ، بل تنفي عن قريب وبغض إلى ما قدم له من النعم والنعيم الدائم بقرب مولاه ، وإعطائه عاقبة الله يا خي الله فقير القلب ، الجاهل بنفسه وبربه ، ومنشئه ومنشأه ، بأن يطلب النعم عن يدك ، فتصير فقير اليد كما كنت فقيرا لقلب ، فتكون أبدا فقيرا إلى الأبد ، فلا تشبع منها حرصا عليها ، طالبا لها معذبا في إرادتها وتحصيلها ، وهي غير مفسومة لك ، كما قيل : إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم إلا أن ينسده الله برحمته ، فيهلك لذلك فتسخره ، وتوب إليه من ذلك وتعرف بنفرتك وتوب عليك وبغفر لك ذلك ، فتب إلى الله وهو أرحم الراحمين غفور رحيم .

(فصل : في آداب الفقير في فقره) فينبغي للفقير أن تكون شفقه على فقره كشفقة النعم على غناه ، فكأن أن النبي يفعل كل شيء ويجهّد حتى لا يزول غناه ، فكذلك ينبغي للفقير أن يفعل مثل ذلك حتى لا يزول فقره ، فلا يسأل الله عز وجل زوال فقره إلى غناه ، أو يتصرّف بالمال في الاكتساب والأسباب للاحتفاء ، والكثرة بالمال لا لعياله ، وعفة النفس عند الصيقة . وإن شرط الفقير أن يفت مع كفايته ولا يأخذ فوقها ، ويكون أشدّ لذلك التقدر ابتلا لأمر الله تعالى ، وخوفا من الوقوع في إثم قتل النفس ، قال الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) لأن منعه لنفسه حقها حرام ، وهو التورث من الطعام والشراب والكسوة والقلم الذي تقوم به البينة ، ولا يضعف عن أداء الأوامر من الإيمان بشرائط

تصلاة وأركانها وواجباتها وكل واجب، ويترك ما هو حظه، فإن كانت قسمته فتساق إليه من غير أن يكون فهو فيه بل يفعل الله عز وجل، فلا يتعرض للحظ أبدا إلا أن يكون مريضا، فيوصف له شيء من الحظوظ، فيتناوله على وجه التدلوي، فيصير الحظ حيث حقا في حال مرضه، كالقوت في حال صحته، يعني أن يكون امتداده بقره أكثر من امتداد الذي بوجود غناه، ويبني له أن يؤثر ذلك وحوله وعدم قبول الناس له وقصصهم إليه وازدحامهم لديه، ومن شرطه أن يكون قلبه أقوى بصفاء الخلال عند خلوه يده من المال، فكلما قل الفتوح كثر طيب قلبه وقوته ونوره، وزداد فرجه بشعار الصالحين، وأنا إذا أنظم ذلك قلبه وأوحشه وأصلحه على ربه، فليعلم أنه مفتون قد أحدث في فقره ذبا عظيما، فليب إلى الله عز وجل ويستغفره، ويخجل إلى الضعيف والفقير ولوم النفس، ومن حق الفقير أن يكون كلما كثر عياله كان قلبه في باب أمر الرزق أسكن وبريه أوثق، يمثل أمر ربه في الكسب لم في الظاهر، ويسكن إلى وعد ربه في الخلق، ويقطع بأن لم رزقا عند الله قد وعد به وقدره، وهو سابقه إليهم على يده أو يد غيره، فليتنج من الوسط ولا يكون فضوليا، فيدخل بين الخلق وخالفهم بل يمثل الأمر فيهم، ولا يتعرض ولا يسخط ولا يهجم الرب، ولا يشك في وعده، ولا يشكو إلى أحد، بل يكون شكواه إلى ربه وإزال حاجته به عز وجل، وكلامه وسؤاله له عز وجل في توفيقه بالصبر وأداء الأمر في حشمه، والرضا بما قضى عليهم بإضافتهم، وإلزامه له مؤنهم، ويسأله تسبيل رزقهم ونيسره، فهو قريب مجيب، إنما يمثل عياله ليرده بالبلية إليه عز وجل، لأنه يحب المحسن له بالسؤال، لأن السؤال يتميز الرب من الربوب والسيد من العبد والغنى من الفقر، ويخرج العبد من الكبر والاستكفاف والتعظيم والتخوة إلى التواضع والذلة والافتقار فإذا تحقق ذلك من العبد تحققت الإجابة مريعا عاجلا مع ما يدخر له من الثواب في العقب.

ومن آدابه: أن لا يكون له هم في الوقت المستقبل، بل يكون بحكم وقته لا يتطلع للوقت الثاني، بل يحفظ الخلال وحلودها وشرائطها وآدابه مطرقا غاضبا عما سواها، لا أهل منها ولا دنيا، ولا يشره إلى حال غيره، وربما كان خلافة فيها وهي لأهلها سلامة ونعمة كالأغنية عن الأغنية ما يزيد للشخص حافية ولا عرسقا ويلاء، فلا ينبغي للمريض أن يتناول شيئا منها إلا بأمر الطبيب، وكذلك ينبغي للفقير أن لا يتناول حالة نفسه حتى يدخل فيها من غير أن يكون هو فيها، بل يفعل للمول عز وجل قدرا مفضا وإرادة مجردة، لا يحمل نفسه في شيء من الحالات والمقامات ويزنّها في فضل ويردى، حتى يأتيه أمر الذي أمات وأحيا، وينقله منها فعل الذي منع وأعطى، وأقر وأغنى، وأضحك وأبكى، لأن ذلك التي به وإلى ربه أقرب وأدنى، فكذلك تقدم معنى أمر من سلف من أولى العلم من أهل الطريقة، فيها خلا فيهم الاقتداء، وإلى رب الخليفة انتهى.

ومن أدب الفقير: أن يكون مستعدا لورود الموت منها له منتظرا مترقا في الساعات كلها ليهكون ذلك عونا له على الرضا بقره وحل ما حل به من الأذى، لأن به يقتصر الأمل ولا تكسر

النفس ويزول منها وهج شهوات الدنيا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « أكثرُوا من ذكر هادم الممات أعمى الموت » .

ومن آدابه : أن يخرج من قلبه ذكر المخلوقين . ومن آدابه : أن يتخلق مع الغنى إذا دخل عليه بما تصل يديه إليه من القوت أو قاكمه وإن كان شيئاً يسيراً ، لأنه يقلبه خروخ عن الأسباب فهو با لا يثار لؤلؤ من الغنى الذي هو في أسر غناه إلا أن يكون ذا عيال في ضيقة ، فلا يصيبه على عياله بإثارة ذلك لغنى ، إلا أن يكون يعلم من عياله الإيثار وطيب النفس بذلك والمخالقة والصبر والرضا والمعرفة واليقين ، والأشوار تظهر من قلوبهم على ألسنتهم وجوارحهم وأنفسهم فحينئذ لا يزال في البذل والنع والإيثار والإمساك .

ومن أدب الفقير : أن لا يترك الاحتياط في الورع في حال ضيق اليد ، فلا يخرج إلى ما لا يحل في الشرخ لفقره ، فيخرج من المزمة إلى الرخص ، فإن الورع ملاك الدين ، والطمع هلاكه ، وتناول الشهوات فساد ، كما قال بعض الصالحين : من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام وهو لا يدري ، فعليه أن لا ينجس إلى التاريلات في دينه في حالة فقره ، بل يرتكب الأشقي والأحوط الذي هو المزمة .

(فصل : في سؤال الفقير) فمن أدب الفقير ترك السؤال للخلق ما دام يجد عنده ما يكفيه ، فإن ألباه الضرورة والحاجة المخرجة ، فيسأل بفكر الحاجة فتكون حاجته كفارته ، فحينئذ يسلم له السؤال ، وينبغي أن لا يسأل لأجل نفسه ما أمكنه بل لعیاله على ما قدمناه ، فإن كان يده دائق وهو محتاج إلى درهم لم يسلم له السؤال حتى يصرف الدائق ويخلو عن المعلوم جداً كما قيل : لا يظهر من الغيب شيء ما دام في الجيب شيء ، ومن شرط سؤاله للخلق أن لا يراهم بل تكون إشارته إلى الله عز وجل ، ويرى الخلق كالوكلاء والأمناء المتصرف فيهم المفعول فيهم فلا يتخذهم أرباباً من دون الله عز وجل ، فيكون معنى سؤاله لم إخباراً بحاله وعياله لا شكوى من ديه ، ويكون سؤاله استخباراً فيقول : هل دفع لنا إليك شيء ، هل أحيل عليك ، هل أذن لك يا وكيل يا خازن يا أمين يا مملوك يا فقير ، يا من أنا وهو سواء فيما بدنا المالك له غيرنا كلنا في أعياله ، فإذا سأل على هذا الوجه جاز له السؤال وإلا فلا ، ولا كرامة لكل مشرك دجال مرء عابد الأصنام ، خارج عن أهل الطريقة مدح كذاب متافق زنديق ، ثم إن أعطى شكر وإن منع صبر ، هكذا تكون صفات الفقير الصادق ، ولا يستوحش بالرد ولا يتغير فيسخط ويعترض ويلتم الراد له فيظلمه ، لأنه مأمور ووكيل ، والوكيل هو الذي يتصرف فيما في يده بإذن أمره وموكله المعطى ، وهو الله عز وجل ، بل يرجع إليه عز وجل ، فيسأله التيسير والتسهيل ، ليسخر له القلوب وينذل له الصعاب ، ويدبر له الأرزاق ويسرق إليه الأقسام ، ويرفع عنه الجحوم والعذاب واليذل إلى العبد والأرباب ، ولعله يقبض أيدي الخلق عنه بالعطاء ليرده إليه ، فيلزم الباب ويرفع بدعائه وتضرعه الحجاب ، فيكون هو المعطى له دون العباد .

(فصل : في أدب العشرة) وينبغي له أن يحسن العشرة مع إخوانه ، فيكون منهبط الوجه

غير عبوس ، ولا يخالفهم فيما يريدون عنه بشرط أن لا يكون فيه عرق للشرع وبجائزة الحد وارثكنا للإثم ، بل يكون مما أباحه الشرع وأذن فيه الرب ، ولا يكون مبرأ ولا ملحوظا ، ويكون أبدا مباحا للإخوان على الشرط الذي ذكرنا ومتحذرا عنهم ما يخالفونه فيه ، ويكون صبوراً على أذى غير حقوق ، لا يتطوى لأحد منهم على سوء وعش وكر غير مقتاب لهم في حال غيبتهم ، ولا يكون من الخضر ، ويذهب عن أخيه في حال غيبتهم ، ويسر العيوب على إخوانه ما أمكنه ، وإن مرض أحد منهم عاده ، فإن شغله عن ذلك شاغل مضى إليه فهنا بالمأنة . وإن مرض هو ولم يعده بعض إخوانه اعتذر عنه ، فإذا مرض لم يقابل بذلك ، بل يعود ويعمل من قطعه ، ويعمل من حرمة ، ويعفو عن قتلته ، وإذا أساء أحدكم إليه اعتذر عنه عند نفسه ويرجع بالسلامة على نفسه ، ولا يرى ملكه متوجها عن غيره من الإخوان ، ولا يتحكم في ملكهم بغير إذنه ، ولا ينسى الورع في جميع حركاته وسكناته ، وإن اتبسط معه أحد من إخوانه في شيء من ماله أجابه إلى ذلك مسرعا مستشرا فرحا مسرورا متقلبا منه في ذلك مرة ، حيث جعله أهلا لمساكنته معه وإنزال حاجته به ، ولا يستعير من أحد شيئا إن أمكنه ، وإن استعار أحد منه شيئا لا يسترده ما أمكنه ، لأنه ما استعار منه إلا لحاجته ، ولا يلقي بالقوة استرداد العار ، كما لا يحسن في الشرع استرجاع الهدية والمهبة ، فإن لم يقدر على ذلك فليسر إعارته ، ولا يتنه من ذلك ولو كل يوم ، إذ لا يليق بماله أن يفرد عن أحد من الناس بماله ، لأنه أمين ليس في رفق شيء من الأشياء فلا يملكه شيء ، فكل من ملك شيئا فذلك الشيء يملكه ، لأن المرء عبد لمن زمانه بيده ، بل يرى الأشياء التي في يده ملكا لله عز وجل وهو وبقيته الناس عبيدا لله عز وجل ، وكل من متساو في ملكه عز وجل . ولما ما كان في يد الغير فيستعمل فيه حكم الشرع والورع وحفظ الحدود ، فلا يصير في زمرة الإباحية الزائدة . ويلبى له إذا مسته محنة أو فاقة أن يسر حاله عن إخوانه ما أمكنه ، فلا يشغل قلوبهم بسببه ، فيتكلفوا له ، وكذلك إن مسه هم أو أصابه حزن لا يظهر ذلك لإخوانه ، ولا يشوش عليهم ما هم فيه من القرح والسرور والراحة ولذة العيش ، وإن رأى إخوانه تزلزل بهم هم وغم وقد أظهروا فرحا وسرورا ، ما يحسن في الظاهر من إظهار النشاط والاستبشار ، ويحكم عنهم ما هم فيه من الاستيحاش والحزن والحلم ، فلا يقابلهم بما يكرهون ، ولا يختلف عنهم في شيء من ذلك . ويلبى له في أدب حسن لشرة إذا استرحش من شيء أن يتكلم في حسن الخلق ، ويرد قلبه إليه لزول وحشته . ويلبى له أن يعاشر كل أحد من حيث هو لا يكلفه مجاوزة حده وموافقته ، بل يتابعه هو فيما عليه تلك الإنسان ما لم يكن فيه عرق للشرع ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : أمرنا معاشر الأنبياء أن نتحدث الناس على قدر عقولهم . ويلبى له أن يعاشر من حوذه بالشفقة عليه ومن غرقه بالإجلال ومن هو مثله بالإفضال والإيتار والإحسان .

(فصل : في آداب الفقراء عند الأكل) من ذلك أن لا يأكلوا بالشره ولا على الغفلة . بل يذكروا الله عز وجل بقلوبهم عند الأكل ولا يسروته ، ومن ذلك أن لا يمدوا أيديهم عند الطعام

قبیل من هو فوقهم، ومن ذلك أن لا يقولوا للغير هم كل، ولا يضعوا مما بين أيديهم شيئا بين يدي
غيرهم، لا على طريق الخدمة ولا على طريق الانسباط إلا لصاحب الطعام، فإنه مسلم له ذلك
لأنه نوع خدمة منه، ولا يقولوا لصاحب الطعام كل معنا، وإذا أقعد موضعاً فلا يخطو غيره
وبعد حيث يؤمر، ولا يرفع يده من الطعام ما دام يأكل من معه لئلا يحشم صاحبه فيحمله على
الامتناع، ولا ينبغي أن يرفع الطعام من بين يدي الفقير ما دام يأكل وما دام عينه عليه، ويساعد
الصاحب على الأكل بقدر ما لا يكون مخالفة وإن لم يكن به شهوة. ولا ينبغي أن يقيم على المائدة
أحد، وإن عرض عليه الماء لا يرد الشاي ولو بقطرة واحدة، ولو قام صاحب الطعام بالخدمة
لا يمنع، ولو أراد صب الماء على يده فلا يمنعه. وينبغي أن يأكل مع الأغنياء بالتمزز، ومع
الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانسباط، ولا يخطو الأكل بيانه إلا إذا حضر، فحينئذ يأكل
ولا يساعد نفسه في الشبهاء شهوة، ولعلها لم تكن مقسومة له، فلا يناها أبداً فينبى محجوباً
بها عن الله تعالى ويشغل بها عن طاعته ومراقبة حاله، فإذا عرض عن ذلك واشتغل بماله كان
سليماً، فإن كانت مقسومة له، ثم حضرت الشبهاء وتناولها وشكر الله تعالى، ولا يجعل الأكل
همة ويعلق قلبه به ويجعله حديثه، بل يجهد مع نفسه بأنها مريضة، ومن حالها الاحتياج عن الطعام
والشراب والشبهات حتى يبرأ من المرض، فالمرض هوها وإرادتها ومناها، والرب عز وجل
طبيبها ومناوئها، فإذا بعث الطعام والشراب على يد مملوكه تناولها وعلم أن دواءها وعافيتها
في ذلك دون غيره، واشتغل بحفظ الحال والمراقبة وإخراج الأشياء من القلب والارتكان إلى
شيء من الأشياء والطمانينة إليه أبداً في جميع حركاته وسكناته.

(فصل: في آدابهم فيما بينهم) من ذلك ألا يمنع شيئاً يكون له من أصحابهم من ثيابهم
وإصباحهم وركوبهم وما يجري مجراه، ولو وطئ أحد منهم سجادة بقدمه لا يستوحش منه،
ولا يضع قدمه على سجادة غيره، ولا ييسط سجادته على سجادة من هو فوقه في الرتبة، ولو مد
أحد يده إلى كتفه لا يمنعه، ولا يمد يده إلى كتف غيره، ولا يستخدم أحداً من الفقراء،
ويخدم هو بنفسه كل أحد، ولا يهضم أرجل الفقراء، ولو أراد أحد أن يهضم رجله لا يمنعه،
وإذا دخلوا الحمام فليس في أدب الفقراء أن يكثرنا القيم من ذلكهم، ولو أراد بعضهم ذلك
بعض أمكنه منه ولا يمنعه، وإذا نظر فقير إلى شيء من خرفته أو سجادته أو غير ذلك فليدعه
إليه في الوقت ولو أثر به، ولا ينبغي أن يجعل الفقراء في انتظاره عند الأكل، وكذلك في كل شيء
لا يؤذي قلب أحد بأن ينتظره ما أمكنه، فإن المنتظر مستقل، وإذا أراد أن يقدم إلى فقير
طعاماً فيجب أن لا يهجمه في الانتظار، لأن انتظار المرقه ذل، ولا ينبغي أن يدخر شيئاً مما
يمكنه، وإذا لم يكن الطعام كثيراً فلا يأكل إلا بعد ما يفضل منهم، ويهبط تقديم الطعام إلى الفقراء،
أن يكون أنظف ما يمكنه ولو فسخ لهم، وإن كان في قوم فلا ينبغي أن يفرد عنهم بأكل شيء
ولا بأخذ شيء، فإن فسخ له شيء ينبغي أن يطره في الوسط، وإن مرض وهو بين قوم
فاحتاج إلى تخصيصه بدواء، فينبى له أن يستأذن الجماعة في ذلك، أما إذا نزل برباط

گو مدرسه و فیہا شیخ او خادم ، فینبی أن یکون بحکم ذلک الشیخ ، ولا یقبل شیئا إلا باستطلاع رأیه ، وإذا ورد علی قوم فینبی أن یرالفهم علی ما هم علیہ ، ولا ینبی أن یرفع صوته بین الفقراء بتبیحہ وقرآنہ ، بل یبغی ذلک عنہم وسترہ أو یقل ذلک إلی تفکر واعتبار عبادة باطنیة ، وإن کان من الخیاض ذوی الأسرار فلا کلفة علیہ فی ذلک ، لأن ربہ یعولای ویسہل لہ ویامرہ ویبہا فی ذلک ، ویستر لہ قلوب الجماعۃ ویطہر علیہ ویملأها من حبہ نارة وھیئہ واحترامہ أخرى ، وکلک لا ینبی أن یرفع صوته بتغیر ذلک من الکلام بینہم ، وإذا کان بین قوم فینبی أن لا یسار أحدًا دونہم ، ولا یشکل بین الفقراء بشیء من حدیث الدنیا والمآکولات ما أمکنہ من شرطہ أيضا أن لا یشکل بین الفقراء شیئا ما أمکنہ ووجود من ذلک بدأ ، بل یشغل بالعمل المكتوب ومراقبة قلبہ وحفظ حالہ والذکر فیہما ، ولا یكثر من التواہل بین انہم ، وإذا صام الجماعۃ وانضم فی ذلک ، وکلک إذا أفطروا وانضم فی ذلک ، ولا یتردد عنہم بالصوم ، ولا ینام بین الفقراء وهم أیضا ، إلا أن یطلب علیہ النوم ، فوفرد عنہم ویضطجع یقدر ما تنکسر قورثہ ، ولا ینبی لہ أن یقدم بحیثیۃ شیء واعتبارہ علی الفقراء إذا أمکنہ ، وإن طالیہ القفر بشیء فلا یردہ ولو بقلیل ، ولا یؤدی قلبہ بطول الانتظار ، وإذا شاورہ أحد فلا یجعل علیہ بالجواب فیقطع علیہ کلامہ ، بل یجہل حتی ینہی جمیع ما فی قلبہ ، ولا یبہی بالرد والإتکار ، فإذا فرغ من ذلک وراہ غیر صواب قابلہ أولا بالمراقبة ، وقال : هذا وجه ، ثم بین لہ ما هو أصوب منہ عنده برقی لا بمخاشنة ووحشة . ومن آدابہم أن لا یمدحوا الطعام حال الأکل ولا یلمنہ .

(فصل : فی آدابہم مع الأهل والولد) من ذلک حسن الخلق والإتفاق علیہم بالمعروف بما أمکنہ ، وإذا ملک فی البوم ما یکتفیہ لیومہ فلا یحبس شیئا لغد ، ولہ إلی ذلک القدر حاجۃ فی الحال ، فإن فصل من ذلک شیء فلیدخرہ لغد لعل لا لنفسہ ، فلا یأکل إلا تبعا لهم ، بل یکون کالوکیل والخدام لعیالہ والمملوک مع سیدہ ، ویعتقد بخدمة عیالہ والکد علیہم والقیام بمصلحتہم أداء أمر اللہ وطاعته ، ولینزل خدمة نفسه من الوسط ، ویؤثر عیالہ علی نفسه ، وإذا أکل أکل بشہرتہم ، ولا یجملہم علی متابعة شہوة نفسه ، وإذا کان فی ذات یدہ شیء یصلح لشاہة وحر فی الصیف محتاج ثمنہ صرفہ فی وجہ حاجتہ فی الصیف ، وإن وجد کفایۃ یومہ وكان فیہ فضل للکسب فی یومہ لکفایۃ غد لعیالہ لم یشغل بذلک ، بل یقت. مع الکفایۃ فی یومہ ، لأن الوقوف مع الکتابات واجب ، وأخر تدبیر غد إلی غد ، فإن کان لہ قورثہ فی التوکل وصبر علی مقاساة القلة والجوع والفسر ، وتقتصر قورثہ عیالہ عن ذلک ، فلا یصور لہ أن یدعوہم إلی حالۃ نفسه ، بل یسحرک ویکتسب لأجلہم ، وإن رأى من أهلہ الطاعة لله عز وجل وحسن السیرۃ والعبادة ، قلبہ بکسب الحلال وإطعامہم المباح حتی یشتر ذلک الطاعة والصلاح . ولا یطعمہم الحرام لأنه یشتر العصیان والنجاس ، ولیحثہ فی ذات نفسه علی إصلاح العمل والصدق وطہارة الباطن ، حتی یصلح فقر امرہ ینتہ وین عیالہ فی حسن الصبر وحسن الشاعة لہ ولله عز وجل

والحافضة له ، وتعود بركة صلاحه على عياله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أصلح ما بينه وبين الله عز وجل ، أصلح الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وأهله وعياله من جملة الناس ، وإذا نزل به شيء فيجب أن يعلم عياله مما يطعم الضيف إذا كان بذات يده سعة ومكة فليوفر ذلك بحيث يطعم الجميع ويكتفيهم ويفضل عنهم ، فإن كان هناك قتر وقلة وطريق يد وعلم من عياله الإيثار والرضا بذلك ، فحينئذ يؤثر الضيفان ، فإن فضل عنهم شيء تناولوه على وجه التبرك ، فإن الله تعالى سيخلف عليهم ويوسع ما لديهم ، فإن الضيف ينزل برزقه ويرحل بذنوب أهل البيت ، كما جاء في الحديث وإذا دعا الفقير إلى دعوة وله عيال وليس له ما يصلح شأهم ، فليس من الفتوة أن يضع عياله ويغضى إلى الدعوة ويؤثر شهرته على فاقة عياله ، ولا يستقيم في الطريقة والشريعة أخذ الدالة والخالية لأجل العيال من الدعوة ، فليمتنع من الحضور ولينصبر مع أهله ، فإن كان في صاحب الدعوة فترة وحلم بأن للضيف عيالا ، فليغنى له أن لا يفرده بالاستحضار ، بل يفرغ قلب الضيف عن شغل عياله بأن يكتفيه ذلك ، ويحصل إليهم ما يحتاجون إليه ، ويعلم ضيفه بذلك . والواجب على الفقير أن يردب أهله بملازمة طاهر العلم والشريعة ، ولا يتكهن من خاتمة العلم في القليل والكثير ، ولا ينبغي له أن يسلم أولاده إلى السوق وتعلم الحرف ، بل يعلمهم أحكام الدين ويصلهم على ترك طلب الدنيا ، إلا أن يطلب عليه الفقر وقلة الصبر وانكشاف الحال والفضيحة والرجوع إلى الخلق في القوت وما يند به الخلقة ، فليشغل أهله ولولده وتلقه بالكسب وتحصيل ما يحصل به الغنى عن الناس ، فهو أفضل من غيره مع حفظ الخلوة ، ويعرف أولاده وجوب مراعاة حق الوالدين ومجانبة العقوق ، ويعرف أهله مراعاة حق الله وحقه ، وفضيلة الصبر منه وطلاعة وغير ذلك على ما يتأ في باب آداب التكاح : (فصل : في آدابهم في السفر) وقد ذكرنا في كتاب الأدب في أثناء الكتاب أنه يجب أن يكون سفر المؤمن الخروج من أوصاله المألومة إلى صفاته المحمودة ، فيخرج من هواه إلى طلب رضا مولاه بتصحيح تقواه ، فإذا أراد الفقير أن يسافر من بلده ، فأوكد شيء يجب عليه أن يرضى خصومه ويستأذن والده أو من هو في حكمهما في وجوب الحق عليه من العم والخال والجد والجددة ، فإذا رضى بذلك خرج ، فإن كان عيال وفي سفره عنهم مفسدة عليهم وضيمة ، فلا يسلم له السفر إلا بعد إصلاح أمورهم أو يستصحبهم معه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء إثما أن يضع من يقات . ومن شرط الفقير إذا سافر أن يكون قلبه معه ، لا يكون قلبه ملتصقا إلى علاقة وراثة ، ولا يكون قلبه متعلقا بمطالبة أئامه ، فحينئذ نزل يكون قلبه معه ويكون قلبه فارغا عاليا عن الأشياء . كما قيل عن إبراهيم بن دوحه أنه قال : دخلت مع إبراهيم بن شيبة البادية فقال لي : اطرح ما معك من العلائق ، فطرحت كل شيء إلا دينارا ، فقال : لا تشغل مرمى اطرح ما معك ، فطرحت الدينار ، فقال : اطرح ما معك من العلائق ، فذكرت أن متى شئنا نقتل فطرحنا ، فوالله ما احتجت في الطريق إلى شئ إلا جعلته بين يدي فقال ابن شيبة : هكذا من عامل الله تعالى بالصدق ، ولا ينبغي أن يقصر في سفره من أوراذه

انی کائنات بفعلها فی حضره ، لأن السفر زیادة فی أحوالهم ، فلا یقیض أن یحصل له خلل فی أعماله وأحواله بسفره ، وإنما الرخص الضعفاء والعوام ، وما للأقویاء والخواص بالرخص ، بل التزجیه شأهم أبدا فی جمیع أحوالهم ، والتوفیق شامل لهم ، والرحمة نازلة علیهم ، والحرس قائم معهم والحفظ دائم لهم . والحلیب جالس معهم ، والأنس به زائد . والفتی به قائم والامداد به متداوكة ومتواصلة ، والنصر لهم لازم ، والجنود لهم متکافئة متتابعة ومشبكة لديهم ، فالسفر أقوى لهم وأیق وأحسن بما هم یصده ، إذ فیہ البعد من الأسباب التي هی الأرباب والخلق اللین هم الأصنام ، وأصل من الصلیان وأشد من الشیطان . وینبئی للفقیر أن یراعی قلبه فی أول سفره ، ولا ینفج عن القلة ، ویجتهد فی سفره حتی لا ینسی بقلبه وبه فی سفره . ولا ینهی له أن یشکون سفره لغرض من أغراض الدنیا بوجه من الوجوه ، بل یشکون سفره لطاعة من الطاعات إما للحج أو لقاء شیخ أو زیارة موضع من المواضع المقدسة الشریفة ، وإذا سافر الفقیر فوجد قلبه بموضع من المواضع ورآه فی أصل من الكلورات ، وعیشه أقوى ، فیلزم ذلك الموضع ، ولا یزول عنه إلا بأمر جزم أو فعل محض وقدر ، فلیتجّ حیث لا یؤمر به ، أو یحصل القدر إذا کان من الصغیرین فیهم الزائل المری والإرادات والأمانی ، الفانیین عنهم المرادین الغیوبین ، وإذا ظهر للفقیر جاء وقبول ببعض المواضع ، فلینبی له أن ینفج منه ویشوش علی نفسه ذلك القبول ، لتلا ینبی به عن الله ویحجب عنه ، فیکون الخلق نصیبه ، وهذا إما یشکون مع وجود المری . وأما مع زواله فلا وجود للخلق ولا لقبولهم أثر ، فهم خارجون عن القلب وینبها حجب وحرس یحفظون القلب عن دخول الخلق إلیه ، لتلا یحصل الشریک فیثبعت التوحید . وینبئی للفقیر أن یشعر أصحابه فی سفره بحسن الخلق وحیل الدلالة ، وترك الخاتمة والمجاف فی جمیع الأشياء ، یشغل بخدمتهم ، ولا یشکون منهم أحدا . وینبئی أن یشکون أبدا فی سفره علی الطهارة وإن لم یجد الماء یتیم ما أمکنه ذلك ، كما یشکون له فی حضره أن یشکون علی الطهارة ، لأن الوضوء سلاح المؤمن ، كما جاء فی الخبر ، وهو أمان له من الشیاطین وکل مؤذ . وینبئی أن لا یصبح الأحداث المردان فی السفر علی الخصوص ، فزهم أقرب من مصافاة الشیاطین والقبول منها وإلى الشر والفتن ومطایة المری وعات النفس والهمة وفی صحبهم خطر عظیم ، إلا أن یشکون الفقیر عن یفتی به من الشیوخ والطماء بالله وأبدال أنبیاء الخضرین الأئمة الهداة الربانین معلمی الخیر المؤمنین الملتزمین للخلق والمهلین لهم ، السقراء بین الحق والخلق الجهالین فیمکن لا یالی بمن یصحبه من الأحداث والشیوخ إذا دخل بلادا وفیه شیخ ، فلینبی أن یشکون بسلامته علیه وخدمته له ، ویظهر إلیه بعین الإکبار والحشمة والتعظیم ، لتلا یحرم قائلته ، وإذا فتح له بشیء فلا یستأثر به دون أصحابه ، وإذا وقع لأحدهم عذر وقف معه ولا یشکون ، والله الموفق للصواب .

(فصل فی آدابهم فی السیاح) من ذلك أن لا یشکون السیاح ولا یشکون بالاختیار ، فزنا اتفاق السیاح فن حقّ المستمع أن یقعد بشرط الأدب فاکرا لربه بقلبه مشغولا بحفظ قلبه من

طريق الغلبة والنسيان ، فإذا قرع سمعه شيء يرى القارئ القرآن كأنه مستلطن من قبل الحق عز وجل فيما يرد عليه من تعريفات الغيب لياه ، مما يوجب ترغيباً أو ترهيباً أو إلهاماً أو خطاباً أو زيادة في القيام بعبادته عز وجل أو غيره ، ففتد ذلك بادر إلى ما يرد عليه ، وقابل الإشارة عليه بالبدار ، وإن كان السماع بحيث يصير كأن لسان القارئ لسانه ، وصار كأنه يخاطب هو الحق بما يقرأ القارئ ، فما يحصل مما يهدى في قلبه من ذلك يكون موافقاً لحق العبودية وآداب الشريعة . وفي الجملة لا يكون في الطريقة ولا في علم الحقيقة شيء يخالف آداب الشريعة : وإذا كان في القوم شيخ حاضر في السماع ، فالواجب على الفقير السكون ما لم يكن ومراعاة حشمة ذلك الشيخ ، فإن ورد عليه أمر غالب فيقتل الغلبة يسلم إليه الحركة ، فإذا سكنت الغلبة فالأولى له السكون مراعاة لحشمة الشيخ . ولا ينبغي للفقير أن يتقاضى القارئ ولا القول ، إن استبدل القول الذي هو أدنى بالذي هو خير ، بمعنى الإتيان بالقرآن على ما هو عادة أهل زمان اليوم ، فلو صدقوا في قصدهم ونجرتهم وتصرفهم لما انزعجوا في قلوبهم وجوارحهم بغير سماع كلام الله عز وجل ، إذ هو كلام محبوب وصفته ، وفيه ذكره وذكر الأولياء الأوابين والآخرين والمضامين والمغربين والمحبة والمحبوب والريد والمراد ، وعقاب اللذات عين لهبه ولومهم وغير ذلك ، فلما اختل صدقهم وتصدم وظهروا دعواهم من غير بينة ، وزورهم وقيامهم مع الرسم والعادة من غير غريزة باطنة وصدق السريرة والمعرفة والمكاشفة والمعلوم الغريبة ، والأطلاع على الأسرار والقرب والأنس ، والوصول إلى المحبوب ، والسماع الحقيقي وهو الحديث ، والكلام الذي هو سنة الله عز وجل مع العلماء به والحراس من الأولياء والأبدال والأعيان ، وخلت برأيتهم من ذلك كله ، وفتوا مع القول والآيات والأشعار التي تثير الطبع وتبهيق ثورة المشاق بالطبع لا بالقلوب والأرواح . فينبغي للفقير في الجملة : أعني فقير الحق عز وجل ، وفقير الخلق : أعني فقير المعنى ، وفقير الصورة : أعني فقيراً من الدنيا وفقيراً من المعنى والأكوان ، أن لا يتقاضى القارئ والقول بالتكرار والإعادة ، بل بكل فلك إلى الحق سبحانه إن شاء قبض من يتوب عنه في التقاضى ، أو يلهم القول بالتكرار إذا كان الفقير المستمع صادقاً وله في التكرار ولاء ومصلحة . ولا ينبغي للفقير أن يستعين بغيره في حال السماع ، فإن سأل الفقراء من المساعدة في الحركة فليساعدهم ، وذلك ضعف في الحال ، وإذا سمع الفقير آية أوبى فلا يجب أن يراحمه أحد ، ويجب أن يسلم له وقته ، وإن خولف فزوجه فالأولى للمزاحم له التسليم ، وإذا تحرك الفقير على آية أو بيت ، فيجب أن يسلم له وقته ، وإن وقع للحاضرين عليه إشراف ورأوا فيه تقصيراً أو نقصاً فالواجب عليهم الستر عليه والحمل عنه ، فإن انقضت الوقت فليبه قلبه بالرقى أو بالقلب لا باللسان ، وعاملاً يحتاج إلى قوة حال وصفاء باطن وعلم دقيق وإطلاع وآداب كاملة ومعالجة شديدة حيدة ، وإذا خرج في حال سماعه من حركة أو من شيء من نياه ، فلا يخلو إما أن يكون قد تخلق به مع القارئ فهو القارئ على الخصوص ،

أو بطرحه في الوسط فيكون حكمه إليه ، فيقال له : ما الذي أردت به ؟ فإن كان : قصدت به أن يكون بحكم الفقراء كان ذلك خلقا منه معهم فهو لهم بحكم الفرح ، وذلك إليهم برون فيه وأليم ؛ وإن قال : أردت به موافقة شيخ طرح عرقته ، فهذا ضعيف الحال جدا وكبيل الأمر حقا ، لأنه إنما ينبغي أن يوافق الشيخ في حكم خروجه عن عرقته من قد وافق الشيخ في وجده وحالته ، وذلك بعد جدا أن يفتق اثنين منهم في حال واحد ؛ والذي جرت به العادة بين الفقراء واستمر به الرسم بينهم اليوم في المرافقة في طرح العرقته ، فليس له أصل ، ثم إذا جرى منه ذلك مع ضعفه فحكم عرقته المطروحة إلى ذلك الشيخ في رسم العادة لا في العلم والشرعية ، أو في مقتضى الطريقة والحقيقة ؛ وإن قال صاحب العرقته : أردت موافقة القوم الحاضرين فهذا أيضا أضعف من الأول ، لأنه إنما ينبغي أن يكون الاشتراك في الفعل عند الاتفاق في الحال والوجد ، ولما يفتق ذلك القوم حتى يستورا في الشرب والحال ، فيرجع في ذلك إلى القوم ، فما يكون حكم غيرهم فيه أسوئهم في ذلك ، فإن قال لم يكن الوقت قصد ولاية ، يقال فالآن هو بمحكمك فاحكم فيه بما شئت ، وليس لأحد من الحاضرين ولا للشيخ إن كان حاضرا في ذلك حكم أئبة ، إذ ليس صاحبه فيه حقا ، ولا له قصد ولا لذلك أصل في الطريقة ، فإن قال : وريدت حل في الوقت الإشارة بالخروج من العرقته من غير قصد إلى شيء حل التعيين ، فقد يكون غشا في الطريقة أصل لأن من خلج عليه السلطان خلجة ، فالواجب على الخلج عليه أن يزع ملبسه ثم يلبس الخلجة ، فهكذا حكم هذا الفقير أن يخرج من عرقته ويلبس ما خلج عليه البارئ عز وجل من الأنوار والقرب والألطاف ، ثم إن حكم عرقته إلى الشيخ الحاضر إن كان هناك ، وإلا فالحاضرين من الفقراء أن يردوا الفرائ أو القوالب بها ، وقد قيل : إن ذلك إلى الفقير ، وهو أولى بحكم عرقته من غيره ، فأما معارضة الحاضرين من أرباب الدنيا ليشرخوا العرقته ثم ترد إلى صاحبها فذلك غير محمود في الطريق وغير مرضي ، اللهم إلا أن يكون المشتري فيه فترة وإيمان بالقوم يريد أن يتخلق معهم ، وهو نوع من المعارضة والسؤال بالتلطف ، ولكنه مذموم جدا ، لأنه في حال خروجه عن العرقته أظهر الصلح من نفسه في الحال ، ويرجعه إلى العرقته قاضح لنفسه ومكاتب لها ، وذلك غير مرضي . ولا ينبغي لمن خرج من عرقته أن يعود إليها وقبلها ، فإن كان ذلك بإشارة شيخ بأن أمره بأخذها فإنه يأخذها جهرا امتثالا لأمر الشيخ ، ثم يخرج منها بعد ذلك فيتخلق بها غيره ، وإذا وقع شيء في الوسط فيجماعة فالواجب التسوية بينهم ، فإن كان فيهم شيخ ورأى تخصيص قوم أو واحد من الحاضرين ، فحكم ذلك إلى الشيخ يتبع رأيه فيه ، فلا طرح عرقته فردت عليه فكانت طريقته أن لا يرجع إلى شيء أخرجه منه ، وحاد الفقراء إلى عرقتهم ، فإن كان له شيخ كان له أن لا يرجع إلى عرقته ويلزم طريقته ، فلا يرجع إلى ما خرج منه ، ولا يتلقى حكمه إنما لأحرار الجماعة ، وإن كان واحدا من الفقراء فلا ظرف من حاله والأليق بها أن يوافق الجماعة في الحال ، فيعود إلى عرقته كتلا فيجمل القوم

ويستحبوا ويعتقوه ، ثم بعد ذلك يخرج منها إلى المتأخرين وهو الأول ، وإن دفعها إلى غائب عن المجلس جاز .

وهذا آخر ما ألقنا من آداب القوم على وجه الاختصار والإقلال والإمكان في الوقت ، وأما ما يتعلق بدخول الربط والمقابلات وليس الخلاء وأشياء أحشوها ووضعوها ومحوها بينهم ، فذلك يستفاد من ممارستهم ومخاطبتهم والامتناع والإشارة منهم فلم نسطره في الكتاب ، وقد ذكرنا مشظم ذلك في كتاب الأدب في الشرع في أثناء الكتاب ، ثم نختم الكتاب بذكر باب يشتمل على باب المجاهدة والنوكل وحسن الخلق والشكر والصبر والرضا والصدق ، إذ هذه الأشياء السبعة أساس لهذه الطريقة والكل خير .

(فصل) وأما المجاهدة ، فالأصل فيها قول الله عز وجل (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وروى أبو نصره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد ، قال : كلمة حق عند سلطان جائر » ودمعت عين أبي سعيد رضي الله عنه . وقال أبو علي « الدقائق رحمه الله : من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سريره بالمجاهدة . قال الله عز وجل (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وكل من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من الطريقة شيء . وقال أبو عبيان المغربي رحمه الله : من ظن أنه ينتج عليه شيء من هذه الطريقة أو يكشف له شيء منها يغير لزوم المجاهدة فهو في غلط . وقال أبو علي « الدقائق رحمه الله من لم تكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة . وقال أيضا رحمه الله : الحركة بركة ، حركات القواهر توجب بركات السرائر . وقال الحسن بن عليوة : قال أبو يزيد رحمه الله : كنت لثني عشرة سنة حداث نفسي ، وخمس سنين كنت مرة قلبي ، وسنة أنظر فيها بيننا فإذا في وسطى إذا نزل ظاهر فعلت في قطعه ثلثي عشرة سنة ، ثم نظرت فإذا في باطنى زئار فعلت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أتطلع ، فكشفت لي ، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى ، فكبرت عليهم أربع تكبيرات . وعن الجنييد رحمه الله قال : سمعت السري رحمه الله يقول : يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مهلتي تضعفوا وتقصروا كما قصرت وكان في ذلك الوقت لا يلحفه الشباب في العبادة . وقال الحسن التقي رحمه الله : بنى هذا الأمر على ثلاثة أشياء : أن لا يأكل إلا عند الحاجة ، ولا ينام إلا عند الحاجة ، ولا يتكلم إلا عند الضرورة . وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله : إن نال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز له من حيات : الأولى : يخلق باب النعمة ويفتح باب الشفة . والثانية : يخلق باب العز ويفتح باب القدر . والثالثة : يخلق باب الراحة ويفتح باب الجهد . والرابعة : يخلق باب النوم ويفتح باب السهر . والخامسة : يخلق باب الغنى ويفتح باب الفقر . والسادسة : يخلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت . وقال أبو عمر بن محمد رحمه الله : من كرمته عليه نفسه هان عليه دينه . وقال أبو علي الروضباري رحمه الله : إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام : أنا جائع قارموه السوق وأمروه بالكسب . وقال

خو التون البصري رحمه الله : ما أعز الله عبداً يعزّ هو أعزّ له من أن يشك على ذلّ نفسه ، وما أشدّ الله عبداً بذلّ هو أشدّ له من أن يحسبه عن ذلّ نفسه . وقال إبراهيم الخراساني رحمه الله : ما حالني شيء إلا وكنيته . وقال أبو محمد بن الفضل رحمه الله : الراحة هي التخلص من أماني النفس . وقال منصور بن عبد الله رحمه الله : سمعت أبا عليّ الرودباري رحمه الله يقول : دخلت الآفة من ثلاث : سقم الطبيعة ، وملزمة العادة ، وفساد الصحة ، فسألته ما سقم الطبيعة ؟ فقال : أكل الحرام ، فقلت : وملزمة العادة ؟ قال : النظر والاستمتاع بالحرام والغيبة . قلت : فما فساد الصحة ؟ فقال : كل ما حاجت في النفس شهوة يتبعها . وقال النصاريازي رحمه الله : حينك نفسك إذا خرجت منها وقعت في راحة الأبد . وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله : كان أجمل أحكامنا في مبادئ أمرنا في مسجد أبي عثمان الإيثار بما يفتح علينا ، وأن لا نثبت على معلوم ، ومن استقبلنا بمكرهه لا نقض منه لأنفسنا ، بل نعتلز إليه ونترافع له ، وإذا وقع في قلوبنا سفارة لأحد قمنا بخدمته . فجاءة الغوام في توفية الأعمال ، وجاءة الخواص في تصفية الأحوال ، وقد تسهل مقاساة الجوع والمطر والمسر ، ومعالجة الأخلاق الرديئة تيسر وتوصب .

ومن آفات النفس : ركونها إلى استجلاب اللذخ والذكر الطيب وثناء الخلق ، وقد تحصل أثقال العبادات لذلك ، ويستولى عليها الرياء والنفاق ، وعلامة ذلك رجوعها إلى الكسل والقيل عند انقطاع ذلك ، وذهم الناس لها ، ولا يتبين لك آفات نفسك وشركها ودعواها وكذبها إلا عند الاستحسان في مواطن دعواها وعند الموازنة لها ، لأنها تتكلم بكلام الخائفين ما لم تضطر إلى الخوف ، وإذا احتجت إليها في مواطن الخوف وجدتها آتية ، وتقول قول الأبرار ما لم تتحزن بالفقير ، وإذا احتجت إليها وطالبها بشروط الفقير وجدتها مشرقة مرآة معجبة ، توصف وصف العارفين ما لم تحتاج إلى الغاية ، فإذا طلبت منها ذلك وجدتها كذابة ، وتدهش دعوى الموقنين مما لم تتحزن بالإخلاص ، وترغم أنها من المتواضعين ما لم يحلّ بها خلاف هواها عند الغضب ، وكذلك تدعي السخاء والكرم والإيثار والعدل والفضي والفتوة وغير ذلك من الأخلاق الحميدة : أخلاق الأولياء والأبدال والأعيان تملأ ورعوتها وحفا ، وإذا طالبها بذلك واستحسانها لم تجد لها إلا كسراب بنية يحسبه الظلمان ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئا ، ولو كان ثم صدق وإخلاص وصيغ منها القول وصدق بالقول لسانها لما أظهرت الفزير لسان المين لا يملكون لها ضراً ولا نفعاً ، والصحف أعمالها عند الاستحسان ، فوافق قولها عملها . وقال أبو حفص رحمه الله : النفس ظلمة كلها وسراجها سرها ، بيني والإخلاص ، ونور سراجها التوفيق فمن لم يصحبه في سره توفيق من ربه كانت ظلمة كلها . وقال أبو عثمان رحمه الله : لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا ، وإنما يراه بين يديه في جميع الأحوال . وقال أبو حفص رحمه الله : أسرع الناس هلاكاً من لا يعرف عيبه . فإن المعاصي يريد الكفر . وقال أبو سليمان رحمه الله : ما استحضت من نفسي عملاً فاحسنت به . وقال السري رحمه الله :

ایاتهم وجبران الأغنياء وفراء الأسواق وعلماء الأنواء . وقال ذو النون انصري رحمة الله : إنما دخل الفساد على الخلق من سنة أشياء . أولها : ضعف النية بعمل الآخرة . والثاني : صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم . والثالث : طول الأمل مع قرب الأجل . والرابع : آثروا رضى الشاكرين على رضا الخالق . والخامس : اتبعوا أهواءهم ، وابتعدوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم . والسادس : جعلوا قليل زلات السلف حجة أنفسهم ، ودفعوا كثير مناقبهم . (فصل) والأصل في المجاهدة مخالفة الهوى ، فيفطم نفسه عن المألوفات والشبهات والمغات ، ويعملها على خلاف ما تهوى في عموم الأوقات ، فإذا انتهكت في الشبهات ألجمها بلجام التقوى والخوف من الله عز وجل ، فإذا حرمت ووقفت عند القيام بالمعاصي والمألوفات مناقبها بسلط الخوف وتخلل الهوى ومنع الحفظ .

(فصل) ولا تم المجاهدة إلا بالمراقبة ، وهي التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، لأن المراقبة علم العبد بافلاحة الرب سبحانه عليه ، واستدانت لهذا العلم مراقبة لربه ، وهذا هو أصل كل خير ، وإنما يصل إلى هذه الرتبة بعد المحاسبة وإصلاح حاله في الوقت ، وتروم طريق الحق وإحسان مراعاة القلب بينه وبين الله تعالى ، وحفظ الأخماس مع الله عز وجل ، فيعلم أن الله تعالى عليه رقيب ، ومن قلبه قريب ، يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أفعاله ، ولا تم أيضا إلا بمعرفة غصائل أربع : أولها : معرفة الله تعالى . والثانية : معرفة عنده الله ليس . والثالثة : معرفة نفسك الأمانة بالسوء . والرابعة : معرفة العمل لله تعالى . ولو عاش إنسان دحرا في العبادة مجتهدا ولم يعرفها ولم يعمل عليها لم تنفع عبادته ، وكان على الجهول ومصيره إلى النار ، إلا أن يفضل الله تعالى عليه برحمته ، فلما معرفة الله عز وجل فهو أن يلزم العبد قلبه لربه عز وجل ، وقيامه عليه وقدرته عليه وشهادته وعلمه به ، وأنه رقيب حفيظ ، وأنه واجد ما جدد ، لا شريك له في ملكه ، وأنه عند ما وعد صادق ، وعند ما ضمن وفاء ، وعند ما دعا إليه وتذب إليه مليء ، وله وعد ينجزه ، ووعد صادق يفذه ، ومقام نصير إليه الخلاق ، ومصدر يتصرف من عنده ، وله ثواب وعقاب . ليس له شبه ولا مثيل ، وأنه كاف رحيم ودود سميع عليم ، وأنه كل يوم هو في شأن ، لا يشغله شأن عن شأن ، يعلم الخلق وفوقه الخلق ، والضمير والخطرات والوسوسة والحمة والإرادة والوسواس والحركة والطرفة والهمزة والهمزة ، وما فوق ذلك وما دون ذلك ، بما حق فلا يعرف ، وجل فلا يوصف ، مما كان وما يكون ، وأنه عزيز حكيم . وقد استوفينا ذلك في باب معرفة الصانع من قبل ، فإذا أكرم هذا قلبه في اليقين التام والعمل النافع ، ولزم ذلك كل حصو منه وكل جالحة وكل مفصل وعرق وعصب وشعر وبشر ، وكذلك يتيقن أن الله تعالى قائم على ذلك عالم به ، أساط به علما لا تمزج عنه غلبة ، وأنه خلقه فأسكن خلقه ، وصوره فأسكن صورته ، وثبت جميع ذلك في قلبه ، وصح به عزمه وأكل عقله ، وثبت حيث خلقه فيه المحاسبة ، ووصلت إليه المعرفة وقامت

عليه الحجة ، وكان في مقام من الله شريف ، والحلار يصحبه في ذلك كله ، فحفظت جوارحه وقلبه ، ولا يهتال شيئا من حله الجملة إلا أن يقطع الأغثال كلها ، إلا ما دله في هذا ، والفرق لا ينفارق قلبه حنرا من مساوئته ، لقدوته عليه لما قد سلف ، وبما يكون منه ، وحياه منه لقربه منه ، ولم تسقط منه إرادة ، ولم تزل منه همة ولا خطرة إلا له فيه علم ، فيكون العالم القائم بما يحب الله منه ، والنزال له عما يكرهه منه ، ولا تكون منه خطرة ولا لحظة ولا وسوسة ولا إرادة ولا حركة ظاهرا ولا باطنا ، إلا وعلم الله عنده قائم في قلبه قبل الخطرات والحركات والوسوس وهو مقام العلماء بالله عز وجل ، المتقين العارفين الأنبياء الورعين : وأما معرفة عدو الله إبليس ، فقد أمر الله تعالى بمحاربه ومجاهدته في السر والعلانية ، في الطاعة والمعصية ، وأعلم العباد بأنه قد عاضى الله عز وجل في عبده ونيبه وصفه وخلفته في الأرض آدم عليه السلام ، وضاربه في ذريته ، وأنه لا يتم إذا نام الآدي ، ولا يغفل إذا غفل الآدي ، ولا يسو إذا مسا في نومه ويقلته ، يجهد في عطف الآدي وهلاكه ، لا باليوبة خديعة وحيلة ومكر ، ومصادته الشبهة لليلة طاعته ومعصيته ، ما يجهله كثير من خلق الله من العابدين للفرورين المخذوعين ، وكثير من الغافلين ، ليست يبينه أن يوقع ابن آدم في معصية أو رياء أو عجب ، إنما يبينه أن يردعه عنه حيث يرد جهنم ، حيث قال جل وعلا (إنما يدعو حزبيه ليكونوا من أصحاب السعير) فإذا عرفه العبد بهذه الصفة فينبغي له أن يلزم قلبه معرفة في الحق والباطل ، بلا غفلة ولا سبيل منه ، فيحاربه بأشد الحاربة ، ويجهده بأشد الجاهدة ، سرا وعلانية ، ظاهرا وباطنا لا يقصر في ذلك حتى يهلك مجهوده في محاربه ، ومجاهدته في كل ما يدعو إليه من الخير والشر ولا يدع التضرع والرجاء إلى الله عز وجل والاستمانة به في حركاته كلها ليعنه عليه ، ويرى الله عز وجل من نفسه الفقر والفاقة إليه ، فإنه لا حيلة ولا قوة إلا به ، ويستغيث بالله عز وجل بالكاء والتضرع ، ويسأله النصر عليه جهادا متوكلا ، ليلا ونهارا ، سرا وعلانية ، في الخلا والملا ، حتى تصغر في عينه مجاهدته لمعرفته ، بتوفيق الله تعالى إياه ، فإنه عدو مولاه ، وهو أول من عصى الله من خلقه ، وأول من مات من خلقه ، يبنى من عصاه ، وكل عاص لله عز وجل ميت ، كما جاء في الحديث « قال الله عز وجل : إن أول من مات من خلقي إبليس » وهو الذي عاضى أوليائه الله من الأنبياء والصديقين وأصفياه من خلقه أجمعين . وينبغي للعبد أن يعلم أنه في جهاد عظيم ، وفي قرب من الرب جل ثناؤه ، ولا يوصف شرف مقامه ، فليبتز ولا يجهز فإنه إن عجز أو مل قد عصى وبه عز وجل ووقع في جهنم ، وغضب الله عليه ، ويكون قد أعطى عدو الله أميته منه ، وقوى عليه لعنة الله ، وليس لإرادته في العبد غاية وانتهاء إلا الكفر بالله ، فإنه إنما يغفل من حال إلى حال حتى يغضب الله عليه ، فيكمله إلى نفسه فيعذب ويقع في النار مع الشيطان ، فلا خلق أشد على العبد منه ، فالخمر والحلر ، فإنما هو الورد على العطب ، أو النجاة بفضل الله ورحمته ، أما ذات الله وجميع المسلمين من شر إبليس وجنوده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولما معرفة النفس الامارة بالسوء ، فيضعها حيث وضعها الله عز وجل ، ويصفها بما وصفها الله تعالى ، ويقوم عليها بما أمره الله عز وجل فلما ألقى له من إبليس ، وإنما يقوى عليه إبليس بها ويقبضها منه ، فيعرف أي شيء طابعتها ، وما إرادتها ، والإلام تدعو ، وم الأمر ، وكيف خلقها خلقة ضعيفة قوى طبعها شره مدعية خالصة عن طاعة الله سبحانه ، متسلطة متمنية ، خوفها أمن ، ورجاؤها أمان ، وصدقها كذب ، ودعواها باطله ، وكل شيء منها غرور ، وإبليس لما فعل محمود ، ولا دعوى حق "فلا تفرقه بما يظهر له منها ، ولا يرجو بما تأمل إن حل" عنها فبوعدها شردت ، وإن أطاق وثاقها جمحت ، وإن أعطاهما سؤلها هلكت ، وإن غفل عن محاسنها أدبرت ، وإن صجر عن مخالفاتها غرقت ، وإن اتبع هواها تولت إلى النار وفيها موت ، ليس لما حقيقة ولا رجوع إلى غير ، وهي رأس البلاء ومعدن الفضيحة وخزانة إبليس ومأوى كل سوء ، ولا يعرفها أحد غير خالقها عز وجل ، فهي في الصفة التي وصفها الله عز وجل ، كلها أظهرت خوفا ، فهو أمن ، وكلما أدعت صدقا فهو كذب ، وكلما ذكرت إخلاصها فهو رياء وإصجاب عند الحقائق ، يبين صدقتها ويعرف كذبها ، وعند الاستحسان ترجع إلى دعواها ، فإبليس بلاء عظيم إلا وقد حل بها ، فعل العبد محاسنها ومراقبتها ومخالفاتها ومجاهدتها في جميع ما تدعو إليه وتتدخل فيه ، فإبليس لما دعوى حق ، وإنما نسي في هلاكها ودعواها ، ولا توصف بشيء إلا وهي أكثر بما توصف ، فهي كثر إبليس ومستراحه ومسامرته وعذائته وصدقته ، فلذا عرف العبد صدقها فقد عرفها وهانت عليه وذلت وقوى عليها بالله عز وجل ، فلذا اجتمعت في العبد هذه الخصال الثلاث ، فليستمن بالله عز وجل عليين ، ولا يقتل ولا يظلم نفسه ، لأنه إذا قوى على أدب نفسه وهوائها عما تهوى قوى على التخلص كلها إن شاء الله تعالى ، فعليه بهذا التقدم بالزم بالله عز وجل وحده لا شريك له ، ولا يميلن في هذا كله إلى أحد غير الله عز وجل ، فإنه إن فعل ذلك فلا يوفق لخبر ويكفه الله عز وجل إلى نفسه ، فليبلغ له أن يستعين بالله تعالى في هذا كله ويقع مرضاته في جميع ما أمره الله به ونهاه ، لا يهريق بقلبك أحدا غير الله عز وجل ، فلذا فعل ذلك أرشده الله ووفقه وأحبه وجنبه مكارهه ومتره الأصفياء الطماء بالله ، الذين بذلك قالوا العلم بالله عز وجل . ولما معرفة العمل لله عز وجل ، فإن يعلم العبد أن الله عز وجل أمره بأمر ونهاه عن أمور ، فالذي أمره به هو الطاعة ، والذي نهاه عنه هو المعصية له عز وجل وأمره بالإخلاص لهما والمقصد إلى سبيل الهدى حل نيج الكتاب والسنة ، ولا يكون في ضميره في فعله كل شيء غير الله عز وجل ، ولا يكن ممن ترك المعاصي الظاهرة ، وأعرض عن ترك المعاصي الباطنة التي هي أمهات القنوب وأصولها ، لأن الله تعالى ليس على هذا وعد بالمغفرة ، ولا حل هذا ضمن القواب في دار الجزاء ، فلا يجهدن العبد في العبادة بالطاهر بفساد الباطنة وسقم الإرادة ، فتعود إذا ذاك طاعته بمعاصي كلها ، فتحل به عقوبات الدنيا والآخرة مع تب البذن وقلة المزاياه وترك الشهوة

والله ، فيحصر الدنيا والآخرة ، ولكن يزين طاعته بالإخلاص والنجوى والورع ونيته بالصدق ، ويحفظ إرادته بالخفية ، وليكن همه طلب القية الصادقة ، وعزمه طلب الإخلاص والتوحيد في أقواله وأفعاله وأحواله أجمع عند أخذه في الطاعة ، وإعراضه عن المعصية ، حتى يثبت معرفة القية ، كما يثبت معرفة العمل . ويقضي له أن يحرز من أن يخدعه إبليس العين بفوائده ، ويصرعه بمصائبه ، ويرتفع في فتوحه ، ويذهب به بمكره وخدعه ، فإن له مصالح مسجلات في القلوب ، وغرائل شبيهة وظرائف لليلة ، يحسب الخامل نورا ويقينا ، وهو شك وظلمة ، يفتح له مائة باب من الطاعة ، يريد بذلك أن يدخله في أدنى منزلة يستغرق عمله بها ، غيابه ثم إياه الخلو الخلو ، فإن قدر أن يتعلم عدده كما يتعلم القرآن فليقبل ، فهذا أمر الله جل ثناؤه ، فليحمله العبد في طاعته ، كما يحمله في معاصيه ، فإن خطر بيانه أمر أودعه نفسه إلى شيء أو تحركه بمحركة فلا يجعل دين المعرفة والعلم ، ويرى بنفسه ويرسل برسيل العلماء ، ويحسب التفهاء المألين بالله وأمره ونبيه ، حتى يدلو على طريق الله عز وجل ، ويعرفوه ذلك ويبدلو على دوائه ودائه على ما قلناه في مجلس التوبة . ولا ينبغي له أن يفتقر بطول القيام وكثرة الصيام والتواضع الظاهرة بلا معرفة منه بعمله ، فإذا كان كذلك ورأى فعله مع معرفته بنفسه حريه ويعوده صبح فعله ، فتدبر بورث العلم والفقه ، فما كان من علم ظاهر أو باطن نظر إن كان قد خالصا صادقا قبله الله منه وأجاب عليه ، وإن كان غير ذلك رده عليه فلم يسقط له عند ذلك فعل ولا ينبغي عليه أمر ، فإذا كان قد كذبك أعطى كل خلق حسن وصبح عقله وثبت عمله وزاد حلمه ، وكان من أولياء الله وأصفياه الذين بالله ينظرون ، وبالله يتكلمون ، وبه يأخذون ، وبه يعطون ، ومع ذلك اتهم نفسه واتهم هواء على نفسه ودينه ، واتهم لإبليس ، فحيكت اتهم مع ذلك معرفته بنفسه على معرفته بها .

(فصل) وأهل المجاهدة والخفية وأول العزم عشر خصال جربوها لأنفسهم ، فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعالى وصلوا إلى الشاؤل الشريفة .

أولها : أن لا يخلف العبد بالله عز وجل صادقا ولا كاذبا ، عاملا ولا ساهيا ، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه رفته ذلك أن يترك الخلف ساهيا وعاملا ، فإذا اعتاده ذلك فتح الله له بابا من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه ، وزيادة في بدنه ، ورفعة في رتبته ، وقوة في عزمه . وثاني بصره ، والثناء عند الإختران وكرامة عند الجبران حتى يأتمر به من يعرفه ويهاج من يراه . والثالثة : أن يحسب الكذب هارلا وجادا ، لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه : شرح الله به صدره وصلى به علمه ، حتى كأنه لا يعرف الكذب ، وإذا صمعه من غيره حاب ذلك عليه وغيره به في نفسه ، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب .

والرابعة : أن يحسب أن يبدأ أمرا شيئا فيخلفه إياه ، وهو يقدر عليه إلا من علو بسين ، أو يقطع المدة البتة ، فله أقوى لأمره وأقصد لطريقه ، لأن الخلف من الكذب ، فإذا فعل ذلك

فتح له باب السخاء ودرجة الحياة ، وأعلى مودته في الصادقين ، ورفعة عند الله جلّ ثناؤه ،
والزايعة : يجنب أن يلحق شيئا من الخلق ، أو يؤذي غيره لما فوقها ، لأنها من أخلاق
الأبرار والصادقين ، وله عاقبة حسنة في حفظ الله إياه في الدنيا ، مع ما يذخر له عنده من
الدرجات ، ويستقله من مصارع الملكة ، ويسلمه من الخلق ، ويرزقه راحة العباد وانحرب
منه عز وجل :

والثامنة : يجنب أن يدعو على أحد من الخلق وإن ظلمه ، فلا يقطع له بساكنه ولا يكافئه
بقضائه ، ويحتمل ذلك الله تبارك وتعالى ، ولا يكافئه بقول ولا فعل ، لأن هذه الخصال ترفع
صاحبها في الدرجات العلا ، إذا تأدّب بها ينال بها منزلة شريفة في الدنيا والآخرة ، والحب والمودة
في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعد ، وإجابة الدعوة والعلو في الخير ، والعز في الدنيا
في قلوب المؤمنين .

أي تجنب

والثامنة : أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا فحش ، فإنه
أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة ، وهي تمام السنة وأبعد عن الدخول في علم الله سبحانه وتعالى ،
وأبعد من مقت الله عز وجل ، وأقرب إلى رضا الله تعالى ورحته ، فإنه باب شريف كرم على
الله ، يورث العهد الرحمة للخلق أجمعين .

والسابعة : يجنب النظر والسم إلى شيء من المعاصي ظاهرا وباطنا ، ويكف عنها جوارحه ،
لأن ذلك من أسرع الأعمال ثوابا لقلب والجوارح في طاعة الدنيا ، مع ما يذخر الله تعالى له
من خير الآخرة ، سأل الله تعالى أن يمن علينا أجمعين بالعمل بهذه الخصال ، وأن يخرج شهادتنا
من قلوبنا .

والثامنة : يجنب أن يعمل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة ، بل يرفع مؤنة عن الخلق
أجمعين ، عما احتاج إليه واستغنى عنه ، لأن ذلك تمام عزّة العابدين وشرف المتقين ، وبه يقوى على
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكون الخلق عنده أجمعون بمنزلة واحدة في الحق سواء ،
فإذا كان كذلك قلله الله تعالى إلى الفناء واليقين والثقة به عز وجل ، ولا يرفع أحدا بهواه ،
ويكون الناس عنده في الحق سواء ، ويقطع بأن هذا الباب عزّ المؤمنين وشرف المتقين ، وهو
أقرب باب إلى الإخلاص .

والثامنة : ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين لا يطمع نفسه في شيء مما يربهم ،
فإنه عزّ الأكبر ، والفني المتلاصق ، والملك العظيم ، والقهر الجليل ، واليقين الصادق ، والموكل
الثاني الصحيح ، وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل ، وهو باب من أبواب التوكل
وبه ينال الودع ويكمل تسكّه ، وهو من علامات المتقين إلى الله تبارك وتعالى .

الفصل العاشر : التواضع لأنه يشهد بجد درجته وعلو منزلته ، ويستكمل العز والرفعة
عند الله تعالى وعند الخلق ، ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة ، وهذه الفصل أصل

الطاعات كلها وفرعها وكلها، وبها يدرك العبد منزل الصالحين الراضين عن الله تعالى في الضراء والسرراء ، وهي كمال التقوى والتواضع ، هو أن لا يلقى العبد أحدا من الناس ، إلا رأى له الفضل عليه ، ويقول عسى أن يكون عند الله غيرا مني وأرفع درجة ، فإن كان صغيرا قال : هذا لم يعص الله وأنا قد عصيت ، فلا أشك أنه غير مني ، وإن كان كبيرا قال : هذا عبد الله . قيل : وإن كان علما قال : هذا أعطى ما لم يبلغ ونال ما لم أت ، وعلم ما جهلت وهو يعمل بعلم ، وإن كان جاهلا قال : هذا عصي الله يجهل ، وأنا عصيته بعلم ، ولا أدري بم يخطئ له ، وبما يخطئ لي وإن كان كافرا قال : لا أدري عسى يعلم هذا فيخطئ له بخير العمل ، وعسى أكثر أنا فيخطئ لي بشر العمل ، وهذا باب الشفقة والوجل ، وأوكل ما يصعب وآخر ما يبق على العباد ، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله من الفوائت ، وبلغ به منازل التصيحة لله عز وجل ، وكان من أصفاء الرحمن وأحبابه ، وكان من أعداء إبليس عدو الله لأنه الله وهو باب الرحمة ، ومع ذلك يكون قد قطع طريق الكبر وحبال العجب ، ورفض درجة العلو وجانب درجة التعزُّز في نفسه في الدين والدنيا والآخرة ، وهو مخ العبادة وغاية شرف الزاهدين وسيا التاسكين ، فلا شيء أفضل منه ، ومع ذلك يقطع لسانه عن ذكر المالين ، فلا يتم له عمل إلا به ، ويخرج الغل والبنى والكبر من قلبه في جميع أحواله ، وكان لسانه في السر والعلانية واحدا ومشيته في السر والعلانية واحدا وكلامه كذلك ، والتلقى عنده في التصيحة واحدا ، ولا يكون من التاصيين ، وهو يذكر أحدا من خلق الله سوء أو غيره بفعل ، أو يجب أن يذكر عنده سوء ، أو يرتاح قلبه إذا ذكر عنده سوء ، وهذا آفة العابدين وعطب التالكة وهلاك الزاهدين ، إلا من أعانه الله عز وجل على حفظ لسانه وقلبه برحمته .

(فصل) وأما التوكل ، فالأصل فيه قوله عز وجل (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت الأمم بالموسم ، فرأيت أمي قد ملأت السبل والجرل فأهيجني كثرتهم وهيجهم ، قليل لي : أرضيت ؟ قلت نعم ، قيل : ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، لا يكتوبون ولا ينظرون ولا يسألون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محسن الأموي فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم ، فقام أكثر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة . وحقيقة التوكل : تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتفني عن ظلمات الاختيار والتدبير والفرق إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير ، فيقطع العبد أن لا تبدل القسمة ، فما قسم له لا يفرقه ، وما لم يقدر له لا ينافه ، فيسكن قلبه إلى ذلك ، ويطمئن إلى وعد مولا ، فيأخذ من مولا . والتوكل ثلاث درجات : وهي التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض . فالتوكل يسكن إلى وعد ربه ، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه ، وصاحب التفويض

یرضی بحکمہ . وقیل : التوکل بنایۃ ، والتسلیم وسط ، والتفویض نہایۃ . وقیل : التوکل صفۃ المؤمنین ، والتسلیم صفۃ الأولیاء ، والتفویض صفۃ الموحدین . وقیل : التوکل صفۃ العوام ، والتسلیم صفۃ الخواص ، والتفویض صفۃ خواص الخواص . وقیل : التوکل صفۃ الأنبیاء ، والتسلیم صفۃ إبراہیم ، والتفویض صفۃ نبینا صلوات اللہ علیہم أجمعین . فالتوکل علی کمال الحقیقۃ وقع لإبراہیم الخلیل علیہ السلام : فی الوقت الذی فیہ قال یجبریل علیہ السلام : أما إلیک فلا ، لأنہ غابت نفسہ حتی لم یبق لها أثر ، فلم یرمع اللہ تعالیٰ غیر اللہ عز وجل . وقال سہیل بن عبد اللہ رحمہ اللہ تعالیٰ : أول مقام فی التوکل أن یکون العبد بین یدی اللہ عز وجل کأنکلیت بین یدی الغافل بقلبہ کیف أراد ، لا یکون لہ حرکت ولا تدبیر ، فالتوکل علی اللہ سبحانه وتعالیٰ یکون لا یسأل ولا یرید ولا یرد ولا یمس . وقیل أيضا : التوکل هو الاسترسال . وقال حمدون رحمہ اللہ تعالیٰ : هو الاعتصام باللہ عز وجل . وقال إبراہیم الخواص رحمہ اللہ تعالیٰ : حقیقۃ التوکل إسقاط الخوف والرجاء مما سوى اللہ عز وجل وقیل : التوکل ردّ العیش إلی یوم واحد ، وإسقاط ہم غد . وقال أبو حنّیّہ الروضباری رحمہ اللہ تعالیٰ : مراعاة التوکل ثلاث درجات . الأول منہا : إذا أعطی شکر ، وإذا منع صبر ، والثانیۃ : أن یکون العبد المنع والعطاء عنده واحد . والثالثۃ : اللع مع الشکر أحبّ إلیہ لعلمہ باخیار اللہ تعالیٰ لہ ذلک . وروی عن جعفر الخلدی قال : قال إبراہیم الخواص رحمہ اللہ تعالیٰ : كنت فی طریق مکة مارکاً ، فرأیت شخصاً وحشیاً ، فنجست إلیہ فقلت : أجنی أم أنسی ؟ فقال : بل جنی فقلت : إلی أين ؟ فقال : إلی مکة ، فقلت لہ : بلا زاد ولا راحة ؟ قال : نعم إن فیتا أيضا من یسافر علی التوکل ، فقلت لہ : ما التوکل ؟ قال : الأخذ من اللہ . وقال سہیل رحمہ اللہ تعالیٰ : هو معرفۃ معطى أرزاق المخلوقین ، ولا یصبح لأحد التوکل حتی یکون عنده السیاء کالصفر والأرض کالحديد ، لا یزول من السیاء مطر ، ولا یخرج من الأرض نبات ، ویعلم أن اللہ لا ینسی لہ ما ضمن لہ من رزقہ بین خلین . وقیل : هو أن لا تحصی اللہ تعالیٰ من أجل رزقک . وقال بعضهم : حبسک من التوکل أن لا تطالب لنفسک تاصراً غیر اللہ تعالیٰ ، ولا لرزقک . حازراً غیرہ ، ولا لعملاک شامداً غیرہ . وقال البہنید رحمہ اللہ تعالیٰ : التوکل أن تقبل بالکلیۃ حل ربک وتعرض عن دنوہ . وقال النوری رحمہ اللہ تعالیٰ : هو أن ترضى بتدبیرک فی تدبیرہ ، وترضى باللہ وکیلاً وتدبیراً وتصیراً . قال اللہ تعالیٰ (وکنی باللہ وکیلاً) . وقیل : هو اقتضاء العبد القلیل بالربّ البلیل ، کلاکفاء الخلیل باللیل حیث لم یظفر بال غایۃ جبریل علیہ السلام . وقیل : هو السکون عن الحركات اعتقاداً علی خالق الأرض والسموات . وقیل لیلول الجنون رحمہ اللہ تعالیٰ : منی یکون العبد متوکلاً ؟ قال : إذا کان بالنفس غریباً بین الخلق ، وبالقرب قریباً إلی الخلق . وقیل لحاتم الأصمّ رحمہ اللہ تعالیٰ : علام بلیت أمرک هذا من التوکل ؟ قال : علی أربع خلال علمت أن رزقی لیس بأكثہ غیری فلیست أشغل بہ ، وعلمت أن عملی لا یصلہ غیری فالتوکل

منقول بہ ، وعلمت أن الثوت يأتي بشفة فأبصره ، وعلمت أن بين الله تعالى في كل حال فائدة مستح منه . وعن أبي موسى الدبيل قال : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لي : لو أدخلت يدك في قم التين حتى تبلغ إلى الرمغ لم تخف مع الله شيئا ، فقال أبو موسى رحمه الله تعالى فخرجت إلى أبي زيد البسطامي رحمه الله تعالى لسأله عن التوكل ، فقلت عليه الباب فقال لي : يا أبا موسى ما كان لك في جواب عبد الرحمن من الفتاة حتى تجيء وتسألني ؟ فقلت : يا سيدي افتح الباب ، فقال : لو جئتني زائرا لفتحت لك الباب ، فخذ الجواب من الباب ، فأنصرفت ، فلو أن السبية التي هي مطوقة بالعرش همت بك لم تخف مع الله شيئا . قال أبو موسى رحمه الله تعالى : فأنصرفت حتى جئت إلى ديبيل ، فأنصرفت بها سنة ، ثم اعتقدت الزبارة ، فخرجت إلى أبي يزيد ، فلما وصلت إليه قال لي : الآن جئتني زائرا مرحيا بالزائر ادخل ، فأنصرفت عنده شهرا لا يقع لي شيء إلا أخبرني به قبل أن يسأله ، فقلت له : يا أبا يزيد لو زيد الخروج فأطلب منك فائدة فقال اعلم أن ثلاثة المخلوقين ليست بفائدة ، فأنصرفت ، فجعلها فائدة وأنصرفت . وعن ابن طلوس إجماع رحمه الله تعالى عن أبيه طلوس رحمه الله تعالى قال : إن أعرابيا جاء برائحة له فبركها وعقلها ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال اللهم إن هذه الرائحة وما عليها في ضيائك ، حتى أخرج إليها ومضي ، ثم دخل المسجد الحرام ، فخرج الأعرابي من المسجد الحرام ، وقد أخذت الرائحة وما عليها ، لرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم ما سرق مني شيء وما سرق إلا منك . قال طلوس : فبينما نحن كذلك مع الأعرابي إذ رأينا رجلا نازلا من رأس جبل أبي قبيس يلود الرائحة بيده اليسرى ، ويده اليمنى مقطوعة معلقة في عنقه ، حتى جاء إلى الأعرابي فقال : فخذ رائحتك وما عليها ، فسأله عن حاله ، فقال : استقياني فارس على فرس أشهب في رأس أبي قبيس ، فقال لي : يا سارق مد يدك ، قال : فلذذتها فوضعتها على حجر ثم أخذ حجيرا أكثر فبذلها وحلقها في عنق ، وقال : انزل ورد الرائحة وما عليها إلى الأعرابي . وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خالصا وتروح بطانا » . وروى عبيد بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يكون أكرم الناس فليكن الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه » . وكان عمر رضي الله عنه يشتم بهلبن البينين :

هون عليك فإن الأمور بأمر الإله مقاديرها

فليس بأتيتك مصروفها ولا عارب عنك مقصورها

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال : إذا رضي بالله وكبلا وقال بشر رحمه الله تعالى : يقول أحسنهم : توكلت على الله وهو كاذب ، والله إنه لو توكل على الله رضي بما يفعل الله به . وقال أبو تراب البخاري رحمه الله تعالى : هو طرح البدن في العبودية ،

وتعلق بحب الربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر . وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : التوكل : ترك تدبير النفس والالتجاع من الحول والقوة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى أيضا لرجل سأله عن التوكل فقال : هو خلق الأرباب ، وقطع الأسباب ، فقال له السائل : زدني ، فقال : إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية . وقال أيضا : هو انقطاع المطامع . وأما الحركة بالظاهر التي هي الكسب بالسنة فلا تافى توكل القلب بعد ما يتحقق العهد أن التقدير من قبل الله تعالى في قلبه ، لأن عمل التوكل القلب وهو تحقيق الإيمان ، فمن أنكر الكسب فقد أنكر السنة ، ومن أنكر التوكل فقد أنكر الإيمان ، فإن نصر شيء من الأسباب فبتقدير الله عز وجل ، وإن نهر شيء منها فبتيسره عز وجل ، فتكون جوارحه وظواهره متحركة في السبب بأمر الله عز وجل ، وباطنه ساكن لوحد الله عز وجل . وقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : جاء رجل على ناقة له فقال : يا رسول الله أدمها وأتوكل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : احملها وتوكل . وقيل : للتوكل كالمعلق لا يعرف شيئا يأوى إليه إلا تدى أمه ، كذلك التوكل لا يبتدى إلا إلى ربه عز وجل . وقيل : التوكل نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك . وقيل : التوكل الثقة بما في يد الله عز وجل ، والبأس بما في أيدي الناس . وقيل : التوكل إفراغ السر عن التفكير للتفانى في طلب الرزق .

(فصل) وأما حسن الخلق فالأصل فيه قول الله عز وجل لبيد صلى الله عليه وسلم في كتابه المنزل عليه (وإنك لعل خلق عظيم) وما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قيل يا رسول الله : أي المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أحسنهم خلقا ، الخلق الحسن أفضل مراتب العبودية تظهر جواهر الرجال ، والإنسان مستور بخلفه مشهور بخلقه . وقيل : إن الله عز وجل خص نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بما خص به من المعجزات والكرامات والقبائل ، ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلفه ، فقال عز من قائل (وإنك لعل خلق عظيم) وقيل : إنما وصفه الله تعالى بالخلق لأنه جاهد بالكونين ، واكتفى بالله عز وجل . وقيل : الخلق العظيم أن لا يخاصم ولا يخاف من شدة معرفته بالله تعالى . وقيل : معناه لم يؤثر فيه جهاد الخلق بعد مطالعته للحق . وقال أبو سعيد الخدري رحمه الله تعالى هو أن لا يكون له حمة غير الله عز وجل . وقال البخاري رحمه الله تعالى : سمعت الحارث الحنصلي يقول : فلدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإتيان مع الوفاء . وقيل : الخلق الحسن استصغار ما منك واستعظام مالك ، وقيل : علامة حسن الخلق كنف الأذى ، وإحسان المؤمن ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضى الله عنهم : « إنكم لن نسوا الناس بأموالكم ، فسعواهم يسط الوجه وحسن الخلق » .

(فصل) وحسن الخلق مع الله عز وجل أن تؤدى أوامره ، وتترك نواهيه ، وتطيعه في الأحوال كلها من خير اعتقاد استحقاق المولى عليه ، وتسلم جميع المقادير إليه من غير تهمة ، وتوحده من غير شرك ، وتصلقه في وحده من غير شك . وقيل لدى النون المصري رحمه الله تعالى

من أكثر الناس حياء؟ قال : أسوأهم خلقا . وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قوله عز وجل (وثابتك لظفر) : أي خلقتك فحسب . وقيل في قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قيل : الظاهرة : تزيين اللثيق ، والباطنة : تصفية الخلق . وقيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى : حل فرحت في الدنيا قط ؟ فقال : نعم ، مرتين ، إحداهما : كنت قاعدا ذات يوم فجداء كلب وبال علي ، والثانية : كنت قاعدا فجداء إنسان وصفتني . وقيل : كان أويس القرني رحمه الله تعالى إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة ، فيقول : إن كان لا بد فارموني بالصغار لكلا قدموا ساقا وتمنوني من الصلاة . وقيل : شتم رجل أحنف بن قيس رحمه الله تعالى وكان يتبعه ، فلما قرب من الحى وقف وقال : يا بني إن كان بيني وبينك شيء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء القوم فيجيبوك . وقيل لحاتم الأصم رحمه الله تعالى : يحتمل الرجل من كل أحد ، قال : نعم ، إلا من نفسه . وروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعا غلاما فلم يجبه ، فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه ، فقام إليه فرأه مضطجعا ، فقال : أما تسمع يا غلام ؟ قال : نعم ، قال : ما حلك على ترك جوابي ؟ قال : أنت غفوتك فتكلمت ، فقال : امض فأنت حر لوجه الله عز وجل . وقيل : أنفق الحسن أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا . وقيل : أنفق الحسن قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق . وقيل : مكتوب في الإنجيل : عبيد اذكروني حين تغضب أذكرك حين أغضب . وقالت امرأة لحائك ابن دينار رحمه الله تعالى : يا مرائي ، فقال : يا هذه قد وجدت اسمي الذي أصغله أهل البصرة . وقال لقمان لابنه : يا بني لا تعرف ثلاثا إلا عند ثلاث : الجليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، والأخ عند الحاجة إليه . وقال موسى عليه السلام : يا إلهي أسألك أن لا يقال لي ما ليس في ، فأوحى الله تعالى إليه : ما فعلت ذلك لنفسي ، فكيف أفعله لك ؟

(فصل) وأما الشكر فالأصل فيه قوله عز وجل (لئن شكرتم لأزيدنكم) وما روي عن جده رحمه الله تعالى قال : دخلت على حائشة رضي الله عنها فقلت : أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكثرت ثم قالت : وأني شيء من شأنه لم يكن عجبا ؟ إنه لكان في ليلة فدخل معي في فراشي ، أو قالت : في لحافي ، حتى مس جلدي جلده ، ثم قال : يا بنت أبي بكر فربني أهد لي ، قالت : قلت : إني أحب قربك ، ولكنني لؤثر هوأك ، فأذنت له صلى الله عليه وسلم فقام إلى قرية من ماء ، فتوضأ وأكثر صب الماء ، ثم قام فصل ، فيكي حتى سالت دموعه على صدره ، ثم رجع فيكي ، ثم سجد فيكي ، ثم رفع رأسه فيكي ، فلم يزل صلى الله عليه وسلم كذلك حتى جاء بلال رضي الله عنه فأنشده بالصلاة ، فقلت : يا رسول الله ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ولم لأفعل ، وقد أزل الله عز وجل علي : إن في خلق السموات والأرض الآية . وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق : الاعتراف بعمدة النعم على وجه الخضوع وعلى هذا المعنى وصف الله تعالى نفسه بأنه الشكور توسعا ، معناه أنه يجازي العباد على الشكر ،

نفسی جزاء الشکر شکرا ، کما قال اللہ عزّ وجلّ (وجزاء مینة مینة مثله) وقیل : حقیقة الشکر الثناء علی الحسن بذکر إحسانه ، فشکر العبد لله تعالی ثنائه علیہ بذکر إحسانه إلیه ، وشکر الحق سبحانه للعبد ثنائه علیہ بذکر إحسانه له ، ثمّ إن إحسان العبد طاعته لله ، وإحسان الحق سبحانه إتمامه علی العبد ، وشکر العبد علی الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإتمام الربّ ، ثمّ الشکر یقسم أقساما : إلی شکر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستکانة ، وشکر بالبدن والأركان وهو انصاف بالوفاء والخدمة ، وشکر بالقلب وهو انکفاف علی بساط الشیور بإدانة حفظ الحرمه . وقیل : شکر العینین أن تسرّ عیا تراه لصاحبک ، وشکر الأذنین أن تسرّ عیا تسمعه فیہ . وفي الجملة الشکر أن لا تمسی اللہ تعالی بنعمه ، ویقال : شکر هو شکر العالین فیكون من جملة أقوالهم : وشکر هو شکر العابدین ، فیكون نوعا من أفعالهم ، وشکر هو شکر العارفین ، یكون باستقامتهم له عزّ وجلّ فی عزم الأحوال ، واعتقادهم أن جمیع ما هم فیہ من الخیر وما یظهر منهم من الطاعة والعبودية والمذکر له عزّ وجلّ بتوفیقہ وإتمامه ، وعونه وحوله وقوته عزّ وجلّ به وانعزالهم عن جمیع ذلك والفناء فیہ والاعتراف بالعجز والقصور والجهل ، ثمّ الاستکانة إلیه عزّ وجلّ فی جمیع الأحوال . وقال أبو بکر الوردی رحمه اللہ تعالی : شکر النعمة مشاهدة المنّة وحفظ الحرمه . وقیل : شکر النعمة أن ترى نفسك فی طلیها . وقال أبو عیان رحمه اللہ تعالی : الشکر معرفة العجز عن الشکر . وقیل : الشکر علی الشکر أتمّ من الشکر ، وذلك أن ترى شکرک بتوفیقہ ، ویكون ذلك التوفیق من أجل النعم علیک فشکره علی الشکر ، ثمّ تشکره علی شکر الشکر إلی ما لا یثامی . وقیل : الشکر إضافة النعم إلی مولاهای بنعت الاستکانة له . وقال ابن خلدون رحمه اللہ تعالی : الشکر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة . وقیل : الشکر الذی یشکر علی الموجود ، والشکور الذی یشکر علی المفقود ، ویقال : الشاکر الذی یشکر علی النفع ، والشکور الذی یشکر علی المنع ، ویقال : الشاکر الذی یشکر عند الیأس ، والشکور الذی یشکر عند المطال : وقال الشیل رحمه اللہ تعالی : الشکر رؤية المنعم لا رؤية النعمة . وقیل : الشکر قدی الموجود وصید المفقود ، وقال أبو عیان رحمه اللہ تعالی : شکر العامة علی الطعام والمشرب والملبس وشکر الخواص علی ما یبرء علی قلوبهم من المالحی قال اللہ عزّ وجلّ (وقابل من عبادی الشکور) وقال داود علیہ السلام : إلی کیف أشکرک وشکرى ان نعمة من نعمک ؟ فأوحى اللہ تبارک وتعالی إلیه : الآن قد شکرته . وقیل : إذا قصرت بک عن المكافاة فلیقل لسانک بالشکر : وقیل : لما بشر إدريس علیہ السلام بالطفرة سأل الحیة ، فقیل له ، لم ؟ فقال : لأشکره ، فبني کنت أعمل قبله بالمغفرة ، فیسط الملك جنته وحله إلی السماء . وقیل : مرّ بعض الأكبیاء علیہ السلام بحجر صغیر ینرج منه الماء الكثير ، فصعج منه ، فأطلقه اللہ له ، فسأله عن ذلك ، فقال : من سمعت اللہ عزّ وجلّ یقول (تبارا وتودعها الناس والحجارة) فأنا البکی من خوله ، فدعا ذلك النبی علیہ السلام أن یحیر ذلك الحجر من النار ، فأوحى اللہ عزّ وجلّ إلیه . إلی قد

اجرتہ من النار ، قرآنہ اللہ تعالیٰ ، فلما عاد وجد الماء یفسر منہ أو فرما كان قبل ذلك ، فاعجب ، فأنطق الله تعالى الحجر له ، فقال له : لم تكن وقد غفر الله لك ؟ فقال : ذلك كان بكاء الحزن والخوف ، وهذا بكاء الشكر والسرور ، وقيل : الشاكر مع التريد ، لأنه في شهود النعمة ، قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ، والصابر مع الله لأنه به تعالى لأنه في شهود البلاء ، قال الله تعالى (إن الله مع الصابرين) ، وقيل : الحمد على الأنفاس ، والشكر على نعم الحواس ، وقيل في الخبر الصحيح : « لو كنت من يدعى إلى الجنة الحسانون لله » ، وقيل : الحمد على ما دفع ، والشكر على ما صنع ، وحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد ملعن في السن ، فسأله عن حاله ، فقال : إني كنت في ابتداء عمری « هوى ابنة عم لي » ، وهي كذلك كانت نهواني ، فافتق ألى تزوجت بها ، فلبلة زفانها قلت لها : تعالى حتى يحكي هذه البلية شكرًا لله عز وجل على ما جمعنا ، فصلينا تلك الليلة ولم يفرغ أحدنا إلى الآخر ، فلما كانت الليلة الثانية بقنا كذلك ، واستمر بنا هكذا ، فبدا صبحن سنة أو ثمانين سنة ونحن على تلك الحالة كل ليلة ، وكانت زوجته معه فسألنا وقال لها : أليس كذلك يا قلاته ؟ فقالت العجوز : هو كما قال الشيخ .

(فصل) وأما الصبر فالأصل فيه قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وانفروا لله لنحكم فتلحون) ، وقوله عز وجل (واصبر وما صبرك إلا بالله) ، وما روى عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الصبر عند الصدمة الأولى » وما روى « أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاخير في عبد لا يلهب ماله ولا يهشم جسمه ، إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، وإذا ابتلاه صبره » وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله عز وجل لا يلفها بعمله حتى يتلى بلاء في جسمه فيبيلنها بذلك » : وما جاء في الخبر « أنه لما نزل قوله تبارك وتعالى (ومن يعمل سوءا يجز به) ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض ؟ أليس يصيبك البلاء ؟ أليس تصبر ؟ أليس تحزن ؟ فهذا ما تجزون به ، يعني أن جمع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك . فالصبر على ثلاثة أضرب : أحدها : صبر على عز وجل ، وهو على أداء أمره وإنهاء نهييه . وصبر مع الله عز وجل ، وهو الصبر تحت جريان قضائه وأفعاله فليك من سائر الشدائد والبلايا . وصبر على الله عز وجل ، وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والخفاية والنصر والثواب في دار الآخرة . وقيل : الصبر على قسمين : أحدهما صبر على ما هو مكسب للبعد ، وصبر على ما ليس بكسب له ، فالصبر على الكسب ينقسم على قسمين : أحدهما : على ما أمر الله به عز وجل . والثاني : على ما نهى عز وجل عنه . وأما الصبر على ما ليس بكسب للبعد : فصبره على مفاصلة ما يتصل به من حكم الله وقضائه فيا له فيه مشقة ولم في القلب والجسد . وقيل : الصابرون ثلاثة : متصبر ، وصابر ، وصبار . وقيل : وقف

وجعل على الشبل وجهه الله تعالى فقال له : أى الصبر أشد؟ على الصابرين ؟ قال : الصبر على الله ، فقال : لا ، فقال : الصبر لله ، قال : لا ، قال : الصبر مع الله ، قال : لا ، قال فلا يش؟ قال : الصبر عن الله ، فصرخ الشبل صرخة كادت روحه تلتف . وقال الجنيده رحمه الله تعالى الصبر من الدنيا إلى الآخرة سهم هين على المؤمن ، وهجران الخلق في جنب الحق شديد ، والصبر من النفس إلى الله صعب شديد ، والصبر مع الله أشد . ومثل رحمه الله تعالى عن الصبر ؟ فقال يجرع المرارة من غير تمهيس : وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . وقيل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : الصبر التباعد عن المقاتلات ، والسكون عند تجميع قصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة . وقيل : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وقيل : هو التناء في الهوى بلا ظهور شكوى . وقيل : الصبر هو المقام مع البلاء بحسن الصحة ، كالقيام مع العافية ، وقيل : أحسن الجزاء على العبادة الجزاء على الصبر ، ولا جزاء فوقه ، قال الله تعالى : (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . وقال عز وجل (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) . وقيل : الصبر هو الثبات مع الله عز وجل ، وتلقى آفته بآلته بالرحب والسعة . وقال الخوارج رحمه الله تعالى : الصبر الثبات مع الله تعالى على أحكام الكتاب والسنة . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى : صبر المحيين أشد من صبر الزاهدين ، وأحسب كيف يصبرون ؟ وأنشد :

الصبر يحصل في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحصل

وقيل : الصبر ترك الشكوى . وقيل : هو الاستكانة والاستعاذة بالله عز وجل . وقيل : هو الاستعاذة بالله . وقيل : الصبر كاسمه هو أن لا يفرق بين حال الصحة والحنة مع سكون الخاطر فيهما ، والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أفعال الحنة .

(فصل) وأما الرضا فالأصل فيه قول الله عز وجل (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، وقوله تبارك وتعالى (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان) الآية . وروى عن ابن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله عز وجل ربا » وقيل : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : أما بعد ، فإن الخير كله في الرضا ، فإن استسلمت أن ترضى وإلا تصبر . وروى عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله عز وجل (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا) الآية ، هذا صنيع مشركي العرب ، أخبرنا الله عز وجل بحيث صليهم . فلما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له ، وقضاء الله عز وجل غير من قضاء المرء لنفسه ، وما قضاء الله لك يا ابن آدم فيها ذكره غير لك مما قضى الله عز وجل لك فيها تحبة ، فائق الله تعالى وارضى بقضائه . قال الله تبارك وتعالى (وحسب أن ذكرهوا شيئا وهو غير لكم ، وحسب أن تحيروا شيئا وهو شر لكم) والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يعنى ما فيه صلاح دينكم ودنياكم ، فالحق عز وجل ملهى عن الخلق مصالحهم ،

وكتفهم عبريته من كداه الأوامر وانتهاء المناهى ، والتسليم في القندور والرضا بالقضاء فيما لهم وعليهم في الجملة ، واستأثر هو عز وجل بالعراق والمصالح ، فينبغي للعبد أن يدب الطاعة لمولاه ، ويرضى بما قسم الله له ولا ينهم .

واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته القندور للقندور ، وموافقته لهواه وتركه ورضاه بالقضاء ، فكل من رضى بالقضاء استراح ، وكل من لم يرض به طالت شقاوته وتعبه ولا ينال من الدنيا إلا ما قسم له ، فإدام هواه متعبا قاضيا عليه فهو غير راض بالقضاء ، لأن الهوى منازع للحق عز وجل ، فتعبه متكاثر مزايد ، فاستجلاب الراحة في مخالفة الهوى ، لأن فيه الرضا بالقضاء بلا بد واستجلاب التعب والنصب في موافقة الهوى ، لأن فيه منازعة الحق عز وجل بلا بد ، فلا كان الهوى ، وإذا كان فلا كنا .

واختلف أهل العلم والطريقة في الرضا هل هو من الأحوال ، أو من المقامات ؟ فقال أهل العراق : هو من جملة الأحوال ، وليس هو كسبا للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال ، ثم تحول وتزول ويبقى غيرها . وقال الخراسانيون : الرضا من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل حتى يكون إلى غاية ما يتوصل إليه العبد باكتسابه ، والجمع بينهما ممكن بأن يقال : بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ، ونهايته من جملة الأحوال وهي ليست بمكتسبة . وفي الجملة الراضى هو الذى لا يعترض على تقدير الله عز وجل . وقال أبو حنيفة : الاتفاق رحمه الله تعالى : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء ، إنما الرضا أن لا تتعرض على الحكم والقضاء . وقد قالت المشايخ ورحمهم الله تعالى : الرضا بالقضاء باب الله الأعظم وجنة الدنيا : أى من أكرم بالرضا فقد لقي بالرحب الأوفى ، وأكرم بالقرب الأعلى . وقيل إن تلميذا قال لأستاذه : هل يعرف العبد أن الله تبارك وتعالى راض عنه ؟ قال : لا ، كيف يعلم ذلك ورضاه غيب ، فقال التلميذ : يعلم ذلك ، فقال كيف ؟ قال : إذا وجدت قلبى راضيا عن الله تعالى علمت أنه راض عنى ، فقال الأستاذ : لقد أحسنت يا غلام ، ولا يرضى العبد عن الله حتى يرضى الله عز وجل . جلاله عنه ، قال الله عز وجل (رضى الله عنهم ورضوا عنه) أى برضاه عنهم رضوا عنه . وقيل : سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال : إلهى دلى على عمل إذا عملته رضيت عنى فقال : إنك لا تطيق ذلك ، فخر موسى عليه السلام ساجدا متضرعا ، فأوحى الله عز وجل إليه : يا بن عمران إن رضائى فى رضاك بقضائى . وقيل : من أراد أن يبلغ عمل الرضا فليزلم ما يجعل الله عز وجل رضاه فيه . وقيل : الرضا على قسمين : رضا به ، ورضا عنه ، فالرضا به منبر ، والرضا عنه فبا يقتضى حاكما وفاصلا . وقيل : الراضى أن لو جعلت جهنم عن يمينه ما سأل أن يحوّلها إلى يساره . وقيل : الرضا إخراج الكرامة من القلب حتى لا يبقى إلا فرح وسرور . ومثلت رابعة العلوية ورحمها الله تعالى متى يكون العبد راضيا بالقضاء ؟ فقالت ورحمها الله تعالى : إذا سر بالمصيبة كما يسر بالنعمة . وقيل : قال الشبل ورحمها الله تعالى بين يدي الجنيح ورحمها الله تعالى : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال الجنيح ورحمها الله : قولك ذا نصيب صدر ، وضيق الصدر

ترك الرضا بالقضاء . وقال أبو سليمان رحمه الله تعالى : الرضا أن لا تسأل الجنة من الله ، ولا تستعذ به من النار . وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : ثلاثة من علامات الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المראה بعد القضاء ، وهيجان الحب في حشر اليلاء . وقال أيضا رحمه الله تعالى : هو سرور القلب بمر القضاء . ومثل أبو بختان رحمه الله تعالى عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : سألك الرضا بعد القضاء ، قال : لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا ، والرضا بعد القضاء هو الرضا . وروى أنه قيل للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : أن أبا ذر رضي الله عنه يقول : تقدر أحب إلي من الغنى ، والفقير أحب إلي من الصحة ، والموت أحب إلي من الحياة ، فقال : رحمه الله أبا ذر إنما أنا فأقول : من انكل على حسن اختيار الله لم يتم خير ما اختار الله له . وقال الفضيل بن عياض لبشر الخافى رحمهما الله تعالى : الرضا أفضل من الرشد في الدنيا ، لأن الراضى لا يتعنى فوق منزله ، والذي قال الفضيل هو الصحيح ، لأن فيه الرضا بالخلال ، وكل خير في الرضا بالخلال . قال الله عز وجل لموسى عليه السلام (إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) أى ارض بما أعطيتك ولا تطلب منزلة غيره ، وكن من الشاكرين : يعنى بحفظ الحال . وكذلك لبيبا محمد صلى الله عليه وسلم (لا تحدن عيبك إلى ما تمنى به أزواجهم زهرة الحياة الدنيا لنفسهم فيه) فأدب نبيه عليه الصلاة والسلام وأمره بحفظ الحال والرضا بالقضاء والعطاء بقوله تعالى (ورزق ربك خير وأبقى) أى ما أعطيتك من الزينة والعلم والقدرة والصبر وولاية الدين والقدرة فيه أولى مما أعطيت غيرك وأخرى ، فالخير كله في حفظ الحال والرضا به ، وترك الالتفات إلى ما سواه ، لأنه لا يتناول إما أن يكون ذلك قسمك أو قسم غيرك ، أو أنه لا قسم لأحد ، بل أوجده الله تعالى فتنة ، فإن كان قسمك فهو واصل إليك شئت أم أبيت . فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشر في طلبه ، فإن ذلك غير محمود في قضية العقل والعلم ، وإن كان قسم غيرك فلا تنصب فيها لا تناله ولا يصل إليك أبدا ، وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة ، فكيف يرضى العاقل ويستحسن اللبيب أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها . وقال قوم : الرضا بالقضاء عز أن يستوى عندك ما أحب وما تكره من قضاءه عز وجل . وقال بعضهم : هو الصبر على مر القضاء . وقال آخر : هو طرح الكف بين يدى الله عز وجل والتسليم لأحكامه . وقال آخر : هو إسقاط التعير على اللئيم . وقال آخر : هو ترك الاختيار . وقال بعضهم : أهل الرضا هم الذين قطعوا عن قلوبهم في الأصل الاختيار ، فهم لا يختارون شيئا من الأشياء مما تريد أنفسهم ، ولا شيئا مما يريدون به الله ، ولا يسألونه ولا يطالعون حكا قبل نزوله ، فإذا وقع بحكم من الله حيث لا يشتركون إليه ولم يطالعوه ، رضوا به فحسبوه وسرّوا به ، وقال : إن الله عبادا إذا وقع بهم الحكم من الجلوى رأوه نعمة من الله عليهم ، فشكروه عليها وسرّوا بها ، ثم رأوا بعد سرورهم بالنعم أن اشتغالهم بالنعمة عن النعم نقص ، فاشتغلوا قلوبهم بالنعم عن النعم فكان اليلاء جاريا عليهم وقلوبهم غافلة عنه ، فلما استوطنت هذا المقام داوموا عليه فقلوبهم

مولام إلى ما هو أعلى لهم وأسمى من ذلك ، لأن مواهب عز وجل لا غاية لها ولا نهاية . وأقل ما في الرضا أن ينقطع طمعه عما سوى الله عز وجل ، وقد ذم الله عز وجل الطمع في غيره عز وجل ، فروى عن يحيى بن كثير أنه قال : قرأت التوراة فראيت فيها أن الله سبحانه وتعالى يقول : ملعون من كان ثقته بمخلوق مثله . وروى في بعض الأخبار أن الله سبحانه يقول : وعزتي وجلالي وجردى ومجدي لأقطعن أمل كل مؤمل أمل غيري باليأس ، ولا أيسه ثوب المذلة بين الناس ، ولا يعيله من قربي ، ولا قطعته من وصلي ، أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد يبدى وأنا الحي ، ويرجي غيري ويطلق بالفكر أبواب غيري وهي مغالقة ومفاتيحها بيدى . وروى في غير آخر أن الله عز وجل يقول : ما من عبد يعصم في دنون خلق أعلم ذلك من قلبه ونيته ، فتكفده السموات والأرض ومن فيهن ، إلا جعلت له من ذلك مخرجاً ، وما من عبد يعصم بمخلوق دنون ، إلا قطعمت أسباب السماء من فوقه ، وأسخت الأرض من تحت قدميه ، ثم أهلكه في الدنيا وأتعبه فيها . وروى عن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من تعزى بالناس ذلك ، وقيل : من أنكل على خلق مثله ذلك ، فكفاه الطمع بما يناله من اطلاع قلبه ، وثقلت همه وذله ومسكنته ، فقد اجتمع عليه أمران : ذلك في الدنيا ، وبعد من الله عز وجل بلا ازدباد في رزقه ذرة واحدة . وقال بعضهم : لا أعرف شيئاً أضرب على المريدن والطالبن من الطمع ، ولا أضرب للقرابين ولا أدل لهم ولا أعظم للقرابين ولا أبعد لهم ولا أشد تشقيتاً لهم ، إنما كان ذلك كذلك لأنه شرك ، أبنا كانوا ، لأن الرجل منهم أشرك بالله عز وجل حيث طمع في خلق مثله لا يملك شراً ولا نقماً ولا عطاء ولا متاعاً ، فجعل ملك الملك لمخلوكة ، فأتى يكون له ورج ، فلا يتحقق ورجه حتى ينسب الأشياء إلى مالكها عز وجل ، فيطلبها منه ولا يطلبها من غيره . وقيل : الطمع له أصل وفرع ، فأصله الغفلة وفرعه الرياء والسمة والتزين والتصنع وحب إقامة الجاه عند الناس . وقال عيسى عليه السلام للحواريين : الطمع القتل الروحى . وعن بعضهم أنه قال : طمعت يوماً مرة في شيء من أمر الدنيا ، فهتف في هاتف وهو يقول : يا هذا إنه لا يبعد بالحرف المريد إذا كان يمد عند الله كل ما يريد أن يركن بقلبه إلى العبد . وأعلم أن الله عباداً بحق عليهم الطمع فيمن يملك لهم ما فيه ، يطمعون حتى تكون البركة داخلة عليهم من حيث لا يطمعون ، ويرون أن حالة الطمع . تنقص في الأحوال ، وهو أدنى درجة من درجات العارفين من أهل التوكل ، ولا ينظر على قلب مريد شيء من الطمع ويساكنه ، إلا لأجل كمال الهدى من الله عز وجل ، حيث طمع في خلق مثله ، وهو يرى أن مولاه مطلع عليه ، ثم لم يحجزه الخوف من ذلك .

(فصل) وأما الصديق فالأصل فيه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يزال العبد يصدق ويصحى الصديق حتى يكتب عند الله صديقاً ، ولا يزال يكتب

ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا : وقيل : إن الله أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود من صدقتني في سريري صدقتك عند الخلقين في علانيتي :

واعلم أن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه ، وهو ثاني درجة النبوة ، وهو قوله عز وجل (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين) والصادق هو الاسم اللازم من الصدق ، والصدّيق هو المبالغة منه ، وهو من تكرر منه الصدق فصار دأبه وصيته ، وصار الصدق خالجه ، فالصدق استواء السر والعلانية ، فالصادق هو الذي صدق في أقواله ، والصدّيق من صدق في أقواله وجميع أفعاله وأحواله . وقيل : من أراد أن يكون الله معه فليأثم الصدق ، فإن الله مع الصادقين . وقال الحنيد رحمه الله تعالى : الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة ، والمرق يثبت على حاله واحدة أربعين سنة . وقيل : الصدق هو القول بالحق في مواطن الملكة . وقيل : الصدق موازنة السر بالنطق . وقيل : الصدق منع الحرام من الشدق . وقيل : الصدق الوفاء لله بالعمل . وقال سهل بن عبد الله : لا يشم رائحة الصدق عيب داخ من نفسه أو غيره . وقال أبو سعيد القرشي رحمه الله تعالى : الصادق الذي ينبغي أن يموت ولا يستحي من سره لو كشف قال الله تعالى (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) . وقيل : الصدق صحة التوحيد مع القصد . وقيل : حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجليك منه إلا الكذب . وقيل : ثلاثة لا تخطيء الصادق : الخلاوة ، والمعية ، والملازمة ، وقال ذو النون رحمه الله تعالى : الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : أول جنابة الصدّيقين حديثهم مع أنفسهم . ومثل فتح الوصل رحمه الله تعالى عن الصدق ، فأدخل يده في كائون الحديد وأخرج الحديد وهي تشتعل ناراً ووضعها على كتفه حتى بردت وقال : هذا هو الصدق . ومثل الخوارزمي عن علامة الصدق ، فقال : الصادق هو الذي لا يبالي لو أخرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا ينجب اطلاع الناس على مناقبه قدر من حسن عمله ، ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله ، فإن كراهته ذلك دليل على أنه يحب الزيادة عنده ، وليس هذا من أخلاق الصدّيقين . وقال بعضهم : من لم يؤدّ القرض الدائم لا يقبل منه القرض المؤقت . قيل : ما القرض الدائم ؟ قال : الصدق . وقيل : إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرة تنظر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة .

